THE BOOK WAS DRENCHED

TIGHT BINDING BOOK

دار الكتب المصرية

القسم الأدبى

ديوان مهيار الديلمى

الجزء الأول

[الطبعة الأولى]

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٤٤ هـ - ١٩٢٥ م

فهـــــرس

قوافى الجزء الأوّل من ديوان مهيـار

صحيفة

(ملحوظة) ليس للشاعر قواف من حروف الثاء والخاء والذال .

*

*

ترجمة مهيار

عن كتابَىْ

" وفَيات الأعيان " و " المنتظم، فى تواريخ الملوك والأمم "

جاء فى " وفيات الأعيان " لاّ بن خلّكان ما نصّه :

هو " أبو الحُسَين "[1] مِهْيارُ بن مَرْزَوَيْه الكاتب الفارسىّ الديلمىّ الشاعر المشهور، كان مجوسيًّا فأسلم، ويقال : إنّ إسلامَه كان على يد الشريف الرضىّ أبى الحسن محمّد الموسوىّ وهو شيخه وعليه تخرَّجَ فى نظم الشعر، وقد وازن مهيارُ كثيرا من قصائده، وكان شاعرا جزلَ القول مقدما على أهل وقته وله ديوانُ شعرٍ كبيرٌ، وهو رقيقُ الحاشية طويلُ النَّفَس فى قصائده، وقد ذَكَره " أبو الحسَن الباخَرْزِىّ "[2] فى كتابه المسمّى " دُمية القَصْر " فقال فى حقّه :

" هو شاعر، له فى مَناسك الفضل مَشاعر، وكاتب، تحت كلّ كلمةٍ من كلماته كاعب، وما فى قصائده بيت، يُتَحكَّم عليه بلو وليت، وهى مصبوبةٌ فى قوالب القلوب، وبمثلها يعتذر الدهرُ المذنبُ عن الذنوب "

---

(١) ننبه القارئ الى أن كنية مهيار فى كتاب وفيات الأعيان " أبو الحسين " وفى كتاب " المنتظم " " أبو الحسن " وبهذه الرواية الأخيرة وردت كنيته مرّات عديدة فى ديوانه ، وهو النسخة الفتوغرافيّة المحفوظة بدار الكتب المصريّة — والتى نقل منها هذا الجزء — تحت رقم ٤٢٣٩ (أدب) فليتنبّه القارئ الى ذلك إذ ليس من حقّنا الفصل أو الترجيح فى هذا الخلاف الخاص بآسم آبنه. (٢) هو أبو الحسن على بن الحسن الباخرزىّ الشاعر المشهور، صنّف كتاب " دمية القصر، وعصرة أهل العصر " وهو ذيل " يتيمة الدهر " للثعالبىّ ، وقد قُتل " بباخَرْز " فى ذى القعدة سنة سبع وستين وأربعمائة ؛ و " باخَرْز " هذه ناحيةٌ من نواحى " نيسابور " تشتمل على قرى ومزارع .

وذكره " أبو الحسن علىّ بن بَسّــام " فى كتابه المسمّى " الذخيره ، فى محاسن أهل الجزيره" وبالغ فى الثناء عليه، وذَكَرَ شيئا من شعره

وتُوفِّىَ مِهيارُ ليـلة الأحد لخمس خلون من جُمادَى الآخرة سنة ثمــان وعشرين وأربعمائة هجريّة .　　انتهى

* * *

وجاء فى " المنتظم ، فى تواريخ الملوك والأمم[1] " للإمام أبى الفَـــرج الجَوْزىّ ما نصّه :

مِهْيار بن مَرْزَوَيْه أبو الحسَن الـكاتب الفارسىّ

" كان مجوسيًّا فأسلم سنة أربع وتسعين وثلثمائة وصار رافضيًّا غاليًا، وفى شعره لطفٌ، إلا أنه يذْكُر الصحابةَ بمــا لا يصلح

قال له " أبو القاسم بن برهان" : يا مهيار، انتقلتَ بإسلامك فى النار من زاويةٍ الى زاوية، قال : وكيف ذاك ؟ قال : لأنك كنتَ مجوسيًّا فأسلمتَ فصرتَ تسبُّ الصحابة

وكانت آمرأةٌ تخدمُه ، فكنَست العرفةَ، فوجدتْ خيطا فجرّتْه فاذا هو خيطُ هِمْيان[2] فيــه مالٌ، وكان قد ترك الدارَ قومٌ من الخراسانية الحاجّ، فأخبرتْهُ فلم يتغيّر، وقال لها : قد تعبتُ حتى خبأتُه فلمــاذا نبشتيه ؟ وكان فيــه ألفا دينار، وسُعِىَ به الى "جلال الدولة[3]" فقبض عليه ثم أطلقه، وتوفّى فى جمادى الآخرة من هذه السنة .

انتهى

---

(١) نسخة فتوغرافيّة محفوظة بدار الكتب المصريّة تحت رقم ١٢٩٦ (تاريخ) وما نقلناه منها عن مهيار فى الجزء السابع من هذه النسخة : فيمن توفوا ســنة ٤٢٨ هجريّة .　　(٢) الهميان : الكيس .

(٣) جلال الدولة : أحد الملوك من " بنى بُوَيه " الذين آختصّهم ووزراءَهم مهيارُ بطائفــة كبيرة من مدائحه فى هذا الجزء والجزءين التاليين وخصّ بالذكر من أولئك الوزراء " أبا سعد بن عبد الرحيم " الملقب " بعميد الدولة " ، لكثرة ما آمتدحه به مهيار من القصائد .

كيف صُحِّحَ هذا الجزء

نُقِلَ هذا الجزءُ من النسخة الفتوغرافيّة المحفوظة بدار الكتب المصريّة تحت رقم ٤٢٣٩ (أدب) وخطها من خطوط أوائل القرن السابع .

وقد عانينا كثيرا من المشاقّ فى قراءة هذه النسخة وآستجلاء غامضها وآستكناه عويصها، حتى آضطُررنا الى تصحيف كثيرٍ من الألفاظ التى ذهب إعجامها أو وُضعَ خطأً فى غير محلّه . وبعض هـذه الألفاظ قد يحتمل تصحيفا آخر ولكنّا راعينا فيما رجّحناه موقع الكلمة من آنسجامها مع أخواتها حتى يأخذ بعضهـا برقاب بعض ، كقوله :

وأنعمٌ " تأتيـــه "   مع الربيع جُـــدُدُ

المقصود فى هذا البيت كلمة "تأتيه" وهى فضلا عن بعدها عما يقتضيه السياق وعن عدم آتزان البيت بهـا فإنها توجب أن تكون القافية منصوبةً، فصحّفناها الى " نابتة " والى " ثابتة " ورجّحنا الأولى لآلتئامها مع قوله " الربيع" وقوله "جُدُد" وهى لا تخفى على أهل الذوق، ومن الواضح أن الشعر ذو وجوه ومناحٍ وكثيرا ما يُختلف على البيت الواحد وكلّ آختلاف له وجهٌ من الظن وناحيةٌ من الرأى . والواقع ، أنه لو أُطلق لنا العنان لنجرى وراء الأهواء سامعين لكلّ مُدْلٍ برأيه فيما صحفناه أو حورناه أو رجحناه لوقفنا فى وسط المضمار ولأعيانا الشوط وضاقت صحف هـذا الجزء عن آستيعاب الألفاظ التى توافق كل هوى .

وآضطُررنا أيضا الى تحرير كثيرٍ من الكلمات التى لا تتفق ومعنى البيت، والى زيادة طائفةٍ أخرى من الكلمات التى نقصتها الأبياتُ لتحل محـل المفقود وراعينا فى ذلك ما يرمى اليه الشاعر غير جازمين بأنها هى بعينها إذ قد تختلف هذه الكلمات

أمثـــلة

من كلماتٍ صُحِّفَتْ خطأً أو ذَهبَ إعجامُها

صحيفة	سطر	
		الأصل : علىَّ ضوافٍ من سوالفِ طَولِه　يجرِّرُ أذيالَ السحابِ "شَحوبُها"
٤٧	٥	صوابه : علىَّ ضوافٍ من سوالفِ طَولِه　يجرِّرُ أذيالَ السحابِ "سَحوبُها"
		الأصل : وفى التُّربِ مما استصحبَ الطيفُ نعمةٌ　يراوح قلبى "بِشـرُها" المتغرِّبُ
٥١	١٦	صوابه : وفى التُّربِ مما استصحبَ الطيفُ نعمةٌ　يراوح قلبى "نَشـرُها" المتغرِّبُ
		الأصل : لئن دَرَست منها "الحظوظُ" فإنه　لَيبقَى طويلا عَرفُها فى المساحبِ
٥٦	٦	صوابه : لئن دَرَست منها "الخطوطُ" فإنه　لَيبقَى طويلا عَرفُها فى المساحبِ
		الأصل : فألسنهم غيظا "بوارد طبه"　وأكبادهم خلف الضلوع حِرارُ
٣٨٦	٤	صوابه : فألسنهم غيظا "بوارد رطبة"　وأكبادهم خلف الضلوع حِرارُ
		الأصل : فى ليلةٍ ... "بث"　غيرَ حديثِها سُمّارُها
٣٩٩	١٣	صوابه : فى ليلةٍ [لم] "يَنُثَّ"　غيرَ حديثِها سُمّارُها
		الأصل : ولقد ظننت بها وراء لثامها　خيرا فكشَّفَ "فحها" "الأشفارُ"
٤٢٤	١٥	صوابه : ولقد ظننت بها وراء لثامها　خيرا فكشَّفَ "قُبحَها" "الإسفارُ"

أمثـــلة

من كلماتٍ محرَّفة

صحيفة	سطر	
		الأصل : على "شرطِ" عِزٍّ لا تحولُ رسومُهُ　وبسرجِ نعيمٍ لا تُراعُ سُروبُهُ
١٣٦	٩	صوابه : على "صَرحِ" عِزٍّ لا تحولُ رسومُهُ　وسرحِ نعيمٍ لا تُراعُ سُروبُهُ

صحيفة	سطر	
		الأصل : ومثلك أسرى لا يُسامُ فداؤها هوانا "وقلبي" لا تُساقُ دياتُها
١٧٠	١٠	صوابه : ومثلك أسرى لا يُسامُ فداؤها هوانا "وقتلى" لا تُساقُ دياتُها
		الأصل : وفيحاءَ من "دُونِهم" زرتُها وأخلقْ بها جنةً أن تُزارا
٣٥١	٦	صوابه : وفيحاءَ من "دُورِهم" زرتُها وأخلقْ بها جنةً أن تُزارا
		الأصل : ولم أدرِ والشك "يلق" اليقين الى أيّ شقّ طريق أصيرُ
٣٩٣	١٥	صوابه : ولم أدر والشك "ينفى" اليقين الى أيّ شقّ طريق أصيرُ
		الأصل : يملأون الحُبا جلوسا فإن ثا روا ملأتَ "الفضلَ" بيضًا وسُمْرا
٤٠٩	١٢	صوابه : يملأون الحُبا جلوسا فإن ثا روا ملأتَ "الفضاءَ" بيضًا وسُمْرا

أمثلة

من أبياتٍ سقطَ بعضُ ألفاظها

صحيفة	سطر	
		الأصل : حرامٌ وإن أمحضتَ ... ... مطعمٍ عليّ ، اذا أدّاه أخبثُ مكسبِ
١٦	١١	صوابه : حرامٌ وإن أمحضتَ [أطيبُ] مطعمٍ عليّ ، اذا أدّاه أخبثُ مكسبِ
		الأصل : بك انتصر الملوك ... ... فيما دعَوك لنصره نِعم النصيرُ
٣٥٩	٥	صوابه : بك انتصر الملوك [وأنت] فيما دعَوك لنصره نِعم النصيرُ
		الأصل : وأشارك النُّوّاحَ فيك بأننى ... ... فالتأبين نوح الشاعرِ
٣٤٧	١٢	صوابه : وأشارك النُّوّاحَ فيك بأننى [أرثيك] فالتأبين نوح الشاعرِ

صحيفة سطر

الأصل : عريت من ظبائها الأنس ... ... وآعتاضت الظباءَ العُفْرا

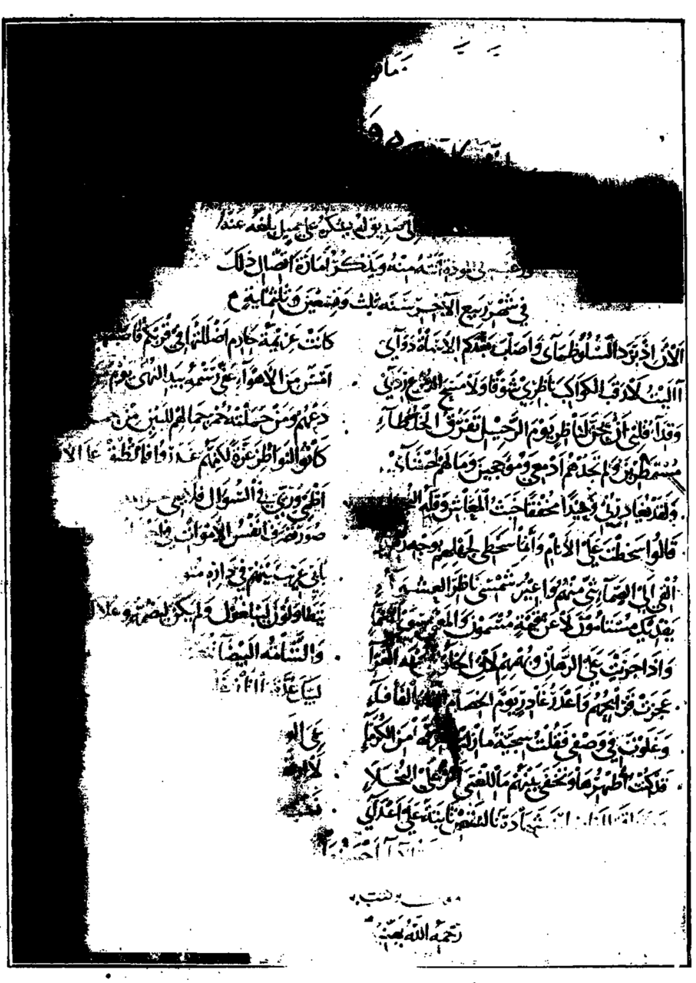
٤٠٧ ٤ صوابه : عريت من ظبائها [الآنساتِ البيضِ] وآعتاضت الظباءَ العُفْرا

الأصل : طاعنا فى السنين تطوى عليهن ... ... السنين عصرا فعصرا

٤١١ ١٢ صوابه : طاعنا فى السنين تطوى عليهن [طوالَ] السنين عصرا فعصرا

وما الى ذلك كثيرٌ غير الذى تجاوزنا عن ذكره لكثرته بالأصل ممّا يحتاج الى مجلّدٍ على حدته وسيلمُّ القارئ ببعض ما نوهنا عنه فى أماكنه من هذا الجزء ؛

"أحمد نسيم"



نموذج من صحف الأصل الفتوغرافى [صفحة (١) يقابلها صفحة (١ — ٣) من هذه الطبعة]

[illegible] الماازها
[illegible] اعيارها
[illegible] السمران [illegible] مثارها
[illegible] العيون [illegible] ابصارها
[illegible] على عشارها
[illegible] دون [illegible] اجارها
[illegible] عليه [illegible] اعمارها
[illegible] نارها
[illegible] نفي [illegible] عارها
[illegible] عوارها
[illegible] انصارها
[illegible] الندى [illegible] ابتسارها
ومغامرون اذا الكماة تواكلت اعمارها
في [illegible] المعالي منهم [illegible] ارها
[illegible] سلس القناة [illegible] عمارها
ولو العزيمة [illegible] النفوس [illegible] زارها
[illegible] على اقرانه [illegible] ازها
لا تعجبن فانه امضى النصول [illegible] ارها
[illegible] الرياسة [illegible] سوارها
كرمت كواكبها [illegible] اقمارها
[illegible] ما اصلدت ابشارها
كم من [illegible] كالغمام وكالسحاب غزارها
[illegible] اذ زارها

[illegible] عن ازها
نظر الرسم [illegible] ها
ولو انها بضلوعي العوجا تذكي نارها
[illegible] مغار في اعذارها
وفضة في الحب لم تملأ على جيارها
بانت [illegible] ذكري طيبا دون الفراش شعارها
خالي بها الشانون [illegible] للبدو [illegible] جارها
ما كنت [illegible] على [illegible] دارها
ما للرجال تروم اشواط الطوال قصارها
[illegible] الرحيم [illegible] جوارها
المضية الملسا تمنع ان يداس جدارها
لولا بقي [illegible] لاستهونت اعمارها
[illegible] الاكف عنهم من فارس احرارها
طاروا بجدهم وقصر بالنجوم مطارها
[illegible] وابو المعالي جارها
[illegible] البيضاء [illegible] صبارها
عجبوا وقد [illegible] الجياد الى المدى مضمارها
[illegible] الكواكب في المنازل والعيون صغارها
في خير اهل زمانها [illegible] خيارها
[illegible] سحابها جودا [illegible] فخارها
[illegible] الهوى [illegible] سحارها
[illegible] ثارها
ولطيفة [illegible] ثارها

حيص

[illegible] ازها
[illegible] الكرام [illegible] ما اختارها
ان [illegible] الخطوب [illegible] اسرارها
فلرب نظرة [illegible] ونضارها
[illegible] الاثبات [illegible] حلوة اثارها
[illegible] كرم الغزال [illegible] كافارها
[illegible] باسم المسيح [illegible] ازها
لما حلت [illegible] على اوزارها
اخفيت [illegible] لوى اعمارها
فاذا [illegible] حوله وجارها
والدوحة العيناء [illegible] عارها
حلما والكلم الفوادح [illegible] عوارها
[illegible] وساقت انفس [illegible] عارها
ركبا الصعاب [illegible] معوارها
يقظان [illegible] اذا ذكر العيوب حذارها
شيب الكهول [illegible] استنزعت اشبارها
ان الفوارج اخرت [illegible] اعمارها
هي دوحة المجد التي لا [illegible] استثمارها
ان السماء اذا سرت معدودة انوارها
[illegible] العداة نفارها
شفت قلوب الحاسدين [illegible] نارها
وحصينة من [illegible] لا نقص سوارها
اغنت اصابتها وان لم يعني اكثارها

نموذج آخر من الأصل الفتوغرافي [صفحة (١٦٢) يقابلها صفحة (٤٠٠ — ٤٠١) من هذه الطبعة]

بسم الله الرحمن الرحيم

وما توفيق إلا بالله عليه توكّلت وإليه أنيب .

قافية الهمزة والألف

(٢)

قال الأستاذ أبو الحسن مِهْيار بن مَرْزَوَيْه الكاتب رحمه الله تعالى وكتب بها الى صديق له يشكره على جميل بلّغه عنه، ورغبة فى المودة أتته منه، ويذكر أمارة آتصال ذلك فى شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة

الآن إذ بَرَّدَ(١) السلوُّ ظماءى(٢)	وأصاب بعدكم الأُساةُ(٣) دوائى
كانت عزيمة حازم أضللتُها	فى قربكم فأصبتُها فى النائى
آليتُ لا رقَبَ الكواكبَ ناظرى	شوقا ولا مَسَحَ الدموعَ ردائى
أمسُّ من الأهواء عَفَّى رسمَه	بيد النُّهى يومٌ من الآراء
وقذاءُ قلبى، أنْ يحنّ لناظر	— يومَ الرحيل — تفرّقَ الخلطاء
دعهم ومَنْ حَمَلَتْه حُمْرُ جمالهم	للبين من حمراءَ فى بيضاء
مستمطِرين ولم تجُدهم أدمعى	ومؤجَّجين وما لهم أحشائى

(١) يقال : بَرَدَه و بَرَّده : جعله باردا . (٢) الظَّماء : أشد العطش . (٣) الأُساة جمع آسٍ وهو الطبيب .

ملاحظة : الأرقام المكتوبة فى مثل هذه العلبة ( ) على الهوامش الخارجيّة تدلّ على رقم الصفحة فى النسخة الأصليّة المنقولة بالتصوير الشمسىّ .

كانوا النواظـرَ عِزّةً لكنهم غَـدروا فـلم تُطبِق على الأقذاءِ (١)

ولقـد يغـادرنى وحيـدا مخفقا خَبَثُ المعـاش وقِـلّةُ النجباءِ

أظمَى ورِيِّى فى السؤال فلا يفى حَرُّ المـذلّة لى بـبَرْد المـاءِ

قالوا سخِطتَ على الأنام وإنمـا سخطى بجهلهمُ بوجه رضـائى

صُوَرٌ تَصَرَّفُ أنفسُ الأمواتِ فى أجسامها بجـوارح الأحيـاءِ

أُلـقِى الى الصَّـمّاء نجِىّ منهُـمُ وأُعـير شمسِىَ ناظـرَ العَشْـواءِ (٢)

بأبى غريبٌ بينهـم فى داره متوحِّـدٌ بتعـدّد النُّظَـراءِ

يَفـديك مستامون لا عن قيـمةٍ (٣) مُسْمَوْن والمعنَى سوى الأسمـاءِ

يتطاولون ليبلُغوك ولم يكـن ليضمّهـم وعلاك خـطُّ سـواءِ

واذا جريتَ على الرِّهان وبُهْمَهـم لاقٍ (٤) الخَلوقُ (٥) بجبهـة الغـرّاءِ

والشامةُ البيضـاءُ تَنعَت نفْسَهـا بوضوحها فى الجِـلدة السـوداءِ

عَجَـزتْ قرائحُهـم، وأغدرُ غادرٍ — يومَ الخصام (٦) — الفاءُ بالفأفـاءِ (٧)

لبّيـك عِـدّةَ ما أتانى غافـلا عنـك الرواةُ بطيّب الأنبـاءِ

وغلوتَ فى وصفى، فقلتُ سجيّةٌ ما زلتُ أعرفها من الكرماءِ

عمِىَ الورى عن وجهها فرأيتُـه — وهو البعيد — بناظرَىْ زرقاءِ (٨)

قد كنتُ أُظهرها وتَخـفَى بينهـم ما للغِـنى أثرٌ عـلى البخـلاءِ

لا ٱرتعتُ إذ أُعطيتُ منك مودّةً اذا أسرّ النـاسُ من بَغضائى

(١) الأقذاء جمع القذى وهو ما يقع فى العين وما ترمى به من غَمَص ورَمَص. (٢) العشواء: الناقة لا تبصر أمامها. (٣) يقال: آستام بالسلعة وعليها: غالى؛ فقوله: مستامون أى مغالون. (٤) لاق: عَلِقَ. (٥) الخلوق: ضرب من الطِّيب. (٦) الخصام: الجَـدَلُ. (٧) الفأفاء: الذى يردد الفاء فى كلامه. (٨) زرقاء: يريد زرقاء اليمامة وهى آمرأة من جَديس كانت تبصر مسيرة ثلاثة أيام.

وصـداقتي للفاضلين شهـادةٌ بالنقص ثابتـةٌ عـلى أعـدائي
نسبٌ، مُزِجنا، لا تمـيّز بيننا فيـــه ، آمتزاجَ المـاءِ بالصهباءِ
ومودّة الأبنـاء أحسنُ ما تُرَى موروثةً عن نِســبة الآباءِ

وقال وكتب بها الى الصاحب أبي القاسم بن عبـد الرحيم رحمه الله، يهنئه بعيد النحر من هذه السنة

يا عينِ لو أغضيتِ يومَ النوى ما كان يوما حَسَنًا أن يُرَى
كلَّفتِ أجفـانَك ما لو جرى برمل يَبْرِينَ(١) شـكا أو جرى
جنـايةً عرَّضتِ قلبي لهـا فآحتملي، أَولَى بها مَنْ جنى
سَـلْ ظبياتٍ بالحِمى رُتَّعًـا خُضَّرَ منهنّ بياضُ الحِمى
نَشَـدتكنّ اللهَ، ما حيـلةٌ صاد بهـا الأُسْدَ عيونُ المها(٢)؟
إن تك سِحْـرا أو لهـا فعـلُه فالسحر يشفِي منه طِبُّ الرُّقَى(٣)
فيكنّ مَن حشوُ جلابيبـه أهيفُ راوي الرِّدف ظامي الحشا
قلبي له مَرْعًى وصـدري كَلًا(٤) ليت كَلًا ظبيُ الحِمى ما رعى
يا بأبي غضبانَ لو أنه يرضى بغـير القتل نال الرضـا
أَغَصُّ بالمـاء حِفاظـا لِمـا فارقتُـه في فمــه من لَمَى(٥)
ما لدماء الحبِّ مطـلولةً أهكذا فيهنّ دِين الدُّمى(٦)؟

---

(١) يبرين : بلدة من أصقاع البحرين و بها الرمل الموصوف بالكثرة . (٢) المَهَا جمع مهاة وهي البقرة الوحشيّة . (٣) الرقى جمع رقية وهي العُوذة يتعوّذ بها الإنسان من السحر . (٤) الكلأ : رطب العشب و يابسه ، وحذفت الهمزة للضرورة . (٥) اللمى مثلثة اللام : سمرة في الشفة . (٦) الدمى جمع دُمية وهي الصورة المنقّشة من الرخام .

إن كانت الأعراضُ مَجـزيّةً	فعاقَبَ اللهُ الهـوى بالهـوى
لله قابٌ حَسَنٌ صـبرُه	ما سُـئل الـذِّلّةَ إلا أَبَى
وصاحب كالسيف،اصادفت	ضَرِيبَتُـهُ غَرْباهُ(١) إلا مضى
يركب فى الحاجات أخطارَها	إمّا خَسًا(٢) فيها وإما زَكَا(٣)
يَقِيـل إن هَجَّـر فى ظـلّه	ويحسب الليلَ البهيمَ الضُّحى
كأنه فى الخطب بالحـظّ أو	بدرِ بنى عبد الرحيم آهتـدى
فداء من يُحْسِن أن يوسع الـ	إحسانَ قومٌ خُلِقوا للفِـدى
جاد على الأملاك وآستظهروا	بالمنـع بُخْـلا فى زمان الغِنَى
تبعث أحشاؤهـم غيظَـه	الى حلوقٍ حسبْته الشَّـجا(٤)
أراهُمُ عجـزَهُمُ ناهضٌ	بالثقل ،ا آستَضوىَ إلا وَرَى
من معشرٍ تَضْـمنُ تيجـانُهم	صُوعَ(٥) المعـالى وعِيابَ(٦) النُّهى
تُرفَع منهم عن جبـاهٍ بهـا	أبّهـةُ المُلكِ عفـا أو سـطا
للعـزّ حَشْـدٌ دون أبوابهـم	يُشـعِرك الخـوفَ ولمّا يُرَى
اذا أحبّـوا غايةً حَرَّمـوا	دون مداهـا أن تُحَـلَّ الحُبَى(٧)
قـل "للحسين بن على" وما	نمـاك أصل الخـير حتى نمـا
أدّيت عنهم، فاحتبت(٨) روضةٌ	تنبت بالنضرة فضـلَ الحيـا
منـاقبٌ يجمعنـا مجـدهـا	جمعَ العُرَى فى عُقَدات الرِّشا(٩)

(١) كذا بالأصل ولعلها "حَرْبَاهُ" وهى مسمار الدرع . (٢) الخسا : الفرد . (٣) الزكا : الشفع من العدد . (٤) الشجا : ما آعترض فى الحلق من عظم ونحوه . (٥ و ٦) صوع : جمع صاع وهو مكيال يكال به ، وعياب جمع عيبة وهى زبيل من أدم ، وكلاهما من باب الآستعارة . (٧) الحبى : جمع حبوة وهى أن يضمّ الإنسان رجليه الى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره ويشدّه عليه ، وقد تكون باليدين عوض الثوب . (٨) احتبت : آشتملت . (٩) الرشاء بوزن كساء : الحبل وحذفت الهمزة للضرورة .

لذاك ما ظُلِّل لى واسعٌ | أرتعُ منه آمنًا فى حِمَى
كأننى فى دُورِكم منكمُ | فى غير ما يُحْظَر أو يُحْتَمى
فى نعمةٍ منكم اذا آستُكْثِرَتْ | منها الفُرادَى، أعقبتها الثُّنَى[1]
يحسدنى الناسُ عليها ولو | قطَّعنى حاسدُها ما آعتدى
نشرتُها شكرا ولو أننى | طويتُها نمَّتْ نسيمَ الصَّبا
فلتبقَ لى أنت، خفقًا اذا | وجدت قولى، لا عدمتُ المُنَى
فى نعمةٍ ليست بعاريَّةٍ[2] | تُضْمَن، أو مقروضةٍ تُقْتَضَى
يَعضُد فيها العامُ ما قبلَهُ | ويفضُل اليومَ أخوه غدا
فى كلّ يومٍ لك عيدٌ، فما | يغرب فى عينيك عيدٌ أتى
وخذ من الأضحى بسهميك من | حظَّين فى آخرة أو دُنًى[3]
أجرك مذخورٌ لهاذاك والـ | ـبِرُّ موفورٌ على حفظ ذا
ما طِيفَ بالأستار فى مثله | ودامتِ المَروةُ[4] أختَ الصَّفا

* * *

وقال يمدح العمدة ذا النباهتين آبن الصاحب، ذا السياستين أبا محمد بن مكرَم رحمهم الله، ويذكِّره بقديم ما بينه و بينه من الخلطة، و يهنئه بعيد النحر من هذه السنة

مالكُمُ لا تغضبون للهوى | وتعرفون الغدرَ فيه والوفا؟
إن كنتمُ من أهله فانتصروا | من ظالمى أو فاخرجوا منه بَرًا[5]
أما تَرَوْن كيف نام وحَمَى | عينِى الكرى، فلم ينم ظبيُ الحِمى؟

---

(١) الثنى بالكسر والقصر: الأمر يعاد مرتين. (٢) العارية مشددة وقد تخفف: ماتُدوول. (٣) دنى جمع دنيا. (٤) المروة والصفا: جبلان بين بطحاء مكة والمسجد. (٥) يريد براء: جمع برى.

وكيف خــلّانى بطيئا قَــدَمِى ... عنـــه ومرّ سابقــا مع الوَنَى؟ (١)

غضــبانُ يالَهْــفِى كم أرضيتُــه ... لو كانـــ يَرضَى المتجنّى بالرِّضا

ما لدليـــلٍ نَصَلَتْ (٢) ركـابُهُ ... من الدجى، حاملةً شمسَ الضحى

ضلَّ؟ ولو كان له قلبى اَهتــدَى ... بنــاره، أو شام (٣) جفنىٌّ سَــنَى

قالوا الغضــا، ثم تنفّستُ لهم، ... فهــم يدوسون الحصا جَمْرَ الغضا

بينـــ الحُــدوج (٤) مُترَفٌ (٥) يُزعِجُــهُ ... لينُ مِهـادٍ ورفيقــاتُ الخُطَــا

عارضنى يُذْكِـرُنى الغصنَ به ... وأين منــه ما اَســتقام واَنثنى؟

حىَّ وقَرَّبْ بالكثيب (٦) طـارقا ... من طيف حسناءَ على الخوف سرى

عاتَبَ عنهــا واصــفًا مــودّةً ... ما أسارتْ (٧) إلا عُلالاتِ (٨) الكرى

أضمُّ جفــنىَّ علیـــه فَــرَقًا (٩) ... من الصباح، وعلى ذاك اَنجــلى

كأننى نُحِبُّــا به وشَــغَفًا ... محبةُ "العمدة" فى حُبِّ العـلا

شمَّــرَ للمجـــد، وما تشمَّرتْ ... له السنونَ، يافعٌ كهلُ الحجا

وقام بالرأى، فكانـــ أوّلُ ... من رأيه وآخرُ الحـــزمِ سَــوَا

سمـا الى الغـاية حتى بلَغَتْ ... همّتُــهُ به الســماءَ وسمـا

فابنـــ الملوك بالملوك يقتـدِى ... وابن البحار بالبحار يُنتَـــمَى

سكنتموهــا فاضحينـــ جُودَها ... مُبَخّلِيها بالســماحِ والنَّـــدَى

نشـــأتم المُلكَ وقـد تهجّمتْ ... سـائلةٌ بلَغَتِ المــاءَ الزُّبى (١٠)

(١) الونى : التعب . (٢) نصلت : خرجت . (٣) شام ، يقال شام البرق : نظر اليه أين يقصد وأين يمطر . (٤) الحدوج جمع حدج وهو مركب للنساء . (٥) المترف : المتنعم الذى لا يُمنع من تنعّمه . (٦) الكثيب : التلّ من الرمل . (٧) أسارت : أبقت . (٨) علالات جمع علالة وهى البقية من كل شىء . (٩) فرقا : فزعا . (١٠) الزبى جمع زبية وهى الرابية لا يعلوها ماء .

وٱعترضت وجهَ الطريق حيَّـةٌ صمّاءُ ، لا تُصغى لِخـدعاتِ الرُّقَى
أنكر فيهـا المَلْكُ مجـرى تاجِهِ وقام عن سريره وقـد نبـا
لفَّتْ على العـراق شطرًا وٱنثنت لفـارسٍ، فـدبَّ سمٌّ وسرى
لم تـدرِ أنَّ "بُعْانَ" حاويًا ما خـرزاتُ سحـرِهِ إلا الظُّبا
يتركها، تفحصُ عن نيوبها، درداءَ[1] تستافُ[2] الترابَ باللَّهـا[3]
سَبْقًا أتتـك، وحمتْـك حُمَّرا عن هـذه الدولة هاذاك العَشا
مهلا بنى مُكَرَّمٍ، من سماحِكم قد أثمـر المصفرُّ وٱخضرّ الثرى
إن كنتم الغيثَ تبـارون به فحسبكم ، ما يفعـل الغيثُ كذا
يا نجمُ، كانت مقلتى تنظـرُهُ حتى ٱستنار بدرَ تمٍّ وٱستـوى
صحبتُـهُ ريحانةً فـلم يزل دُعاىَ، حتى طـال غصنا ونمـا
أذكُرُ ذَكَرتَ الخيرَ ما لم تنسَهُ من صحبتى، ذِكرَكَ أيامَ الصِّبا
وحُرمـةٌ شروطُهـا مكتوبةٌ على جبين المجـدِ، راعوا حقَّ ذا
ما نعـمةٌ تقيسـمُها إلا أنا بهـا أحقُّ من جميع مَنْ ترى
أىُّ جمـالٍ زِنتنى اليـومَ به زانك بين الناس من مدحى غدا
لا تعـدَم الأيامُ أو عبيـدُكم نعماءَ منكم تُحتَـذَى وتُجتَـدَى
ولا تزل أنتَ مدَى الدهرِ لنـا كهفا الى أن لا ترى الدهرَ مدَى
كلُّ صـباحٍ واجهتْـك شمسُـهُ عيـدٌ، وكلُّ ليلةٍ ليـلُ مِنَى
إن نحروا فَرْضًا، فتمم نافـلةً[4] فٱنحر عداك حَسَـدًا بلا مُدَى
وٱبقَ على ما قد أحلَّ مُحـرِمٌ وما دعا عنـد الطوافِ وسعى

(١) الدرداء : التى ذهبت أسنانها . (٢) تستاف : تشم . (٣) اللها جمع لهاة وهى اللحمة المشرفة على الحلق أو ما بين منقطع أصل اللسان الى منقطع القلب من أعلى الفم . (٤) النافلة : كل ما يثاب على فعله ولا يعاقب على تركه .

* * *

وقال فى اللوح

ما مُكَرَّمٌ هيِّنٌ الآباء يكرهه | أبناءُ قومٍ ويَرضَى عنـــه آباءُ؟
صِينَ لدى الله بأسمٍ واحدٍ وغَدَا | مُشَهَّرًا فيه بين النـاس أسماءُ
تَلْقَى به شِقَّةً عيناكَ، وهو غدًا | فيـه شـقاءٌ لأقوامٍ ونَعـماءُ
اذا وسمتَ علاماتٍ به فبدت | تلوح، فهى له سِـترٌ وإخفاءُ
فإن كسته ثيـابَ العزّ ناسجةٌ | يدُ صَناعٌ(١)، نَفَتْهـا عنـه خَرقاءُ

* * *

وقال فى النيلوفر

ساهرةُ الليلِ نؤومُ الضُّحَى | ريّانةٌ، والأرضُ تشكو الظَّما
رائحةٌ فى السِّربِ لم تُقتَنَص | ظبـاؤه إلا بأمر الدُّجَى
مُلتئمٌ فوها، وإن لم يكن | فى شفتيهـا ما لهـا من لَمَى
حيّـةُ ماءٍ، ناقـعٌ سُمُّهـا | وناقـعٌ سمُّ أفاعى الصَّفـا
تعطيـك منهـا أَلسُـنًا عِدَّةً | مجتمعاتٍ كلُّهـا فى لَهَـا

* * *

قافيـــة البـاء

وقال وهى من أوّل قوله فى غرضٍ له

أيهـا العـاتبُ ما ذا | ك وما أعرِفُ ذنبى؟
أتظُنُّ الدمعَ دَيْنًـا | نتقـاضـاه بعتــبِ؟

---

(١) صناع : حاذقة .

إن تكن أنكرتَ حفظى لك وآرتبتَ بحُبّى
فبعين الله، يا ظا لمُ، عيناى وقلبى

* * *

وقال وكتب بها الى أبى الحسين هليل[1] بن المحسّن بن إبراهيم الصابئ الكاتب، وقد عتب عليه فى مودة بينهما عتابا فى غير مكانه، ونسبه الى هجرٍ كان أبو الحسين جانيَهُ، وذلك فى ذى القَعدة من هذه السنة

عَذيرِىَ مِنْ باغٍ علَىّ أُحبُّهُ ولم أَرَ بغيًا قبلَه جرّه الحبُّ
يعاتبنى فى الهجرِ، والهجرُ دِينُه وقد كان حُلوًا لو حلا ودُّه العَتْبُ
وأسلك طُرْقَ الوصلِ وهو مجنَّبٌ فإن ضلّ حقٌّ بيننا فله الذنبُ
بعثتَ نُدوبا[2] من تجنّيك يا "أبا الـ ـحسين" سهامًا لا يقوم لها قلبُ
أذِكرًا بما سرّ الوشاةَ، وتُهمةً لعهدى، وقولًا فىَّ أسهلُهُ صعبُ
وذَمًّا، ولو ما جاء غيرُك خاطبًا جزاءً به منى، لقد سَهُلَ الخطبُ
وكم جُرِّعتْ منى رجالٌ، بجورها كئوسُ آنتقامٍ، مُرّها فى فمى عَذْبُ
بأىّ وفاءٍ خلتنى حُلتُ عن هوًى ومثلىَ لا يسلو، وفى الأرض مَن يصبو
تصفَّحْ صحابَ الخير والشرّ وآنتقد بقلبك، تَحُزْنى اذا نُبِذَ الصَّحْبُ
ولا تُمَكِّنْ من يقينك رِيبةٌ فتنبو، فإنّ الصارمَ العضبَ[3] لا ينبو
سلمتُ من الحسّادِ فيك فإنهم اذا مُكِّنوا من نارِ فتنتهم شَبُّوا
ولا أطفأتْ منك الليالى بجَوْرها على العبد، رأيًا كان يقدحُهُ القلبُ

(١) كذا بالأصل وفى آبن خلّكان وشذرات الذهب "هلال". (٢) ندوب جمع نَدْبة وهى أثر الجرح. (٣) العضب: القاطع.

* * *

وقال وكتب بها الى أبى القاسم سعد بن أحمد بن الوزير الكافى مع قصيدة أنفذها الى أبيه الوزير الكافى أبى العباس الضبىّ وأنفذهما معًا فى هذا التاريخ

حَمامَ اللّوى رفقًا به، فهو لُبُّهُ ... جوادًا رِهانٍ نوحُكنّ ونَحْبُهُ

قَرَاكُنّ[1] من لا يَنقعُ الطيرَ ماؤه ... ولا يُشبعُ النُّوقَ السواغبَ[2] عُشْبُهُ

وطِرتنّ حيث القانصُ آمتدّ حبلُهُ ... وطالت، فلم تعدُ القوادمَ[3]، قضْبُهُ[4]

أعمدًا تُهيِّجن آمرأً بانَ[5] أنسُه ... وأسلمهُ حتى أخوه وصَحْبُهُ؟

أمرّ ومُهرى مُغرَمين على اللّوى ... فأسأله أو[6] كاد ينطق تُربُهُ

من الحىّ تَشتقُّ العِرَضْنةَ[7] عِيسُهُ[8] ... إزاءك، حتى آمتدّ كالسطر رَكْبُهُ

وفى الظُّعْنِ[9] محسودُ الحواضر مُترَفٌ ... تُلاثُ[10] على خدّ الغزالة نُقْبُهُ[11]

تطولُ على الصَّوّاغِ حين يمدّها ... خَلاخيلُهُ المَلْأَى، وتقصرُ حُقْبُهُ[12]

جَهِدنا، فلم نُدرِك، على أنّ خيلَنا ... سواءٌ عليها سهلُ سيرٍ وصَعْبُهُ

وقد فَطِنتْ للشوق، فهى تسرّعا ... تكاد تعدّ السيرَ يومَ تغبّهُ

أكُلُّ ظَمائى، غائضٌ ما يَبُلُّه؟ ... وكلّ سَقامى، مُعوِزٌ مَنْ يَطُبُّهُ؟

تلاعبتَ بى يادهرُ حتى تركتنى ... وسيّانِ عندى جِدّ خطبٍ ولِعْبُهُ

وأبعدتَ مَنْ أهوَى فإن كنتَ مزمعا ... لتسلبنى عنهم "فسعدٌ" وقربُهُ

(١) قراكنّ : ضافكنّ . (٢) السواغب : الجياع . (٣) القوادم : ريشات فى مقدّم الجناح، الواحدة قادمة . (٤) القضب : جمع قضيب وهو الدقيق من السهام . (٥) بان : غاب . (٦) أو : بمعنى حتى . (٧) العرضنة : الاعتراض فى السير من النشاط ، أو العدو فى اشتقاق . (٨) العيس : الإبل البيض يخالط بياضها شقرة . (٩) الظعن جمع ظعينة وهى الهودج . (١٠) تلاث : تلفّ . (١١) نقب جمع نقاب وهو معلوم . (١٢) حقب جمع حِقاب وهو شىء تعلّق به المرأة الحلىّ وتشدّه فى وسطها .

بودّى، وهل يغنى عن المرء ودّه · وأشياعُهُ فيما يحاول حِزْبُهُ؟
سلكتُ مجازَ العزّ بينى و بينه · تُحطّ روابيه وتُهتَك حُجْبُهُ
ولو أنّ أرضا مَهلكا، هان قطعُها · ولو أنّ ماءً من دمٍ، ساغ شربُهُ
الى قمرٍ، طرف تعلّل دونه · وكم قمرٍ غطّته دونىَ سُحْبُهُ
"أبا القاسم" : المَرْعى مَرِيرٌ نباتُه · يَبِيسٌ، وحلوُ العيش عندك رَطْبُهُ
أقول، وما داجتك زُورًا محبّتى · وقد يُفرط الإنسانُ فيمن يُحِبّهُ :
زكا غُصُنٌ من "آل ضَبّة" أصلُهُ · أبوك له فرعٌ، وإنك عَقْبُهُ
علاءٌ، تملّتْ منه بالودّ عُجْمُهُ · لصحبتها، وآستبقت العزّ عُرْبُهُ
رأى بك ما أنسى آبنَ غيلٍ شُبولَهُ · خفيرا بخيرٍ أو فشرّا يذبُّهُ
قليلا ، على حكم النجابة، شِبهُهُ · كثيرا، على ما توجب السنّ، تِربُهُ (١)
لئن أخّرتنى عن فِنائكما التى · عتبتُ لها دهرى، فلم يُجْدِ عَتْبُهُ
وسوّفنى رؤياكما فألطّ بى (٢) · فعادتُهُ فى أخذ حقّىَ غصبُهُ
فياليته أدنَى مَزارِىَ منكما · وأهلِىَ مَرعاه ودارىَ نَهْبُهُ
وما أنا من تُصبيه أوطانُ بيته · لعاجلِ أمرٍ سَرَّه، والعارُ غِبُّهُ
اذا أنا أبغضتُ الهوانَ وداره · فأهوَنُ ما فارقتُه مَن أُحِبّهُ
صِلونا، فإنا مُجْدِبون بمنزلٍ · يضيق على الأيام بالحُرّ رَحْبُهُ
سواءٌ به يا "آل ضبّة" ليثُهُ · اذا سار يبغى الرزق فيه، وضَبُّهُ
وكانوا عِيارًا (٣)، ربما جاد بعضهم · فأعدَى صحاحَ السَّرح يا "سعدُ" جُرْبُهُ

(١) الترب : من ولد معك وأكثر ما يستعمل فى المؤنث، يقال : هذه تِرب فلانة . (٢) ألظّ بى أي منعنى حقى . (٣) عيار جمع عَير وهو الحمار أيا كان أهليا أو وحشيا وغلب على الوحشىّ .

يعـزّ عليكم، كيف يَرجِعُ مُرمِلا (١) غلامٌ من الآداب والمجـد كسبُهُ؟
تقــدّمني قـومٌ، وما ذاك ضائرى لديكم، اذا ما أخلص الزُّبدَ وَطْبُهُ (٢)
أبانهُـمُ تلفيقُ جهـلٍ يَرُبّهـم وأخملنى تحقيـقُ فضـلٍ أُرُبُّهُ
تحلَّ بهـا يا "سعدُ" فهى قلادةٌ يُزَيِّنُ فيهـا فاخرَ الدرّ ثَقْبُـهُ
هـديّةُ خِلٍّ، إن جعلتَ ودادك الـ صَّداقَ لهـا مع فقره، فهو حسبُهُ
يرفِّعـهُ عن بذلة البعـد عتبُـهُ وهمّتـه العليـا الى النـاس ذنبُـهُ
ولى أختُهـا عنـد الوزير تلوح فى دجى الليل، أو تبدو فتخجلُ شُهبُهُ
يلذُّ لهـا مَـدُّ النشـيد ولينُـه ويُزهَى بهـا رفعُ الكلامِ ونصبُهُ
لهـا حُسْـنُها، لكن أريدك شافعًا وخيرُ شـفيعٍ لى الى الجسم قلبُـهُ

* * *

وقال وقد أنعم الله تعـالى عليه بالإسلام، ووفّقه لمـا كان يتردّد فى نفســه من الاستنصار بلطفه وفضـله، وذلك فى سـنة أربع وتسـعين وثلاثمـائة، يذكر ذالك ويُهجّن قومَه بسـفَهِ ما هم عليـه ومعايبه، وكتب بهـا الى الكافى الأوحد يبشّره ويمدحه

دواعى الهوى لك أن لا تجيبا هَجَـرْنا تُقًى ما وَصَلْنا ذُنوبا
قَفَوْنا (٣) غرورَك حتى انجلتْ أمـورٌ أَرَيْنَ العيونَ العيوبا
نَصِبْنَا لهـا أو بلَغنـا بهـا نُهًى لم تدعْ لك فينا نصيبا
وهبنا الزمانَ لهـا مقبلا وغصنَ الشبيبة غضًّا قشيبا
فقـل لمخوفنـا أن يحـول صِبًا هَرَمًا وشـبابٌ مَشيبا:

(١) المرمل : الذى نفد زاده . (٢) الوطب : سقاء اللبن . (٣) قفونا : تبعنا .

ووِدْنـا لعقّتِنا أننا ... وُلِدنا اذا كُرِهَ الشَّيْبُ شِيبا
وبلِّغ أخا صحبتى عن أخيك ... عشيرته نائيا أو قريبا
تبدّلتُ من ناركم رَبَّها ... وخُبثِ مواقدِها الخُلدَ طِيبا
حَبستُ عنانِيَ مستبصرا ... بآيةِ يستبقون الذّنوبا
نصحتكُمُ لو وجدتُ المُصيخ (١) ... وناديتكم لو دعوتُ المجيبا
أفيئوا فقد وعد الله فى ... ضلالةِ مثلكُمُ أن يتوبا
وإلا هلمّوا أباهيكُمُ ... فمن قامَ والفَخْرَ، قام المصيبا
أمثلُ محمّدٍ المصطفَى ... اذا الحكم وُلِّيتُموه لبيبا
بعدلٍ مكانَ يكون القسيمَ ... وفصلٍ مكانَ يكون الخطيبا
وثَبْتٍ (٢) اذا الأصلُ خان الفروعَ ... وفضلٍ اذا النقصُ عاب الحسيبا
وصِدْقٍ بإقرار أعدائه ... اذا نافق الأولياءُ الكذوبا
أبان انا اللهُ نَهْجَ السبيل ... ببعثته وأرانا الغيوبا
لئن كنتُ منكم فإنّ الهجين ... يُخرِجُ (٣) فى الفَلَتاتِ النجيبا
أَلِكْنِي (٤) الى مَلِكٍ بالجبال ... يدفعُ دفعَ الجبالِ الخطوبا
فتًى يطرُقُ المدحُ من بابه ... قِرًى كافيا وجنابًا رحيبا
قوافىَّ تلك وَرَدْنَ النميرَ ... من جوده ورَعَيْنَ الخصيبا
عوارىَ تُكسَى ابتساماته ... وفى القول ما يستحقُّ القُطوبا
ومن "آل ضَبَّةَ" غصنٌ يهزُّ ... جَنِيًّا، ويَغْمِزُ عُودًا صَليبا (٥)
وكانوا اذا فتنةٌ أظلمتْ ... وأعوزهم مَن يُجلِّى الكروبا

(١) المصيخ: المصغى. (٢) الثبت: الثابت. (٣) الهجين: الذى ولد من أَمة وأبوه عربىّ أو من أبوه خير من أمّه. (٤) ألكنى: أرسلنى. (٥) صليبا: شديدا.

تداعوه : يا أوحــدًا كافيًــا لنــا مستخصًّا الينــا حبيبا
فكان لنــا قمرا ما دجتْ وماءً اذا هى شُبَّتْ لهيبــا
أرى مُلْكَ "آلِ بُوَيْه" ارتدَى عَواراً بأن راح منــه سليبــا
فإن يُمسِ مَوضــعُه خاليــا فمــا تُعرَفُ الشمسُ حتى تغيبا
لك الخير مَوْلًى، رَميتُ المنى رِشاءً اليــه، فروَّى قَليبــا (١)
لحظِّىَ فى حبس مَســيْرِى اليـ ـك رَأْىٌ سأنظُرُهُ أن يؤو با
اذا قلت : ذا العامُ شافٍ بدت قوارفُ (٢) منع تُجِــدُّ النُّــدو با
ولى عزمةٌ فى ضمــانِ القبولِ سَتُدْرِكُ، إن ساعدتنى هُبو با
وإلا فتحمِلُ شكرا اليــك يشُوقُ الحلىَّ ويُغرِى الطرو با
وعذراءَ تُذْكِر نُعــماك بى وإن كنتُ لستُ بها مستريبا
ستُنكــرُ لجــاْةَ عُنوانهــا اذا هو أعطاك وَشْمــا غريبا
فوقٍّ، فقــد جَعَلَ الدِّينُ ما تنفَّلتَ فى الجودِ فرضا وُجو با
وقد كنتُ عبدا قصيّا وجُدتَ فكيف وقد صرتُ خِلًّا نسيبا !

*
* *

وقال وكتب بهــا الى أبى الحسين علىّ بن محمد البُندارىّ الكاتب خليفة الكافى الأوحد ، يشكره على كثرة وصفه إيّاه و إطرائه له ، و بلغه ذلك عنــه بلاغة يُرغَبُ مع مثلها فى المودّة

أخى فى الودّ فوق أخى النسيبِ وخِلّى دون كلِّ هــوًى حبيبى
ومــولاى البعيــدُ يقــول خيرا قريبٌ قبــل مولاى القــريبِ

(١) القليب : البئر . (٢) قوارف : قواشر، من قولهم : قرف القرحة أى قشرها بعد يبسها .

(٧)

ومادِحَ المصرِّحُ شاهدًا لى ... فــداءٌ للمعرِّض فى مَغيبى
فلا تتطلَّبى غَلَطاتِ شوقى ... فما إن زلتُ ذا شوقٍ مصيبِ
أَرَدْتِيني يملكنى نفاقا ... سليمُ الوجه ذو ظَهرٍ مريبِ
وألسنةٌ تظاهرنى صِحاحًا ... وأعلمها بطائنَ للعيوب
قد اعتذر الزمانُ بودّ خِلٍّ ... محا ما كان أسلفَ من ذُنوبِ
أتانى — طاب ما أتت ابتداءً ... بلا حقٍّ عليه ولا وُجوبِ —
يدٌ منه وَفَتْ بيد الغمام ال ... مصيب، همّت على العام الجديبِ
فمثّله التصوّرُ لى بقلبٍ ... يَرَى بالظنّ من خَلَل الغيوبِ
"أبا حسنٍ" بدأتَ بها فتمّم ... وإن لم تعطنى إلا نصيبى
صفاتُك وهى تكشف عن قريضى ... يمينُ القَيْن يشحذ عن قضيبِ
بنا ظمأٌ وعندكُمُ قَليبٌ ... وأنت رِشاءُ هاذاك القَليبِ
"أبو العباس" موئلنا و"سعدٌ" ... فقل فى الطود، أو قل فى الكثيبِ
رضيتك ثمّ لى ذخرا لنشر ال ... سليم الطىّ أو نشر المَعيبِ
وغيرك مَنْ سَكَنتُ اليه كُرهًا ... كما سكَن العِذارُ الى المشيبِ
متى سالمتنى سلِمتْ صَفاتى ... على ما دسّ قومٌ من ذنوبى
اذا نَظَر الحبيبُ بعينِ عَطفٍ ... فأهونُ ناظرٍ عينُ الرقيبِ

* * *

وقال بعد عوده من حضرة الكافى الأوحد، وقد تأخّر كتابه ورسومٌ له، لغلبة الأشغال عليه، وكتب اليه يعاتبه بهذه القصيدة وأنفذها اليه

شفى الله نفسا لا تَذِلُّ لمَطْلَبِ ... وصبرا متى يسمعْ به الدهرُ يَعجبِ
وصدرًا، اذا ضاقت صدورٌ رحيبةٌ ... لخطبٍ، تلقّاه بأهلٍ ومَرحبِ

بعيـــدا من الأفكار ماكُنَّ حطَّةً فإن تك فى كسب المكارمِ تَقـرُّب

تمرَّنْ بأخلاقى، فتى الحىّ، إن تكن رفيقـا، فإمّا عاذرى أو مؤنبى

تبغَّضْ اذا كنتَ الفقيرَ وإن تكن غنيًّـا فطامِنْ للغنَى وتحبَّب

اذا لم تَجِدْ ما يُعظمونك رغبـةً وأردت النَّصْف منهـــم فأرهبِ (١)

فإنك ما لم تُرْجَ أو تُخْشَ فيهـــمُ وتقعدْ مع الوُسطَى تدُسْك فَتَعْطَبِ

أفق يا زمانى، ربمـا أنا صـائر الى سهلٍ ما أرجو بفـــرط تصعُّبى

أغرَّك فى ثوب العفافِ تزمُّـــلى وأخـذى مكانَ الآمل المترقِّبِ؟

اذا أنا طـالت وقفـتى فتـوقُّنى فإنّ لهـا لا بدّ وثبـــةَ مُنجِب

ويا صاحبى، والذلّ للرزق موردٌ أضَنُّ بنفسى عنـه وهى تجودُ بى

خذ النفسَ عنى والمطامعَ إنهـا قد ٱستوطاتْ من ظهرها غيرَ مركَبى

حرامٌ وإن أمحضتَ مطـعم (٢) علىّ، اذا أدّاه أخبثُ مكسبِ

أأنت على هجـر اللئـام معنِّفى؟ نعم أنا ثَمَّ، فارض عنّى أوِ ٱغضبِ

أألقَى البخيـلَ أجتـديه بمدحة خصيان فيهـا شاهـدى ومغيّبى

وأكذِبُ عنـه فى عبـارةِ صادقٍ كثيرٌ إذًا، فى حيث أصدقُ، مُكذِبى

تعـودّته خُلْقًـا، شـانٔى لمحسنٍ أقول بمـا فيـه، وذمّى لمذنبِ

---

(١) هكذا بالأصل وهو مختل الوزن وقد ورد فى بعض النسخ المطبوعة هكذا :

إذا لم تجد ما يعظمونك رغبةً * ورمتُمُ أن ينصفوك فرهِّبِ

وهو مختلف عن الأصل فى لفظه، ومع المحافظة على ألفاظ الأصل لعله يكون هكذا :

اذا لم تجد ما يُعظمونك رغبـةً * به وأردت النَّصْف منهم فأرهبِ

بزيادة "به" فى أول الشطر الثانى .

(٢) كذا بالأصل ولعله * حرامٌ — وإن أمحضتَ — أطيبُ مطعمٍ *

فما سرّني في الحقّ أنّي مع العدا   ولا عابَ أنّي في المحال على أبي

وحاجةِ نفسٍ دبّر الحزمُ صدرَها   فأبتُ بها محمودةً في المُعَقّبِ

أريدُ بها "الكافي" بقلبٍ معذَّبٍ   مُرادَ "ابن حُجْرٍ" قبلها "أمَّ جُنْدَبِ" (١)

وليلِ تِمامٍ (٢) قد قليتُ نجومَه   اليه، يُرِدنَ الشرقَ، يَذهبن مَذهبي

وما لانفرادي ما لها من تجمّعٍ   ولكن بقلبي ما بها من تلهُّبِ

وطودٍ تخال الراسياتِ وِهادَه   متى يَبْغِ ظنُّ العينِ أُخراهُ يُكْذَبِ

تراه — ولم تظفر محلّقةٌ به — الـ   عُقابُ بعينَيْ عاجزٍ في تهيُّبِ

سَلكتُ فأدّاني بقلبٍ ملفَّحٍ   عظائمَ ما ألقى، وجسمٍ مجرَّبِ

إرادةُ حظٍّ أتعبَتْني، ومن تكن   له حاجةٌ في ذمّةِ الشمسِ يَتْعَبِ

فدَى الأوحد "الكافي" جبانٌ لسانُهُ   شجاعٌ، بحيث القولُ غير مصوَّبِ

بخيلٌ، لو انّ البحرَ بين بنانه   وفرّقَها عن قَطرِه لم تَسرَّبِ

يساميه تغريرا برأيٍ مُشعَّثٍ (٣)   يكُدُّ ولا يُجدي، وعِرضٍ مشعَّبِ (٤)

ومنتسبٌ يومَ التفاخر مُسفِرٌ،   اذا انتسب "الضبّيُّ" قيلَ: تنقَّبِ

أيا ساريا، إمّا ركبتَ فلا تُنِخْ   مُريحا، وإمّا ماشيا كنتَ فاركبِ

لعلك تأتي شِرعةَ الجودِ سابقا   بهاذاك، مع فرط التزاحم تَشربِ

وقل: يا "أبا العباس" بل يا أبا الورى   فكلّهُمُ فيما مَلكتَ بنو أبِ

أنا ذاك، لم تكفِ اشتياقي زَورةٌ،   بَلى، زادني بالبعدِ شجوًا تقرّبي

اذا كنتَ تهوى الشيءَ إمّا رأيتَه   وأحببتَ أن تَشقَى، فزرْ ثمّ جَنِّبِ

---

(١) يشير الشاعر هنا الى قول امرئ القيس بن حجر

خليليّ مرّا بي على أمّ جُنْدَبِ   لنقضي لُبانات الفؤاد المعذّبِ

(٢) ليل التمام بكسر التاء: أطول ليالي الشتاء. (٣) مشعّث: مفرّق. (٤) مشعّب: مصدّع.

أحنّ اذا الوفدُ ٱستقلّوا لقصدكم حنينَ الفتى العُذرىّ مَرّ بربرب
ووالله لم أهجركم العامَ عن قِلًى ولا أنّ سيرًا نحوكم كان مُنْصِبي
وما صاحبي قلبٌ بظنٍّ مُرَجَّمٍ الى غيركم فى العالمين مُقلِّبي
اذا أطربَ الإبْلَ الحُداءُ فإننى اليكم متى غنّيتُ فالجودُ مُطربى
ونفسى لكم، تلك التى لودادها ولو أُغضِبتْ فى واجبٍ ألفُ مُوجِبِ
أأمدحُ منها ما ٱختبرتم! وإنما يُظَنُّ بعتق السيفِ ما لم يُجرَّبِ
هجرتُ لك الأقوامَ حبًّا فوفّنى يَمِنْ بِي الى جدوى يديك تحزُّبى
وأشمتّهم ذا العامَ أنك جُرتَ بى ومَذهَبُك العدلُ الصحيحُ ومَذهَبى
لئن عَتَبوا أنى تفرّدتُ دونهم بمدحك، فاشهدْ أننى غيرُ مُعتِبِ
فإن خَبُثَتْ أيديهمُ لِى وأَسْهَكَتْ(١) فرُبَّ نوالٍ طاهرٍ لك طيّبِ

* * *

وقال وأنشدها الأميرَ سندَ الدولة أبا الحسَن بن مَزْيَد فى داره بالنيل، وقد لقيَهُ بها فى شهر ربيع الأوّل سنة ثمانى وتسعين وثلاثمائة

هَبْ من زمانِكَ بعضَ الجدّ للّعبِ وٱهجرْ الى راحةٍ شيئًا من التعبِ
ما كلُّ ما فات من حظّ بليّتُهُ عجزٌ، ولا كلُّ ما يأتى بمُجتلَبِ
لا تحسَبِ الهمّةَ العَلياءَ مُوجِبةً رزقًا على قِسمة الأقدارِ لم يجبِ(٢)
لو كان أفضلُ مَنْ فى الناس أسعَدَهم ما ٱنحطّتِ الشمسُ عن(٣) عالٍ من الشُّهُبِ
أو كان أَسْيَرُ ما فى الأُفْق أَسْلَمَهم دام الهلالُ فلم يُمْحَقْ ولم يَغبِ
يا سائقَ الرَّكْبِ غَرْبيًّا وراعك لى قلبٌ الى غير نجدٍ غيرُ مُنقلِبِ

---

(١) أسهكت : أتت فى عَرَقها بريح خبيثة. (٢) فى الأصل : لم تجب. (٣) فى الأصل : منْ.

تلفُّتًا، بخــلال الضِّـيقِ مُتَّسَـعُ ... وربُّ منجـذِبٍ فى زِىِّ مجتنِبِ
قِفْ نَادِ يا "آل بكر" فى بيوتكُمُ ... بيضاءُ يُطرِبهـا فى حُســنها حَرَبى
لمـا رأت أُدْمَــةً[1] نُكرًا وغائرةً ... شهباءَ[2] راكضةً فى الدُّهمِ[3] من قُضُبى[4]
لوثـ ـوقد أضحكتْ رأسى الخطوبُ لهاـ ... وجهًا الى الصدِّ يُبكينى ويَضحَك بى
لا تعجبِي اليومَ من بيضائها نظرًا ... الى سِــنِيَّ، فمن سودائهـا عجبى
ما زلتُ ــ علمًـا بأنَّ الهمّ مختـرِمٌ ... عُمـرَ الشبيبةِ ــ أبكيها ولم أَشِبِ
وُسُومُ شَيْبٍ، فإن حقَّقتِ ناظـرةً ... فإنهنَّ وُسُــومٌ فىَّ للنُّــوَبِ
تُرَى نداماىَ ما بين الرُّصـافةِ فالـ ... ـبيْضاءِ[5] راوِين من خمـرٍ ومن طربِ؟
أو عالمِين ــ وقد بُدِّلتُ بَعــدَهُمُ ــ ... ما دارُ أنسى وما كأسى وما نشَــبِى؟
فارقتهــم، فكأنى ــ ذاكرًا لهمُ ــ ... نضــوٌ تلاقت عليــه عضَّتا قتَبِ
سقَى رضـاىَ عن الأيام بينهــمُ ... غيثٌ، وبان عليهـا بَعــدَهم غضبى
إذ نَسكُب المـاءَ بُغضًا للمـزاج به ... ونطعمُ الشُّــهدَ إبقـاءً على العنبِ
يمشى السُّــقاة علينا بين منتظِرٍ ... بلوغَ كأسٍ ووثَّابٍ فمســتلِبِ
كأنمـا قــولنـا للبابلِىِّ: أدِر ... حــلاوةٌ، قولنا للمَـزْيَدِىِّ: هَبِ
فِـدًى علىٍّ جبانُ الكفِّ مقتصرٌ ... من الفخار على الموروث بالنسبِ
يُرَى أبوه ولا تُرْضَى مكـارمُــه ... الأرضُ صحَّت وأودى الداءُ بالعُشُبِ
ومُشْــبِعون من الدنيـا وجارُهُمُ ... بادى الطَّوَى ضامرُ الجنبين بالسَّغَبِ

(١) الأدمة: السـمرة فى الإنسان، ولون مشرَبٌ سوادا فى الإبل. (٢) الشهباء: البيضاء يصدعها سواد. (٣) الدهم جمع أدهم وهو الأسود. (٤) القضبُ جمع قضيب وهى الناقة التى لم تُرَضْ، وكلّ ألفاظ البيت من بابِ الاســتعارة يصف بها ما أصاب وجهه من التلويح وما أصاب رأسه من الشيب كما يتضح من الأبيات التالية. (٥) الرصافة والبيضاء: اسما بلدتين.

قـــل للأمير، ولو قلت : السماءُ به ... مفضوحةُ الجَـودِ[١]، لم تَظْلِمْ ولم تَحُبِ[٢]:
أعطيتَ مالَكَ، حـتى رُبَّ حادثةٍ ... أردتَ فيهـا الذى تُعطِى فلم تُصِبِ
لو سُمتَ نفسَـك أن ترتاضَ تجربةً ... بحفـظ ذاتِ يدٍ يومين لم تَطِبِ
كأنّ مالَكَ داءٌ أنت ضامنُـه ... فـا يُصحُّك إلا عـلّةُ النشبِ
لو كان يُنصفك العـافون لاحتشموا ... بعضَ السؤالِ ، فكفُّوا أيسرَ الطلبِ
يا بدرَ عَوْفٍ، وعوفُ الشمسُ فى أَسَدٍ ... وأَسَـدٌ[٣] شامةٌ بيضاءُ فى العـربِ
أنـتُمْ أولو البأسِ والنعماءِ، طارفـةٌ[٤] ... أخبارُكم، وعُلًى تـلْدٌ[٥] من الحِقَبِ
أحـلَى القـديم حديثًا جاهليّتُـكُمْ ... وقَصُّ أسلافِكم من رتبـة الكتُبِ
ما كنتمُ مذ جلا الإسـلامُ صفحتَهُ ... إلا سـيوفَ نبيٍّ أو وصيِّ نبى
بكم "بصـفّينَ" سـدَّ الدِّينُ مَسكنَهُ ... و "آلُ حَرْبٍ" له تحتال فى الحُرَبِ
وقام "بالبَصْرة" الإيمـانُ منتصـبًا ... والكفرُ فى "ضَبَّةٍ" جاثٍ على الرُّكَبِ
حـتى تقيَّلتَهـا إرثًا، وأفضـلُ ما ... نقلتَ دينَك شَرْعًا عن أبٍ فأبِ
اذا رأيتَ نجيبًا صحَّ مـذهبُـهُ ... فاقطع بخـيرٍ على أبنـائه النُّجُبِ
لا ضاعَ، بل لم يضعْ يومَ انتصرتَ به ... وأنت كالوِرْدِ، والأعداءُ كالقَـرَبِ[٦]
وقـد أتوكَ برايـاتٍ مكـرّرةٍ ... لم تدرِ قبلك ما اسمُ الفرّ والهـربِ
تمشى بهـم ضُمَّـرٌ، أدْمَى روادفَها ... غرورُ فـرسانهـا بالفـارسِ الذَّرِبِ
لمـا دعوتَ "عليًّا" بينهـم، ضَمِنتْ ... لك الولايةَ فيهـم سـاعدُ العطبِ
حكت رءوسَ القنا فيـه رءوسُهم ... حـتى تموّهتِ الأعناقُ بالعَـذَبِ[٧]

(١) الجود : المطر. (٢) لم تحب : لم تأثم، وفى الأصل "لم تخب" وهو تحريف. (٣) كلمة "وأسد" فى هذا الشطر يدخلها "الخَبْلُ" وهو ما حُذِفَ ثانيه ورابعه الساكنان. (٤) الطارفة : الحديثة. (٥) التلد جمع تليد وهو القديم. (٦) القَرَبُ : سير الليل لورد الغد. (٧) العَذَبُ جمع عَذَبة وهى خرقة تشدّ على رأس الرمح ، وهى أيضا ما سدل بين الكتفين من العمامة.

وطامعٌ فى معاليـــك آرتقَى فهوى — وهل يَصِحُّ مكانُ الرأسِ للذنَبِ؟
ما كان أحوجَ فضـلا تمّ فيك الى — عيبٍ يعـــوِّذُه من أعينِ النُّوَبِ
أحببتكم ، وبعيـــدٌ بين دَوْحتنا[1] — فكنتُ بالحبِّ منكم أىَّ مقترَبِ!
وودُّ "سَلْمانَ" أعطاه قرابَتَــهُ — يوما ، ولم تُغنِ قُربَى عن أبى لَهَبِ
ورفْـــعَ الصونُ إلا عن مناقبكم — أسبابَ مدحِىَ فى شعرى.وفى خُطَى
فما ترانِىَ أبوابُ الملوك مــع الـ — ـزِّحام فيهـا على الأمـــوال والرُّتبِ
قَناعـــةٌ رَغِبتْ بى عن زيارة مسـ — ـدولِ الســـتورِ وعن تأميلِ محتجبِ
ولى عوائدُ جُودٍ منـك لو طَرَقت — تَســنامُ مُلكَكَ لم تُحــرَمْ ولم تخِبِ
ملأتُ بالشكر قلبَ الحافظ الغزِلِ الـ — ـفؤادِ منهـا وأُذنَ السامعِ الطَّــرِبِ
فـــرأىُ جُودِك فى أمثالهـا لفـــتًى — أتاك بالحرمتيـــن الدِّينِ والأدبِ
ومَنْ توسَّلَ فى أمرٍ فما سـببٌ — اليـك أوكدُ فى الأمرين من سببى

* * *

وقال وكَتب بها الى الصاحب أبى القاسم بن عبد الرحيم ،وقد ورد من فارس يهنّئه بخِلَعٍ أُفيضت عليه بها، وتَكرِمةٍ لحقَتْه فيها، وبسلامته وبالمِهْرَجان[2]، ويقتضيه حاجةً كانت له

رعى اللهُ فى الحاجاتِ كلَّ نجيبِ — سميعٍ عـــلى بُعــدِ الدعاءِ مُجيبِ
وطهَّــرَ فتيانا من الذمِّ طهَّـــروا — غيوبَهُم[3] أن تُنْتَحى بعيـوبِ
ســـواءٌ على عُسرى ويُسرى وفاؤهم — وألســـنُهم فى مَشـــهَدى ومَغيبى
أحبُّوا المعـالى وهى مُنصِبةٌ لهـم — فما قَنَعوا من وصـــلها بنصيبِ

---

(١) الدوحة : الشجرة العظيمة الباســقة .

(٢) المِهْرَجانُ : عيـد الفرس، وهى كلمة مركّبة من "مِهْر" و "جان" ومعناها : مَحَبَّةُ الروح .

(٣) فى الأصل : عيوبهم .

بجارِهِمُ من دارهم مثـــلُ ما لَمِ على راحـــةٍ من عيشهم ولُغـوبِ (١)

اذا جئتهـــم مستصرخا ثارَ مجدُهم بكلِّ مُجيبٍ فى الخطـــوب مَهيبِ

وكرَّم عيشى عنـــدهم وأعاده بما فاض من حُسْنٍ عليـــه وطِيبِ

تعـــيِّرنى "لَيْـلَى" الوفاءَ بعهـدِهم عـلى بُعـــدِهم، أنْبِتِ غـيرَ مُنيبِ!

خُلِقْتُ رقيق القلب، صـــعبًا تقلُّبى أَرَى لبعيـــدٍ ما أَرَى لقـــريبِ

وما زلتُ أهـــوَى كلَّ شىء ألفتُـــه وصاحبتُهُ حـــتى ألفتُ مَشـــيبى

وتُنكِر أضـــفارى، كأنْ لم تَرَ الصِّبا (٢) ســـقَ وَرَقَى يومًا وهزَّ قضـيبى

ولم ألقَ أشراكـا فأَثنِي حبالَهـا على ما آشـتهتْ من أعينٍ وقلوبِ

فما زال مُمسِىَّ الزمانُ ومُصْبِحى بأسمـاله (٣) حتى آســـتردَّ قشـــيبى

فداءُ بنى "عبـــد الرحيم" وودِّهم هوى كلِّ ممذوق الوداد مُريبِ

ولا بَرِحتْ، تسقى "الحسينَ" وعَرْضَهُ بملآنَ من فَيض الثناء سَكوبِ

مجلجِـــلةُ الأرجاءِ، صادقٌ برقِهـا حَلوبٌ لمـاء الشِّـــعرِ غـيرُ خَلوبِ

مَرَتْها (٤) رياحُ الشـــكر حتى تلاحمتْ بمـا نســـجَتْها من صَبًا (٥) وجَنوبِ

فصابت، فعمَّت ماسقته، فأخصبتْ، عـــلى أنها لم تُسْـــقِ غيرَ خَصيبِ

وجازاه ملكا فى الجـــزاء فضـــيلةً وأدّى ثوابَ الشـكر حـقَّ مُثيبِ

أخى، وأخى الموروثُ غـــيرُ موافِقٍ ومولاى (٦)، وآبنُ العمّ غـيرُ نسيبِ

ضميرٌ على حكم اللسانِ، وبعضُهم أخـــو مَلَقٍ يُبْـــلَى أخـــوه بذيبِ

وعن حفظ غَيبِ المُلكِ نُصحا اذا طغى به غَلٌّ (٧) أسرارٍ وعينُ غيـــوبِ

(١) اللغوب : التعب . (٢) أضفار : جمـع ضَفْرٍ وهى كلّ خصـلة على حدتها كالضفيرة . (٣) الأسمال جمع سَمَلٍ وهو الثوب الخَلَق . (٤) مرتها : آستخرجتها . (٥) الصَّبا : الريح الشرقية ، والجنوب : ريح تقابل الشَّمال . (٦) المولى : ابن العم . (٧) الغَلّ : المـاء جرى بين الأشجار .

فكم غمّــة عَمياء أعضــلَ داؤها ... رماها برأيٍ من نُهاهُ طبيبِ
وشاهــدةٍ[1] بالفخر أوفتْ صــفاتُها ... على كلّ معــنًى فى الجمال عجيبِ
أتت شَرَفًا من سيّدٍ، وكأنها ... أتت من محبٍّ تُحفــةً لحبيبِ
صَفَتْ وَضَفَت حتى آستطالت جُنوبها ... بوافٍ، ومــدَّتْ باعَها برحيبِ
ونيطتْ بأخرى مثلِها فتظاهــرا ... على ظهــر طَودٍ فى قميص قضيبِ
ومنحولةٍ[2] جسمَ الهــواءِ نحيــلةٍ ... كأنّ الهوى فيها رَمَى بمصيبِ
من الريح، لولا أن "يَذْبُلَ" تحتها ... وقارُك، مرّتْ عنك مرَّ هُبوبِ
اذا دقَّ مسًّا وقعُها جلَّ رفعُها ... الى منصِبٍ فى القَــريتين[3] حسيبِ
وذى شيبتين[4] آستوْقف الصبحَ والدجى ... على ناصــلٍ من لونه وخضيبِ
كأنّ السحابَ جَوْنَها وبياضَها ... تفــرّعَ من صافٍ به ومَشوبِ[5]
تشبّثَتِ الأبصارُ حتى تمكّنتْ ... وقــد كرّ من هادٍ[6] له وسَبيبِ[7]
توقَّى الأذى من عُرْفه بخيــلةٍ ... وحَكَّ الحصى من ذيله بعَسيبِ[8]
وأعجبَــه فى ردفه ووشاحه ... ملابسُ تكسو منــه كلَّ سليبِ
نصيبٌ من الدنيا أتاك ففُــزْ به ... ولا تنسَ من فضــلِ العطاء نصيبى
كفى المِهرَجان مُــذْكرا وذريعــةً ... الى مُحسِــنٍ فى المكرُماتِ مُطيبِ
بقــاؤك ألفًــا مثــلَه فى كفالتى ... دعوتُ، ومَنَّ اللهُ فيــك مُجيبى
فما زال فيكم كلُّ خيرٍ طلبتُــه ... قُضى لِيَ فى إدراكه وعُــنِى بى

---

(١) يقصد بقوله "وشاهدة" خلعة ضافية . (٢) منحولة : معطاة . (٣) القريتين : اسم بلد . (٤) يصف جوادا . (٥) فى الأصل "شُبوب" وهو خطأ . (٦) الهادى : العنق . (٧) السبيب : شعر الذنب والعرف والناصية من الفرس . (٨) العسيب : عظم الذنب أو منبت الشعر منه .

* * *

وقال وكتب بها الى الرئيس أبى الحسَن الهُمَانىّ فى عيد النحر، وقد حصل ببغداد يهنّئه ويُعرِّضُ بذكر عدوّ له توثّب على ولايته بالعناية دون الكفاية

أَستنجِدُ الصبرَ فيكم وهو مغلوبُ ... وأسألُ النومَ عنكم وهو مسلوبُ

وأبتغى عندكم قلبًا سمحتُ به، ... وكيف يرجِعُ شىءٌ وهو موهوبُ؟

ما كنتُ أعرِفُ ما مقدارُ وصلِكُمُ ... حتى هجرتم، وبعضُ الهجر تأديبُ

أستودع اللهَ فى أبياتكم قمرًا ... تراه بالشوق عينى وهو محجوبُ

أَرضَى وأسخطُ أو أرضَى تلوُّنَه ... وكلُّ ما يفعلُ المحبوبُ محبوبُ

أمّا وواشيه مردودٌ بلا ظَفَرٍ ... وهل يُجابُ وبذلُ النفس مطلوبُ؟

لو كان يُنصِفُ ما قال: ٱنتظرْ صلةً ... تأتى غدًا، وٱنتظارُ الشىء تعذيبُ

وكان فى الحبِّ إسعادٌ ومُنعطَفٌ ... منـه، كما فيه تعنيفٌ وتأنيبُ

يا لَلَّواتى بَغضنَ الشَّيْبَ وهو الى ... خدودهنَّ من الألوانِ منسوبُ

تأبَى البياضَ وتأبَى أن أسوِّده ... بصبغةٍ وكِلَا اللونَيْنِ غِربيبُ (1)

ما أنكرتْ أمسِ منه ناصلًا يققًا (2) ... ما تُنكر اليومَ منه وهو مخضوبُ

ليتَ الهوى صان قلبى عن مَطامعه ... فلم يكن قطّ يستدنيه مرغوبُ

إنى لأسغَبُ (3) زهدًا والثرى عَمَمٌ (4) ... نبتًا، وأظما وغَرْبُ (5) الغيثِ مسكوبُ

ولا أَرِقُّ لحِرصٍ خابَ صاحبُه ... سعيًا، ويعلم أنّ الرزقَ مكسوبُ

---

(1) الغربيب: الشديد السواد، يريد أن كلا اللونين فى الشعر وهما الأبيض الناصل والمخضوب، أسود فى لونه لأن كليهما لا ترضاه العين، وقد قال المتنبى

ابعدْ بعدت بياضًا لا بياضَ له ... لأنتَ أسودُ فى عينى من الظُّلَمِ

(2) اليقق: الأبيض. (3) أسغب: أجوع. (4) العمم: اسم لكل ما ٱجتمع وكثر.

(5) الغرب: الدلو العظيمة.

عُقبَى الطاعةِ في مالٍ يَمُنُّ به … عُصارةٌ لا يُغطِّي خُبثَها الطِّيبُ

طَهِّرْ خِلالَك من خِلٍّ تعابُ به … وآسلم وحيدًا فما في الناس مصحوبُ

إني بُليت بمضطرٍّ رفيقُهمُ، … والماءُ يَملُحُ وقتًا وهو مشروبُ

كم يوعد الدهرُ آمالي، ويُخلفُها[1] … أخًا أُسَرُّ به، والدهرُ عُرقوبُ[2]

أسعَى لمثل سَجايَا في "أبي حَسَنٍ" … وهل يُبلِّغني الجوزاءَ تقريبُ[3]!

فدَى محمدٍ المنسيَّ نائلُه … مُراجِعٌ، نيلُه المنزورُ محسوبُ

حالٍ تحدّثه الأحلامَ جاهلةً … لحاقَه، وأخو الأحلامِ مكذوبُ

إن قدَّم الحظُّ قومًا غالطًا بهمُ … أو بيَّتتهمْ عناياتٌ وتقريبُ

فالسيفُ يُخبَرُ قطعًا وهو مدَّخَرٌ … والطِّرفُ يكرُمُ طبعًا وهو مجنوبُ[4]

حذارِ من حَدَثِ النَّعماء مؤتنَفٍ[5]، … علاؤه بشفيع الوجه مجلوبُ

تسوءه سائلا : من أين سؤددُه؟ … إنّ اللئيم بما قد ساد مسبوبُ

أأنتَ أنتَ وفي الدنيا "أبو حَسَنٍ"؟ … صدقتَ إن لفي الدنيا أعاجيبُ

اذا رأيتَ ذيولَ السَّرح آمنةً … لم يَحمِها، فلأمرٍ يحلُمُ الذيبُ

يا مُلبِسي الشيمةَ الغرّاءَ ضافيةً … عليَّ، إن قلَصتْ عنّي الجلابيبُ

عَلِقتُ منك بعهدٍ لا مَواثِقُه … تُنسَى، ولا حبلُه بالغدر مقضوبُ

وأحمدَتْك آختباراتي وقد سَبَرتْ … غَورَ الرجال وكدَّتها التجاريبُ

فلتجزينَّك عنّي كلُّ غاديةٍ … لها من الكَلِم الفيّاض شؤبوبُ[6]

اذا وسَمتُ حَيَاها باسمك آنحدرتْ … له الرُّبَى وأطاعته المصاعيبُ

---

(١) في الأصل "يعد" (٢) عرقوب : اسم رجل كان أكذب أهل زمانه و يضرب به المثل في الخلف . (٣) التقريب : ضربٌ من العدو . (٤) في الأصل "محبوب" وهو خطأ والمجنوب من الخيل الذي تقوده الى جنبك . (٥) حدث النعماء مؤتنف : حديث النعمة جديد العهد بها . (٦) الشؤبوب : الدفعة من المطر .

فاسلم لهنّ ولى ، ما طاف مستلمٌ سَبْعا ، وعَلّق بالأســتارِ مكروبُ
تُرجَى وتُخشَى فَسيحَ الباب ممتنِعًا إنّ الكريمَ لمرجُوٌّ ومرهوبُ

* * *

وقال وقد أُنفِذَ الصاحبُ أبو القاسم بن عبد الرحيم الى حضرته بفارس فى رسالة ، عقيب موت الملك بهاء الدولة رحمه الله ، فأحسن البلاغَ وأحسن السّفارةَ وٱستقلّ بقضاء الحاجة ، فأفيض عليه خِلَعٌ جميلةٌ وكرمٌ ، فكتب اليه وقد عاد الى العراق يهنّئه ويستوحشُ لسابق بُعدِه ويذكُرُ المسرّة بقُربِه

أَفلحَ قومٌ اذا دُعوا وَثَبُــوا لا يرهبون الأخطارَ إن ركبوا
تَسبِقُ نَهْضاتُهُــم عزائمَهُــمْ أن تُستشارَ[1] العاداتُ والعُقُبُ[2]
سارُون لا يسألون : ما حَبَسَ الـ ـفجرَ ولا كيف مالت الشُّهُبُ
عوّدهم هجرُهــم مُطالبَـــةَ الـ ـراحةِ أن يظفَروا بمـا طلبوا
وخاب راضٍ بالعجز يَصبِرُ للـ أوزار مستسلمـا ويَحتسِبُ
إنْ فاته حظُّ غـــيرِه فله منه ٱغتيابٌ يشفيه أو عجبُ
لا تستريح العلى الى سكَنٍ إلا غـلامًا يريحــه التعبُ
تَضمَّنَ السيرُ صدرَ حاجتِــه والثِّقتان التقـريبُ والخَبَبُ[3]
من مبلغُ البينِ يومَ دلَّنى : آبَ ، بمـا سرّ بَعدَك ، الغَيَبُ[4]
رُدَّ شبابى من "الحسينِ" كما كان ، وعادت أيامىَ القُشُبُ[5]
يا قادما أُتهِــمُ البشـــيرَ به من فرحٍ ، أنَّ صِــدْقَه كذِبُ
سِرتَ ، ونفسى تودُّ فى وطنى بَعْــدَك أنّ المقيــمَ مغترِبُ

---

(١) يريد : مخافة أن تستشار . (٢) العقب جمع العاقبة وهى آخر كلّ شىء . (٣) الخبب : ضربٌ من العدو . (٤) الغَيَبُ : جمع غائب . (٥) القشب جمع قشيب وهو الجديد .

(١٣)

أحتشم البدرَ أن أراه فألـ ... ـحاظِيَ عنه بالدمع تحتجبُ
وكم تصدَّى عمدًا ليخدَعَني ... يَسفِر عن غيهبٍ وينتقبُ
فلم أزده على مسارقة الـ ... ـجفن ولحظ بالكره يُستلبُ
وعَبرةٍ رِيُّه(١) وحِليتُه، ... يُشرَبُ من مائها ويُختضَبُ
ويوم بينٍ صَبَرتُ قبلَك، أن ... يفوتَني الحزمُ فيه والأربُ
حَمَلتُهُ ثابتَ الحشا ذَكَرَ الـ ... ـقلبِ، وموجُ الحُمولِ مضطرِبُ
سلوانَ أَجزِى بالصدّ جانيَه ... بملْك رأسي إن أظلم الغضبُ
ونظرةٍ حُلوةٍ رَدَدْتُ عن الـ ... ـبيتِ وفيه الجمالُ والحسبُ
بسُنَّة غير ما اقتضَى أدبُ الـ ... ـحبِّ حِفاظًا، وللهوى أدبُ
وانقدتُ طوعا في حبل(٢) ظالعة(٣) ... تجنُبُني أو يقالَ: مُجتنَبُ
بيضاءَ تُقلَى بُغضًا وأعهدُها ... سوداءَ تُرضَى حبًّا وتُنتخبُ
صاحتْ وراءَ المزاحِ واعظةً: ... لا يَلتقِي الأربعونَ واللعبُ
أَعدَى بها الشَّيبُ وهي واحدةٌ ... ألفًا، ويُعدِي الصحائحَ الجُرُبُ(٤)
يا ساكنًا ثائر العزيمة مَـ ... ـسَّ الصِّلِّ من تحت لينه يثبُ
قد عَلِمَ الملكُ اذ دعاك وحبـ ... ـلُ الرأيِ واهٍ والشملُ منشعبُ
أنّ قلوبا غِشًّا، تميل مع الـ ... ـدولة أهواؤُها وتنقلبُ
وأنّ سِرًّا متى اصطفاك له ... أخلصَ ما في إنائِه الذهَبُ
لما تجلّى وجهُ الحِذارِ وليـ ... ـمَ ابنٌ على غدره وخِيفَ أبُ

---

(١) في الأصل: زيّه. (٢) الحبل: الرسن. (٣) يريد بقوله "ظالعة": شعرة في رأسه شائبة تجنبه مجالس أنسه ولهوه وقد شبهها بالناقة الظالعة وهي التي تغمز في مشيها. (٤) الجرب جمع أجرب وهو غير الصحيح.

رَمَى بك القصدُ سهمَ مُنجِحةٍ ... يسـبِقُ حِرصا حديدَه العَقِبُ
لم يَثنِ فأل الشهورِ عزمتَـــه ... لا صَـــفَرٌ عائـقٌ ولا رجبُ
جَرَتْ عليه أو مرّت الريح تلقـ ... ـاها بوجه أديمُـــه كَرَبُ (١)
قَلَيْـــلَةُ الجَرْيِ وهى جامدةٌ ... له كيوم الجـوزاءِ يلتهِبُ
سفَرتَ فيها سَـفارةَ الليثِ لا ... يرجعُ إلا فى كفِّه الطلبُ
لسـعيه ما أهمَّه الدمُ وال ... ـلحم ولكن لغـيره السَّلَبُ
حتى آسـتقامت على تأوّدهـا (٢) ... وآنتظمتْ فى رءوسها العَذَبُ
جزاك حسنَى ما آسطاع إن وَزَنتْ ... فعـلَك تلك الأقدامُ والرتبُ
أعطاك ما لم تنل يدانِ ولا آمـ ... ـتدّ الى مَطـرَحِ المُنَى سـببُ
وضافياتٍ تطول فى مذهب الـ ... ـملك اذا شُمِّرتْ وتَنسَـحبُ
أُهدِيَ، من مُزنةِ السماء لهـا ... ماءٌ، ومن نور شمسها لهبُ
اذا علتْ مَنكِباً علاَ، فعيـو ... نُ الدهرِ زُورٌ (٣) عن أفقه نُكُبُ (٤)
أوكيتَ (٥) رأسًا منهـا مُوافِيَـهُ (٦) ... فكلُّ رأسٍ لجيـدهِ ذَنَبُ
وصافناتٍ (٧) بين المواكب كُثـ ... ـبانٌ (٨) وفى الروع ضُمَّرٌ قُضُبُ
ضاقت مكانَ الحصور وآتسعتْ ... أضـالعًـا لا تُقِلُّهـا الأُهَبُ (٩)

---

(١) قد ورد هذا البيت فى نسخة مطبوعة هكذا :

عليه إن مرّت الرياح تلقـ ... ـاهـا بوجه أديمـه كَرَبُ

والكَرَبُ أصول السعف الغلاظ .

(٢) التأوّد : الأعوجاج . (٣) زور : جمع أزور وهو المائل . (٤) نكب جمع أنكب وهو المائل أيضا . (٥) أوكى : يقال أوكى القربة أى شدّ رأسها بالوكاء وهو الرباط . (٦) فى الأصل : يوافيه . (٧) الصافنات : الخيل تقوم على ثلاث قوائم وطرف حافر الرابعة . (٨) الكثبان جمع كثيب وهو التلّ من الرمل . (٩) الاهب جمع أُهْبة وهى العدّة .

تَغيبُ فى جريها قوائمُها ... فما تُرَى أذرعٌ ولا رُكَبُ

من كلِّ دهماءَ أُنسُها الليلُ تعـ ... ـزوه الى لونها وتنتسِبُ

ثارت فطارت فخاضت الأُفُقَ الـ ... ـعُلوِىَّ تجتاحه وتنتقبُ

فمِنْ ثُريّاه أو مجرّته ... لجامُها العسجدىُّ واللّبَبُ (١)

مواهبٌ لا يَرُبهنّ أبٌ ... إلا شفيقٌ على العلا حَدِبُ (٢)

من معشرٍ لا يُجارُ مَنْ طَردوا ... ولا يَطيبُ البقاءُ إن غضبوا

مُثْرِينَ مجداً ومُقْترِينَ لُهًى (٣) ... والمجدُ طَبْعٌ والمالُ مكتسَبُ

فُرسانِ يومِ الطعانِ إن طَعَنوا ... بالألسن المشكلاتِ أو ضَربوا

لا يَرجعُونَ الكلام كَرًّا من الـ ... ـعِىِّ ولا يعرفون ما كَتبوا

دعا فؤادِى شوقى اليك على الـ ... ـبعدِ، فلبّيكَ والمدَى كَثَبُ (٤)

جوابَ من لا يُرام جانبُه ... منذُ غَدَا وهو جارُك الجُنُبُ (٥)

ولا يُبالى اذا سلمتَ له ... ما حَصَدتْ من نباتها الحِقَبُ

حَمَلْتَ دُنيايَ فاسترحتُ، وقد ... طال عناءُ الآمالِ والتعبُ

وقُمتُ مذ قادنى هُداك على ... محجّةٍ لا تدوسها النُّوَبُ

فليحمدَنّى فى كلّ قافيةٍ ... تزيدُ حسناً فى دُرّها الثُّقَبُ

أمسحُها (٦) فيك أو تقِرَّ وقد ... أوغل (٧) فى أمّ رأسها الشَّغَبُ (٨)

حُلِّيَ من المعدن الصريحِ، اذا ... غشَّ تجارُ الأسعارِ ما جَلَبوا

(١) اللبب : ما يشد من سيور السرج فى اللبة من صدر الدابة ليمنع استئخار الرحل. (٢) الحدِب : المتعطف. (٣) لهى جمع لهوة وهى أعظم العطايا وأجزلها. (٤) كثَبٌ : قريبٌ. (٥) الجارُ الجنب : جارك من غير قومك. (٦) أمسحها : أحسّنها. (٧) أوغل : يقال أوغل فى الشىء: اذا ذهب فيه وأبعد (٨) الشغب : الكلام يؤدّى الى الشر.

تَشكُرُها الفُرْسُ فى مديحك للـ ـمَعنَى، وتَرضَى لسانَهـا العَرَبُ
يُظهِرُ منها السرورَ حاسـدُها ضرورةَ الحقِّ وهـو مكتئبُ
يُطرِبه البيتُ وهو يُحـزِنُهُ ومن أنينِ الحمامةِ الطَّربُ
يا آل "عبد الرحيم" لا تزل الـ ـدنيـا رحًى، أنتمُ لهـا قُطُبُ
إن تفضُلوا الناسَ والحسينُ لكم ومنكمُ، فافضلوا، فلا عَجَبُ!
فـدَاكمُ خاملون لو كاثَرُوا الـ ـرملَ بأعدادهم لمـا حُسِـبوا
لا يَخلُقُ العَـدلُ فى خلائقهم لينًا، ولا يُكرَمُونَ إن شربوا
أخَّرَ أقدامَهــم وقدّمكــم أنهُــمُ يحسبون ماكَتَبوا

* * *

وقال وكَتَب بها الى الأستاذ الجليل أبى طالب بن أيّوب رحمه الله تعالى

قالوا رَضيتَ قلتُ ما أجدَى الغَضَبْ ما غالبَ الدهرُ فتًى إلا غَلَبْ
كيف أبالى قُبحَ ما خيّبنى؟ اذا علمتُمْ كيفَ أجملتُ الطلَبْ
اذا آجتهـدتُ لم يَعِبْنى فعلُهُ ما لم يَجِبْ، وما قَضَيتُ ما وَجَبْ
يلومنى عـلى الهُــزال راتعٌ يحسَبُ ما أسمنَهُ ممـا آكتسبْ
ومن يَرَأْ(١) مِن بِلّةِ الخِصْبِ دَرَى أنّ الحظوظَ منحـةٌ بلا سَبَبْ
لله ما أبصـرَنى بزَمَـنِى! لو سَلِمَ المَجلومُ(٢) من عَيبِ الأزبّْ(٣)
جَنبایَ للحَمْــلِ، وجاء لائمـا أملسُ لم يَقْمِص(٤) لعضّات القتَبْ
جرِّبْ كما جرَّبتُ فى النـاس تجِدْ أصدقَ ظنِّك الذى فيهـم كذِبْ
تستحفل الضَّرعَ فإن لامستَه عاد بَكيئًا(٥) جلدُه بلا حلَبْ

(١) يَرَأْ : يمتلئْ من الطعام، وفى الأصل : يرا . (٢) المجلوم : المحلوق . (٣) الأزبّ : كثير شعر الوجه والعثنون. (٤) يقمص : يثب . (٥) البكيء : الناقة قل لبنها وفى الأصل "بكيًا".

إنك ما آستعففتَ أنتَ المُجتبَى ... وما تطفتَ[1] فأنتَ المُجتَنَبْ
نذيرةٌ فلو قبلتَ نُصحَها ... تَوقَّ مَن تأمنُ وآهجُرْ مَن تُحِبْ
كم من أخٍ ملأتُ كَفَّيَّ به ... أحسبُ فى الوفاء غيرَ ما حسبْ
حَمَلتُه أطوى حياءً عيبَهُ ... كما حملت[2] جلديك الجربْ
وحالياتٍ من جمالٍ ونَسَبْ ... نفَّرهُنّ عَطَلٌ من النشبْ[3]
بكَرْنَ إشفاقاً يعبنَ مَقعَدى ... على الخمول : ما لهذا لا يثِبْ؟
نراه تحتًا ونرى مَنْ تحتَه ... فى الفضل فَوْقًا ، يا لَهذا مِن عَجَبْ!
أمَا جَنَى خيرا له آدابُهُ ، ... أعاذكُنَّ اللهُ مِن شرِّ الأدبْ
هو الذى أحْرنى مَشَارِفَ[4] الـ ... سبق ، فأظمَا شفتى على القرَبْ
لا تغترِرنَ بابن أيوبَ اذا ... أُعجِبَ منه بالصفايا[5] والنُّخَبْ
فإنه مِمّن ترينَ واحدٌ ... وليس كلُّ معدنٍ عرقَ الذهبْ
يطلبه قومٌ ، وما آجتهادهم ... فى حلبةٍ مُدرِكُ رأسٍ بذَنَبْ
أكُلُّ من تشجَّرتْ نسبَتُهُ ... صَحَّ له البطنانِ من خالٍ وأبْ!
وساعدَتْهُ يدُهُ ونفسُهُ ... بالفضل والبذل فسادَ ووَهَبْ
تزحزحوا — فليس من أوطانكم — ... للأسد الوَرْدِ[6] عن الغاب الأَشِبْ[7]
ولا يروقَنَّكُمُ تشادُقٌ ... فتحسبون كلَّ مَن قالَ خَطَبْ

---

(١) كذا بالأصل ولعلها : تطفَّلتَ . (٢) كذا بالأصل وهو مكسور وفى بعض النسخ ورد هكذا ولعله الصواب

* حزما كما حَمَلَتْ جلديكَ الجرَبْ *

(٣) النشب : المال والعقار . (٤) المشارف : الأعالى من الأرض وقد آستعاره هنا للسبق . (٥) الصفايا والنخب جمع صفىّ ونخبة وهما ما يُصطَفى ويُنتخَب . (٦) الورد : الأحمر الضارب الى الصفرة . (٧) الأشب : الملتف من الشجر.

دَعُوا قنا الأقـلام إن نكصتُمُ ... لحاذق الطعن اذا شـاء كَتَبْ
من تاركى السيوف وهى زُبَرٌ(١) ... شـدائدٌ أسرَى بجـزّارِ القَصَبْ
قومٌ اذا نار الوغى شبَّتْ لهـم ... كتائبا فَلُّوا شَـباها بالكُتُبْ
إن شووِروا لم يَعجلوا أو سُئلوا ... لم يقِفوا تلفُّتا الى العُقُبْ
لا ظَهرُهـمْ لِغِيبَةٍ إن ذُكروا ... يوما، ولا مِلحهُـمُ على الرُّكَبْ(٢)
وقَصَّ(٣) آثارَهُـمُ محمـدٌ ... شهادةٌ، إنَّ النجيبَ ٱبنُ النُّجُبْ
فلا تَزَلْ نوافـذٌ صـوائبٌ ... يُصمَى بها الحاسدُ أو يَرضَى المحبْ
ما شُكِرتْ صنيعةٌ أو ظَهَرتْ ... مودّةٌ خالصـةٌ من الرِّيَبْ
وٱختلف النيروزُ والعيـدُ، وما ... توافقـا فى بُعُـدٍ ولا قُـرُبْ
تأخـذ ما تشـاء من حظَّيْهما ... مقـترحًا محتكما وتَنْتَصِبْ
وزائراتٍ(٤) طَيَّبَتْ أعطـافَها ... منـك بذكرٍ لو عَدَاكَ لم تَطِبْ
جَـواريًا مـع الرياح بالذى ... أوليتَ، أو سَواريًا مع السُّحُبْ
كلُّ فتـاةٍ قـرّ لى شِمَاسُها(٥) ... وذَلَّ فى فودىَّ منها ما صَعُبْ
تلقاك نفسا حرّةً من فارسٍ ... بنتَ الملوك، وفمًا من العَرَبْ
تُروَى، فلو أطربَ شىءٌ نفسَـهُ ... لقـد سمعتَ من قوافيها الطرَبْ
أَضحَى وراحَ حاسدى إن قلتُها ... وحاسـدوك إن علوتَ فى تَعَبْ



(١) الزبر جمع زُبْرة وهى القطعة الضخمة من الحديد . (٢) يقال : ملحه على ركبتيه أى لا وفاء له وفى الأساس : "فلان ملحه موضوع على ركبتيه" أى هو كثير الخصومات كأن طول مجاثاته ومصاكّته للركب قرّح ركبتيه فهو يضع الملحَ عليهما يداويهما به . (٣) قَصّ : ٱقتفى . (٤) يريد بقوله "وزائرات" قصائده . (٥) الشماس : الامتناع والإباء .

وقال وكتب بها الى الأستاذ أبى طالب بن أيّوب أيضا

أَصبتُ او أَحمَدْتُ أن أُصيبا	وفزتُ لو كان الحِجا المطلوبا
وراضَ منّى الدهرُ ظَهْرا لم يكن	ـلو أنْصفَ الحظُّ لهـ مَرْكوبا
أقسَمَ لا آزددتُ به فضيلةً	دهرِىَ إلا زادنى تعذيبا
فكلّما آنستُ منه بأذًى	بَقّاهُ وآستأنف لى غريبا
رَميتُ حظّى بوجوهِ حِيَلى	فلم أُصِبْ ولم أقَع قريبا
تنزّهٌ يُعابُ أو محاسنٌ	محسودةٌ محسوبةٌ ذُنوبا
أُنظر الى الأقسام[1] ما تأتى به	متى أردتَ أن تَرى عجيبا
تَجْمعُ بين الماءِ والنارِ يدٌ	وما جَمَعْتَ الرزقَ والأديبا[2]
ليتَ كفانى الدهرُ مَعْ تخلّصى	مكروهَهُ كما كَفَى المحبوبا
أو ليتَ أعدَى خُلُقِى جنونُهُ	فكنتُ لا سَمْحا ولا لبيبا
يا صاحبَ الزمانِ مغترًّا به	أنتَ دَمٌ فآحذرْ عليك الذيبا
تبعتُ ألحاظُك من وفائه	بارقةً صَيفيّةً خَلوبا[3]
سَلْنِى به وقِسْ علىّ معَهُ	فقد قتلتُ أهلَه تجريبا
بَعدَ عنائى وآجتهادى كلّه	بالأرض حتى وَلَدَتْ نجيبا
جاءت به بعد آلتراخى غَلَطًا	ثم نوتْ من بعدُ أن تتوبا

(١) الأقسام : الحظوظ . (٢) يقول : أن تجمع اليد بين الضدّين الماءِ والنارِ أصعب من الجمع بين الحظ فى الرزق والفهم ، ولعله من قول المتنبى

وما الجمع بين الماء والنار فى يدى بأصعبَ من أن أجمع الجدَّ والفهما

(٣) فى الأصل " حلوبا " وهو تحريف .

أبلجَ بسّـامَ العشىّ واضحـا ريّانَ مخضرّ الثرى رطيبا
تصفو المدامُ وتروقُ ما آنمتْ حُسْـنًا الى أخلاقه وطيبا
للجد قومٌ وقليـلٌ ما هُـمُ وفى القليـل تجِـدُ المطلوبا
كالنجم للباعِ المديد بُعْـدُه وللعيون أن يُرَى قريبـا
لا تشكُرنّ من فتًى فضيلةً وليس فيهـا مُعْـرِقا نسـيبا
فإنما أَعطَى "آبنَ أيوبَ" المَدَى فى الشرف آقتفـاؤه "أيّوبا"
يا لابسَ الكمال غـيرَ مُعْجَبٍ تركـتَ كلّ لابسٍ سليبـا
إن غادر الشكرُ لسـانًا نا كلا (١) وكان سيفا قبله مذروبا (٢)
فقد عَقَـدتَ لَسَنِى (٣) وقُدتَنى بالطّـوْلِ فى حبـاله جنيبا (٤)
حَسبتُ أعداد الحصى ولم أُطِقْ عدَّ الذى أوليتَنى محسـوبا
فى كلّ يومٍ شارقٍ معـونةٌ تَبرُدُ حرَّ جَوْرِه المشـبوبا
ونعمةٌ تسـير فى نُضوحها خَرْقَ (٥) الجديب فيُرَى خصيبـا
يُحجلنى آستقبالُها فتحسَب الـ عينُ آبتسامى نحوَها قُطوبا
لو شئتُ لآسترحتُ من أثقالها إن كنتُ من مَكرُمةٍ متعوبا
كنتُ أخًا ، فلم تزل تَسبُغنى باللّطف حـتى خِلتُنى حبيبا
فإن قَضَى الثناءُ حقَّ نعمةٍ أو كاد أن يَقضيَها تقريبا
وأَقنعَ الميسـورُ فاحبِسْ شُرَّدًا تَسألُ عنهـا الشمأَلُ الجَنوبا
يَعلَقُ بالعِـرضِ الكريم نَشْرُها وهى به طائرةٌ هُبـوبا

(١) نا كلا: ناكصا . (٢) المذروب: المحدود. (٣) اللدن: الفصاحة. (٤) الجنيب: يقال جنبه أى قاده الى جنبه فهو جنيب . (٥) الخرق: القفر .

اذا بنيتُ البيتَ منها وددتِ الـ ... ـأسماعُ لو كانت له طُنُــوبا (١)

يَخْــلُدُ مسموعا ويُفنِى كلّمـا ... عَوَّضتَ مُهْدًى عنه أو موهوبا

عُدَّ السنينَ صومَها وفطرَها ... تُحَفُ مَقــروءا به مكتوبا

* * *

(١٥)

وقال وكتب بها الى مؤيَّد السلطان أبى القاسم بن الأوحد ذى السياستين أبى محمد آبن مُكْرَم ، يشكره على ملاطفةٍ جميلةٍ لاطفه بها ، ودنانيرَ حملها اليه سنيّةٍ ، وجوابٍ أجاب به عن كتبه ، يشكر منالَه ويصف فيها السفينةَ ، وقبيحَ وساطةِ غلامٍ أُنفِذت الهــديّةُ على يده ، وتعرُّضَه لهـا وآستبدادَه ببعضها ، ويذمُّ الغــلامَ ويسأل الغرامة ، وأنفذها فى صفر سنة تسع وأربعمائة

سَلَا دارَ البخيلةِ "بالجنابِ" (٢) ... متى عَرِيَتْ رُبالكِ من القِبابِ ؟

وكيفَ تشعَّبَ الأظعانُ صبحا ... بدائدَ (٣) بين وُهْدِكِ (٤) والشِّعابِ ؟

بطالعــةِ (٥) الهلالِ على "ضُميرٍ" (٦) ... وغاربةٍ كمنقضِّ الشِّهابِ

حَمَلْنَ رشائقًا ومبــدَّناتٍ ... رماحَ الخَطِّ تنبُتُ فى الرَّوابِى

وأينَ رضاكِ عن سُقيا دموعى ... ربوعَكِ من رضاكِ عن السحابِ

بكيتُكِ للفــراقِ ونحنُ سَــفْرٌ (٧) ... وعُــدْتُ اليومَ أبكى للإيابِ

وأمسحُ فيكِ أحشائى بكفٍّ ... قريبٍ عهدُها بحشا "الرَّبابِ"

لهـا أَرَجٌ بمـا أبقاه فيهـا الـ ... ـتصافحُ بعدُ من ريحِ الخضابِ

أمفصِحةٌ فأطمعَ فى جوابٍ ؟ ... وكيفَ يُجيبُ رَسْمٌ فى كتابِ ؟

---

(١) الطنوب جمع طنب بضم الطاء والنون وهو الحبل يشدّ به سرادق البيت . (٢) الجناب : اسم واد . (٣) بدائد : متفرقة . (٤) الوُهد جمع وَهْد وهو ما آنخفض من الأرض . (٥) فى الأصل : "بطالعه" وهو تحريف . (٦) ضمير : اسم بلدة . (٧) السفر : جماعة المسافرين .

نَحَلتِ ففى ترابِك منـك رَسمٌ كما أنى خَيالٌ فى ثيـابِى
وفى الأحداج مُتعبـةُ المَطَايَا تَلِينُ عرائكَ الإبلِ الصِّعابِ
بَعيـدَةُ مَسقِطِ القُرطينِ تَقْرَا خُطوطَ ذؤابتَيهـا فى الترابِ
تَجمَّع فى الأسـاورِ معصماها ويَقلَقُ خصرُها لكَ فى الحِقابِ
تَعيبُ على الوفاءِ نحولَ جسمى ، ألا بالغـــدر أجدرُ أن تُعابِى !
وما بِكِ أن نَحَلتُ سوى نُصولٍ من السنواتِ أسرعَ فى خِضابِى
جزِعت له كأنَّ الشَّيبَ منـه يَسُلُّ عليـكِ نَصْلًا من قِرابِ
فمـا ذنبى اذا وقَعتْ عُقـابٌ من الأيّام طار لها غرابى ؟
وقد كنتُ الحبيبَ وذا نحولى وهـــذا فى العريكة حدُّ نابى
ليالىَ لِى من الحاجاتِ حُكمِى وليس وسيلةٌ بسوى شـبابى

* * *

ألا لله قلبُـــكَ من حَمولٍ على عِلاَّتِ وَصْـلٍ واجتنابِ
وحبُّـكَ من وَفِىِّ العـهدِ باقٍ على بُعْـــدٍ يُحيـلُ أو اقترابِ
هوًى لكَ فى جبالِ "أبانَ" ثاوٍ وأنتَ على جبالِ "عُمانَ"(١) صابى
وكان المجدُ أعودَ حين يَهوِى عليـكَ من المُهفهَفة الكَعابِ
وإن وراء بحرِ "عُمانَ" مُلْكًا رطيبَ الظلِّ فَضفاضَ الرِّحابِ
رقيـــقٌ عيشُـــهُ عَطِرٌ ثَراهُ بِطُرَّاقِ الفضائلِ غـــيرُ نابى
متى تنزلْ به تنزلْ بوادٍ من المعروفِ مَرعِىِّ الجنابِ
يدبّره من الأمراءِ خِرْقٌ(٢) يَذِلُّ لعـــزّه غُلْبُ(٣) الرِّقابِ

(١) كلمتا "جبال" الواردتان فى هذا البيت وردتا فى الأصل "حبال" ، وأبان : اسم جبل ، وعمان : بلد باليمن . (٢) الخِرقُ : السخىّ والفتى الحسن الكريم الخليقة . (٣) الغلب جمع أغلب وهو الذى غلظت عنقه .

وَفَى ذُو المجدِ سَـــبَّاقا فوافَى ... يحلِّق عُرْفُه والنجـــمُ كابِى

وقامَ بنفسِه يســـعَى ففاقَتْ ... غريزةُ نفسِه شَرَفَ النِّصابِ[1]

وبانَ به لعـينِ أبيهِ بَونٌ ... أراه الشِّبلَ أغلبَ ليثَ غابِ

على زَمَنِ الحَـداثةِ لم يُفتــهُ ... تقــدُّمُ شِيبِهم قَدَمَ الشَّبابِ

سَمَـا لمكانهـــم وهُمُ شموسٌ ... فطال الطودُ أعناقَ الهِضابِ

وســيِّدُ قومِهِ من سوَّدوه ... بلا عَصَـــبيّةٍ وبلا مُحابى

وقُدِّم بالفِراسةِ وهو طِفــلٌ ... تُحلَّلُ عنـــه أَنْشِطَةُ[2] السِّخابِ[3]

وما تَرْكُ الشريفِ على بنيـــه ... وهم منــه، تَجَـاوُزَهُ بعـابِ

وإن كان الفتى لأبيـــه فَرْعًا ... فإن الغيثَ فَرْعٌ للســحابِ

بَلَوْهُ وجرَّبوا يوميـــه نُعمَى ... وبأسًا فى السكينةِ والوِثابِ

فما ظَهَروا مُخَاطَبةً بوانٍ ... وما ظَفِـــروا مُضارَبَةً بنابِى

ولا عدِموا به لَسَـــنًا[4] وقَطْعًا ... عمائقَ فى الإصابةِ والصوابِ

لذلك جاوروا بالبحـــرِ بحرًا ... كِلَا كرمَيْهِـما طاغِى العُبابِ

يقول لِىَ الغنِىّ ورأى قُعودى ... عن الســعى المموِّلِ والطِّلابِ

وعفـــةَ مذهبى ظَلَفًا[5] ومَيْلى ... الى العيشِ المُرَمَّقِ[6] وانصـبابى :

أرى لك فىَّ لو خاطرتَ مَرْعًى ... يبدِّلُ صحـــةً أُهُبَ[7] الجِرابِ

أما لكَ فى بحارِ «عمانَ» مالٌ ... يسُدُّ مَفاقِرَ الحاجِ الصِّـعابِ ؟

ومَولًى يوسعُ الحُـرُماتِ رَعْيًا ... ويَعمُرُ دارسَ الأملِ الخرابِ

---

(١) النصاب : الأصل . (٢) أنشطة : يريد بها جمع أنشوطة وهى عقدة يسهل حلّها مثل عقدة التكة . (٣) السخاب بوزن كتاب : قلادة من سُكّ وقرنفل ومحاب بلا جوهر ، والسُّكّ : طيب يعجن ويقرّص ويترك يومين ثم يثقب بمسلة وينظم فى خيط قُنّب وكلما عَتُقَ طابت رائحتـه . (٤) اللَّسَنُ : البيان . (٥) الظَّلفُ : النزهُ (٦) المرمَّق : الذى يُتَبلغ به (٧) أهب جمع إهاب والجراب جمع أجرب .

لعلَّ "مؤيَّدَ السلطانِ" تحنو عواطفُ فضله بعدَ اجتناب
قفلتُ ودونه متـــلاطماتٌ زَواخرهنَّ كالأُسْـدِ الغِضابِ
صَواعدُ كالجبال اذا أحسَّتْ نسـيمًا، أو نوازلُ كالجَوابي (١)
وأخضرُ لا يروق العينَ يُطْوَى عـلى بيضاءَ سوداءِ الإهابِ (٢)
تجـاذبه الأزمَّةُ من حديدٍ فَيَقمِصُ أو يُقطَّر فى الجذابِ (٣)
اذا خُوصُ الرِّكاب شكون ظمأً (٤) شكى رُكبانُهـا شَرَقَ الرِّكابِ
يروعُ حُـداءُه أحبشُها النَّواتى (٥) اذا شاقتـك حاديةُ العِرَابِ (٦)
اذا عثرتْ فليس تُقالُ ذنبـا وإن صدعتْ فليست لانشعاب
ولستُ بسابحٍ فأقولُ: أنجـو عسى إن ظهـرُها يوما كبَا بى
اذا حلَمتْ بها فى النوم عينى طفقتُ أجُسُّ هل رَطبتْ ثيابى ؟
ومالى والخطارَ وقـد سقتْنى سماءُ يديه من غـير اغـتراب
وجاءتنى مَواهبُـهُ بعيـدا بأفضـلِ ما يجىءُ مع اقتراب
رغائبُ من يديه فاجأتنى وَفَيْنَ رِضًا بآمالِ الرِّغابِ
وزِدنَ على حساب مُناىَ لكن "وِشاحٌ" (٧) لم يكُن لى فى حِسابى
نَدى وَصَلَ السماحَ به ولكن تولَّى عنـه حاجبُه حِجابى
أمرتَ بها (٨) كعِرضك لم يُدنَّسْ بلا غِشٍّ يشوبُ ولا ارتياب
من الذهب الصريحِ فصار مما يُبَـدَّلُ فى يديه الى الذَّهاب

(١) الجوابى جمع جابية وهى الحوض الضخم . (٢) يصف بقوله "وأخضر" البحر و بقوله "بيضاء سوداء الإهاب" سفينة مطلية الجرم بالجير والقار . (٣) يقطّر: يُلقَى على قُطره أى جانبه . (٤) خوص جمع خوصاء وهى التى غارت عينها . (٥) النواتى : جمع نوتىّ وهو ملاح السفينة . (٦) العراب : الإبل المنسوبة للعرب، وفى الأصل "الغراب" . (٧) وشاح : اسم غلام الأمير الذى ناوأ الشاعر على جوائزه . (٨) يريد بقوله "أمرت بها" الصلة أو الجائزة .

وقاسمَنى مُناصَفةً عليه وجاحَدَنى ليحبسه كتابى (١)

وقال ولم يهبكَ ولم يَصُنِّى : كذلكَ فيكَ منذُ سنينَ دابى

اذا حُمِّلتُ رِفدا أو كتابًا اليكَ لواه نَهْبِى واغتصابى

مَكارمُ سقتهنّ الى محبٍّ ففاز بها مُغيرٌ لم يُحابِ

بعثتَ بها الخئون، فضاع سِربٌ أمِنتَ عليه غائرةَ الذئاب

ولولا أنّ خدمتَه وَقَتْهُ وحُرمةَ عزِّ بابك والجناب

لَمَا سَلِمَ البعوضُ على عُقاب ولا عُضّ الهِزَبْرُ بشرِّ ناب

أَدَلَّ بكم فأحمَى، وكانت نواحيه ما كلّ للسِّباب

يجِلّ عن الهجاء بذاك عندى وقلّ بما أتاه عن العتاب

سُلِبْتُ نداك فى ناديك ظلما بغارةِ صاحبٍ لك فى الصحاب

ثلاثَ سنينَ حَوْلا بعدَ حَوْلٍ بكفِّ "وِشاحَ" مُقتَسَمٌ نِهابى

وأنتَ خفيرُ مالكَ أو يؤدّى الىّ ولو بمنقطِع التراب

اذا أنصفتَنى فعليك دَيْنًا غَرامةُ ما تجمَّعَ فى الحساب

أعدْ نظرًا فكم أغنيتَ فقرًا به وجَبَرتَ كَسْرًا من مُصاب

وكم نوديتَ يا بحرَ العطايا فجاء البحرُ بالعجبِ العُجاب

وَفَتْ فيك المنى وقَضَتْ نُذُورى فوفِّ عُلاكَ حتى تُرْضِها بى

وفى يدك الغنى فابعث أمينا الىّ به وصيِّرهُ جوابى

ولا تُحوِجْ ظَماىَ الى قَليبٍ سواك على مُقامى وانقلابى

أُذكِّرك الذى ما كنتَ تنسَى سُفورى تحت ظلّك وانتقابى

وإنى إن بلغتُ النجمَ يومًا لكان الى صنيعتك انتسابى

(١) يريد وجاحدنى كتابى ليحبس عنى الذهب.

وقال فى معنًى عَرَضَ له

مَنْ بِسَلِمٍ مُطْلِـعٌ لى | قـمرا طال مَغيبُـهْ ؟
وأصـيلا بالِحمَى نُغَّـ | ـصَ بالعاذل طِيبُـهْ
كلُّ شيءٍ حَسَنٍ حا | شاك فالعين تُصيبهُ (١)
عنِّفوا القلبَ على قا | تِلِه وهو حبيبُـــهْ
كلُّ جُرْمٍ لك إلا الـ | ـغَدرَ فالقلب وَهُوبُهْ (٢)
وأقلُّ الناس ذَنْبًـا | قادرٌ عُدَّتْ ذنوبُهْ

وقال وقد أوجب عليه بعض الرؤساء المشهورين وهو أبو الحسين أحمد بن عبدالله الكاتب رحمه الله حقًّا أكّده بقصده إيّاه فى علّةٍ نالته، عائدا عِدّةَ دفعاتٍ من غير أن يكون سَبَق اليه بمعرفةٍ، ولاجرى بينهما لقاءٌ إلا بالذِّكر والصفة من الأستاذ أبى الحسَن المختار بن عبد الله الذهبيّ ، وواصَلَ تفقُّدَه تبرُّعا وآبتـداءَ ما يوجب الشكر ويُعرَفُ مثلُه من أمثاله فى هـذا الوقت ، وكتب بها اليه يشكره ويعتمد بفعله، وأنفـذها فى رجب سنة آثنتى عشرة وأربعمائة

هَوًى لى، وأهواءُ النفوسِ ضُروبُ | تجانُبُ "قوسَى" (٣) أن تَهُبَّ جَنوبُ
يدُلُّ عليهـا الريفُ أين مكانُهُ | ويُخبِرها بالمُـزْنِ كيفَ يصوبُ

(١) ورد هذا البيت كما هو فى النسخة المطبوعة ، وورد فى الأصل هكذا

كلّ شىء حسن | فى العين تصيبه

وهو مختل وزنا ومعنى ، ولو حافظنا على الأصل لعله يكون هكذا

كل شىء حسن فى الـ | ـعين فالعين تصيبه

(٢) فى الأصل : "العزر" . (٣) قوسى : اسم بلدة ، ومعنى البيت : أن هواه على آختلاف أهواء النفوس فى أن يجانب "قوسى" وهى البلدة التى بها محبوبه مخافة أن تهبّ عليها ريح الجنوب وهى ريح حارة تخالف الشمال ، وقد كنى بها عن زفراته فى حرّها .

وتَمشِى على روضِ الحِمَى ثم نلتقى فيبلغُنى منها الغداةَ هبوبُ
أمانِى بعيدٍ لو رآها لسرَّها مكانَ الحيا من مقلتيه غُروبُ
ودَمْع إذا غالطتُ عنه تشاهدَتْ قَوارفُ فى خدّى له ونُدوبُ
علَى أنّ ذِكْرا لا تزال سهامُهُ تَرَى مَقْتلا من مهجتى فتُصيبُ
إذا قيل "مَىٌّ" لم يَرُعْنى بحلمه حياءٌ، ولم يحبس بكاىَ رقيبُ
أُعير المنادى باسمها السمعَ كلّه على علمه أنى بذاك مريبُ
وكم لِىَ فى ليل الحِمَى من إصاخةٍ الى خَبَر الأحلامِ وهو كذوبُ
توقَّرُ منها ثم تسفَّهُ أضلعى ويجمُدُ فيها الدمعُ ثم يذوبُ
وما حبُّ "مىٍّ" غيرُ بُرْدٍ طويتُهُ على الكُرهِ طىَّ الرَّثِّ(١) وهو قشيبُ(٢)
رأتْ شَعَراتٍ غَيَّرَ البينُ لونَها فامست بما تُطريه أمسِ تَعيبُ
أساءكِ أن قالوا: أخٌ لكِ شائبٌ؟ فأسوأُ منه أن يُقالَ: خَضيبُ
ومن عجبٍ أنّ البياضَ ولونَه اليكِ بغيضٌ وهو منكِ حبيبُ!
أحِينَ عسا(٣) غُصْنى طرحت حبائلى الىّ، فهلّا ذاك وهو رطيبُ؟
تُظنِّينَهُ من كَبْرةٍ فرطَ ما انحنَى كأنْ ليس فى هذا الزمان خُطوبُ!
فعُدِّى(٤) سِنِيه، إنما العهدُ بالصِّبا وإن خانه صِبغُ العِذارِ قريبُ
وفى خَطَلِ(٥) الرمحِ انحناءٌ، وإنما تُعَدُّ أنابيبٌ له وكعوبُ
همومىَ من قبلِ اكتهالى تكهُّلٌ وغدرُكِ من قبلِ المَشيبِ مَشيبُ
وما كان وجهٌ يوقَدُ الهمُّ تحتَه لتُنكَرَ فيه شَيْبةٌ وشُحوبُ(٦)
لو انّ دَمِى حالتْ صَبيغةُ لونِه مُبيَّضةً ما قلتُ: ذاكَ عجيبُ!



(١) الرث: البالى. (٢) القشيب: الجديد. (٣) عسا: كبر. (٤) فى الأصل: "تعدّى" وهو تحريف. (٥) الخطل: الاضطراب. (٦) الشحوب: تغيّر اللون.

أَلم تعلمى أنَّ الليـالى جحافلٌ ... وأنَّ مُداراةَ الزمانِ حروبُ ؟
وأنَّ النفوسَ العـارفاتِ بليَّـةٌ ... وحمـلَ السجايا العالياتِ(١) لُغوبُ
يُسـيغ الفتى أيّامَهُ وهو جاهلٌ ... و يغتصُّ بالساعاتِ وهو لبيبُ
و بعضُ مَودّاتِ الرجالِ عقاربٌ ... لهـا تحت ظلماء العُقوقِ دبيبُ
تواصَوا على حبِّ النفاقِ، ودينُهُ ... بأنْ يتنـافَى مَشْهـدٌ ومَغيبُ
فمـا أكثرَ الإخوانَ بل ما أقلَّهم ... على نائباتِ الدهرِ حين تنوبُ !
وقبلَ ابنِ عبـدِ الله ماخلتُ أنه ... يُرَى فى بنى الدنيا الوَلودِ نجيبُ
ألا إن بانى المجـدِ يَخلُصُ طينُهُ ... وكلّ الذى فوق التراب مَشوبُ
سقى الله نفسا مذ رعت قُلَّةَ العُلا ... فكلٌّ مَراعيهـا أعمُّ خصيبُ
وحَيَّا على رغم الغـــزالةِ غُرَّةً ... إذا طلعتْ لم تَدْجُ حـين تغيبُ
وحصَّنَ صدرا قلبُ ""أحمدَ"" تحته ... يضيق ذراعُ الدهرِ وهو رحيبُ
من القوم يسّامون والجوُّ عابسٌ ... وراضون واليومُ الأصمّ(٢) غضوبُ
رأوا بابنهم ليثَ الشرى وهو ساربٌ ... لحاجتـه ، والبحرَ وهو وهوبُ
فتًى سوّدته نفسُـهُ قبـل خَطِّه(٣) ... وشابت عُلاه وهو بَعْـدُ ربيبُ
وقدّمه ــ أن يعلَقَ الناسُ عَقْبَهُ ــ ... سماحٌ مع الريح العَصوفِ ذَهوبُ
ورأىٌ على ظَهر العواقبِ طالعٌ ... إذا أخطأ المقـدارُ فهو مصيبُ
إذا ظنَّ أمرًا فاليقـينُ وراءه ... و يصدُقُ ظنٌّ تارةً ويحوبُ(٤)
وخُلقٌ كريمٌ لم يَرضْـهُ مؤدِّبٌ ... تمطَّقَ(٥) فُوه الشَّـذَى وهو أديبُ

(١) فى الاصل : ""الغالبات"" . (٢) اليوم الأصمّ : العصيب الشديد . (٣) قوله : "" قبل خطّه"" أى قبل نبت عذاره من قولهم : خَطَّ الغلامُ إذا نبت عذاره . (٤) يحوب : يأثم . (٥) تمطّق : تذوّق .

تحمَّـــل أعباءَ الرياســـةِ ناهضا بهـا قاعدا والحـادثاتُ وُثوبُ

وصاحتْ به الجُلَّى لسدّ فُروجها فأقدَمَ فيها والزمانُ هَيوبُ

وكم عَجَمتْهُ النائبـاتُ فردَّهـا رِدادًا وعاد النَّبعُ[1] وهو صليبُ

هناك آتفاقُ النـاسِ أنك واحدٌ إذا كان للبـدر المنـير ضريبُ

وأعجبُ ما فى الجودِ أنك سالبٌ به كلَّ ذى فضل وأنتَ سَليبُ !

أأنسَى لك النُّعمى التى تركَتْ فى يُصَـعِّدُ يبغِى شُكرَها ويَصوبُ ؟

ملكتَ فؤادى عنـد أوّل نظرةٍ كما صـاد عُذريًّا[2] أغنُّ ربيبُ

وكنتُ أخاف البـابلىَّ وسحـرَهُ ولم أدر أن الواسطىَّ[3] خَلوبُ

وغَنَّـاك أقوامٌ بوصـفِ مَناقبى فَرُنِّحَ نَشـوانٌ وحَنَّ طروبُ

رفعتَ مَنـارَ الفخرِ لى بزيارةٍ وَسَمْتَ بها مَغْناىَ وهو جديبُ

وكنتَ لداءٍ جئتَنى منـه عائدا شفاءً، وبعضُ العائدين طبيبُ

وأنهلتَنى من خُلْقِك العذبِ شَربةً حَلَتْ لى،وما كلُّ الدواء يطيبُ

ولمـا جلا لى حُسنَ وجهك بِشرُهُ تبـيَّنَ فى وجه السَّـقام قُطوبُ

أجبتَ وقد ناديتُ غيرَك شاكيا وذو المجـد يُدعَى غيرُهُ فيُجيبُ

فَطِنتَ لهـا أُكرومةً[4] نام غَفْلَةً من النـاس عنها مائقٌ وأريبُ

ذهبتَ بها فى الفضل ذكرًا بصوته سبقتَ، فلم يقدر عليك طَلوبُ

لئن كان فى قَسْم المكارم شَطرُها فللدِّين فيهـا والولاءِ نصيبُ

وإن أكُ من "كِسْرَى" وأنت لغيره فإنىَ فى حبِّ "الوصىّ" نسيبُ

ســتعلمُ أنَّ الصُّنع ليس بضائعٍ علىَّ، ولا الغرسَ الزكىَّ يخيبُ

---

(١) النبع : شجر تعمل منه القسىّ والسهام . (٢) عذريًّا : رجلا من بنى عُذرة وهم قوم مشهورون بالعشق . (٣) البابلىّ والواسطىّ نسبة الى بابل و واسط . (٤) الأكرومة : فعل الكرم .

وتحمَـدُ منّى ما سـعيتَ لكسبِهِ ... وما كلّ ساعٍ فى العَلاء كسوبُ
ومهما يُثنِك الشـعرُ شكرا مخلَّدا ... عليها، فإنّ الله قبلُ يُثيبُ
وتَسمعُ فى نادى النّدى أىَّ فِقرةٍ(١) ... يقوم بهـا فى الوافدين خطيبُ
متى آمتدّ بى عُمرٌ وطالت مودّةٌ ... فربعك حُسنٌ من ثَناىَ وطِيبُ
ودونك منى ضَيغمٌ، فُوهُ فاغِرٌ(٢) ... متى ما دنا من سَرْحِ عِرضك ذيبُ
محاسنُ قومٍ وَسمةٌ فى جباههـم ... ولى حسـناتٌ سِرُّهن غُيوبُ
وما الحُسنُ ما تُثنى به العينُ وحدَها ... ولكنّ ما تُثنى عليـه قلوبُ
لقد عَقَلَتْ دنياك مذ قيَّضَتْك لى ... وراح عليها الحِـلمُ وهو غريبُ
أظنُّ زمانى إن زجرتَ صروفَه ... سـيرجع عمّـا ساءنى ويتوبُ
تخاتلنى الأخبارُ ــ أخلبَ برقُها ــ ... بأنك يا بـــدرَ الـكمال تغيبُ
فأمسِكُ قبلَ البين أحشاءَ مُوجَعٍ ... لهـا بين أثناء الحـذار وجيبُ
بأىّ فؤادٍ أحمل البعدَ، والهوى ... جديدٌ، وذا وجدى وأنتَ قريبُ
فلا تصـدَعِ الأيّامُ شملَ محاسنٍ ... تُسـافر مصحوبا بهـا وتؤوبُ
ولا تعـدَم الدنيا بقاءَك وحدَه ... فإنك فى هذا الزمانِ غريبُ

(١٩)

* * *

وقال يمدح سيّد الوزراء مؤيَّدَ الملك أبا علىٍّ الرُّخَّجىَّ، ويشكر إنعامَه فى تقديمِه وإكرامِه، وتطوّلَه فى تحسين وصفه وتقريظه، ويعتدّ لإحسانه بعاداتٍ مُواصِلة فى القول والفعل، عَقِيبَ تقلّدِه الوزارةَ بعد آمتناعِه من الدخول فيها، ومدافعتِه بالتلبّس بها، وذكر ذلك فى القصيدة وماظهر من آثاره فى النظر، بعد نكول من سبق من الوزراء، وأنشدها بحضرته فى الدار بباب الشعير .

(١) الفقرة : أجود بيت فى القصيدة . (٢) فاغر : مفتوح .

إذا عمّ "صحراءَ الغُمَيرِ" جُدوبُها كفى دارَ "هندٍ" أنّ جفني يصوبُها
وقفتُ بها والطَّرفُ مما توحّشتْ طريدُ رباها ، والفؤادُ جَذيبُها
وقد دَرسَتْ ، إلا نَشايا(١) عواصفٌ من الريح لم يَفطُنْ لهنّ هُبوبُها
خليليَّ ، هذى دارُ أنسي ، وربما يَبِينُ بمشهودِ الأمورِ غُيوبُها
قِفَا نتطوّعْ للوفاء بوقفةٍ لعلّ المُجازِى بالوفاء يُثيبُها
فلا دارَ إلا أدمعٌ ووكيفُها ولا "هندَ" إلا أضلعٌ ووَجيبُها
وعيّرتُماني زفرةً خَفَّ وَقدُها مَلِيًّا ، وعينًا أمسِ جفّتْ غُروبُها
فإن تك نفسي أمسِ في سلوةٍ جَنَتْ فقد رجع اليومَ الهوى يَستتيبُها
وإن يُفْنِ يومُ البينِ جَمّةَ أدمعي فعند جُفوني للديار نصيبُها
تكلّفني "هندٌ" إذا التحتُّ(٢) ظامئًا أمانيَّ لم تُنهَزْ لِرِيٍّ ذَنوبُها(٣)
وأطلابُ أقصى ودّها أن أنالَهُ غِلابًا ، وقد أعيى الرجالَ غَلوبُها
بمنعطف الجزعَين لَمياءُ لو دَعَتْ "بمدينَ" رُهبانًا صَبَتْ وصليبُها
إذا نهض الجاراتُ أَبطأَ دِعصُها(٤) بنهضتها ، حتى يخفّ قَضيبُها
تبسَّمُ عن بِيضٍ صوادعَ في الدجى رِقاقٍ ثناياها ، عِذابٍ غُروبُها
إذا عادتِ المسواكَ كان تحيّةً(٥) كأنّ الذى مسّ المساويكَ طِيبُها
وكم دونَ "هندٍ" رُضتُ من ظَهرِ ليلةٍ أشدُّ من الأخطارِ فيها ركوبُها
فنادمتُها والخوفَ ، تُروِي عظامَها الـ ـمدامُ ، ويُروَى بالبكاء شَريبُها

(١) نشايا جمع نشيّة وهى الرائحة . (٢) التحتُّ : عطشتُ . (٣) الذَّنوب : الدلو .
(٤) الدعص : قطعة من الرمل مستديرة . (٥) يشير الشاعر هنا الى عادة من عادات العرب فى أعيادهم وهى أنهم كانوا اذا حيّوا يقدّمون الريحان تحيّةً وكان ذلك فى يوم من أيامهم اسمه "يوم السباسب" وفيه يقول النابغة : رقاقُ النعال طيّبٌ حجزاتهم يحيّون بالريحان يومَ السباسبِ
فيكون معنى بيت مهيار : أنها اذا استاكت فسواكها يكون ريحانة يحيّي بها لما ناله من نكهتها .

إذا شربتُ كأسـا سـقتْنى بمثلها ... من الدمع، حتى غاض دمعى وكُوبُها[(١)]

حَمَى اللهُ بالوادى وجوها كواسـيا ... إذا أوجهٌ لم يُكْسَ حُسْنا سَليبُها

بَوادى وَدَّ الحاضرون لو آنها ... مَواقِـعُ ما ألقتْ عليه طُنوبُهـا

إذا وصَفَ الحُسْنَ البياضُ تطلّعتْ ... سَوَاهِمُ[(٢)] يُفْـدَى بالبياضِ شُحوبُهـا

ولله نفسٌ، مِن نُهـاها عذولُهـا ... ومِن صَونِها - يومَ العُذَيبِ - رقيبُها

لكلِّ محبٍّ يومَ يظفَرُ رِيبـةٌ، ... فسَلْ خَلَواتى: هل رأت ما يريبُها ؟

إذا آختلطت لذّاتُ حُبٍّ بعاره ... فأنعمُها عنـدى الذى لا أُصيبُها

وسـاء الغوانى اليومَ إخلاقُ لِمّتى[(٣)] ... فهـل كان ممّـا سَرَّهنّ قشيبُها ؟

سواءٌ عليهـا كَثُّها[(٤)] ونَسيلهـا[(٥)] ... وناصلها[(٦)] من عِقّـتى وخضيبُهـا

وتعجَبُ أن حُصَّتْ[(٧)] قوادمُ مَفرِقى[(٨)] ... وأكثرُ أفعـالِ الزمانِ عجيبُهـا !

ومن لم تغـيّره الليـالى بعـدّه ... طِوالَ سِنِيهـا غَـيَّرته خُطوبُهـا

إذا سُلَّ سيفُ الدهرِ والمرءُ حاسرٌ[(٩)] ... فأهون ما يَلْقَى[(١٠)] الرءوسَ مَشيبُهـا

يعـدِّد أقـوامٌ ذُنوبَ زمانهم ... فمن لى بأيّام تُعَـدُّ ذُنوبُهـا

يقولون: دارِ الناسَ تَرْطُبْ أكفُّهم ... ومَنْ ذا يدارِى صخـرةً ويُذيبُهـا ؟

وما أطمَعتْنى أوجهٌ بآبتسـامها ... فيُؤْيِسَـنى ممّـا لديهـا قُطوبُهـا

وفى الأرض أوراقُ الغنى لو جَذبتُها ... لَرَفَّ على أيدى النوال رطيبُهـا

إذا إبِلى أمستْ تُمـاطَلُ رَعْيَهـا ... فهـل يَنفعَنّى من بلادٍ خَصيبُهـا ؟



(١) الكوبُ: كوز لا عروة له . (٢) سواهم: متغيرات . (٣) اللمة: الشعر المجاوز شحمة الأذن . (٤) الكث: كثرة شعر اللحية . (٥) النسيل: ما يسقط من الشعر والريش . (٦) الناصل: الخارج من الخضاب . (٧) فى الأصل "خصّت" وهو تحريف، وحُصّتْ من قولهم: رجلٌ أحصّ أى قليل شعر الرأس . (٨) المفرق: وسط الرأس وهو الذى يفرق فيه الشعر . (٩) الحاسر: من لا مغفر له ولا درع أو لا جُنّة له . (١٠) فى الأصل "تلق" .

عَذيرِىَ من باغٍ يودّ لنفسِـــهِ ... نزاهــةَ أخلاقٍ، ويُمسِى يَعيبُهــا

إذا قَصَّرتْ عنِّى خُطاه أَدَبَّ لى ... عقاربَ كيدٍ غيرُ جِلْدى نسيبُهــا

ومِن أَمَلِى فى ســيِّد الوزراء لى ... مطاعمُ يَغْنَى عن سواها كَسوبُهــا

إذا ما حَمَى مــؤيَّدُ المُلْكِ حَوزةً ... من الصُّمّ لم يقــدِرْ عليها طَلوبُهــا

علِىٌّ ضَوافٍ من سوالِفِ طَوْلِهِ ... يجرِّرُ أذيالَ الســحاب سَحوبُهــا[1]

وعَذراءَ عنــدى من نداهُ وثيِّبٍ ... إذا جُلِيَتْ زانَ العُــقودَ تَريبُهــا[2]

عوارفُ تأتى هـــذه إثْرَ هـــذه ... كما رافدَتْ أعلَى القنــاةِ كُعوبُهــا

إذا عُقِدَ المجـــدُ انبرَيْنَ فواتـــا ... عُقودَ البنانِ، أَن يَعُــدَّ حسيبُهــا

حلفتُ بمُسْتَنِّ البِطاحِ وما حَوَتْ ... أسابيعُها[3] من مَنْسَــكٍ وحَصيبُهــا

وبالبُـــدْنِ[4] مُهداةً، تُقادُ رقابُهــا ... مُوَقَّفــةً[5]، أو واجباتٍ[6] جُنُوبُهــا

لقام الى الدنيا، فقام بأمرِهــا ... ــ على فترة ــ جَلْدُ الحصا وصليبُها

وغَيرانُ لا يُرضيه إصلاحُ جسمه ... بدارٍ إذا كان الفســادُ يشوبُهــا

وقاها من الأطماع حتى لو آنه ... جرى الدَّمُ فوق الأرض ما شَمَّ ذيبُها

ومدّ عليهــا حامياً يَدَ مُشْـــبِلٍ[7] ... له عصــبةٌ بعـــدَ النذيرِ وُثوبُها

يَدٌ كُلُّ ريحٍ تَمترِى ماءَ مُزْنِهــا ... فمــا ضرّها ألّا تَهُبَّ جَنوبُهــا

أرى شِبهَهُ الأيّامَ عادتْ بصــيرةً ... ومُذنِبَهــا قد جاءَ وهو مُنيبُهــا

وذلّتْ فأعطاها يَدَ الصفحِ ماجدٌ ... إذا سِــيلَ[8] تَرّاكُ الذُّحولِ[9] وَهُوبُها

---

(١) فى الأصل "تُحُوبها" وهو تحريف . (٢) يريد بالتريب : الترائب وهى عظام الصدر .
(٣) الأسابيع : يريد أسابيع أشهر الحج . (٤) البدن جمع بَدَنة وهى من الإبل والبقر كالأضحية من الغنم تُهدَى الى مكة . (٥) فى الأصل : "موفقة" وهو تحريف . (٦) واجبات : ساقطات ، وفى القرآن الكريم : (فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا) . (٧) فى الاصل : "مسبل" وهو تحريف ، والمشبل : ذو الأشبال وهى أجراء الأسد . (٨) سيل : سُئِلَ . (٩) الذحول جمع ذَحْل وهو الثأر أو العداوة والحقد .

لكَ اللهُ راعى دولةٍ ريعَ سَرْحُها ... وراح أمام الطاردين عَزِيبُها (١)

طوتْ حُسنَها ـ والماءُ تحت شفاهها ـ ... غِراثًا، وأدنى الأرض منها عَشيبُها

إذا ما تراغت (٢) تقتضى نصرَ ربِّها ... فليس سوى أصدائها ما يُجيبُها

وقد غَلَبَ الطَّالِينَ عَرٌّ (٣) جلودها ... وفاتت أكفَّ المُلحمين نُقُوبُها (٤)

لها كلَّ يوم ناشدٌ غيرُ واحدٍ ... تَقَفَّى المُنَى آثارَها فيُخيبُها

ومُطَّلِعٌ يَفْلِى (٥) طريقَ خلاصِها ... فيعمَى عليه سهلُها وحَزيبُها (٦)

نفضتَ وفاضَ الرأى حتى آنتقدتَها (٧) ... وما كلُّ آراءِ الرجالِ مُصيبُها

مُحمَّلةً من ثِقْلِ مَنِّكَ أوْسُقًا ... ينوء بها مركوبُها وجَنيبُها

فعطفًا عليها الآنَ تَصْفُ حِياضُها ... وتُبْقِلْ مَراعيها وتُدْمَلْ نُدوبُها

فما رَأَمتْ أبْواءَها (٨) عند مالكٍ ... سواكَ ولا حنَّتْ لغيرك نِيبُها (٩)

تَسربلْ بأثوابِ الوزارة إنها ... لك آنتُصِحتْ (١٠) أردانُها وجيوبُها

وقد طالما منَّيْتَها الوصلَ مُعرِضًا ... وباعدتَها من حيث أنتَ قريبُها

ومَن يك مولاها الغريبَ وجارَها ... فأنت أخوها دِنْيَةً (١١) ونسيبُها

بلطفِكَ فى التدبير شابَ غلامُها ... على السيرة المُثلَى وشبَّ رَبيبُها

وقد ضامها قبلُ الولاةُ وقصَّرتْ ... قبائلُها عن نصرها وشُعوبُها

فداك ـ وقد كانوا فداءك ـ منهمُ ... جبانُ يدِ التدبير فينا غَريبُها

---

(١) العزيب : من الإبل والشاء التى تعزب عن أهلها فى المرعى ، وفى الأصل : "غريبها" .
(٢) تراغت : صوّتت فضجّت . (٣) العرّ : الجرب . (٤) نقوب جمع نَقْب وهو قرحة تخرج بالجنب . (٥) يفلى : يتدبّر . (٦) الحزيب : الأمر الشديد، وفى الأصل "وحَزوبها" .
(٧) فى الأصل "اتقدتها" وهو تحريف . (٨) أبواء جمع بَوّ وهو جلد الحوار يُحشى تبنا ويقرّب من أم الفصيل فترأمه وتعطف عليه فتدرّ . (٩) النيب جمع ناب وهى الناقة المسنة . (١٠) انتُصِحتْ : خِيطَتْ . (١١) الدنية : يقال : هو ابن عمى دنية بمعنى هو ابن عمى لحًّا أى لاصق النسب .

رمَى بكَ فى صدر الأمور ولم يخف ... فلولَ نيوبِ الليثِ مَن يستنيبُها

حملتَ له الأثقالَ والأرضُ تحته ... وراعيته لما عَلَتْه[1] جُنوبُها

وآخرُ أرخَى للنعيم عِنانَهُ ... أخو الهزلِ مِمْراحُ العشايا لَعُوبُها

* * *

تزخرفتِ الدنيا له فصَبَا لها ... مُقارَضةً يخشَى غداً ما ينوبها

وكان فتى أيامِهِ وآبنَ لينها ... وأنت أبوها المتَّقَى ومَهيبُها

وقاسٍ كأنَّ الجمرَ فلذةُ كِبْدِه ... يَرَى بالدماءِ نَحْلةً يستذيبُها[2]

مَخُوفُ نواحى الخُلْقِ، مُجٌّ طباعُهُ ... إذا عولجت، مُرُّ اللحاظِ مُريبُها

إذا همَّ فى أمرٍ بعاجلِ فتكةٍ ... على غَرَرٍ[3] لم يلتفتْ ما عَقيبُها

* * *

وذو لُوثةٍ[4]، منَّاهُ سلطانُ رأيه ... مُنًى غَرَّهُ مِخداجُها[5] وكَذوبُها

ولم يكُ ذا خيرٍ فشاورَ شرَّهُ ... وما الشرُّ إلا أرضُ تيهٍ يجوبُها

يواثب من ظَهْرِ الوزارة رَيِّضاً[6] ... زلوقاً[7] وقد أعيا الرجالَ رُكوبُها

ومدّ بكفِّ العنفِ فَضلَ عِنانِها ... فعادتْ له أفعَى حِداداً نُيوبُها

رَمَى الناسَ عن قوسٍ وأعجبُ مَنْ رمَى ... يدٌ أرسلتْ سهماً فعادَ يُصيبُها

تَوقَّ خُطًا لم تدرِ أينَ عِثارُها ... فكم قَدَمٍ تسعَى الى ما يَعيبُها

ولا تحسَبَنْ كلَّ السحابِ مَطيرةً ... فخاصبُها من حيث يُرجَى صبيبُها

(٢١)

---

(١) فى الأصل "عايه" . (٢) يستذيبها : يطلب ذوبها وهو العسل ، وفى الأصل "يستديبها" . (٣) الغرر : الخطر . (٤) اللُّوثة : الحُمْق . (٥) المخداج : الصيفة قلّ مطرها . (٦) يقال : ناقة رَيِّضٌ : أول ما ريضت وهى صعبة بعدُ . (٧) الزلوق : الناقة السريعة ، وفى الأصل : "زلِقا" ومعناها : الولد السقط للناقة اذا أسقطت وهذا لا يتفق ومعنى البيت .

وكم أَصْرَمَتْ[1] تحت العصائبِ لِقحةً[2] ودرّتْ لغير العاصبين[3] حُلوبُها
أبَى اللهُ أن يُشْقِي بك اللهُ أمّةً أردتَ بها سُقْيا وأنت طبيبُها

* * *

تَطأْطأْ لِمَنْ لو قمتَ نالك جالسًا فما كلُّ أولادِ الظنون نجيبُها[4]
فقد دانت الدنيا لربِّ محاسنٍ محاسنُ قومٍ آخرين عيوبُها
فيا ناظمًا عِقدَ الكلام تَمَـلَّه[5] ويا ناشر النعماءِ حيّاكَ طِيبُها
إذا الأنفس اختُصّتْ بحبِّ فضيلةٍ سموتَ بنفسٍ كلُّ فضلٍ حبيبُها
توافَقَ فيك الناسُ حُبًّا وأَمطرتْ بشكرك سُحْبُ القولِ حتى خَلوبُها
ملكتَ مكانَ الودِّ من كلِّ مهجةٍ كأنك لُطفًا فى النفوس قلوبُها
إذا الشمس لم تطلُعْ علينا، وأمرُنا بكفّك معقودٌ، فدامَ مَغيبُها
أنا العبدُ أعطتْـك الكرامةُ رِقَّهُ وجاءت به عفوا اليك ضُروبُها
رفعتَ بأوصافى طريفًا وتالدًا كواكبَ لى عمَّ البلادَ ثُقُوبُها[6]
وميّزتَنى حتّى ملكتُ بوَحْدَتى نواصىَ هذا القولِ يضفو سبيبُها[7]
وكم أملٍ أسلفتُ نفسى ودعوةٍ قنطتُ لها، واللهُ فيك مجيبُها
بلغتُ الأمانى فيك، فابلغ بِىَ التى تُنَفِّسُ نَفْسًا، ملءُ صدرى كُروبُها
وللدهرِ فى حالِى جُروحٌ وإنه بلحظك إن لاحظتَ يُوسَى رغيبُها[8]
ومهما تُعِزْ من نِعمةٍ بجزاؤها على الله، ثُمَّ الشِّعرُ عنى يُثيبُها
بكلِّ شَرودٍ يَقطعُ الريحَ شَوطُها ويَسرِى أمامَ الغاسقاتِ دُبوبُها
تَرِنُّ[9] لِىَ الأصواتُ يومَ بلاغها إذا ما علا أعوادَ شعرٍ خطيبُها

(١) أصرمت: انقطع لبنا. (٢) اللقحة: الناقة الغزيرة اللبن. (٣) العاصب: الذى يشدّ بالعصابة فخذى الناقة لتدرّ. (٤) فى الأصل: "نخيبها". (٥) كذا بالاصل وفى النسخة المطبوعة "الكمال". (٦) ثقوبها: ضوءها. (٧) السبيب: شعر الناصية. (٨) رغيبها: واسعها. (٩) ترنّ: تصوّتُ.

يروقُكَ منها جَزلُها وحَميسُها إذا راقَ من أبياتِ أُخرَى نسيبُها
ترى الناسَ خَلفِي يلقُطونَ بَديدَها[1] ويُعجِبهم من غيركَ غُصُوبُها
جواهرُ،لى تصديفُها من بحورِها صحاحًا، وللعادِى المُغير ثُقوبُها
تَمُرُّ بها لا بائعًا يستحلُّها بِمُلكٍ ولا مستوهبا يستطيبُها
بَقِيتَ لها مستخدِما حِبرَاتِها ومنتقِدًا ما حُرُّها وجَليبُها
موسَّعةً أيّامُ مُلكِكَ، مُعوِزًا على الحادثاتِ أن يَضِيقَ رَحِيبُها
وأعداكَ من شمسِ النهارِ خُلُوُّها وإشراقُها، لكن عَدَاكَ غُروبُها

* * *

وقال يمدح الوزير تاجَ المُلك أبا غالب الحسن بن منصور ويهنّئه بالوزارة، وأنفذها اليه وهو بواسط، بعد ظَفره بأبى محمد بن سَهْلانَ، وعرَّضَ بذكر الحرب التى جرت بينهما، وحصولِهِ فى رِبقَته، وذلك فى سنة ثلاث عشرة وأربعمائة

قضى دَينَ "سُعدَى" طيفُها المتأوِّبُ[2] ونَوَّلَ إلا ما أَبَى المتحوِّبُ[3]
سَرَى فأراناها على عهدِ ساعةٍ ومن دونها عَرضُ "الغُويرِ" "فغُرَّبُ"[4]
فمِثْلُها لا عِطفُها متشمِّسٌ ولا مسُّها تحت الكرى متصعِّبُ
تحِيِّ نَشاوَى من سُرى الليل ألصقوا جُنوبا بجِلدِ الأرض ما تتقلّبُ
إذا أَنِسوا بالليل جاذَبَ هامَهُم حوافرُ قَطْعِ الليلِ، والنومُ أطيبُ
وفى التُّربِ مما استصحبَ الطيفُ فَعمةٌ[5] يُرَوِّح قلبي نَشْرُها[6] المتغرِّبُ
فَعَرَّفَنِى[7] بين الركاب كأنما حقيبةُ رَحلى باقِيَ الليلِ مَسْحَبُ

(١) فى الأصل: يطلقون. (٢) المتأوِّب: الطارق أوّل الليل. (٣) المتحوّب: المتعبد الذى يلق الحوب عن نفسه. (٤) الغوير كَزُبير، وغُرَّب كسكَّر: اسما موضعين. (٥) فعمة: نفحة. (٦) فى الأصل "بشرها" وهو تحريف. (٧) فعرّفنى: فطيبنى بعرفه.

ألا ربمـا أعطتــك صـادِقَةَ المُـنَى ... مصـادَفَةُ الأحلامِ من حيثُ تَكذِبُ
ويومٍ كظلِّ السـيف طال قصـيرُهُ ... على حاجةٍ من جانبِ "الرَّملِ" تُطلَبُ
بعثتُ لهـا الوَجناءَ (١) تَقـفو طريقَها ... أمامَ المطـايا تسـتقيمُ وتَنكُبُ
فمـالت على حكمِ الصَّبا "لمحجَّرٍ" (٢) ... وللسـير فى أُخرَى مَظَنٌّ ومَحْسَبُ
أعِدْ نَظَـرًا وآسـتانِ يا طرفُ ربّمـا ... تكونُ التى تهوَى التى تتجنَّبُ
فمـا كلُّ دارٍ أقفـرتْ "دارةُ الحِمَى" ... ولا كلّ بيضـاءِ الترائبِ "زَينبُ"
عجبتُ لقلبي كيف يسـتقبل الهوى ... ويرجو شبابَ الحيّ والرأسُ أشيبُ
تَضُمُّ حِبـالَ الوصل من "أمِّ سالمٍ" ... وحبلُكَ بعـد الأربعـينَ مُقَضَّبُ (٣)
وليس لسوداءِ المحـاجِرِ ـ ولو دنا ... بها سببٌ ـ فى أبيض الرأس مَطْرَبُ
ولائمـةٍ فى الحظّ تحسَـبُ أنّه ... بفضلِ آحتيالِ المرءِ والسعيِ يُجْلَبُ
رأت شَـعَثًا غطّى عليـه تَصَـوُّنى ... وعيشًـا بغيضـا وهو عنـدى محبَّبُ
وقد كنتُ ذا مالٍ مع الليـلِ سارحٍ ... علىّ، لو آن المـالَ بالفضلِ يُكسَبُ
ولكنه بالعِـرضِ يُشتَرى خِيـارُه ... ويُجبى على قَدرِ السـؤالِ ويُخصِبُ
وما ماءُ وجهى لى إذا ما تركتُهُ ... يُراقُ على ذلِّ الطِّـلابِ ويَنضُبُ
وإنكِ لا تدرين، واليـومُ حاضرٌ ... بحـالِ آختـلالى، ما غدًا لى مُغيَّبُ
لعـلّ بعيـدًا ماطَلَتْ دونه المُـنَى ... سيحكُمُ "تاجُ المُلْكِ" فيـه فيقـرُبُ
فمـا فوقه مَرمًى لظـنٍّ موسَّـعٍ ... ولا عنـه للحقّ المضَـيَّعِ مَذْهَبُ
وإن فاتنى مِن جودِه وآصـطفائه ... الى اليـوم ما تُسْنِى (٤) يداه ويوهَبُ
وأيبَسَ رَبعى وحـدَه من سَحابةٍ ... تبيتُ لمثـلى من عَطـاياه تَسْكُبُ
فرِجْلَىَ كانت دون ذاك قصـيرةً ... وحظِّىَ فيما جازنى (٥) منـه مُذْنِبُ

(١) الوجناء: الناقة المسرنة . (٢) محجَّر: كَمُعظَّم ومُحَدَّث اسم لجملة مواضع . (٣) المقضَّب: المقطَّع . (٤) تسنى: ترفع . (٥) فى الأصل "حازنى" .

ولا لومَ أن لم يأتِى البحرُ، إنما على قدر ما أسعَى الى البحرِ أشربُ
حَمى بَيْضةَ الإسلامِ ليثٌ تناذرتْ ذئابُ الأعادِى الطُّلْسُ[1] عما يُذَبِّبُ[2]
وزانت جبينَ المُلكِ دُرَّةُ تاجِهِ فما ضرَّه أىُّ العمائم يُسْلَبُ
وَفَى بالمعالى مستقِلاًّ بحملها متينٌ إذا خارت قُوَى العزمِ صُلَّبُ
تريه خَفِيَّاتِ الشَّوا كلِ فكرةٌ بصيرٌ بها من خَطْفةِ النجم أثقبُ
إذا آستقبل الأمرَ البطىءَ برأيه تبيَّنَ من أولاهُ ما يتَعقَّبُ
ومُزلِقَةِ المتنين تمنعُ سرجَها وتُسأَلُ قُوسُ[3] الجُمِ: من أين تُصحَبُ
أبَتْ أن يُطيف الرائضون بجنبها فقوَّدتَها مملوكةَ الظَّهرِ تُركَبُ
ويومٍ بلون المشرفيَّةِ أبيضٍ ولكنه مما يُفَجَّرُ أصهبُ[4]
إذا أسفَرتْ ساعاتُهُ تحت نَقْعِهِ عن الموتِ ظلَّت شمسُه تَتنقَّبُ
صبَرتَ له نَفْساً حبيباً بقاؤها الى المجدِ حتى جئتَ بالنصرِ يُجْنَبُ
كواسِطَ، والأنبارُ أمسِ كواسطٍ ومن إمَّا يومَيْك لا أتعجَّبُ
وكم دولةٍ شاختْ وأنتَ لها أخٌ وأُخرى تُربِّيها وأنتَ لها أبُ
ينام عزيزا كهلُها وغلامُها وأنت عليها المُشْبِلُ المتحدِّبُ
أرَى الوزراءَ الدارجين تطلَّبوا على فضلهم ما نلتَهُ فتخيَّبوا
تباطَوْا عن الأمرِ الذى قمت آخذا بأعجازه وآستبعدوا ما تُقَرِّبُ
فلو لحقَتْ أيامُهم بك خلتَهم بهَدْيِك ساروا أو عليك تأدّبوا
نَهيتُ الذى جاراك راكبَ بَغيِهِ الى حَيْنِه، والبغىُ للحَينِ مَركَبُ
وقلتُ: تَفلَّلْ[5]، إنما أنت حابِلٌ[6] على جنبك الواهى تحشُّ وتحطِبُ

(١) الطلس جمع أطلس وهو الأمعط من الذئاب . (٢) يذبِّبُ: يدافع . (٣) قُوس جمع أقوس وهو المحنىّ . (٤) أصهب: أحمر . (٥) تفلَّل: انهزِم . (٦) الحابل: الذى معه حبله .

دعِ الرأسَ واْقنــع بالوســيطةِ ناجيًا بنفسك، إن الرأسَ بالتّــاج أنسبُ
وإن ولىّ الأمرِ دونك ناهضُ الـ ـبصــيرةِ طَبٌّ[1] بالخطــوب مدرّبُ
وأهيبُ فينــا من قُطــوبك بِشْرُه وما كلّ وجــهٍ كالحٍ يُتَهيَّبُ
بفعلك سُـدْ، إن الأسامِى[2] مُعــارةٌ وبالنفس فاخرْ لا بمن قمتَ تَنْسُبُ
تمنّوكَ "تاجَ الملكِ" أن يتعلّقوا غُبارَك، وآبنُ الريح فى السّبق أنجبُ
فظنّــوا تكاليفَ الوزارة سهــلةً ومنكِبُ "رَضوى"[3] فى العريكة يَصعبُ
فلا زالتَ تلقَى النصرَ حيث طلبتَــه بجَــدّك يعــلو أو بســيفك يَضرِبُ
تَمُدُّ لك الدنيــا مَطَــاها[4] ذليــلةً فتركَبُ منهــا ما تشــاءُ وتُركَبُ
الى أن ترى ظهرَ البســيطةِ قَبضــةً بكفّيــك يَلْقَى مَشرِقًا منــه مَغــرِبُ
وقُيِّضَ لى من حُسنِ رأيك ســاعةٌ يُســاعف فيهــا حظّىَ المتجنّبُ
فتُمطِرنى من عذْلِ جودك دِيمــةٌ تَبُــلُّ ثرى حالى بمــا أنا مُجــدِبُ
لعــل خَفِيًّــا كامنــا من محاســنى تبــوحُ به نُعماك عنّى وتُعــرِبُ
ومَن لِىَ لو أنّى على العجــز مائلٌ بناديك يُصــغِى المُفحَمون وأخطُبُ؟
فتشهــد أنى ما عــدمتُ فضــيلةً الى مثلكم مثــلى بهــا يتقــرّبُ
وتَعــلم منّى كيفَ أمــدحُ ناظمًا فإنــك تدرى ناثرا كيف أكتُبُ

***

وقال وقد تُوُفِّىَ أبو الحسين أحمد بن عبد الله، وكان من معادن الفتوّة الغريبــة، ومظانّ الكرم العجيبة، وجامعا للدين والمروءة والفضل والرياسة، واتفَقَ قبل موته بسنين قلائلَ آنتساجُ مودّةٍ بينه وبينه سبقَ خبرُها، بدأ أبو الحسين بخِطْبتِها، وقصدَهُ

---

(١) الطبّ: البصير بالأمر والحاذق الماهر. (٢) الأسامىّ: الأسماء. (٣) رضوى: اسم جبل. (٤) المطا: الظهر.

راغبا فيها، وتبرّع بضروب من التفقّد وأصناف من الرّعاية، تبعُدُ على كثيرٍ من أبناء الزمانِ الفطنةُ لها، فعمل هذه القصيدةَ يرثيه، وتُوُفِّيَ بواسطٍ فى شوّال سنة ثلاث عشرة وأربعمائة

نعم! هــذه يا دهرُ أمُّ المصائبِ فلا تُوعِدَنِّى بعـــدَها بالنــوائبِ
هتكتَ بهــا ســترَ التجامُلِ بيننــا ولم تلتفت فينــا لِبُقْيَا المُــراقِبِ[1]
وما زلت ترمى صفحتى بين عاصدٍ[2] ومنحــرِفٍ حتى رَمَيْتَ بصــائبِ
فرأيَكَ فى قَوْدى، فقد ذلَّ مِسْحَلِى[3] وشأنَكَ فى غمزِى، فقد لان جانبِى
ولا تحسَـبنِّى باســطا يدَ دافِعٍ ولا فاتحا مِن بعـــدها فَمَ عاتبِ
ولا مُســبِغا فَضفاضَــةً[4] أبتغى بها شَــبَاً[5] طاعنٍ من حادثاتك ضاربِ
لهــا كنتُ أستبقى الحياةَ وأحتمى وأجمعُ بُرْدِى من أكفِّ الجواذبِ
وَلجتَ رُواقَ العــزِّ حتى اقتحمتَهُ بلا وازِعٍ عنــه ولا ردِّ حاجبِ
وأنشبتَ فى صمَّـاءَ عهــدى بمتنِها صفيقَ المَطَـا زَلِيقــةً بالمخـالبِ
سددتَ طريقَ الفضلِ من كلِّ وِجهةٍ وملتَ على العليــاء من كلِّ جانبِ
فــلا سَنَنٌ[6] إلا محجَّـــةُ تائِهٍ ولا أمــلٌ إلا مطيَّـــةُ خائبِ
أبعدَ ابنِ "عبدِ اللهِ" أحظَى براجِعٍ من العيشِ، أو آسَى على إثرِ ذاهبِ؟
وأرسِــلُ طَــرفى رائدا فى خميــلةٍ من النــاسِ أبغى نُجعــةً لمطَــالبِى؟
وأقدحُ زَندا واريًا من هَوَى أخٍ وأكشفُ عن ودٍّ خبيئةَ صاحبِ؟
وأدفعُ فى صـــدرِ الليــالى بمثــلِهِ فترجعَ عنِّى داميــاتِ المنــاكبِ؟

---

(١) فى الأصل: "كُبْقَيَا". (٢) العاصد: السهم الملتوى. (٣) المسحل كمنبر: اللجام.
(٤) الفضفاضة: الدرع. (٥) شبا جمع شباة وهى حدّ كلّ شىء. (٦) السنن: الطريق.

أَبَى ذاكَ قلبٌ عنـه غـــيرُ مُغالِطٍ برجمٍ(١)، وحلمٌ بعدَهُ غـــيرُ عازبِ
وأنَّ خُروقَ المجـــدِ ليستْ لراقعٍ سواه، وصدعَ الجودِ ليس لشاعبِ
طَوَى الموتُ منه بُردةً فى دُروجها بقيَّــةُ أيامِ الكرامِ الأطـايبِ
مُحَبَّرةً، سَـــدَّى وألحمَ وَشْيَهـا(٢) صَـنَاعٌ بحَوْكِ المكرماتِ الرغائبِ
كسا اللهُ عِطفَ الدهرِ حِينًا جمالَها فلمـا طغى قِيضَتْ لهـا يَدُ سالبِ
لئن دَرَسَتْ منهـا الخُطوطُ(٣) فإنه لَيَبْقَى طويلا عَرفُهـا فى المَساحبِ
وجوهرةً فى النـاس كانت يتيمةً وهل من أخٍ للبدرِ بين الكواكبِ
أَبَى الحسْنُ أن يحِبي بها عِقــدُ ناظِمٍ فتُسلَكَ، أو يسمو لها تاجُ عاصبِ
فمُــدَّتْ اليهـا بالردى يدُ كاسرٍ وكان يقيهـا المجـــدُ من يد ثاقبِ
سل الموتَ: هل أودعتَه من ضغينةٍ تَنَـــقَّمَ منهـا فهو بالوِتْرِ(٤) طـالبٌ؟
له كلَّ يومٍ حـولَ سَرحِىَ غارةٌ يشرِّد فيهـا بالصـــفايا النجائبِ
سُــلافةُ إخوانى وصــفوةُ إخوتى ونُخبـــةُ أحبـابى وجُــلُّ قرائبى
فليتَ عفا عن "أحمدٍ" فاديًا له بمُصرمــةٍ(٥) ممـــا آقتنيتُ وحالبِ
أألآنَ لمّـا آشــــتدّ مَتْـنِى بودّه وردتْ ملاءً من نَداه حَقـائبى!
وجَمَّتْ لآمالى العطاشِ حِياضُـــهُ وكانت تُحَلَّى عن نِطافِ(٦) المَشـاربِ!
بجُعتُ به غَضَّ الهوى حاضرَ الجدَى جديدَ قميصِ الودّ سَهلَ المجـاذبِ
كأنى على العهدِ القريبِ آعتلقتُـــهُ بطُولِ آختبـارى أو قديمِ تجاربى
ســدَدتُ فمَ النـاعى بكفّى تطيُّرًا ولوَّيتُ وجهى عنـه لَىَّ مُغاضِبِ

(١) الرجم: الظان. (٢) سدّى وألحم أى أقام سَداها ولُحمتها. (٣) فى الأصل: "الحفاوظ" وهو تحريف ويريد بها خطوط البردة التى كسا الله بها عطف الدهر. (٤) الوتر: الثأر أو الحقد. (٥) المصرمة: الناقة التى كُوِىَ ضَرعها فانقطع لبنها. (٦) نطاف جمع نُطفة وهى الماء الصافى أو البقية منه.

وقلتُ : تبيَّنْ ما تقولُ لعلَّها … تكون كتلك الطائراتِ الكواذبِ !

فكم غامَ من أخباره ثم أقشعتْ … سحابتُه عن صالحِ الحالِ نائبِ

فلمّا بدا لِي الشرُّ فى كَرِّ قوله … ربطتُ تَوازِى أضلعِى بالرواجِبِ (١)

وملتُ الى ظِلٍّ من الصبر قالِصٍ … قصيرٍ، وظَنٍّ بالتجمُّلِ كاذبِ

ونفسٍ شَعاعٍ (٢) قد أخلَّ وقارُها … بعادتِه فى النازلاتِ الصعائبِ

وعينٍ هَفَا الحزنُ الغريبُ بجفنها … فطاحَ ضياعا فى الدموعِ الغرائبِ

أُسائلُ عنه المجدَ وهو معطَّلٌ … سؤالَ الأجبِّ (٣) عن سَنامٍ (٤) وغارب (٥)

وأستروحُ الأخبارَ وهى تسوءنى … علائقَ منها فى ذيولِ الجنائبِ (٦)

فيُفصِحُ لى ما كان عنه مُجَمْجِمًا … ويصدُقُنى ما كان عنه مُوارِبى

فَقِيدٌ « بمَيْسانَ (٧) » آستوت فى آفتقاده … مَشارقُ آفاقِ العُلا بالمغاربِ

وقِيدَ الحياءُ والسماحُ فأُرْجِلَا … عَقيرين فى تُرْبٍ له مُتراكِبِ

تُنافِثُ عن جمرِ الغضا نادِباتُهُ … كأنّ فؤادى فى حُلوقِ النَّوادبِ

بكتْ أدمعا بِيضًا ودمَّتْ جِباهَها … فتحسَبُها تَبكِى دَمًا بالحواجبِ

هوتْ هَضْبةُ المجدِ التليدِ وعُطِّلتْ … رسومُ الندى وآنقضَّ نجمُ الكواكب

ورُدَّتْ رِكابُ الخُمسين (٨) بظمئها … تكدّ الدلاءَ (٩) فى رَكايا (١٠) نواضبِ (١١)

---

(١) الرواجب جمع راجبة وهى المفاصل التى تلى الأنامل . (٢) شعاع : متفرقة .
(٣) الأجبّ : مقطوع السنام . (٤) السنام : الحدبة فى ظهر البعير . (٥) الغارب : الكاهل .
(٦) الجنائب : جمع جنوب وهى ريح تخالف الشمال . (٧) ميسان : اسم كورة واسعة بين البصرة وواسط . (٨) المخمسين : الذين ترد إبلهم خمسا ، والخمس بكسر الخاء : من أظماء الإبل وهو أن ترعى ثلاثة أيام وترد الرابع . (٩) الدلاء جمع دلو وهو معروف . (١٠) الركايا جمع ركيّة وهى حفرة يجتمع فيها الماء . (١١) نواضب : غوائر .

وَمَنْ يستبلُّ المُسنِتونَ[1] بسيبِه[2] فيَرجِعَ خُضْرًا بالسنين الأشاهبِ[3] ؟

ومولًى كشفتَ الضيمَ عنه وقد هَوى به الذلُّ فى عَمياءَ ذاتِ غَياهبِ

فلما رآك آستشعرَ النَّصْفَ وآستوتْ به رِجلُهُ فى واضحٍ متلاحبِ[4]

وفيمن يُصاغُ الشعرُ بَعدَك ناظمًا عقودَ الثناءِ حاطبًا بالمَناقبِ !

وأين أخوكَ الجودُ من كفِّ راغبٍ إذا لم تكن قَسَّامَ تلك الرغائبِ ؟

ومن ذا يعى صوتى ويمتدّ نُصرتى جهادا، ووُدّى من وشيجِ[5] المَناسبِ[6] ؟

برغمىَ أنْ هبَّ النيامُ وأننى دعوتُك وجهَ الصبحِ غيرَ مُجاوِبِ

وأن لا تُرَى مُستعرِضا حاجَ رُفقةٍ ولا سائلًا : من أين مقْدَمُ راكبِ ؟

وكنتُ إذا ما الدهرُ شلَّ مَعاطنى دعوتُك فاستنقذتَ منه سَلائبى

ذخيرةُ أنسى يومَ يوحشُنى أخى وبابى اذا سُدّتْ علىَّ مَذاهبى

وكم من أخٍ بَرٍّ وإن أنا لم أجِدْ كأنْتَ أخًا فى أُسرتى والأجانبِ

سَرَى الموتُ من أوطانه فى مآلفى ونقَّبَ من أخلافِه[7] عن حبائبى

عجبتُ لهذى الأرضِ كيف تلُمُّنا لتَصدَعنَا ، والأرضُ أمُّ العجائبِ

نطارِدُ عن أرواحنا برماحنا ونَطرَبُ من أيامنا للحرائبِ

وتَسحَرنا الدنيا بشَبعةِ طاعمٍ هى السُّقَمُ المُرْدِى، ونَهلةِ شاربِ

أُحدّثُ نفسى خاليًا[8] بخلودها فأين أبى الأدنَى وأين أقاربى ؟

ولا كنتُ إلا واحدا من عشيرةٍ ولا باقيا فى الناسِ إلا آبن ذاهبِ

---

(١) المسنتون : المجدبون . (٢) السيب : العطاء والعرف . (٣) الأشاهب : يقال سنة شهباء أى لا خضرة فيها أو لا مطر . (٤) يريد بقوله متلاحب : واضح وهو من باب التوكيد لقوله "واضح" قبلها . (٥) الوشيج : اشتباك القرابة . (٦) المناسب : القرابات . (٧) الأخلاف جمع خَلْف وهو البقية من الناس ، وفى الأصل "أخلاقه" . (٨) فى الاصل : "حاليا" .

فهل أنا أَجْبَى من مَقَاوِلِ[1] "حِمْـيَر" — وأمنعُ ظَهرا من مُشـيَّد "مَارِبِ"[2] ؟

وهل أخَذتْ عهدَ "السموءلِ" لى يدٌ — من الموت أو عندى حَنيَّةُ[3] "حاجبِ" ؟

أردّ شـفارا عن نحورِ صحابةٍ — كأنّى دَفّاعٌ لهـا عن ترائبى

ولا عِلمَ لى من أىّ شِـقٍّ مَصرَعى — وفى أيّمـا أرضٍ يُخَطُّ لجانبى

إذا كان سهمُ الموتِ لابدّ واقعـا — فياليتنى المرمىُّ من قَبـلِ صاحبى

وياليتَ مقبورا "بكوفان" شاهدٌ — جوایَ ، وإن كانت شهادةَ غائبِ

وليتَ بِساطَ الأرض بينى وبينـه — طوته على الأعضادِ أيدى الركائبِ

فَعُجْتُ عليـه واقفـا فمسلِّمـا — وإن هُوَ لم يَفقهْ حديثَ المُخـاطِبِ

وليتَ طريفَ الودّ بينى وبينـه — وإن طابَ يومًا — لم يكن من مَكاسبى

سـلامٌ على الأفراح بعـدَك إنهـا — وإن عشتُ — ليست إربةً من مَآربى

إذا دنّس الحـزنَ السلوُّ غسلتُـهُ — فعاد جـديدا بالدموعِ السواكبِ

وإن أحدثَتْ عندى يدُ الدهرِ نعمةً — ذكرتُك فيها فاغتدتْ من مَصائبى

أدارِى عيـونَ الشـامتين تجـلُّدا — وأبسِمُ منهـم فى الوجوهِ القواطبِ

أُرِيهـم بأنى ثابتُ الريش ناهضٌ — وتحت جَناحى جانفـاتُ المخـالبِ

سَـقَتكَ بمعتادِ الدموع مُرِشَّـةٌ — أفاويقُ[4] لم تُخْـدِجِ[5] بلَمعـةِ خالبِ

يلوث خطـافُ البرقِ فى جَنَباتِهـا — بهامِ الهضابِ السودِ حُمرَ العصائبِ

لهـا فوق مَتنِ الأرضِ — وهى رفيقةٌ — بما صافحت — وَخْدُ القرومِ المصاعب

٣٥

---

(١) المقاول جمع مِقول وهو الملك من حِميَر . (٢) مارب : يريد "مأرب" كمنزل : موضع باليمن ، وقيـل اسم قصر بها . (٣) يريد حاجب بن زرارة حين وفد على كسرى وأرهنه قوسه ضمانا له بوفاء العرب . (٤) الأفاويق : ما اجتمع فى السحاب من ماء فهو يمطر ساعة بعد ساعة . (٥) لم تخدج أى لم يقلّ مطارها .

تَرَى كلَّ تُربٍ كان يَعتاضُ لِينَـا لهـا، وغلامًا كلَّ أشمطَ شـائبِ[1]

إذا عُمِّمتْ جَلْحاءُ[2] أرضٍ بوبلهـا غدتْ روضــةً وفراءَ ذاتَ ذوائبِ

وإن كان بحـرٌ فى ضريحك غانيـا بجُمّاتهِ عن قاطراتِ السـحائبِ

قال وكتب بها إلى الصّاحبِ أبى القاسمِ بنِ عبـدِ الرّحيم رحمهُ الله، يهنئه بمقدَمِه من واسطٍ، ويَستبشرُ به، ويَذكُرُ خلاصَه من النَّبْوَةِ التى لحقتْه بها، وذلك فى صفر سنة أربع عشرة وأربعمائة

تزِلُّ الليـالى مرّةً وتصــيبُ ويعــزُبُ حِـلمُ الدهرِ ثمّ يثوبُ

وتَسـتلقِحُ الآمالُ بَعــدَ حِيالهـا[3] أوانًا ويَنـأَى الحظُّ ثم يؤوبُ

ولولا قُفولُ الشمس بعــد أُفولِها هوتْ مَعَها الأرواحُ حين تغيبُ

تَنَظَّرْ وإن ضاقتْ بصدرٍ رِحابُهُ فُروجَ صَـلاحٍ ذَرعُهنّ رحيبُ

فما كُلُّ عينٍ خالجتْـك مريضــةٌ وخطفةِ برقٍ خالسـتْك خَلوبُ

قَضَتْ ظُلُماتُ البُعدِ فيك قَضاءَها فصُبْحًا[4]، فهذا الفجرُ منك قريبُ

بدَتْ أوجُه الأيّام غُرًّا ضواحكا وكنّ وفى آستبشارِهنّ قُطوبُ

وطارحْننى عُذرَ البرىءِ وربمـا سَــبقنَ وفى أعذارهنّ ذُنوبُ

أرى كَبِدى قد أَثلجتْ فى ضلوعها وكانت على جمــرِ الفــراقِ تذوبُ

وراحت إليها بعدَ طُولِ آلتياحها صَـبًا قَرّةٌ تَنــدَى لهـا وتطيبُ

سَرَى الفضلُ من مَيسانَ يُشرِقُ بعدما أطال دُجَى ‹‹الزّوراءِ›› منه غروبُ

(١) يريد بقوله ‹‹وغلاما كل أشمط شائب›› أن الأرض ترعرعت واخضرت وعاد اليها لينها بعد يبسها وأن كل شائب عاد غلاما مترعرعا مما حلّ به من الخصب الذى أعاد للارض لينها وللشائب نضرته بما عاد عليه من ترف العيش ورفاهته. (٢) الجلحاء: الأرض التى لا نبات فيها. (٣) الحيال: عدم حمل الناقة. (٤) يريد فانتظر صبحا.

وهبّت رياح الجودِ بُشرَى بقربِهِ لها سالفٌ[1] من نشرِها وجنوبُ
وما خلتُ أن البدرَ يطلُعُ مُصعِدا ولا أنّ ريحَ المكرماتِ جَنوبُ
تزاحمتِ الأيّامُ قبــلَ لقــائه بجنيٍّ من ذَنب الفــراقِ تتوبُ
وتُقسِمُ لى أيْمــانَ صدقٍ بأنْ غدًا تراه، وبعضُ المُقسِــمين كذوبُ
وقد زادنى شكرا — لحُسْنِ وفائها بمــا وَعدَتْ — أنَّ الوفاءَ غريبُ
كفَى البين، أنى لِنْتُ تحتَ عِراكِهِ وخُرتُ وعُودى فى الخطوبِ صليبُ
وقاربتُ من خَطوِى رِضًا بقضائِهِ ولى بين أحداثِ الزمانِ وُثوبُ
حَملتُ وُسوقَ البُعــدِ فوق أضالعٍ من الثِّقْلِ عَضّاتٌ بهــا ونُدوبُ
أَخُبُّ حِــذارَ الشــامتينَ تجــلُّدا بهنّ وما تحتَ الخَبــالِ[2] نَجيبُ
فإن تُعقِبِ الأيّامُ حُسْنَى تسوءُها فللصـــبرِ أُخرَى حُــلوةٌ وعَقيبُ
سَمَتْ أعينٌ مغضوضةٌ، وتراجعتْ الى أُنسِهــا بعـــد النفورِ قُلوبُ
وعادت تسرّ الرائدينَ خميــلةٌ تَعاورَها بَعدَ "الحسَين" جُدوبُ
فماءُ الندَى عَذبُ اللِّصابِ[3] مُرَقْرَقٌ وغصنُ المُنَى وَحْفُ[4] النباتِ رطيبُ
ســيُلقِى عصاهُ وادعًا كلُّ خابطٍ على الرزقِ يطوِى أرضَــه ويجوبُ
وهل ينفُضُ الجوَّ العريضَ لنُجعةٍ أريبٌ، وواديه أعمُّ خصــيبُ؟
أقــولُ لآمالى وهنّ رواقدٌ: خذى أهبةَ اليقظانِ، حانَ هُبوبُ



إذا الصاحبُ استقبلتِ غرّةَ وجهِهِ بدا قمــرٌ وافٍ وماسَ قضيبُ
ولم تَفْتِحى الأجفانَ عن طَرْفِ لافتٍ الى نائبــاتِ الدهرِ حين تَنوبُ
سلامٌ! وحيّا اللهُ والمجــدُ سُــنَّةً لهــا فى دُجُنّاتِ الظــلامِ ثُقوبُ

---

(١) السالف: السابق. (٢) الخبال: الكَلّ. (٣) اللصاب جمع لِصْب وهو مضيق الوادى. (٤) الوحف: الكثير الملتف.

وزادَت عَلاءً فى الزمان وبَسْطَةً يَدٌ تُضرِمُ الأنواءُ(١) وهى حَـلُوب
لآثارِهـا فى كلِّ شهباءَ(٢) روضـةٌ وفى كلِّ عَميـاءِ المِيـاهِ(٣) قليبُ
حمى مجـدَهُ واقى الحمـائل سيفُهُ غيورٌ اذا ما المجـدُ ضِيمَ غَضوبُ
له كلَّ يَومٍ نهضةٌ دون عِرضِـهِ اذا نام حُبـا للبقاءِ حَسيبُ
قليلةُ أُنسِ الجفنِ بالغُمْضِ عينُـهُ وللعـارِ مَسرًى نحـوه ودبيبُ
إذا سال وادى اللُّؤمِ حَلَّتْ بيوتُهُ بأرعنَ(٤) لا ترقَى إليـه عيُـوبُ
وقامَ بأمرِ المُلك يَحسِـمُ داءَهُ بصـيرٌ بأدواءِ الزمانِ طبيبُ
له مَـدَدٌ من سـيفِهِ ولسانِهِ قؤولٌ إذا ضاقَ المَجـالُ ضَروبُ
إذا يَبِستْ أقلامُــهُ أو تصامتتْ فصارمُهُ رَطْبُ اللسانِ خَطيبُ
يُرَى كلَّ يومٍ لا بسًا دَمَ قارِنٍ(٥) له جَسَـدٌ فـوق الترابِ سَليبُ
ولم أرَ مثلَ السيف عُريانَ كاسيًا ولا أمردَ الخـدَّين وهْو خضيبُ
وقد جرَّبوه عاطِـلًا ومقـلَّدا وقادوه يَعْصى حبـلَهُ ويُجيبُ
فما وَجَدُوا مَعْ طُولِ ما اجتهدوا له فتًى عنــه فى جُلَّى تنوبُ ينوبُ
فعادوا فعـاذوا ناهضين بعـاجزٍ(٦) حضورُهُــمُ ما أخَّروه مَغيبُ
أمينٌ على ما ضـيَّعوا من حقوقه سليمٌ، وودّ الغـادرين مَشوبُ
من البيضِ، إلا أن يُحلِّ وجوهَهُم ـإذا هُجِروا خَلْفَ الترابِ ـ شُحوبُ
صِباحٌ، نجومُ العزِّ فوق جِباههم طوالِعُ غُــرٌّ، والنجـومُ تغيبُ

---

(١) الأنواء جمع نوء وهو المطر . (٢) يريد بالشهباء : السنة المجدبة . (٣) يريد بعمياء المياه : المفازة التى لا ماء فيها . (٤) الأرعن : الجبل . (٥) القارن : الذى معه سيف ونبل أو رمح وجّعبة . (٦) العاجز : السابق ، مأخوذ من قولهم : عاجزه فعجَزه فهو عاجزٌ بمعنى سابقه فسبقه فهو سابق .

عصائبُ تيجانِ الملوكِ سِماتُهم ... ويومُهُمُ تحتَ الرِّماحِ عَصيبُ

إذا حِيزَ بيتُ الفخرِ حلَّق منهمُ ... عليه شَبابٌ طيِّبونَ وشِيبُ

لهم كلُّ مقرورٍ عن الحلمِ، ظَنُّهُ ... يقينٌ، وهافِي[1] عزمتيه لبيبُ

تَغيضُ أكفُّ الواجدين وكفُّهُ ... على العُدْمِ تَهمِي مرّةً وتصوبُ

تكادُ من الإشراقِ[2] جِلدةُ خدِّهِ ... تَغَصُّ بماءِ البِشرِ وهْو مَهيبُ

يقيكَ الردَى غُمْرٌ[3] يُجاريك في النَّدَى ... فيعقلُ عِيٌّ رُشْدَهُ ولُغوبُ

إذا قمتَ في النادي بريئًا من الخنا ... تلقّتَ من جنبيه وهْو مريبُ

تَتبَّعَ يقفو الخيرَ منك بشرِّهِ ... خِداعًا، كما قَصَّ المَشمَّةَ ذِيبُ

تنبَّهَ مشروفًا بغلطةِ دهرِهِ ... وبِنتَ بمجدٍ أنتَ فيه نسيبُ

وقد يُنهِضُ الحظُّ الفتى وهْو عاجزٌ ... لحاجاتِه حتى يقالَ: نجيبُ

أنا الحافظُ الذوّادُ عنك وبيننا ... وَشائعُ[4] من بُسْطِ الفلا وسهوبُ[5]

شَهَرْتُ لسانًا في ودادك، جُرحُهُ ... إذا حزَّ في جلدِ النفاقِ رَغيبُ

لك الجمّةُ الوطفاءُ[6] من ماءِ غَربِهِ ... وعند العِدَا حَرٌّ له ولهيبُ

يَسرُّك مكتوبًا وشخصُك نازحٌ ... ويرضيك مسموعًا وأنتَ قريبُ

وكيف تروْني قاعدًا عن فريضةٍ ... قيامي بها حقٌّ لكم ووُجوبُ

وفيكم نما غُصني وطالت أراكتي ... وغودرَ عيشي الرثُّ وهو قشيبُ

شَوَى[7] كلُّ سهمٍ طاحَ لي في سواكُمُ ... ولي شُعبةٌ من رأيكم ونصيبُ

ولي بَعْدُ فيكم ذَروةٌ ستنالُها ... يدي، ومُنًى في قولها ستُصيبُ

---

(١) الهافى: الزّالّ. (٢) فى الأصل: "الأشواق". (٣) الغمر: الجاهل.

(٤) الوشائع جمع وشيعة وهى الطريقة فى البُرْد. (٥) سهوب جمع سهب وهو ناحية الفلاة التى لا مسلك فيها. (٦) الوطفاء: السحابة الدائمة السَّحّ. (٧) الشوى: الأطراف، ويقال شواه فأشواه أى أصاب شواه ولم يصب مقتله ثم استُعمل فى كل من أخطأ غرضًا.

متى تذكروا حـقّ أبتْ بوفائكم وظَهْرُ العـلى العاصِى علىّ رَكوبُ
طَرِبتُ وقد جاء البشــيرُ بقربكم وذوالشوق عندآسم الحبيبِ طَروبُ
وقمتُ إليــه راشــفًا من ترابِهِ ثرًى لك يحـلو رشـفُهُ ويطيبُ
فـلا كانَ يا شمسَ الزمانِ وبَدْرَهُ لسعدِك من بعـدِ الطلوعِ مَغيبُ
ولا زلتَ مطلوبًا تفوتُ، ومُدرِكًا أواخرَ ما تبـــغِى وأنتَ طَلوبُ
كأنك من حَبِّ القلوبِ مصوَّرٌ فأنتَ إلى كلِّ النفوسِ حبيبُ

(٢٧) وقال يفخَر

أُعْجِبَتْ بى بين نادى قَومِهـا "أمُّ سعدٍ" فمضَتْ تسألُ بى
سرَّهـا ما علِمتْ من خُلُقى فأرادتْ عِلمَهـا ما حَسَــبى
لا تخـالى نَسَــبا يخفِضُنى أنا مَن يُرضيكِ عنـد النسبِ
قَوْمِىَ آستولَوْا على الدهرِ فتًى ومَشَــوْا فوق رءوسِ الحِقَبِ
عمَّموا بالشــمسِ هاماتِهُـــمُ وبنَــوْا أبياتَهـمْ بالشهُبِ
وأَبِى "كِسرَى" على إيوانه، أين فى النـاس أبٌ مثلُ أبى ؟
سَـوْرةُ الملكِ القُـدامَى وعَلَى شَرَفِ الإســلامِ لِى والأدبِ
قد قبَستُ المجدَ من خيرِ أبٍ وقبَستُ الدينَ من خــيرِ نبى
وضَممتُ الفخرَ من أطـرافِهِ سوددَ الفرسِ ودينَ العــربِ

وقال يمدح مؤيّد الملك سيِّدَ الوزراء أبا علىٍّ، وأنشدها فى المِهرَجان الواقع فى رجب سنة أربع عشرة وأربعمائة

أَجِدَّك[1] بعدَ أن ضَمَّ "الكثيبُ"[2] هــل الأطلالُ إن سُئلتْ تُجيبُ ؟

وهل عَهدُ "اللِّوى" "بزَرودَ"[3] يُطفِي أُوامَك[4] ؟ إنه عهــدٌ قــريبُ !

أعِـدْ نظـرًا فـلا خنساءَ جارٌ ولا "ذو الأثل"[5] منك ولا "الجَنوبُ"

إذا وطَنٌ عن الأحباب عَزَّى فلا دارٌ "بنجــدَ" ولا حبيب

يمـانيَــةٌ ، تلوذُ "بذى رُعينٍ"[6] قبائلُهـا المنيعــةُ والشــعوب

حمتهـا أن أزورَ[7] نوًى شَـطُونٌ[8] براكبها ، وراحـةٌ شَـبوبُ

مُلَملَمَـةٌ تضـيقُ العينُ عنهـا إذا شرِقتْ بجُمَّتها الشُّــهوبُ

ومُعجَـلةٌ عن الإلجـام قُبٌّ[9] أعنَّتُهـا الى الفــزع السبيبُ

وإنك "بالعـراقِ" وذكرَ حىٍّ على "صَنعاءَ" لَتَحْــلُمُ الكذوبُ

لعـلّ البانَ مطلولًا "بنجــد" ووجهَ البدرِ عن "هندٍ" ينوبُ

ألا يا صاحـبيَّ تطلَّعـا لى "أُشَىٍّ"[10] هل اكتسى الأيكُ السليبُ ؟

وهل فى "الشَّرب" من سُقْيا فإنى أرى فى "الشِّعبِ"[11] أفئدةً تلوبُ

أكفكفُ بالحِمى نزَواتِ عينى وقد غَصَّتْ بأدمعهـا الغُـروبُ[12]

وأحــلُمُ والمطـايا يقتضـيها دُوَينَ حنينها الحـادِى الطَّروبُ

فَمَنْ يَجهـلْ به أو يَطْغَ شـوقٌ فشــوقى لا أبا لكما لبيبُ

وبِيـضٍ راعهنّ بيـاضُ رأسى فكلُّ محبّبٍ مــنّى مَعيبُ

(١) أجِدَّك معناه : أجِدًّا منك ، أو أبجِدٌّ هذا منك . (٢) الكثيب : اسم موضع بالبحرين . (٣) اللوى وزرود : موضعان . (٤) الأوام : حَرُّ العطش . (٥) ذو الأثل والجنوب : موضعان . (٦) ذو رعين : ملك من ملوك اليمن . (٧) فى الأصل : "أز" فرجحنا كلمة "أزور" . (٨) الشطون : البعيدة . (٩) القُب : جمع قَبَّاء وهى الفرس الدقيقة الخصر . (١٠) أشىّ : اسم واد . (١١) الشَّربُ والشِّعب : موضعان ، وتلوب : تحوم على الماء . (١٢) الغروب جمع غَرْب وهو مُقدِمُ العين ومُؤخِرُها .

عَددنَ ـ مذ ٱلتثمتُ به ـ ذُنوبى وقبلَ الشَّيبِ أُحْبِطتِ الذنوبُ

يُجِدُّ المرءُ لِبستَهُ ويُبلِى وآخِرُ لِبسةِ الرأسِ المَشيبُ

وكنتُ إذا عتبتُ على الليالى وفى وجهى لها لونٌ نسيبُ

أطاعَ شبابُها حِفظًا شَبابى فجاءت من إساءتها تُنيبُ

فما بالى أرى الأيّامَ تُنحِى علىَّ مع المشيبِ وهنّ شِيبُ

عَذيرِى من سَحيلِ الودّ[1]، تحوِى حقيبةَ رحلهِ مَرَسٌ[2] تَخيبُ[3]

وَفَى لِى وهو مَحصُوصٌ[4] وأضحى غداةَ ٱرتاش وهو علىَّ ذِيبُ

ومحسودٍ علىَّ تضيقُ عنِّى خلائقُهُ وجانبُهُ رَحيبُ

لَطِيتُ[5] له فغُرَّ بلينِ مسِّى وربَّ كمينةٍ ولها دبيبُ

تَوَقَّ عِضاضَ مختمرٍ[6] أُخيفَتْ جوانبُهُ وفى فيه نُيوبُ

فإن الصِّلَّ يُحذَرُ مستميتًا وتحتَ قُبوعِهِ أبدًا وُثوبُ

ولا تُثْلِمْ ودادَك لى بغَدرٍ فقد يتثلَّم النسبُ القريبُ

أنلنى بعضَ ما يُرضِى فلو ما غضِبتُ حَمانِىَ الأنفُ الغَضوبُ

ومَنْ هذا يردّ عِنانَ طِرْفِى اليك، إنِ ٱستمرّ بِىَ الرُّكوبُ؟

ستَرمِى عنكَ بى إبلى بعيدا وتنتظرُ الإيابَ فلا أؤوبُ



وربَّتما أتاكَ بنشرِ صيتى وواسعِ حالِىَ النبأُ العجيبُ

أُخوَّفُ بالخيانةِ من زمانى وقد مَرَنَتْ على القتَبِ النُّدوبُ

وما وادعتُهُ منذ ٱحتربنا على سِلْمٍ، فتوحشَنى الحروبُ!

---

(١) السحيل : الخيط غير المفتول ويراد به الضعيف . (٢) المرس : الحبال واحدها مَرَسَةٌ .
(٣) أى تخيب من يتعلق بها . (٤) المحصوص : الذى لا ريش له . (٥) لطيت له : من لَطِىَ بالارض : لصق بها ، كناية عن الخضوع . (٦) المختمر : لابس الخمار .

وكيف يُريبني منه بيومٍ زمانٌ كلّه يومٌ مريبُ؟
وإنى مذ غدت همى سيوفا لأَعلَمُ أنّنى أبدا ضَريبُ
وما جنتِ الذى يجنيه قلبى على جسمى العُداةُ ولا الخُطوبُ
لئن أبصرتنى رَثّا مَعاشِى أُطوِّفُ حولَ حظّى أو أجوبُ
فَتحتَ خَصاصتى نفسٌ عَزوفٌ (١) وحَشوَ مَعاوِزِى (٢) كَرَمٌ قَشيبُ
سلى بيدى الطُّروسَ وعن لسانى فَوارِكَ (٣) لا يلامسها خَطيبُ
لها وطنُ المقيم بكلّ سمعٍ تمرّ به، وسائرُها غريبُ
بوالغُ فى مَدَى العلياءِ لو ما أعانَ رُكودَها يوما هُبوبُ
لئن خَفّتْ على قومٍ ودقّتْ فما يُدعَى بها منهم مُجيبُ
ونَفّرها رِجالٌ لم يُروَّحْ على أفهامهم منها عَزيبُ (٤)
فعند "مؤيِّدِ المُلكِ" اطمأنّتْ وضمّ شَعاعَها المرعَى الخصيبُ
فكم حقّ به وَجَدَ انتصافا وظَنٌّ فى نداهُ لا يخيبُ
وواسعة الذراعِ (٥)، يَغُرّ فيها عيونَ العيسِ رقّاصٌ خَلوبُ (٦)
اذا استافَ (٧) الدليلُ بنا ثراها أرابَ شميمَه التُّربُ الغريبُ
تُخفِّضُنا وتَرفَعُنا ضَلالًا كما خَبّتْ براكبِها الجَنوبُ
اذا غَنّتْ لنا الأرواحُ فيها تطاربتِ العمائمُ والجيوبُ
عمائمُ زانها الإخلاقُ لِيثَتْ على سُنَنٍ وَضاءَتُها الشُّحوبُ
قطَعناها اليك على يقينٍ بأنّ الحظّ رائدُه اللُّغوبُ

---

(١) عزوف : زاهدة . (٢) مَعاوز جمع مِعوز وهو الثوب الخلَق الذى يُبتذل لأنه لباس المعوزين . (٣) الفوارك : النواشز من أزواجهن ، ويشير الشاعر بذلك الى استعصاء قصائده على كل خطيب . (٤) فى الأصل : "غريب" وهو تحريف وقد مر تفسير العزيب . (٥) يريد "بواسعة الذراع" : الصحراء . (٦) يريد "بالرقّاص الخلوب" : السراب . (٧) استاف : شمّ .

تَرَى[١] ما لا تَرَى الأبصارُ منها ... كأنَّ عيونَها فيها قلوبُ
الى ملكٍ مخضَّــرةٍ رُباهُ ... جَمادُ الرزقِ من يدهِ يذوبُ
يَغيضُ بنا ويمْلُحُ كلُّ ماءٍ ... وماءُ بنانهِ عِــدٌّ[٢] شَــروبُ
تناهتْ عنه أقدامُ الأعادى ... كأنّ رُواقَه الغابُ الأشيبُ[٣]
اذا ركب السريرَ عَــلا فأوْفَى ... عــلى مَرْباتِهِ[٤] أقْنَى[٥] رَقـوبُ
يعــولُ الأرضَ ما كسبَتْ يَدَاهُ ... وما كلُّ آبنِ مَرْقَبَةٍ كسوبُ
متينُ قُــوَى العزيمــةِ ألمعِيٌّ ... اذا ما آرتابَ بالفـكرِ الأريبُ
يريه أمسِ ما فى اليــومِ رأىٌ ... تُمِــلُّ على شهادته الغيوبُ
بِذِبِّك مِن وراء المـلكِ قامت ... دعائم منــه وآلتامتْ شُعوبُ
حملتَ له بقلبــك ما تركتَ الـ ... ـجبالَ به تُفاخرها القلوبُ
تَضَرَّمُ فِتْنَــةٌ وتضــيقُ حالٌ ... وصــدرك فيهما ثَلِجٌ رحيبُ
وكم أشْــفَى[٦] به داءٌ عُضالٌ ... وصــنعُ اللهِ فيــك له طبيبُ
طلعتَ على البــلاد، وكلُّ شمس ... تضيء قد آستبدَّ بها الغــروبُ
وقد قَنِط الثرى وخوتْ أصولُ الـ ... ـعضاهِ وصَوَّحَ العُشْبُ الرطيبُ
ونارُ الجَــورِ عاليــةٌ تَلظَّى ... وداءُ العجــزِ منتشِرٌ دَبوبُ
فكننتَ الروضَ تُجليــه[٧] النُّعامَى[٨] ... وماءَ المزنِ منهمرا يصــوبُ

---

(١) فاعل "ترى" ضمير يعود الى العيس فى قوله السابق
* عيونَ العيس رقَّاص خلوبُ *

(٢) العدّ : الماء الجارى الذى لا ينقطع . (٣) الأشيب : الشجر الملتفّ . (٤) المربأة : المرقبة وسُهّلت الهمزة للضرورة . (٥) الأقنى : الذى آرتفع وسط قصبة أنفه مع ضيق المنخرين وهو من صفات المدح فى البازى والصقر . (٦) أشفى به : أودى به . (٧) تجليه : تجعله ذا جلية . (٨) النعامى : ريح الجنوب .

كأنك غُرّةُ الإقبالِ لاحت … بعقبِ اليأسِ، والفرجُ القريبُ
هنا[1] أُمُّ الوزارةِ أَن أتاها … على الإعقامِ منك ٱبنٌ نجيبُ
وأنك سيّد الوزراءِ معنًى … به سُمّيتَ، والألقابُ حُوبُ
ولو أتتِ السماءُ بمثلك ٱبنًا … لَمَا كانت طوالعها تغيبُ
بك ٱجتمعتْ بدائدُها، ولانت … مَعاطفُها، ومَعْجَمُها صليبُ
فلا تَجاذب الحسّادُ منها … عُرًى يَعيا بِمِرّتها[2] الجذيبُ
ولا يستروحوا نفحاتِ عَرفٍ … لها، بثيابِ غيرِك لا تَطيبُ
نصحتُ لهم لو ٱنّ النصحَ أجدَى … ولم يكن المشاورُ يستريبُ
وقلتُ: دعوا لمالكها المعالى … ففى أيديكُمُ منها غُصوبُ
خذوا جُمّاتِه[3] الأُولَى وخَلُّوا … أقاصيَ لا يخابطها ذَنوبُ[4]
فكم من شرقةٍ بالماء تُردِى … وإن كانت به تُشفَى الكروبُ
لك اليومانِ تكتُبُ أو تَشُبُّ الـ … ـوغى، وكلاهما يومٌ عصيبُ
فيومُك جالسًا قلمٌ خطيبٌ … ويومُك راكبًا سيفٌ خضيبُ
جمعتَ كفايةً بهما وفتكًا … ومجمَعُ ذينِ فى رجلٍ عجيبُ
وضيّقةِ المجالِ[5] لها وميضٌ … قطارُ سمائه العَلَقُ الصبيبُ
وقفتَ له، حسامُك مستبيحٌ … محارمَها، وعفوُك مستثيبُ
ومسودِّ اللّثاتِ[6] له لُعابٌ … يجِدُّ الخطبُ وهو به لَعوبُ
يُخالُ على الطروس شُجاعَ[7] رملٍ … اذا ما عضَّ لم يُرقَ الاسيبُ[8]

(١) هنا: أصلها هنأ وسهلت الهمزة. (٢) المرة: القوة. (٣) جمات جمع جمة وهى مجتمع ماء البئر. (٤) الذنوب: الدلو. (٥) يريد بضيقة المجال: الوغى. (٦) يريد بمسود اللثات: القلم. (٧) الشجاع: الحية أو الذكر منها. (٨) اللسيب: الملدوغ.

تَغلغـلُ منـــه فى مهج الأعادى جَوائفُ[1] جُرحُهـا أبدا رغيبُ[2]
اذا مَسلَكَ الرقابَ به ٱمترينـا مضى قـلمٌ بكفّك أم قضيبُ؟
ومضْطَهَدٍ طردتَ الدهرَ عنـه وقد فَغـرتْ لتفرسَه شَـعوبُ[3]
اذا عُصرت من الظـمأ الأَداوَى[4] على الإعيـاء أو رُكب الجنيبُ
فنِـعم مُنـاخَ ظالعـةٍ[5] وسَـقْيًا ذَراك الرحبُ أو يدُك الحلوبُ[6]
عُلًا "رُنْجِيـةٍ"[7] الأبياتِ خُطّتْ على شمـاءَ ينصفها "عسيبُ"[8]
لهـا عَمَـدٌ على صـدر الليالى وفوق أوائل الدنيـا طُنـوبُ
صفا حَلَبُ الزمان لهـا، وقامت لدعوتهـا المـالكُ تسـتجيبُ
وما مِن دولةٍ قَدُمت وعزت وإلّا ذكرُهـا بكمُ يطيبُ
ومنـــكم فى سـياستهـا رجالٌ فُحُـولٌ أو لكم فيهـا نصيبُ
كرامٌ تُسـنَد الحسـناتُ عنهم وتَزلَقُ عن صَفاتِهـــم العيوبُ
مضَـوا طَلَقًا بأعـداد المساعى وجئتَ ففتَّ ما يُحصِى الحسيبُ
قنـاةٌ، أنت عاملُهـا شروعا الى نحـــر السما وهم الكعوبُ
وخـيرُ قبيـلةٍ شرفًا مــلوكٌ لمجـــدك منهمُ عِرقٌ ضَروبُ
فلا وضَحَ النهـارُ ولستَ شمسا ولا أَزرَى بمَطلِعِـك المغيبُ
ولا برحتْ بك الدنيـا فتـاةً تَربُّ[9] كما ٱكتسى الورقَ القضيبُ

---

(١) جوائف جمع جائفة وهى طعنة تبلغ الجوف ، وفى الأصــل " خوائف " وهو تحريف .
(٢) الرغيب : الواسع . (٣) شعوب : اسم المنية . (٤) الأداوى جمع إداوة وهى إناء صغير من جلد . (٥) فى الأصل : " طالعة " . (٦) فى الأصل : " الجلوب " وهو تحريف .
(٧) رُنْجيّة : وردت هذه النسبة فى صحيفة (٤٤) سطر (١٥) عند قوله " وقال يمدح سيّد الوزراء أبا علىٍّ الرُّنجىّ " وقد أثبتناها كما وردت بالأصل و بالبحث عنها لم نجد ذكر " رُنّج " والوزن هنا يقتضى أن تكون كما وردت بالأصل . (٨) عِسيب : اسم جبل . (٩) تَرُبُّ : تَربَى وتَنمى .

اذا ما حزتهـا ٱنتفضت عِطارا[1] سـوالفُها بعـدلك والـتريبُ
ومات الدهرُ وٱنطوتِ الليـالى وملكُك لا يموتُ ولا يشيبُ
وقام المِهـرَجانُ فقـال مثـلَ الـ ـذى قلنـا وآبَ كما نؤوبُ
وعادكَ زائرا ما كرَّ ليـلٌ لسـعدك بين أنجمـه ثقُوبُ
بك ٱسـتظللتُ من أيّام دهرى ومن رَمضائهـا فـوقى لهيبُ
كفيتنِيَ السـؤالَ فـا أبالى سـواك مَن المنوعُ أو الوهوبُ
وغِرتَ على الكمال فصنتَ وجهى فليس لمـائه الطـامِى نُضوبُ
مكارمُ خضّرتْ عُودى وروّتْ ثراه وقـد تعـاوَره الجُـدوبُ
تُواصِـلنى مَثـانِىَ أو وِحادا كما يَتناصر القَطْرُ السَّكوبُ
فـا أشكو سـوى أنّى بعيـدٌ وغـيرى يومَ ناديكم قـريبُ
أفـوّقُ عزمتى شـوقا اليـكم ويَقبِضُنى الحيـاءُ فـلا أصيبُ
أصدُّ وضِمنَ دَسْـتِك لى حبيبٌ عليـه من جلالتـه رقيبُ
اذا ٱمتلأتْ لحـاظى منـك نورا نَزَا قلـبى فطـارَ به الوجيبُ[2]
يُميـلُ اليـك بِشْرُك لحظَ عينى ويَحبِسُ عنـك مجلسُك المَهيبُ
ولو أنى بُسِطتُ لكان سـعىٌ وبَلَّ بلالَه الشـوقُ الغَـلوبُ
أبِيتُ فـا أُجيبُ سواك داعٍ ولـكنّى دعاءَكُمُ أجيبُ
فإن يكن انقباضِى أمسِ ذَنْبـا فمنـذ اليـومِ أُقلِعُ أو أتوبُ
وتحضُرُ نابيـاتٌ[3] عن لسـانى فـواقرُ[4] ربُّهـا عبـدٌ منيبُ

---

(١) هكذا بالنسخة المطبوعة وفى الأصل * اذا ما أخللتنا ٱنتقضت عطارا * وهو غير متّزِنٍ ومحرّف . (٢) الوجيب : الخفقان . (٣) نابيات : شاردات . (٤) فواقر جمع فاقرة وهى التى تنقب الخرز أو الدر للنظم و يريد أن قصائده ستأتى الممدوح ثاقبة درَّ مديحه .

أوانسُ فى فى متيسِّراتٌ اذا ذُعِرتْ من الكَلِم الشُّروبُ
اذا أعيتْ على الشـعراء قِيـدتْ الىَّ وظهــرُ ريِّضهـا رَكوبُ
بقِيتُ وليس لى فيهـا ضريبٌ ولا لك فى الجزاءِ بها ضريبُ (١)
تُصاغ لهـا الحمـاسةُ من معـانى علاك، ومن محاسنِك النسيبُ
رعَيتُ بهنّ من أمَـلِى سميـنا لديك، وحاسدى غيظا يذوبُ
وهل أظمَا، وهذا الشِّـعرُ سَجْلٌ (٢) أمـــدُّ به، وراحتك القَليبُ؟

* * *

وقال يعـزِّى أبا الحسين بن رَوْح النَّهرَوانىّ عن ابنين له تُوُفِّيَا فى مدّةٍ قريبةٍ، ويتوجّع له لحرمةِ الصداقةِ بينهما

على أىّ أخلاق الزمان أعاتبُـهْ وما هـــو إلا صَرفه ونوائبُـــهْ
تفَـرَّى أديمى (٣) وهو بُتْرٌ شِـفارُهُ وجافت جروحى (٤) وهـو صمٌّ (٥) مخالبُـهْ
نُدوبٌ تُقفِّى هـذهِ عَقبَ هـذهِ وداءٌ اذا ما باخ (٦) أَوقـدَ صاحبُهْ
شغَلتُ يدى حينـا بعـدّ ذنوبِهِ وزِدن فقـد تاركتُه لا أحاسـبُهْ
طرحتُ سلاحى وآتترعتُ تمـائمى وضـاربُه يُنحِى عـلىَّ وسالبُـهْ
بِبِيضٍ من الأيام هنّ سـيوفُهُ وسودٍ من الليلاتِ هنّ عقاربُهْ
أُداجِـــهُ (٧) حتّى يرانِىَ راضـيا مِرارا، وأَعصِى مرّة فأغاضبُهْ
فلا هو إن أطريتُـه قابضٌ يدًا ولا خائفٌ عارا بمـا أنا عائبُـهْ
نصحتُك لا تُخدَعْ بسنّةِ وجهِـهِ فشاهــده حُسْنٌ تَشَـوَّهَ غائبُـهْ

---

(١) الضريب : المثيل . (٢) السجل : الدلو . (٣) تفرّى أديمى : انشق جلدى .
(٤) جافت : بلغت الجوف . (٥) صُمّ جمع أصمّ وهو الصلبُ المتين . (٦) باخ : خمد .
(٧) أداجه : أوافقه .

ولا تمهّـدْ قِعـدة فوقَ ظهـرِه   فـا هـو إلا ضيغمٌ أنت راكبُهْ
تَردّى رجالٌ قبلنـا وتقطّـرت[١]   بِهِـمْ شُهبةٌ دون المَدَى[٢] وشاهبُهْ[٣]
وصَرَّحَ عمّـا ساءهم طولُ مَحضِـهِ   خبائثَ جرّتهـا عليهـم أطايبُـهْ
حبائلُ مكتوبٌ لهـا نصرُ كيدها   من الله، لا يُمحَى الذى هو كاتبُهْ
فمن مغـلَقٍ مستعجَلٍ أو مؤخَّرٍ   مُراخيـهِ يوما لا مَحالةَ جاذبُهْ
تصاممتُ عن داعى المنونِ مغالطـا   وإنّى على طولِ السكوت مُجاوِبُهْ
وقدَّمتُ غيرى جُنَّـةً أتّقِى بهـا   ومن يوقَ من راميه لا بـدّ صائبُهْ
أخـلّاى، أيمُ اللهِ أَطلب ثأرَكم   من الدهر، لو قد أدركَ الثأرَ طالبُهْ
أفى كلّ يومٍ لى قَضيبٌ مُخالَسٌ[٤]   وذخرٌ نفيسٌ منكم الموتُ غاصبُهْ؟
وكاسٍ من العلياء والحسنِ، يعتدِى   ـ سليما على سيفى وسَوطِىَ ـ سالبُهْ
تَطيحُ به زَندِى، وجَهـدُ تحفُّظى   بميثـاقِه فى الغيب أنّىَ نادبُهْ
وكم منكمُ كالنجم رُعتُ به الدُّجَى   زمانا، خبا بعـد الإضاءةِ ثاقبُـهْ
وآخَرُ لمّـا سامَحتْنى بأصـلهِ الـ   ـمنايا ذَوتْ أغصـانُهُ وشعائبُـهْ
وأضحى بنــوه غِبطـةً وبنـاتُهُ   تُسَـلُّ بهـم أنيـابُهُ ورواجِبُـهُ
فيـنزو بلىّ شجوُهُ، وتُصـيبنى   بموضـعه من سِرّ قلبى مَصائبُـهْ
ألا يا أخى للودّ دنيًـا[٥]، وكم أخٍ   لأمّى بعيـداتٍ علىّ قرائبُـهْ
لحا الله خَطبا، شَلَّ[٦] سرحَك طردُهُ   وجمّعَ فى إلهـابِ قلبـك حاطبُـهْ
رمتْـك يدُ الأيّام عن قوسِ قارنٍ   اذا هـو والى لم تخنـه صوائبُـهْ
سقتك بكفٍّ أدهقَتْ لك ثانيـا   ولمّـا يُفِق من أوّلٍ بعدُ شاربُهْ

---

(١) تقطّرت بهم: ألقتهم. (٢) المدَى: الحوض لا تنصب حوله حجارة. (٣) الشاهب: من الخيل الذى غلب بياضه على سواده. (٤) مخالَس: مُعجَل. (٥) يقال: هو ابن أخى أو ابن عمّى دِنيا أى لحًا. (٦) شلّ: أذهب.

فقرحٌ وقرحٌ لم تـــلاحَمْ نُدُوبُهُ ... ودمعٌ ودمعٌ ما تعـــلّق ساربُهْ

وياليتــه لمّـا تثـــنّى تعلّقتْ ... مقاديرُه ، أو آستوين مَراتبُهْ

ولكنّها كفٌّ هوتْ إثر إصبـع ... وحاركُ[1] ظهـرٍ بعـدَهُ جُبَّ غاربُهْ

حَصاتان من درٍّ حَصانانِ[2] لم تَطُرْ ... يدٌ بهـما ، مادنّس الدُّرَّ ثاقبُـهْ

هما[3] بيضتا كِنٍّ بجانبِ مُلبِس[4] ... حمـاه الطروقَ تيهُـهُ وسَباسِـبُهْ[5]

حرامٌ على السارى تضيعَ على القطا ... أفاحيصُـــهُ[6] فى جـوه ومَساربُهْ

يحوطهما ما آسطاعَ وحفُّ جَناحِهِ ... شِعارُهمـا دون التراب ترائبُـــهْ

تراه يُصادى حاجبَ الشمسِ عنهما ... لو آنّ الردَى ما أحرز الشيءَ هائبُهْ

رزِئتَهما شمسيْنِ أَقسمَ فيهـما ... ظلامُ الأسَى ألّا تجَـلّى غياهبُـهْ

يعـدّون خُرْقا بالفـتى فى بنـاته ... اذا ما بكَى أو ذلّ للحزنِ جانبُهْ

وكم من كـريم عَزَّهُ نجبـاؤه ... فعـزٌّ بمـا ساقت اليـه نجائبُـهْ

وبعضُ البناتِ مَن بهـا يُنتَج العُلا ... وبعضُ بنى الإنسان فى الحىّ عائبُهْ

فإلّا تكونا صارمين لِجِـذْوتا[7] ... حُسامٍ عتيقٍ لا تُفَـلُّ مَضارِبُهْ

أخى الحِـلم لم يَملِك عليـه حياؤه ... ولا كذّبتْـهُ فى الزمان تجاربُهْ

اذا وَلَدَ آسـتَذكرنَ حزمًا إناثُهُ[8] ... كما ذُكِّرتْ أخـلاقُهُ وضرائبُـهْ

تعزَّ آبنَ "رَوحٍ" إنما الموتُ مُدلجٌ ... الى أمـدٍ فيـه النفوسُ مَراكبُهْ

ومن أخّرتْه شمسُ يومٍ فـلم يمت ... يمتْ حـــولَه أحبـابُهُ وحبائبُهْ



(١) الحارك : أعلى الكاهل وعظم مشرف من جانبيه . (٢) حصانان : عفيفتان .
(٣) فى الأصل " وما " وهو تحريف . (٤) مُلبَس : مُغَطّى ويراد به : المكان المحجوب .
(٥) سباسب جمع سبسب وهى المفازة . (٦) أفاحيص جمع أفحوص وهو الموضع تفحص عنه القطا لبيضها . (٧) فى الأصل : " بحـدوتا " وهو تحريف والجِذْوة : القطعة . (٨) فى الأصل : " أناتَهُ " وهو تحريف .

وأعجبُ من ذى خُـــبرةٍ بزمانه تنــكُّر منــه أن توالَى عجائبُــهْ
خُلِقنـا لأمرٍ أرهقتنا صـدورُهُ فيـاليت شـعرى ما تجرّ عواقبُهْ؟
غريمٌ مُلِطٌّ (١) لا يَمَــلُّ وطـالبٌ بغــير تِراتٍ (٢) لا تنـامُ مَطالبُـهْ
وقد جربتْـك الحادثاتُ فلا تكن ضعيفَ القُـوَى رِخوًا لهنّ مجاذبُهْ
وغيرُك مغـلوبٌ على حُسنِ صـبرهِ ولا خَطبَ إلا أنتَ بالصبرِ غالبُهْ
برغمىَ أن يَسرِى غِزىٌّ (٣) من الأسَى اليـك ولم تُفــلَلْ بنصرى كتائبُـهْ
وإن كان خصما لا لسانى ينوشـه ولا كلمـاتى الغاسـقاتُ تواقبُـهْ
ويا لِدفاعى عنــك إن كان صارما أصالحه أو كان ليثا أواثبُـــهْ
ومَن لى لو آنّ الحزنَ يرعَى جوانحى فدًى لك لو يرضَى بقلبِىَ ناصبُهْ
فمـا هى إلا مهجةٌ لك شـــطرُها وموهوبُ عيشٍ أنت ماعشتَ واهبُهْ
وإن كان يُطفِى حَرَّ لوعتِــك البكا عــلى أنّه جاريه لا بدّ ناضبُهْ
فدونك دمـعى سـائلا ومعلّقـا فجامـدُهُ باقٍ عليــك وذائبُـهْ
عتبتُ على دهرى فسهّلَ عذرُهُ بأنّك باقٍ كلُّ ما هـــو جالبُـــهْ
اذا ســـلِم البــدرُ التمـامُ فهيّنٌ على الليلِ أن تَهوِى صِغارا كواكبُهْ

* * *

وقال يمدح الوزير أبا القاسم الحسين بن علىّ المغربىّ رحمه الله عند تقلُّدهِ الوزارةَ، ويهنّئه بالنيروز، وأنشدها فى داره بباب الشعير فى سنة أربع عشرة وأربعمائة

هل عند عينيك على "غُرّبٍ" غرامـــةٌ بالعـارض الخُلّبِ (٤)؟
نَعَمْ! دمـــوعٌ يكتسِى تربُهُ منهـا قميصَ البـلدِ المعشِبِ

(١) الملطّ: جاحد الحق. (٢) التراتُ جمع تِرَة: وهى الذَّحْل. (٣) الغزىّ: الغازى وفى الأصل "عزىّ" وهو تحريف. (٤) العارض: السحاب، والخلّب: الذى يُرعِد ويُبرِق ولا مطر فيه، وفى الأصل "المخلب" يقال: ماءٌ مُخلِبٌ أى ذو خُلْب وهو الطين، وهذا لا يتفق والمعنى.

سارِبةٌ[1]، تَركبُ أردافَها معلَّقاتٌ بعدُ لم تَسرُبِ
ترضَى بهِنّ الدارُ سَقْيًا وإن قال لها نوءُ السِّماكِ : آغضبي
علامـةُ أنّى لم أنتكِثْ مَرائرَ[2] العهدِ ولم أقضِبِ
يا سائقَ الأظعانِ لا صاغرًا عُجْ عَوجَةً ثمّ آستقمْ وآذهبِ
دعِ المطايا تلتفتْ، إنها تلوبُ من جفنى على مَشربِ
لا والذى إنْ شاء لم أعتذرْ فى حبّه من حيث لم أذنبِ
ما حَدَرتْ ريحُ الصَّبا بعدَه لثامَها عن نَفَسٍ طيّبِ
ولا حلا البذلُ ولا المنعُ لى مذ هُوَ لم يَرضَ ولم يَغضبِ
كم لى على "البيضاء" من دعوةٍ لولا آصطخابُ الحَلْيِ لم تُحجَبِ
وحاجةٍ لولا بُقَيّاتُها فى النفس لم أطرَبْ ولم أرغَبِ
يا ماطلى بالدَّينِ ما ساءنى إليك ترديدُ المواعيدِ بى
إن كنتَ تقضى ثمّ لا نلتقى فدمْ على المطلِ وعِدْ وآكذبِ
سال دمى يومَ الحمَى من يدٍ لولا دمُ العشاقِ لم تُخضَبِ
نبلُ رماةِ الحىّ مطرورةٌ[3] أرفَقُ بى من أعينِ الربربِ
يا عاذلى قد جاءك الحزمُ بى أقادُ فاركبْنِىَ أو فاجنُبِ
قد سدّ شيبى تُغَرِى فى الهوى فكيف قَضَّى أثَرَ المَهْرَبِ
أفلحَ إلا قانصٌ غادةً مدّ بحبلِ الشَّعَرِ الأشيبِ
ما لبناتِ العَشرِ والعَشرِ فى جِدّ بنى الخمسين من مَلعبِ
شِيَاتُ أفراسِ الهوى كلُّها تُحمَدُ فيهنّ سوى الأشهبِ

---

(١) سارِبة : جارية وفى الأصل "سارية" وهو تحريف ويتعين ذلك لقوله : لم تسرب .

(٢) مرائر جمع مريرة وهى طاقة الحبل . (٣) مطرورة : محدودة .

(٣٢)

أمَا تَرَيْنِى ضـاوياً عارياً ... من وَرَقِ الملتحِف المُخْصِبِ ؟
مُحتجِـزا أندبُ مِن أمسِىَ الـ ... ـماضى أخًا ماتَ ولم يُعقِب
فـلم يُثَـلِّمْ ظُبَـتَىْ عامـلى(١) ... ما حَطَمَ الساحبُ من أكعُبِى
يوعـدُنى الدهرُ بغَـدراته ... فعقِعْ لغـير الليثِ أو هَبهِبِ
قد غَمزتْ كفُّك فى مَروَتى(٢) ... فتحتَ أىَّ الغمزِ لم أصلُبِ
أمُفـزِعى أنتَ بفَوت الغنَى؟ ... تلك يدُ الطـالى على الأجربِ
دعْ ماءَ وجهى مالنَّا حوضَه ... وكُلْ سمينا نَشَـبِى وآشربِ
إن أُغلَبِ الحـظَّ فلى عَزفةٌ(٣) ... بالنفس لم تُقْـمَرْ ولم تُغلَبِ
ذمَّ الأحاظِى(٤) طـالبٌ لم يجِـدْ ... فكيف وِجـدانى ولم أَطلُبِ ؟
آه عــلى المـالِ وما يُجتَـنَى ... منـهُ لو آنّ المـالَ لم يُوهَبِ
راخِ(٥) على الدنيـا اذا عاسرتْ ... وإن أتتْ مُسمِحةً فاجـذِبِ
ولا تَعسَّفْ كَدَّ أخلافِها(٦) ... فربّمـا درّت ولم تُعصَبِ
هذا أوانُ آستقبلَتْ رشدَهـا ... بوقفــةِ المعتــذِر المعتِبِ
وآرتجعتْ ماضـلَّ من حلمها ... من بين سَرحِ الذائدِ المعزَبِ
وربّمـا طالَـعَ وجـهُ المـنَى ... من شرفِ اليأسِ ولم يُحسَبِ
قل لذوِى الحـاجاتِ مطرودةً ... وآبنِ السبيل الضيِّقِ المَذهبِ :
وقاعـدٍ يأكُلُ(٧) من لحمــه ... تنَزُّهـا عن خَبَثِ المَكسَبِ :
قـد رُفعت فى "بابـلٍ" رايةٌ ... للمجـدِ من يَسلَقْ بهـا يَغلِبِ

---

(١) العامل : الزج . (٢) المروة : حجر أبيض برّاق يورى النار . (٣) العزفة : الأنصراف عن الشيء والزهد فيه . (٤) الأحاظى : الحظوظ . (٥) راخ : أى أرخِ . (٦) فى الأصل "أخلاقها" وهو تحريف ، والأخلاف جمع خِلف وهو ضرع الناقة . (٧) فى الأصل : "تأكل".

يصيحُ داعي النصر من تحتها : يا خيلَ مُحيي الحسَناتِ آركبي
جاء بها اللهُ عـــلى فَـــترةٍ بآيـــةٍ من يَرَهـا يعْجَبِ
هاجمـــةِ الإقبـالِ لم تُنْتَظَـرْ بواسـعِ الظنِّ ولم تُرقَبِ
لم تألفِ الأبصارُ من قبلهـا أن تطلُعَ الشمسُ من المَغرِبِ
رِدوا فقـــد زاركم البحــرُ لم يُخَض له الهـولُ ولم يُركَـبِ
يشِفُّ للأعيـــن عن دُرِّه الـ ثمينِ صـافى مائه الأعذبِ
فارتبِعوا بعـــدَ مِطالِ الحَيـا وروِّضوا بعـدَ الثرى المُجدِبِ
قد عادَ فى "طيء" ندَى "حاتمٍ"(١) وقامَ "كَعْبٌ" سيّدُ الأكعبِ
وعاش فى "غالبَ" "عَمرُو العُلا"(٢) يَهشِمُ فى عامهـم المُـلزِبِ(٣)
وآرتجعتْ "قَحطانُ" ما بَزَّها من ذى الكَلاعِ(٤) الدهرُ أو حَوشَبِ
وردَّ بيتٌ فى بنى "دارِمٍ"(٥) "زُرارةً"(٦) من حـولِه مُحتبِى
كلُّ كريمٍ أو فتًى كاملٍ وفاعـــلٍ أو قائـلٍ مُعـربِ
فاليومَ شَكُّ السمع قد زال فى أخبـاره بالمَنظَـرِ الأقـــربِ
الى الوزيرِ آعـــترقَتْ نَيَّها(٧) كلُّ أمـونٍ(٨) وَعرةِ المَجـذبِ
تُعطِى الخِشاشاتِ(٩) لَيـانا على أنفٍ لها غضبانَ مستصعَبِ
مجنـونةُ الحِـلم وما سُفِّهتْ بالسَّـوط ، خَرقاءُ ولم تُجنَبِ

---

(١) حاتم وكعب من أجواد العرب . (٢) عمرو العلا : هاشم بن عبد مناف أبو عبد المطلب وهو أوّل من هشم الثريد لقومه . (٣) الملزب : الشديد القحط . (٤) ذو الكلاع : أحد أذواء اليمن . وسمّى بذلك لأن حِمْيَر تكلّعوا على يده أى تجمّعوا وحوشب من مخاليف اليمن . (٥) هو دارم بن مالك بن حنظلة أبو حىّ من تميم . (٦) هو زرارة بن أوفى أبو حىّ فى اليمن . (٧) اعترقت نَيَّها : أكلت شحمها ، كناية عن هزالها . (٨) الأمون : الناقة الوثيقة الخلق . (٩) الخشاشات جمع خِشاش وهو ما يدخل فى أنف الناقة أو البعير من خشب ونحوه .

بيأسُ لخلُ الشّولِ من ضربها (١)   لعزّةِ النفسِ ولم تُكتَبِ (٢)

لو وَطِئتْ شَــوكَ القنا نابتاً   فى طُرُقِ العليـاءِ لم تُنقَبِ (٣)

يَخطُّ فى الأرض لها مَنسِمٌ   دامٍ متى يُمـلِ السُّرَى يَكتُبِ

كأنّ حاذَيهـا (٤) على قاردٍ (٥)   أحمشَ (٦) مسنونِ القَـرا (٧) أحقبِ (٨)

طامَنَ فى الرمل له قانصٌ   أعجفُ (٩) لم يُحمِضْ (١٠) ولم يُرطِبِ (١١)

ذو وَفضــةٍ (١٢) يَشهدُ إخلاقُها   بأنها عامينِ لم تُنكَبِ

مهــما تَخَـــلَّلهُ بُنيّــاتُها (١٣)   من "وَدَجٍ" أو "وَرِكٍ" (١٤) يُعطَبِ

فــرَّ لم يَعطِف على "عانةٍ" (١٥)   ذُعْرًا ولم يَرأمْ على "تَولَبِ" (١٦)

به خُـــدوشٌ يتعجّلْنـــهُ   قدائمٌ من لاحقِ الأكلبِ (١٧)

بأىّ حِسٍّ ريعَ خِيلتْ له   رنّةُ قــوسٍ أو شَـبا مِخلبِ

يَذرعُ أدراجَ الفيــافى بها   كلُّ غريبِ الهمِّ والمطلبِ

يرمى بها ليـــلُ جُمـادَى الى   يومٍ من الجوزاءِ معصوصِبِ (١٨)

فى عَرْضِ غبراءَ رِيَاحِيّـــةٍ   عجماءَ لم تُسمَرَ ولم تُنسَبِ

---

(١) الضرب : السِّــفاد . (٢) لم تُكتب : لم تقيَّد ولم يُختَم حَياؤها حتى لا يُنزَى عليها . (٣) لم تنقب : لم تصب بالنَّقَب وهى القُرَح . (٤) الحاذان : ما وقع عليه الذنب من أدبار الفخذين . (٥) القارد : المتجعّد الشعر . (٦) الأحمش : دقيق الساقين . (٧) القرا : الظهر . (٨) الأحقب : الحمار الوحشىّ . (٩) الأعجف : النحيل المهزول . (١٠) لم يحمِض : لم يصادف حَمضا . (١١) لم يرطب : لم يصادف رطبا . (١٢) الوفضة : خريطة الراعى لزاده وأداته . (١٣) بُنيّات الطريق : الطرق الصغار تنشعب من الجادّة . (١٤) ودج وورك : اسما موضعين . (١٥) العانة : اسم موضع ولغــةً القطيع من حُمُر الوحش . (١٦) التولب : اسم موضع ولغةً ولد الأتان من الوحش . (١٧) الأكلب جمع كلب . (١٨) معصوصب : عصيب .

(٣٣)

يُشكِلُ مشهورُ الركايا[١] بها ... على مصانيف القَطَا اللُّغَّبِ[٢]

حتى أُنيخت وصدوعُ السُّرَى ... بالنومِ فى الأجفانِ لم تُشعَبِ

وشَمْلَةُ[٣] الظلماءِ مكفورةٌ[٤] ... تحت رِداء القمرِ المُذْهَبِ

الى ظليلِ البيت رَطْبِ الثرى ... عالى الأثافى حافِلِ المَحْلِبِ

مخضب الجفنةِ ضخمِ القِرى ... اذا يدُ الجازرِ لم تُخضَبِ

تُرفَع بالمَندَلِ نيرانُهُ ... اذا إماءُ الحىِّ لم تَحطِبِ

له مجاويفُ عماقٌ اذا ... ما القِدر لم تُوسع ولم تُرحِبِ

كلّ رَبوضٍ[٥] عنقُها بارزٌ ... مثلُ سَنام الجَملِ الأنصبِ

تُعجِلها زحمةُ ضِيفانِهِ ... أن تتأنّى[٦] حظبَ المُلهِبِ

أبلج فى كلّ دجى شُبهةٍ ... لو سار فيها النجمُ لم تُثقَبِ

مُوَقَّر النادى ضحوك الندَى ... يلقاك بالمُرغِب والمُرهِب

تلحظهُ الأبصارُ شَزْرا وإن ... أكثرَ من أهلٍ ومن مَرحَبِ

مُرٌّ، وإن أجدَتك أخلاقُهُ ... شمائلَ الصهباءِ لم تقطِبِ

يحطُّ عنه الناسُ من فضلهم ... منحدَرَ الرِّدف عن المنكبِ

أتعبَهُ تغليسُهُ[٧] فى العلا، ... مَن طَلبَ الراحةَ فليتعَبِ

من معشرٍ لم يهتبِلْ[٨] عزُّهم ... بغلَطِ الحظّ ولم يُجلَبِ

ولا علا ابنٌ منهمُ طالعا ... من شَرَفٍ إلا وراءَ الأبِ

---

(١) الركايا جمع رَكِيّة وهى الحفرة يجتمع فيها الماء . (٢) اللغب جمع لاغب وهو المعيى، وفى الأصل " اللعب" . (٣) الشملة الكساء دون القطيفة . (٤) مكفورة : مستورة .
(٥) الربوض : الضخمة، والأنصب : المرتفع الصدر . (٦) تتأنى : تنتظر، وفى الأصل " تتأبى" وهو تحريف . (٧) التغليس : السير فى الغلس . (٨) يهتبل : يغتنم .

تسلَّقوا المجـدَ وداسوا العـلا وطُـرْقُها يهـماءُ[1] لم تُلحَبِ[2]

ووافقـوا الأيّام فاسـتنزلوا أبطالهـا فى مِقنَبٍ مِقنبِ[3]

قـومٌ إذا أَخلَف عامُ الحيـا لم تخـترِلهم حَـيْرة المَسْغبِ

أو بسَـطَ اللهُ ربيعـا لهم لم يَبطَـروا فى سَعةِ المَخْصَبِ

سَمَـوْا وأصبحتَ سمـاءً لهم يطلُعُ منهـا شَرَف المَنْسَبِ

زدتَ وما انحطُّوا ولكنّها إضاءةُ البـدرِ على الكوكبِ

خُلقتَ فى الدنيـا بلا مُشبِهٍ أغربَ من عَنقائها المُغْـرِبِ

لا يَجلِسُ الحـلمُ ولا يركَبُ الـ ـخوفُ ولم تجلس ولم تركَبِ

إن جَنحَ الأعداء للسَّـلم أو تلاوذوا منك الى مَهـربِ

كتبتَ لو قلتَ ، فقال العدا : أعزلُ لم يَطعَنْ ولم يضربِ

أو ركبوا البغىَ الى غارةٍ طعنتَ، حتى قيل : لم يكتُبِ

فأنت ملءُ العينِ والقلب ما تشاءُ فى الدَّستِ وفى الموكبِ

وربَّ طاوٍ غُـلّةً بائتٍ من جانب الشرّ على مَرقَبِ

ينظرُ من أيامـه دولةً بقـلمِ الأقـدارِ لم تُكتَبِ

راعتـه من كيدك تحت الدجى دبَّابةٌ أدهَى من العقـربِ

فقام عنهـا باذلا بُسْـلَةَ[4] الـ ـرَّاق ولم يُرْقَ ولم يُلسَبِ

بك اشـتفى الفضـلُ وأبناؤه بعـد عُمـوم السَّقَمِ المُنصِبِ

والتقم الملكُ هُدَى نهجـهِ وكان يمشى مِشية الأنكبِ

وزارةٌ قلَّبَهـا شـوقُها منك الى حُوَّلِها القُلَّبِ[5]

(١) اليهماء : الفلاة لا يُهتدَى فيها . (٢) لم تلحب : لم تُسلك . (٣) المقنب : زهاء ثلاثمائة من الخيل . (٤) البسلة . أجرة الراق . (٥) الحوّل القلّب : البصير بالامور .

جاءتك لم تُوسِع لها مُرغِبا وليّها المَهـرَ ولم تَخطُبِ
كم أجهضتْ قبلَك مِن عَدّهم لها شهورَ الحاملِ المُقرِبِ (١)
وولدتْ وهي كأنْ لم تلِد أمٌّ اذا ما هي لم تُنجِبِ
قُمتَ بمعناها وكم جالِسٍ تكفيه منها سِمةُ المَنصِبِ
وهي التي إن لم يُقَدْ رأسُها بمحصداتِ الصبر لم تُصحِبِ (٢)
مَزلَقةٌ، راكبُ سِيسائِها (٣) راكبُ ظهرِ الأسَدِ الأغلبِ
راحتْ على عِطفِك أثوابُها طاهرةَ المَرفَعِ والمَسحَبِ
فتحتَ في مُبهَمِ تدبيرِها تَنفُّسَ البُلْجَةِ في الغيهبِ
وآرتجعتْ منك رِجالاتِها كلَّ مطيلٍ في الندى مُرغِبِ
رُدَّ بنو "يحيى" و"سهلٍ" لها "والطاهريُّون" بنو "مُصعبِ"
فأضرب عليها بيتَ ثاوٍ بها قبلك لم يُعمَدْ ولم يُطْنَبِ (٤)
وآستخدم الأقدارَ في ضبطها وآستشرِ الإقبالَ وآستصحِبِ
وآمدُدْ على الدنيا وجَهْلاتِها ظِلالَ حِلمٍ لك لم يَعزُبِ
وآطلُع على النَّيروزِ شمسا اذا ساقَ الغروبُ الشمسَ لم تغرُبِ
تفضُلُ ما كرَّ سِنِي عُمرِهِ بملء كفِّ الحاسبِ المطنِبِ
يومٌ من الفُرسِ أتى وافدا فقالت العُربُ له : قرِّبِ
بات من الإحسان في دارِكم ـــ وهو غريبٌ ـــ غيرَ مستغرَبِ
لو شاء من ينسِب لم يَعزُهُ لغيركم عيدا ولم يَنسِبِ
وآسمع لمغلوب على حظّه لو أنك الناصرُ لم يُغلَبِ

(١) المقربُ التي قَرُبَ وِلادها . (٢) لم تصحب : لم تُنقد ولم تذلّ (٣) السيساء : منتظم فقار الظهر . (٤) لم يعمد ولم يطنب : لم يكن له عمد ولا أطناب .

مُوَحَّدٍ لم يشكُ من دهره وأهلِه إلا الى مُذنِبِ

أقصاه عند الناس إدلاؤه من فضله بالنسب الأقرب

لو قيض إنصافُك قِدما له عَزَّ فلم يُقْصَ ولم يُقْصَبِ (١)

عندك من برِّى لماعةٌ سابقةٌ تَشهدُ للغُيَّبِ

منثورُها ذاك ، ومنظومُها هذا ، كلا الدرين لم يُثقَبِ

ما زلتُ أرجوك ومن آيتى أنَّ رجائى فيك لم يَكذِبِ

لم يبقَ لى بعدَك عتبٌ على حظٍّ ولا فقرٌ الى مَطلَبِ

فاغرِسْ وتوِّهْ منعما واصطنع تَرضَ مضاءَ الصارمِ المُقضِبِ

وغِر على رِقِّيَ من خاملٍ لملكِ مثلٍ غيرِ مستوجِبِ

كم أحمدتْ قَبلَك عُنْقٍ يدٌ لكنّها سامتْ ولم تَضرِب

ولَدنةِ الأعطافِ لم تُعتَسفْ بالكَليمِ المُرِّ ولم تُتعَبِ

من الحِلالِ العفوِ لم تُستَلَبْ (٢) بغارةِ الشعرِ ولم تُنهَبِ

دمُ الكرى المهراقِ فيها على سامعِها إن هو لم يطرَبِ

جاءك معناها وألفاظُها فى الحسنِ بالأسهلِ والأصعبِ

أفصحُ ما قيلَ ولكنَّها فصاحةٌ تُهدَى الى "يَعرُبِ"

* * *

وقال فى بعض الأغراض وقد سُئلَه

ضمانةٌ يَصدُق وعدُ الضنا فيها ، جناها الطَمَعُ الكاذبُ

عاد بها اليومُ جديدَ الهوى وقد تولَّى أمسُها الذاهبُ

أيّة نارٍ قَدَحتْ فى الحشا عينُ مَهاةٍ زَندُها ثاقبُ ؟

(١) لم يقصب : لم يُقطع . (٢) فى الأصل "الجلال" وهو تحريف .

وأىُّ ثغـــرٍ ولَمّى صادنى؟ نابـــلُ قلبى بهـــما الصائبُ
حُبًّا له من بَرَدٍ جامـــدٍ يقطُـــرُ منـــه ضَرَبٌ(١) ذائبُ
اللهَ يا "خنساء" فى مهجةٍ أنتِ بهـا الثـائرُ والطالبُ
إن كنتِ حرّمتِ وصالى فمن أين دمى حلٌّ لكم واجب
سلى سهامَ الشوقِ عن أضلعى إن صدَقتْ عينُكِ والحاجبُ
مَنْ مُوقِدُ النـارِ وقد أُخمِدتْ على فـــؤادى ومَن الحـاطبُ ؟

* * *

وقال وكتب بها الى الأستاذ أبى المعالى هِبَة الله بن عبد الرحيم فى النيروز الواقع فى سنة خمس عشرة وأربعمائة

يا دارُ لا أَنهَـــجَ(٢) القشيبُ منـــكِ ولا صَوَّحَ الرطيبُ
ولا أخلّتْ بكِ الغـــوادى تَشْعَبُ ما يَصدعُ الجُدوبُ
من كلِّ مخـــروقة العَـــزَالِى(٣) تغلِبُ أخياطَها الثُّقـــوبُ
تعجَبُ منهـا رباكِ حـــتّى يضحكَ فيها الوجهُ القَطوبُ
وكانـــ عِطْرا كما عهِـدنا مَشْىُ الصَّـــبا فيـكِ والهبوبُ
فـــربَّ ليلٍ ثراكِ فيـــه — بين نُحورِ العشاقِ — طِيبُ
عُجْنـــا وليـــلُ المطىِّ ليـــلٌ . بَعْـــدُ وصوتُ الحادى صليبُ
وما نَقضناهُ مِنـــ طريقٍ مِن حيثُ رحنا عنـــه قريبُ
فقـــال صَحبى : أضـــلَّ هادٍ أم خُدِعَ الحـــازمُ الأريبُ ؟
ليس أوانُـــ التعريسِ هذا قلتُ : هو الشوق لا اللُّغوبُ

---

(١) الضرب : الشهد . (٢) أنهج : بَلِىَ . (٣) العزالى جمع عزلاء وهى مصبّ الماء من الراوية ونحوها .

يا من رأى "باللّوى" بُرَيقًا	تقدحُ نيرانَهُ الجَنوبُ
كَلَا وَلَا[1] ، بينما تراهُ	يطلُعُ أبصرتَهُ يغيبُ
كأنَّ ما لاح منه وَهْنًا	على شبابِ الدجى مَشيبُ
حدَّثني "بالغضا" حديثا	سَرَّ، على أنه خَلوبُ
يقول : هيفاءُ لم يُحِلْها	عن عهدكِ الناقلُ الكذوبُ
جفونُها بعدكم حُنُوًّا	ماءٌ وأحشاؤها لهيبُ
فارض، فمِن قلبها خُفوقٌ	أعدَى ومن طرفِها أصوبُ
لا وليالٍ على "المُصَلَّى"[2]	تُسرَق في نُسكها الذنوبُ
وما رأى "الخَيْفُ"[3] من هَناتٍ	يغفرها المالكُ الوهوبُ
وخَلَواتٍ "بأمّ سعدٍ"	ما بعدها لذّةٌ تطيبُ
لولا لماها لما شفاني	"بزمزمٍ" ما سقَى القليبُ
ما ذا على مُحرِمٍ "بجَمْعٍ"[4]	وسهمُهُ من دمى خضيبُ
وكيف والصَّيدُ ثَمَّ بَسْلٌ[5]	تصادُ بالأعينِ القلوبُ ؟
يا فتكَها نظرةً خِلاسا	سبَّبَ أدواءَها الطبيبُ
ذابت عليها حصاةُ قلبي	يا من رأى جمرةً[6] تذوبُ ؟
قُلْ لزماني : ما شئت فاضغط	قد دَبِرَ[7] الجابرُ الجليبُ

(١) كَلَا ولا أى كقولك " لا لا " ويراد بها أن هذا البُرَيق فى سرعته يطلع ويغيب كمقدار قول " لا لا " وهى لا تستعمل عادة إلا فى كلّ ما ينمّ على السرعة كقول مهيار فى غير هذا المكان .

كيف رأيت الإبلَا * خواطفًا كَلَا وَلَا

(٢) المصلَّى : اسم موضع . (٣) الخَيْف : اسم موضع . (٤) جَمْع : اسم موضع من مناسك الحج . (٥) بسل : حرام . (٦) كذا بالأصل وفى منتخبات البارودى "صخرة" .

(٧) دبِرَ : أصابته الدبرة وهى قرحة فى ظهر البعير .

أصبتَني بالخطـــوبِ حـــتَّى لم تُبـــقِ لى مَقتَـــلا تُصيبُ
فى كلِّ يومٍ جورٌ غريبٌ عنـــدى عليه صَـبرٌ غريبُ
حتى لقـــد صـار لا عجيبـا منــك الذى كلُّه عجيبُ
ولائمٍ فى عُزوفِ نفْسى قلتُ له : أنتَ والخطـــوبُ ؟
عساكـ ـ خُبْرا بالناس ـ مثلى إن رُدَّ من حِلمك العـــزيبُ
فَـبِى قِـــلَى مَنْ تُراكَ تَلْحَى منهـم؟ وفى تَرْكِ مَنْ تَعيبُ ؟
اللهُ لى ـ إن طَرَحْتُ عِرضى أُكلةَ آمالهـــم ـ حسيبُ
قد كنتُ أبكى وهـــم فُروقٌ شَتَّى وأشكو وهـــم ضُروبُ
فاليـــوم سوَّتهـــم المَساوى عنـــدى وعمَّتهم العيـــوبُ
فمـا أرى منهُـــمُ بريئـا يَخشَى آفتضاحا به المُـــريبُ
بلى ! قد آستثنتِ المعالى بيتًـا لهـا فخـــرُهُ نسيبُ
بيتًا ، شموسُ الضحَى عمـادٌ له ، وشهبُ الدجَى طُنـــوبُ
الحَسبُ[1] العِـــدُّ[2] من بنيـــه كلُّ نجيبٍ نَمَى نجيبُ
من آل "عبـــدِ الرحيم" مُرْدٌ حولَ رواقِ العُـــلا وشِيبُ
تشـابهوا سُـــودَدًا فأعطَى شاهدُهم فضـــلَ مَن يغيبُ
كلُّ مُحَيَّـا الجبينِ طَلْقٍ لم يَعتسِفْ بِشرَه القُطـــوبُ
راضون أن يُشبِعوا ويَضْوَوا[3] والعـامُ مستحنفِزٌ[4] غَصـــوبُ
تَرْوَى عِطاشُ الآمالِ فيهـــم وهْىَ عـــلَى غـــيرهم تَلوبُ
لهـــم أفاويقُـــها إذا ما أَصرَمَ ثَدْىُ الحَيَـا الحَـــلوبُ

---

(١) فى الأصل : أيحسب . (٢) العِدّ : القديم . (٣) يضووا : يهزلوا ، وفى الأصل : "يضربوا" . (٤) مستحنفز : ماضٍ مسرعا .

دوحةُ مجـدٍ، أبو المعـالى غصنُ جناها الغضُّ الرطيبُ
كان فتـاها والرأىُ كهلٌ وطفـلَها والحجـا لبيبُ
ليثُ حِمـاها والدارُ حربٌ وفى السـلامِ الظبىُ الربيبُ
لا فرحـةٌ تسـتقلّ منـه حِلمـا ولا توبةٌ تنـوبُ
تغمـزُ فيـه أيدى الليـالى والنَّبـعُ مسـتعصمٌ صَليبُ
إذا كساه الغِـنَى قميـصا فهو بأيدى النـدَى سليبُ
وكلُّ سـعيٍ له كسوبٍ تغـرَمُه كفُّه الوهـوبُ
يحمى حِمـاه بنافـذاتٍ خُدوشُها فى العِـدا نُدوبُ
لا يبلغُ السَّبرُ(1)، ما يُفـرِّى(2) — مُعمَّقا — جُرحُها الرغيبُ
يبعثُها مفصِـحا لسانٌ ماضٍ إذا لجلَجَ الخطيبُ
إذا فُـروجُ الكلامِ ضاقتْ تمَّ بهـا باعُـهُ الرحيبُ
لا مَحقتْ بدرَك الدآدِى(3) ولا محا شمسَـك الغـروبُ
ورجّـع الدهرُ مستقيـلا إليـكَ من ذنبِه يتـوبُ
يُقسِمُ لا شِيمَ وهـو سيفٌ بعـدُ ولا شَمَّ وهـو ذيبُ
وعاد ظـلُّ الدنيا عليكم يُورِقُ أو يُثمِـرُ القضيبُ
حظُّكُمُ صـفوُها وحظُّ الـ ـأعداءِ منهـا المُـرُّ المشوبُ
ما كرَّ عَـوْدًا شبابُ ليـلٍ يَردُفُـهُ من ضُحًى مَشـيبُ

(١) السـبر : امتحان غَوْر الجـرح ومعرفة مقـداره . (٢) ما يفرّى : ما يُشَـقّ .

(٣) الدآدئ : ثلاث ليال من آخر الشهر قبـل ليالى المحاق أو هنّ ثلاث ليال فى آخر الشهر يُدأدِئُ القمر فيها الى الغروب أى يُسرِعُ وقد سُهِّلت همزتها ، كقول الراجز

أبدى لنا غرّة وجه بادى * كزُهْرَة النجوم فى الدآدى

وواحدتها : دَأْدَاء وفى الحديث "أنه نهى عن صوم الدأداء" وهى يوم الشك .

وزار يومُ النـــيروز عامَ الـ ـخِصب كما زارك الحبيبُ
تُهدَى لكم من ثَناىَ عُونٌ[1] كلُّ آبنِ سمعٍ لها طروبُ
قواطنٌ فيـــكُمُ وتُمسِى تجولُ فى الأرض أو تجـــوبُ
فى كلِّ يومٍ تغشـاكَ منهـا حبيبـــةٌ ما لهـا رقيبُ
كذاك لا غائبى خبيثٌ لكم ولا شاهـــدى مريبُ
قـــلبى صحيـــحٌ لكم وودّى ما مرِضَ الودُّ والقـــلوبُ
أجبتكم قبـــلَ أن دعـوتم فكيف أدعَى فلا أُجيبُ

+ + +

وقال وكتب بها الى الرئيس سعد الملك أبى الحسين بن حاجب النُّعمان فى شوّال من ســنة سبع عشرة وأربعمائة ، ويذكُرُ قديمَ الرياسـةِ فى بيته ، وآجتذابَه إيّاه ، وآقتراحَه مديحَهُ، وَتواصَلَ الخطابُ على ذلك

لعلّها — واليأسُ منها أغلبُ — إن نأتِ اليـــومَ غدًا تَستقربُ
حاجةُ صـــدرٍ لك لا ملفوظةٌ ولا تَســوغُ حُلوةً فتُشـــرَبُ
أضحَكُ من مواعِدِ الدهرِ بها ممّـا يجىءُ باطـــلا ويذهبُ
ودونها — أن ينتهِى بحاجُها — ذو صِبغتينِ دينُـــه التقلُّبُ
فى كلّ يومٍ مُرسَـــلٌ مغـالِطٌ لى عنـــده ، وشافِـعٌ محبَّبُ
وحلفـــةٌ كاذبةٌ وفى فمى شكيمةٌ[2] مِن أن أقولَ : تكذبُ
مُلَّ فلا الحصاةُ من فـــؤاده تلينُ لى ولا اللسانُ يرطُبُ
اللهَ ياهيـــفاءُ لى فى زمنٍ نعيمُهُ بعـــدكُمُ معـــذَّبُ

---

(١) العُونُ جمع عَوانٍ وهى النَّصَفُ فى سنِّها من كل شىء ويريد بها قصائده . (٢) الشكيمة : الحديدة المعترضة فى فم الفرس .

وكبدٍ يصدَعُها كلُّ أسًى ... بها الكبودُ القرِحاتُ تُشعَبُ
لا سلوةُ البعدِ المُريحِ عِصمةٌ ... منكِ ولا الهمّ المُراح يعزُبُ (١)
وكلّما أطمعَ فيكِ سببٌ ... آمُلُهُ أيأسَ منكِ سببُ
يعيشُ قلبي وهو عيشٌ مؤلمٌ ... ثم يموتُ وهو موتٌ طيّبُ
نَفْسَكَ يا مُعطي الهوى قِيادَه ، ... إنك في خَيط الهوانِ تُجنَبُ
وإن هَوِيتَ فأنتصرْ بغَدرةٍ ... عن ثقةٍ أنّ الوفاءَ العطبُ
قالت على "البيضاء" أختُ عامرٍ: ... أسفرَ في فَودَيك ذاك الغيهبُ
ومن بلاياكِ وإن عبتِ به ... شبابُ حُبّي وعِذاري الأشيبُ
غدرُكِ والحسونَ ، أيّ روضةٍ ... قشيبةٍ بينهما لا تُجدِبُ (٢) ؟
وما الذي أنكرتِهِ من ليلةٍ ... يطلُعُ فيها قمرٌ أو كوكبُ ؟
ما نَصَلَتْ إلا بماءِ مقلتي ... فليتها بماءِ قلبي تُخضَبُ
وعاذلٍ لا سُقِيَتْ غُلّتُهُ ... "بالغور" ما يُروى ولا ما يَعذُبُ
يزعمُ أن كلّ دارٍ "رامةٌ" ... وأنّ كلّ ذاتِ حِجلٍ (٣) "زينبُ"
حلفتُ يومَ ينحرُ الناسُ بها ... ساجدةً أذقانُها والركبُ
يُعطَى المُنَى منها الذي يَستامُهُ ... طُلًى (٤) تَطيحُ وجُنوبٌ تجِبُ (٥)
مثل التلاعِ (٦) بازِلًا (٧) وحِقّةً (٨) ... قامَ عليهنّ الربيعُ المخصِبُ
والمُشرفاتِ من "مِنًى" كأنّها ... على ظُهورِ الهَضَباتِ حَدَبُ
وبالمُلبّينَ سعَوا فنفضُوا ... ذنوبَهم وجمّروا وحصبوا



(١) في الأصل " المزاح يغرب " وهو تحريف . (٢) في الأصل " تجذب " وهو تحريف .
(٣) الحجل : الخلخال . (٤) الطلى : الأعناق . (٥) تجب : تسقط . (٦) التلاع جمع تلعة وهي ما ارتفع من الأرض . (٧) البازل : الجمل المسن . (٨) الحقة : الناقة الداخلة في الرابعة من عمرها .

وماحَوَى ـ وأىُّ فضلٍ ماحوى ـ	ذاك العتيــقُ البــارزُ المحجَّبُ
لو نُسبَ المجــدُ لَمَا كان الى	غير بنى "عبدِ العزيزِ" يُنسَبُ
مِن أرضِهم طينتُـــهُ وفيهِـــمُ	رواقُـــهُ و بيتُــهُ المطنَّبُ
أقسمَ : لا فارقَهم، وأقســموا	ما دام خُلْدًا مِن "أبانَ" مَنكِبُ
حىٌّ على رغم البـــدورِ غُرَرًا	تَقــدحُ فى فَحم الدجى فتثقُبُ
وردْ نفـــوسا حُرّةً وأيديا	تُحيلُ فى المحلِ عليهـا السُّحُبُ
تبادروا الجودَ فلاطوا[1] حوضَهُ،	لهم ليـالى وِردِه والقَــرَبُ
وآنتظموا سوددَهم نظْـــمَ القنا	لكن صدورٌ ليس فيها أكعبُ
داسُوا بأعقابِهمُ هامَ العـــلا	وآقتعَــدوا ظهورَهـا وآعتقَبوا
شُمّ الأنوفِ والسيوفِ، قَصُرَتْ	دروعُهم، وهى سِباغٌ تُسحَبُ
يَمشُونَ رَجْلَى[2] فيُخالُ أنهـم	من شَـارةٍ[3] ومن شَطاطٍ[4] رَكِبوا
توارثوا الملكَ فـــلا خلافــةٌ	إلا لهــم سريرُها والمــوكبُ
ومنهُـــمُ فى حربهـا وسـلمها	رمحٌ يَخُطُّ ولسانٌ يخطبُ
حُلِيُّ كلِّ دولةٍ عاطـلةٍ	وبِشْرُ كلِّ نعـــمةٍ تُقَطِّبُ
إذا الخطوبُ حُسِمتْ بخَـدعةٍ	أو رَدعةٍ لانوا لهـا وصَــعُبوا
إن كتبوا، قلتَ : آصطلاما[5] طعنوا	أو طعنوا ، قلتَ : بلاغًا كتبوا
ترى الجبالَ فى الحُبَى إن جَلَسوا	والأسدَ هِيجَ شَرُّها إن وَثبــوا
لهــم قُدامَى الفخرِ، ما تنقُــلُه	لك الرواةُ وتريك الكتبُ
وخيرُ ما آستطرفْتَــهُ حديثُهــم	إذا الكرامُ زانهـــم ما أعقبــوا

---

(١) لاطوا : طيَّنوا . (٢) رَجْلَى : على أرجلهم . (٣) من شارة : من حسن وزينة .
(٤) ومن شطاط : من طولٍ وحسنِ قوام . (٥) آصطلاما : آستئصالا .

وَولَدوا "أبا الحسين" فرأى الـ ـمجدُ به كيف نَمَوْا وأنجبوا
برزتَ فى عِقْدِهِمُ واسطةً لها من الأبصار ما يُستلَبُ
بيضاءَ مما أبغضَ الغوّاصُ فى الـ ـفحص عليها أنفُسًا تُحتَسَبُ
ومَطَلَتهم دونها أُمنيَّةٌ روّاغةٌ وحِقَبٌ وحِقَبُ
حتى قضى الصبرُ لهم قَضاءَهُ واستحيتِ الأيَّام مما نَصَبوا
فاستخرجوها تملأ الراحةَ والـ ـعينَ، فقالوا : دُرَّةٌ أم كوكبُ ؟
وشَرُفتْ فلُقِّبتْ فخرَ العلا لو لم يقعْ دون سناها اللقبُ
وكيف لا تطلُع بدرا فيهمُ؟ والشمسُ جدٌّ لك والنجمُ أبُ
ألقَى الكمالُ طائعا عِنانَهُ اليك يُرخى تارة ويَجذِبُ
وأقعصَ[1] الأقرانَ عنك قلمٌ ممرَّنٌ وخاطرٌ مدرَّبُ
وقمتَ قُرحانًا[2] فتيًّا بالعلا قُيِّدَ عنك القارحُ[3] المجرَّبُ
وَرِثتَ فضلا لو قنِعتَ لكفَى لكن أبيتَ غيرَ ما تكتسِبُ
كالليث لا تحلو له فريسةٌ لا ينتقِى[4] فيها ولا يُخَلِّبُ[5]
وكم سواك لم يحُزْ حسابُهُ أعدادَ ما تُملى عليه الحُسَّبُ
حَويتَ إعظاما وقد مثَلتَ لى رائدَ عينىَّ وقلتَ : تكذِبُ
أدُميةٌ صيغتْ أم البدرُ هَوَى وبَشَرٌ أم مَلَكٌ مُقَرَّبُ؟
معجِزةٌ جاء الزمانُ غلطا بها وآىٌ كلُّهنَّ عَجَبُ
وكرَمٌ على اللسان حاضرٌ يشِفُّ منه الكرمُ المُغيَّبُ

---

(١) أقعص : أمات . (٢) القُرحان فى الإبل : مالم يجرَبْ قطّ ، وفى الأصل "فرحانا" وهو تحريف . (٣) القارح المجرَّب : المسنّ الذى أصابه الجرب . (٤) ينتق : يطلب النِّقْىَ وهو مخ العظام . (٥) يخلّب : يُعمِلُ مخالبَه .

وراحةٌ مُطلقَــةٌ طارحَهـا الـ ـعرضُ المصونُ أن يهون النشبُ
سحرتنى ودارُ عِزّى " بابل " وقُــدتنِى وأمُّ[1] رأسى تصعُبُ
وملّكتنى لك نَشوانَ الهـــوى خلائقٌ غِنـاؤهنّ مُطـــرِبُ
ملأتَ بالبِشـــرِ وِطابَ[2] أملى وبعضُهـــم بكيئةٌ[3] لا تُحـلَبُ
حتى رَقّ الحـاوِى فأصغيتُ له وكدتُ معْ شدّةِ زُهدى أرغبُ
وقلت عاش " لزهيرٍ "[4] " هَرِمٌ "[5] وقامَ فى أهل " الزُّبيرِ " " مُصعَبُ "[6]
أرضيتنى عن الزمان بعـــد ما حرّقَ أضلاعى عليـه الغضبُ
وعاد بَرْدا وسـلاما بك لى ما توقِد الدنيـا وما تحتطِبُ
أغنيتنى قبـــلَ اللُّهـا مودّةً والودّ عنـدى خيرُ رِفدٍ يوهَبُ
وقرّبتْنى منــك أوّلَى نظــرةٍ حتى كأنّا لم نزل نصـــطحبُ
فراســةٌ أيقظك المجــدُ لهـا وفطنـــةٌ على سواك تعـــزبُ
وهمّـــةٌ إذا ركبتَ ظهـــرَها أدركتَ من أحرَى العلا ما تطلُبُ
فاسمع أُقرّطْك شُـــنوفا دُرُّهـا لغـــير آذانكُمُ لا يُثقَبُ
من المصـــوناتِ التى تَعنّسَتْ[7] خلف الخدورِ وهى بِكرٌ تُخطَبُ
تنـافسَ الملوكُ فى مُهـــورها وٱقترَعوا فى حُبّـــها وٱحتربوا[8]
عنـدهُم الرغبـــةُ والودّ لهـا وعنــــدها المـــلالُ والتجنّبُ

(١) أمّ الرأس : الدماغ أو الجلدة الرقيقة التى عليه . (٢) الوطاب جمع وطْب وهو السّقاء . (٣) البكيئة : الناقة أو الشاة قلّ لبنها . (٤) زهير بن أبى سلمى الشاعر . (٥) هرم بن سنان من أجواد العرب وقد اختصه زهير بمدائحه . (٦) الزبير بن العوام رضى الله عنه حوارىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته صفية بنت عبد المطلب ومصعب ابنه . (٧) تعنّست : صارت عانسا وهى التى طال مكثها بعد إدراكها ولم تتزوّج قط حتى خرجت من عداد الأبكار . (٨) احتربوا : أوقدوا نار الحرب .

وزادها نزاهةً وورَعًا ... منّى أبٌ على البناتِ حَدِبُ

ليس عليه للتمنّى طاعةٌ ... ولا له فى الشهواتِ أربُ

لا يمدح الناسَ ولكن مدحُكم ... يَلزَمُ فى دِينِ العلا ويجبُ

* * *

وقال وكتب بها الى الرئيس الأجلّ عميد الكفاة أبى سعد بن عبد الرحيم، يتذله ببعض المعاتبة، ويهنّئه بالمهرجان الواقع فى السنة المذكورة

نأتْ والأمانِى بها تقرُبُ ... ومَلّتْ وأحسَبها تعتِبُ

ومال بها الغدرُ غدرُ الطبا ... عِ عنّىَ والكاشحُ المُجلِبُ

وغيرانُ يُذعِره آسمى بكم ... ويؤنسه حولَه المِقنبُ

يكون لغيرى جَناحَ البعو ... ضِ لينا ولى قَرمُهُ[1] المصعَبُ

ومنتحِلٌ فى الهوى يدَّعِى ... مقامى وشاهدُه يكذِبُ

تبدّل بى — ساء ذاك البديلُ — ... كما بِيعَ فى الأخبثِ الأطيبُ

فيا عَجَبِى من مُريقٍ دمى ... عنادا وقلبى به معجَبُ

ومستهزئٍ ضاحكٍ من بكاى ... يجِدُّ بقلبى كما يلعبُ

أهيفاء، أىُّ هوى قد علمـ ... ـت يُقصى وأىّ أخٍ يُقضَبُ[2]؟

ولما آنطوَى العامُ نفسى تَرُ ... دُّ عنكِ وحافزُها يَطلُبُ

صددتِ كما آنصرفَتْ بالصدى[3] ... غرائبُ[4] أوجهها تُضرَبُ

أقول: غدًا، نظرا للوفاء ... وغدركُمُ من غدٍ أقربُ

وكيف اللقاءُ وقد سُدّتِ الـ ... ـمطالعُ يا ذلك الكوكبُ؟

وأين النجاءُ وما الحظُّ فيه، ... ومنكِ — وأنتِ المنَى — المهربُ؟

(١) القرم المصعب: الفحل الذى ترك فلم يُركب حتى صار صعبا. (٢) يُقضب: يُقطع.
(٣) الصدى: الظمأ. (٤) الغرائب: الإبل الغريبة التى تضرب لصرفها عن الماء.

* * *

سلِ الهاجعين على "ذى الطُّلوح"[1] وطَرفى لهم حارسٌ يرقُبُ

أشِمتُم يميناً سنا بارقٍ يشوقُ على أنه خُلَّبُ ؟

تألَّق مستنشرفا لا يُسَلُّ حتى يُرى سيفُه يُقربُ[2]

يَبينُ ويُخفِى رءوسَ الهضابِ فتنصُلُ منه كما تُخضَبُ

يَمُرُّ فيَرغُب[3] فى أضلُعى صُدوعا بَرجعتِه تُشعَبُ

وهل عنده خبرٌ إن سألتُ : ما "البانتان" وما "زينبُ" ؟

وهل ربعُ "غُرَّبَ" فى البالياتِ أم هل على عهدنا "غُرَّبُ" ؟

سقَى بالحمى الأعينَ النابلاتِ من دم أحشاىَ ما تشربُ

وحيَّا الحيا أوجها لا تَغُشُّ ، بجُينُ الجمالِ بها مُذهَبُ

وفى السانحاتِ بذاك "الرُّميل" عفراءُ تاهَ بها الربربُ

من الذاهباتِ بحَبّ القلوبِ لا تُقتَضَى رَدَّ ما تَسلُبُ

وما نُطفةٌ حصَّنتها السماءُ بأرعنَ مَرقاهُ مُستصعَبُ

مصفَّقةٌ[4] حَلَبتْ عَفوَها[5] بها المزنُ أوّلَ ما تُحلَبُ

الى أن تبقَّت لُباناتُها وكادت بما لَطُفتْ تَنضُبُ

تراوِحها وتغادى الشَّمالُ تُرقرقُ فيها وتُستعذَبُ

ولا نحلةٌ بات يَعسوبُها[6] على الحسْنِ من حذَرٍ يلسبُ

يَغارُ فيمنعها أن تُشارَ[7] ، ما منع الشائرَ المشغَبُ[8]

---

(١) ذى الطلوح : اسم موضع . (٢) يقرب : يدخل فى القراب وهو غمد السيف .

(٣) يرغب : يوسع . (٤) مصفقة : مصفاة . (٥) العفو : أول ما يحلب .

(٦) اليعسوب : ذكر النحل . (٧) أن تُشار : أن يستخرج عسلها . (٨) المشغب : المهيِّج .

تجاذبُ فيها أكفُّ الجُنا ... ةِ غِنًى[1] مثلها مثله تكسِبُ
ولا مِسكةٌ طاف عطّارُها ... "بدارينَ"[2] يَخلُ ما يَجلبُ
يبقّرُ عنها بطونَ الظِّباءِ ... من الألف واحدةٌ تُنجِبُ
فجاءت لضوعتها سَورةٌ ... تكاد العيابُ بها تُثقَبُ
بأطيبَ من فم ذات الوشاح ... سُحورا، بلى! فمُها أطيبُ
تقول العواذلُ: دعْ ذِكرها ... ففي الذِّكرِ قادحةٌ تُلهِبُ
وهَبْها كعاريةٍ تُستَرَدُّ ... لا بدَّ أو ثَلَّةٍ[3] تعزُبُ
فقلتُ: إذن كبِدي فلذةٌ ... من الصخر أو كبِدي أصلبُ
تُزَمُّ الحمولُ فلا أستكينُ ... وتشدو الحمامُ فلا أطربُ
عَذيرِيَ من زمنٍ لا يُسَرُّ ... بنعماءَ إلا بها يَنكُبُ
إذا قَسَمَ الحظَّ بين الرجال ... فحظِّيَ من شرّ ما يَنصِبُ
تعاوَى علَيَّ تصاريفُه ... تَذَاءُبُ حولي وتَستكلِبُ
فأدفعهنّ بصبري الجميلِ ... اذا ظَلَع المتنُ والمنكِبُ
سأركبُ عزمِيَ، حتى يطيرَ ... عن الضيم عنقاءُ بي مُغرِبُ[4]
وإلا فعند "عميدِ الكفا ... ةِ" حِمًى مانعٌ وذَرًى مُعشِبُ
ورائعةٌ من أماني العُفا ... ةِ لا هِيَ تظمَى ولا تَسغَبُ
لها ما يُوَسِّعُ من ذَرعِها ... بِساطَ الرجاء وما يُرحِبُ
كريمٌ، وشائجُ[5] أعراقِه ... إلى العِيصِ[6] من مجده تَضرِبُ

(١) في الأصل "غنى" وهو تحريف. (٢) دارين: بلدة مشهورة بالطيب. (٣) الثلة: جماعة الغنم أو الكثيرة منها. (٤) يقال: عَنقاءُ مُغرِبٌ وعنقاء مُغرِبةٌ والعنقاءُ المغربُ وعنقاءُ مُغرِبٍ وهو طائر معروف الاسم لا الجسم وفي المثل "حلّقتْ به عَنقاءُ مُغرِبٌ". (٥) الوشائج جمع واشجة وهي الرحم المشتبكة. (٦) العيص: هو من أولاد أمية بن عبد شمس الأكبر.

توسَّعَ فى نسبٍ، كالهــلال إلى الشمس، أعرقَ ما يُنسَبُ
بُنـاةُ العـلا آلُ "عبـدِ الرحيـ ـم" يُعـرَفُ بابنِهِمُ ما الأبُ
ميامينُ، أنديةُ المكرماتِ لهـم تُجتبَى[1] وبهـم تُعصَبُ
إذا ذَكَروا العـارَ لم يأمنوا وإن ركبوا السيفَ لم يَرهَبوا
وجـوهٌ ميسَّـرةٌ للنـجا حِ باسمـةٌ والـثرى يَقطُبُ
وأيـدٍ تخفُّ إلى الأعطياتِ إذا حُسِبَ الفقـرُ لا تُحسَبُ
تراحُ عِشـارُهُمُ[2] للشـفارِ فتُعبَطُ[3] من قبـلِ تُستحلَبُ
ولولا القرَى ورشادُ الضيـو فِ[4] لم يغدُ عبدٌ لهـم يَحطِبُ
مضَوا تضمنُ المجـدَ أحداثُهم وذكرهُـمُ خالدٌ طيِّبُ
وقام "أبو سـعدهم" ذائدا[5] بمـيراثه وبمـا يكسِبُ
فقـام بمـا عُدَّ من سِـنِّه وشَـيخٌ وأحلامهم تعـزُبُ
كفته بديهـةُ حِـدْثانه قـديمَ الرجالِ وما جرَّبوا
وغلَّس حـتى انتهى واحـدا، له المجلسُ : الصـدرُ والموكبُ
كثيرُ الغَنـاءِ قليـلُ العناءِ فـما يسـتريح وما يتعَبُ
وما يَغـمِزُ الخطبُ فى عُودِه إذا انقلب الزمنُ القُلَّبُ
أبىٌّ جوادٌ، فيـومَ الخصـام يَحُجُّ، ويومَ النـدى يَغلبُ
يَرى النفسَ تلك التى لا تُذَ لُّ والمـالَ ذاك الذى يُوهَبُ
أصـاخ بكم لِىَ حـظِّى الأصـ ـمُّ واعتذر الزمنُ المذنبُ

(١) تجتبى : تصطفى، وفى الأصل "تجنى" وهو تحريف. (٢) العشار : النوق.
(٣) فتعبط : فتنحر. (٤) يريد : لولا ما يوقدونه للقرى من النار التى يُرشَد بها الضيوفُ الى أحيائهم ما احتطب لهم عبد. (٥) فى الأصل : "زايدا" وهو تحريف.

وذللتمُ لِي ظهورَ الرجا ... ءِ ما شئتُ أركبُ أو أجنُبُ
وكنتم مآلى ومالى فلسـ ... ـتُ أرهبُ شيئا ولا أرغبُ
وردَّ الودادُ إليكم قِيا ... دَ قلبي فما عنكمُ مَذهبُ
وحلأْتُ[1] عن حوض شعرى الملو ... كَ وهو لكم مُغدِقٌ مُعذَبُ
صوارمُه دونكم تُنتضَى ... وأذيالُه حولكم تُسحَبُ
أحنُّ لكم حَنّةَ العاشقين ... فأمدحكم مثلَ ما أنسِبُ
على مللٍ فيكمُ لا تزال ... بجنبي قوارفُه تَنْدُبُ
متى آتِ لم أكُ مستكرَها ... وأنأى فما أنا مستقرَبُ
وكم ماطرٍ فيهمُ بالوفاءِ ... إذا رمتُ أنصافَه[2] يحلِبُ
يُدير كئوسَ الهوى بيننا ... فيسقِى الغرامَ ولا يشرَبُ
ومن حاسدٍ لِيَ، أرسانُه ... بما ساءنى عندكم تُجذَبُ
إذا خافنى دبَّ فى دوركم ... بعيبى كما دبّت العقربُ
فلا وشَقاوتِه ما يَشُقُّ ... على البدر أن تَنبحَ الأكلُبُ
ولو كنتُ أُغلى عليكم رضاىَ ... لما سرّكم أننى أغضبُ
ولكن فؤادٌ لكم رِقُّه ... فما يستبيع ولا يهرُبُ
يُريه الهوى أنَّ إمساكه ... بكم من تنقّلِهِ أصوبُ
وأنَّ الحفاظَ وحبَّ الوفاءِ ... على طِينِ طابِعِه أغلبُ
فلا تنتزعكم يدٌ تستمـ ... ـيحُ مِنّى ولا قاهرٌ يَغصِبُ[3]

(١) حلأْت: منعتُ، ومعذَب: منزوع ما فيه من قذًى . (٢) أنصافه: أى نصف ما يحلبه فى قربه، ومنه: قربة نَصفَى لمن يبلغ فيها الماءُ أو غيرُه نصفَه . (٣) فى الأصل "يغضب" ولا يتفق والمعنى .

ولا أَعدَمَنْ منكمُ أُسرةً ... بأيسر عُتبَى لها تعتِبُ
وغُرٌّ مفوَّفةٍ كالبرو ... دِ أو هى من حَوكها أقشبُ
تجارِى بروجَ العلا أو تعود ... وشرقُ النجوم لها مَغرِبُ
يُذِلُّ النوالُ لكم صعبَها ... فكلُّ شوامسها (١) تُركَبُ
بكم هامَ رِيقُها (٢) فى الشبابِ ... وهذا لكم عمرُها الأشيبُ
على كلِّ يومٍ جديدِ السعو ... دِ ومن حُسنها سِمةٌ تغرُبُ
فإن جاءكم أعجمىُّ اللسا ... ن فهْى لسانٌ له مُعرِبُ
فتبقونَ وهى بواقٍ قعودٌ ... ما (٣) آختلَف الصبحُ والغيهبُ

⁂

وقال وكتب بها الى أبى الحملات شبيب بن حمّاد بن مَزْيَد، وقد كرّر الرغبةَ اليه فى ذلك، وثقّل بجماعةٍ من الأصدقاء سامهم تنجُّزَ مديحه، وذلك فى شهر ربيع الآخر سنة تسع عشرة وأربعمائة

طَرقتْ على خطَر السُّرَى المركوبِ ... والليلُ بين شَبيبةٍ ومَشيبِ
وعلى الرحائل ساجدون دحَا (٤) بهم ... سُكْرانِ: سُكْرُ هوًى وسُكْرُ لُغوبِ
دعَموا الخدودَ بأذرعٍ مضعوفةٍ ... وتواقعوا لمناكبٍ وجُنوبِ
وتعلَّلوا طرَبا إلى أوطانهم ... بحنينِ كلِّ مندَّبٍ (٥) مجلوبِ
فكأنَّ صَحْبِى نالتهم قَرقفٌ (٦) ... أو فزَّ بينهمُ عِيابُ الطِّيبِ
فعجبتُ للزَّورِ القريبِ دنا به ... قَدرٌ وليس مَزارُه بقريبِ

---

(١) الشوامس جمع شامس وهو الفرس يمنع ظهره. (٢) الريّق: أوّل العمر. (٣) هذا الشطر دخل على أوّله "الخرم" وهو ذهاب "الفاء" من "فعولن". (٤) دحَا بهم: رمَى بهم. (٥) المندَّب: الذى به آثار الجروح. (٦) قرقف: من أسماء الخمر، وفزّ: سال ونَدِىَ.

يَسرِى وحيدا "بالعراق" وأهلُه ما بين قُنَّةِ "لَعلَعٍ" و"عَسيبِ"
وأبى سَلامةَ إنما جَلبَ الكرى منها عدوًّا فى ثيابِ حبيبِ
لو حُكِّمتْ يقظَى لما زارت بلا عِدَةٍ ولا وصلتْ بغيرِ رقيبِ
يا أختَ "فِهرٍ" والمحبة بيننا نسبٌ، وإن ناداكِ غيرُ نسيبِ
لولاكِ لم أَشِمِ الخِلابَ ولاصبتْ نفسى لأحلامِ الكرى المكذوبِ
ولكان لى مندوحةٌ "بالحَزْنِ"(١) فى أخويك من رشأٍ له وقضيبِ
ناهضتُ حبَّك والنحولُ يخوننى وكتمتُ سرَّك والدموعُ تَشِى بى
وحملتُ حتى قيلَ : مات إباؤه وجزعتُ حتى قيلَ : غير لبيبِ
فاذا وذلك(٢) ليس عندكِ نافعا لما ملِلتِ وقلَّ منك نصيبى
تجتَرِمين الذنب تجزيني به والشيبُ والإقلالُ كلُّ ذنوبى
ثنتانِ لو خُيِّرتُ فى كلتيهما عُمرَ الربا مالى وعُمرَ مَشيبى(٣)
ولقد حَبستُ عن اللئامِ مَطامعى وأطلتُ فى دار الهوان مَغيبى
وعزفتُ والأرزاقُ مطمحُ ناظرى أنفًا من المتمنِّنِ الموهوبِ
مالى أذلُّ وسيف نصرى فى فمى والصونُ بين مآزرى وجيوبى
وعلىَّ دون الحاسدين ونَبلِهم دِرعان من فِطَنى ومن تجريبى

(١) الحزن : اسم موضع . (٢) يريد "فإذا هذا وذلك" كقول عبد الرحمن بن عبد الله أو عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى عمار المشهور بالقَسّ وهو صاحب سلّامة المغنية

باتت تعلّلنا وتحسب أننا * فى ذاك أيقاظ ونحن نيامُ
حتى اذا سطع الضياء لناظر * فاذا وذلك بيننا أحلامُ

وكقول أبى كبير الهذلىّ

فاذا وذلك ليس إلا ذكرُهُ * وإذا مضى شىءٌ كأنْ لم يُفعَلِ

(٣) كذا بالأصل رسما وشكلا ولعله :

ثنتان لو خُيِّرت فى كلتيهما * عُمَرَ الرُّبَا مالى وعزَّ مشيبى



وحمـايةُ الأحرارِ تحفظُ جانبي — والفضلُ يمنع سارحى وعزيبي

وإذا فزعتُ لجأتُ من أسدٍ إلى — أسدٍ تأشّبَ فى القنا المخضوبِ

ونزلتُ فى غُرفِ العـلا متظلّلا — بالعـزّ تحت رواقها المضروبِ

وعلِقتُ منهـا ذمّـةً ومـودّةً — أن فات "حمّادٌ" بحبلِ "شبيبِ"

المـاجد آبن المـاجدين وربما — تجدُ النجيبَ وليس بآبن نجيبِ

وآبن القِرى وآبن الصوارم والقنا — والخيـلُ تخـلِط أرجلا بسبيبِ

والواهبِ ما لا يُجـاد بمثـلِه — والسـالبِ ما ليس بالمسـلوبِ

والراكبين الى ذوى حاجاتِهم — ظَهرا من الأخطار غير رَكوبِ

جادوا فقال المالُ: سُحْبُ مواهبٍ — وسطَوْا فقال الموتُ: أسدُ حروبِ

وتتابعوا فى المجـد ينتظمونه، — والرمحُ أُنبـوبٌ على أنبـوبِ

كانوا الأسنةَ فى "مَعَـدٍّ" كلِّها — والناسُ بين مَعاقِدٍ وكُعوبِ

إن فوخروا شهِدت لهم أيّامهم — فيـها بكلّ معـلَّمٍ مكتوبِ

يتوارثون مَكارما مُضَريّةً — إرثَ النبوّةِ فى بنى "يعقوبِ"

دَرَجوا عليها آخذين بحكمها — لم يُفسِـدوا حسـناتها بعيوبِ

وجرى أبو الحملاتِ يطلبُ شأوَهم — أكرِمْ به من لاحقٍ وطلوبِ

قالوا: الهمامُ، فأفرجَتْ أبطالُهم — لك عن طريق الضيغمِ المرهوبِ

لقبٌ يصدّق فيـك معناه آسمَه — ومن الرجالِ مُمَـوَّهُ التلقيبِ

لك يا "شبيبُ" صباحَها ورواحَها — عَقـرُ الكماةِ بها وعَقـرُ النيبِ

وعلى سلاحك أو سماحك أُركِزتْ — راياتُهـا بفِـنائها المطـلوبِ

أصبحتَ غرّةَ مجـدها فبياضُه — مستخرَجٌ من لونك الغِـربيبِ

وعلامةُ العـربىّ دُهمـةُ وجهه — ومن الوجوه البيضِ غيرُ حسيبِ

والبدرُ أشرفَ طالِعٍ فى أفقه ... وبياضُه المرموقُ فوق شُحوبِ
لله بيتُك أمنُه وجِفانُه ... والحق بين مَخافةٍ وجُدوبِ
ومكرَّماتُ النسلِ تُهونُ[1] فى القِرى ... بالمصطفى منها وبالمجنوبِ
وإذا الوَقودُ خبَا جعلتَ لحومَها ... حطباً لنارِ الطارق المجلوبِ
من كلِّ مُشرِفةٍ تحدّث هامةً ... ورديفةٍ[2] عن "صَخرةٍ"[3] و"عسيبِ"[4]
الكُور[5] فى وضحِ الصباحِ لظهرِها ... والسيفُ فى الظلماء للعُرقوبِ
حُدّثتُ والخبرُ الجلِيُّ مصدَّقٌ ... عن سيبك المتدفِّقِ المسكوبِ
وشمائلٍ لك فى النَّدى مطبوعةٍ ... كالتبر ليس صفاؤه بمشوبِ
وبما عَرفتَ فضائلى ووصفتَها ... ورغِبتَ فى ودّى وفى تقريبى
فاستاق منك غريبَ أشعارى الى ... متوحِّدٍ فى المكرماتِ غريبِ
فبعثتُها لك فاتحاً ما بيننا ... بابَ الوصال ونُهزةَ الترغيبِ
من كلِّ ساريةٍ بذكرك، صيتُها ... فى الأرض بين فدافدٍ وسُهوبِ
تزدادُ صبرا فى الزمانِ وقوّةً ... أبدا على الإدلاجِ[6] والتأويبِ[7]
وهى التى شَجَتِ الملوكَ وخودِعوا ... منها عن المنفوس والمرغوبِ
فاستقربوها مغرَمينَ بها وما ... تزدادُ غير تمنُّعٍ ونُكوبِ
وتفرّدتْ فى ذا الزمانِ بمعجزٍ ... لم تُؤتَ من ردٍّ ومن تكذيبِ
فاعرِف لها حقَّ الزياره بغتةً ... وتلقَّها بالأهلِ والترحيبِ

---

(١) تهون : تهين . (٢) يريد : من كلّ مشرفةٍ هامةً ورديفةٍ أى تابعة لها تحدّث عن صخرة وعسيب كناية عما لهذه النوق من الضخامة والارتفاع حتى صارت تحكى الجبال . (٣) صخرة : جبل .
(٤) عسيب : جبل باليمن وقد تقدّم . (٥) الكور : الرحل . (٦) الإدلاج : السير بالليل .
(٧) التأويب : السير جميع النهار .

وآكرِمْ عليها تجتابُ أخواتِها إنّ الصلاةَ تتمُّ بالتعقيبِ
طلبتك تأملُ أن تنالَ بك الغنى فلئن وفَيْتَ لها فغيرُ عجيبِ

* * *

قال وكتب بها الى الصاحب عميدِ الحضرةِ ذى الرتبتين أبى طاهر بن حمّاد ، وقد بلّغه جميلُ ذكرِه به ، وتشوّقُه اليه ، وآستحسانُه لشعرِه ، وكان قد واصلَه بهدايا يريدُ بها مفاتحتَهُ ، وسفَرَ فى ذلك أبو الحسَن المختار بن عُبَيد الله الذهبيّ لأجل ما كان بينهما من المودّة والصحبة بمكاتبةٍ جامعاً بين الحقّين

(٤٢)

نظرةٌ منكِ ويومٌ "بالجِريبِ"(١) حَسْبُ نفسى من زمانٍ وحبيبِ
فمَن الواقفُ بى بينكما جَمعَ الفُوقَ(٢) على سهمٍ مُصيبِ ؟
وقفةً لا أشتكى من بعدِها غُلّةَ الصدرِ ولا ذلَّ الغريبِ
يا آبنة "الجمرةِ"(٣) من "ذِى يَزَنٍ" فى الصميمِ العِدِّ والبيتِ الرحيبِ
ما لكم — لا أجدبَ اللهُ بكم — يرتعى جارُكُمُ غيرَ الخصيبِ ؟
الجَــدَى يمنعُه ذو جِدّةٍ(٤) والجنابُ الرحبُ ينبو بالجُنوبِ
ورماحٌ دونَ أضيافِكُمُ تأخذُ السالمَ فيكم بالمُريبِ
أتّقيكم والهوى يقدمُ بى وأغضُّ الصوتَ والدمعُ يَشِى بى
ومن الشِّقوةِ فى زورتِكم أنّ عينَ الرمحِ من عينِ الرقيبِ
لا يكن آخرَ عهدى بِكُمُ — ياوُلاةَ القلبِ — ليلاتُ القليبِ(٥)
يا لمَن ينكُصُ عن غِزلانكم وهو وثّابٌ على الليثِ الغضوبِ

---

(١) الجريب : اسم واد . (٢) الفوق : موضع الوتر من السهم . (٣) يريد بالجمرة : إحدى جمرات العرب وهى القبيلة لا تنضمّ الى أحد . (٤) الجدة : اليسار والسعة . (٥) القليب : اسم ماء بنجد .

ومتى العـــزُّ؟ وفى أبيـاتكم أعينٌ تقهرُ سلطانَ القـلوبِ
يا صَبا "نجدٍ" ويا بانَ "الغضا" أرفُقـا بى بالتثنّى والهبـوبِ
وآسلمـا، لا مثلَ ما طاحَ دمى منكما بين نسـيمٍ وقضيبِ
قَسمَ البينُ فمـا عـدّل بى غدرةَ الوافى وتبعيـدَ القـريبِ
وقضى الدهرُ فـالتْ صِبغـةٌ عُدّ ذنبُ الدهرِ فيها من ذنوبى
وفؤادى يشتـكى جَورَ النـوى وعِذارِى يشـتكى جَورَ المشيبِ
كم أُدارِى عَنَتَ الأيّام فى غَبْنِ حظّى وأُطاطِى للخطـوبِ؟
وأردّ الحــزمَ فى أُخوصِـه وهو هافٍ يتـنزّى للوثوبِ
قاعدا والجَــدُّ قد رحّلَ بى والمعـالى يتقاضَيْنَ ركوبى
جِلســةَ الأعزلِ يلوِى يَدَهُ وسـلاحى بين كُورِى وجَنيبى
أمدحُ المثرينَ ظنًّـا بهـمُ ربّمـا يُقْـمَرُ بالظنّ الكذوبِ
كلُّ وغدِ الكفِّ منبوذِ الحيـا طيّبِ المحضرِ مسبوبِ المغيبِ
يمنــعِ الرِّفــدَ وتلقَ وفــدَه خِفّـةُ البخلِ بإدلالِ الوهــوبِ
يطلبُ المدحَ لأنْ يفضحَهُ وهو قبلَ المدحِ مستورُ العيوبِ
قلتُ للآمال فيـــه كَذَبَتْ أمُّهُ — : إن كنتِ آمالى تخيبى
جَلَبُ الأرضِ عريضٌ دونه وسُرَى العيسِ وإدمانُ اللّغوبِ
وغـلامٌ آخــذٌ ما طلبتْ نفسُه أو فائتٌ كلَّ طلوبِ
يقْـمحُ[(١)] الضيمَ ولو أبصرهُ ليـلةَ العِشرِ على الماءِ الشّروبِ
ما أذلَّ الخصبَ فى دارِ الأذى وألذَّ العـزَّ فى دارِ الجُـدوبِ
يا بنى كلِّ نعـيمٍ ضاحكٍ فى حِمى وجهٍ من اللؤمِ قَطوبِ

(١) يقال : قمح البعيرُ اذا رفع رأســه عن الشرب كارها له .

قـــد مرالمناكم على شـارتكم (١) ويضيقُ الصدرُ في البيتِ الرحيبِ

وعسى الدنيـا التى أدّتــكُمُ تصـــطفينا من بنيها بنجيبِ

ماجدِ الشيمةِ ســـهلٍ، ليـلُه للقِرَى، صبٌّ إلى الحمدِ طَروبِ

يكسِبُ المـالَ لأنْ يُتلِفــهُ والعلا فى يدِ متلافٍ كَسوبِ

تَخبُث الأيدى وفى راحتِــهِ من نداه أرجُ المَشْــتا المَطيبِ

كابن "حمّـادٍ" ولا مِثــلَ له هل تَرى للبدر فرداً من ضريبِ

جاذبَ الرُّوّاضَ عن مِقــودِهِ مرِسٌ (٢) تُنكِرهُ كفُّ الجذيبِ

ودعا النـاسَ الى تســويدِهِ واسعُ الجمــرةِ وهّاجُ الثُّقــوبِ

أين يا سائقَها؟ أيـن بها؟ جمجمَ (٣) الآمال فى غيرِ عزيبِ

جَمَعَ "الصاحبُ" من أطرافها وفى (٤) حَيْرَى الطُّرقِ عَمياءِ النُّكوبِ

ضمَّــها بالرأيِ حــتى ألتأمتْ شُلّتاها (٥) من شُــذوذٍ وشــذوبِ

ويدٍ — لا تَرِبتْ تلك يدًا — ربقــةِ (٦) الجانى وفكُّ المستنيبِ (٧)

ســلَّتِ الدولةُ منــه صارما شرِقَ الصفحةِ ظمآنَ الغُروبِ

طَبعَ الأقبـالُ من جوهرِه زُبْرةً تقدحُ نيرانَ الحروبِ

لو أطاعتـــه يدٌ حامــلةٌ لم تُكذِّبْ ظبتاهُ عن ضَـــريبِ

جرّبوه ماضــيا حيثُ مضى صادعَ الوحيِ ومحتــومَ الغيوبِ



قَلِقًا، يَنفِي الكرى عن وجهِــهِ عِلمُه أنّ المعالى فى الهبوبِ

ألمعــيًّا ســوّدته نفسُــهُ والمساعى قبلَ تسويدِ الشعوبِ

---

(١) الشارة : الحسن والزينــة، وفى الأصل : "شاربكم" وهو تحريف . (٢) المرس : ذو المراس والشدّة . (٣) جمجم : انخ . (٤) الوفُ : ماتبرف من الأرض . (٥) الشلة : البعيد تطلبه . (٦) الربقة : العروة فى الحبل يشــدّ به البَهْمُ . (٧) فى الأصل المستثيب .

قدّمتْــهُ صاعدا عن قومهِ ... مَصْعَدَ اللَّهْــذِمِ(١) قُدَّامَ الكعوبِ

هَبَهبوا منــه بليثٍ فى الوغى ... قَرِمِ(٢) الأظفارِ مشتاقِ النّيوبِ

خيرِ من خَبَّتْ(٣) له أو وَخَدتْ ... للجَدَى ذاتُ سَنامٍ وسَبيبِ

يأخذُ الحاجاتِ من حيثُ غلتْ ... غيرَ معذولٍ على حبِّ الغُصوبِ

تحسَبُ الغابةَ مما آجتَرَهُ ... حومةً بين عقيرٍ وتريبِ

ماضيا لم يثنِه عن قصدِهِ ... هجمةُ الليلِ ولا طولُ الدؤوبِ

جَمَعَ الجودَ الى البأسِ كما ... شعشعَتْ نارٌ بماءٍ فى قضيبِ

راحةٌ لم يَعلَقِ البخلُ بها ... وفؤادٌ لم يُسَفَّهْ بالوجيبِ

ولسانٌ يخصِمُ السيفَ به ... يترك الفارسَ عبدا للخطيبِ

مَنْ رسولٌ سَعدتْ رحلتُهُ ... — يومَ أدعوهُ بلبَّيْكَ — مجيبِ ؟

ناصحُ الجيبِ بما حمّلتُهُ ... حيثُ يخشَى مُرسِلٌ غِشَّ الجيوبِ

لم أكلِّفهُ سُرى البيدِ ولم ... أتعسَّفْه بأخطارِ السُّهوبِ

عيسُه ، ملمومةٌ(٤) يركب(٥) منها ... مطمئنا ظهرَ مِذلالٍ رَكوبِ

تقسِمُ الماءَ بباعٍ مطلَقٍ ... وفَقارٍ(٦) مُرسَلِ الحبلِ(٧) سَروبِ

صعبةُ الحلقةِ سهلٌ أرضها ... فهو بين اللينِ منها والصَّليبِ

ساريا ليستْ عليه خيفةٌ ... ما وقاه الله سَوْراتِ الجَنوبِ

قُل لنوتيِّك : شَرِّعْ آمنا ... حَذَرَ التيّارِ والموجِ العصيبِ

رِد بها "مَيسانَ" وآحبسها على الـ ... ـمعقِلِ الممنوعِ والوادى العشيبِ

---

(١) اللهذم : القاطع من الاسنة . (٢) القرِمُ . ذو الشوق وأصله من القَرَم وهو شدّة الشهوة الى الطعام وكثر حتى قيل فى الشوق . (٣) فى الأصل "حنت" . (٤) ملمومة : مستديرة ويريد بها السفينة . (٥) كذا بالأصل ولعلّه قد ردّ هذا الشطر من "فاعان" الى "فاعلاتن" وفى النسخة المطبوعة "يركبها" . (٦) الفقار : ما آنتضد من عظام الظهر . (٧) فى الاصل "الخيل" وهو تحريف .

فاذا ضـاقت فعـلِّقها "أبَا طاهرٍ" تَعلَّق بفرَاجِ الـكروبِ

والى ذى الرتبتينِ ابتـدرتْ فُرَصُ المجـد وحاجاتُ الأريبِ

قل له عَنِّىَ : حيَّتـك العُـلا بوكيفٍ من حَيَا الشكرِ صَبيبِ

وسَقَى عِرضَك ـ ما آستسقيتَه ـ بارقٌ من مِدَحِى غـيرُ خَلوبِ

ترفُلُ الأحسـابُ فى روضـتِهِ مَرفَلَ الغـادةِ فى البُرْدِ القشيبِ

خيرُ ما آستثمرَ من غَرسِ الندَى وآجتنَى من غُصُنِ الجودِ الرطيبِ

وبذلتَ الوفْـرَ حتى آبتعتَـهُ هَمَّ آدابك من حُسنٍ وطِيبِ

جاءنى أنّـك مشـعوفٌ به شَعَفَ العذرىّ بالخشفِ(١) الربيبِ

راغبًا أن تصْطَفَى من جِدّه والفكاهاتِ بمـدحٍ أو نسيبِ

وتُحَلَّى منـه عِقـدا ، باقيـا نخـرُهُ فى كلِّ جِيـدٍ وتريبِ

قلتُ : فضلٌ عَجَبٌ من دهرنا وهـو من فاعله غيرُ عجيبِ

ما تبالى حينَ تَسـتامُ العلا أخطيبُ الشمسِ أم أنتَ خطيبى

أَنَا من يُعطيـك مجـدا حاضرا ويُبقِّى لك مجـدا فى العَقيبِ

لا كقولٍ يطرد "الساق"(٢) به جذوةٌ تخمَـدُ من قبـلِ اللهيبِ

كم يُمنِّينى عـلى سلطانهـا نفَسٌ مَرجُوٌّ ومَخشِىٌّ مَهيبِ

وآبتغَى بالمـالِ أن يشرِيَنى فترفَّعتُ فطارتْ عفَّـتى بى

لكن آشتقتُ وقـد سُمِّيتَ لى بسِماتِ الفضلِ والجودِ الغريبِ

فافـترِعْ خيرَ هَـدِىٍّ(٣) وأثبْ خيرَ ما جادت به نفسُ مُثيبِ

واذا صرتَ نصـيبى منهُـمُ فقد آستوفيتُ من دهرى نصيبى

---

(١) الخشف مثلثة : ولد الظبى . (٢) لعله آسم شخص يعنيه . (٣) الهدىّ : العروس .

***

وقال وقد آتفق بُعدُ وزيرالوزراء عميد الدولة أبى سعدٍ ونزوله "أوانا"[١]، مستوحشا من سببٍ خافه ببغداد، وظهور التأسف ممن فيها على بُعده، وتلوّح قُربِ عَودِه، فكتب اليه يبشّره بذلك، ويذكُرُ صحّةَ تفاؤله بالسلامة فى مثله، وأنفذها الى "أوانا" فى النَّيروز

(٤٤)

نرقُّ، وتقسو "بالغوير" قلوبُ	ونَسألُ سكّانَ "الغضا" ونخيبُ[٢]
وتهفو على "ذاتِ النقا" بحلومنا	وجوهٌ تُريحُ الوجــدَ وهو عزيبُ[٣]
وقفنا ومنّا رابطٌ جاشَ قلبــه	برىءٌ ومحــلولُ العــزاءِ مريبُ
تجاذَبُنا أيدى الحميَّــةِ والهوى	ونأبىَ عــلى الأشــواقِ ثمّ نُجيبُ
نغالطُ ألحاظَ المها عن قلوبنـا	و"بالرمل" قارىٌّ[٤] السهامِ مُصيبُ
اذا أخفــقَ القنّاصُ راح بكل ما	يَرَى مُطعِمٌ للصيد منــه كسوبُ
قَضَى من دماءٍ ما آستحلّ وحلّقتْ	به نيّةٌ ـ عمــا أشــاطـ[٥] ـ شَــعوبُ[٦]
فما هو بعد "النَّعفِ"[٧] إلا عُلالةٌ	أحاديثُ نفسٍ تفــترِى وتحــوبُ
تَسرُّك منها ـ والدجَى فى قميصه ـ	زخارفُ يحــلو زُورُها ويطيبُ
فتطرَبُ والشادِى بهــا سامرُ المنى	وتشربُ ما يَســقِى وجفنُك كُوبُ
حمى الله عينا من قــذاها على الحِمى	تجِفُّ[٨] ضروعُ المــزنِ وهى حَلوبُ

---

(١) أوانا : اسم بليدة . (٢) هذا البيت ورد فى الأصل هكذا رسما وشكلا :
" تَرِقُّ وتقسو بالغُويرِ قلوبُ * ويُسألُ سكان الغضا ويُجيبُ "
ولما لم نوفّق الى معنى نطمئنّ اليه آضطررنا الى تصحيفه . (٣) فى الأصل "غريب" وهو تحريف .
(٤) القارىّ : نسبة الى قبيلة آسمها "القارة" وهم رماة ومنــه المثل "أنصف القارةَ من راماها" .
(٥) عما أشاط : عما عرّضه للقتل . (٦) شعوب : متشعبة . (٧) النعف : اسم بلدة .
(٨) فى الأصل "تخفّ" وهو تحريف .

اذا قلتُ : أفي البرق جَمَّـةَ مائهـا مراها مرورُ الـبرقِ وهي جَنوبُ
بكت وغديرُ الحيّ طامٍ فأصبحت عليـــه المطايا الحائمـاتُ تلوبُ [1]
وما خلتُ قبـلى أنَّ عينا ركيَّةٌ ولا أنّ مِلح المـاقِيَيْنِ [2] شَروبُ !
وليلةَ "ذاتِ البانِ" ساهرتُ طالعا من النجم لم يُكتَبْ عليـه غروبُ
أسائلُ عن نومى وضـوءِ صباحها وأعيا ، فأىّ الغائبين يؤوبُ ؟
سَرتْ تخبط الوادى الىّ وصُحبتى : طريحٌ عـلى أقتابِهِ وكئيبُ
أناخوا الى تعريسـةٍ [3] قلَّ عُمرُها فـا هى إلا خَفقةٌ وهبـوبُ
فللريحِ منهـم أعينٌ ومسامعٌ وللتربِ منهـم أذرعٌ وجُنوبُ
فزارت خَفِيَّت مِسكا بفـؤادِهِ له نازعٌ من شوقه وجَـذيبُ
فيا لك باقى ليـلةٍ لو تخلَّصتْ من الغِشِّ يُقذِى صفوها ويشوبُ
ولكن نهانى الخوفُ : قم أنت مدركٌ ، وصاحَ الظلامُ : الصبحُ منك قريبُ
ولم أدرِ أنَّ القربَ عينٌ حفيظةٌ علىّ ولا أنَّ الوصالَ رقيبُ
يخوفنى عضَّ الزمانِ ، ومنكبى رَديدٌ على حملِ الزمانِ جليبُ
تعـودتُهُ لا خاضـعا لخطوبه وكيف وكلُّ العيش فيـه خطوبُ ؟
وكم غمـزةٍ فى جانبى لم أقل لهـا : أَلِمتِ ، وجُرحى ــ لو شكوتُ ــ رغيبُ
تعـمّق فيهـا مُخلِبـا ومُنيِّبـا [4] وأقلعَ والنبـعُ [5] الأصمُّ صليبُ
وهل أتغطَّى منـه خوفا وموئلى جنـابٌ منيعٌ للوزير رحيبُ ؟
ودونِىَ منه إن مشى نحوِىَ الأذى طِـرابٌ تدمِّى الناعلاتِ ولُوبُ

---

(١) تلوب : تحوم حول الماء من العطش ، ومنه : إبل لُوبٌ . (٢) الماق : مجرى الدمع من العين أو طرفها من جهة الأنف . (٣) التعريسة : الاستراحة فى آخر الليل . (٤) أى باحثا بمخلبه ونابه . (٥) النبع : شجر تعمل منه الرماح .

وحصداءُ[(١)] من نُعماه، كلُّ مسـدَّدٍ ... له حَيَـدٌ عن سَردها ونُكوبُ

حمانى من الأيام أروعُ لو حَمَى ... شبابِىَ لم يُقدِمْ عليـه مَشيبُ

رعَى "شرفُ الدين" العلا برعايتى ... فما شَمَّ ريحا حول سرحِىَ ذيبُ

أثرْ بُزْلَها[(٢)] يا طالبَ المجـدِ والغنى ... وخاطرْ بها فأبنُ الخطارِ نجيبُ

وطرِّقْ هواديها الجبالَ وخلِّها ... تجوبُ مع الظلماءِ حيث تجوبُ

تقـدَّمْ بها فالسعدُ بالمرءِ مقبِلٌ ... ولا تتهيَّبْ فالشـقاءُ هَيـوبُ

أقِمْ ببنى "عبد الرحيم" صدورَها ... اذا حطَّ منها أو أمالَ لُغـوبُ

وغَنِّ بهم أسماعَها إن حدوتَها ... تحِنَّ اذا حنَّت لتطـرَبَ نِيبُ

ففى العيس قلبٌ مثلُ قلبك ماجدٌ ... وسمعٌ الى ذكرِ الكرام طـروبُ

تيمَّمْ أعالى "دِجلةٍ" فأنخْ "شامةً"[(٣)] ... بحيثُ تَبُـلُّ العيشَ وهو جـديبُ

وناصِ بها[(٤)] فرعَ "الدُّجَيلِ" فعندَه ... مَرَادٌ يعمُّ الرائدين عَشـيبُ

وقلْ "لعميد الدولة": آسمعْ فإنها ... مَلاحمُ إن فتَّشـتها وخُطوبُ

لحظتَ ذَرا أعجازها من صدورها ... وبعضُ ظنونِ الألمعىِّ غيوبُ

وداويتَها بالرأى حتى كفيتَها ... وما كلُّ آراءِ الرجالِ طبيبُ

عجِلتَ لها مسـتأنيا ما وراءها ... وللأمرِ بادٍ ظاهرٌ وعَقيبُ

خلَصتَ خلوصَ التبرِ منها مسلَّمًا، ... عليـك وميضٌ صـادعٌ ولهيبُ

وقالوا خِطاءً: مسرعا متعجلا، ... وقـد يتأنَّى فى الأمور طَلوبُ

وأهونَ بالتغـريرِ فيها كأنه ... بجِـدّ الخطوبِ المثقلاتِ لَعوبُ

وما علموا أنَّ السهامَ مَوارقٌ ... ولا أنّ خَطْواتِ الأسـودِ وُثوبُ

(١) الحصداء: الدرع المحكمة . (٢) البزل جمع بازل وهو الجمل المسنّ . (٣) دجلة وشامة: اسما نهر وجبل . (٤) يقال: ناصاه: أخذ كل منهما بناصية صاحبه والدجيل: شعب فى بغداد .

سهرتَ ونامَ الغِمرُ عمّا رأيتَــهُ ففــزتَ، وطرفُ الألمعيِّ رَقوبُ
كأنَّ لك اليــومَ المنعَّمَ صُبحةً[(١)] ويومُ الحريصِ المســتغرّ عصيبُ
وقالوا: طَوَى «بغدادَ» بغضا وسلوةً و«بغـــدادُ» مغنىً للحياة خصيبُ
وظنّوك إذ فارقتهـا أنَّ قلبَهـا ـعلى قلة الإعراض عنك ـ يَطيبُ
وقد تظعنُ الأشخاصُ والحبُّ قاطنٌ ويكثر هجـــرُ البيتِ وهو حبيبُ
وما الملكُ إلا جنّـــةٌ عمّ نورها ومــذ غبتَ عنهـا سُهمةٌ وشحوبُ
فكيف غدت شلاء[(٢)]! لا بدمِ العدا ولا بعطارِ الغـانياتِ خضيبُ!
بكى وحشــةً وهو المغيضُ دموعَهُ وأنَّ لَحَرَّ الجُـــرحِ وهو ضريبُ
وكنتَ له وجها ضحوكا فبِشرُهُ عُبوسٌ ــ وقد فارقته ــ وقُطوبُ
يُورّى[(٣)] حياءً والنـــدامةُ غُصــةٌ لهـا خَدشةٌ فى صـــدره ونُدوبُ
الى ماجدٍ فى صـــدره قمرُ الدجى اذا تمَّ، راضٍ والهزبرُ غَضوبُ
تُقَبّلُ منـــه راحةٌ تقتلُ الصدَى تَعـلَّمَ منها المزنُ كيف يصوبُ
رسَتْ فى الندى حتى آستقرّت عروقُها من البحرِ، والعرقُ الكريمُ لَصوبُ[(٤)]
يدٌ، تعجبُ الأقلام من أُنسِ سيفِه بهـا، وهـو فيما بينهنَّ غريبُ
اذا آختصَموا، قالت: تأخّرْ، فإنمـا لنا السـبقُ، فآتبعنا وأنت جنيبُ
فيأبَى له الحــدُّ المصمّمُ أنه يؤخَّرُ والأقـــلامُ عنـــه تنوبُ
وتجـــرِى هَناتٌ بينهنّ وبينــه يُحكِّمُ فيهـا فارسٌ وخطيبُ
فيجعـــلُ للأقلام فيهـا نصيبَهـا بحقٍّ، وللســيفِ الحسـامِ نصيبُ
وقد زعموا أنَّ الحجـا متكهّلٌ وأنّ رجالاتِ السيادةِ شِيبُ

---

(١) الصبحة: نوم الغداة. (٢) شلاء: متعطلة الكف. (٣) يورّى: يتقد.
(٤) اللصوب: الناشب اللاصق.

فلله منـــك المنتهى فى آقتبـالِهِ ⁂ ومَنْ رَبَّ أمرَ النـاس وهو ربيبُ
ومَنْ بسقتْ أغصانُه فتفرّعتْ ⁂ على الشـــجرِ العادىِّ (١) وهو قضيبُ
ولا تُبلِ أثوابَ الوزارةِ بعـــد ما ⁂ كستك بهـا الأيّام وهى سليبُ
تَقمَّصَها قومٌ وما خُلِقتْ لهـــم ⁂ فهانوا، ومن بعض الجمـالِ عيوبُ
أتتك فصـار الرِّقُّ فى يدِ مالكٍ ⁂ وقـــد دنَّســـتها بِذلةٌ وغُصوبُ
وسـالَمَ معناها بســـوددِك آسمَها ⁂ وبينهـــما فى آخرين حروبُ
تَنـافَى بيوتُ معشـرٍ وبيوتُهـا ⁂ وأنت لهـا فى جانبيك نســـيبُ
فـا بيت "إسماعيلَ" عنها بنازحٍ ⁂ ولا أنَّ بهـا "عبدُ الرحيم" غريبُ
فلو هبَّ مَيْتٌ من كراه فقام أو ⁂ تطلَّعَ مرموسُ (٢) الجبيـن تريبُ (٣)
لَقرّتْ عيونٌ أو لسُرَّتْ مَضـاجعٌ ⁂ بأنّـــك مـــيراثٌ لهـا وعقيبُ
إذنْ لرأت منك الذى الشمسُ لا تَرَى ⁂ بأنجمها فى الأفق حين تغيبُ
نَشرتَ لهـــم فخرا يعيشُ حديثُـهُ ⁂ ويَخلُقُ (٤) عمرُ الدهرِ وهو قشـــيبُ
لئن عَمَّ شرٌّ أو أُسِرَّتْ ضَـــغائنٌ ⁂ ببـــغيٍ، فإنّ الله عنك حسيبُ
وقـــد علمتْ نجوَى رُقاك عقاربٌ ⁂ لهـا نحـــوكم تحت الظلام دبيبُ
ولم تك إلا هفـــوةً وآستقالهـا الـ ⁂ ـزمانُ وذَنبا وهو منـــه يتوبُ
ولا بدَّ للإقبال من يومِ عَودةٍ ⁂ تدافعُ عنـــه العينُ حين تصيبُ
وكم رافعٍ لى بالعـــداوةِ صـــوتَهُ ⁂ يُهيِبُ فى إيعـــادِهِ ويُهيبُ !
قويًّا على ظلمى بسيفِ عدوّكم ⁂ وعهـــدى به بالأمس وهو يخيبُ
يظُنّ ــ وحاشا كم ــ عُراى تقطّعتْ ⁂ وأنّى أخيـــذٌ (٥) والزمانُ طليبُ

---

(١) العادىّ : القديم . (٢) المرموس : المدفون فى الرمس . (٣) التريب : المعفّر بالتراب . (٤) يخلق : يبلَى . (٥) الأخيذ : الأسير .

وأنّ قناتى بعدكم ستلينُها ... ضروسٌ له مذروبةٌ ونيوبُ
ولم يدرِ أنّ "الشامَ" لو حالَ دونكم ... وزيلتُه(١) عنكم لكنتُ أصيبُ
فقلتُ : لفيكَ التربُ أو فوقك الحصَى ... تغيبُ أُسودُ الغابِ ثمّ تؤوبُ
غدًا تُطلِعُ الراياتُ ـ والنصرُ تحتها ـ ... كتيباً يوليه النجاحَ كتيبُ(٢)
ترى المجدَ فى أطرافها خافقَ الحشا ... سرورا بما ضمّت وأنتَ كئيبُ
و"بغدادُ" طلقٌ وجهُها متبسّمٌ ... وللملكِ من بعد الخمودِ شبوبُ
بشائرُ، لى فى مثلهنّ مواقفٌ ... أصدّق فيها والزمانُ كذوبُ
مجرّبةٌ فيكم كأنّ عيونَها ... لها خلفَ أستارِ الغيوبِ ثقوبُ
تمرّ لكم طيرى يمينا بزجرها ... على مشهدٍ منى وحين أغيبُ
نشدتكُم باللهِ كيف رأيتمُ ... مَنابحَها، والعائفات(٣) تخيبُ(٤)
فقولوا : نعمْ وُفّقتَ، وارعوا ذمامَها ... غدًا، وغدٌ للناظرين قريبُ
بكم يابنى "عبد الكريم"(٥) انجلى القذَى ... وأصبحَ وعرُ الجودِ وهو لحيبُ(٦)
اذا أجدبتْ أرضى وسُدّتْ مواردى ... فعندكُمُ لى روضةٌ وقليبُ
ولما رأيتُ الحبَّ فى الهزلِ(٧) سُنّةً ... عشقتكُمُ، والعاشقون ضروبُ
فمَن يُعطِ منكم طالبا فوق حقّه ... فحقّ دَينٌ لازمٌ ووجوبُ
فلا قلَصتْ عنى سحائبُ ظلّكم ... فمنها مُرِذٌّ(٨) تارة وسكوبُ

(١) فى الاصل : زلّيتُه ولم نعثر على هذه الكلمة فى كتب اللغة ولعلها محرفة عن "زيّلتُه" .
(٢) الكتيب : الفرقة من الجيش . (٣) العائفات : الزاجرات للطير . (٤) فى الأصل : "تجيب" ولعله تحريف . (٥) كذا بالأصل ولعله "عبد الرحيم" كما يعيّنه قوله قبل ذلك فى نفس هذه القصيدة ❊ أقم بينى "عبد الرحيم" صدورها ❊
وقد ورد ذكره لهذا الأسم فى عدة قصائد . (٦) الحيب : الواضح . (٧) الهزل : الأفتقار والضيق . (٨) المرذّ : السحاب الذى يهمى بالرذاذ وهو المطر الضعيف .

ولا عـــدِمتَكم نعمةٌ خُلقتْ لكم ودنيـا لكم فيهـا الحياة تطيبُ
يزورُكم النَّـــيروز مقتبَـلَ الصِّبا وقد دبَّ فى رأس الزمان مشـيبُ
تصوِّح أغصانُ الأعادى وغصنكم من السـعد ريَّانُ النباتِ رطيبُ
دعاءٌ حيالى فيـــه ألفُ مؤمِّنٍ (١) تَوافقُ منهـــم ألسنٌ وقـلوبُ

* * *

وقال وكتب بهـا الى أبى الجملات شبيب بن حمّاد بن مَزْيَد ، يعاتبه على تأخير رسمه ، وتغافلِه عن مقابلة قصائدَ أنفذها الى حضرته ، وذلك فى شعبان سنة عشرين وأربعمائة

ألا مَن مبلغٌ "أسدا" رسولا متى شهِدَ النـدىَّ فمـا أغيبُ
وعوفٌ منهُمُ أربى ، "فعوفٌ" عيونُ "خُزَيمةٍ" ، وهم القلوبُ
أفرسانَ الصباح اذا آقشعرّتْ من الفزع السنابكُ (٢) والسبيبُ
وضاق مَخارجُ الأنفاسِ حتّى تُفرَّجَ عن سيوفكم الكروبُ
ويا أيدى الحيا والعامُ جدبٌ ووجهُ الأرض مغبرٌّ قَطوبُ
مَجازرُ تُفهِقُ (٣) الجَفَناتُ منهـا ونارُ قِــرًى شرارتُهـا لهيبُ
اذا جَمَـدَ الضيوفُ تكفّلتهم لهـا فِـلَذٌ وأسنمةٌ تذوبُ
ويا أقمـارَ "عدنانٍ" وجوهًا يشِفُّ على وَضاءتها الشحوبُ
أصيخوا لى فلى مَعَكم حديثٌ عجيبٌ يوم أَنشُــوهُ (٤) غريبُ
متى أنصـــفتُمُ فالحقُّ فيـــه عليكم واضحٌ لى والوجوبُ
وإن أعرضتُمُ ورضيتموهُ فإنّ المجــدَ ممتعِضٌ غَضوبُ

(١) فى الأصل "متيّن" . (٢) السنبك : طرف الحافر . (٣) تُفهق : تُملأ .
(٤) أنشوه : أشيعه وأحدّث به .

حديثٌ لو تلَوه على ""زهيرٍ"" غدا من مدحه ""هَرِمًا"" يتوبُ
بأىّ حكومةٍ وبأىّ عـــدلٍ أُصابُ من القريضِ ولا أُصيبُ ؟
وكم أعراضكم تزكو بمــدحى وتنجحُ والمنى فيكم تخيبُ !
تردُّونَ الغُصـوبَ بكلّ أرضٍ وتوجَـدُ فى بيوتكم الغُصوبُ !
وتحمون البلادَ وفى ذَراكم حريمُ الشِّـــعرِ منتهَكٌ سليبُ !
وعنـــدكُمُ لكلِّ طريدِ قومٍ جِوارٌ مانعٌ وقِــرًى رحيبُ !
وأبكارٌ وعُونٌ من شـائى عجائفُ، عيشُها فيكم جديبُ !
محبَّبــةٌ اذا رُويَتْ فإمّا طلبتُ مهورَهنَّ فلا حبيبُ
اذا أحسنتُ فى قولٍ أساءُ الـ ـفعـالَ كأنّ إحسانى ذنوبُ
أجُرُّ المَطْلَ عاما بعـــد عامٍ مَواعـــدَ برقُها أبدًا خـلوبُ
ويا للنّـاسِ أَسلُبُ كلَّ حَىٍّ كرائمَهُ ويَسلُبنى ""شَبيبُ"" !
أمدُّ اليـــه أرشيةَ(١) المعالى فيعطِشُنى وراحتُـــه القَليبُ
وأُلبسُـــه ثيابَ المدحِ فخرا فيُمسِكُ لا يُجيبُ ولا يُهيبُ
ويسمحُ خاطرى فيـه آبتداءً ويمنعُ وهـــو بذّالٌ وهوبُ
ولم نَعرِفْ غلاما ""مَزْيَديًا"" يناديه السماحُ فـــلا يُجيبُ
ولو ناديتُ من كَثَبٍ ""عليًّا"" تدفّق ذلك الغيثُ السَّكوبُ
وَمنٌّ على عوائده القُـــدَامَى مُضِىُّ الريحِ جدَّ به الهُبوبُ
ولو ""حمّـادُ""(٢) يزقو لى صداه لأَكرَمَ ذلك الجســدُ التريبُ
أُصـولُكُمُ وأجدرُ إذ شهدتم مقـامَ علائهـــم ألا يغيبوا
فما لك يا ""شبيبُ"" خَلاك ذمٌّ تَجِفُّ وعندك الضَّرعُ الحلوبُ ؟

(١) فى الأصل ""أرسنة"" . (٢) يزقو : يصيح .

وما لخـــريدةٍ خفيتْ لديكم تكادُ عـــلى طُفولتها تشيبُ
محلّلة النكاحِ بلا صَـــدَاقٍ وذلك عنـــدكم إثمٌ وحُوبُ
يَطيبُ الشيءُ مرتخَصا مباحا ومُرتخَصُ المدائح لا يطيبُ
فأين حياءُ وجهِك يوم تُحدَى بها فى وصفك الإبلُ اللُّغوبُ ؟
وأين حياء وجهك فى البوادى اذا غنَّى بها الشادى الطروبُ ؟
وكيف تقول: هذا وصفُ مجدِى فلا أُجدِى عليـــه ولا أُثيبُ ؟
وكم نَشَزتْ[1] على قومٍ سواكم فلم يعلَقْ بهـا الرجلُ الطَّلوبُ
وراودنى ملوكُ النـاس عنها وكلٌّ باذلٌ فيهـا خطيبُ
فلم يُكشَفْ لهـا وجهٌ مباحٌ ولم يُعرَفْ لهـا ظهرٌ رَكوبُ
فلا يَغرُرْكَ منهـا مَسُّ صِـلٍّ يلين وتحت هَـدْأته وُثوبُ
أخافُ بأن يعاجلَنى فيطغَى فتُصـــبحَ[2] بالذى تُثنِى تَعيبُ
وتَشرُدَ عنـكُمُ متظلِّماتٍ وتبغون الإياب فلا تؤوبُ

* * *

وقال وكتب بها الى عميد الرؤساء أبى طالب بن أيّوب، وقد آستقرت له وزارةُ الإمام القادر بالله رضوان الله عليه مكانَ أبى الحسن بن حاجب النعمان، يذكر ذلك ويهنّئه بالنَّيروز الواقع فى شهر ربيع الاول سنة آثنتين وعشرين وأربعمائة

جاء بهـا ــ والخيرُ مجلوبُ ــ طيفٌ على الوَحـــدةِ مصحوبُ
طوى الفـــلا يركب أشواقَه والشـوقُ فى الأخطار مركوبُ
سـاعةَ لا مَسرَى عـــلى شقّةٍ تَعيا بهـا الـــبُزْلُ المصـاعيبُ
يرغبُ فى الظلمـاءِ مستأنسـا وجانبُ الظلمـاءِ مرهـــوبُ

---

(١) نشزت : امتنعت، وفى الأصل " نشرت " وهو تحريف (٢) أى فتصبح قصائده .

أحسنَ بى حـــتى تخيّلتُـــه ... أصـــدقَ شىءٍ وهو مكذوبُ
أنّى تسدّيتَ لنـا "باللّوى" ... "وصـارةٌ" "دارك" "فاللّوبُ"(١)
وبيننا عَمياءُ من أرضكم ... دليلُهـا أبـلَهُ مسـلوبُ
لا يهتـدى الذئبُ الى رزقِهِ ... فيهـا ولو شَـمَّ بهـا الذيبُ
فزرتَ شُعْثًا طاف ساقى الكرى ... عليهـمُ والطاسُ والكوبُ
فـا تدلّى النجمُ حتى ٱلتـوى ... مماكسٌ(٢) منهـم وشِـرّيبُ
بِتُّ ورحـلِى بِكِ رَيحانةٌ ... نمَّ عليهـا الحسنُ والطيبُ
كأنمـا ذيلُ الصَّبا فـوقها ... بالقَطرِ أو ذيلُكِ مسـحوبُ
يا آبنـةَ قومٍ وجَدوا ثأرَهـم ... عنـدى بهـا والثأرُ مطلوبُ
لولاكِ — والأيّام دوّالةٌ — ... ما ٱستعبَدَ الفُـرسَ الأعاريبُ
أراجـعٌ لى بضمانِ المـنَى ... "ملحوبُ" أو ما ضمّ "ملحوبُ"(٣) ؟
وصـالحاتٍ من ليـالى الحِمى ... ما شـابَهـا إثم ولا حُوبُ
لهوىَ نُسـكٌ ووجوهُ الدمى ... تحت دجاهـا لى محَاريبُ
وذاهـلٍ عابَ حنينى لهـا ... ولم يعِبْ أنْ حنّتِ النيبُ
قال : سَفاهٌ ذِكرُ ما قد مضى ... وظَنَّ أنّ اللـومَ تأديبُ
ما لكَ ؟ لا أحببتَ إلا ومن ... فوقك سوطُ العذلِ مصـبوبُ
إنْ أَبكِ أمرا بعـد ما فاتنى ... فقـد بكى قبـلِىَ "يعقوبُ"
وأنكَرَ الصـبوةَ من شـائبٍ ... حتى كأنْ ما صبتِ الشّـيبُ !
وهـل عدَتنى شيبةٌ فى الحشـا ... إذ مَفـرِقى أسـودُ غِربيبُ

---

(١) اللوب وما قبلها : أسماء مواضع . (٢) المماكس : المشاكس . (٣) ملحوب : اسم موضع .

لا لاقطٌ فيها ولا خاضبٌ والشَّيبُ ملقوطٌ ومخضوبُ
يَغلبُ فيها الحبُّ أمرَ النُّهَى والحزمُ بالأهواءِ مغلوبُ
أَمَا تقنَّعتَ بها رثَّةً لابسُها عُريانُ مسلوبُ؟
تلاقتِ الأوجهُ مَقتًا لها عنِّى فمزورٌّ[1] ومقطوبُ
ناصعةٌ فى العين لكنَّها تُبغَضُ، والناصعُ محبوبُ
فقد أراها وضيا وجهِها لى شَرَكٌ فى البيض منصوبُ
أيامَ فى قوسِ الصِّبا مَنزَعٌ ونَبلُهُ المكنونُ مَنكوبُ
وقد أزورُ الحىَّ مُستقبَلًا، لى منهُ تأهيلٌ وترحيبُ
وأَغشِمُ[2] البيتَ بلا آذنٍ وهو على الأقمارِ مضروبُ
وأشهَدُ النادى، فمستعبَدُ السمعِ بآياتى ومخلوب
ومُوصَدِ الأبوابِ ناديتُهُ حتى بدا لِى وهو محجوبُ
خادعتُ من سلطانه صخرةً فانبجَستْ[3] لى وهى شُؤبوبُ
ورحتُ عنه والذى يَملِكُ المملوكُ والغاصبُ مغصوبُ
فاليومَ إنْ صرتُ الى ما ترَى فهى الليالِى والأعاجيبُ
آنسنى بالعُدمِ توفيرُه عِرضِى وأنَّ المالَ موهوبُ

---

(١) المزورّ : المائل بجنبه، والمقطوب الذى به عبوس . (٢) أغشم البيت : أدخله غصبا، وفى الأصل "أعشم" وهو تحريف، وقد شككنا فى صحة هذه الكلمة حتى أكدها قوله فى هذه القصيدة

ما هجمتْ غَشمًا ولا ضره تدرُّجٌ فيها وترتيبُ

وقوله فى قصيدة أخرى

تَعلَقُ بالآذانِ موصولةً غَشمًا بلا إذن ولا حاجبِ

(٣) انبجست : تفجّرت .

جرّبتُ قوما فتجنّبتهم ورُسُلُ العقلِ التجاريبُ
وزادنى خُبراً بمن أتّقى أنّى بمن آمنُ منكوبُ
قل لأخى الحِرص : آسترحْ إنما حَظُّكَ إدلاجٌ وتأويبُ
اذا الحظوظ آنصرفتْ جانبا لم يُغنِ تصعيدٌ وتصويبُ
مالكَ تحتَ الهُونِ مسترزِقا ؟ وإنما رزقُك مكتوبُ
لا تذهبنّ اليومَ فى ذِلةٍ فاليومُ من عُمرك محسوبُ
وإن جهدتَ النفسَ فى مكسَبٍ فالمجدَ، إنّ المجدَ مكسوبُ
جَدَّ آبنُ "أيّوبَ" ولو قد ونى كفاهُ ما شَيّدَ "أيّوبُ"
رأى رُوَيدَ السير عجزا به فسيرُهُ حُضْرٌ وتقريبُ
سما الى المجد، فقال العدا : له طريقٌ فيه ملحوبُ
ساد طريرَ الماءِ(١) حتى آنتهى والشّيبُ فى فوديه أُلهوبُ
والرمحُ لا يُذْرَعُ(٢) إلا إذا تكاملَتْ فيه الأنابيبُ
أضحى وزيرُ الدّين ذا مَغرَمٍ: وزارةُ الدنيا وتعذيبُ
رتبةُ عِزٍّ، فخرُها عاجلٌ وأجرُها ذُخرٌ وتعقيبُ
ما هجمتْ غَشْماً ولا ضرّه تدرّجٌ فيها وترتيبُ
وزارةٌ ما زال من قومه مُعرِقٌ(٣) فيها ومنسوبُ
أبناءُ "عبّاس" و"أيوبَ" مذ تفرّعوا رَبٌّ ومربوبُ
خلائفُ الله وأنصارُهم فصاحبٌ طابَ ومصحوبُ

(١) طرير الماء : غضًّا فتياً . (٢) يذرع : يقاس بالذراع . (٣) المعرّق : العريق .

لا ودُّهم غِلٌّ ولا حبلُهم يوما بغدرِ الكفِّ مقضوبُ

جارهُمُ يؤكل فى جَورِهم ومالُهُمْ بالإفكِ منهوبُ

وما على مُقْصٍ سواكُمْ اذا أدناكُمُ فى الرأىِ تثريبُ

لا تلكم العاداتُ منكم ولا أسلوبكم تلك الأساليبُ

باسم عميدِ الرؤساءِ الذى ما زاد فى معناه تلقيبُ

رُدَّ عليها بعدَ ما أُيِّمتْ أبناؤها الغُرُّ المَناجيبُ

اكفِ الذىٱستكفَوْك وٱحملْ لهم (١) ما تحمِلُ الصُّمُّ الأهاضيبُ

مُلملَمَ الجنبِ أمينَ القُوى وكلُّهم أدبَرُ (٢) مجلوبُ

وقُدْ أعاديك بأرسانهم (٣) قَسْرًا فمركوبٌ ومجنوبُ

وٱرتعْ من الدولة فى ظُلةٍ رواقها بالعزِّ مطنوبُ

محميَّةِ الروضةِ مرقيَّةٍ والروضُ بالرُّعيانِ (٤) مسلوبُ



أفياؤها (٥) فِيحٌ (٦) وماءُ الحيا فى ظلِّها السابغِ مسكوبُ

وٱصحبْ من النَّيروزِ يومًا يفِى بالعزِّ إن خان الأصاحيبُ

يكُرُّ بالإقبال ما خولفتْ صدورُ دهرٍ وأعاقيبُ

(١) الذى بمعنى الذين وهو فى الجمع كالواحد .

(٢) الأدبر : البعير تصيبه القرحة .

(٣) الأرسان : الحبال .

(٤) الرعيان جمع راع وهو معروف .

(٥) الأفياء جمع فىء وهو الظلّ .

(٦) فِيحٌ : فِساحٌ .

يغشاكُمُ يخــدِمُ إقبالَكم ... ما حنَّ للفُــرجَةِ مكروبُ
لا تستجيرون "بعمرو"(١) ولا ... واعدَكُم بالعُمرِ "عُرقوبُ"(٢)

* * *

وقال وكتب بها الى بعض أصـدقائه من الكتّاب، وهو المهذب أبو المنصور الحسن بن عليّ بن المزرع، وكان غائبا فقدم يغبط له بالورود، ويحثّه على ٱلتزام حاجة له كان ٱبتداء الشروع فيها بعد عتابه إياه على تفريطه فيها

من ناظرٌ لى بين "سَلعٍ" و"قُبَا"(٣) ... كيف أضاء البرقُ أم كيف خَبَا ؟
نبّهنى وميضُــه ولم تَــنَم ... عيــنى ولكن رَدَّ عقلا عَزَبا
قرّتْ له بنـاتُ قلبي(٤) خافقا ... وٱستبردتْه أضلعى ملتهبا

(١) يريد الإشارة الى عمرو الملقّب "جسّاس" وقصته أنه طعن "كُلَيباً" أخا "المهلهل" التغلبيّ صاحب حرب البسوس فألقاه على الأرض فقال له "كُلَيب" : يا "عمـرو" أغثنى بشربة ماء فأجهز عليه وفى ذلك يقول الشاعر

المستجير بعمرو عنـد كربته ... كالمستجير من الرمضاء بالنار

وفى مجمع الأمثال للميدانى

المستغيث بعمرو عند كربتـه ... كالمستغيث من الرمضاء بالنار

والمشهور "المستجير" الخ

وقد صار هـذا البيت مثلا يضرب لمن يستجير فيزيده المستجار بليّة على بليّته . (٢) عُرقوب رجل من العماليق وقصته أن أخًا له أتاه يسأله فقال له عرقوب : اذا أطلعت هـذه النخلة فلك طلعها فلما أطلعت أتاه للعدَة فقال : دعها حتى تصير بلحا، فلما أبلحت قال : دعها حتى تصير زهوا، فلما زهت قال : دعها حتى تصير رطبا، فلما أرطبت قال : دعها حتى تصير تمرا، فلما أتمرت عمد اليها عرقوب فى الليل بجدّها ولم يعط أخاه شيئا فصار مثلا فى الخلف . وقال الاشجعيّ

وعدتَ وكان الخلفُ منك سجيةً ... مواعيدَ عرقوبٍ أخاه بيَتْرَبِ

و"يَتْرَب" بالتاء والراء المفتوحة موضع باليمامة و بعضهم يقولها "يثرب" بالثاء وكسر الراء وهو خطأ .

(٣) سلع وقباء و يقصر موضعان . (٤) بنات قلبي : خواطرى وهواجسي .

كأنه يجلو ثنايا "بالغضا" ... رُوقًا[1] وينهلُّ لَمًى أو شَنَبا

يا لبَعيـد من "مِنًى"، دَنَا به ... ـيوهمنى الصدقَ ـ بُرَيقٌ كَذَبا

ولنَسيمِ سَحَرٍ "بحاجرٍ" ... رَدَّتْ به عهدَ الصِّبَا ريحُ الصَّبا

أليَّـة، ما فتح العطَّارُ عن ... أعبقَ منـه نَفَسًا وأطيبا

سل مَن يدُلُّ الناشدين "بالغضا" ... علَى الطريد ويردّ السَّلَبا ؟

أراجعٌ لى؟ والمُنَى هَلْهَـلَةٌ[2] ... فطالعٌ نجمُ زمانٍ غَرَبا

وطوفةٌ بين القِبابِ "بِمِنًى" ... لا خائفًا عينا ولا مرتقَبا

مستقبَلًا بهَاهُنَا وهَاهُنا ... مقترَعا علىّ أو مجتَذَبا

ألقَى الوصالَ مسفرًا لى وجهُهُ ... والغدرَ لى مع قبحِهِ منتقِبا

هناك مَنْ باعَ الغوانى حِلمَهُ ... بالخُرقِ[3] عُدَّ الحازمَ المجرَّبا

ولائمٍ ملتفتٍ عن صبوتى ... يُنكرها، ولو أحبَّ لصَبا

اذا نَسبتُ بهواى ساءه ... مُصَرَّحًا ولو كَنَيْتُ غَضِبا

---

(١) روق جمع أروق وهو الذى تطول ثناياه العُلَى السُّفْلَى . (٢) فى النسخة المطبوعة "تعلّة" وفى الأصل "هلهلة" ولم نوفّق الى معنًى لها يتّفق والسياق إلا على وجه بعيد، فمن معانيها "التأنى والانتظار" و"تخفيف الثوب وسخف نسجه" و"ترقيق الشّعر"؛ واذا صحّ ظنّنا فلعل الشاعر يريد الإشارة الى تكرار المتمنّى لكلمة "هَلْ" الاستفهامية فى كلامه كلّما خطر بباله هاتفٌ من خواطر التمنّى بالتساؤل طلباً لما يحسبه عزيزا عليه أو حنينا الى ما هو حبيبٌ الى نفسه كقول من يقول متمنيا

* هل مشرقٌ نجمُ سعدى بعدما أفلا *

* هل بالغٌ عزمىَ أوجَ العلا *

* هل راجعٌ عهدُ الصِّبا *

* هل أرى لَيْلَى ولَيلَى بالغضا *

وما إلى ذلك وهو كثير، و"الهَلْهَلَة" فى هذا المقام أشبهُ بقولهم "العنعنة" وهى تكرارُ كلمة "عَنْ" عند ما يُراد بها التكثير من أسماء الثقاتِ على صحّة الإسناد . والله أعلم . (٣) الخُرْق : الحُمق .

وما عليه أن غَرِمتُ "بابلا" "بحاجرٍ" و"فاطما" "بزينبا"
يلومنى لا مات إلا لائمـا أو عاش عاش بالهوى معـذَّبا
قال : عشقتَ أشيباً، يعدُّها منقصةً، نعم! عشقتُ أشيبا
هل شَـعَرٌ بُدِّلتُهُ بِشَـعَرٍ مُبَـدِّلِى من أربِ لى أربا ؟
أَبَى الوفاءُ والهـوى ، وبالغٌ مَعـذرةً من سِيمَ غدرا فأبى
ما أنا من صِبغةِ أيّامكُمُ ولا الذى إن قَلَّبـوه انقلبـا
ولا ابنُ وجهين أَلُمُّ حاضِرا من الصـديقِ وألومُ الغُيَّبا
قلبيَ للإخوانِ شطُّوا أو دنَوا وللهوى ساعفَ دهرٌ أو نبـا
مَن عاذرِى من مُتلاشٍ كلّمـا أذنَبَ يوما وعَـذَرتُ أذنبا
يَضحكُ فى وجهىَ ملء فِيـهِ وإن أغبْ وذُكِرَ اسمِى قَطَّبا
يطيرُ لى حَمامةً فإن رأى خَصاصةً دبَّ ورانى عقـربا
ما أكثرَ النـاسَ وما أقلَّهم وما أقلَّ فى القليـل النُّجَبا
ليتهمُ — إذ لم يكونوا خُلِقوا مهذَّبين — صَحِبوا "المهـذَّبا"
فعلَّمتْهم نفسُـهُ كيف العـلا ووده كيف الصـديقُ المجتبَى
ووردوا من خُلقِـه ويدِهِ أبردَ ما بلَّ الصـدَى وأعذبا
مثل "أبى منصورَ" فلتَلَذَّ لى الـ دنيا ولا سَرَّ سـواه ابنٌ أبا
أُتركُهُ لى غنيمةً باردةً يا دهرُ واذهبْ ببنيك سَلَبـا
اللهُ جارٌ لفـتىً أجارنى على زمانٍ لم أُفُتْهُ هَرَبا
وفرَّجتْ عـنّى يَدَا إسعادِهِ حـوادثا ضغطْنَنِى ونُوَبا
لمـا رأى الأيّام فى صروفهـا نارا تَشُبُّ ورآنى حطَبـا
قام لهـا يَصْـلَى بهـا وناشنِى فلم أذق حَـدًّا لهـا ولا شَبـا

وصان وجهى لاقيا بوجهه ... ذلَّ السؤالِ وكفانى الطلَبا

عِفتُ فلم أشربْ سوى أخلاقه ... اذا كئوسُ الشَّرب دارتْ نخبا

وصحَّ لى جوهرةً من معدنٍ ... أملسَ لا يُنبتُ إلا الذهبا

من معشرٍ تُنْمَى العلا اليهمُ ... هم أهلُها والناسُ منها غُرَبا [1]

كما آقترحتَ، حربُهم وسلمُهم ... شدُّوا [2] رباطَ الخيلِ أو شدُّوا الحُبا

ساسوا يعدّون الملوكَ وآحتبوا ... وسْطَ النَّدِىِّ يصفون العرَبا

يرضيك من حديثهم شاهدُهم ... وفى القديم ما سألتَ الكُتُبا

اذا رجال طأطأ اللؤمُ بهم ... قَعْصًا [3] فشمُّوا بالأنوف الرُّكَبا

طالوا ينالون ثعالبَ [4] القنا ... تحسَبُ ماشيهم بُسُوقًا ركِبا

وحدّثتْ فروعُهم عن أصلهم ... تحدُّثَ الناجم عما غرَبا

لبَّيك مشكورا كما لبَّيتَنى ... وقد دعوتُ قُذُفًا لا كَثَبا

وكنتَ لى بابا الى مطالبى ... ــ لولا قعودُ الحظّ بى ــ وسببَا

تعجَّبَ الناسُ وقد وَليتَها ... أكرومةً، فقلتُ : لا لا عجبا

عينَى منِّى ويدى فهل تُرَى ... يفوتنى ــ ما سَلِما ــ ما طَلَبا ؟

وكيف لا تحفزُه لأربى ... مودّةٌ تمّت فعادت نسبا ؟

ومِقةٌ لو خلَصتْ لآبنِ أبى ... منّىَ هزَّ عِطفَه وطرِبا

وإن يكن هومَّ فيها ناسيا ... وعاجَ عن طريقها وجنَّبا

---

(١) فى الأصل "منهم" . (٢) فى الأصل "سلُّوا" ولعلّها محرّفةٌ عن "شلُّوا" بمعنى : أرسلوا من قولهم : "شلَّت العين دمعَها" بمعنى أرسلته ودفعته ، أو عن "حلُّوا" اذا كان المراد "بالرِّباط" ما تُربط به الدابّة ، أو عن "شدُّوا" اذا كان يراد "بشدّ الرِّباط" إعدادُ الخيل وآرتباطُها لجهاد العدوّ فى الحرب وهو ما رجّحناه ؛ وفى القرآن الكريم (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا آسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ آلْخَيْلِ) . (٣) القعص : داء فى الصدر كأنه يكسر العنق . (٤) الثعالب جمع ثعلب وهو طرف الرمح الداخل فى جُبِّ السنان ، وفى الأصل "تعالب" وهو تحريف .

وقَــدَحتْ فى أملى عنــدهمُ قادحـــةٌ لم يك فيهـا مذنبـا
فقد قبلتُ العـــذرَ أو قتلتُـــه علمـا وقـــد عاتبتُـــه فأعتبا
وآستقبل الرأىَ وأعطى ذمّةً تصفحُ للآنف عمّـا ذهبـا
فاشكر لهـا وكالةً منّى على نفسِىَ وآقض دَيْنهـا إذ وجبا
من لك مثــلى بأخٍ مسـامحٍ ترضيه بالعــذرِ اذا ما غضبا ؟
وآحذر على مجدك أخرى تتقى(١) عَظــم الوفاءِ وتجــرُّ الرِّيَبـا
شمّرْ عن الساقين فى آستداركها وآمحُ بوادى شرِّها معتقِبـا
ولا يزالُ أمَــلى يقنعُ لى بدون ما سدّ خَصاصى(٢) نَشَــبا
ذاك ودعنى شاكيا وسائلا وخذْ حـــديثى غزَلا منسّــبا
كان جناحُ الشوق أمس طائرى منسّرا(٣) فى كبِدى مخلِّبـا
وأكلَ البينُ سمينَ جلَدى حتى غدا سَنامُ صدرى ذَنَبـا
بانَ بك العيشُ الذى يسرُّنى وعاد لمـا عدتَ لى مقــتربا
قال البشير: قادمًا، فقلتُ: مَنْ؟ قال: "أبومنصور"، قلتُ: مرحبا
وقمتُ لا أملِكُ ما يَسَــعُهُ غـــير نعمْتَ من جزاءٍ وحِبـا
أرشفُ من فيه مكانَ آسمك، لا أحسَـــبنى أرشفُ إلا الضَّرَبا(٤)
عَطْفٌ من الأيّام لى ونظَــرٌ جاء وما كنتُ له محتسِــبا
لكنّنى بالبعـــدِ فى أثنـائه(٥) أُصبحُ أو أُمسِى مَروعا مُتعَبا
اذا آطمأنّتْ أضلُعِى تذكّرتْ نواك فاهتزّتْ جوًى لا طرَبا
فادفعْ بهِ صدرَكَ ما آستطعتَهُ يوما تردّ شمــلَ أُنسى شُـــعَبا

---

(١) تتق: تُخرج النِّقْىَ وهو مخ العظم. (٢) الخصاص: الفقر. (٣) منسّرا: باحثا بمنسره وهو منقاره. (٤) الضرَب: الشهد. (٥) فى الأصل "أبياته".

راخِ يديكَ فى آمتـدادِ حبلِهِ وطاوِل الوقتَ به أن يُجـذَبا
وخَفِّف على قلبِى غدًا من وقفةٍ يكون لى فيها الوداعُ العطَبا
ولا تدَعْنى أسأل الرُّكبانَ عن قلبٍ دوٍ(١) وأَستطِبُّ الكتُبا
لا أقفرتْ منكَ ربوعٌ عَمُرَتْ أُنسا ولا أيبسَ عيشٌ رَطُبا
ولا برحتَ مالكـا مقتسِرا نواصِىَ الإقبالِ أو مغتصِبا
حتَّى تكونَ باديا وحاضرا بين النجوم بانيًا مطنِّبا

* * *

وقال يمدح عميدَ الرؤساء أبا طالب بن أيوبَ فى النيروز

(٥١)

أَبلغ بها أُمنيَّةَ الطالبِ فالرزقُ بين الرِّدفِ والغاربِ
ولا تُذَمِّمْ(٢) لوجاها(٣) فما الـ ـراحةُ يومًا فى مَطَا(٤) اللاغبِ
ليلتُها فى الدائبِ المتقِى بُغامُها(٥) فى السارحِ العازبِ
حُداؤها فى الرَّكبِ أحظَى لها من نَعقةِ الراعى أو الراكبِ
فاوتَ بين الطيرِ حالاتُها من باطِشٍ أو فَرِقٍ هائبِ
فالخسفُ للجاثِمِ فى وكرِهِ والخِصبُ للقاطعِ والكاسبِ
أفلحَ من داوسَ طُرْقَ العلا موفَّقا للسَّننِ اللاحِبِ
تُعجِبُه الفضلةُ فى ماله ما لم تَشُبْها مِنَّةُ الواهبِ
ذلك فى المولَى، غَدًا فى العدا مَثلبةٌ، فاسددْ فمَ الثالبِ
خوفى من العائبِ لى نجوةٌ من الأذى تُشكَرُ للعائبِ
والناسُ أصحابىَ ما لم تَمِلْ وُسوقُ أثقالى على صاحبِ

(١) دوٍ : مريض . (٢) تذمَّم : تلُم . (٣) الوجى : الحفا . (٤) المطا : الظهر .
(٥) البغام : الصياح بأرخم ما يكون فى صوت الناقة .

أكون ما ٱستغنيتُ عن رفدهم جِلدةَ بين العينِ والحاجب
فإن عَرَتْ أو حدَثَتْ حاجةٌ فالحبـلُ مَلْقِيٌّ على الغاربِ
وكم أخٍ غَــيَّرَهُ يومُه الـ ـمُقبِـلُ عن أمسِ به الذاهبِ
كنتُ وإيّاه زمانَ الصـدَى كالمـاء والقهوةِ (١) للشـاربِ
ومَــدّ باعيه (٢) نخــلًّى يدى نهبًا لكفِّ القابضِ الجاذبِ
مرّ فلم يعطف لحُبِّ الصِّبا الـ ـجانى ولا حقِّ العلا الواجبِ
كأنّــ ما أحكمتُ من ودّهِ أبرمتُــهُ للمسـحلِ (٣) القاضبِ (٤)
اللهَ للمغصـوبِ فيكم عـلى ديونه يا شيعة الغـاصبِ
قد قلتُ للخابطِ (٥) خلفَ المُنَى مباعـدا : قارِبْ بهـا قاربِ
اِحبس مطاياك فما في السرى إلا جنونُ الطمعِ الكاذبِ
لا تطلبنَّ الرزقَ من معـدِنٍ يَنبوعه غـيرُ "أبى طالبِ"
فالبحرُ مَن خلَّفَــهُ خَلْفَـهُ لم يقتنع بالوشـلِ الناضبِ
خاطَرَ في المجــد فغالَى فتًى لم يخشَ منه قَمْـرةَ الغالبْ
وكاثَرَ النـاسَ بإحسانه فلم يحـزْهُ عــددُ الحاسبِ
اذا ٱحتـبي (٦) ينسبُ عليـاءه دار عليــه قُطُبُ الناسبِ
ضمّ الى ما كسـبتْ نفسُــهُ سالفــةً في عرقـهِ الضاربِ
فظلَّ لا يَشْرُفُ من جانبٍ إلا دعاهُ الفخــرُ من جانبِ
من معشرٍ تضحكُ أيمـانُهـم إن آدّ (٧) عامُ السنةِ (٨) الشـاحبِ

(١) القهوة : الخمرة . (٢) فى الأصل "باعاه" . (٣) المسحل : المنحت .
(٤) القاضب : القاطع . (٥) الخابط : الذى يسير على غير هدى . (٦) فى الأصل "اجتبى" وهو تحريف . (٧) فى الأصل "آ" فرجحنا كلمة "آد" بمعنى : ٱشتدّ .
(٨) السنة : الجدب .

تُحلَبُ أموالُهُمُ ثَرَّةً (١) والضرعُ مبسوسٌ على الحالبِ (٢)

لهم نَدًى شَرِقٌ (٣) منهُمُ بكلِّ مخطوبٍ له خاطبِ

لا نائمُ السامرِ فى الليلةِ الـ طُولَى ولا منتقِرُ الآدبِ (٤)

همْ وَزَرُوا الدولاتِ وآستنصحوا رَعْياً على العاطفِ والساربِ

وهم سيوفُ الخلفاءِ التى تُعلِّمُ الضربَ يدَ الضاربِ

غاروا نجومًا ووقتْ بابنهم (٥) شهادةُ الطالعِ للغاربِ

حَذًا وزادته قُوَى نفسِه، والمجدُ للموروثِ والكاسبِ

زيادةَ البدرِ بشَعشاعِه على ضياءِ الكوكبِ الثاقبِ

ليتَ عيونا لهمُ فى الثرى مغضوضةً بالقدَرِ اللازبِ (٦)

تراك فى رتبتِهم جالسا تأمُرُ فى العارضِ والراتبِ

حتى يُقِرَّ اللهُ منها الذى أُقذِىَ بالرامسِ والتاربِ

قد عَرَفَ "القائمُ بالأمرِ" مذ سَلَّكَ أنَّ القطعَ للقاضبِ (٧)

ظَهَرتَ (٨) بالعِفَّةِ سلطانَه، هذا وما الزاهدُ كالراغبِ

وصنتَ ما حَسَّنَ من ذكرِه عن دنَسِ القادحِ والقاصبِ (٩)

فلا تَزَلْ عندك من طَوْلِه ما عندَه من رأيك الصائبِ

ولا خَلَا دَستُك من مركبٍ غاشٍ ومن راجٍ ومن هائبِ

ودام لى منك ربيعى الذى يُرضِى رياضِى بالحَيَا الساكبِ

(١) ثرة : غزيرة . (٢) المبسوس : الذى لا يدرّ . (٣) فى الأصل "شرف" وهو تحريف . (٤) المنتقر : الداعى بعضا دون بعض، وفى الأصل "مستنفر" . (٥) فى الأصل "باتهم" وهو تحريف . (٦) اللازب : اللازم . (٧) القاضب : السيف القاطع . (٨) ظهرت : أعنت . (٩) القاصب : الجزّار، وقد كنى به عمن يقطع لحوم الناس ذما .

(٥٢)

وجُنّتي الحصداءُ[١] إن صاحَ بي	دهرِيَ : لاسَلْمَ ! فقم حاربِ
مالِيَ في فقــرى الى ناصرٍ	ســـواك مَنْ أحمِي به جانبي
في ودّك آستبليتُ ثوبَ الصِّبا	وفيـــه أنضـــو بُردةَ الشـائبِ
قلـــبي لك المأمونُ تقليبُـــهُ	ما قام "ريّانُ" على "ماربِ"[٢]
أبيضُ ثوبِ الودّ صافٍ على	لونَيْـــهِ من راضٍ ومن عائبِ
وكُلّمـا أُنسـيتُمُ صُحبـــتي	ذكّرَتْكُمْ زَمنُ "الصاحبِ"
وخُـــرَّدًا أرســلتُها شُرَّدًا	من حابلٍ[٣] منكم ومن حائبِ[٤]
كلّ فتـاةٍ مَعَ تعنيسها	تفضَحُ حُسنَ الغادةِ الكاعبِ
ضوافيًا من فوقِ أعراضِكم	للُســـدِلِ المُرخِي وللساحبِ
سارتْ مع الشمس وعمّت مع ال	غيث فمن ذاكٍ[٥] ومن هاضبِ[٦]
تعلَقُ بالآذانِ موصـــولةً	غَشْما بلا إذنٍ ولا حاجبِ
تنصُبُ أعلامًا لكم ، سَيرُها	في الأرضِ ، فلتَشكُرْ يدُ الناصبِ
كرّرتِ الأعيادُ أعدادَها[٧]	والمهـــرجاناتُ على الحاسبِ
حتى لقد خافت بمـا أكثرتْ	ملالةَ القـارئِ والكاتبِ

* * *

وقال يمدح كمال الملك و يهنّئه بالنيروز

لكِ الغــرامُ وللواشي بكِ التعبُ	وكلُّ عذلٍ اذا جَـــدَّ الهوى لَعِبُ
أما كفاه آنصرافُ العين مُعرِضـــةً	عنـــه ، وسمعٌ بوقْرِ الشوق محتجِبُ

---

(١) الحصـــداء : الدرع المحكمة الضـــيقة الحلق . (٢) ريّان ومأرب : جبـــل و بلد .
(٣) الحابل : الصائد ، لنصبه الحبالة . (٤) الحائب : القاتل ، و يريد بهذا البيت أنه يذرد قصائده في كل واد خوفا من حابل يقيّدها أو حائب يقتلها . (٥) الذاكي : المتقد . (٦) هاضب : ماطر وفي الأصل : هاصب . (٧) الضمير في أعدادها يعود الى القصائد .

وأنّ قلبا وأحشاء مُدغدَغةً — اذا آستقامت حُمول الحيّ تضطربُ
لاموا عليك فما حلُّوا وما عقَدوا — عندى، وعابوا فما شقُّوا ولا شعَبوا
فكلُّ نارِ هوًى فى الصدر كامنةٍ — فاللّوم يُسعرها والعذلُ يحتطبُ
آهًا لوحشة ما بيني وبينكُمُ — اذا خلَتْ من دِلاءِ الجيرةِ القُلُبُ
وعطّت[1] القُور[2] والأجراعَ[3] نوقُكُمُ — طُروحَ عيني وحالت بيننا الكُثُبُ
مَن أشتكى الشوقَ إذ هَزَّت وسادتَه — مدامعٌ تَنتَحِي أو أضلعٌ تَجِبُ
فما أسفتُ لشيءٍ فائتٍ أسفِى — من أن أعيش وجيرانُ "الغضا" غُيَبُ
قد كنتُ أسرِقُ دمعى فى محاجره — تطيرًا بالبكى فاليومَ أنتحبُ
لا يُبعدِ اللهُ قلبًا ظلّ عندكُمُ — لم يغنِني عنه نشدانٌ ولا طلبُ
سلبتموهُ فلم تُفتُوا برجعته — وربّما رُدَّ بعدَ الغارة السلَبُ
فأين إذمامكم[4] قبلَ الفراق له — ألّا يضامَ ولا تمشى له الرِّيَبُ؟
أسيرةٌ لكُمُ فى الغدرِ حادثةٌ — تَخُصّ، أم رجَعتْ عن دينها العرَبُ؟
يا أهل ودّى، وما أهلًا دعوتُكُمُ — بالحقِّ لكنها العاداتُ والدُّرَبُ
كُنّا بها نتسمَّى قبلَ غدركُمُ — فاليومَ كلُّ آسمِ ودٍّ بيننا لقبُ
أشبهتمُ الدهرَ فى تلوين صبغته — فكلُّكم حائلُ الألوانِ منقلبُ
كنتم علىَّ مع الأيّام إخوتَها — وليس إلا عُقوقى بينكم نسبُ
صبرًا وإن كان ملبوسا على جزَعٍ — ظُلِمتُ، والصابرُ المظلومُ محتسِبُ
لعلّ عازبَ هذا الحظّ يرجعُ لى — يوما وقاعدَ هذا الجَدّ بى يثبُ

(١) عطّت: شقّت. (٢) القور جمع قارة وهى الجبيل المنقطع عن الجبال أو الأرض ذات الصخور. (٣) الأجراع جمع جَرَع ودِوٌّ الأرض ذات الحزونة تشاكل الرمل وقيل هى الرملة السهلة.
(٤) الإذمام: أخذ الذمّة.

وليتَ أنّ "كالَ المُلكِ" خالصةٌ آراؤه لى ورأىُ الناسِ مؤتَشِبُ[١]
بل ليتَ أنّ قضاياه مواهِبُهُ فكان إنصافُه فى عَرضِ ما يَهَبُ
فتًى قنِعتُ به من بين مَنْ حَمَلَتْ خُوصُ[٢] الركابِ فسارت تُثقَلُ الرُّكُبُ[٣]
أحببتُه حُبَّ عينى أختَها ويدى يدى، ولى فى مَزِيدٍ منهما أربُ
وكان لى حيثُ لاجفنٌ لناظرِهِ حفظًا وصَوناً ولا تحمِى الظُّبا القُرُبُ[٤]
عَطفًا لحقِّ وإسبالًا على ذممى كأنّه وهو مولًى فى الحنوّ أبُ
يرعَى شواردَ فيه لم تَسِرْ مَعَها ريحٌ ولا طمعتْ فى شأوِها السحُبُ
فغالبتنى على ذاك المكان يدٌ للدهر، كان لها ــ مذ ملّنى ــ الغلَبُ
مَلالةٌ لم تطِرْ فيها مُطاوَلةٌ وبغضةٌ كالتجنّى ما لها سببُ
قَسًا فأصبحَ للواشين بى أُذُنًا تليقُ ما اختلقوا عنّى وما اجتلبوا
لو قيل: إنّى سرقتُ السمعَ أو صرفوا الىَّ تبديلَ دينِ اللهِ أو نَسَبوا
لَمَا امترَى أنّ رُسْلَ الله بى حُجِبوا بالرّدِّ أو حُرِّفَتْ عن أمرِىَ الكُتُبُ
فقل له ــ طيَّب اللهُ الوفاءَ له والحقُّ يَسفِرُ والبهتانُ يَنتقِبُ ــ :
يا ناقدَ الناس كشفًا عن جواهرِهم متى تغيَّرَ عن أعراقِه الذهبُ؟
وكيف أفسدَ سوءُ الحظِّ خُبرَكَ بى حتّى بدا لك أنّ الدرّ مَخشَلَبُ[٥]!
أغَيْرَ أنّ فَراشًا طار ينأمُ[٦] بى؟ لو شئتَ كان بنارِ الردِّ يلتهبُ
أبعد أن رضتَنى عشرينَ أو صَعدتْ لا الجَرىُ تُنكِره منّى ولا الجَنَبُ[٧]
يُرْوَى لك الخُرُقُ[٨] عن حزمى فتقبلُه صفحًا ويَجذِبُك الواشى فتنجذبُ!



(١) مؤتشب: غير صريح. (٢) خوص جمع خوصاء، وهى التى غارت عينها. (٣) الركب جمع ركاب. (٤) القرب جمع قراب وهو غمد السيف. (٥) المخشلب: الخرز لا قيمة له. (٦) ينأم بى: يهمس بى. (٧) الجنَبُ: شبه الظَّلَع. (٨) الخُرُقُ: الحمُق.

حاشاكُمُ أن تكونوا عَونَ حادثةٍ أو ترتميني على أيديكم النُّوَبُ
أذنبيَ الحبُّ والإخلاصُ عندكُمُ؟ فإنّ ذنبي الى أيّاميَ الأدبُ
أمَا وقَومِكَ ، والمجدُ التليدُ لهم ـ اذا حلفتُ بهم ـ والدينُ والحسبُ
ما خلتُ ـ والدهرُ لا تفنَى عجائبُهُ ـ أنّ العلا نافقٌ فى سُوقِها الكذبُ
ولا عجبت لدهري كيف يظلمني وإنما ظلمكم أنتم هو العجبُ!
يامَن به صحَّ سُقمُ العيشِ واجتمعتْ على توحدِهِ الأحزابُ والشُّعَبُ
ومَن كَفى المُلكَ ما لم يَكفِ صارمُهُ وردَّ عنه الذى ما ردّه اليَلَبُ(١)
ومَن توسَّط أفقَ المجدِ فاعتدلتْ به البدورُ ولبَّت أمرَهُ الشهُبُ
على بساطِكَ تُقضَى كلُّ مُبهِمةٍ يعنو بها الخطْبُ أو تعيا بها الخُطَبُ
وهالةُ البدرِ دَستٌ أنت راكبه وتارةً هو غابُ الضيغمِ الأشِبُ
بِشرٌ وَقورٌ، وجَدٌّ ضاحكٌ، ورضًا لولا الطلاقةُ خِلْنا أنه غضبُ
جَرَى بكَ الخُلُقُ الفضفاضُ وانقبضتْ بك المهابةُ فالسَّلسالُ واللهبُ
وأفقرتْك العطايا ، والثناءُ غِنًى وأنصبتْك العلا ، والراحةُ النَّصَبُ
مَن عندَهُ نَشَبٌ لا مجدَ يعضُدُه فإنّ عندك مجدًا ما له نَشَبُ
حَلَلْتُ باسمك عَقْدَ الرزق فاندفعتْ عُراه تُفصَمُ لى عفوًا وتَنقضبُ
وكنتَ واسطةَ العِقدِ الذى انتظمتْ عنه السلوكُ ولم تُخدَشْ به الثُّقَبُ
أنتم رفادةُ ظهري إن وَهَى جَلَدِي ودَرَّةُ العيشِ لى والضَّرعُ معتصَبُ
وَمشربي العِدُّ والغدرانُ غائرةٌ منكم لِيَ الحوضُ أو منكم لِيَ القَرَبُ
قدَّمتموني فلي رهنُ السباقِ، وَمَنْ يلزّني بعدُ(٢) : مجنوبٌ ومعتقِبُ

(١) اليلب : الدروع أو جلود تلبس مثل الدروع . (٢) يلزّني : يلزمني و يلصق بي .

عِزِّى بنفسِى ولكن زادنى شرفا … أنى اليـــكم ـ اذا باهلتُ[1] ـ أنتسبُ

والنـاسُ غيرَكُمُ مَن لا يجاوزنى ، … أبيـاته عَمَـــدٌ تُبنَى ولا طُنُبُ

اذا صفوتم فلا وِرْدى ولا صَدَرى … منهم وإن أملَحوا يوما وإن عذُبوا

لى منكم الجبهةُ الغـــرّاء والعُنُقُ الـ … ـتلْعاءُ والناس بعــدُ الرُّسغُ والذنَبُ

فلا تَسـلْنِى الليـــالى فيكُمُ بيـــدٍ … إلا التَّـبابُ[2] لها والشـلُّ والعطبُ

ولا تُصبكم عيـــونُ الدهر إنّ لها … الى الكمال لحاظًا سهمُـــها غَرَبُ[3]

وإن أتَى رائدُ النيروزِ مجتـديًا … أيْمـانَكم فالروابى الخُضرُ والعُشُبُ

فمن جبـــاهكُمُ نورُ الربيع لنـــا … ومن أكفِّكُمُ الأنواءُ تنسكبُ

يومٌ يكُرُّ به إقبـــالُ جَـــدِّكُمُ … غدًا على ملككم ما كرّت الحِقَبُ

تجلُونَ من حسنه حظَّ العيـونِ فللـ … ـأشعار فيكم حظوظُ السمع والطربُ

فـما بقيـــتم فأيّامى بعـــزِّكُمُ … كما أُحبُّ وأحـــوالى كما تجبُ

وقال وكتب بها الى الوزير زعيم الدين فى المهرجان

اذا فاتهـا روضُ الحمى وجَنــوبُهُ … كفاها النسيمُ البابلىُّ وطِيبُـــهُ

وكم حُبَّ من وادٍ الى العيش مجدِبٍ … وأُبغِـضَ مَثْرَى[4] آخَـــر وخصيبُهُ

وما الجـانبُ المسكونُ إلا وفاقُـهُ … هوَى النفسِ، لا خضراؤه وعَشيبُهُ

فدعهـا تَلُسُّ[5] العيشَ طوعَ قلوبها … فأمرعُ ما تـــرعاه ما تستطيبُهُ

(١) باهلت : حاججت مفتخرا . (٢) التباب : الهلاك . (٣) يقال : سهمٌ غَرَبٌ : لا يُدرَى راميه . (٤) المثرى : محل الثراء . (٥) تلسّ : تنتف الكلأ بمقدّم فيها .

وإن الثِّمادَ البَرْضَ(١) فى عزِّ قومها ... لأَ نقعُ من جَمٍّ(٢) يُذَلّ غريبُهُ

وأشبعها ألّا تكون طرائدا ... اذا شُلَّ(٣) من سَرح المسيم(٤) عزيبُهُ

وأن كان حيًّا بالحِمَى ــ إن توفّرتْ ... من الوجد ــ مُبرِى(٥) دائها وطبيبُهُ

وكلُّ هلالٍ "ذو الأراك" حجابُهُ ... يسرُّ البدورَ الطالعاتِ مَغيبُهُ

تحولُ الرماحُ "العامريّةُ" دونه ... فيقنطُ راجيه ويعيا طَليبُهُ

وأتعبُ من حاولتَ يا قلبُ وصلَهُ ... حبيبٌ سِنانُ السمهرىِّ رقيبُهُ

يُصيبُ بعيدا سهمُهُ كلَّ من رمَى ... وترميه أيدِ حولَه لا تصيبُهُ

يلوم على "نجد" ضنينٌ بدمعه ... اذا فارق الأحبابَ جفَّتْ غروبُهُ

وهل طائلٌ فى أن يُكثِّر عذلَهُ ... اذا قلّ من إصغاءِ سمعِى نصيبُهُ؟

وما الناسُ إلا مَنْ فؤادى فؤادُهُ ... لأهلِ "الغضا" أو مَن حبيبى حبيبُهُ

سأرعَى الذى بينى وبينَ ملوّنٍ ... شربتُ على صفوى له ما يشوبُهُ

خذيني بغيرِ الغدرِ خُلقًا وإن جنى ... علىّ الوفاءُ : قَرفُهُ وندوبُهُ

فذلك طينُ الأرضِ لم تُبْنَ فطرتى ... عليها وما ماءٌ سقانى قليبُهُ

خُلقتُ يدًا دون الصديقِ وجُنّةً ... يردُّ بها عن صدره ما ينوبُهُ

ركودى الى الجوِّ العريض ركودُهُ ... اذا رام أمرا أو هبوبى هبوبُهُ

وأصفحُ عنه عاذرا متأولا ... وإن كثُرتْ زَلّاتُهُ وذنوبُهُ

ويُقنعنى منه ظِهارةُ وجهه ... فلا أسأل التفتيشَ كيفَ مَغيبُهُ

ومن طال عن خُبرِ الأخلّاء بحثُهُ ... ليبلُوَهم لم يخلُ مما يريبُهُ

دعينى يكن خصمى زمانِىَ وحدَهُ ... وتكفيك لى أحداثُهُ وخطوبُهُ

(١) الثماد البرض : الماء القليل النزر . (٢) الجم : الماء الكثير . (٣) شل : طرد .
(٤) المسيم : الذى يُرعِى السوام وهى الإبل من قبلهم : أسامها أى أرعاها . (٥) مبرى : مبرئ .

هو الطِّرْفُ غرَّتْ رِحلتى خطواتُه[(١)] وزُمّتْ[(٢)] فكان الليثَ صـعباً ركوبُهُ
أصابعُ من كفَّيه صِلٌّ خديعةً لغـــير التحايا أهـــلُهُ ورحيبُـــهُ
ولولا رجالٌ هم أساةُ جروحِـــهِ جَــرَتْ بدمى أظفارُهُ ونُيـــوبُهُ
لتسقِ بنى "عبـد الرحيم" أكفُّهم فأَروَى الحيـــا وكّافُـــهُ وصبيبُهُ
وما السيلُ ذو الدُّفّاعِ[(٣)] يرغو جُفاؤه[(٤)] بأمرعَ من وادٍ نداهم يَصوبُهُ
هم القاتلونَ الأزْمَ[(٥)] والعـامُ مسنتٌ[(٦)] يقطِّبُ فى وجهِ المُسيم جـــدوبُهُ
وهم إن شكا الفضلُ الغريبُ انفرادَه قبائلُه دونـــ الورى وشُـعوبُهُ
ملوكٌ على الأيّام بيتُ عـــلائهم تُنـاط بأعناق النجوم طُنـــوبُهُ
رَبَا الملكُ طفلًا ناشئًا فى حجورهم وأشيبُ هـــذا الدهرِ بعـــدُ ربيبُهُ
لهم تاجُهُ المعصـــوبُ أيّامَ تاجِـهِ وفيهـــم أخيرا سيـــفُهُ وقضيبُهُ
مواريثُ فيهـــم نصُّها إن مضى أبٌ يَسُـــدُّ الذى سدَّ ابنُـــهُ وينوبُهُ
وأمواتُهـــم فيهم كأحياءِ غـــيرِهم اذا ظَلَعَ المركـــوبُ جاء جَنيبُـــهُ[(٧)]
اذا ما "زعيمُ الدين" حدَّثَ عنهمُ توارَدَ شُبّانُـــ الفخارِ وشيبُـــهُ
هو البُلجةُ البيضاءُ فى وجـــه عزِّهم اذا شان عِزَّ القـــوم بابنٍ شحوبُهُ
يرى نصرَهم ماسار من حسن ذكرهم فتنشرُهُ أفعـــالُهُ وتُطيبُـــهُ
فتًى كمُلتْ فيـــه أداةُ اكتهالِهِ وغصنُ الصِّبا لم يَعْسُ بعـــدُ رطيبُهُ
تحمَّـــلَ أعباءَ الرياســـةِ ناهضا فما لانَ من عرضِ الرجال صليبُهُ
ومن عجبٍ أنــ البِكارَ[(٨)] جليـــدةٌ وقد عُقِــرَتْ بُزْلُ الطريق ونِيبُـــهُ[(٩)]

---

(١) يقال: رَحَلَ البعيرَ رحلةً أى وَضع عليه أداة رَحْلِه . (٢) زمّت: شُدّت . (٣) الدفّاع: الموج.
(٤) الجفاء: الزَّبَد. (٥) الأزم: الضيق . (٦) مسنت: مجدب . (٧) فى الأصل:
"نجيبه" وهو خطأ . (٨) البكار: الفتيّات من الإبل . (٩) النيب: جمع ناب وهى الناقة المسنة .

وكم سابقٍ فيهم ولم يَخْفَ رُسغُهُ ... ولا آبتلَّ فى شوطِ الرِّهانِ سبيبُهُ
ومن منجبٍ فيه أبوه وأُمُّهُ ... وما وَلَدُ الإنسانِ إلا نجيبُهُ
لهم يومَ يحتدُّ الجلادُ كَيُّهُ ... ويومَ التَرامى بالكلام خطيبُهُ
فلا محفلٌ إلا وفيهم صدورُه ... ولا جحفلٌ إلا وفيهم قواضبُهْ
"أبا حسنٍ" باهِلْ بهنَّ فضائلا ... لحاسدها حَرُّ الجوى ولهيبُهُ
يَعيبُك مَثْنىً على الغيظ صدرُهُ ... خوافقُهُ تَزوى[1] به ووجيبُهُ
وكيف ينالُ العيبُ أطرافَ ماجدٍ ... محاسنُ أبناءِ الزمانِ عيوبُهُ
وقال: وهلْ فى الناس من هو فوقه؟ ... فقلتُ: نعم! إن كان فيهم ضريبُهُ
كريمٌ اذا ما ظلَّ يَقسِم مالَهُ ... فأنزرُهُ مستقسِما ما يُصيبُهُ
يحبُّ ثراءَ المال حبًّا لبذله ... وليس كَسوبَ المالِ إلا وَهوبُهُ
أطلتَ يدى بالنصر فى نَيلِ مطلبى ... فأصبح لى أقصاه وهو قريبُهُ
وأمكنتنى من ظَهر حظِّى وعُرفِهِ ... فأسمحَ لى بعد الشِّماس ركوبُهُ
وأغنيتنى عن كلِّ مرعًى أرودُه ... وفجٍّ على تيهِ الطريق أجوبُهُ
وكم جَمَدَ الرزقُ البطىءُ على يدى ... فسلسلتَ من كفَّيك ماءً يُذيبُهُ
ولا خِلفَ[2] إلا من عِصابِك[3] دَرُّهُ ... ولا جَفْرَ[4] إلا من نداك ذَنوبُهُ
اذا روَّعتْ سَرحى من الدهر رَوعةٌ ... زأرتَ فلم يعسِلْ[5] من الخوف ذيبُهُ
فقد صار يحبونى الذى ما سألتُهُ ... ويخطبُ منِّى المدحَ مَن لا أجيبُهُ
فلا يَخْبُ من نُعماك بدرٌ أضاءَ لى ... زمانى ولا نجمٌ هدانى ثُقوبُهُ

(٥٥)

---

(١) تزوى به: تذهب به . (٢) الخلف: الضرع . (٣) العِصابُ: شدُّ فخذى الناقة بحبل لتدرّ، ومنه: "مثل لا يدرّ على العِصاب". (٤) الجفر: البئر لم تُطوَ وهو مذكّر . (٥) فلم يعسل: فلم يضطرب فى عَدْوه .

ولا تتغــيّرْ من وفائــك عادةٌ يَرَى المجـــدُ فى أثنائهــا ما يعيبُهُ
ولا برِحتْ تطرو(١) اليــك شــواردٌ يَلِــين لها وعرُ الفـــلا وسُهوبُهُ
مُطبِّقةٌ ما طبَّــق الأفقَ ، ســيرُها بوصـفك مسرى ليـلِها ودؤوبُهُ
من الـكَلِم السهـلِ المنيعِ مرامُهُ على النـاس والنَّزرِ الكثيرِ عجيبُـهُ
تَرقرَقَ حُسنا فامــترَى كلُّ سامع به وهو مخـــلوبُ الفؤاد طَـروبُهُ
أسربِلُ منه المهرجانَ مُفاضــةً يُصانُ بها عُريانُه وسَــليبُهُ
ينـوبان من ناديك أمنـعَ جانبٍ وأنضرَ رَبعٍ : غضُّــهُ وقشيبُــهُ(٢)
مدى الدهرِ ما هبَّ النسيمُ لناشقٍ ودبَّ على وجــه الصعيدِ دبيبُـهُ
على شَرْطِ(٣) عزٍّ لا تحــولُ رسومُهُ وسَرحِ نعـيمٍ لا تُراعُ سُــروبُهُ

⁂

وقال يمدح الوزيرَ عميدَ الدولة أبا سعد بن عبد الرحيم ، وأنفذها اليه وهو معتزِلُ النظرِ لجفوة جرتْ بينه و بين الأتراك اقتضت تغيُّبَهُ ، و يُعرِّضُ بذكر الساعى به عند شاهانشاه جلالِ الدولة رحمه الله ، وذلك فى المهرجان الواقع فى شوّال من سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة

يا قلب من أين على فَــترةٍ رُدَّ عليــك الولَهُ العـــازبُ ؟
أبعــدَ أن مات شبابُ الهوى شاوَرك المحتنِــكُ الشائبُ
و بعدَ خمسين قضَتْ ماقضتْ وفضــلةٍ أغفلها الحـاسبُ
هبّتْ بأشواقك ''نجــديّةٌ'' مطمِــعةٌ ، أنت لهــا واجبُ ؟
ما أنت يا قلب وأهــلَ الحمى وإنمــا هم أمسُــكَ الذاهبُ

---

(١) تطرو : تأتى من مكان بعيد ، وفى الأصل '' تطر '' . (٢) غض وقشيب مرفوعان على أنهما بدل متطوع والقطع فى البدل جائز كما فى النعت . (٣) كذا بالأصل ولعله ''صَرْح'' .

لم تذكر الغائبَ من عهدهم إلا لأنْ يأكلك الغائبُ
قد وعظَتْ واعظةٌ من حجا بوعظها ما زَهِدَ الراغبُ
فارددْ على الريح أحاديثَها ففي صِباها ناقلٌ كاذبُ
جاءت وقد أفرقْتَ[1] تهدي الصَّبا لا سَلِمَ المجلوبُ والجالبُ
ودون "نجدٍ" وظباءِ الحمى أن يُقْرَعَ المَنسِمُ والغاربُ
والفيلقُ الشهباءُ من "عامرٍ" والطاعنُ الغيرانُ والضاربُ
والشمسُ أدنى من "تميميَّةٍ" طالعُها من "رامةٍ" غاربُ
لو سَبقَتْ بالغدرِ في قومها لَمَا وَفَى في قوسه "حاجبُ"[2]
مكنونةٌ بيضاءُ لم يَعْدُها في البدو لونُ العربِ الشاحبُ
إن وُصفت تيَّمها وصفُها أو نُسبتْ أعجبها الناسبُ
فلا تَغُرَّنَّك نفَّاحةٌ منها ولا بارقةٌ خالبُ
يا راكبَ الأخطارِ تهوي به انزِلْ، كُفيتَ السيرَ يا راكبُ
مالك – والراحةُ قد أمكنَتْ – تشقَى بما أنتَ له طالبُ !
قد آن أن يُعفَى الكالُّ المطا وأن يُراحَ النَّصِبُ اللاغبُ
إنّ المقيمَ اليومَ في غِبطةٍ يحسدها السارحُ والساربُ
قد أربعَ الوادي "ببغداد" وآ تلّ الثرى واتّسع الجانبُ
أظلَّها من سُحْبِ أيدي بني "عبدالرحيم" الهاطلُ الهاضبُ[3]
ورجَعَتْ طالعةً شمسُهم فيها وعاد الكوكبُ الثاقبُ
الى "عميد الدولة" استرجع الـ ـنافرُ أنسا وأَوَى الهاربُ

---

(١) أفرقت : بان الشيب في مفرقك . (٢) حاجب : هو حاجب ابن زرارة وقد تقدّمت الإشارة اليه في صحيفة (٥٩) . (٣) الهاضب : الماطر ، وفي الأصل "القاضب" .

عَمّ وسَوّى عادلا جُـــودهُ حتى آستوى المحرومُ والكاسبُ
طَبّق فى التـــدبير أغراضَـهُ سهما فسهـــما رأيُه الصائبُ
وأدّب الأيّامَ بالحلم، وال جهـلُ على أخلاقها غالبُ
والمُلكُ سَرحٌ نام رُعيانُه وهبّ يطغَى ذئبُـــهُ السارِبُ
كانت جحيما ترتمى بالأذى، فى جانبيهـا الشررُ اللاهبُ
فأخمـــدَتْ هيبتُهُ كلَّ ما هبّ عليها المُوقِـــدُ الحاطبُ
صَبّ عليهـا الدّمَ لمّـا غدتْ بالمـاءِ لا يُطفئُها الساكبُ
فهامـــةٌ ساقطـــةٌ فوقهـــا حَصْدًا وجنبٌ حولها واجبُ
عشواءُ خطبٍ لم يكن يَنجـلِى حتى يؤوبَ القـــمرُ الغـائبُ
يا "شرَفَ الدين" تمدَّحْ بها فالعُجبُ فى أمثالهـا واجبُ
ما زال تَتْـــكِيلُك بالمجـرِم الـ ـمُصِرّ حتى خافـــك التـائبُ
صَـــدْعٌ من الدنيـا تداركتَهُ لولاك ماكان له شاعبُ
جاذبه النـــاسُ يرومـــونَهُ دهرا فـلم يعـــلَقْ به جاذبُ
لا العاجـــز الوانى تأتّى له منهـــم ولا المجتهـــدُ الدائبُ
سَلَلتَ بالعـادة فى جســـمه رأيًا هو الصَّمصامةُ القاضبُ
قـــد ظهَرتْ رايةُ أيّامكم وطبّـق الأرضَ بهـا الجائبُ
وجَمّـعَ الألسنَ تفضيـلُكم فآصـــطلح المـادحُ والثالبُ
لا يَصلحُ الأمرُ على غـــيركم لا دارض منـــه ولا راتبُ
ولا تـــدرُّ المـالَ أخـــلافُهُ وغـــيرُ أيديكم له حالبُ
وزارة مجلسُـــها مَنصِبٌ له آصـــطفاك الله والنـاصبُ
أنتَ لهـا ــ فاشدد يمينا بها ــ الأخُ وآبنُ العمِّ والصـاحبُ

فإن تعزّلتَ وفارقتَها أو نابَ فى تدبيرها نائبُ
كان فِراقًا لك تسديدُهُ ولا عادى سهمُهُ الخائبُ
بَعُدتَ فانحصَّ الذى رِشتَهُ وانقبضَ السائمُ والساربُ
فاعطِفْ على الدنيا وما قد جَرَى به عليه القدرُ اللازبُ
فالليثُ لا يغمِز فى زأره وإن ألحّ النابح الواثبُ
فى جِلاه ذمّى وفى عظمه مُظَفَّرٌ(1) فى عِزّكم خالبُ(2)
مَشَى بها الماشى الى حتفه يا بؤسَ ما أعقبهُ العاقبُ
يا باسطا من كفّه مُزنةً يَبسمُ منها البلدُ القاطبُ
ومَن حَمَى الأرضَ فما فوقَها للخوف مسلوبٌ ولا سالبُ
والمصطفى المحبوب من ماله يَخبِطُ فيه العائثُ الناهب
أغنيتَنى عن كلّ غَرّارةٍ سحابُها المصعِقُ والحاصبُ
وكلِّ مبذولِ الحمى بابُهُ واللؤمُ عن أمواله حاجبُ
لا يخلُقُ الخَجْلةَ فى وجهه لا مادحٌ أثنَى ولا عائبُ
وصُنتَ وجهى بعد ما شفَّنى من مائه المنزَفُ والناضبُ
وخَلَطْتَنِى منك نُعمى بها شَجَّرنِى(3) فى بيتك الناسبُ
وحُطتَنى أمنًا وقد ثارَ لى بالشرّ صِلُّ الرملةِ الواقبُ
كلبٌ أتى الليثَ فأغراه بى وقال وهو الفاجرُ الكاذبُ
وغْدٌ دعىّ ليس من شكله ما هو كاسٍ باسمه كاسبُ
أعداه من مِهنةِ آبائه عِرْقٌ الى اللؤم به ضاربُ

(١) مظفّر: غارزٌ أظافره . (٢) الخالب: الجارح بمخلبه . (٣) شجرنى: جعلنى من شجرتكم أي من ذوى قرباكم .

ولم يكن لو أنه كاتبٌ — يُراعُ منـــه الشاعرُ الكاتبُ

وعند شعرى — لو هجا مثلَهُ — لعرضِـه القـاصمُ[1] والقـاصبُ[2]

فابقَ لأن ترغِمَ لى أنفَـهُ — أنفٌ لعـمرى أجدعٌ تاربُ

والبس من الدولة فضفاضـةً — يَسحَبُ من أذيالهـا الساحبُ

وأقِمْ ليــوم المهرجان الحيا — وفْـداً، فنـعمَ الوافـدُ الآئبُ

يومٌ لآبائـك فى حفظــه — عهــدٌ يُراعَى حقُّـهُ الواجبُ

وأصبِــحْ بفخرٍ طــيرُه أيْمن — وفى عداك البــارح[3] الناعبُ

ما غَرَّدتْ ورقاءُ أو دافعتْ — فتخاءُ[4] عن أفراخها خاضبُ[5]

واسمعْ اذا شُدَّت لهـا حَبوتى — أفصـحَ ما فاهَ به خاطبُ

مرصوعةً بآسمـك من خيرِ ما — لاثَ على مفـرِقه عاصبُ

عنـدك منهـا غَرِدٌ مطربٌ — وعند مِن عاديتَـه نادبُ

من معـدِن الجِدّ ولكن تُرى — رِقّتُهـا أنّى بهـا لاعبُ

لا رَبُّ "غُمْدَانَ"[6] وعَى مثلَها — سمعًا ولا مَن دارُه "مأرِبُ"[7]

وآمضِ مع العـادةِ فى مَهرها — على طـريقٍ نهجُهُ لاحبُ

فـا تَطيبُ الأرضُ موهوبةً — عنـــدىَ لولا أنك الواهبُ

---

(١) القاصم : الكاسر . (٢) القاصب : القاطع . (٣) البارح من الطير : ما يمرّ الى المياسر وهو الذى يتشاءم به . (٤) الفتخاء : العقاب اللينة الجناح . (٥) خاضب : محمرّة الأظفار . (٦) غُمْدَان : قصر باليمن بناه "يَشْرُخُ" بأربعة وجوه أحمر وأبيض وأصفر وأخضر .

(٧) يشير الى سبأ بن يشجب بن يعرب الذى بنى قصر مأرب .

وقال يمدحه ويهنئه بالمهرجان، وكتب بها اليه وهو مقيم بعكبراء وقد شارف العَوْدَ الى النظر بالوزارة بعد اعتزاله منها مُدَيْدَةً، وتقرر ذلك له، يتشوقه ويذكر الحالَ، وذلك فى سنة ستّ وعشرين وأربعمائة

عزفتُ فما أدرى الفتى كيف يرغبُ	وعفتُ فما أشكو القذَى كيف يُشربُ
وروّضنى لليأسِ هجرُ مَطامعى	فبُغض عندى الوفر وهو محبَّبُ
رأيتُ الغنى ما ندَّ عنّى ففاتنى	فكيف يخافُ الفَوْتَ من ليس يَطلُبُ
وأرضَى عن الأقدارِ كيف تصرَّفت	وغيرى بالأقدارِ يرضَى ويغضَبُ
أأشرِى بعِرضى رِفدَ قومٍ مَعوضةً	وأُشعِرُ نفسى أنّ ذلك مكسَبُ؟
فلا جرَّ رزقٌ(١) غِبطةً وهو يُجتَدَى	ولا سَدَّ مالٌ خَلَّةً(٢) وهو يُوهبُ
هنيئا لربِّ الرائحاتِ خلاصُهُ	إذا ضافنى مما يعُقُّ(٣) ويَحلبُ
ومن قَودِها لى فى الصِّلاب ثنيّةٌ(٤)	وبزلاءَ(٥) تعصِى فى القيادِ وتُصحِبُ(٦)
تركتُ لمعطى النائلِ الغَمرِ نَيلَهُ	وإنى الى تَرْك البخيلِ لأقربُ
فلا المدحُ فى المُسنِى الجوادِ أكُدُّه	ولا الجِّزُّ(٧) المنّاعُ ذمّى يَرهَبُ
ويظلمنى المولَى وفى فِىَّ ناصرٌ	وكفّى، فلا أشكو ولا أتعتّبُ
اذا ذهبتْ بى رغبةٌ عن تلاده	طريقًا فما لى عنه بالودّ مذهبُ
له خِصبُهُ دونى ولى نَوْطةٌ(٨) به	وعَوْنٌ على أيامه وهو مُجدِبُ

(١) فى الأصل "رزقا". (٢) الخلة: الفقر. (٣) مما يعق: مما يذبحه. (٤) الثنية: الناقة الطاعنة فى السادسة. (٥) البزلاء: الناقة الطاعنة فى التاسعة وليس بعد ذلك اسم لسن. (٦) تُصحِبُ: تنقاد غالبة بعد صعوبة. (٧) المسنى الذى يجعل الجائزة سنية والجز: البخيل الضيق الخلق. (٨) نوطة: تعلّق.

وللحبِّ منِّى — ما أمِنتُ خيانةً — ... مَحَــلَّةُ قلبٍ قلّمـا يتقلّبُ

أُجِرُّ الهوى — ما لان — فَضْلَةَ مِقوَدى ... ويَعسِــفُنى حينـا فآبَى وأجذِبُ

وما كلّمـا فارقتُ أشربُ دمعــتى ... ولا كلّما غنّى الحَمامُ أُطَرَّبُ

وكم ألِفتْــنى ظبيــةٌ وهى فَــذَّةٌ ... فملتُ ولم أعطِفْ وقد عنّ ربربُ

أحبُّ الوفاءَ مُجمِســا ومغــزِّلا ... وأصحَبُــهُ فيما أجِــدُّ وألعبُ

وأعطِى يدى ما خِلتُنى متفضــلا ... وأمنعها ما خلت أنّىَ أرغبُ

فلو لقِيتْ أيّامَ دهرى خلائق ... لكانت عــلى جَهْلاتِهـا تتأدّبُ

ولو أنهـا للسِّــلم جانحــةٌ معى ... لكانتْ على الشــحناء بى تتحبّبُ

وكنتُ لهـا عُذرا الى كلِّ ماجدٍ ... يَرَى أنهـا فى حرب مثــلِىَ تُذنِبُ

ولكنّها عَجماءُ، سِيّانِ عندها ... شدَا جاملٌ[(١)] أو قال هُجْــرا مؤنّبُ

تشُطُّ بأحبـابى الذيــن أودُّهم ... وتدنو بجـارٍ لا أُحبُّ فتَقصِبُ

ولو أنهـا تأوِى لصونى لقرّبتْ ... بعيــدا وشطّت بالذيــن تُقرِّبُ

كواكبُ آمالى وأقمـارُ مَطلبى ... نأتْنى، وفى الأحبابِ بدرٌ وكوكب

تَطلَّعُ حينا من بُروجِ سُعودِها ... عــلىَّ ويطويهـا البعادُ فتغــربُ

اذا قلتُ: هذا العامُ حسبُ، وبعده الـ ... ـثَّواءُ، أتى فى الأمر ما ليس يُحسَبُ

فكم يَحملُ الثقلَ الضعيفُ وكم تَرَى ... يُقِلُّ وُسوقَ[(٢)] البعــد جنبٌ مندَّبُ[(٣)] !

وكم تكتسِى فى ظلِّ قــومٍ أعزةٍ ... قوادمُ ريشِى ثم تَعــرَى فتُسلَبُ !

ويأخذُ منّى الحاضرون بجَهلهم ... فواضــلَ ما يُعطِى السماحُ المغيَّبُ !

أيدرى الوزيرُ مَن كُنِى عنه أو عُنِى؟ ... نعم هــو يدرى ما أُعَمِّى وأُعرِبُ

---

(١) الجامل: ذو الجَمَل، ويريد به "الحادى". (٢) وسوق جمع وسق وهو الحمل، وفى الأصل "وشوق". (٣) منــدّب: مقرّح.

وإنى بحبلٍ غيرِ أطنابِ بيتِه — على بيتِ شِعرٍ ناصحٍ لا أطنِّبُ
سِماتُ بنى "عبد الرحيم" سَلائطٌ(١) — على وجهِ أشعارِى تُنيرُ وتَثقُبُ
لهم جُمَّتا فكرِى مُطيلا ومقصرا — وصفوتُه صِرفًا وبالماء تُقطَبُ(٢)
فلو قلتُ : إنى فى مديحِ سواهُمُ — صدقتُ، لقال الشعرُ فى السرِّ: تَكذبُ
هُمُ أمكنونى من ظهورِ مآربى — فأركبُ منها ما أشاء وأجنُبُ
ألَمُّ بهم ما لا يُلَمُّ بشاعبٍ — وأرأبُ فيهم صدعَ ما ليس يُرأبُ
وأستعتب الأيامَ وهى مُصِرَّةٌ(٣) — بهيبتهم حتى تَفىءَ فتُعتِبُ
هُمُ رحِمِى والأقربون معقّةٌ(٤) — وفيهم أبى البَرُّ الرؤوفُ ولا أبُ
ودولتهم — لا عُطّلتْ — لِى مَواسِمٌ — وأيامهم سُوقٌ بفضلِىَ تَجلِبُ
ذُخرتُ لهم كنزا مواريثَ قومِهم — فمن رامنى من غيرهم فهو يَغصِبُ
فلا أسمعتْ "ذُبيانُ" بعدى وبعدَهم — بنى "منذرٍ" عذرا به العفوُ يُوجَبُ
ولا فرِحتْ أقيالُ آلِ "أميّةٍ" — بما سَيَّرتْ فيها "تميمٌ" "وتَغلِبُ"
أيا راكبَ العشواءِ يطرَحُ صدرَها — خِطارا على الشّقِّ الذى هو أتعبُ
تَرى ظلَّها فى الشمس تحسَبُ أنه — لأُخرَى سواها لاحقًا أو ستقرُبُ
تغارُ اذا ما أبصرتْ ظلَّ سُنبُكٍ — على الأرض جَلَّى سابقا وهى تَعقُبُ
كأن بِفاجِ الأرض نَقْدٌ(٥) لركضِها — تُغيرُ عليه كيفَ شاءت وتَنهبُ
تَنُصّ مقاضاتين(٦) للسير(٧) تلفِظُ الـ — ـمُحالَ وتُوعِى الحقَّ نصحًا فتوعبُ
وكالئةٍ ترعَى الشخوصَ كأنها — أخو ليلةٍ — بات الربيئةَ(٨) — يرقُبُ

---

(١) سلائط جمع سليطة وهى الزيت أو الدهن ينار به . (٢) تقطب : تُمزَج . (٣) يقال : أصرّ الفرس بأذنه أى سوّاها ونصبها للاستماع . (٤) معقة : عقوق . (٥) فى الأصل "نقلٌ" ولعله تحريف . (٦) فى الأصل : "مفاضاتين" . (٧) فى الأصل "للسر" . (٨) الربيئة : المتطلع يرقب العدو .

اذا ٱقتُضِيَتْ فى ذمّة النجم حاجةٌ ... فتلك لديهـا دعوةٌ لا تخيَّبُ
تحمَّلْ سـلامى وٱحتقِبْ لِىَ حاجةً ... تُضىءُ لك المسرَى وطُرْقُكَ غَيْهَبُ
الى "شرف الدين" ٱنتزعْها إهابَها ... ودعْها عـلى نارِ السِّياط تَلَهّبُ
الى مَلِكٍ لا يسلُكُ النومُ جفنَـهُ ... وفى المُلْكِ صـدعٌ بالسهاد يُشَعَّبُ
ولا تبلُغ الأثقـالُ غايةَ جَهـدِهِ ... اذا ظلّت البُزْلُ المصاعيبُ تشغَبُ
تفحَّصَ فى الآراءِ حتى أرينَـهُ ... ـعلى غير فحصـ أىّ أمرَيه أصوبُ
وأتعبَـه التـدبيرُ حـتى أراحه ... وقد تستريح النفسُ من حيث تتعبُ
فكن مُبلغًا عـنّى، وحظُّك عنـدَه ... اذا أنت باسمى فُهتَ أهلٌ ومرحبُ
وقل يا عميد الدولة ٱعطفْ وإن جَنتْ ... فـا زَلّةٌ إلا وعفـوُك أرحبُ
تَلَافَ عصاها أن تُشَقَّ فإنهـا ... بسوء القضـايا تُلتَحَى وتُشذَّبُ
ودارِكْ ذَمَاها[1] وهو بعـدُ، فربّمـا ... تخور القُـوَى أنْ ينفـعَ المتطبِّبُ
يقرِّبك الإقبـالُ حينا فتؤنس الـ ... حياة ويُقصِـيك الشقاءُ فتُعطِبُ
ومن أعجب الأشـياء تعليلُهـا بمَنْ ... تَرَى عجـزَه من حظّه يتعجّبُ
فإن يبلغوا بالداء لا يحسمونه ... وعنـدهمُ منك الدواءُ المجـرَّبُ
اذا طُلِّقتْ منك الوزارةُ أصبحتْ ... مُجـذّذةً[2] من حُسنها تُتسلَّبُ
تغوّثُ[3] بالأسحـار تدعُو صَباحَها ... وتبكى زمانَ الوصـل منك وتندُبُ
تَخالُ بهـا ربعا مُحيـلًا تساقطتْ ... تحاجلُ فيـه الشاحجاتُ[4] وتنعَبُ
بنيتَ بهـا بِكر الصِّبـا فَمَن الذى ... يُصـفِّى هواها وهى شمطاءُ ثيِّبُ
وأبرحُ من تعنيسهـا وهى أيّمٌ[5] ... ـاذا غبتَـ من يُسمَى لها وهى تُخطَبُ

---

(١) يريد ذماءها وهو بقيّة النفس . (٢) مجذّذة : مقطّعة . (٣) تغوّث : تستغيث .
(٤) الشاحجات : الأغربة التى فى صوتها غلظ . (٥) الأيّم : التى ليس لها زوج .

وهذا أوانُ الشدِّ فانهض بحملِها | وثِبْ واثقا، إنَّ العلاءَ تَوثُّبُ
فما كلُّ ما آستوضحتَ فيها هدايةٌ | وليس ضلالا كلُّ ما تتنكَّبُ
قد آشتاقك المُلْكُ الذى أنت أنسهُ | وأُوحِشَ صدرٌ منه وآرتاعَ موكبُ
وقد أعجفَ(١) الرُّوّادُ وآعتصروا الحيا | من الصخر اذ أمست سماؤك تُحجَبُ
وقُصَّ جَناحُ الشِّعرِ لا الطبعُ جاريا | يَرِقُّ ولا مستولَدُ الفكر يُنْجِبُ
فنحن كأنَّا لم نصِفْ مَلِكا ولم | نقم قطّ ما بين السِّماطين(٢) نخطُبُ
وكائنْ لنا من موقفٍ متشهِّرٍ | لديك يطيبُ القولُ فيه ويعذُبُ
تميزُ به عُتْقَ(٣) القوافى وهُجْنَها(٤) | وتعلمُ ما ذا يُجتبَى ويحبَّبُ
ووجهك بسّامٌ الى المدح مقبِلٌ | عليه ووجهُ الدهرِ جهمٌ(٥) مقطِّبُ
وكم ثَمَّ من مسترزِقٍ حلَفتْ له | لُهاك — وبَرَّتْ — أنه لا يُخيَّبُ
وعيشٍ يبيسٍ بالسماح بللتَه | ووجهُك فيه من بنانك أرطَبُ
رعَى اللهُ منك البحرَ لم أَروَ بعده | بلَى ربَّما أَنعمتَ والبحرُ ينضُبُ
ومَطرَحَ آمالى الذى كلُّ ضيِّقٍ | عليه فسيحٌ عنده لِىَ مَرغَبُ
ومالى اذا أعسرتُ من كلِّ وجهةٍ | وجاهى الذى من بعضه المالَ أكسِبُ
تأجَّنَ(٦) غُدرانى وماؤك سَلسَلٌ | وتخبُثُ أوطانى وتُربُك طيِّبُ
وَجُودُك لى سِيّان ما كنتَ حاضرا | قريبا، وما ينأَى وما يتقرَّبُ
فلولا مضيضُ الشوقِ لم أشكُ غُصَّةً | ولا أجحَفَ التَّردادُ بى والتقلُّبُ
ولكنَّك العينُ التى كلُّ غبطةٍ | اذا هى لم تُوجَدْ عناءٌ معذِّبُ

(١) يقال : أعجف القوم : هزلت مواشيهم وصارت عجافا . (٢) السماط : الصف ، يقال : قام القوم حوله سماطين أى صفين . (٣) العُتق جمع عتيق وهو النجيب من الخيل . (٤) الهجن جمع هجين وهو غير العتيق أو الذى ولدته برذونة من حصان عربىّ . (٥) الجهم : المكفهرّ الوجه . (٦) تأجن : تصير آجنة متغيرة طعم الماء ولونه .

فـلا حَوَّلتْ عـنى ظِلالَك خُطـةٌ تحُـلُّ ولا محـذورةٌ تُتَرقَّبُ
وعشتَ لمثـلى واحدا فى زمانه وللنـاس بعـدى يطلبون وتُطلَبُ
أجازى نداك الغَمـرَ نَشرا(١) مخـلَّدا كلانا مطيـلٌ فى معانيـه مُطنِبُ
بكلِّ مطـاعٍ أمرُها مستجيبة لدعوتهـا الأسماعُ تُرجَى وتُوهَبُ
تَولَّجُ(٢) لا تَخشَى تلوُّنَ آذنٍ، لهـا الخلواتُ والرواقُ المحجَّبُ
يُقِرُّ لها بالفضـلِ من لم تُقِلْ(٣) له ويُعظمُها العيَّـابُ والمتعصِّبُ
لهـا كلُّ صوتٍ، كلُّ راويه مُبلغٌ فصيحٌ، ومَن غنَّى به فهو مُطرِبُ
تَصفَّتْ فقد كادت مع التبر تُقتَنَى ورقَّتْ فقد كادتْ مع المـاء تُشرَبُ
مصدَّقة فى المـدح أسرفَ أو غَلَا ومأمونة ما تسـتزيدُ وَتعتِبُ
تزورك، يوما فى نَديِّك تُجتَـلَى ويوما مع السُّفَّار تُقـرَا وتُكتَبُ
تسوقُ التهـانى خلفَها وأمامَها تُصعِّدُ فى الدنيـا بكم وتُصَـوِّبُ
تذكِّركم من حقِّها إن نسيتُمُ بمـا تَقسِمِ الأعيـادُ حظًّا وتُنصِبُ
تَرفَّعُ عن تيـه المصيبِ وعُجبـهِ ولكن بكم فخـرا تَتيـهُ وتَعجَبُ

⁂

وقال يمدحه ويهنّئه بالمهرجان الواقع فى سنة سبع وعشرين وأربعمائة

سَلِ الركبَ إن أعطاك حاجتَك الركبُ مَنِ الكاعبُ الحسناءُ تمنعها "كعبُ"(٤)؟
قضى أنهـا مغـلوبةٌ لِينُ عطفها وحصَّنها ــ أن تُملَك ــ الأُسُدُ الغُلْبُ
حمَوْها وذبُّوا أن تُرامَ وما حَمَوا قلوبَ الهـوى من مقلتيها ولا ذَبُّوا
وهزُّوا القنا الخطَّار والبيضَ دونها، فمَن طالبٌ؟ والمانع الطعنُ والضربُ

(١) فى الأصل : بشرًا . (٢) تَوَلَّجُ : تدخل . (٣) فى الأصل "يقل" .
(٤) كعب : اسم قبيلة .

يخافون صوتَ العار أن يُصبحوا بها ... حديثا وأفواه المواسم تَستَبُّ
وما العارُ إلا أنّ بين بيوتهم ... قلوبَ المحبين السلائبُ(١) والنَّهبُ
لئن أشحطوها أن تُزارَ فبيننا ... مواثيقُ، بُعدُ الدار إن رُعيتْ(٢) قربُ
وإن حُجبتْ والريح تَسفِرُ(٣) بيننا ... بنجوى فؤادينا فما ضَرَّت الحُجْبُ
وفى دارها "بالروضتين(٤)" لناظرٍ ... شفائفُ(٥) ضوءِ البدرِ تكفُره(٦) السحب
ومنها ومن أترابها فى ثرى الحمى ... عبائقُ تَهديها الصَّبا لِيَ والتربُ
وقفتُ وصَحبي فى "اللِّوى" فأملَّهم ... وقوفيَ حتّى قد وقفتُ ولا صحبُ
أُذاكرُهُ مَرآةَ يومِي بأهله ... فيشكو الذى أشكو ويصبو كما أصبو
ولم أحسَب الأطلالَ تُخضعها النّوى ... ولا أنّ جسم الربع يُنحِلُه الحبُّ
تحدَّثْ بما أبصرتَ يا بارقَ الحمى ... فإنك راوٍ لا يُظَنُّ بك الكذبُ
وقلْ عن حشًى من حَرّها وخفوقها ... تعلَّمتَ ما تنزو خِطارا وتشتبُّ
وعن بدَنٍ لم يبرح الشوقُ مُعرِيًا ... وَشائظَهُ(٧) حتى ٱلتقى الجنبُ والجنبُ
فلو أنه فى جفنِ ظبيةِ حابلٍ ... مكانَ القذَى ما كان يَلفِظُه الهُدبُ
وهذا ضنا جسمى وقلبيَ عندها ... فكيف به لو كان فى جسدى قلبُ
فُطرتُ على طينِ الوفاء ودِينهِ ... فنفسى اليه بالغريزة تنصبُّ
فكم نائمٍ عنّى وثيرٍ مِهادُهُ ... وجنبي له عن لين مَضجَعه ينبو
أصابرُ فيه الليلَ حتى أغيظَهُ ... فتحسُدَ أجفانى على السهر الشهبُ
وأعجبُ ما حدَّثتُهُ أنّ ذمّةً ... وفَتْ فارسٌ فيها وخاسَت(٨) بها العُرْبُ



(١) السلائب: كل ما أخذ قهرا. (٢) فى الأصل: دعيت. (٣) تسفر: تكون سفيرا. (٤) الروضتين: اسم موضع. (٥) الشفائف: الستائر يُستَشَفُّ ما وراءها. (٦) تكفره: تحجبه. (٧) وشائظ جسم وشيظة وهى قطعة عظم تكون فى العظم الصميم. (٨) يقال: خاس بالعهد أى أخلفه.

عذيرى من الأيّام أونحن مرتعى ورنّقن لى من حيثُ يُستعذبُ الشّربُ
ثـاوبُ قومًا غضّها وهشيمَها وكلُّ نصيبى من معيشتهـا الجدبُ
أُخلّى عليهـم عفوَها(١) ودُرورَها فأرضَى بلا ذلٍّ بمـا كدّه العصبُ(٢)
وأتركُـها تَرْكَ المسـالمِ قادرا لأسـلمَ منهـا وهى لى أبدا حربُ
وكم قد شكوتُ الدهرَ لو كان مُشكِيا وعاتبتُ جَورَ الحظّ لو نفع العتبُ
بلى فى يدى ــ لا أكفُرُ اللهَ ــ جانبٌ من العزِّ لى فيــه الوسيعةُ والرَّحبُ
ومنبعُ جُود لو قنَعتُ كفى الغـنى وبلّ غليـلى ماؤه العَلَلُ(٣) السَّكْبُ
تعـوّد جوِّى غيمَــهُ ونسيمَهُ وأرضِىَ أن تزكو عليـه وأن تربو
أقِلْنى من التغرير يا طالبَ العلا ومن كدِّىَ الآمالَ تنهضُ أو تكبو
فلولا الندى العِدُّ ''الرحيمىُّ'' ما جرى الى أيكتى ماءٌ ولا آخضرّ لى تربُ
هم النـاس ناسى والزمانُ زمانُهـم ربيعى وكسبى من رضاهم هو الكسبُ
تملّحْتُ(٤) فيهـم وآلتحفتُ بريشهم فوكرِى بهم حيث آستوى الماءُ والعشبُ
وحسْبى غنًى أو سُـوددا أنّ بحرَهم وسيّدهم عند الملمـات لى حَسْبُ
الى ''شرَف الدين'' آنتشطنا حبالَهـا تُعانِقُ(٥) فى نفض الطـريق وتخْتبُ(٦)
سلائلُ ماصفَّى ''الغَضينُ وداحِسٌ''(٧) وحازت كلابٌ رهنَها وآعتلت كلبُ
بناتُ الفـلا والريح كل حسـيرة اليهـا الرياحُ المستقيماتُ والنُّكْبُ

(١) العفو : اللبن أوّل مايحلب . (٢) العصب : أن تُعصب فخذا الناقة لتدرّ، وفى الأصل ''المضب'' . (٣) العلل : المتابع، وأصله الشرب بعد الشرب تباعا . (٤) تملّحتُ : سمنتُ وفى الأصل : تلمحتُ . (٥) تعانق : تسير العنَق وهو ضرب من السير . (٦) تختبّ : تسير الخبب . (٧) الغضين وداحس : اسما فرسين، يضرب بأحدهما المثل يقال : ''هو أشأم من داحس'' .

كَسيرِ العصا المقدودِ لو سُلكتْ بها (١) تُقوبُ الخروتِ لم يضق دونها ثَقْبُ (٢)
تُخـالُ عِنانًا فى العنـان من الطَّوَى وإن شُطِبتْ (٣) بالسوطِ قلتَ هى الشَّطْبُ
تُحَطُّ اليه وهى قُلْبٌ (٤) من الطَّوَى وتُركَبُ عنه وهى مُجفَرةٌ (٥) قُبُّ
الى مَلِكٍ لا يملِكُ الخوفُ صدرَه خُفوقا ولا يغشَى على رأيه الخطبُ
ولا يطَّبيــه (٦) التيــهُ فى معجزاته اذا هامةُ المفتون أسكرها العُجبُ
مهيبِ الرضا مستصفَحِ السخطِ بالِغٍ به القولُ ما لا يبلغ البـاتر العضبُ
مُحيطٍ بآفاق الإصـابة رأيــهُ بديهًا ، ورأىُ النـاسِ مختمرٌ غِبُّ (٧)
اذا رَفَعتْ للإذن سَجْفا (٨) رواقُهُ فللأعين الإشراقُ والآنُفُ (٩) التربُ
مَقامٌ تُلاقِى عنـده النِّعَمُ السُّطَا (١٠) ويجتمع الرُّغْبُ المحبَّبُ والرُّعْبُ
اذا أَمرتهُ مُرَّةٌ من حفيظةٍ تسوءُ ، نهاه خُلْقه البـاردُ العذبُ
تصـوَّرَ من حُسنٍ وحِلمٍ ونائلٍ ففى الدَّستِ منه البدرُ والبحرُ والعضبُ (١١)
من القوم لم تُضرَبْ عليهم إتاوةٌ ولم يَعتَبِــدْهم غيرَ خالقِهم ربُّ
صـدورٌ قلوبٌ فى المجالسِ والوغَى اذا رشَحوا فاضوا وإن قدَحوا شبُّوا
ومدَّ "عميدُ الدولة" العِرضَ راسخا فحدِّثْ عن ضَربِ العلا الرجلُ الضَّرْبُ (١٢)
وما علمتْ أمُّ الكواكبِ (١٣) قبلَه وقبلَهُمُ أن الهلالَ لها عَقْبُ

(١) السير : القِدَّة من الجلد ، و يقال فى مثل مولَّد : " ليس فى عصاه سير " يضرب لمن لا يقدر على ما يريده . (٢) الخروت جمع خُرت وهو ثقب الإبرة ويريد بها هنا الإبر نفسها . (٣) شطبت : خط فيها السوط بما يخلفه عليها من الأثر . (٤) قلب جمع قلباء : مقلوبة الشفاه . (٥) مجفرة : عظيمة الجنبين . (٦) لا يطبيه : لا يستميله . (٧) غبّ : متأنٍّ فيه . (٨) السجف : كل سترين مقرونين بينهما فرجة . (٩) الآنف جمع أنف وهو معلوم . (١٠) السطا جمع سطوة . (١١) العضب : السيف . (١٢) الضرب : الماضى النَّدْبُ الخفيفُ اللحم . (١٣) أم الكواكب : الشمس .

وأنّ شروقَ الشمس عنهم سيثنِهِى ... الى مَلِكٍ فى صدره الشرقُ والغربُ

أرى المُلك بعـد المَيْل قامت قناتُه ... ولُوحِمَ منه بعد ما آنصدعَ الشّعبُ

لك البُلجة البيضـاءُ إن مات بَحْرُهُ ... وفى يدك التفريجُ إن غَشِىَ الكربُ

وقد علمتْ أمّ الوزارة أنهـا ... اذا غبتَ ثكلَى قَصْرُها(١) الدمعُ والندبُ

وتُطمِعُ مخـدوعَ المنى فى نكاحِها ... مَطامع كذّتهـا وأنت لهـا خِطْبُ(٢)

ودبّوا لهـا تحت الظلام عقاربا ... ولو حسبوا وطء الأخامِص ما دبّوا

ولمّا رأوا عنهـا آلتفاتَك عاجلوا ... وُثوبًا، وقِدْمًا طاح بالقَدَمِ الوثْبُ

رَقَيْتَ بفضـل الحلم شوكَةَ لَسْبِهم ... فقـد ماتت الأفعَى وقد برأ اللّسْبُ

هُمُ عقـروها إذ تعاطَوا فعُـــذِّبوا ... ورأيُك فيهم "صالحٌ"(٣) وهُم السّقبُ(٤)

وراموا التى يَرضَى بها الخُرقُ وحدَهُ ... خداعا وتأباها الحـزامةُ واللُّبُّ

ومن دونها أن يخطبَ الليثُ هُدنةً ... من الذئب أو يبكى من العطش الضبُّ

تُحدِّثُهم أحلامُهم أنّ ظهـرَها ... رَكوبٌ ولكن يُكذَبون اذا هَبُّوا

صِلُوها فـا يشقَى من اليوم معدُها ... عليكم ولا تَذْوَى(٥) وأنتم لهـا قطبُ

ولا برحتْ فيكم تجُـــرُّ عزيزةً ... سرابيـلَ لا يُخفِى ذلاذِلَها(٦) السّحْبُ

ضَممتَ عزيبَ الملك بعد آنتشارِهِ ... وأفرشـتَه أمنًا وقد ذُعِرَ السّربُ

وما زلتَ بالتـــدبير تَركبُ صـعبَه ... الى سهله حتى آستوى السهلُ والصعبُ

أَحبَّك ودًّا مَـن يخافُك طاعةً ... وأعجبُ شىءٍ خِيفـةٌ معَها حُبُّ

ولو نشَزتْ عنك القـلوبُ لردَّها ... لسانُك هذا الحلوُ أو وجهُك الرّطْبُ

٦١

---

(١) قصرها : غايتها . (٢) خِطاب : خاطب . (٣) صالح : اسم نبىّ من أنبياء الله صلوات الله عليهم . (٤) السقب : ولد الناقة . (٥) تذوى : تذبل . (٦) الذلاذل : أسافل القميص الطويل واحدتها : ذُلْذُل، وقيل : أثواب تلبسُ فوق بعضها كل واحد منها أقصر مما تحته لتظهر كلها للناظرين .

فما مُقلةٌ إلا وأنتَ سوادُها ولا كبدٌ إلا وأنت لها خِلبُ (١)

وأما القوافى فهى منذ رعيتها بطائنُ وادٍ كلُّ أعوامه خِصبُ

يكاثفها نبتا ويعذب مشربا فلسّاتُها (٢) خَضْمٌ ورشفاتُها عَبُّ

صحائحَ مُلْسًا كالدِّهانِ وعهدُنا بها عند قومٍ وهى مُجفلةٌ جُرْبُ

وكم بكْرةٍ منها لمدحك قُدتُها فقرّت ومن أخلاقها الغَشْمُ والشَّغْبُ

تغاديك أيام التهانى بوفدها مكرّرةً لُبسًا وهنّ بها قُشْبُ

بشائرُ ملكٍ صدقُه فيكَ، لا يهى له رُكُنٌ ولا يقصّرُ له طُنُبُ (٣)

وأنّ يَدَ الله البسيطةَ جُنّةٌ تقيكم وأحزاب السعودِ لكم حزبُ

يزورُكُمُ قلبى بها مثلَ منطقى فلا الغِشُّ مَخْشِىٌّ عليها ولا الخِبُّ (٤)

وأمدحُ مَن أعطاكُمُ مِن لسانِه وأرضاكُمُ مَن قلبُه بِكُمُ صبُّ

فلا تعدَموا منها عرائسَ عُطّلًا لها من أياديكم قلائدُ أو قُلْبُ (٥)

اذا مشتِ الأقرانُ حولَ خريدةٍ فوَحدتُها فى الحسنِ ليس لها تِربُ

أجُدُّ بها والطبعُ يُجرى خلالَها طُلاوةَ رَقراقٍ تُرى أنها لِعْبُ

وغيرُكُمُ يرتاب بى إن مدحتُه لعرفانه ألّا يحلَّ لها الغصبُ

فأرفعُه بالفعلِ لو كان فاعلا وقد خفَضَتْهُ من نقيصتِه رُبُّ (٦)

يُساءُ كأنّى بالثناء أسبُّهُ لعمرُ أبى إنّ النفاقَ هو السبُّ

(١) الخِلب : حجاب الكبد . (٢) اللَّسّة : أخذ الدابّة النباتَ بجحفلتها . (٣) كذا بالأصل وفى النسخة المطبوعة .

* له ركنُ عزّ أو تقصّر له طنبُ *

(٤) الخِبّ بفتح الخاء وكسرها : الخداع ، وفى الأصل "الحب" وهو تحريف . (٥) القُلْبُ : السوار . (٦) ورُبُّ لغةٌ فى ربَّ ، والبيت مكتظٌّ بكثيرٍ من التورية النحويّة .

* * *

وقال فى سمكة

وكالرقم يحسَـــبه من قـــرا ويُعرَفُ ممّــن إذا مَن كُتبْ
من البَهمِ لو طَلَب النطقَ ضلَّ وفى الأنبيـاء إذا ما طُلِبْ(١)
يبادر خيــلَ الوغى الدُّهمَ والـ ـوراد(٢) بشهبـاء(٣) تُجـــلِى الشهبْ
بحيث تُرَى مخطفاتُ(٤) الحـــديـ ـد يضعفن عن مرهَفات القَصَبْ(٥)
إذا ما تَرَدَّى(٦) نجـا سالمـا ويُقعَص(٧) إن قام أو إن وثبْ
يكون بدرعٍ فيَلقَى وإنْـ تسربلَ درعيــن لاقَى العطبْ(٨)

* * *

وقال فى سُمَارِيّة(٩)

وجاريةٍ فى مَجَـارى الحيـاةِ خلعت(١٠) عليهـا رداء الشـبابِ
وحَلَّيْتُهَا حِليـــةَ المشـــرفـ ـىّ فوق حمـائله والقـــراب

(١) يريد بالبَهْـم البهائم ، وسمّيت بذلك لما فى صوتها من الإبهام ، ويستوى فيها كلّ ذات أربع قوائم من دوابّ البر والماء . ويريد بقوله "وفى الأنبياء" سورة "الأنبياء" فى القرآن الكريم وما تضمّنته حكاية عن سيدنا " يونس " عليه السلام من قوله تعـالى : (وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا) الآية . (٢) الدهم : السود ، والوراد : الحمـر . (٣) " بشهباء " أى " بدرع بيضاء " وهى كناية عن إهاب النون لبياضه ولمعان ما عليـه من قشور تظهر كالنجوم لناظرها . (٤) مخطفات الحديد : لعـله يريد بمخطفات الحـديد الشصوص جمع شِصّ وهى حديدة عقفاء يصاد بها السـمك | صِنارة | . (٥) القصب : عروق الجناح وعظامها ، ويريد بها " الزعانف " وهى أجنحة السمك وغيرها مما يدافع بها عن نفسه . (٦) اذا ماتردّى : اذا ما سقط فى اللجّة واتخذ سبيله فى البحر سربا . (٧) يقعص : يقتل رغم أنفه . (٨) يريد أن هذا الحوت يلقى كل ما ينتابه بدرعه أى بإهابه لمتانته حتى اذا لبس درعين — كناية عن إهابه وعن الشبكة التى يحيطه الصيّـاد بها — فانه يلاقى الموت والهلاك . (٩) سُمَارِيّة : نوع من السفن الصـغيرة تركب فى الأنهـر . (١٠) بالأصـل " جَعَلتُ " .

إذا غادةٌ منعَتْ وطأَها تبطَّنتُ منها ذلولَ الركابِ
وخرَّقَ ما تحته ظهرُها كما تخرقُ الشمسُ ثوبَ السحابِ
وأحمدُ من جسمها أنه كريمُ العظام لئيمُ الإهابِ (١)

* * *

وقال فى الدفاتر

وصفحةِ وجه من وجوهٍ عَلِقتُها أراعى خدوشا فوقها وندوبا
تَعرَّضُ لى والغانياتُ صوادفٌ فأذكُرُ أصداغا لها وتريبا
أكونُ حليما تارةً ما اجتليتُها وقورًا وأحيانا أكون طروبا
ويُعجبنى منهن أنّى لا أرى حبيبا لقلبى أو أراه قريبا
سَبَتْنى بألفاظِ الرجال وطابَ لى جَناها ولم تنطقْ ولم أرَ طيبا
فأودعتُها ما أودع اللهُ مهجتى جلابيبَ خيطت لا تُقلُّ جيوبا
تُقصِّر عن أقدامها ورءوسها وتملأ أصلابا لها وجُنوبا
إذا عُرِّيتْ منها وَقَتْها عيوبَها وإن أُلبِسَتْها لم توارِ عيوبا

قافيــة التـاء

وقال وكتب بها الى الصاحب أبى القاسم بن عبد الرحيم يمدحُه ويذكُر ظفرَه بعدوٍّ كان يناوئه ويهنّئه بمهرجان سنة إحدى عشرة وأربعمائة

ما أنكرتْ إلا البياضَ فصدّتِ وهى التى جَنَت المشيبَ هى التى
غرّاءُ يَشْعَفُ قلبَها فى نحرِها وجبينها ما ساءنى فى لِمّتى
لولا الخلافُ وأخذُهن بدينه لم تكلَف البيضاءُ بالمُسودّةِ

---

(١) إشارة الى بياضها وسواد جرمها .

أأنستِ حين سَريتِ فى ظلمائها ... ونفرتِ أن طلعتْ عليك أهلّتى ؟

ولقد علمتِ ـ وعهدُ "رامةَ" عهدُنا ... فتيْن ـ أنّى لم أشبْ من كَبرة

وإذا عددتِ سِنيَّ لم أكُ صاعدا ... عَددَ الأنابيب التى فى صَعدتى (١)

أَجنيتَها من خَلَّةٍ (٢) فى مَفرِقى ... فتكونَ عندكِ قادحا فى خُلّتى (٣) ؟

نكِروا ـ فلا عَرَفوا ـ "برامةَ" وقفةً ... مَيلاءَ نادتها الديارُ فلبّتِ

وألامُ فيكِ وفيكِ شِبتُ على الصِّبا ... يا جَورَ لائمتى عليك ولِمّتى

وحننتُ نحوكِ حَنّةً عربيّةً ... عِيبت، وتُعذرُ ناقةٌ إن حنّتِ

ماذا على الغضبانِ ؟ ما آسترفدتُه ... دمعا ولا آستوقفتُه من وقفتى

أبغى الشفاءَ بذكره من مُسقمى ... عجبا لمن هو علّتى وتعلّتى !

يا هلْ لليلاتٍ "بجَمعٍ" عودةٌ ؟ ... أم هل الى وادى "مِنًى" من نظرةِ ؟

والحاصبات، وكلُّ موقعِ جمرةٍ ... يَنبذْنَها فى القلبِ مَوقِدُ جمرةِ

ومِن المحرَّمِ صيدُهنّ خليعةٌ ... طابت لها تلك الدماءُ وحلّتِ

حكمتْ عليك بقلبِ ليثٍ مُخدِرٍ ... ورنتْ اليك بعين ظبيٍ مُفلِتِ

ورأيتُ أمَّ الخشفِ تَنشُد بيتها ... أفأنتِ تلك سرقتِ عينَ الظبيةِ !

نشَطُوا عن الركب الحبالَ فنفَّروا ... سكَناتِ أضلاعى بأوّلِ نفرةِ

رفعوا القبابَ، وكلُّ طالبِ فتنةٍ ... يرنو اليكِ وأنتِ وحدكِ فتنتى

لا آستوطأتْ منّى مكانَكِ خُلّةٌ (٤) ... كلُّ الفؤاد نصيبُ ذاتِ الكِلّةِ (٥)

---

(١) الصعدة: القناة . (٢) الخَلّة : الحاجة . (٣) الخُلّة: الصداقة . (٤) الخُلّة : الخليلة . (٥) الكِلّة : الستر الرقيق أو غشاء يُتوقّى به من البعوض [ناموسيّة] .

* * *

يامن يلوم على آجتماعى قاعدا ... والأرضُ واسعة الفُروجِ لنهضتى
ويَرَى الرجالَ وكلُّهم متكثّرٌ ... بصحابةٍ فيلومنى فى وَحدتى
أُعذُرْ أخاك فما تهجّر مُشمِسا ... حتى تقلّص عنه ظلُّ الدَّوحةِ
كيف آعترافى بالصديق وكيف لى ... بالفرق بين محبتى من بِغضتى ؟
وقلوبُ أعدائى الذين أخافُهم ... مغلولةٌ لِىَ فى جسوم أحبّتى
رقَصَ السرابُ فراقنى من راقصٍ ... كَشَرتْ مودّتُه وراءَ الضَّحكة
ورأيتُ فاغرةً ظننتُ كُشورَها ... طلبًا لتقبيلى فكان لنهستى[1]
وَلَدَ الزمانُ الغادرين فما أرى ... أمَّ الوفاء سوى المِقلّ المُقلِتِ[2]
وهُزِلتُ أن سَمِنَ اللئامُ وإنما ... ذلُّ المطامع حزُّ عزّةَ جَوْعتى
ولكلِّ جسمٍ فى النحول بليّةٌ ... وبلاءُ جسمى من تفاوتِ همّتى
أمّا على كذبِ الظنون فإنها ... صدَقتْ أمانٍ فى "الحسين" وبرّتِ
المجدُ ألقحَ فى السماء سحابةً ... نَتَجَتْ به مطرَ البلاد فعمّتِ



أَروَى على يَبَس الشفاهِ وبيّضتْ ... كفّاه باردةً سوادَ الحَرّة[3]
متهلّلا أعدَى بخُضرة جودِه ... جدبَ الرُّبَى من أرضها المغبرّةِ
"بالصاحب" آنفتقتْ لنا ريحُ الصَّبا ... خِصبا وغنى الساقُ فوقَ الأيكةِ[4]
كُفِلَتْ بأُولَى مجدِه أيامُهُ ال ... أخرَى فأحيَا كلَّ فضلٍ ميّتِ
شَرفًا بنى "عبد الرحيم" فإنما ... تُجنَى الثمارُ بقدرِ طِيبِ المَنبِتِ
لكُمُ قُدامَى المجدِ لكن زادكم ... هذا الجَناحُ تحلُّقا فى الذّروةِ
غدتِ الرياسةُ منكُمُ فى واحدٍ ... كَثُرتْ به الأعداءُ لمّا قلّتِ

(١) النهس : النهش . (٢) المقلت : المرأة لا يعيش لها ولد . (٣) الحرّة : الحجارة السود . (٤) الساق : الحمام .

عَطَفتْ لكم يدُهُ وزَمَّتْ أنفَـا ... شُمًّـا لغـيرِ خشاشِــهِ ماذلَّتِ

لمـا تقــلَّدها وكانت ناشزًا ... ألقتْ عَصـاها للقـام وقـرَّتِ

موسومة بكُمُ فمَن تعـلّقَ بهـا ... دعواهُ يفضـحْهُ عِلاطُ(١) الوسمـةِ

نِيطتْ عُراها منـه بابنِ نجيبـةٍ ... سهلِ الخُطَا تحتَ الخطوبِ الصعبةِ

يقظانَ يلتقِطُ الكرى من جفنِـه ... نظـرُ العواقبِ واتّقـاءُ العِـذْرةِ(٢)

لا يطمئنُّ على التـواكُلِ قلبُـهُ ... فيما رعى إنْ نامَ راعى الشَّلَّةِ

تدجُو(٣) الأمور وعنـده من رأيه ... شمس إذا ما جَنَّ خطبٌ جلَّتِ

ويُصيبُ مرتجـلًا بأوّل خَطْـرةٍ ... أغراضَ كلِّ مخمِّـر ومُبيِّتِ

تَدمَى بنـانُ النـادمين وسِــنُّهُ ... ملسـاءُ إثرَ ندامةٍ لم تُنكَتِ

ما ضمَّ شمــلَ المُلكِ إلا رأيُهُ ... بعــد انتشار شَـعاعِهِ المتشتِّتِ

حَسَرَ القذَى عن حوضِهِ وسقَى على ... طولِ الصدَى فشفَى بأوّلِ شربةِ

من بعد ما غمَزَ العــدا في عُودِهِ ... واستضعفوا قـدَمًا له لم تثبُتِ

ولربَّ بادئةٍ وكانت جــذوةً ... كُمِنتْ ضِراما "بالحسين" وتمّت

حاميتَ عنه بصولةِ المتخمِّطِ(٤) الـ ... ـعادى وهَــدْيِ المستكينِ المُخبِتِ(٥)

وإذا عُرَى الحزمِ التقتْ عَلِقَ الفتى ... بمَدَى السريعِ على خُطَا المتثبِّتِ

إن الذينَ على مكانِك أجلبــوا ... ضربوا الطُّلَى(٦) بصــوارم ماسُلَّتِ

طلبوا السماءَ فلا هم ارتفعوا لهـا ... شُلَّ(٧) الأكفِّ ولا السماءُ انحطَّتِ

وبودِّ ذى القَدَمِ القطيعةِ ماشـيا ... لو أنَّهـا سلِمتْ عليــه وزَلَّتِ

---

(١) العلاط : سمة فى عرض عنق البعير، ومنه : لأعلُطنَّك عَلْطَ البعير . (٢) العِذرةُ : اسم بمعنى المعذرة . (٣) تدجو : تُظلِمُ . (٤) المتخمّط : الشديد الغضب . (٥) المخبت : الخاشع المتواضع وفى القرآن الكريم (وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ) . (٦) الطُّلى : الأعناق أو أصولها . (٧) شُلّ جمع أشل .

خان السُّرى رُكُبَ القِلاصِ[1] وسُلِّمتْ بُسُطُ الفلاةِ الى القُروم[2] الجِلَّةِ[3]

يَفْـديك مُرتابٌ بغلطَةِ حظِّه سَرَقَ السيادةَ من خِلالِ الفَلتَـةِ

ما رُدَّ يوما عازبٌ من عقـله إلا رأى الدنيـا به قد جُنَّتِ

قُبِضتْ يداه وما يبـالى سـائلٌ بخِلتْ عليـه يدُ آمرئٍ أو شَلَّتِ

وأرى الوزارةَ لا يُعاصِـلُ[4] نابَهـا حاوٍ سواك على آختلاف الرُّقيَـةِ

يرجوك ريِّضُهـا لمـتنٍ مُزلِقٍ قـد قُطِّـرتْ[5] فُرسـانُه فتردَّتِ

يشتاق ظهرُك صـدرَ مجلسها وكم شكَت الصدورُ من الظهورِ وضجَّتِ

وإذا آلتفتُّ الى الأمور رأيتُهـا مذخورةً لك من خِلالِ تلفُّتِى

فألٌ متى يامنت سـانحَ طـيرهِ صـدقَتْ عِيافَتُهـا بأوّلِ زجرةِ

فهناك فآذكُرْ لى طريفَ بِشارتى بعـلاك وآحفَظْ تالدًا من صحبتى

لو شـافَهَ الصُّمَّ الجِـلادَ محـدِّثٌ عنكم بنى "عبد الرحيم" لأصغتِ

أو عُوِّضتْ بكم السماءُ وقد هوتْ أنوارهـا بَدَلَ النجـومِ تسلَّتِ

البـاذلون فـلو تُصافحُ راحَكم ريحُ الصَّبا وهى الحيا لآستحيتِ

والقائلون بلاغةً فلو آحتبَتْ أمُّ الفصـاحة بينكم لأَذَمَّتِ[6]

أَنِستْ بفاتحة الكتّاب شِـفاهُكم ورزقتُمُ ظَفَرَ الكتّابِ المُسكِتِ

---

(١) القلاص جمع قَلوص وهى الشابّة من الإبل . (٢) القروم جمع قَرْم وهو الفحل من الإبل وقيل : السيد العظيم على التشبيه بالفحل وقد آجتمع كلاهمـا فى قول المتنبى :

ولكنّا نداعب منـك قَرْمًا ✻ تراجعت القرومُ له حقاقا

أى نمازح منك سيدا عظيما صارت فحول الرجال بالنسبة اليه كالنياق بالنسبة الى فحول الجمال، وحقاق جمع حِقّ وهى الناقة التى سقطت أسنانها هرما . (٣) الجِلّة جمع جليل . (٤) يعاصل : يعوّج .

(٥) قُطِّرتْ : ألقيت على قُطرها . (٦) لأذمّت : لأعيت وتخلفت .

لكُم انحَنى صَيَدى[(١)] وأعسلَ حنظلى | للمجتـــنِى وتولَّدتْ حُوشِـــيّتى[(٢)]
وسجــرتمونى[(٣)] منصــفين مودّةً | ورِفادةً يومَىْ رَخاى وشـــدَّتى
أَعشَـــبتُمُ فَبطِنْتُ[(٤)] فى مَرعاكُمُ | والدهرُ يقْنَعُ لى بفضـلِ الجِـرَّة[(٥)]
أدعو وغابَ أبى وقلَّ عشـيرتى | فيكون نصرُكُمُ إجابةَ دعــوتى
ومتى تقيّـدُنى الليـالى عن مدًى | قُـتم فأوسـعتم اليهـا خطـوتى



عجِبَ المـديحُ وقـد عَمَمتكُمُ به | من رَجعـتى فيـه عقيبَ أليّتى
حرَّمتُـــه زمنـا فكنتم وحدكم | من بينِ مَنْ حَمـلَ الترابُ تحلّتى
هو جوهرٌ، ما كلُّ غائصـةٍ له | بالفكر تَعـلمُ ما مكانُ الدُّرّة
ويَصِـحُّ معناه ويسـلَمَ لفظُـهُ | ونظامُه، وهنـاك باقى العـــلَّة
كم خاطبٍ بأعزِّ ما تحوى يدٌ | عذراءَ منـه وعرضُـهُ دونَ ابنتى
ولقــد زففتُ لكم كائنَ خِـدرِه | فـكرمتُمُ صِهرًا ووالِىَ عُـــذْرة
من كلِّ راكبـةٍ بفضـلِ عَفافِها | والحُسنِ عُنْـقَ العائبِ المتعنِّت
عزَّتْ فما عَثَرتْ بغـير معـوِّذٍ | بِلَعًا[(٦)] ولا عَطَستْ بغـير مُشمِّت
أمَــةٌ لكم بجـــزيل ما أوليتُمُ | وتُصـانُ عنـدكُمُ صِيانَ الحُرَّة
سلِمتْ على غَررِ الخلاف، ولادُها | فى أُمَّـــةٍ ووِدادُهـا فى أُمَّـةِ
مَدَّتْ الى ""ساسانَ""[(٧)] ناشرَ عرقِها | وقضت لهـا ""عدنانُ"" بالعربيّةِ
يُصغى الحسودُ لهـا فيشـكرُ أُذنَهُ | طَـربا ووَدَّ لغيظـه لو صَمّت

---

(١) الصَّيَدُ : رفع الرأس كبرا . (٢) الحوشيّة : وحشىّ الكلام وغريبه ويريد أنه صار مولّدا بعد حوشيته . (٣) سجرتمونى : ملأتمونى، وفى الاصل "سحرتمونى" ولعله تحريف . (٤) بطنت : عظم بطنى من الشبع . (٥) الجرّة : مايفيض به البعير فيأكله ثانية . (٦) لعا : كلمة تقال عند العثرة دعاء بالانتعاش . (٧) ساسان : جدّ ملوك الأكاسرة الساسانية .

تَسرِى رفيقـةَ كلِّ يومٍ مُؤذنٍ بسعادةٍ فاذا ألمَّ ألمَّتِ

تَروِى لكم عن "ذى القرون"(١) حديثَهُ قِدَمًا ويُحيِى نشرُها "ذا الرُّمَّةِ"(٢)

أحمدتُمُ ماضىَّ فى أمثالها ولئن بقيتُ لتحمَدُنَّ بقيَّتى

* * *

وقال فى غرض له

رعى الله يوم البين ظبيا أذمَّ لى(٣) بما أثَّر التوديعُ فى وجَناتِهِ

تعاطيتُ إلا النومَ بعد فِراقِهِ كأنّى عليه مُسقَمٌ بحياتِهِ

وصرتُ أذمُّ الدهرَ فى الليل ما دجَا وعهدى به والليلُ من حسناتِهِ

* * *

وقال يرثى الصاحب بن عبد الرحيم و يتفجّع له

قِفَا نِضوَيْكما(٤) "بالغَمْرِ" نسألْ حَفِيًّا(٥) أينَ مثوَى المكرماتِ ؟

وأىُّ ثرًى كريم العرقِ سِيطَتْ(٦) به رِمَمُ المعالى الدارساتِ ؟

وأينَ لذكرها تحتَ الغوادى مَطارحُ أعظمٍ فيها رُفاتِ ؟

وكيف تكوّرتْ بيَدِ المنايا الـ ـغـزالةُ(٧) مُدرَجًا للسافياتِ ؟

وإن أصفَى(٨) مَزادُكما فُدَّا بأذنبةٍ(٩) هُنالكَ مُترَعاتِ

أناملُ "للحسين" غَبرنَ حينا ضرائرَ للغيوث المُرزِماتِ(١٠)

ولُوذَا مُستَدِيْنِ بجنب طَودٍ من المعروف عالى الهضبِ عاتِ

---

(١) ذى القرون : الإسكندر . (٢) ذا الرمة : اسم شاعر . (٣) أذمّ لى : أخذ لى عليه الذمّة . (٤) النضو : المهزول من الإبل وغيرها . (٥) الحفىّ : العالم يتعلم الشىء باستقصاء. وفى القرآن الكريم (يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا) . (٦) سيطت : خُلطت . (٧) الغزالة : الشمس، والسافيات : الرياح تحمل ترابا . (٨) أصفَى : خَلَا . (٩) أذنبة جمع ذنوب وهو الدلو . (١٠) المرزمات : المجلجلات بالرعد .

فـثَمَّ الجـارُ محميُّ النَّـــواحى ... وثَمَّ الرِّعْىُ مكتهِلُ النباتِ
وثَمَّ الوجـــهُ أبلجُ والمســاعى الـ ... ـكِرامُ وثَمَّ حاجاتُ العُـــفاةِ
قِفَـا فتنادَيا فلعـــلَّ صـوتًا ... سـيزقو(١) أو يُصـيخ الى الدُّعاةِ
وقولا : كيف يا حَنَشَ الرمالِ آخـ ... ـتُدِعتَ واستَ من قَنَص الرُّقاةِ ؟
مَن الحاوى الذى انترعتْ يداهُ ... نيوبَ العـزِّ من تلك اللَّهاةِ ؟
لعمرُ العاطفين اليـــك ليـلًا ... لنعمَ أخو العشـايا الصالحـاتِ
ونِعمَ عدوّ مالكَ كنت فيهـــم ... وخصبُ الحالبـاتِ الرابحـاتِ
ومأوَى كلِّ مُطَّـــردٍ تُرامى ... به الأخطـارَ أيدى النائبـاتِ
لِمَنْ خيـلٌ تُضـمَّر للسرايا(٢) ... وفُرسانٌ تُخَمَّـــر للبَيـاتِ ؟
وأنـــديةٌ وأروقـــةٌ رِحابٌ ... تَضُمُّ بدائدَ الفضـــلِ الشتـاتِ ؟
ومَنْ للحكَماتِ من القــوافى ... تطــيرُ بهنّ أجنحةُ الرُّواةِ ؟
ومَن لى يَزحَمُ الأيّامَ عـنّى ... وقــد هجمتْ علىّ مصمِّماتِ ؟
ويجـذِبُ من يد الزمن المُعاصِى ... بأضـابِعى(٣) الى الزمن المُواتِى ؟
ومَن ذا قائـــلٌ : خذْ أو تحكَّمْ ؟ ... إذا أنا قلتُ : هَبْ ، أو قلتُ : هاتِ
وما أنا والعـــزاء وقد تقضَّتْ ... حيـاةٌ تُســتَمَدُّ بهـا حيـاتى
يُعنِّفُ فيك ـ أنْ صُدِعَتْ ضلوعى ـ ... خَلِيٌّ القلبِ من تلك المَنـاتِ
كأنّى فيـــك أُبعَثُ بالتأسّى ... على جزعى وأُغـــرَى بالعظاتِ
رزئتُــك أطولَ الرجلَيْن باعا ... وأمضَى الصارمينْ على العُـــداةِ
وأوفَى من سِراج الأفق نوراً ... إذا الأيّام كانت داجيـــاتِ

---

(١) سيزقو : سيصيح . (٢) السرايا جمع سَرِيَّة وهى قطعة من الجيش . (٣) أضباع : جمع ضبع وهو العضــد .

كأنى قبلَ يومِك لم أُفزَّعْ ... بصائحةِ العشىِّ ولا الغَداةِ
ولم تُطرَفْ بفاجعةٍ لحاظى ... ولم تُقرَعْ بمَرْزِئةٍ(١) صَفاتى
بكيتك فى العُناةِ لحين قالوا : ... قُتلتَ، وددْتُ أنك فى العُناةِ(٢)
أصاب السيفُ منك غِرارَ(٣) سيفٍ ... وحُطَّ بك الفُراتُ الى الفُراتِ
فلا زالت هى البُتْرُ(٤) النَّواتِى(٥) ... سيوفٌ أسلمتك الى النَّواتى(٦)
ذوائبِ أسرتى وكرامِ صَحبى ... وإخوةِ شِدّتى وبنى ثِقاتى
هوت "بالصاحب" القِرِطاتُ(٧) منّى ... فَرُحْتُ بعاطلاتٍ مُصْلَمات(٨)
لقد خُولستُ وُسطَى العِقدِ منكم ... به وخُدِعتُ عن أُخرى القناةِ
فيا مطلولُ ، بلَّ ثراك صبحًا ... صلاةُ الله تَتبعُها صلاتى
لقد واسيتنى فى العيش دهرا ... فمالى لم أُواسِك فى المماتِ
عَسى وبَلَى لنا لا بدّ يومٌ ... سيَقضِى فيك ممطولَ التِّراتِ
فإن أَجزعْ فماضٍ كلُّ ماضٍ ... وإن أصبِرْ فآتٍ كلُّ آتِ

* * *

وقال وكتب بها الى الأستاذ أبى الحسن المختار بن عبد الله الذهبىّ الكاتب ، يذكُر سروره بمودّته من بين الإخوان، وقد سأله ذلك

دعْها تكنْ كالسَّلْفِ(٩) من أخَواتِها ... تَجرِى بها الدنيا على عاداتِها
ما هذه يا قلبُ أوّلُ عثرةٍ ... قذَفتْ بك الأطماعُ فى لَهَواتِها
هى ماعلمتَ، وإن ألمتَ لفضلةٍ ... من ثِقلِ وطأتها وحدّ شَباتِها

(١) المرزئة : المصيبة . (٢) العناة جمع عانٍ وهو الأسير . (٣) الغرار : الحد .
(٤) البُتْر : المقطوعة ، (٥) النواتى : المايلة ضعفا . (٦) النّواتى : الملاحون .
(٧) القِرطات : القُرط ما يُعلّق بالأذن وجمعه قِرَطَة والقرطات جمع الجمع وفى الأصل " الفرطات " .
(٨) مصلمات : مقطوعة الآذان . (٩) السَّلَف : المتقدم ، وسكّنت لامه للضرورة .

كم خطوةٍ لك فى المُنى ازليقةٍ(١) لم تنتصرْ بِلَعًا على عثَراتِها
وذخيرةٍ طفقتْ يداك تضمُّها والدهرُ خلفَك مولَعٌ بشَتاتِها
ووثيقةٍ ألجأتَ ظهرَك مُسنَدًا بغرورها فسقطتَ فى مَهواتِها
لو كنتَ عند نصيحتى لم ترتبِقْ(٢) بمشُورةِ الآمالِ فى حَلَقاتِها
وهَوًى أطعت أميرَهُ فى لذّةٍ متبوعةٍ لم تَنجُ من تَبِعاتِها
يبنى السفينَ اللامعاتِ سرابُها ويُعَدّ مخدوعا ترابُ فلاتِها
وفتاةِ قومٍ لا ينامُ مُغيرُهم رُمتَ اقتسارَهُمُ على خلَواتِها
شحذوا المُدَى لك دونها فركبتَها تغترُّ حتّى طِرتَ فى شَفَراتِها
ويَمينِ جاريةٍ * سَلَكتَ فى مسـ ـباحِها وذَهَبتَ فى آناتِها(٣)
ما كانَ قبلَكَ للحفاظِ شريعةٌ فى دِينِها أبدًا ودينٍ لِداتِها
نظرَتْ فكنتَ ضريبةً لحسامها ومشَتْ فكنتَ دَريئةً(٤) لقَناتِها
ومضيتَ تتبعُ وصلَها ولسانَها(٥) والرشدُ عند صدودِها ووشاتِها
نَمْ، قد سهرتَ فدونَ يومِ وفائها ـ وهى التى جرّبتَ ـ يومُ وفاتِها
واشكر لها كَشْفَ القِناعِ فإنها غَدرتْ فكانَ الغدرُ من حسناتِها
واذكر مآربَ غيرِها واعجبْ لها غصبتك آفتُها على لذّاتِها !

* * *

ومُلثَّمين على النِّفاق بأوجـهٍ صُمٍّ يصيحُ اللؤمُ من قَسَماتِها(٦)

---

(١) إزليقة : لم نعثر على هـذه الكلمة ولعله يريد بها "زلّاقة" . (٢) لم ترتبق : لم تُدخِلْ رأسك فى الربقة وهى عروة فى الحبل الذى يشدّ به البَهم وقد تقدّم . (٣) هكذا ورد بالأصل رسما وشكلا ولم نوفق الى صحة وزنه ولا الى اكتناه ألفاظه ومعناه . (٤) الدريئة : الحلقة يُتعلَّم الطعن عليها . (٥) لسانها أى المتكلم عنها ويريد به الواشى . (٦) القَسمات جمع قَسَمة بفتح السين وكسرها : الوجه ، أو ما بين الوجنتين والأنف .

صبغوا الوفاءَ بياضَه بسوادِه ‏ ‏ ‏ والمكرماتِ هبوبَها بسُباتِها
متراهنين على الدنيّةِ أحرزوا ‏ ‏ ‏ غاياتِها وتناهبوا حَلَباتِها
ورِثتْ نفوسُهُمُ خبائثَ أصلِها ‏ ‏ ‏ لؤمًا وزادت دِقّةً من ذاتِها
أيدٍ تجفُّ على الربيعِ وألسنٌ ‏ ‏ ‏ سَرَقَ السرابُ الإفكَ من كلماتِها
يَصفُ المودّةَ بِشرُها ووراءه ‏ ‏ ‏ بِشرُ الزجاجِ يشِفُّ عن نيّاتِها
دَسّوا المَكايدَ في مواعدَ حُلوةٍ ‏ ‏ ‏ كانت عقاربَ والكِذابُ حُماتُها (١)
خَلَقٌ إذا حدّثتَ عن أخلاقِها ‏ ‏ ‏ فكأنما كشّفتَ عن سَوْآتِها
لله آمالٌ أرقتُ دماءَها ‏ ‏ ‏ فيهم فلم يتعلّقوا بدِيَاتِها
وكرائمٌ وليّتُ فَضّةَ عُذرِها (٢) ‏ ‏ ‏ منهم سوى أكفائِها وكُفاتِها
غُرٌّ أهنتُ على اللئامِ كرامَها ‏ ‏ ‏ وأبحتُ أبناءَ العُقوقِ بناتِها
أهملتُها فيهم سُدًى مظلومةً ‏ ‏ ‏ تبكي أراجزُها على أبياتِها
يتناكرون حقوقَها من بعد ما ‏ ‏ ‏ عُلِطوا (٣) على أعراضِهم بِسِماتِها
من كلِّ مفتوحٍ اليها سمعُهُ ‏ ‏ ‏ مضمومةٍ كفّاه دون صِلاتِها
يَهوَى العُلا فإذا ارتقى لينالَها ‏ ‏ ‏ ردّاه (٤) حبُّ الوفرِ من شُرُفاتِها
حيرانَ يتبعُ مِن أخيه ونجلِه ‏ ‏ ‏ ما يتبعُ الأصداءَ من أصواتِها
مَن عاذري منهم ومَن لحرارةٍ ‏ ‏ ‏ أَشرجتُ (٥) أضلاعي على جمراتِها ؟
ولخُطّةٍ خَسْفٍ عصبتُ بِعارِها ‏ ‏ ‏ رأسَ العلا وحططتُ من درجاتِها ؟
أنا ذاك جانيها فهل أنا آخذٌ ‏ ‏ ‏ غيري بها وهو الذي لم ياتِها (٦) ؟

(٦٦)

(١) حُمَات جمع حُمَة وهي إبرة العقرب تضربُ بها . (٢) العُذر : البكارة . (٣) عُلطوا : وُسِموا . (٤) ردّاه : أسقطه . (٥) أشرجت : جمعت أشراجها والأشراج : العُرى .
(٦) ياتها : يأتها وقد سهّلت الهمزة .

يا حظُّ ما لك ؟ لا أقالك عثرةً — جارى الحظوظِ وغافرٌ زلّاتِهـا
كم أشتكيك وأنت صِلُّ حَمَاطَةٍ (١) — لا يطمعُ الحاووث فى حيّاتِها ؟
عيشٌ كَلَا عيشٍ ونفسٌ ما لها — من مُتعةِ الدنيا سوى حسَراتِها
وتودّ حين تودّ لو ما بُدِّلتْ — أحبابهَـا من جورِها بعُداتِهـا
ويزيدها جَلَدا وفـرطَ تجـلُّدٍ — بين العدا الإشفاقُ من إشماتِها
إن كان عندك يا زمانُ بقيّـةٌ — ممّـا يضامُ بها الكرام فهاتِهـا
صبرا على العوجاءِ من أقدارِها — لا بدّ أن تجرى الى ميقاتِها
ولعلّها بالسخط منك و بالرضا — أن تستقيمَ طريقُها بحُداتِهـا
كم مثلها ضاقتْ لخلّ (٢) ضيقَها — يومٌ ولم يُحسبْ جَلَا غَمَراتِها
ولقد كنزتُ فهل علمتَ مكانَهُ — من صـفوِ أيّامى ومن خيراتِها ؟
خِلًّا تنخّلَه ٱرتيادى واحـــدا — صحّتْ به الدنيا عـلى عِلّاتِهـا
غلِطتْ به أمُّ الزمان فأنجبتْ — فيـه وخابت فى بنى عَلّاتِهـا (٣)
لى منه كالئةُ العيون وبسطةُ الـ — ـأيدى الثقاتِ اذا عدمتُ ثِقاتِها
وقـرابةُ الأخِ، غيرَ أنّ مسافةً — فى الودّ لم يبلغ أخى غاياتِهـا
مِن ما نِى حَرَمِ الإخاءِ ونافضى — طُرُقِ الوفاءِ فمُحرِزى قصَباتِها
والسالمين على تلوّنِ دهرِهم — وتحوّلِ الأشياء عن حالاتِهـا
واذا الأكارعُ والزعانفُ عوّروا — من خلّةٍ كانوا مكانَ سَراتِهـا
نبهتُـهُ ومن العيون غضيضةٌ — حولى وأخرى كنتُ أختَ قذاتِها

(١) الحماطة شجرة التين أو الجميز وعشبة خشنة المسّ . (٢) حلّ : فرج . (٣) بنو العَلّات : بنو أمهاتٍ شتّى من رجل واحد ، واحدتها " عَلّة " وهى الضَّرّة .

فأثرتُ منه أبا الشبول(١) فالت الـ(٢) ـأرماحُ تَدعَسُه(٣) على غاباتها
ملآنَ من شرف السجيّة، نفسُه تحوى الفضائلَ عن جميع جهاتها
منقادة للكرماتِ، وأنفسٌ تدَعُ العلا وتُقادُ فى شهواتها
ما آختارت المختارَ لى إلا يدٌ وثِقتْ لمُغرِسها بطيبِ جَناتها
لله خائـلةٌ رأيتُ ودادَها بدلالة التوفيق فى مرآتها
رَدَّ الزمانُ به شبيبةَ عيشتى بعد آشتعال الشَّيب فى شَعَراتها
وتسوّمت غُرًّا محجّلةً به أيامُ دهرٍ قد نكرتُ شِياتها
كم خَلّةٍ داويتُها بدوائها منه ونعمَى كان من أَدَواتها
وملمّةٍ وَلِىَ الزمانُ فُتوقَها منّى رقعتُ به وسيعَ هَناتها
من حاملٍ صحُفَ الثناء أمانةً لا يستطيعُ النَّكثُ(٤) قرعَ صَفاتها
شكرا كما ضحكتْ اليه مجودةٌ(٥) "بالحَزْن" باقى الطلِّ فى حَنَواتها(٦)
يغدو فينقُلُ ثِقلَها بسكينةٍ فى سَمْتها(٧) هَدْىٌ وفى إخباتها(٨)
طَبٌّ بعلم فُروضها وقُروضها حتى يؤدِّيَها على أوقاتها
أبلغ "أبا الحسَن" التى ما بعدها مرمًى لغالبة المنى ورُماتها
عنّى : مُغلغَلةً تُسِرُّ حديثَها أمَّ الكواكبِ(٩) أو أعيرَ صِفاتها
من منبع الحُلوِ الحلالِ اذا غدا مِلحُ القرائح ذاهبا بفُراتها
لو نازل الرُّهنانَ(١٠) حطَّ قِنانَها(١١) فصبت اليه وحلَّ من عَزَماتها

(١) الشبول جمع شبل وهو آبن الأسد . (٢) بالأصل "تمالت" وهو تحريف . (٣) تدعسه : تدفعه . (٤) فى الأصل : "النَّكتُ" . (٥) مجودة : ممطورة . (٦) الحنوات جمع حنوة وهى العطفة . (٧) السمت : السير على الطريق بالظن . (٨) الإخبات : خروج القوم للخبت وهو المطمئن من الأرض . (٩) أمّ الكواكب : الشمس . (١٠) الرُّهنان : اسم موضع ولعله مشهور بقنان جباله . (١١) قِنان جمع قُنّة وهى قلّة الجبل .

٦٧

يَجزيك عن كسبِ العلاء وحبِّه ... ما تَنطِقُ الخرساءُ بعدَ صُماتِهـا (١)

وتردُّ أعراضَ الكرام كأنّها ... يمنيَّـــةٌ تختالُ فى حِبَراتِهـا (٢)

ثَمَنا لودِّك، إنْ يكن ثَمَناً له ... بذلُ القوافى فيك مكنوناتِهـا

تسخو به لك من نَخيلةِ سرها ... نفسٌ تَرى بك ما تَرى بحياتِها

✦ ✦ ✦

وقال وكتب بها الى أبى قَوامٍ ثابتِ بنِ علىّ بن مزيدٍ يتنجّزه وعدا وذلك فى رجب سنة تسع عشرة وأربعمائة

خصيماىَ من "ظمياءَ" واشٍ وشامتُ ... وحظّاى مظنونٌ لديهـا وفائتُ

وقلبى لهـا وحشيَّةٌ ضلّ خشفُها ... تُطاولُ تَبغيــهِ الرُّبا وتُلافتُ

مضت ليــلةٌ تقتصُّه بعـــدَ ليلةٍ ... ويومٌ تداجيه الشخوصُ الثوابتُ

تناشِدُ عنه النجمَ: أين طريقُهُ؟ ... تخارفُه طَورا وطَورا تسـامِتُ (٣)

ولا هو منهـا حيث يُجمَـــعُ شاردٌ ... ولا يُرتَجَى للعَـــودِ إن عاد فالتُ

سوى أنهـا مرّت بمـاءِ سُوَيقةٍ (٤) ... سُحَيرا (٥)، ورامٍ بالشريعـةِ بائتُ

عـــلى يده للـــرزق أذلغُ (٦) أحرسٌ (٧) ... وضَلعاءُ (٨) فوها ساعةَ النزعِ صـائتُ

يقوت شِـــعاثاً (٩) مقـترين (١٠) بفضلها ... أطابت له أو جانبتـــه المَقاوِتُ

فـا رابهـا إلا دمٌ ونُـــويرةٌ (١١) ... ومنتقَياتٌ (١٢) ـ من عظامٍ ـ رفائتُ

---

(١) الصُّمات: لغة فى الصُّموت وهو السكوت. (٢) حبراتها بكسر الحاء وفتحها جمع حِبَرة: ضرب من برود اليمن. (٣) تسامت: تقابل وتوازى. (٤) سويقة تصغير ساقية. (٥) سحير تصغير سحر. (٦) الأذلغ: متشقق الشفتين ويريد به السهم، وفى الأصل "أذلع". (٧) الأحرس: القديم العادىّ الذى أتى عليه الحَرْس أى الدهر. (٨) الضلعاء: القوس المعوجّة. (٩) شعاثا: غُبْر الرءوس. (١٠) مقترين: معسرين. (١١) نويرة تصغير نار. (١٢) منتقيات: أُكِلَ نِقْيها وهو مخّها.

فعادت تُماشى اليأسَ موضعَ ظلّه ... وللحَيْن ـ لو أغنى الحذارُ ـ مَواقتُ
وخبّرنى السُّـــفّارُ أن قد تبدّلتْ ... فقلت : حديثٌ مضحِكٌ وهو كابتُ (١)
أسدَّ مكانى فى الهوى مَنْ تعوّضتْ ؟ ... مـــدًى وأبيهـا بيننا متفاوتُ !
أمِنْهـا خيالٌ والجُنـوبُ خوافقٌ ... بجانب ''خَبْتٍ'' (٢) والجفونُ خوافتُ ؟
طوى الليلَ نجمًا وهو يستثقلُ الخُطا ... بساهـــلةِ الأردافِ ثم يعـانتُ (٣)
فبتنا به فى ضَوعـــةٍ وإنارةٍ ... وبانُ ''اللّوى'' خزيان والبدرُ باهتُ
نرى أَن فأْرَ (٤) المسك تحتَ رحالنـا ... فتائـــقُ من أردانه وفتائتُ
سل الخِيمَ (٥) بالبيضاء من جانب الحمى : ... أَتُجمَعُ أوطارى بكنّ الشـــتائتُ ؟
وهل لطريدٍ ســلّه الدهرُ مُدرَكٌ ... فتُعقَلَ لى ليـــلا تكنّ الفَـلائتُ ؟
اذ العيشُ حىٌّ والزمانُ مراهق ... فـــتىٌّ وريحانُ البطالةِ نابتُ
تلوّنَ رأسى صِبغَتين فميّتٌ ... وذو نبّـــةٍ أو لاحـقٌ متمـاوتُ
وأمست على أيدى الغوانى حبائلى ... وهنّ بأطـــراف البنان بتائتُ (٦)
وما الدهرُ إلا داءُ هـمٍّ ممـاطل ... مدى العيش أو خطبٌ هَجومٌ مُباغِتُ
عذيرى من الإخوان لا أستشِفُّ من ... قلوبهمُ مَنْ وامقٌ لى وماقتُ
خِفافًا الى ما ساءنى فمصالتٌ (٧) ... به أو مُداجٍ، كيف لى لو يصالتُ ؟
جعلتُ الجفاءَ عُوذةً لىَ منهُـمُ ... وفى الناس أجساما قلوبٌ عَفارتُ
وعلّمنى نَبـــذِى لهـم وتوحّدى ... بنفسِىَ أنّى فى التكثّر غالتُ (٨)

---

(١) كابت : محزن . (٢) خَبْت : من قُرى ''زبيد'' باليمن . (٣) يعانت : يشقّ عليه .
(٤) الفأر : النافجة وهو وعاء المسك . (٥) الخيم : اسم جبل . (٦) بتائت : مقطوعة .
(٧) المصالت : المضارب بالسيف . (٨) الغالت : الذى يغلط فى الحساب وقيل : الغَلَتُ فى الحساب، والغلط فى القول .

سل السارحَ المخدوعَ أعجف مالَه جَفاءُ السُّمِىِّ[1] والسنونَ السوانتُ[2]،
توغّل يرجوها وتُخلف ظنَّــه مَنابعُ أكدَى ماؤها ومَنابتُ :
الى أين ؟ وآبن الغاضريّة[3] شاهدٌ يغــرُّك نجــمٌ أو يدلُّك خارتُ[4]
تلقَّ الحيا من جَوِّه وآرعَ روضَــهُ تدرّ العجافُ أو تعيش المَوَائتُ
ألا إنما بدرُ السماءِ آبن شمسها وبدرُ بنى "عوف" على الأرض ثابتُ[5]
فتًى، لا على الأعذارِ بالعهد ناكثٌ ولا مَعَ فرط الجود للسنّ ناكتُ[6]
يبيتُ خميصا جنبُــهُ و وسـادُه وطارقُهُ خِصــبا كما شاء بائتُ
اذا الليلةُ الطُّولَى أمرّتْ وأيبستْ فللضيف منه مُثمِرُ الليــلِ رابتُ[7]
تَرَى مالَهُ ما سـلّه الجودُ لا التى تناعرُ[8] حوليها الحــداةُ المَصاوتُ
رخىُّ البنانِ فى النوائب كلّمـا أضبَّ[9] على المـال الحسيبُ[10] المباكتُ[11]
تَهادَى نساءُ الحىِّ وصــفَ حنانه وتأباه فى الروع الرجال المَصالتُ[12]
ترى الحلمَ مشـــحونا و وراء ردائه اذا مرَّ ينزو الطائشُ المتهـافتُ
فهل مبلغٌ عنى "خُزَيمةَ" ما وعى حصاها البديدُ أو رباها الثوابتُ ؟ :
وَفَى لكِ مجدا ما تَعُدِّين فى "أبى قوامٍ" اذا خان الفـروعُ النوابتُ
ولدتِ وأولدتِ الكبيرَ، ومثـلُه قليــلٌ وأُمّاتُ الصقور مَقالتُ[13]
سبقتَ فــلم يلْقَ غبارَك جامحٌ وفتَّ فــلم يملكْ صِفاتِك ناعتُ

---

(١) السمىّ جمع سماء وهو المطر . (٢) السوانت : المجدبة . (٣) الغاضريّة نسبة الى "غاضِرة" : قبيلة من أسد . (٤) الخارت : الدليل الحاذق الذى يهتدى الى أُخرات المفاوز وهى مضايقها وطرقها الخفيّة . (٥) ثابت : اسم ممدوحه . (٦) ناكت : قارع . (٧) الرابت الذى يضرب على جنب الصبىّ بيده لينام . (٨) تناعر : تصوّت . (٩) أضبَّ على المـال : أخفاه وأمسكه . (١٠) الحسيب : الحاسب . (١١) المباكت : المستقبل غيره بما يكره . (١٢) المَصالت جمع مِصلت وهو الشجاع . (١٣) مقالت جمع مِقلات وهى التى تلد واحدا ثم لا تلد .

وجرَّبك الأعداءُ غمزا وهزّةً ... فما خدَشتْ فى مَروتَيْك النواحتُ

فداك صديقٌ وجهُهُ، وفؤاده ... مُعادٍ على دين المعالى مُعانتُ

يريك الرضا والغلُّ حشو جفونه ... وقد تنطقُ العينان والفمُ ساكتُ

طوَى بِغضةً فى جفنه فهو باسمٌ ... وفى فيه ليثٌ كاشرٌ لك هارتُ[1]

أهبتُ بشِعرى فأنبرت لك عيسُهُ ... بما حملتْ وهى الخُضوعُ الخَوابتُ

فعادت بما أرعيتَها، ولِبَانُها[2] ... طَواعٍ[3] على لىّ الجبالِ ضواغتُ[4]

ونادتك لُغواتُ[5] السؤال فأفصحت[6] ... يداك وأيدى المانعين صوامتُ

وأوسعتنى مالّا أتى لم تُخضْ له الـ ... ـدياجى ولم تُنفَضْ عليه السَّبارتُ[7]

وخُلقًا كما شعشعتها ذهبيّةً ... "ببابلَ" أهدتها اليك الحوانتُ

ولم تك ـ حاشا مجدِنفسك ـ كأمرئٍ ... تَصامَمَ عنّى وهو للمدح ناصتُ

وقومٍ كأن الشِّعر فيهم بليّةٌ ... أعرّت[8] وعافتها الأكفُّ الزوافتُ

فكن سامعا ما آمتدّ باعُك فى العلا ... وسُرَّ محبٌّ أو تخيَّبَ شامتُ

ثناءً، فمُ الراوى عليك مسلِّمٌ ... به ومصلٍّ الشكر باسمك قانتُ

تزورك منه فى أوانٍ فروضها ... قوافٍ لها عند الكرام مَواقتُ

يُفدْن الغنى أضعافَ ما يستفدنَهُ ... وهن بقايا والعطايا فوائتُ

أقول لأيّامى : دعى لىَ أو خذى ... فما أنتِ إلا المقبلاتُ اللوافتُ

فلست أبالى مَن تزيَّل ركبُهُ ... "وثابت" لى على المودة ثابتُ

---

(١) الهارت : واسع الشدق . (٢) لِبان جمع لَبون وهى الغزيرة اللبن . (٣) طواع جمع طاعية وهى الطائعة . (٤) ضواغت جمع ضاغتة وهى التى تلوك بأسنانها ونواجذها ، وفى الأصل "طواعت" . (٥) لُغوات جمع لُغوة كغُرفة وهى اللغة . (٦) فى الأصل "فأصبحت" ولا معنى لها . (٧) السبارت جمع سُبروت وهو القفر لا نبات فيه . (٨) أعرّت أى جاءت بالعرّ وهو الجرب .

وقال وكتب بها الى تاج الدولة أبى المكارم بن مُكَرَّم بعد انقطاعه عن مدحه وأنشده إياها فى عيد النحر

حماها بأطراف الرماح حُماتُها ... فلا حَفلُها منّا ولا خَلواتُها
وذبَّ[1] عنها من "عُقَيل بن عامرٍ" ... أراقمُ لا تَحوى شَباها رُقاتُها
عشيرةُ مكلوءِ البيوتِ محصَّنٍ ... يَعِزُّ بنوها أن ترام بَناتُها
معودة طردَ العيوب غيوبُها ... اذا حفِظتْ عوراتِها أَسَلاتُها[2]
وحرَّم واليها الوُلوعَ بذكرها ... وإن عَتبت أخرى عليها سِماتُها
فهل مغمَزٌ فى جانبٍ من ورائه ... "سلامةُ" يا قلبى وهذى حَصاتُها[3]؟
فكم فى بيوت "العامريّات" من هوًى ... يُناط كما نيطت بها خالفاتُها
ومثلُكَ أَسرَى لا يُسام فداؤها ... هوانا وقتلَى[4] لا تُساق دياتُها
بلى لكَ منها فى الكرى إنْ وفَى الكرى ... وفى الريح حظٌّ إن جرت نفحاتُها
وليلٍ "بذى ضالٍ" قصيرٍ طويلُه ... على البُدْن، تَطوى دَرجَه ناجياتُها
ترى العيسَ فى أجوازه بقلوبها ... الى قصده ما لا ترى لحظاتُها
بها من حنينٍ تحته ما بركبها ... وإن نطقوا الشكوى وطال صُماتُها
اذا الريح قَرّت[5] فاستهزّت ضلوعَهم ... تصلَّوا[6] بما تُذكى لهم زفراتُها
سَرتْ بنشاوَى من معاقرة السُّرى ... وسائدُهم فوق الثرى رُكَباتُها
نضَوا ما نضَوا من ليلهم ثم هوَّموا ... غِرارا[7] وقد خاط العيونَ سِناتُها[8]

---

(١) ذبّ: دافع. (٢) أسلات جمع أسلة وهى مستدقّ اللسان. (٣) الحصاة: العشيرة القوية الكثيرة العدد. (٤) فى الأصل: "قلبى" وهو تحريف. (٥) قرت: بردت. (٦) تصلّوا: استدفأوا. (٧) الغرار: القليل من النوم. (٨) سنات جمع سِنَة وهى فتور يتقدم النوم.

عــلى ساعةٍ جِنُّ الفــلاةِ ووحشُها ... تريها الشـخوصَ الزُّورَ عنا فلاتُهـا
تخطَّت الينا "الغَورَ فالعرضَ فالحمى"(١) ... وما ذاك مَمشـاها ولا خُطُواتُهـا
فبتنا لهـا فى نعمةٍ شُكِـرتْ لهـا ... وما هى جَـدواها ولا أعطِياتُهـا
عواطفُ دُنيَـا فى الكرى لو أردتُهـا ... عـلى مثلها يقظانَ عَزَّ ٱلتفاتُهـا
فــلم أرها وعنــد قومٍ أداتُهـا ... من العيش إلا وهْىَ عنـدى أداتُهـا
ســقى الله شرًّا دوحةً لى سَيالُهـا(٢) ... وللنـاس مُلْقَى ظلِّهـا وجَناتُهـا(٣)
ولودا، ولِى من حظِّها بطنُ حائلٍ ... معنَّسَــةٍ(٤) شابت وشابَ لِداتُهـا
أغامز منهـا صخرةً "إرميَّــةً"(٥) ... تفُــلُّ النيوبَ وهى جَلْدٌ صَـفاتُهـا
وكيف تسـامُ النَّصْــفَ أمٌّ تلوَّنتْ ... مَعارِفُها إن حُوشيتْ مُنكَراتُهـا
تُرِى الوكَلَ المغــمورَ كُحْلَ لحاظِها ... وكلُّ أخى الهــمِّ البعيــد قَذاتُهـا
هوت برءوس الناس سُفْلًا وحلَّقتْ ... بأذنابهـا مجنــوبةً طائراتُهـا
فعنـدك منهـا أن ترى بِبُغَاثِها(٦) ... كواسبَ جوٍّ حُصَّ(٧) فيه بُزاتُهـا(٨)
ركبتُ من الأيّامِ ظهــرَ ملوِّنٍ ... صبائغَــهُ(٩)، والخيــلُ شتَّى شِياتُهـا
وقلَّبتهـا يوما فيــوما مجــرِّبا ... فــلا سوءُها يَبــقَى ولا حسناتُهـا
سأحلمُها حــتَّى تخِفَّ وُسُــوقُها ... وأحلُمُ حــتى ترعوِى جَهَــلاتُهـا
لعــلَّ مميتَ الحــظِّ يُحييه آنفًا ... فإنَّ الحظوظَ موتُهـا وحياتُهـا
فلا يؤيِسَــنْكَ صــدُّها من وصالهـا ... ولا مَطلُها من أن تَصحَّ عِداتُهـا
ألم تر مُلكَ "المكرَمِيِّين" نارُهُ ... خبت غَلَطا ثم ٱعتلتْ وَقَـداتُهـا



(١) الحمى وماقبله أسماء مواضع . (٢) السيال : نباتٌ له شوك . (٣) الجناة : كل ما يجنى كالجنى . (٤) الحائل : العقيم، والمعنَّسة : التى طال مكثها ولم تتزوج . (٥) إرميّة نسبة الى إرم . (٦) البغاث جمع بغاثة : شرار الطير . (٧) حصّ : قصّ . (٨) بزاة جمع باز . (٩) فى الأصل "صبائعه" .

هفا الدهرُ فيهـــم مستغرًّا بغـــيره ... فخاضـوا وشاكَتْ رِجلَه عثراتُهـا
بغَى نقلَ ما أُعطُوا ســفاهًا ولم تكن ... هضابُ "شَرَوْرَى"(١) زائلا راسياتُها
هم السحبُ ملء الأفقِ والدهرُ تحتها ... جُفاءٌ اذا سالتْ به سائلاتُهـا
علا السيلُ حتى "الصينُ" يُفعَمُ بحرُها ... فيطغَى وفى "بغدادَ" يجـرى فُراتُهـا
حمى "ناصرُ الدين" العلا بعد من مضى ... فضُمَّتْ قَواصِـيها ولُمَّ شَـتَاتُهـا
وأضحى "بتاج الدولة" العـزُّ مفـرِقا ... لهـا، تتلظَّى فوقـه خَرَزاتُهـا
وإن فروجا سدَّها مثـلُ سعيه ... لضيِّقةٌ أن تُرتَجَى خَطَفاتُهـا
رعاها أبو الأشـبالِ حتى دنا بهـا ... لهـا من شميمِ سَرحِها حسراتُهـا
أخـو عزماتٍ لا يُراع صـديقُها ... — كما لم ينم — ولا تنـام عُداتُهـا
كريمُ المحيَّـا رطبـةٌ قَسَماتُهُ ... اذا ما الليوثُ آستجهمتْ عابساتُهـا
على الصدرِ منـه هيبةٌ تملأ الحشـا ... ممـرَّرةٌ، أخـلاقـه مُحلياتُهـا
ومن رأيه فى الحربِ عَضبٌ وذابلٌ ... وما الحـرب إلا سـيفُها وقناتُهـا
كريمٌ فما الأحسابُ إلا آقتناؤها ... لديه ولا الأموالُ إلا هِباتُهـا
اذا آعترضَتْهُ هِزَّة الجـود ساكنا ... نزت بالنـدَى فى كفّه نَزَواتُهـا
أفاد النـدَى فـلم تزل برياضـه ... رياحُ العـلا أو صَوَّحت شَجراتُهـا
من القوم فضُّوا عُذرة الأرض سادةً ... وشابت وهـم أربابُهـا وولاتُهـا
فمن حلمهـم أركانُهـا وجبالُهـا ... ومن جودهـم أمواهُها ونباتُهـا
وليسوا كمن جُنَّ الزمانُ برفعـه ... وجاءت به من دولةٍ فَلَتاتُهـا
ولا كذبا طارت به الريح طـيرةً ... فأقعصه أن طأطأتْ عاصفاتُهـا
تقيَّلتُهـم والنفس يَكرُمُ أصلُها ... على عِرقِها السارِى فتكرُمُ ذاتُهـا

(١) شرورى : اسم جبل .

بك اهتزّ فرعاها وأينع ظلُّها ... وطاب جناها وانتهت بركاتُها
جمعتَ لها شُذّانَ[1] كلّ فضيلة ... تعزّ على من رامها مفرداتُها
فن كان من قوم سفًا[2] فى أديمهم ... وزعنفةً[3] تُزرى فأنتَ سَراتُها[4]
لئن عَركتْ فى جنب طودك نبوةٌ ... من الدهر لا تُمحَى بعذرٍ هَناتُها
وهزّ العدا من حسنِ صبرك صعدةً ... فقد علموا بالهزّ كيف ثباتُها
وما كنتَ إلا الشمسَ، لِيثَتْ جَهامةٌ ... على خدّها ثم انجلت غاشياتُها
تنصّل منها الملكُ لمّا تبيّنتْ ... لعينيه أُخْراها ومعتقِباتُها
وأبصرها شنعاءَ يبقَى حديثُها ... ذميمًا ولا تبقَى له عائداتُها
فردّك ردَّ السيفِ فى الغمدِ لم تُعب ... مَضاربُهُ إن ثُلِّمتْ شَفَراتُها
فكيف يَليقُ الحسنُ أوجُهَ دولةٍ ... اذا عدِمتْ تيجانَها خَرزاتُها
رعى الله نفسًا لا الغنى زادها عُلًا ... ولا فقرُها حُطّتْ له درجاتُها
معظَّمةً فى حدّها وسنانها ... وسلطانها لا ما حوت مَلَكاتُها
اذا قزعتْ[5] يوما من الدهرِ نكبةٌ ... اليها، عَستْ[6] فلم تُشغْها لَهاتُها
وأنت الذى تُعطى ــ وعامُك أشهبٌ ــ ... عطاءَ رجالٍ خُضِّرتْ سنواتُها.
مع الجود أنّى ملتَ غيرمصرِّفٍ ... يمينَك إلا حيثُ شاءت عُفاتُها
أقلنى أقلنى جفوةً ما اعتمدتُها ... وهجرةَ أعوامٍ خَلَتْ ما ابتدَاتُها[7]
وسعيًا بطيئا عن مقامى من العلا ... لديك إذا الأقدام فازت سُعاتُها
فما كان إلا الحظُّ منكم حُرِمتُهُ ... ودنيا كثيرٌ بالغنى فلتاتُها
تريد بنفسى كلَّ ما لا تريده ... وتمنعها ما تقتضى شهواتُها



(١) الشذّان : ما تفرّق . (٢) السفا : الشعر الخفيف على الأديم وفى الأصل "شفى" .
(٣) الزعنفة : طرف الأديم كاليدين والرجلين . (٤) السراة : الظهر . (٥) قزعت : أسرعت .
(٦) عست : اشتدّت وصلبت . (٧) يريد ما ابتدأتها .

وإنّى لكم ذاك الذى لا حبالُه ... تَرِثُّ ولا يُخشَى عليه انبتاتُها[1]
مقيمٌ على نعمائكم حافظٌ لها ... مُضِبٌّ[2] على ما أوجبت حُرُماتُها
يُنقِّلُ قوما قربُهم وبعادُهم ... ونفسىَ لا تهفو بها مُبْدِلاتُها
تحنُّ الى أيّامكم فى ذراكُمُ ... وتحفزها من عهدكم مُذكِراتُها
وعندى لكم ـ إن أسخطتكم سوالفى ـ ... عوائدُ ، تُرضِى مجدَكم آنفاتُها
تسيرُ على عاداتها بصفاتكم ... طوالعَ تمشى بالعلا مُثقَلاتُها
نوازلَ فى عرض الفلا وصواعدًا ... تُرَدُّ على رَوْحاتها غُدُواتُها
تُخالُ هواديها بنشرِ علائكم ... بُرودَ «زَبِيدٍ»[3] نُشّرتْ حِبَراتُها
يَقُصُّ بها تحت الظلام سميرُها ... وتَرجُزُكم وجهَ النهارِ حُداتُها
تَطرَّبُها الأسماعُ فيكم كأنما ... عزيفُ الملاهى ما تقولُ رواتُها
كأنّ الأولى دارتْ عليهم بيوتُها ... بنو نشوةٍ دارت عليهم سُقاتُها
مبشّرة أيامَكم باتصالها ... تُرِى الحسنَ قبلَ أن تُرَى أخرياتُها
خوالد ما لبَّى الحجيجُ وطوّفوا ... وعَجَّتْ بسفحَىْ مَكّةٍ عَرفاتُها
وما عقروها واجباتٍ جُنوبُها ... تَفَجّر من لَبّاتِها فاجراتُها
تزوركم الأعياد مجلوّةً بها ... تحلّى بما صاغت لكم عاطلاتُها
اذا لَعَنَتْ قوما لئاما فإنما ... على ذكركم تسليمُها وصلاتُها

✦ ✦ ✦

وقال يمدح الوزير زعيم الدين الحسن فى المهرجان

أهفو لعُلوىِّ الرياح اذا جرَتْ ... وأظنُّ «رامةَ» كلَّ دارٍ أقفرتْ
ويشوقُنى روضُ الحمى متنفِّسا ... يَصِفُ الترائبَ والبروقَ اذا جرتْ

---

(١) الأنبتات : الأنقطاع . (٢) المضبّ : الحريص . (٣) زبيد : اسم موضع .

متعلّلات بعــد طارقــة النــوَى ... أو أبرأت داءَ الجــوى أو علّلتْ

يا دينَ[1] قلبٍ من ليالى "حاجرٍ" ... مَكَرَتْ به فقضتْ عليــه وٱنقضَتْ

ومَضــاجعٍ "بالنّعْفِ" بات يعــدُّها ... غُنما وأصـــبح ودُّه لـــو لم يبِتْ

ومليحةٍ لو أنصفتْ عينُ المها ... فى الحسن ماثنَتِ الصليفَ[2] ولا رنتْ

بيضــاءَ من كَلَلِ الخــدور وربّمــا ... ذُكرتِ بداوةُ قــومِها فتسهّمتْ

أخذَتْ وأعطتْ من ضياء الشمس ما ٱحـ ... ـتكمت فجمَّعتِ الجمــالَ ووفَّــرَتْ

وكأنمــا وَلِيَتْ خَطائــطَ وجهِها ... يدُها فجاءتْ فى الكمالِ كما ٱشتَهتْ

ملكت على بانات "جوٍّ"[3] أمرَها ... فلها الإمارةُ ما ٱســـتقامتْ وٱنثنَتْ

فاذا أرادتْ بالقضــيبِ مَسَاءَةً ... وتنقّــمَتْ جُرما عليــه تأوّدتْ

سنحتْ لنــا دون الغــديرِ فما سَقَى ... صفوُ الغــديرِ وعذبُه مَنْ أعطشَتْ

ورَمتْ فــلولا أنهــا ثُعَليّــةٌ[4] ... قُلنــا : رأت ثُعَــلًا رَمى فتعلّمتْ

غَدَرتْ فــلولا أنّهــا نَذرتْ دمى ... لم تعرِف النّــذر الذى فيــه وفَتْ

وعلى "النقا" والعيسُ تَحْفِــرُ فى النقا ... أخفافُها مِن ثِقــلِ ما قد حُمِّلتْ

حلَفتْ على قتــلى فلمّــا أن رأت ... بذَماىَ باقيــةَ الرِّماقِ تأوّلتْ

أبشِر فانــك فى الحيــاةِ مخــلَّدٌ ... يا من رأى يومَ "القليبِ" ولم يَمُتْ

وتشرّفَتْ[5] لتشبَّ جمــرةَ صــدرِهِ ... بنتُ الأراكِ[6]، وهل تُشَبُّ وما ٱنطفتْ؟

وُرقاء ذكّرها الحــداةُ هوًى لهــا ... طــارت ألالائفُها[7] به فتذكّرتْ

هتفتْ على خضراءَ، كيف ترنّمتْ ... مِن فوقِها مالت بهــا فترنّحتْ

---

(١) الدين الداء ومنه * يادينَ قلبكَ من سلمى وقد دينا * (٢) الصليف : عرض العنق .
(٣) جو : اسم لناحية اليمامة . (٤) ثعلية نســبة الى ثعل وهو أبو قبيــلة مشهورة بالرمى .
(٥) ٱرتفعت فوق الشرف وهو الجبل . (٦) يريدبينت الأراك "الحمامة" . (٧) الالائف : الألّاف .

لو كان ينجو من علاقاتِ الهوى ... شيءٌ لضُعفٍ أو لمَرحمةٍ نَجتْ

ولقد طربتُ كما حزنتُ لصوتها ... فشككتُ هل غنَّت بشجوٍ أو بكتْ

قف يا أخا الملهوف وقفةَ مُرسَلٍ ... حمل الأمانةَ هَضبةٌ أو أُدِّيَتْ

وآجهرْ بصوتك للتى لو خاطبتْ ... فى السرِّ أوعالَ القِنانِ لأسمعتْ

وقل التحيةَ والسلامَ وحاجةً ... من بعدِ أن خابت وإن هى أُنجِحتْ

يا أختَ "سعدٍ" فيم بات معذَّبا ... قلبى عليك كأنما عينى جَنَتْ؟

رُدِّى الفؤادَ علىَّ فهو وديعةٌ ... مضمونةٌ مغرومةٌ إن ضُيِّعتْ

إن كان ظنُّك بالخيانةِ والقِلَى ... أَن يشمَتَ اللاحى عليك فقد شَمِتْ

وعميّةِ الأوضاحِ خرساءِ الصدَى(١) ... عَشِيَتْ على ضوءِ الصباحِ وأظلمتْ

مَرَدَتْ على عينِ الدليلِ ورأيِهِ ... فتخالُه فيها أضلَّ بما خَرَتْ(٢)

تتغايرُ البَوْغاءُ(٣) تحتَ شميمِهِ ... فيها ويُنكَرُ صَوتُه والمُلتَفتْ

مركوبةٍ، جَوْبُ المهارى جوَّها ... غَرَرُ المقامرِ فيه أخْسَتْ أوزَكتْ(٤)

واذا الركابُ آستيأستْ فى جَهلها ... كيف النجاءُ توكَّلتْ وآستسلَمتْ

داوستُها أبغى العَلاءَ بهمّةٍ ... لو شاورت أمَّ الشقيق لمَا سَمتْ

تغلى على الكرماء تنفضُ منهمُ ... طرقَ المَطالبِ أسهلتْ أو أحزَنتْ

ووراءها ـ لولا المطامعُ منهمُ ـ ... قُرَباءُ لو قنعتْ بهم ما أبعدتْ

نبِّهْ بنى "عبدِ الرحيم" ولا تُبَلْ ... معهم عيونَ الدهرِ كيف آستيقَظتْ

وآستفتِهم فى المجدِ تسألْ أنفسا ... لَقِنتْ على جهلِ الورى وتفهَّمتْ

خَبُثَ الترابُ وما عليه، وماؤها ... شرفٌ فطابت وحدَها وتطَهَّرتْ

---

(١) يريد بهذا الوصف "الصحراء". (٢) يقال : خرت الأرض أى عرفها ولم تخف عليه طرقها. (٣) البوغاء : ما يثور من الغبار. (٤) أخست أو زكت : لعبت بالفرد أو بالزوج.

فكأن زاكي عِرقها لم يُسقَ من ماءِ الزمانِ وفى ثـراه ما نبتْ
قومٌ اذا حدَرَ التناكرُ لُثْمَهُمْ[١] وجلا الصِّفاحُ أكفَّهم فتحسَّرتْ[٢]
كفرتْ وجوهُهُم البدورَ وآمنتْ لأكفِّهم أيدى السحابِ فكفَّرتْ
شفعوا العلاء تليدَه بطريفه فتقدَّمت علياؤهم وتأخَّرتْ
ولدتهم الأرضُ التى قد أجمعتْ فى الأكثرين فأكيستْ[٣] وتجبَّرتْ
جاءت بهم وهى الوَلودُ كأنَّهم غُرباءُ جاءوا فى العقامِ أو القَلَتْ
متواردين على العَلاء كأنَّهم ضربوا له ميقاتَ يومٍ لم يُمَتْ
راضوا الأمورَ، فتيُّهم كمسنِّهم سَوْمَ الكعوبِ تلاحقَتْ فتنظَّمتْ
شَرَعوا الى ثُغَرِ الخطوب ذوابلا لولا صنيعةُ نفسها ما فُضِّلَتْ
جُوفًا[٤] ترى الصمَّ الصعابَ وراءها فى الحرب تقفُو ما حذَتْ أو مَثَّلتْ
كتبوا على شهب الطروس لنا كما طَعنوا على الخيلِ الوِرادِ أو الكُمتْ[٥]
والجالسُ القوّالُ منهم آخذٌ منها بأنفاس الشجاع المنصلتْ
خذ من حديثهمُ حديثَ قديمهم واعجب لأطراف العلا كيف التقتْ
واسأل "زعيم الدين" عما خلفه من مجدهم فهو الشهادة والثَّبَتْ[٦]
قمرٌ هو المرآة عن أحسابهم مهما رأت مما يقابلها حكتْ
أدَّى فروضَهمُ وسَنَّ نوافلا فى المجد تمت الفروضَ وكمَّلتْ
فضحَ السوابقَ مالكٌ أشواطَه جارِى الرياحَ فخُلِّ عنه وقيِّدتْ
وتقرَّطت أيامُه بيتيمةٍ منه صفَتْ للناظرين وأشرقتْ

(١) لثم جمع لثام . (٢) تحسرت : تعرت . (٣) أكيست : ولدت أولادا كَيِّسِى أى ظرفاء، فطنين جمع "كيِّس" . (٤) جوفا جمع جوفاء . (٥) الكمت جمع كُميت وهو الفرس فى لونه كُمتة أى حمرة مشوبة بسواد . (٦) الثَّبَت : الحجة .

لم يدرِ جهــدُ الغائصين وكيــدُهم … من أىّ أصداف البحار آستُخرِجتْ
قــد جوّلوا فيهــا الظنونَ وأكثروا … بالحوض لمـا آستُغرِبتْ وآستُعظِمتْ
قالوا : من البحر المحيط تصــعّدتْ … لا ! بــل من الفلَكِ المحيط تــنزّلتْ
بيضاء ملء يد المـــنى ملمـــومة ، … مَلَكَ المنَى وحوَى الغنى مَن أُعطِيتْ
يا جامعَ الحسناتِ بعــد شــذوذها … مِزَقًا (١) وموجِدَها أوانَ تعــذّرتْ
ومقطِّــر الأقران عن صَهَواتِ ما … رُبِطتْ من الرأى الأصيل وضُمِّرتْ
كم واثقٍ منهــم بعِصـــمةِ رأيه … وحسـابِه من هفــوةٍ أو من غَلَتْ
ضايقتَــه حــتى أقــرَّ بعجـــزه … لمـا وضعتَ له يديك على النُّكَتْ (٢)
ومُنطِّقٍ ظنَّ البــــلاغةَ آيــةً … نُصِبتْ له علَمـا وشخصا صُوِّرتْ
قال الكثيرَ موسِّـــعا لَهَـــواتِه … عُجْبـا فلمّـا قلتَ واحدةً سكتْ !
حَسِب الفصاحةَ فى التشادقِ وحدَه … ما كلُّ ما وُصِف الأسودُ به الهَرَتْ (٣)
وأرى الوزارةَ مــــذ حَملتَ لواءَها … نُصِرت على فشـــل الولاة وظُفِّرتْ
ساندت فيهـا ما عليك صــلاحُهُ … وفسادُه إن أصلِحتْ أو أُفسِــدتْ
ثَنَّى أخــوك أخاك فيهـا مُسهِما … وبُعِثَ ثالثَهـا الذى بك عُزِّزتْ
أنــتم فوارسُها المـــذاودُ دونهـا … إن حوربت وملوكُها إن ســولمتْ
وظهــوركم لصـــدورها مخلوقةٌ ، … مظلومةٌ إن ضويقت أو زوحمتْ
نُصبتْ لكم وتمهّــدتْ فــتى طــرا … من غيركم طارٍ (٤) نَبَتْ وآســتوحشتْ
هى مِلكُكم فــتى آســتُعيرت منكمُ … لتجمّلٍ وأردتمــوها آســـترُجِعتْ

(١) مزق جمع مِزقة وهى القطعة من الثوب . (٢) النكت جمع نُكتة وهى المسئلة الدقيقة اخرجتْ بدقّة نظر و إمعان فكر . (٣) الهرت : آتساع الشدقين . (٤) طار : يريد "طارئ" .

أبناء نِسبتها وأبعُلُ(١) عُذْرِها(٢) ... واذا عَدَتكم أعزبت وتأيَّمتْ

تَفدِى "أبا الحسنِ" الترابَ وطئته ... قِمَمٌ هوت من تحتِ رِجلك إذ علت

ومحدِّثٍ بك فى الوساوس نفسَه، ... نفسٌ لعمرك ضَلَّةٌ ما سَوَّلتْ

لو ناقلوك به وأُلْقِيَ "يَذبُلٌ"(٣) ... معه لكانت قِسمةٌ ما عُدِّلتْ

أغنيتنى بك عن سواك فلم أُبَلْ ... فُتِحت أناملُ معشرٍ أو أُقفِلتْ

وسُقِيتُ أعذبَ شربتيك فما أرى ... بأسا ببارقةٍ هَمَتْ أو أخلبتْ

وصفوتَ لى بالودّ، والصهباءُ لم ... تَشُبِ العقولَ بطعمها حتى صفتْ

أنكرتُ ودَّ أخى وعهدَ أحبتى ... وكريمُ عهدك طينةٌ ما أخلقتْ

فمتى طَلبتُ من الزمان سواك أو ... شَرْواك(٤) فاشهدْ أنَّ ذاك من العَنَتْ

ولَتُرضِينَّك ما سمعتَ نواهضٌ ... بالشكر لم تخفِ اللُّغوبَ ولا وَنَتْ

يقضين ما أُسلفن من أيدى غِنًى ... وَسِعتْ حقوقَ المقرضين وأفضلتْ

يَغنَى بها العرضُ الفقيرُ وإن رأت ... عِرضا غنيًّا زيَّدته وأثَّلَتْ

ريحانة ما ٱستُنشِقت أرواحُها ... وسلافة تُصحِى اذا ما أَسكرتْ

تقضى على الألباب أين خلاصها ... من شَوبها ما ٱستُحظِيت أو أُلغِيتْ

ضجَّتْ منابرُها بدعوتها لكم ... فلو ٱدعت بكم النبوَّةَ صُدِّقَتْ

إن صاحبتْ يوما اليكم عاطلا ... حلَّته أو تَفِلَ(٥) النواحى عطَّرتْ

والمهرجان وكلّ يومٍ عادكم ... فى لطفه مما كستْ أو زَخرفتْ

فتمَلَّها وتَملَّه متلوَّةً ... ومُقابَلًا ما كرّ أو ما أُنشِدتْ

حتى ترى الأجداثَ تنفضُ أهلَها ... والشمسَ فى خضرائها قد كُوِّرتْ

---

(١) أبعل جمع بَعْل وهو الزوج. (٢) عُذْر جمع عَذراء وهى البكر. (٣) يذبل: اسم جبل.

(٤) الشروى: المِثْل. (٥) التَّفِلُ: المنتن الريح، وفى الأصل "نقل" وهو تحريف.

* * *

قافيـــة الجـــيم

بعـــد خلو حـــرف الثـاء

وقال وكتب بها الى الأسـتاذ أبى منصور بن ماسرجيس ، وقد ورد من سفرةٍ كان أَبعدَ وأطال أمدَها وآتفق إنفاذُه إيّاها اليه فى المهرجان الواقع فى جمادى الأولى من سنة تسع وأربعمائة

لِمن الحُمولُ سلكن "فَلْجا"(١) يَطلُعنَـــهُ فجًّا ففــجّا ؟

يخبطنَ بالأيدى الطريـقَ فما يكدن يجـدن نَهجا

ســودٌ بمـا صبغ الهجـيرُ جلودَهن الحمـرَ وَهْجـا

مِن كلّ حامـلة الهـلالِ(٢) بنَى عليهـا البينُ بُرجا

بيتا يســير وفيــه قلبـك فهو جسمك خِيل حِدْجا(٣)

لك من وراء سجـوفه ـما أوسعَتْها الريحُ فَرْجا

رِحٌ ونصـــلٌ لا كما سَمَّوهما هَيَفا(٤) وغُنْجا(٥)

كالبِيْض لم تلُج السما ثُمُ كِنَّهنَّ فلُحنَ بُلْجا

لما أيِسنَ من الظلا م رَفعنَ لى فنظرنَ سُرْجا

وعلى الطليعــة فاردٌ(٦) كالرئم خافَ فــرام مَلْجا

خالستُ قُبلتَـــه الوشـاةَ كما آدغمت الحرفَ دَمْجا

ففتحتُ عن غُرٍّ(٧) تمـجّ المسـكَ والصهبـاءَ مجّا

---

(١) فلج : اسم بلد . (٢) الهلال : ما آستقوس من البعير عند ضمره . (٣) الحدج : مركب من مراكب النساء كالهودج . (٤) الهيف : ضمور البطن ورقة الخاصرة . (٥) الغنج : الدلال . (٦) الفارد : المتفرّد . (٧) غرّ : بيض .

لو لم تكن مخلوقــةً للرشفِ لم يُخلقن فُلْجا

ومؤاخِذٍ أن حرت يو م وداعــه والبينُ يَفْجا [(١)]

لو كان خاصمني بعيد شي وحده كان الأحجّا

وبسيطةٍ دون العلا ءِ نفضتها نشرا ودَرْجا

كلَّفتُ حاجاتي بها مَرِحا يرى التغرير أحجى

وأخٍ صفوتُ كما صفا ومزجتُ لمّا شاء مزجا

رمتُ التمام لوده وأراد إجهاضا وخَدْجا [(٢)]

أمعِي هزيلا ثم أنـ ـت عليَّ إن أُعطيتَ نَفْجا؟ [(٣)]

ومفارقٍ لي "كابن عيسى" غَمَّ أيامي وأدجى

راودتُ قلبي عن نوا د فكلما لاطفتُ لَجّا

وحَملتُها كالداء أشـ ـرُجُ فوقه الأضلاعَ شَرْجا

متنظّرا هذا الإيا بَ لِعُرّها كيًّا ونُضْجا

فلئن انتصرتُ بقربه فلقد صبرتُ وكنتُ مُلْجا [(٤)]

أو عُدنَ أيامي الحسا نُ به فقد أسلفن سُمْجا [(٥)]

يابن الوزارة أثبتتْ في بيته وتدا أشجّا [(٦)]

أبلَى وأخلَق قومُه أثوابها فورثن نُهْجا [(٧)]

يتنقلون على مرا كبها فما يضعون سَرْجا

ومشت أمورٌ بعدهم بمعاشرٍ فمشين عُرجا

---

(١) يريد "يفجأ" أي يباغت . (٢) الخدج : إلقاء ولد الدابة قبل أيام تمامه .

(٣) النفج : فخر الإنسان بما ليس عنده . (٤) يريد "مُلجأ" . (٥) سمجا : قباحا .

(٦) الأشج : المشجوج الرأس . (٧) نُهجا : بالية .

من آل "ما سرجيس" محـ	ـسودُ العــلا يُخشى ويُرجى
متقبِّـــلٌ فى المجـــد سُنّـ	ـةَ مغربين به أَلَجَّا (١)
جارين ســـدَّ الجوّ شـــو	طُهم وشـــقّ الأرض رَجَّا
فصــلُ الخطـابةِ ناطقٌ	ما قال إلا كان فَلْجا (٢)
مســتردفا يـــدَه وأخـ	ـرسَ عجَّ فى القرطاس عجَّا
كالرمح أُرهِفَ صــدرُهُ	وكعوبُهُ نَصْـــلا وزُجّا (٣)
هــذا يمــجُّ بما يَخُـ	ـطُّ دمًا وذاك يَخُــدُّ دَرْجا (٤)
مَلَكَ السماحُ يديــه، يَمْـ	ـرُجُ فيهما العافين مَرْجا (٥)
مغـــرًى بأثقال النـــوا	ل يخالها دَيْنًا وخَرْجا
ســوّغتنى ودًّا غـــبر	تُ بِرَنْقِهِ (٦) غَصَّانَ أَشْجَى (٧)
وسحـــرتنى بخــــلائقٍ	كُنَّ العيون فكنّ دُعْجا
فلتطرقنّــك ما بكـر	ن غواديا وسرين دُلْجا
زُهرٌ ككتابــة النجو	م سوائرٌ يَهدِجن هَدْجا (٨)
موســومةٌ بك أنك الـ	ـمقصود فيهنّ المُرجّى
ما أُنشــدتْ خِلتَ البرو	دَ عُرِضن تفـويفا ونَسجا
وســواك يسمعها فيحـ	ـزن سمعُهُ من حيث يُشجَى (٩)
يـــرتاب منهـــا بالثنا	ء كأنه بالمـــدح يُهجَى

---

(١) أَلجّ : ركب اللجّة . (٢) الفلج : الاستظهار على الخصم ومنه المثــل « من يأت الحَكَم وحده يفلُج » . (٣) الزجّ : الحديدة التى فى أسفل الرمح . (٤) الدرج : التزام المحجّة فى الكلام . (٥) يقال : مرج الدابّة : أرسلها ترعى فى المرج ومرج بمعنى خلط أيضا . (٦) الرنق : غير الصافى . (٧) أشجى : أغصّ . (٨) يهدجن : يمشين فى ارتعاش . (٩) يشجى : يطرب .

خادعتُــه فأضــرَّ بى غِشى، وكان الصدقُ أنجَى
فتملَّهـا ما راح ســر حُ أو رأيتَ البيتَ مُجَّا

* * *

قافيــة الحـاء

وقال يهنئ أبا منصور يَزْدَانْفادار[1] بالنيروز

أشوقا ومَن تهوَى خلىُّ الجوانح ؟ لك اللهُ مِن واف الأمانةِ ناصح!
فما كلّ عهد بالسليم على النوى ولا كلّ ثاوٍ حافظُ عهدَ نازح
حبيبُك من خلَّفتَ بين ضلوعه — وسرتَ — فؤادا لا يلين لكاشح
لمَن منزلٌ أنكرتَه فعرفتَه وقد راح أهلوه بطيبِ الروائح
خليلَ — والواشون حولى عصابةٌ فمن مُسرِفٍ فى لومه ومُسامِح —
أَجِلْ فى جناب الركب طرفَك هل ترى أسى بارحا أو طائرا غيرَ بارح؟
وخلفَ الستور الرُّقمِ[2] من كان بينُهُ — على طولِ ماستَرتُ حبِّىَ — فاضحى
وهبتُ له عينى وقلبى وإنما لعزّته هانت علىَّ جوارحى
أفى كل دارٍ صاحبٌ أصلَحتْ له الر عايةُ قلبى وهو لى غير صالح؟
وخاطبُ شكرٍ يُرخِص البخلُ مهرَهُ عليه فيُمسى وهو ألأمُ ناكح
أهزّ بعتبى منه طودا كأننى أريد لأكسو العَيرَ[3] جلدةَ سابح[4]
اذا ما عليل البخل لم يبرِ داءَه مخافةُ هاجٍ لم يُثبْ قولَ مادح
بلى! فى فتًى من أسرتى إن شكرتها منائحُ تُعطيه حلالا مدائحى

(١) كلمة فارسية معناها : القاصد وجه الله . (٢) الرقم : التى بها خطوط من قولهم : رقم الثوب أى خططه ومنه الأرقم وهو الثعبان لخطوط فيه سوداء و بيضاء . (٣) العير : الحمار .
(٤) السابح : الفرس .

هنيئا لكم يا طالبي سيبِ كفِّه أبيحت قَليبا فليفــز دلوُ ماتِح
يُخيِّمُ غادٍ للســؤال ورائحٌ بساحــةِ غادٍ للسماحــةِ رائح
صباحُك ــ والنيروز يجلوه فانعمن ــ رأى خيرَ مصبوحٍ، رأى خيرَ صابح
هو الجَذَع(١) فاستقبل به بَكرَ(٢) عامه وإن كان مما كرَّ فى سنِّ قارح(٣)
اذا وجه يومٍ غيره كان عابسا تبسّم عن ساعاتِ أبلجَ واضح
وعش بين جَدٍّ للخطوب محاربٍ حرىً وجدٍّ للسعود مُصالح
سليما على الأيام طــرًّا، طِوالُها رقاقُ العشايا صالحاتُ المفاتح

*
* *

وكان بينه وبين أبى الحسين أحمد بن عمر النَّهْرَوانىّ ــ وهو من الآحاد المعروفين المعدودين فى البغداديّين ــ مودةٌ ترتفع عن حدّ القرابة ، ومجانسةٌ ترفع المنافسة ، وتسقط المحاسدة ، وفضائلُ تستوفيه الأفراح . وكان أبو الحسين أخلَّ بعادته فى مكاتبته ، ورأى كتبه عند جماعةٍ من إخوانه ، فشقّ ذلك عليه ، وآتفق أنه عَقَد لنفسه عَقدَ نكاحٍ بالنّهروان ، فكتب اليه يعاتبه فى الجفاء ويهنّئه بالعَقد

لها بعد خطوٍ لات حين مَراحِ قضاءٌ بوصــلٍ غــدوةً برواح
وهل هى إلا رقــدةٌ فاسمحا بها وحســبكما أن توقَظا لسماح
وإلا فســيرُ الريح أسرعُ طِيّــةً وكم هبَّ لى شــوقٌ هبوبَ رياح
أقولُ لها ــ والنّهروانُ طريقُها ــ : هُنــاكَ آسنحى لا زلت طيرَ نجاح
ألمّى بها فى السّحب ثم تحفَّــلى(٤) فسُــحى تحيّاتى بأنضرِ ساح

(١) الجَذَع : الجديد وهو من البهائم : ما قبل الثنىّ وسكنت الذال للضرورة . (٢) البكر : الفتىّ من الإبل . (٣) القارح من البهائم : الذى آنتهى سنه . (٤) تحفّلى : تجمّعى .

وقولى : سلامٌ " يابن رَوحٍ " تظنّه   صبيبــةَ طــلٍّ فى صُبــابَةِ راحِ [1]
شكوتُ فيالَلشوقِ أين تصــبُّرى   ونمتُ فيا لَليــلِ أيــن صباحى!
وغرَّك إمســاحى فسرّك أن ترى   اذا عنَّف المقتــادُ كيف جِماحى
رعى الله ظبيــا سارحا لِيَ رعتَــه   بنفْــرةِ قلبٍ للعُقــوقِ مُباحِ
وتوهَبُ للعــذر الصُّراح مودّتى   لديك وبعض العُــذر غير صُراحِ
رسائلُ تعـدونى وكُتْبٌ تجوزنى ،   صــداى على ماءٍ يُذادُ قَــراحِ! [2]
تلوح لعينى كلّمــا مرّ خاطف   بناحيــةٍ منهــا بكت بنواحى
بمن ـ ليتَ شعرى وهى ليتُ تعجُّبٍ ـ   يُردُّ شبابى إن حملتُ سلاحى
أيــن لِيَ هل جاذبتَنى فى مودّةٍ   فعــيرّتنى يا صــاحِ عَــيرة صاحِ
وهــل رمتَ أسبابَ السماء لِبغيــةٍ   فحلّقتَ إلا طــائرا بجَنــاحى
ســقى الله نفسى كيف يَكْرُمُ عهدُها   على نفــرٍ ممن أُحبّ شِحــاحِ
أروم آنتصــارا منــك ثم يردُّنى   هــوًى لم تدنّســه ملامــةُ لاحى
فأغمِــدُ فى الودّ الحــدادِ صوارمى [3]   وأكسِرُ فى الحبّ السِّــداد رماحى
فلا تنكرنْ هــذى العوائدَ إنمــا   اســانِىَ سكرانٌ وقلبِىَ صــاحى
ولا تُلزمنّى فى العتــاب بقيّــةً   فســادُك فيهــا فاتكٌ بصــلاحى
ولمــا أتانى ما أقــرَّ جــوارحى [4]   وأبرأَ مــن تلك الهَناتِ جِراحى
خلطتُ التهــانى بالتشا كى مُرجّيًا   بموضعِ جِدّى أن يكون مزاحى
وبعــدُ ! فيــا لله أيّة فَرحــةٍ   تخــبّرنى عــن أىّ فوزِ قِــداحِ! [5]

(٧٥)

---

(١) الصبابة : البقيّة . (٢) القراح : العذب الصافى . (٣) الحداد : ذو الحدّة .

(٤) جوارح جمع جارحة وهى العضو . (٥) القداح جمع قِدح وهو سهم الميسر .

اذا كانت الجوزاءُ للمشـــترى حُلّى وكانــ قِبــاحٌ غيرُها لقبــاحِ
فـا آتفق السعدانــ حتى تكافآ أعزُّ بطونٍــ(١) فى أعزّ بِطـاحِ(٢)
ولو قيل : غيرُالشمس سيقت هديّةً الى البــدر لم أفــرح له بنكاحِ
فأنتم بنـــو مالٍ على الدهر هالك وقاءٌ لأعراضٍ عليـــه صِحـاحِ
شــبابٌ مراجيحٌ(٣) تفرّعتِ النُّهى(٤) بهم عنــ شيوخٍ فى النـدىّ مِلاحِ
تعقّبْ غدًا يُمنا وســعدا بها "أبا الـ ـحسينــ" وســميا مؤذنا بنجـاحِ
كأنك بالأشــبال حولك ربّضا(٥) ليــومِ رُواء(٦) أو ليـــومِ كفاحِ
صَــباحا صَباحا ! كُلُّ يومٍ بشــارةٌ الى سبعةٍ مثـــلِ البـــدورِ صِباحِ

***

وقال وأنشدها أبا القاسم بن ممّا فى يوم المهرجان

ما كانــ سهما غار بل ظبيٌ سنحْ إن لم يكن قتلَ الفؤادَ فقــد جرحْ
جلبَ الجمـالَ يريد أنفسَـــنا به ثمنــا فتاجرناه فيـــه كما آقـــترحْ
أرِجتْ جِنانَ "السفح" فيه بنافضٍ رُدنيــه عن عَرف الجنان اذا نفحْ
عَرَقُ المجاسـدِ(٧) فاض ماءُ شـــبابه والوردُ أطيب منـــه ريحا ما رشحْ
فى جيــــده الكافورِ سبحةُ عنــبرٍ ما كان أغفلنى وليس عنــ السُّبَحْ
وأمَا ومِشـــيتِهِ — توقّـــرَ تارة صلَفا وأحيانا يُجنُّ من المَــرَحْ —
ومَواعـــدٍ لىَ فى خلال وعيـــده مَزجتْ بدمع صبابتى دمعَ القدَحْ،
لأشاطرنَّ هواه جســـمى إن وقَى ولأبخلنّ على العواذل إنــ سمحْ

---

(١) بطون جمع بطن وهو دون القبيلة . (٢) بطاح جمع بطحاء وهى المسيل الواسع فيه دقاق الحصباء . (٣) المراجيح : الحكماء . (٤) النهى جمع نُهية وهى العقل . (٥) ربّضا : جثّما . (٦) الرواء : حسن المنظر . (٧) المجاسد جمع مجسد وهو القميص يلى البدن .

راحت تعنّف فى الصِّبا : ما آن أن يثنيك عن أَشَرِ(١) الثّنَى نَهْىُ القَـرَح(٢)

والخمسُ والعشرون تعـذرُ فاسدا لو ناهزتْه الأربعون وما صلحْ

منّاك ظنُّـك بى غـرورا أننى أصحو، وفى الظنّ المحالُ المطّرَحْ

كالليث والغمـرُ آستغزّ بثغـره فـدنا اليـه فاسئلى عمّا كلَح(٣)

"والصاحبِ" آلتمس الغمامُ تشبّها بيديه،لا جَرَم آنظرى كيف آفتضحْ

جاراهما ويكاد يغـرق فيهـما بالجـود إلا أنه فيـه سَبحْ

للعـزّ ما منعَ "الحسينُ" فلم تنَل كفُّ الزمان، وللمكارم ما منحْ

إن هَمّ أبصر غايتيـه بحزمه كالطّرف يُدرِك نورُه أنّى طَرَحْ

أو جَدَّ فى خطبٍ كفاه ووجهُـه متبسِّـمٌ، فيقول حاسدُه : مَزَح(٤)

كم نعمةٍ لم تُلهـه عن عصمةٍ وجمادِ عامٍ لم يعُقهُ أن آنفسحْ(٥)

ومدامـةِ عـذراءَ بات نديمَها وبغارةٍ شـعواءَ يومئـذٍ صبحْ

رفقا بجفـرّبه وقـل فى ناره إن أُضرِمتْ وقد آشتواك بما لفحْ

وآهتزّ كلكلُه نكـنت سحيقـةً بددا(٦) فأين يكون(٧) ركنك إن نَطحْ :

بى أنت ، ضجَّ السيفُ حتى إنه لو كان يومَ يُسـلُّ ذا صوتٍ لَبَحْ

وشكا جوادُك فى الضوامرِ بشّـه لمّا آستراحت وهو تحتـك لم يُرَحْ

طِـرقُّ تعـوّد أنه لو طارد الـ ريحَ الشّمالَ عليـه فارمُـه بَطحْ(٨)

وأغرُّ يُسرِج(٩) ـ يومَ يُسرَجُ ـ وجهُهُ زُهْرَ الكواكبِ قام فيها أو سرحْ

(١) الاشر : البطر . (٢) يريد بالثنى شرخ شبابه وبالقرح كبره . (٣) كلح ، يقال : كلح وجهه : تكشر فى عبوس . (٤) فى الأصل : "مرح" وهو تحريف ويعينها قوله فى أوّل البيت "جدّ" . (٥) فى الأصل " إن انسفح " وهو تحريف . (٦) بددا : متفرقة . (٧) هـذه الكلمة فى الأصل غير موجودة وقد رجّحناها ليستقيم المعنى ويتّزن الشطر . (٨) يريد بقوله "بطح" : ألقى الريح على وجهها وتقدّمها . (٩) يسرج : يضىء .

ومؤدَّب الأعضـاءِ لا يهفـــو به ... جنباه، ما حسَّ(١) الغـلامُ وما مسحْ

فســـواه ما خلع اللجامَ ومدَّ طغـ ... ـيانا وما منـع الركـابَ وما رمحْ

ولك المقـامُ زأرتَ فيــه، والقنـا ... أجَمٌ(٢)، فهان على عرينـك من نبحْ

والرأىُ أعجـــزه الصوابُ فلم يُشِرْ ... فيـــه سواك ولو أشار لمـا نصحْ

أمؤاخذى كـرما عـــلىَّ قضيتُهُ ... إن ضاق عنه لسانُ شكرى أو رزحْ(٣)

غَفْــرًا متى قصَّرتُ عنـــك فإننى ... بالمـــدح أولَى لو بلغتُـــك بالمِدَحْ

هـــذا ولم تَخفُــرك(٤) قدرةُ خاطرى ... ما جاءه عفـــوا وما فيــــه كدحْ

كم نومةٍ للعاشقين وهبتُهـا ... ليـلا أراقب ديكه حتى صــدحْ

والليـــلة البهـماءُ تُولِد فكرتى ... غرّاءَ يحســـدها الصباحُ اذا وضحْ

ولأنتَ باستحسانهـا أنطقتـــنى ... وشرحتَ بالإكرام صدرى فانشرحْ

ونســـيتَ ما أعطيتَنيه وفيهـــمُ ... ـ حاشا سماحك ـ مَنْ اذا أعطى لَمَحْ

فلغـــيرك المتسهَّلُ المبذولُ فى آسـ ... ـترخاصـه ولك الغـــرائبُ والمُلَحْ

***

وقال وكتب بها الى الأستاذ أبى طالب بن أيوب فى عيد الأضحى

لمَن الحُمول بجوّ "ضاحى"(٥) ... من باكرٍ غَلَسًا(٦) وضـاحى

مِثـــل الأَداحى(٧) تحتهـا ... أمثـالُ أُمّاتِ(٨) الأداحى

يحملن أقمـارا حَمَلْـ ... ـن السـقمَ فى مُقَلٍ صحاحِ

من دون أطراف الحـديـ ... ـد لهنّ أطـرافُ الرماحِ

---

(١) يقال : حسّ الدابة : نفض التراب عنها بالمِحَسَّة وهى آلة ينفض بها الغبار . (٢) الأجم جمع أجمة وهى الشــجر الكثير الملتف . (٣) رزح : أعيا . (٤) لم تخفرك : لم تُوفِك . (٥) ضاحى : اسم موضع . (٦) الغلس : ظلمة آخر الليــل . (٧) الأداحى جمع أدحيّة وهى بيض النعام فى الرمل . (٨) أمّات جمع أمّ .

مَن مخــبرى عن رائحـ ـين نكِرتُ بعدهُمُ مراحى ؟
هيهات لو صــدق الدليـ ـلُ سألتُ ليلى عن صباحى
والنجـــمُ يحمـــل كأسها منهـا الحبابُ بغــير راحِ
حَظَرَ الكرى مَنْ لا يُطا ع ســواه فى حَظْر المباحِ
راضٍ اذا ســـفك الدما ءَ بمـا تقـــلّد من جُناحِ
كَثُرَ المــلاحُ وما له مِثْـــلٌ بإقـــرار المِلاحِ
بأبى ثنــاياه لقـــد غولطتُ عنهـا بالأقاحى
غَلَطَ المُقـايِس بابن "أيـ ـوبَ" السحابةَ فى السماحِ
"ومحمدٌ" أزكــى نسيـ ـمَ ثرًى وأندَى بطنَ راحِ
وأعمّ حين يخصّ جو دُ الغيث ساحا بعــد ساحِ
طالت به عينٌ الى الـ ـعليـاء واســعةُ الطماحِ
ويـــدٌ تقلّبُ أنمـــلا تِ مكارمٍ سُــبطٍ (١) سِجاحِ (٢)
لم تدرِ أنّ الله خا لقُ هذه الأيدى الشــحاحِ
من معشرٍ يتـــذمّمو ن المــال ليس بمســتباحِ
لا يُطعَمون مع العشـ ـىّ حــلاوةَ النَّعمِ المُــراحِ
فاذا تزاحمت الـــوفـــو د على بيوتهـــم الفِســاحِ
يَسَروا (٣) فكان لمــن يفو ز بضيفه فــوزُ القِـــداحِ
فى عِرضهم سَرَفُ القِصا صِ (٤) وما لهم هَــدرُ الجراحِ

---

(١) سبط : من قولهم فلان سبط البنان أى كريم وهو من باب الكناية نقيض قولهم : جعــد الكف كناية عن البخل . (٢) سجاح : لينة سهله . (٣) يسروا : لعبوا بالقـــداح .
(٤) السرف : الإفراط ومجاوزة الحد فى القصاص ، وفى الأصل هكذا رسما وشكلا "شَوْفُ العصاص".

فاذا آنتضَــوا زُبَرَ الصحا ئف ثلَّموا زُبَرَ الصِّـــفاح
وإذا قِيامـــةُ ســـؤدُدٍ كَذَبتك فى الصُّوَر القِباح
بلَجوا عـــلى ضوء الصَّبا ح ببهجة الغُـــرر الصِّباح
لبّيك عـدةَ ما آكتسبـ ـتُ وقد دعوتُك من صلاح
وضممتنى والدهـــرُ مجـ ـتمعُ الصروف على آطراحى
وإذا شهرتُ عليـــه سيـ ـفا عاد يُدمينى جِـــراحى
قد كنتُ مقترِحا بجـا ء بك الزمانُ عـلى آقتراحى
لا توســعنّى مــن نوا لك فوق ما يَسعُ آمتداحى
دعـــنى أطِرُ بشكره ما دام يحملنى جَناحى
فى كلّ شـاردةٍ مبا عِــدةِ الغــدوِّ مع الرواح
بِكرٍ وَلودٍ مــن بنـا تِ النـاتجات بلا لقـاح
أحبُـوك منهـا كلَّ عيـ ـد بالخـــريدة[1] والرَّداح[2]
تصـــف اللطائمُ[3] طيبَهـا من طيبك الشرف الصُّراح
ما كُسِّرت رُجُمُ الجِمـا رِ وسُوِّقت بُدُنُ الأضاحى

* * *

وقال يرثى الرئيس أبا الحسن بن محمد بن الحسن الهُمَانىّ الكاتب، وكان بقيّـة الأعيان فى صنوف الفضـــل ، وواحد الزمان فى كمال الأدب ، وممن أوجب عليه حقوقا فى المودة ، وآتخذ عنده حرمات من التفقّد والمراعاة ، وتوفِّى فى رجب سنة ثمان وأربعمائة، ودفن فى مدينة المنصور

---

(١) الخريدة : العذراء . (٢) الرداح : المرأة الثقيلة الأوراك، وثقل الأوراك من صفات الحسن فى النساء . (٣) اللطائم جمع لطيمة وهى نافجة المسك أو المسك نفسه أو الدير التى تحمل الطيب .

أُغَشُّ بآمالى كأنّىَ أنصحُ ... وأبقَى لأشقَى بالبقاء وأفرحُ
وأصبو الى وجهٍ من الدهر مسفرٍ ... ضحوكٍ، ووجهى فى الخمار مكلّحُ
ويعجبنى إملاء يومٍ وليلةٍ ... وما الموتُ إلا غابقٌ أو مصبِّحُ
مَطلتُ بدَينى والغريمُ مصممٌ ... وأحسنتُ ظنّى والمسيءُ مصرِّحُ
تُدَمِّى المنايا الناسَ حولى وإنما ... دمى ذاك فى أثوابهم يتنضَّحُ
وأسلو اذا أبصرتُ جِلدىَ أملسا ... وما صحّةٌ فى الجلدِ والقلبُ يُجرَحُ!
اذا مرَّ يستقرى مَن الهالكُ الردَى ... يميِّلُ فى أبنائه ويرجِّحُ
تطامنتُ أرجو ان أفوتَ لحاظه ... فأخفَى وعينُ الموت "زرقاءُ" تلمحُ
وقد غرّنى ليلُ الشباب فأين بى ... أضلُّ وفجرُ الشيب عُريانُ مصبِحُ؟
وأقرب شيء من قضيبٍ جُفوفُهُ (١) ... اذا الورقاتُ الخُضرُ ظلّتْ تَصوَّحُ
نُتِّمَ بالعُمرِ الجِذاعُ (٢) وخانهم ... فما لىَ أرجو ودَّه حين أَزرَحُ
وقد كان قدّامى مدًى منه يُرتجَى ... هو اليومَ مُلقٍ من ورائىَ يُطرَحُ
حسوتُ بمُرِّ الدهر حبّا لحلوه ... فطورا يُصفِّى لى وطورا يُصبِّحُ
اذا برَّنى فى صاحبٍ بزَّ صاحبا، ... أغنِّى بشعرى تارةً وأنوِّحُ
أبيحُ الترابَ أوجها كان مُسخِطى ... على الشمس منها الساهمُ (٣) المتلوِّحُ (٤)
وأحثو بكفّى أو أشقُّ حفيرةً ... يُهالُ على قلبى ثراها ويُضرَحُ
ترى الحق مطروفا وتعشى لواحظٌ ... يراقصها هذا السرابُ الملوِّحُ
يودُّ الفتى أن البسيطةَ دارُهُ ... وما فوقها مالٌ عليه يروَّحُ
وسيعةُ بطنٍ جلَّ ما هو مُحرِزٌ ... ومطرحُ جنبٍ جَهدَ ما يَتفَسّحُ

(١) الجفوف : اليبس . (٢) الجذاع جمع جَذَع وهو الشاب الحدث . (٣) الساهم : الذى تغيّر لونه و بدنه مع هزال . (٤) المتلوح : الذى تغيّر لون وجهه .

تبايعنا الدنيا مُنًى بنفوسنا … فتوكس غَبنا والمُبايع مُصلِحُ
فلا نحن من فرط الخسارة نرعوى … ولا هى ترضى فرطَ ما هى تَربحُ
فما لكِ يا دنيا وأنتِ بطينةٌ … ونحن خِماصٌ تبخلين ونسمحُ!
ألا طرقتْ لا يملأ الليلُ صدرَها … ولا تتحاشى صارخا حين تَصْبحُ
مغلغلةٌ لا طودَ يعصمُ ما ارتقت … ولا موئلٌ من حيث تهبط أبطحُ (١)
وَصولًا الى البيت الذى تستضيفه … ولا مُوقِدٌ يُورِى ولا كلبَ ينبحُ
لها من قِرًى ما استصلحتْ وتخيَّرتْ … حشايا (٢) تُوَطَّى أو صفايا (٣) تُذَبَّحُ
أصابت صريحَ المجد من حيث ينتمى … وغضّت لحاظَ الفضل من حيث تطمحُ
وحلّت فحكّت بَرْكَها (٤) من "محمدٍ" … بجانب ركنٍ لم يكن قبلُ يُنطَحُ
قويم على عرك الخطوب، فما له … وقد زحمته زحمةٌ يتطوَّحُ!
سلا مُقعصَ الأقران : من أىّ طعنةٍ … تَقَطَّر عن ظَهر الكفاية يُطرَحُ؟
وقاطِعَ مَثْناةِ الحبال حرانُهُ : … بأىّ زمامٍ قِيدَ يعنو ويُسمِحُ؟
ومَن هُزَّ من بين الوسائد طودُه … وفى دسته "شهلانُ" (٥) لا يتزحزحُ!
وقولا وإن لم يخرق الترب صائحٌ … اليه ولم يفهم صدَى الأرض موضحُ :
"أبا حسنٍ" أمّا الرجاءُ فخائب … وأما الرجا فيما نعاك فمنجحُ
حملتُ الرزايا جازعا ثمّ صابرا، … على ذاك حسنُ الصبر بعدك يقبحُ
وواصلتُ من أحببتُ ثم فقدتُه … فما نازلٌ إلا وفقدُك أبرحُ
ذكرتُك إذ غَصّ الندىُّ فلم يُشِرْ … نصيحٌ ولم ينطق لسانٌ مُفَصِّحُ

(١) الأبطح : المسيل الواسع فيه دقاق الحصى كالبطحاء . (٢) حشايا جمع حشيّة وهى الفراش المحشو . (٣) الصفايا جمع صفيّة وهى الناقة الغزيرة اللبن المصطفاة . (٤) البَرْك : الصدر . (٥) شهلان : اسم جبل .

(٧٨)

ولا أضمرتْ صدقا مَعاقدُ حبوةٍ جثا بفخارٍ ربُّها يتبجّحُ
وقد غاض بحرٌ كان فكرك مدَّه وأُرتج بابٌ كان فى فيك يُفتَحُ
وقد جاء نجمٌ من جُمادَى بليلةٍ بَليلٍ يريك الطولُ أن ليس تُصبحُ
يسائلُ عن اطناب بيتك ضيفُها رِدائدَ خطفِ البرقِ فيا تُلوّحُ
تعيّف[1] طيرا بارحاتٍ يسرنه[2] بفقدك قد كانت ميامينَ تَسنحُ
فبات صعيدُ الأرضِ والريحُ زادُهُ شقيًّا بما يَستافُ أو يتنفّحُ
بليلةِ بؤسٍ فات مُعتامَها القِرَى كما فاتها منك المصلِّ المسبِّحُ
وللأمرِ كنتَ الليثَ إما حفظتَهُ تعاوَتْ تعاطاه ثعالبُ تَضبحُ[3]
رُعى بعدك الشِّقُّ الذى كنت خامياً له وعتا الخَرقُ الذى كنت تَنصحُ[4]
وخُلِّىَ للعجز التنافسُ وآستوى على الجهل سَرحٌ سائمٌ ومُسرّحُ
وقام رجالٌ كان فضلُك مقعدا لهم فتراءوا للعلا وترشّحوا
بلا عائبٍ تُزرِى على سيئاتهم محاسنُه، والنقصُ بالفضل يُفضَحُ
ائن حَرَصوا فيا عَمَرت تعافه فربّتَ ساعٍ للدنيّة يكدحُ
تمالَوا على ما كنتَ تأباه أوحدًا ومَنّوا بما آستضعفتَه وتمدّحوا
وما آزدحموا أن القذى بعدك آنجلَى عن الماء لكن يشربون وتَقمحُ[5]
فداكَ ـ وهل حىٌّ فداءٌ لميّتٍ ـ ؟ قصيرُ الخطا يكبو بما كنتَ تجمحُ
تعجّبَ لمّا ساد من حظّ نفسه، وقد يُدرِك الجَدُّ الدنىَّ فيُفلِحُ
ولمّا رأيتَ الدهرَ ضاقت ضلوعُه بجملك وهى للئام تَفَسّحُ
أنفتَ من الدنيا الذليلةِ عارفا اذا عيشةٌ ضامتك فالموت أروحُ

---

(١) تعيّف : زجر . (٢) يسرنه : جئن من جهة اليسار . (٣) تضبح : تصوّت .
(٤) تنصح : تخيط . (٥) تقمح : ترفع رأسك كرها الماء .

وذكّرنيـــك الودُّ أحليتَ طعمه | وأصفيتَ فهو الآن يَقذَى ويَملَحُ
ضَربتُ عن الإخوان صفحا مؤملا | بأن الردى لى عنـك وحْدَك يصفحُ
وأغنيتنى ودًّا ورفـدا بحاجـةٍ | من اليـوم ما أرتادُ أو أتمنَّحُ
أعلّل نفسى عنـك لو أنْ مُسقَمًا | يُفيق بنوعٍ من جوًى أو يُصـبِّحُ[1]
وأرقَعُ أيّامى أروم صـلاحَها | وقد فسد العيشُ الذى كنت تُصلِحُ
سألتُ بك الأيّام أرجـو مسـرّةً | فلما أبَت إلا الـتى هى أتـرحُ
ضحكتُ الى ناعيـك أحسب أنه | ـ وقد جَدَّ ـ إكبارا ليومك يمـزحُ
عفا ربعُ أنسى منك ضيقا، وما عفا | بساحـةِ قلبى مـنزلٌ لك أفيحُ
به ساكنٌ من طيبِ عهـدك عامرٌ | يُريح عَزيبَ الحُزن من حيث يَسرحُ
اذا ذبلَت فيـه على الصـبر جمرةٌ | خمودا ورَى زندٌ من الذّكر يَقـدَحُ
وذاك اللسانُ الرَّطبُ لا زال فى فمى | هو اليومَ يرثِى، مثـلَه أمسِ يَمدحُ
يقول وإن لم يُغنِ عنك وإنما | مـلأتَ إناءً نعمـةً فهـو يرشَحُ
ولو رُدَّ قبلى الموتُ بالشّـعر أو مضى | شَبا لَسِنٍ أو عاش فى الدهر مُفصِحُ
نجا لا نَذا بالعـزّ فى غـير قومـه | ـ وقد سبق الناسَ ـ الغريبُ المقرَّحُ[2]
ومسـتنزلُ[3] "النعمان" عن سطواته | بما يَنتـقِى من عِذرةٍ[4] وينقّحُ
و"عُروةُ"[5] لم يُصغ الردى لنسيبه | ولم يُعطَ فى "قَيس"[6] مناه "الملوّحُ"[7]
وغيّر "غيلانَ"[8] المهارى بعَنسِه[9] | فلم تُنجِه من عَدوة الموتِ "صيدحُ"[10]

(١) يصبّح: يُسقَى الصبوح. (٢) يشير الى آمرئ القيس وكان يقال له: ذو القروح لأن قيصر ألبسه قيصا مسموما فتقرّح جسمه ومات غريبا "بأنقرة" وفى ذلك يقول

أجارتنا إنا غريبان ههنا | وكلّ غريب للغريب نسيب

(٣) يشير الى النابغة الذبيانىّ حين هجا النعمان بن المنذر ثم عاد اليه معتذرا. (٤) العِذرة: المعذرة. (٥) عروة بن حزام هو أحد العشاق الذين قتلهم العشق. (٦) اسم مجنون ليلى. (٧) اسم أبى مجنون ليلى. (٨) غيـلان: اسم ذى الرمّة الشاعر. (٩) العنس: النـاقة القويـة. (١٠) صيدح: اسم لناقة ذى الرمّة.

ولكنه شَــرطُ الوفاء وغمّـــةٌ على الصـــدر بآستخراجها أتروَّحُ

ذممتُ فؤادى فيك والحــزنُ محرقٌ وعاتبتُ جفنَ العــين والدمعُ مُقرِحُ

وما عجبٌ للدمع أن ذَلَّ عــزّه فما جَــمّ إلا أنه لك يُــنزحُ

وأقسمُ ما جازاك قلبٌ بما طوَى غليـــلا ولا قــولٌ يطولُ فنشرحُ

ولا كان فى حكم الوثيقة أن أرى عليــك الثرى كَلًّا وجســمِى رَيِّحُ

وما أنا إلا قاعدٌ عن فضــيلةٍ اذا قمتُ فيهـا مائــلا أترنّحُ

سقاك ـــ وإن كان الثرى بك غانيا عن السـحب ـــ غادٍ بالحيا متروّحُ

حَولٌ(١) لمـاء المزن تطفو لصوبه فـــواغرُ أفواهِ الجــواءِ فتَطفَحُ

اذا خار ضعفا أو تراخى حَــدتْ به مَواقرُ(٢) من نوءِ السماكين دُلّحُ(٣)

يُحفّـــلُ طـردُ الريح فيهـا كأنهـا ســفينٌ جَوارٍ أو مَراســيلُ(٤) جُنّحُ

شجـاعٌ كأنتَ أو جــوادٌ بمـائه فإن عاقه ضِنٌّ فعينىَ تَســفَحُ

ليعـــلمَ قـــبرٌ بالمــدينــة أننى من الغيثِ أَوْفَى أو من الغيثِ أَسمَحُ

* * *



وقال وكتب بها الى الصاحب أبى القاسم بن عبد الرحيم فى المهرجان يهنئه به

أمرتُكمُ أمرى "بنَعمانَ" ناصحـا وقلتُ : آحبسوها تلحقِ الحىَّ رائحا

فماريتمونى تَخبُرون آجتهـادَها فأُبتم بلا حاجٍ وأُبنَ طلائحـا(٥)

وقد صدّقتنى فى الصَّبا عن مكانهـم أخابــيرُ(٦) أرواحٍ سبتنى نـوافحـا

كأنّ الثرى من طيبها فَتَّ فوقه مجيزون من "دارينَ"(٧) فأرا فوائحـا

(١) فى الأصل "حوك" . (٢) مواقر : مثقلات . (٣) دلّح جمع دالح وهو السحاب الكثير المـاء . (٤) مراسيل جمع مرسال وهى الناقة السهلة الســير . (٥) الطلائح جمع طليحة وهى الناقة التى أعياها الســير . (٦) خبر جمعه أخبار وجمع الجمع "أخابير" . (٧) دارين : فُرضة بالبحرين يُجلب اليها المسكُ من الهند .

لقاءٌ على "نَعمانَ" كانــ غنيمةً ... وهيهات يدنو بعـــد أن فات نازحا

حَمى دونه حَرٌّ "السماوة" ظَهــرَها ... وعبّس وجها ناجرٌ(١) فيـــه كالحا

الى الحول حتى يشربَ القيظُ ماءهم ... "بنجدٍ" وإما يسلخون البوارحا(٢)

لعلّك فى إرسـالِكَ الدمــعَ لائمٌ ... وقد عطَف النـاسُ المطىَّ جوانحا

نعم ، قد تجرّعتُ الدموعَ عليهـــمُ ... عِذابا وأقرحتُ الجفونَ الصحائحـا

وما قلتُ : غاضت بالبكاء ركِـيّةٌ ... من العين إلا أرسلَ الشـوقُ ماتحـا(٣)

فهل ظبيةٌ "بالغور" يَجزِى وفاؤها ... هوًى لم يُطِعْ فيها على النأى كاشحـا؟

اذا آعترضتْه من سلوٍّ معوضةً ... مَحاسنُ فى أخرى رآها مَقابحـا

ومن أين يَنسَى من يَرَى الغصنَ مائلا ... مثالَكِ والظبىَ المـــروَّعَ سانحـا!

أرى عينه عينيك و"الغـــورُ" بيننا ... فأدمَى، لقد أبعـدتَ يا سهمُ جارحا!

يعنِّفُ فى حُبِّ البـــداوة فارغٌ ... من الوجد لم يَقْرِ الغـرامَ الجوانحا

فياليتَ لى من دار قومى وأسرتى ... جـوارَكِ روّاحًا عليك وصابحـا

ومن تُرَّهاتِ(٤) الريف أرضا قطنتُها ... من الجـدب فيها يأكلون النواضحـا(٥)

اذا ما شربتُ الوصـــلَ عَذبا مرقرَقا ... بها لم أعَفْ أن أشرب المـاء مالحـا

دعُونى "ونعمانَـ الأراكِ" أروده ... يجاوبُ صـــوتى طيرَه المتنـاوحا

عسى سارحٌ من دار "ميّةَ" يامنٌ ... يُقيِّضُ لى عن شائمٍ طار بارحا

سقَى ما سقَتْ خدّى الدموعُ الحيا الغضا ... بواكرَ من جمّاته وروائحـا

فكم ليـــلةٍ فيه نضوتُ حميـــدةٍ ... وألبستُ يوما بُرقُعَ العيش صالحـا

---

(١) يقال "لصفر" ناجر: وهو الشهر الواقع فى صميم الحرّ، وفى الاصل "ناجز" (٢) البوارح جمع بارح وهى الريح الشديدة الباردة . (٣) المـاتح : الذى يستق وهو على رأس البئر . (٤) التُرّهات : الطرق الصغار تنشعب عن الجادّة واحدتها تُرَّهة . (٥) النواضح : الإبل التى يُستقَى عليها ، واحدها ناضح .

وهمٍّ ترى القلبَ الرحيبَ وراءه — من الضيقِ لهفا يستعيبُ المَراوحا[1]

تلطَّفتُه[2] حتى وجدتُ مَفارجا — لصدرِىَ من غُمّاته ومَسارحا

وبحرٍ من الآل الغَرور محرَّمٍ — ركبتُ له من سير "لاحقٍ"[3] سابحا

الى حاجةٍ فى طُرْقها الجِدُّ كلُّه — فأدركتُها جذلانَ أُحسَبُ مازحا

ومضطغِنٍ[4] أن قدَّمتنى زوائدٌ — من الفضل أخفَتْه وقد كان واضحا

يعيّرنى الحِدْثانَ وهو أعزُّ لى — كفى جَذَعا أن فاتَكَ الشوطَ قارحا

وهل ضائرى شيئا ــ اذاجئتُ آخرا ــ — تأخُّرُ ميلادى وقد جئتُ فاصحا

وهَرَّ فلم يُطرَدْ فعضَّ سفاهةً، — وعقْرُك لى أنى حقَرتُك نابحا

وزَنتُ بحلمى جهلَه لا أجيبه — فلله منّا مَن تمكّن راجحا

وعجماءَ من وحش القوافى خدَعتُها — ولم تُعطِ قبلى جِلدَها قطُّ ماسحا

خطبتُ اليها عُذرَها فتحلّلتْ — وكانت حراما لا تلامس ناكحا

وعادتُها فى المدح ألا أذيلها — ولكنَّ قوما يكرمون المدائحا

تمَنَّى بنى "عبد الرحيم" ومجدَهم — رجالُ أمانٍ لم يقعن نجائحا

وريموا، فما حَطَّ الثريّا لباعه — فتًى ظنَّها كفًّا فمدَّ مُصافحا

كرامٌ مضوا بالجود إلا صُبابةً — أعاروا نداها الماطلاتِ السوافحا

لهم من تليد العزّ ما يدّعونه — اذا خِفْتَ فى دعوى الحسيبِ القوادحا

اذا نَشَروا الأغصانَ من شجراتهم — على ناسبٍ عُدُّوا الملوكَ الجحاجحا

تواصَوا فطابوا فى الحياة وأُكرِموا — نفوسا وطابوا ميّتين ضرائحا

---

(١) المراوح: المفاوز تخترقها الرياح واحدتها مَروحة. (٢) تلطفته: ترفقت فيه.

(٣) لاحق: اسم فرس معروف عند العرب. (٤) المضطغن: الحاقد.

وأَخفَى "الحسينُ" خطفَهم[1] بشُعاعِه | كما أَخفت الشمسُ النجومَ اللوائحا
فتًى لا يريد المجــدَ إلا لنفســه | ولا المـالَ إلا قسمةً ومَنائحـا
ينـازع أزْماتِ السنيـن بأنمُلٍ | جوابرَ للأحوال تُســمَى جوارحا
أنامل من يُسرٍ اذا ما أدارها | على مغلَقاتِ الرزق كنّ مَفاتحـا
أقام على وجه الطــريق بوجهـــه | مجيرَ النهـار عاقرَ الليــل ذابحـا
بحيث الســماح لا يخيِّبُ سائلا | وحدُّ الصفاح لا يخيِّبنَ صائحـا
اذا عجِــزتْ يوما مواعظُ صفحه | عن الأمر ولّاه القنـا والصفائحـا[2]
ويأبى فيأتى مَشــرَعَ[3] الدمِ واردا | حريصا ويأتى مشرعَ المـاء قامحـا[4]
يصيب بأطراف العــوالى مُحـاربا | عِداه، وأطــرافِ الكلام مُصالحـا
اذا هزّ رمحا طاعنا خِيــلَ كاتبـا | سَدادا، وطِرسًا كاتبـا خِيلَ رامحـا[5]
أقــول لأيامى وهن عواثر | بحظّى: لَعًا، قد أدرك الذنبُ صالحا
اذا "الصاحبُ" استبقيته لى ورهطَهُ | فمَرّى بقــومٍ طائراتِ طوائحـا
أذمّوا على الآمال لى وتعاقــدوا | على رَقْع خَلّاتى أكفًّا نواصحـا
غَبرتُ زمانا أمنع النـاسَ مِقــوَدى | حَرونا الى غير المطـامع طامحـا
أَعِزُّ فلا ألقى ٱبنَ مالٍ مؤمِّــلا | لمـالٍ ولا يلقـانِىَ الدهرَ مادحا
مع النـاس حُرًّا خاطرى، غير أنهــم | بأخلاقهـــم يستعبدون القرائحـا
وما كنتُ فى طرد الخطوب بيُمنهــم | بأوّلِ داجٍ يستضىء المصابحـا
بك ٱعتدلتْ حُوشيَّةٌ من تصعّبى | وراخيتَ من أنسى فأصبحَ سارحا
صحبتُك لم يَمسحْ عِذارى ســوادَه | وها أنا قد غطّى ســوادى المسائحـا[6]

(١) يريد خطفهم الأبصار بضوئهم . (٢) الصفائح جمع صفيحة وهى السيف العريض . (٣) المشرع: المورد . (٤) القامح الذى يرفع رأسه عن المـاء كرها له وقد تقدّم . (٥) الرامح : ذو الرمح . (٦) المسائح جمع مسيحة وهى شعر جانبى الرأس .

وسدّيتَ[1] عندى نعمةً ليس ناهضا ... ثنائى بها ما لم أجدك مُسامحا
فكن سامعا فى كلّ نادى مسرّةٍ ... شواردَ فى الدنيا ولسن بوارحا
حواملَ أعباءِ الثناء خفائفا ... صعدن الهضابَ أو هبَطن الأباطحا
يَرَى المفصِحُ المفتونُ عُجْبا بشِعرِه ... لها ناقصا ما سَرّه منه رازحا
اذا قمتُ أتلوها اقشعرَّ كأننى ... تلوتُ مَزامِيرا بها ومَسابحا
تزورك ، لا زالت تزور بشائرا ... يسوق التهانى وفدُها والمَفارحا
يضُمُّ الزمانُ شمـلَ عزِّك نظمَها ... ويطرحُ مَن عادَى علاك المَطارحا

⁂

وقال وكتب بها الى الأستاذ الرئيس أبى منصور بن ماسرجيس يهنّئه بالمهرجان الواقع فى سنة إحدى عشرة وأربعمائة، ويعتذر له ويعرِّض بذكر قوم يحسدونه على الشعر ويغتابونه

أيا ليلَ "جوٍّ" مَنْ بشيرُك بالصبحِ؟ ... وهل مِن مَقيلٍ بعدُ فى ظُلَل الطَّلحِ؟[1]
وماؤكم استشفيتُ "زمزمَ" بعده ... فما بَرَدَتْ لُوحى[2] ولا رقَدتْ جُرحى
سَرقتُ على سؤرِ[3] البخيلة نهلةً ... بها لم أكن أدرى أنُسكرُ أم تُصحى؟
قضت ساعةً "بالجوّ" أن ليس عائدا ... بها الدهرُ فى يومٍ بخيلٍ ولا سَمحِ
فما لكَ منها غيرُ لفتةِ ذاكرٍ ... اذا قلتُ: بَلَّتْ، أوقدتْ لوعةَ البَرْحِ[4]
أيا صاحِ، ـ والماشى بخير موفَّقٌ ـ ... ترنَّمْ "بليلَى" إن مررتَ على "السفحِ"
وقامِرْ بعينِى فى الخليطِ مخاطرا ... عست نظرةٌ منها يفوز بها قِدحى
وسلْ ظبيةَ الوادى : أأنتِ أم التى ... حكتكِ على قلبى بلحظتها تُنحى؟

(١) سدّيت بمعنى أسديت . • (١) الطلح : شجر عظام من العضاه واحدتها طلحة .
(٢) اللُّوح : العطش . (٣) السؤر : الحوض . (٤) البرح : شدة الأذى والمشقة .

رَمتْ بجَنَت وآستصفحتْ ،هى عامدٌ ألا أين جُرم العامدين من الصفح!

وليـــلٍ لبسـناه بقـــربك ناعمٍ بطائنَ ما بين القـلائد والوُشح [1]

ويُضحى ويُمسى ضوءُ وجهك بيننا سراجا ، وضوءُ البدر يُمسى ولايُضحى

ولما آســتوى قسمُ الملاحةِ فيكما تكلّمتِ حتى بان فضلُك بالمُلْح [2]

تذمُّ آطراحى وُدَّ قـــومٍ ومدحَهم وما مسّها حملى الهـــوانَ ولا طرحى

تعاوت على سَرح القريض تقصُّـــهُ ذئابٌ لها من عجزها نَقَـــدُ السَّرح [3]

تجانَفُ عن حُلوِ الكلام وصفوه اذا ولِعت جهـــلا وتكرعُ فى المِلْح [4]

اذا كان للتقبيل والشمِّ أصبحت تماضغه ما بين أنيابهـا القُلْح [5]

ترى كلَّ علج [6] يحسبُ المجـــدَ جَفنةً [7] تُراوَحُ أو قَعْبـا [8] يخمَّـــرُ للصَّبح

اذا رشَحت من بَهْـــره [9] وآنتفاخه أياطِـــلُه [10] ظنَّ الفصاحةَ فى الرشح

اذا معجزاتُ الشـــعر عارضن فهمَه حلبنَ بكيئا [11] لا تدرُّ على المسح

لكلِّ غريبٍ نادرٍ فى فـــؤاده وأحقادِهِ فعـلُ النكاية فى القَـــرْح

اذا الغيظُ أو جهـلُ الفضـــيلة عاقه عن المـــدح فى شىء تجمّـــلَ بالقَدح

وكم دون حُرّ القولِ من جنح ليلةٍ اذا أظلمتْ لم يورِ فيها سوى قَدحى

وقافيـــةٍ باتت تحـارب ربَّهـا فنازلتُهـا شيئا فألقت يدَ الصـــلح

وصلتُ اليهـا والأنابيبُ حولهـا تكسَّرُ لمّا كنتُ عاليـــةَ الرمح

اذا شئتَ أن تبلو آمرأً أين فضـــلُه من النقصِ فاسمع منه إطراىَ أوجَرحى

(١) الوشح جمع وشاح وهو معروف . (٢) الملح : الحُسْن . (٣) النَّقد : صغار الغنم .
(٤) الملح غير العــذب . (٥) القُلح : جمــع قلحاء وهى السنّ التى يعلوها صفرة أو خضرة .
(٦) العلج : الرجل الضخم من كفّار العجم . (٧) الجفنة : أوسع القصاع . (٨) القعب :
القدح الضخم ، والصبح : شرب الصبوح . (٩) البهر : انقطاع النَّفَس من الإعياء . (١٠) الأياطل
جمع أيطل وهو الخاصرة . (١١) البكىء : الناقة أو الشاة التى قلّ لبنها .

٨١

وكم ملكٍ لو قد سمحتُ أريشُــه بوجهٍ قريضى طلعــةَ النصر والفتح

اذا ما ترامت عاليـاتُ المنى به بعيــدا تمنَّى موضعَ النجم أو مدحى

وخِلٍّ أتى من جانب اللين عاطفا فياسره عُودى ولانَ له كَشحى

وفَــرتُ له قِسما كفاه وزادَه فـآلَ به الإسـفافُ فى طلب الرِّبح

وساومَ غيرى المدحَ يُرخص عرضَهُ فلم يُغننى بخلى عليــه ولا شُحّى

فأصبحتُ كالبيضاء ضرّت فغاظها بســوداءَ والعجزاءِ غارت من الرُّسْح (١)

واكنّ "ماسرجيس" من لا تردُّه عن الجدِّ حنّاتُ الطبـاع الى المزح

ولا تُقتضَى ممطولةُ الحقِّ عنــده ولا يُكسَبُ الإنصاف بالكدِّ والكدح

اذا نال بيضـاتِ الأَنوقِ ميسّرا له وَكرُها لم تَسبِه بَيضةُ الأُدحى

كريمُ الوفاء أملسُ العــرض طاهرٌ اذا دَنَسُ الأعراضِ عــولج بالرَّضح (٢)

تضيقُ صــدورٌ بالخطوب وصــدرُه الى فُرُجاتٍ من خلائقــه فُسْح

يُشــير بصغرَى قولتيه فيكتفَى بها، وذُبابُ (٣) السيفِ يَقطعُ بالنفح (٤)

غزير اذا آستملى البــلاغةَ فكرُهُ ســوقَ بقليبٍ لا يغــوّرُ بالــنزح

تدبّرَ من بيت الوزارة باحةً له السبق فيها، والجِـذاعَ من القُرْح

اذا زلقتْ يوما بأقــدامِ معشرٍ فمالت مشَى فيها قويمـا على الصَّرح

أُخذتم بأحقادٍ قــديمٍ وَقُــودُها عليكم ونارُ الضِّغن تُحرِق باللفح

وغاظت (٥) علاكم حاسـديكم فنفّرتْ فُتــوقَ كُبودٍ لا تُعالَجُ بالنَّضْح

وجوهٌ اليكــم ضاحكاتٌ وتحتهـا دخائلُ نيّـاتٍ معبّسةٍ كُلْحِ

وددتُكَ لم أذخر هـــواكَ نصيحةً أروح بهـا ملءَ الفــؤادِ كما أُضحى

(١) الرسح جمع رسحاء وهى القليلة لحم العَجُز . (٢) الرضح : القليل من العطيّة . (٣) ذباب السيف : طرفه . (٤) النفح : الضرب الخفيف . (٥) فى الأصل "وغاضت" .

حببتُكَ من سَلمى وأغدو بشفرةٍ على عُنُقِ مَن أبغضتُ مِن مَنطقٍ أُنحى

وكم من فتاةٍ قــد منحتُك رِقَّها على العزِّ لم أمنُنْ عليك بها مَنحى

لها بين يوم المهـرجان مواقفٌ لديك و بين الصوم عنـدك والفِصْح

أدلّت بحسنٍ فهى تـبرُزُ سافرا اذا آختَمرتْ أخرى حياءً من القُبح

اذا المنشدُ الراوى بها قام خِلتـهُ ينـاوبُ ترجيعَ الحَـمامة بالسَّجح (١)

و إن أبطأتْ عاما عليك سمـاؤها فعندك سَلْفٌ من مَرازمها (٢) الُّدلْح (٣)

ولا ذنبَ لى إن أعقمتنى عوائقٌ من الدهر يوما أن يُقصِّر بى لَقحى

* * *

وقال وكتب بها الى ربيب النعمة أبى المعمّر بن الموفق على بن إسمـاعيل فى النيروز الواقع فى سنة أربع عشرة وأربعمائة

مَن عَذيرِى يـومَ شرقىّ الحمى من هـوًى جَـدَّ بقلبٍ مَزَحا ؟

نظـرةٌ عادت فعـادت حسرةً قَتـلَ الرامى بهـا مَن جَرَحا

قلن ــ يستطردن بى عينَ "النقا" ــ : رجلٌ جُنَّ وقــد كان صحا

لا تعدْ ــ إن عُدتَ حيًّا بعدها ــ طارحا عينيك فينـا مَطـرَحا

قد تذوّقتُ الهــوى من قبلها وأرى مُعــذَّبَهُ قــد أَملحا

سلْ طريقَ العيس من "وادى الغضا" كيف أغسقتَ (٤) لنـا رَأْدَ الضحى ؟

ألشىءٍ غـير ما جـيراننـا نفضوا "نجدا" وحلّوا "الأبطحا" ؟

يا نسيم الصبح من "كاظمةٍ" شـدّ ما هِجت الجـوى والبُرَحا (٥)

الصَّبا ــ إن كان لا بدّ الصَّبا ــ إنهـا كانت لقلـبى أرْوَحا

---

(١) السجح : السجع . (٢) مرازم جمع مُرزِمة وهى السحابة الشـديدة صوت الرعد . (٣) الدلح جمع دالح وهو : السحاب الكثير الماء . (٤) أغسقت : اشتدت ظلمتك وفى الأصل "أعسفت" . (٥) البُرَحاء : شدة الأذى والمشقة ومنه "برحاء الشوق" .

(٨٣)

يا ندامای "بسلْعٍ" هل أرى ذلك المَغْبَقَ والمصطَبَحا ؟
أذكرونا ذكرَنا عهدكُمُ(١) ربَّ ذكْرَى قرَّبتْ مَن نَزَحا
واذكروا صبًّا اذا غنَّى بكم شرِبَ الدمعَ وعاف القَدَحا
رجَع العاذلُ عنى آيسا من فؤادى فيكُمُ أن يُفلِحا
لو درَى — لا حَمَلتْ ناجيةٌ رحلَهُ — فيمن لحانى ما لَحَا
قد شربتُ الصبرَ عنكم مُكرَها وتبعتُ السقمَ فيكم مُسمِحا
وعرفتُ الهمَّ من بعدكُمُ فكأنى ما عرفتُ الفرحا
ما لسارى اللهوِ فى ليل الصِّبا ضَلَّ فى فجرٍ برأسى وضَحا ؟
ما سمعنا بالسُّرى مِن قبله بابنِ ليلٍ ساءه أن يُصبِحا
طارقٌ زارَ وما أنذرنا مُرغِيا بَكرا ولا مُستنبِحا
صَوَّحتْ ريحانةُ العيش به فمنَ الراعى نباتا صَوَّحا(٢)
أنكرتْ تبديلَ أحوالى، ومَن صحِب الدنيا على ما آقترَحا ؟
شدَّ ما مَنَّى غرورا نفسَه تاجرُ الآدابِ فى أن يَربَحا
أبدا تُبصِرُ حظًّا ناقصا حيثما تُبصِرُ فضلا رجَحا
والمنَى والظنُّ بابٌ أبدا تُغلَقُ الأيدى اذا ما فُتِحا
قد خَبَرتُ الناسَ خُبرى شِيَمى بخلاء وتَسمَّوا سُمَحا
وتولَّجتُ على أخلاقهم داخلا بين عَصاها واللِّحا
وبعثتُ الماءَ من صُمِّ الصَّفا قبلَ أن أبعثَ ظنًّا مُنجِحا
يشتهون المالَ أن يبقَى لهم فلماذا يشتهون المِدَحا ؟

(١) هكذا بالأصل والرواية المشهورة * أذكرونا مثل ذكرانا لكم * (٢) صَوَّحَ النبتُ كتصوّح : يبس .

يُفصِح اللحّانُ بالجـــودِ وهُمْ ... فرطَ بخـــلٍ يُعجِمون الفُصَحا
جَرّبِ الحسنى غلاما ماجـــدا ... لم يطِع فى الجـــود إلا النُّصَـــحا
طَوّلوا فى حَلبـــةِ المجـــدِ له ... فمضى يتبـــعُ رأسا جمَحا
مُنجبًا من "آل إسماعيل" لم ... يَروِ فى الأخـــلاقِ إلا المُلَحا
كيفما طارتْ عِيافاتُ النـــدَى ... حَوْلَه طِرنَ يمينا سُنُحا
لا يبـالى أىّ زندٍ أصـــلدتْ ... مَن أتى راحتَـــه مقتـــدِحا
كلّمـا ضاقت يـــدُ الغيثِ بمـا ... ملَكتْ جاودها مُنفَـــسِحا
لربيب النعمـــةِ اجتابَ الدجَى ... خابطٌ يُنضِى قـــلاصا طُلَّحا
حَمّـــلَ الهمَّ وقـــد أثقـــلَه ... جَـــلْدَةَ العظمِ أمُـــونا(١) سُرُحا(٢)
تُوسِعُ البيـــداءَ ظهـــرا خاشعا ... فى يدِ الســـير ورأسا مَرِحا
لا تبـالى ما قضت حاجتَهـا ... ما دَمِى من خُفِّها أو قَرِحا
حَمَلَتْ أوعيـــةَ الشكـــرِ له ... وانثنت تحمِـــلُ منـــه المِنَحا
أحرز الفضـــلَ طريفـا تالدا ... والمعـــالى خاتمـــا مُفتتِـــحا
وجرى يقتصُّ مِن آياته ... أثَرَ المجـــدِ طـــريقا وَضَحـا
نسبٌ كيف ترامت نحـــوه ... أعينُ الفخر أصابت مَسرحا
أملسُ الصفحةِ لم تَعـــلَق به ... غمـــزةٌ من قادحٍ ما قـــدَحا
عَـــوَّد البـــدرَ وقـــد قابله ... غُرّةً بات بهـا مســـتصبِحا
ورآه البحـــرُ أوفَى جمَّـــةً ... منـــه بالنـــائل لمّـــا طفَحا
وتسامت أعينُ الشِّـــعر الى ... أن يكونَ الســـامعَ الممتـــدَحا
لم تجِـــد أبكارُهُ أو عُـــونُهُ ... عنك فى خُطّابهـا مُنتـــدَحا

(١) الأمون : الناقة القوية . (٢) السرح : السريعة المشى السهلة السير .

غير حُرّاتٍ أراها مُهمَلا حقُّها[1] عندكُمُ مُطَّرَحا
كم ترى أن يصبِرَ الشعرُ على أن تُهينوا مثلَها أو يَصفَحا
أنتم آستنزلتُمُ عنها يدى بعد ما عزّ بها أن أسمَحا
ورغبتم فى علا أنسابها وكرامٍ من ذويها صُلَحا
وأرى مطلكُمُ فى مهرها دام، والمهرُ على مَن نَكَحا
وثِقَ الشعرُ بكم وآتصلتْ غفلةٌ تُخجِلُه فافتضَحا
فآعذروه إن أتى مُقتضِيا فلقد أنظَرَكم ما صَلَحا
ومضى حَولٌ على حَولٍ ولم يُنتِجِ الوعدُ الذى قد أُلقِحا
أذكروه مثلَ ما يذكركم مُحسِنا وآستقبِحوا ما آستَقبَحا
وآعلموا أنّ قَليبَ الشكرِ إن هو لم يُمدَدْ برِفدٍ نَزَحا
وآصحبوا أيّامَكم وآستخدموا فى المعالى هُجْنَهَا والصُّرَحا
بين نيروزٍ وعيدٍ أمسيا رائدَىْ إقبالكم أو اصبحا
تَكمَهُ[2] الأحداثُ عنكم إن رأى طرفُها غيرَكُمُ أو لَمَحا

* * *

وقال وكتب بها الى أبى القاسم بن ماكولا، وقد آجتمع معه ببغداد فأنس به، ثم شخص الى البطيحة[3] متقلدا إيّاها يتشوّقه ويمدحه ويصف السفينة

مَن الغادى تَحُطُّ به وتعلو نجائبُ من أزمّتِها الرياحُ؟
جوافلُ، تَحسَبُ الظِّلمانُ[4] منها أضاء لوجهِ قانصِها الصَّباحُ

(١) فى الأصل "حقا" وهو تحريف. (٢) تكمه: تعمى. (٣) البطيحة: أرض واسعة بين واسط والبصرة. (٤) الظلمان جمع ظليم وهو الذكر من النعام.

فـــرّتْ كلُّ شائلةٍ[1] زَفوفٍ[2] ... لها من غيرها اليـــدُ والجَناحُ
ململَمـــةٍ لها ظَهــرٌ مصونٌ ... وبطنٌ تحت راكبها مُتَـاحُ
ترى ســوطَ الشِّمال يَشُلُّ[3] منهـا ... طـــرائدَ لا يُكَفُّ لهـا جِمـاحُ
تُراوح رِجلُ سائقهـــا يديه ... ولا التعريس منـــه ولا البَراحُ
تعبُّ المـاءَ بين قذٍ وصافٍ ... اذا ما عافت الإبلُ القِماحُ
لعلّك ترتمى بك أو سيقضى ... الى المجـــد الغـــدوُّ أو الرواحُ
فصُلْ ــ وخلوتَ من ولهى ووجدى ــ ... وقل ــ ولك السلامة والفلاحُ ــ
لمقتدحين فى كبدى ــ وساروا ــ ... لـــواعجَ ما لقاطنهـــا بَراح :
أَظنّـــا أنكم بتمٍ وأبقَ ؟ ... لَبعضُ الظنِّ إثمٌ أو جُنـاحُ
ويَحسَبُ بدرُ "عِجلٍ"[4] أنّ ليلى ... له من بعـــدِ غيبته صباحُ !
وأنّى بعـــده بمُنًى وحـــظٍ ، ... ينازعنى الى جـــذلٍ طِماحُ !
إذن ففركتُ بعلَ المجـدِ منـــه ... وبنتُ من العـــلاء ولا نِكاحُ
بمَن ولِمَن أريدُ القلبَ عنكم ... ليذهلَ وهو عنـــدكمُ يُراحُ ؟
ومَن بدلٌ وهل عِوضٌ وظهرى ... بكم يَعـــرَى وعزّى يُستبـاحُ ؟
حملتُ فراقكم أو قيلَ : جَـــلْدٌ ... وخلفَ حشاى أسنمةٌ طِـــلاحُ
وكيف تغيضُ لى نزواتُ دمعى ... وتحت الدمع أجفانٌ قِراحُ !
فهل فيكم على العُــدَواء[5] آسٍ؟ ... فإنّ البينَ فى كبدى جِراحُ
ألا عَطفا عـلى عيش فسادٍ ... يكون له بقربكمُ صـــلاحُ
وحُرٌّ قيّـــدته لكم طليقا ... من النـاس المكارمُ والسماحُ

(١) الشائلة التى ترفع ذنبها . (٢) الزفوف : السريعة العدو . (٣) يشلّ : يطرد .
(٤) عجل : اسم قبيلة . (٥) العدواء : البعد .

وقادته لكم خِلًّا صريحا حبائلُ مدَّها المجــدُ الصُّراحُ
وأخلاقٌ سقته فأسكرتهُ ، وبعض خــلائقِ الكرماءِ راحُ
نَكصتُ وقد أحالَ عليَّ قِرنٌ له سيفانِ : شــوقٌ وآرتيـاحُ
كأنَّ دمِي الحــرامَ على يديه بُعيــدَ البينِ مالُكُمُ المبـاحُ
فمن يكُ فى النــوى بطلا فإنّى أنا المقتولُ والبينُ السـلاحُ
فُجعتُ بقربكم والعهــدُ طِفلٌ وساعةُ وصلنا بِكرٌ رَدَاحُ
وما شبِعت برؤيتكم لحـاظٌ ســواغبُ لى ولا بَرَدَ آلتيـاحُ
وحتى بعــدَ أملسَ لم تَعَلَّقْ له بذيول طِيبِ الوصــلِ راحُ
فــراقٌ سابقَ اللقيـا وعطفٌ من الأيّام زاحمــه آطراحُ
ونَهــزةُ نهلةٍ لم تَحْــلُ حتّى تأجّن ماؤها الشَّبِمُ القَــراحُ (١)
كأنَّ الدهرَ قامرنى عليهـا معالجَــةً نخـانتنى القِــداحُ
لئن قَصُرت مساعيها وضاقت ففى الأشــواقِ طولٌ وآنفساحُ
فإن كَسرتْ عصا جَلَدِى عصاها فَآ مالى برجعتهـا صِحـاحُ
وقد يــلد السرورُ على عقـامٍ ويحيا بعــد ما مات المِــراحُ
لعلّك — يابنَ أكرمهــم يمينـا وأقدمِهــم اذا كَرِهَ الكفاحُ
وأوسعِهم قِــرًى وأعمَّ قــدرا اذا ما الكلبُ أعجزه النُّبَاحُ —
بقــربك أن ستُخبِرُ أو سيُقضَى لهــذا الخَرقِ رقــعٌ وآنتصاحُ
فــترجعَ لى ليــالٍ صـالحاتٌ بكم فاتت وأيّامٌ مِــلاحُ
وينبُتُ تحت ظلّكُمُ لحـالى جَناحٌ حَصَّــه القــدَرُ المتـاحُ
عَلِقتكُمُ هــوًى ومُــنًى فما لى عــلى الأيّام غــيرَكم آقــتراحُ



(١) الشبم القراح : البارد الصافى .

وبعتُ بكم بنى دهرى ودهرى … فعـدت وملء حِضْـنَىَّ الرياحُ
أقول ــ وقد تعـرَّم[1] جُرح حالى … وسُـدَّ على مَطالِعِىَ السَّراحُ[2]
وكاشـفنى وكان مجاملا لى … عَبوسُ الوجه من زمـنى وَقاحُ
وقد مَنعتْ غضارتَهـا وجفَّتْ … على أخلاقها الأيدى الشِّحاحُ ــ :
غدًا يا نفس فآنتظـرى أناسـا … هُمُ فَـرَجٌ لصـدرِك وآنشراحُ
ستطلُعُ من "بنى عيسَى" عليكِ الـ … ـأكُفُّ البيضُ والغُرَرُ الصِّباحُ
ثِقِى بغـنًى ثراك غـدًا براحٍ … يُطَلُّ بهـا جُـدوبُك أو يُراحُ
ولا تَتسـعَّبى أسـفا ويأسـا … فعنـد مَغالـق الأمر آنفتاحُ
سيُنهِضُ سـقطتى منهم غلامٌ … عزائمـه الأزمَّـةُ والصـفاحُ
كريمٌ جاره حـرمٌ منيـعٌ … عـلى الأيّام أو حَىٌّ لَقَـاحُ[3]
كأنَّ الفضـلَ فى ناديه صَونًا … فتـاةُ الحىّ تمنعهـا الـرماحُ
هو آبتـدأ النـدى لم أحتسـبه … وأورَى لى ولم يكن آقتـداحُ
ودَرَّتْ راحتـاه ولم تُعصَّبْ … وكم مِن مُـزنةٍ لا تسـتماحُ
وظنّى أن سيشفعُها بأخرى … يسـابقُ سـعيَه فيهـا النجاحُ
تقُوم بهـا على مَيَـدٍ[4] قنـاتى … وتُلحَمُ من خصاصتِىَ الجِراحُ
وتُنتَجُ من كرائم رأيـه لى … بجـانبِ جاهـه فيهـا لِقـاحُ[5]
وعنـدى فى الجـزاء مسوَّماتٌ … لهـا بالشكر مَغـدًى أو مَراحُ
حُلَى الأعراضِ تَضحك فى تَريبٍ … لهـا عِقـدٌ وفى صدرٍ وِشـاحُ
لهـا الغرضان من معنًى دقيـقٍ … تقُـوم بنصـره كَلِمٌ فِصـاحُ

---

(١) تَرَّعَ ما عليه من لحم . (٢) السراح : التسريح . (٣) لقاح : لا يدينون للملوك ولم يصبهم فى الجاهلية سباء . (٤) الميد : الميل . (٥) اللقاح : الإبل واحدتها "لَقُوح" .

أبوها "فارسٌ" وكأنّ قَومى بها "عدنانُ" أو دارى "البِطاحُ"
وأفضلُ ما جَزَيت أخًا بودٍّ وإحسانٍ ثناءٌ وآمتداحُ

* * *

وقال وكتب بها الى المهذّب أبي منصور بن المزرّع يمتدحه ويهنّئه بإملاكه[1] وإعراسه، ذهابا مع مودّة واحدة بينهما، ترتفع مع حقوقها المنافسة[2] وتجب المساعفةُ، وكان قد قدم من سفرةٍ طويلة

قُلْ للزمان : صُلْحا قد عاد ليلِي صُبحا
جادَ فزار قمرٌ كان لَوًى وشَحّا
يلبَس جِنحا من دجى الـ ليل وينضو جنحا
فَرَدَّ ريحًا ناشقا "كاظمةً والسَّفحا"
كأنّ فأرَ[3] تاجرٍ ألحّ عليها ذبحا
يبعثُ منها بُرْدُه مع النسيم نَفحا
غلّس شوقا وأصا ب فُرصةً فأضحى
طال به الليلُ نعيـ ـما والنهارُ سَبْحا
يا لَسَقامٍ آملٍ بَرَا[4] به وصَحّا
ورشفةٍ كانت على نارِ حشاى نَضْحا
رشّ الغليلَ بَرْدُها وبلّ ذاك البَرْحا
كانت سِبارَ[5] كبِدى وكان شوقِي جُرحا
سل ظبيةَ الوادى تَدْ ـسُّ بانَهُ والطَّلْحا،

(١) الإملاك : التزوج . (٢) بالأصل " تعريسه " وهو تحريف ، والإعراس بناء المرء على أهله وهو الذى يريده الشاعر كما تدل على ذلك أبيات القصيدة . (٣) الفأر : نافجة المسك وقد تقدّم . (٤) يريد " برا " وقد سُهّلت همزتها ، وفى الأصل " برأيه " . (٥) السبار : ما يسبر به الجرح .

لهــا "بنعمانَ" طَلًا[1] تَــاوِى عليــه الكَشْحا :
أأنتِ أم "ظمياءُ" زُر ت لاغبين طُلَحا ؟
تَوسَّــدوا مَنــاسِمـا ورُكُباتٍ قُــرْحا
أم جئتِنــا بسِــحرِها تلفّتـــــا ولَمحَـــــا ؟
قاربتِهــــا مــــلاحة وفَضَــحتِك مِــلْحا
يا ٱبنــةَ أمّ البــدر يا[2] أختَ نجــومِ البَطحا
إســـاءةً[3] ومَـــللا أزدْ أسًى وصـــفحا
لَحَـا عليــكِ حاســدٌ وحيثُ رُدَّ لَحَّــــا
حُبُّـــكِ خَرْقٌ لا أرى له المَـــلامَ نَصْــحا
فالعــذلُ غِشٌّ لى واو مات العَــذولُ نُصْــحا
أنــكَرتِ ٱبتسامَ أيّـ ـامى وكنَّ كُلْحا
وأبصرتْ جِــدّى غدا فكاهـــةً ومَــــزحا
وما أحسّتْ أنّ ربـ ـعَ الهـمِّ قــد أمحًّا[4]
وأعذبَ الشّربُ الذى كانَ الأُجاجَ المِلْحا
أضحت خُطا البينِ الـ ـىَّ باللقـــاء تُمــحَى
وعاد "بالمهـــذَّبِ" الـ ـدهرُ البخيـلُ سَمْــحا
أهلا — وقد مات الحيا حـــتى أمات السَّرحا
وكَشَرتْ دُرْدًا ســـنو نَ أربَـــعٌ وقُلْــحا
وعاد ضرعُ النــابِ[5] من تحت العصابِ قَرْحا[6] —

---

(١) الطلا : ولد الظبى . (٢) فى الأصل "الغدر". (٣) يريد "زيدى إساءة وملا".
(٤) أمحّ : عفا . (٥) الناب : الناقة المسنّة . (٦) القرح : الجرب الشديد .

بغــرَّةٍ تزيــدُ فى ليــلِ الجــدوب قَدْحا
وبيَــدٍ يُعــدى نَدا ها الْحِــزِينَ الرَّشْحا (١)
إن قَطَــرَتْ فوابــلا أو هَطَلَتْ فسَـحَّا
ميمونةٍ ما مســحَتْ بساطَ أرضٍ مَسْحا ،
إلّا كستْ غــدائرا هامَ رباهــا الجُلْحا (٢)
لا تعجبوا إن أصفرتْ ومُـوَّلَ الأشـحَّا
هـل يَسمنُ العُود يُشَـظَّى أبــدا ويُلْحى (٣) (٤)
لو أنهــا بحــرٌ لأفـنَتْهــا الحقــوقُ نَزْحا
ومرحبًا بهنّ أخـلاقا رطابا سُمْحا (٥)
اذا السجايا فَتَرتْ عدنَ نشاوى مرْحا
أبلجُ زكّاه النـدَى فما يخاف جَــرْحا
جهِدتَ يا عائبَــهُ فهل وجـدتَ قَدْحا ؟
تنــحَّ عن مكانه من العلا! تنحَّـا
يا بن " علّ " فُـتُّم الـأشـراطَ جُذْعا قُرْحا
علوتم الناسَ ترابا والنجومَ سَطحا
لم تدَّعــوا ربابــةً للمجــد تحوى قَدْحا ،
إلا لكم فــورتُهــا (٦) منحا بها وسنحا
طينــةُ بيتٍ أرضُــه فــوق السماء تُدحَى

(١) الحزين : جمع حِزٍ وهو البخيل . (٢) الجلح جمع جلحاء وهى التى انحسر شعر رأسها
(٣) يشظى : يشقّق . (٤) يُلحىْ : يُقشر . (٥) سمحا : كريمة . (٦) الفورة : سَراة الجبل ومتنه وهو هنا مجاز .

ودوحــةٌ أفــرط فيـ ـها من أطال السَّــرحا (١)

بثُمــرِكم (٢) حامــلةٌ ولم تُهجَّنْ لَقَــحا

جُمــلةُ مجــدٍ كنــتمُ تفصــيلَها والشَّــرحا

كلُّ غــلامٍ كافــرٍ (٣) تحت اللثامِ الصُّــبحا

يَفــرَعُ (٤) من شَــطاطِهِ قبــلَ الركوبِ الرُّمحا

يرمى بعينيــه طُمو حا فى العــلا وطرحا

كما تَفــعَّى (٥) أرقــمٌ (٦) بالرمــل يُذكى اللمحا

اذا أحسَّ نبــأةً (٧) كشَّ (٨) لهــا وفحَّا (٩)

علِقتُــكم تحت شنــو فِ الدهرِ بُلجاً (١٠) قُــرحا (١١)

وبعثُ من بعثُ بــكم فعَبَّ بحــرى (١٢) رِبحا

زوّجتُ آمالى بــكم فــوَلَدتْ لى النُّجحا

لــولا هَنــاتٌ كالشِّرا رِ يلتمعن لَفــحا

وغفــلةٌ تُحــرِق فى وجــهِ الجمالِ القُبحا

وحاجــةٌ تَحفِــزنى يُضرَبُ عنهــا صــفحا

وكم غضبتُ ثم عــد تُ أستميح الصُّــلحا

وشــفَعتْ نفسى لــكم لخال عنــى مــدحا

---

(١) السرح جمع سرحة وهى الشجرة العظيمة ، وفى الأصل "الشرحا" وهو تحريف . (٢) جمع الثَّمَر ثِمار وجمع الجمع ثُمُر ككتب وسكّنت الميم للضرورة . (٣) كافر : ساتر وفى الأصل "مكفِر" . (٤) يفرع : يطول و يعــلو ، وفى الأصــل " يقرع " ، والشــطاط : حسن القوام واعتــداله . (٥) تفعّى : تنكّر . (٦) الأرقم : الثعبان . (٧) النبأة : الصوت الخفىّ . (٨) كشّ : صات من جلده لا من فيه . (٩) فحّ : صات من فيه . (١٠) بلجا جمع أبلج وهو المشرق الوجه ذو الكرم والمعروف . (١١) قرحا جمع أقرح وهو الأغر . (١٢) فى الأصل "بحرى" .

يا بدرُ،هذى الشمسُ مهـ ـداةٌ اليـك نِكحا
ففـز بهـا وقل لهـا : نصـرا بحكم وفتحا
ملكتَ "بِلقيسَ" (١) بهـا وما نقلتَ الصَّـرحا
أقـررتَها عينا وأعـ ـينُ الأعادى قَـرْحى
وآجتـلِ نجما مشرقا (٢) منها وصُـبحا صُـبحا
وآذخـرْ ثنائى لبنيـ ـك كيمياء صحَّـا
أنظـم منـه لهُـمُ قـلائدا ووُشْحـا
يَخِطـر فيهـا الحَضَـ ـرِىُّ بـدويًّا قُحًّـا
يتـلون منـه ما تلوْ ن خطبـاء فُصْـحا
ما أرقص الأيكَ الحمـا مُ طـربا وسَجـحا
وما جرى الصـومُ وجا ء الفطرُ يحـدو الأضحى

وقال وكتب بها الى الشريف الأجلّ الذكىّ ذى النباهتين أبى على عمر بن محمد السَّابِسِىّ، وقد كاتبه دفعات آبتدائيًا، وكتب يخطب فيها ودّه ويمدحه، ويسأله نسج الحال والمودّة بينه، وأنفذها الى الكوفة فى رجب سنة تسع عشرة وأربعمائة

سَلْ فى الغضا ــ وصَبا الأصائِل تنفحُ ــ : هل ريحُ "طيبةَ" فى الذى يُستروَحُ ؟
وهل النوى ــ وقضاؤها متردِّدٌ ــ تركتْ "برامةَ" بانةً تـترنَّحُ ؟
أم شقَّ ليلَ "الغورِ" عن أقمـارِهِ بعـدى يدٌ تمطو (٣) وطرف يطمحُ ؟

(١) بلقيس : اسم الملكة التى تزوّجها سيدنا سليمان عليه السلام وسيرة نقل عرشها جاء بها القرآن الكريم فى سورة النمل . (٢) هذه الكلمة ليست بالأصل وقد رجّحناها لأتزان الشطر و إتمام معناه .
(٣) تمطو : تمـدُّ .

أهلُ "القِباب" - وَمن بهم لمصفَّدٍ ... بالبعد أتلع "بالعراق" وأبطحوا -
جعلوا "اللّوى" وعدَ اللقاء فقرّبوا ... ورَمتْ "تهـامةُ" دونهم فتنزحو
ووراءهم "عينُ الغوير" وهامـةٌ ... رعناء(١) من "أجإٍ(٢)" ورحبٌ صحصح(٣)
وسَيالُ(٤) "طيٍّ" فى رءوس صعادِها ... والخيـلُ تَزْبُنُ(٥) فى الحـديد وترمحُ
فَمَن المطالبُ والغـريمُ "ببابلٍ" ... والدَّينُ يحجبه "الأراكُ" و"توضحُ(٦)"؟
يا مُوردى "ماءَ النخيل" هنـاكمُ ... أن تعذِبوا وشُروبُ "دِجلةَ" تملحُ
هـل فى القضـيّةِ عندكم من نَهلةٍ ... تَروَى بهـا هـذى القلوبُ اللُّوَّحُ؟
تَرِدُ الغـرائبُ آنسـاتٍ بينـكم ... وأسـيرُكم يَجِـدُ الفراتَ فيقمحُ
لا سكرةُ البلوى "ببابلَ" بعـدكم ... تصـحو ولا ليلُ البلابلِ يُصبِحُ
كم سهمِ رامٍ عنـدكم أهدفتُـه ... قلـبى ولكن تقتلون ويجـرحُ
وتملّحت لى ظبيةٌ "غـوريّةٌ" ... سنحتْ وظبيتكم "بنجـدٍ" أملحُ
إمّا عدَتْ عنكم "بَسيطةُ عامرٍ" ... "فطَرَاةُ شَيبةَ(٧)" بالمَناسم يُرضَحُ(٨)
"والجُرّتان" وزندُ ناجرَ فيهـما ... إمّا يَشُبُّ لظًى وإما يَقـدحُ
فلكمْ على "الزوراءِ" من متعلِّقٍ ... بشكيمتى شـغَفا ورأسى يجمحُ
وكريمـةِ الأبوين أطرُقُ بيتَهـا ... والليـلُ بابن سمـائه متوشِّحُ
وعلىّ من ثوبَىْ هـواى وعفّـتى ... شـوقٌ يُبَـلُّ وخَـلوةٌ لا تَقبحُ
ومحجّب الأبوابِ فى رَيْعـانه ... أضحت مَغالقُـه لشـعرى تُفتحُ
تتزاحـم الآمالُ حـولَ بسـاطه ... عِظَمًا ولى منـه المكانُ الأفيحُ

(١) رعناء : شاهقة . (٢) أجأ : اسم جبل . (٣) الصحصح : ما استوى من الأرض .
(٤) السيال : شجر ذو شوك ، والصعاد جمع صعدة وهى القناة . (٥) تزبن : تدفع . (٦) توضح وما قبلها أسماء مواضع . (٧) طراة شيبة : اسم جبل . (٨) يقال : رضخ الحصى : كسره

رفضَ الكلامَ الوغـــدَ يَعـلم أنه ... يُهجَى – سوى فِقَرى – بما هو يُمدَحُ
ومشى يجُـــرُّ قــلائدى متخايلا ... فيهـا يُقَــلَّد دُرَّهـا ويُوشَّحُ
وعلى "السَّدير" و"حيرة النعمان"(١) لى ... مِن خاطبٍ لو أنّ ودّىَ يُنكَحُ
وفتًى ، ذؤابةُ "هاشـمٍ" آباؤه ... دينًا وبيتاه "مِنًى" و"الأبطحُ"
رضَـعَ النبوّةَ وآرتَبَى فى حجرهـا ... جَذَعا على طول الإمامة يَقـرَحُ
ورمَى بطَرفيْـه السماءَ فلم يئت ... طَرفيْه من فَلَكِ "المجـرّةِ" مَطرَحُ
"عَمْرُو العُلا" أدّته عن "عَمرِو العلا" ... أمٌّ مُتمِّمـةٌ وفحـلٌ مُلقِـحُ
شرفٌ الى "الزّهراء" مَسرَى عرقِهِ ... وعلى "الوصىّ" فروعُـه تترشَّحُ
تتهـابطُ الأمـلاكُ بين بيوته ... وتطــير وهى بهَـدْيه تَستنجحُ
يا راكبَ الوجناءِ ينقل رحلَهُ ... عنـقٌ لهـا ذُلُلٌ وذيلٌ مِلوحُ(٢)
تمضى عزوفا لا تُقَـرّ ببـوّها ... يُلقِى السقائطَ(٣) بالفـلاةِ ويَطـرَحُ
وإذا أراهـا الخِمسُ ماءَ عشـيَّةٍ ... عدَّته قانعــةً لآخرَ يُصـبِحُ
بلِّغ كأنك مُفصحا "غيلانُ" وآن ... تفضِ الطريقَ كأن عنسَك "صيدحُ"
"الكوفةَ البيضاءَ" : أنّ "بجوّها" ... قمـرا تُغـاظ به البـدورُ وتُفضَحُ
عَرِّجْ وقُل "لأبى علىٍّ" ما لنـا ... أُذُنَيْـه : حيّتك الغـوادى الرُّوَّحُ
وسقتك كنَّك فهى أغزرُ ديمـةٍ ... ما قلَّصتْ عنـك السحابُ الدُّلَّحُ
وآزداد مجـدُك بَسطةً وإنارةً ... وعلوُّ جَدِّك والجـدودُ تُطـوِّحُ
فتَّ الصفاتِ فلجلجَ المثنى بما ... تولِى وأعجــمَ فى علاك المفصِحُ
فالبـدرُ تِمٌّ وأنت أكملُ صورةً ... والبحرُ عمٌّ وأنت منـه أسمـحُ

---

(١) بالأصل "جيرة" . (٢) ملوح : كثير الإلاحة . (٣) السقائط جمع سُقاطة وهي ما سقط من الشيء .

والخـادرُ[1] الحـامِى حِمى أشبـالِهِ لك عن وليجةِ غابهِ يتزحزحُ
تَركتْ سيادتَهـا العشيرةُ رغبــةً لك فى اقتبالك وهى بُزْلٌ قُــرَّحُ
ورأتْ زئيرَك دونهـا فتأخَّرت وتَعـالبُ الأعداءِ فيهـا تَضــبَحُ
جَمَّعتَ ألفـــةَ عزِّها ، وعَزِيبُهـا بقنا العـدا طردا يُنَشَّــلُ ويُسرَحُ
وشفَتْ سيوفُك من بنى أعمامهـا داءً تَضيــقُ به الصــدورُ وتَبرحُ
دَيْنٌ شكوت الى الحسامِ مِطـالَهُ فقضاه، والسـيفُ المشاوَرُ أنصحُ
دِمَنٌ على القُــربى تزيدُ عداوةً لخروقُهـا ما بينكم لا تُنصَــحُ
حسدوا تقــدُّمَ فضلكم لحقودُهم لا تنطفِى وفسادُهـــم لا يَصلحُ
زحموك أمسِ فعاركوا ملمومةً صمّـاءَ يُوقِصُ[2] ركنُها مَن يَنطحُ
فسقيتَهم كأسا مُجاجتُهـا الردى شربوا على كرهٍ لهـا ما يُجــدَحُ[3]
يا جامعَ الحســناتِ وهى بدائدٌ ومُرِيب روضِ الفضل وهو مُصوِّحُ
كفٌّ تخفُّ مع الرياح سماحةً ومهابةٌ تزنُ الجبـالَ وترجَحُ
قد جاءت الغـــررُ الغرائبُ طُلَّعا كالشهب تَثقُبُ فى الدجى وتلوِّحُ
ثَمَــرٌ بغرسِك قد حلتْ مجتناتُهُ ونتائجٌ من بحـــر فكرك تُلقَحُ
فنطقن والأشعار خُرْسٌ عنـــدنا ونجون سبقا والقـــوافى طُلَّحُ
فكأنَّ روضَ الحَزْنِ تنشره الصَّبا ما ظَلْتُ من قرطاسها أتصفَّحُ
فسوادُها من ناظـرى ما يَمَّحِى وسَــدادُها من خاطرى ما يَبرحُ
ألَّفتُهـا من جوهرٍ فى النفس لا يَفنَى ومعدِنِ فكرةٍ لا يُنزَحُ
نَظمتْ لِىَ الحُسنَ المبرِّز والهـدَى فكأننى بنشــيدهنّ أســبِّحُ
وأمَا وذَرعِك فى العــلاء فإنه قَسَمٌ لبـاعِ الصــدقِ فيـه مَسرَحُ ،

(١) الخادر : الأسد . (٢) يوقص : يقال أوقص عنقه أى دقها . (٣) يجدح : يخلط .

ما خلتُ صدقَ القول شخصا ماثلا … يُهدَى وأن الرفد سِحرٌ يُمنحُ
جاريتُها متحذّرا من سبقها … والبرقُ يكبو عن مداى ويُكبحُ
ومتى أقوم مكافئا بجزائها … وندالك مفترَعٌ بها مستفتَحُ
كرمٌ تطلّع من شريف خلائق … أصفَى من المزن العِذابِ وأسجحُ
لم أرمِه بسهام تقديرٍ ولم … أطرح له الآمالَ فيما أطرحُ
فلترضينَّك — إن قبلتَ — معوضةٌ … مما أصونُ " بحائلٍ " تتنفَّحُ
سيّارةٌ فى الخافقَين فذكرُها … ذِكرُ الغمائم باكرٌ مترَوِّحُ
تَجزى الرجالَ بصدقهم فصديقُها … فى غِبطةٍ وعدوُّها لا يفرحُ
مجنوبةٌ لك لا تزال جِباهُهَا … أبدا على السَّبق المبرِّج تُمسَحُ
فامددْ لها رسَنَ الرجاءِ فإنها … بالودِّ تُشْكَمُ[1] والكرامةِ تُشبَحُ[2]
مهما تُعرِّضُ للرجالِ بدِينها … فديحُها لك بالغلوّ يُصرِّحُ

* * *

وقال وكتب بها الى زعيم الملك أبى الحسن بن عبد الرحيم يهنئه بالمهرجان ويشكر مراعاته

أتكتُمُ يومَ " بانةَ " أم تبوحُ؟ … وأجدرُ لو تبوحُ فتستريحُ!
حملتَ البينَ جَلْدا والمطايا … بَوازِلُها بما حَمَلَتْ طُلوحُ
وقمتَ وموقفُ التوديع قلبٌ … يطير به الجوى وحشًا تَطيحُ
تَلاوَذُ[3] حيثُ لا كبدٌ تلظَّى … بعَتبةٍ ولا جفنٌ قريحُ
فهل لك غير هذا القلب تحيا … به أو غير هذى الروح روحُ؟
لعمرُ أبى النوى لو كانَ موتا … جَنَتْ لك فهو موتٌ لا يريحُ

(١) تشكم: يُسَدُّ فوها بالشكيمة . (٢) تشبح: تُقيَّد . (٣) تلاوذ: تلوذ .

يفـارِقُ عاشـــقٌ ويمـوتُ حىٌّ … وخيرُهمـا الذى ضَمِنَ الضريحُ
وقال العاذلون : البعدُ مُسْلٍ … فما لجواك ضاعفـــه النزوحُ !
وفى الأظعانِ طالعـةٌ " أُشَيًّا " … أبو لونين مَنّاعٌ منـــوحُ
سـلافةُ ريقـه بَشْـلٌ حرامٌ … ووردةُ خـدّه مما يُبيـحُ
اذا كتمتْه خالفـةٌ[1] وخِـدرٌ … وشى بمكانه المســكُ النضيـحُ
أسارقه مُسارَقةً ودون الـ … خلاط به الأسـنّةُ والصفيحُ
ولم أرَ صـادقَ العينين قبـلى … أضـلَّ فـدلَّه شـمٌّ وريحُ
أيا عجبـا يُهتِّـكُ فى سـلاحى … ـ وقد حطم القنَا ـ طرفٌ طموحُ
ويقنصنى على " إضم " ـ وقدما … قنصتُ أسـودَها ـ رشأٌ سَنيحُ
رمَى كبدى وراح وفى يديه … نُضوح دمى، فقيل : هو الجريحُ
وأرسـلَ لى مع العُوّاد طيفا … يُرِى كرما وصاحبُـهُ شحيـحُ
إذا كَرَبَ[2] الرمىُّ يُبِلُّ[3] شيئا … ألمَّ فذُمِّيَتْ تلك القُـروحُ
فقال : كم القنوطُ وأنت تحيـا … وكم تأتى الغنىَّ وتسـتميحُ ؟
شكوتَ، ومَن أرى رجلٌ صحيحٌ ! … فقلتُ له : وهل يشكو الصحيحُ ؟
فما لك يا خيالُ ـ خلاك ذمٌّ ـ … أتاحك لى على النأى المتيـحُ !
فكيف وبيننا خيطا " زَرودٍ " … قَرُبتُ عليـكَ، والبـلد الفسيحُ !
أعزمٌ من " زعيم الملك " تسرى … به أم من ندَى يده تَميـحُ ؟
حلتَ اذًا على ملكٍ كـريم … الى رحلى يعـودُ بك " المسيحُ "
وجئتَ بنائلٍ لا البحرُ منـه … بمنتصِـفٍ ولا الغيثُ السَّفوحُ
حمَى اللهُ ابنَ منجبـةٍ حمانى … وقد شُـلّت على الراعى السُّروحُ

---

(١) الخالفة : عمود من أعمدة البيت فى مؤخره . (٢) كرب : قرب . (٣) يُبِلُّ : يشفَى .

(٨٨)

وســـدَّ بجوده خَـــلَّاتِ حالٍ وقد ضعفتْ على الخَرْقِ النُّصوحُ
تكفَّلَ من بنى الدنيا بحاجى تَتـــوجُ فى عقائمها لَقُـــوحُ
تفــرّغ لى وقد شُــغَل المُواسى وخالصنى وقد غُشَّ الصــريحُ
وقام بنصرِ ســؤدُده فسارتْ مَطالعُـــهُ وأنجمُهـــم جُنــوحُ
حَلَتْ مِدَحِى لقــومٍ لم يَهَشّــوا وغنّـاه فأطـــربه المـــديحُ
كأنَّ الشعرَ لم يُفصــحْ لحىٍّ سواه وكلُّهـــم لَحِنٌ[1] فصيحُ
جـــوادٌ فى تقلُّبِ حالتيـــه فلا سَـــعةٌ تَبين ولا رُزوحُ
اذا قامت له فى الجـود ســوقٌ فكلُّ مُتـاجرٍ فيها رَبيـــحُ
تمرّن فى السيادة منـه ماضٍ عـــلى غُـــلَوائه لا يســـتريحُ
جَرَى متـــدفقا فى حلبتيها كما يتـــدفّق الطِّرفُ السَّـــبوحُ
وجمّـع مُلكُ "آل بويه" منه على ما شتَّت "الكافى" النصيحُ
يقلّبُ منـــه أنبـــوبا ضعـــيفا تَدينُ له الصـــفائح والسريحُ[2]
وكان الفارسَ القلَمىَّ يُبـــلى بحيث يُعـــرِّدُ[3] البطلُ المُشـــيحُ
وَرَى بضيائه — والليلُ داجٍ — خُفوقَ النورِ منبلجٌ وَضــوحُ
أضـــلَّ الناسَ فى طرق المعـالى سبيلًا بين عينيـــه يلوحُ
وضمَّ الحبـــلَ مُحـــلَوْلًى مَريرًا أخو طَعمينِ منتقمٌ صفوحُ
فيــوم الأمنِ وَرّادٌ شروبٌ ويوم الغَبنِ عيّـافٌ قَمــوحُ
"أبا حسنٍ" عدوّك من تَرامَى به الرَّجَوانِ[4] والقــدَرُ الجَموحُ
الى متمـــرِّدِ المهوَى عميـــقٍ فتطـــرحه مَهـالِكُهُ الطُّـــروحُ

---

(١) اللحن: الفطن. (٢) السريح من الخيل: المُعْرَى. (٣) يعرّد: يفرّ ويهرب.
(٤) الرجوان مثنّى رجا وهو ناحية البئر ويقال: "رُمِىَ به الرَّجَوان" من باب الاستهزاء كأنه رُمِىَ به رجوا بئر.

تفـــرّس فى الغزالة(١) وهو أعشى ليقــدَحَ فى محاسنهــا القَــدوحُ
ينــاطحُ صخـــرةً بأجَـــمٍّ(٢) خاوٍ أيا سَرْعانَ ما حُطِمَ النطيحُ
بحقك ما أبحتك من فؤادى مضــايقَ لم ينلهــا مســتميحُ
أصــارك وهى خافيـــةٌ اليهــا ودادُك لى ونائلُك السجيحُ(٣)
فإن أحرستَ ريبَ الدهر عنّى بعونك والنـــوائبُ بى تَصيحُ ،
ولم تَبْعَلْك(٤) بى مـــترادفاتٌ من الحاجاتِ تغـدو أو تروحُ ،
وغـــيرك حامَ آمالى عِطاشا عليـــه وما يُبَـــلُّ لهنّ لُـوحُ(٥) ،
تَزاورَ جانبــا عن وجه فضلى فضاع عليـــه كَوكَبِيَ الصبيحُ ،
جفانى لا يَعُـــدُّ علىَّ ذنبــا بأعـــذارٍ وليس لهــا وضوحُ ،
أعاتبُـــه لأنقـــلَه ويعيــا بنقلِ "يَلَمْلَمَ" اليومُ المُـــريحُ ،
وكم أغضيتَ إبقــاءً على ما أتى وســـترتَ لو خَفِىَ القبيحُ ،
فلا تعــدَمك أنتَ مكـــرراتٌ على الآفاق تقطُنُ أو تَسيحُ
لهــا أَرَجٌ بنشرك كلّ يومٍ على الأعراض ضَوعتُه تفـــوحُ
تَصاعَدُ فى الجبــالِ بلا مَراقٍ ويَقــذِفُ فى البحار بهــا السُّبوحُ
تمرُّ عليـــكَ أيّامُ التهــانى ومنهنّ المبــارَكُ والنجيحُ
بجيــدِ المهرجان وكان عُطْلا قلائدُ من حلاها أو وُشـــوحُ
بشائرُ أنّ عمرَكَ فى المعــالى يَعُــدُّ مُضاعِفا ما عَدَّ "نوحُ"

(١) الغزالة : الشمس . (٢) الأجم : الكبش لا قرن له . (٣) السجيح : الغزير .
(٤) يقال : بعل بأمره : بَرِمَ فلم يدر ما يصنع . (٥) اللوح : العطش .

***

وقال وكتب بها الى ناصر الدولة أبى القاسم بن مكرم، وأنفذها الى عمان على يد صاحبه وذلك فى سنة أربع وعشرين وأربعمائة

لمن صاغياتٌ(١) فى الحبالِ طلائحُ ... تسيلُ على "نعمانَ" منها الأباطحُ
تخابط أيديها الطريقَ كأنها ... مَوائرُ فى بحر الفلاة سوابحُ
دجا ليلُها وهى السهام تقامُصا ... فلم ينصرم إلا وهنَّ طَرائحُ
كأنَّ الوجى(٢) سرٌّ تخاف انتشارَه ... فمنها مُرِمٌّ(٣) بالتشاكى وبائحُ
حَمَلْنَ شموسا فى الحُدوج غواربا ... وليلُ السُّرَى منهنّ أبلجُ واضحُ
ينوء بها أن القدودَ خفائفٌ ... ويُظلِعها أنّ المتونَ رواجحُ
وفيهنّ منصورُ السهام مسلَّطٌ ... لعينيه أن تَدوَى(٤) القلوبُ الصحائحُ



يطير جُبَارا(٥) ما أراقت لحاظُه ... اذا وُفِّيتْ حكمَ القصاصِ الجرائحُ
رمانى ونسكُ الحجّ بينى وبينه ... ولم يدر أنّ الصيد فى الحجّ قادحُ
طرحْتُ "بجَمْعٍ" نظرةً ساء كسبُها ... وتبعثُ شرًّا للعيون المَطارحُ
فإن ستَرتْ تلك الثلاثُ على "مِنًى" ... هواى فيومُ النَّفرِ لا شكّ فاضحُ
بكيتُ ولامَ العاذلاتُ فلم تفِضْ ... على رُقيبةِ العذلِ الدموعُ السوافحُ
ولم أرَ مثلَ العين تُشفَى بدائها ... ولا كالعذول يُجتوَى وهو ناصحُ
أمنكِ ابنةَ الأعراب طيفٌ تبرّعتْ ... به هَبّةُ التغويرِ والليلُ جانحُ؟
طوى "الرملَ" حتى ضاق بينى وبينه الـ ... ـعناقُ وما بينى وبينكِ فاسحُ
فباتَ على ما ترهبينَ ركوبَه ... هجُوما وفيما تمنعين يسامحُ

---

(١) الصاغيات : المائلات . (٢) الوجى : الحفا . (٣) المرم : الساكت .
(٤) تدوَى : تمرض . (٥) جُبارا : هدرا .

رَعَى اللهُ قلبـا ما أبرَّ بمن جفا وأثبتَ عهـــدًا والعهـــودُ طوائحُ
وأوســعَ ذَرعا بالوفاء وصـــونهِ اذا ضاق ما تُطوَى عليـــه الجوانحُ
عذيرىَ من دهرى كأنى أريده على الودّ سَلمـا وهو قِرنٌ مكافحُ
وصحبـةِ خَوّانينَ ، بائعُهم وإن تَكثَّر منهـم بالتوحُّـــدِ رابحُ
أخوهم أخـــو الذئب الخبيثِ يَدلُّه على الدمِ ما تُملِى عليـــه الروائحُ
وأيدٍ سِـــباطٍ (١) وهى بالمنع جَعـــدةٌ (٢) تلاطمنى منهـا اللواتى أصافحُ
يضىء على أبصارهم ضوءُ كوكبى وموضعُه من مطالِع الفضـــل لائحُ
قعدتُ مع الحرمانِ بينَ ظهورهم وطائرُ حظّى لو تعيَّفتُ سانحُ
لقد كان لى عن "بابلٍ" وجُدوبها مذاهبُ يتـــلوها الغِنى ومَنادحُ
تركتُ عبابَ البحـــر والبحرُ مُعرِضٌ وأمّلتُ ما تَسقِى الرَّكايا النـــوازحُ
ولو نهضتْ بى وثبـــةُ الجَدِّ زاحمتْ على المـاء هذى الآبيـاتُ القـــوامحُ
إذًا لسقاها "ناصرُ الدين" ما آستقتْ كُبودٌ حِرارٌ أو شِـــفاهٌ مَلاوحُ
وقد كانت "الزوراءُ" دارَ إقامةٍ ومَنْعَمَةٍ فيهـا المنَى والمَفـارحُ
زمانَ العُـــلا محفـــوظةٌ فى عِراصها ثِقـالٌ وميزانُ الفضـائلِ راجحُ
فقـد حُوِّلتْ تلك المحاسنُ ، وآنتهتْ الى غيرها فى الأرض تلك المَنـائحُ
وأضحتْ "عمانُ" للمكارمِ رُحلةً (٣) تُراحُ عليهـا المتعَبـاتُ الروازحُ
بهـا المُلكُ طَلْقٌ والمغانِى غَنيَّـــةُ الـ ـرُّبا ومسـاعى الطالبين مَنَـاجحُ
يضوع ثراهـا بالنـــدى فتخالهـا رياضـا وكانت قبـــلُ وهى ضرائحُ
يدبّرها سَـــبطُ اليديـــن ، بنـانُه لمقفَلِ أرزاقِ العبـادِ مَفاتحُ

(١) سباط : كريمة لينة . (٢) جعدة : شحيحة جامدة . (٣) الرُّحلة بالضم : المكان يقصده الراحل .

صفا جوُّها بعـــد الكدور بعـدله ... وطابت حسـاياها[1] الجباتُ[2] المَـوالحُ

فما غـيرها فوق البسيطة للعـلا ... مقـرٌّ، عـلى أن البلاد فسائحُ

ولا مَلِكٌ إلا وفضـلةُ ربّهـا ... عليـه اذا عُـدَّ الملوكُ الجَحاجحُ

بهمّة محيي الأمـة آجتمعت لهـا الـ ... ـبدائدُ وآنقادت اليهـا الجـوامحُ

بأروعَ، وسمُ الملكِ فـوق جبينـه ... ـ اذا آرتابت الأبصارُ ـ أبلجُ واضحُ

اذا نُسِبَ الأملاكُ لم يَخش خجلةَ الـ ... ـدعاوى ولم تدخل عليـه القوادحُ

من النفَـر الغـرّ الذيـن ببأسهم ... ونعمائهـم تُلقَ الخطوبُ الفوادحُ

اذا ما دجت عشواءُ أمرٍ فأمرُهـم ... ونهيُهُـمُ شـهبٌ لهـا ومَصابحُ

لهـم قصباتُ السبق فى كلّ دولة ... هـم السرُّ[3] منهـا والعتاقُ الصرائحُ

ينالون أقصَى ما آبتغوه بأذرع ... مَخاصرُها[4] صُمُّ القنا والصـفائحُ

أصولُ عـلًا منصورةٌ بفـروعها ... اذا غاب مُمسٍ منهُـمُ هبَّ صابحُ

ورَبَّ "يمينُ الدولة" المجدَ بعـدهم ... كما ربّت الروضَ الغيـوثُ السوافحُ

جرى جريَهـم ثم آستتمّ بسبقه[5] ... وكم وقفتْ دون الجـذاع القوارحُ

همـامٌ مع الإصرار مُصطلِمٌ[6] لمن ... عدَى ومع الإقـرار بالذنب صـافحُ

تسـنَّم أعوادَ السـرير محجَّبٌ ... لواحظُه شرقا وغـربا طـوارحُ

تُراصِدُ جَرْىَ الأرض رجْعاتُ طَرفه ... كما ركبَ المَـرباةَ أزرقُ لامحُ[7]

ألا أيّهـا الغادى ليحملَ حاجتى ... لعلّك إن بُلّغتَ بالنُّجح رائحُ

أعد فى مقـرّ العـزّ عنى تحيّـةً ... يُذَكَى النسـيمَ طيبُها المتفاوحُ



(١) الحسايا جمع حَسِيَّة وهى كل ما يُحتَسَى وفى الأصل "حشاياها" وهو تحريف . (٢) فى الأصل "الجنات" وهو تحريف أيضا . (٣) السِّر : اللُّبُّ : (٤) المخاصر جمع مِخصرة وهى ما يأخذه الملك بيده يشير به اذا خاطب . (٥) فى الأصل "بسيفه" وهو تحريف . (٦) مصطلم : مستأصل . (٧) الأزرق اللامح : البازى .

وقل : عبدُك المشتاقُ لا عهدُه عفا ... ولا وجدُه — إن نُقِّل الوجدُ — نازحُ
ومن لم يُخيِّبْ قطّ عالى ظنونه ... لديك ولم تُخـدِجْ[1] مناه اللواقحُ
وأغنيتَه عمّن سواك فلم يُبَلْ ... جفا مانـعٌ أو برّ بالرفـد مانحُ
قَليبٌ، قريبٌ لى "ببغـداد" ماؤها ... ومنبعُها شحـطَ النـوى متنازحُ
لهـا كلّ عامٍ من سماحـك ناهزٌ[2] ... ومن عهدك الوافى رِشاءٌ وماتحُ
اذا ما ٱستدرّ الشكرُ سَلسالَ صَوبِها ... وجاءك عنى تمتريها المـدائحُ
أتتنى وبطنُ البحر ظهـرُ مطيِّها ... فـروّتْ غليلى والسفينُ النواضحُ
وما زادها التنقيصُ إلا غـزارةً ... وإلا صـفاءً طولَ ما أنا نازحُ
تبُلُّ ثرى أرضى وجسـمِىَ وادعٌ ... وتُثمـرُ لِأبنِى وهو سـاعٍ مُكادحُ
كلانا سُقِى من عفوِها وزُلالها ... وإن حبسـتنى عُقْلتى[3] وهـو بارحُ
فلله مولًى منـك ما لِىَ عنـده ... ومَتجـرُ من يُدلِى بجاهِىَ رابحُ
وها هـو قد كرَّت اليـك رجاءَهُ ... سوائرُ حاجٍ طـيرُهنَّ سوانحُ
فأمرَك — زاد الله أمرَك بسطةً — ... بمـا عَوّدَت تلك السجايا السحائحُ
أَعِنْ جهدَه وٱعرف له خَوض زاخرٍ ... يهـزُّ الضلوعَ موجُـه المتناطحُ
ولم أسـتزدْ نُعماك إلا ضرورةً ... وقد تُسـتزادُ المزنُ وهى دوالحُ
بما ثقّلَتْ ظهرى الخطوبُ وضاعفتْ ... تكاليفَ عيشى وٱنتحتنى الجـوائحُ
وما بُثَّ من زُغبٍ حَوالَىَّ كالقطا ... تَنَزَّى الشَّـرارِ أعجلتهـا المَقادحُ
أمسّح منهـم كلَّ عِطفٍ أسفتُ إذ ... أتانى وقـد بُيِّضنَ منّى المَسـائحُ
نجـوتُ على عصرِ الشبيبةِ منهُـمُ ... وأرهقـنى المقـدارُ إذ أنا قارحُ

---

(١) يقال : أخدجت الدابة : جاءت بولد ناقص الخَلْق . (٢) الناهز : الذى يضرب بالدلو فى البئر لتمتلئ . (٣) العُقلة : ما يُعْقَلُ به كالقيد أو العِقال، وفى الأصل " غَفلَتى " .

فدتك ملوكٌ ذكرُ مجدِك بينهم ... مثالبُ في أعراضهم وجرائحُ

اذا لُعِنوا صلّتْ عليك محافلٌ ... صفاتُك قرآنٌ لها ومَسابحُ(١)

حَمَوا مالهم أن تُنتحَى بنقيصة ... عقائلُه والساريات السرائحُ

ومالُكَ في الآفاق شتّى موزّعٌ، ... كرائمُهُ والباقياتُ الصوالحُ

سهرتَ ونام الناسُ عمّا رأيتَه ... كأنك للعلياء وحدَك طامحُ

وجاريتَ سيبَ البحرِ ثم فضلتَه ... وهل يستوى البحرانِ عذبٌ ومالحُ؟

أعرنِيَ سمعا لم تزل مطرِبًا له ... اذا ما تغنّته القوافي الفصائحُ

وأصغِ لها عذراءَ لولاك لم تُجِب ... خطيبا ولم يظفَر بها الدهرَ ناكحُ

من الباهراتِ لم تُحدِّثْ بمثلها الـ ... نفوسُ ولم تُوصَل اليها القرائحُ

ظهرتُ بها وحدى على حين فترةٍ ... من الشِّعر، برهاني بها اليومَ لائحُ

ومِنْ شرفِ الأشعار أنك سامعٌ ... ومن شرف الإحسان أنِّيَ مادحُ

ومَنْ لِيَ لو أنّى مَثَلْتُ مُشافِها ... أفاوضُها أسماعَكم وأطارحُ

وأن ينهضَ(٢) الجَدُّ العَثورُ بهجرةٍ ... تُعالجُ أشواقى بها والتَّبارِحُ

ويا ليتما ريح الشَّمال تهبُّ لى، ... فتُطلعَنى منها عليك البوارحُ

وكيف مَطارى والخطوب تحُصُّنى ... وأخذِىَ شَوطى والليالى كوابحُ

وقد كان جُبن القلب يُقعِدُ عنكُمُ ... فقد ساعدتْه بالنكولِ الجوارحُ

وأقسمتِ السُّتونَ ما لخروقها ... اذا اتّسعتْ في جِلدة المرءِ ناصحُ(٣)

وإنى على أنسى بأهلى وموطنى ... لأعلمُ أنَّ العيشَ عندك صالحُ

(١) في الأصل "مسايح" وهو تحريف. (٢) في الأصل "وإن نهض". (٣) الناصح: الخياط.

* * *

قافيـــة الدال

بعـــد خلو حرف الخـاء

وقال يهنئ نقيب النقباء أبا القاسم بن ممّـا بخِلَعٍ وحُملانٍ(١) أُخرجَتْ اليه من الحضرة ويصف العُودَ والجامَ والخِلَعَ



أرى طَـرفَها أنّ الخضابين واحـدُ ... ولكنَّه ما بَهـرجَ(٢) الشيـبَ ناقدُ
ضَـــلالةُ حُبٍّ غادرتني مزوِّرا ... عِـذارِى وإِنى لو أفقتُ لَراشـدُ
يقولون: عُمرُ الشيبِ أطولُ بالفتى، ... وما سرَّني أني مع الشَّـيبِ خالدُ
أماضٍ فغـدّارٌ زمانٌ أباحـني ... حريمَ الهـوى أم حافظٌ لِي فعائدُ؟
ودارَينِ من عالى "الصَّراةِ" سقتهما الـ ... ـبوارقُ رِبعِيٌّ(٣) الهوى والرواعـدُ
ألفتُهما والعيشُ أبيضُ ضـاحكٌ ... بربعهـما والظلُّ أخضرُ باردُ
وندمانُ صَبْحِى صاحبٌ متسـمِّحٌ ... معى، وضجيعُ الليـل إلفٌ مُساعدُ
وأخرسُ(٤)، ممّا سنّت "الفرسُ" ناطقٌ ... يُهِبُّ رياحا رَوحُه وهـو راكدُ
على صدره بالطُّول سبعٌ ضعائفٌ ... تدبّرها بالعَـرضِ سَبعٌ شـدائدُ
وخمسٌ سكونٌ تحت خمسٍ حَوارِكٍ ... تَمُـدُّ ثلاثا يمتطيهنّ واحـدُ
يشرِّدُ من حلم الفـتى وهو حازمٌ ... فيرجعُ عنـه فاسـقا وهو عابدُ
وقَوراءُ(٥)، ماءُ الكرم أحمـرُ ذائبٌ ... عليهـا وماء التـبر أصـفرُ جامدُ

---

(١) الحُملان: ما يُحمَـلُ عليه مِن الدوابِّ فى الهِبَة خاصّة. (٢) بهرج: زيَّف.
(٣) الربعىّ: ما نتج فى أيام الربيـع وهو هنا مجاز. (٤) يكنى عن العود ويصـفه.
(٥) القوراء: الواسعة، ويريد بهـا الكأس.

تُمثّل "بَهْرامَ الكواكبِ" (١) قائما ... بها حيثُ "بَهرامُ الأكاسر" قاعدُ
أميرانِ، يُخفِى قائمَ السيفِ قابضٌ ... عليه، ويُبدى دُرّةَ التاج عاقدُ
تَبِينُ وحبّاتُ المزاج نوازلٌ ... وتَخفَى وحبّات الحَبابِ صواعدُ
مَصالحُ عيشٍ والفتى من خلالها ... اذا لاحظ الأعقابَ فهى مَفاسدُ
ودنيا، لسانُ الذمّ فيها محكَّمٌ ... ولكنها عند "الحسين" مَحامدُ
اليكم بنى الحاجاتِ إنّى رائدٌ ... لِيُحبَسَ جارٍ أو لِيَبرُكَ واخدُ
أبٌ بكُمُ بَرٌّ وأنتم معقّةٌ ... أخٌ لكُمُ دِنيًا وأنتم أباعِدُ
حبيبٌ اليه ما غنمتم كأنه ... اذا جادَ مرفودٌ بما هو رافدُ
أناةٌ (٢) ومن تحت القطوبِ تبسُّمٌ ... أوانًا وفى عقب الأناةِ مكايدُ
محاسنُ لا ينفكّ ينشُرُ حامدٌ ... لها بعضَ ما يَطوِى على الغلّ حاسدُ
ولما جلاكَ الملكُ فى ثوب جسمه ... تراءت على قدر العروس المَجاسدُ
أثبتُ بها عذراء ما آفتضّ مثلَها ... سوى ربِّها، ما كلُّ عذراءَ ناهدُ
"بهائيّة" تُعزَى لأشرف نسبةٍ ... لتيأسَ منها كلُّ نفسٍ تراودُ
لها أرَجٌ للعزّ باقٍ وإنها ... على عزّ من تُهدَى اليه لَشاهدُ
على منكِب الفخر آستقرّت ولم تكن ... تُلاقيك (٣) لو لم تدرِ أنّك ماجدُ
أبانَ بها ما عنده لك، إنما ... تُحلّ لإكرام السيوف المَغامدُ
فزاد "بهاءَ الدولة" اللهُ بسطةً ... على أىّ عِلقٍ (٤) منك أضحى يزايدُ
لئن كان سيفا مرهَفَ الحدّ إنه ... لَيَعلمُ عِلمَ الحقّ أنك ساعدُ
أتانِى ليلا — قرّ عينا — مبشّرى ... فأيقظنى وَهْنًا وإنى لَراقدُ

---

(١) بهرام الكواكب : المريخ، قال حبيب بن أوس :

له كبرياءُ المشترى وسعودُه ... وسَوْرةُ بَهرام وظَرفُ عُطارد

(٢) فى الأصل "أتاك". (٣) فى الأصل "تلقّيك". (٤) العلق : الشىء النفيس.

وقمتُ، فكفٌّ[1] يشكر الدهرَ كاتبٌ ... ثناك، وخدٌّ يشكر اللهَ ساجـــدُ
وناديتُ فانثالتْ مَعانٍ كأنّ ما ... تنظّمه منها القوافى فَـــرائدُ
وتَنقَدْن لى ما سِرنَ ظهـرَ مدائحى ... اليك وهنَّ عن سواك حوائدُ
وما كنّ مع طول القيام صـــواديا ... ليَسْرَحنَ إلا حيث تصفو الموارد
واست كمن يُعطِى الأسامِى نوالَهُ ... اذا جاد تقليـــدا وتُلْغَى القصائدُ
وما الشِّـــعرُ إلا ما أقامت بيوتُه ... وسارت فأضحى[2] قاطنا وهو شاردُ
وما هو إلا فى رقابٍ — اذا فشا ... به الحفظُ — أغلالٌ وأخرى قلائدُ

* * *

وقال يمدحه وينتجّزه وعدا طال مطله به

أقامتْ على قلبى كفيلا من العهدِ ... يذكّرنى بالقـــربِ فى دولة البعـدِ
فقولا لواشيها ـ وإن كان صادقا ـ : ... وفائى لها أحظَى ولو غدرتْ عندى
خليـلىَّ، ما للرّيح هبّت مريضـــةً ... هل آجتدتِ البُخّالَ أم حَمَلتْ وجدى؟
ضمنتُ من الداءين ما لا تُقِـــلُّه ... على طرحها الشمُّ الهضابُ من الصَّلدِ
حنينٌ، ولكن مَن لِشملِى بجامع؟ ... ومدُّ يدٍ، لكن مَنِ الرُّجُلُ المُجـــدِى؟
فلا حُبَّ بل لاحظَّ نالك حظُّـــه[3] ... قد آشترك الأحبابُ والحظ فى الصدِّ
وسَمَّى زمانى طولَ صبرى تجـــلُّدا ... عدمتك، ما أبقيتَ بعـدِىَ للجَـــلْدِ؟
كما ذمَّ مَنْ قبـــلى ذممتُك عالما ... بأنك موقوفٌ على الذمِّ من بعـــدى
ولكن تجاوَزْ لى بصَرفك ماجدا ... اليـه اذا جارتْ صروفُك أَستعدى
اذا «الصاحبَ» آستنجدتُه فوجدتُه ... فرُغْنِىَ فيمن غيره شئتَ بالفقدِ

(١) كفّ مؤنّثة وتذكيرها هنا يراد به العضو . (٢) رجّحنا هذه الكلمة لسقوطها فى الأصل .
(٣) الحظ الأولى بمعنى الجد والثانية بمعنى النصيب .

وإن مرّ في الأحباب عيشٌ بغيره فحسبي بعلم الله في ذاك والحمد

وما أعرفُ الممدوحَ لم يَجزني به اذا قلتُ خيرا ، إنّ ذلك بالضدّ

أحقُّهمُ عندى بما قمتُ مثنيا أعدّده مَنْ فات إحسانُه عَدّى

فإن تكن الأيّام أجدبن مرتعى لديه وكدّرن الزلالة من وِردى

أقولُ لآمالى — وأخشى قنوطَها — ركوبُكِ ظهرَ الصبر أدنَى الى الرشد

تُطار فلولا وجهُ سعدِك لم يكن سِراجُكِ فى الظلماء نجمَ " بنى سعد "

"أبا القاسم" آمنحنى — سمعتَ — آستماعةً وقِفْ بى من آستبطاء حظّى على حدّ

سخوتُ بشعرى قبلَ مدحك لاقيا بِسَبْط[1] كلامى كلَّ ذى نائلٍ جعدِ

اذا قلتُ : أين الجودُ؟ أنشد بخاله : محا الدهرُ ربعًا "بالمشَقّر"[2] من "هِندِ"

تعابُ لديه الشمسُ بالنور حُجّةً على منعه ، والماءُ فى القيظ من بَرْدِ

وفاضت — وهم يُبْس — بحارُك بينهم فياليت شعرى ما لجودك ما يُعدى !

وقد كان لى فى الشعر عندك دولةٌ ولكن قليلٌ مُكثُها دولةُ الوَرْدِ

أظلُّ وما فى عاشقيك محقّقٌ سواى ، أقاسى الهجرَ من بينهم وحدى

فإنْ أنت راضٍ لى وللجِد وقفةً تَزاحَمَ دمع اليأس فيها على خدّى

وما غيرُ تأميلى بدينِ تقضاؤه فكم أتقاضاه وأنحتُ من جِلدى

عسى يقف الإنجاز بى عند غايةٍ تريح فلى حَولٌ أُجرُّ على الوعد

تساويفُ وفّاها المِطالُ حدودَه فعجّل لها الإنجازَ أو جَبهةَ الرّدّ

---

(١) السبط نقيض الجعد وقد تقدم تفسيره ، وفى الأصل " بسيط " . (٢) المشقّر : اسم موضع .

⁂

وأنفذ اليه الكافى الأوحد ما جرت به عادته من رسومه ، فكتب اليه يمدحه ، ويذكُر تنزُّهه عن النظر فى الوزارة بالرَّىّ ، وآعتزاله إياها ترفعا عن نزول الحال فيها الى أحد أتباعه ، وما بان من عجز الداخل فيها بعده

اذا صاحَ وفدُ السُّحبِ بالريح أو حَدَا ... وراح بهـا ملأَى ثِقالا أو آغتـدى

فكان وما باراه من عَبَرَاتنـا ... نصيبَ مَحــلٍّ " بالجنـابِ " تأبَّدا (١)

وما كنتُ لولاه ـ ولو تربت يدى ـ ... لأَحمــلَ فى تُربِ لمـاطِرِه يدا

خليلىَّ ، هذى دارُ " لميـاء " فاحبسا ... معى وآعجبا إنْ لم تُميــلا فتُسعدا

نعاتب فيها الدهرَ ، لا ! كيف عتبُهُ؟ ... وأخلاقُه إخلاقُ ما كان جَدَّدا

سلاها -- سقاها ما يُعيــد زمانَهـا ... وعيشا بهـا ما كان أحلى وأرغدا — :

عهِـدْنا لديك الليـــلَ يُقطَعُ أبيضا ... فلِمْ صار فيك الفجرُ يطلُعُ أســودا؟

فأيـن الظبـاء العامراتك بالظُّبى ... ثنًى وفُــرادى ، غافلاتٍ وشُرَّدا؟

وليـــلُ آختلاط لو تغاضَى صباحُهُ ... لمـا مازت الأيدى القِنـاعَ من الرِّدا

أبعدَ جلاءِ العينِ فيك من القذَى ... أرى أثرا أنَّى تلفتُّ مُرْمِــدا؟

لعمرُ الجــوى فى رُفقتى بك إنه ... يخامر قَرحانَ الحشا ما تعــوَّدا

وقلتُ: صَدًى، قالوا: الفراتُ الذى ترى ... وهيهات ! غيرَ المـاء ، ما نُقِع الصدَى

مضى الناسُ ممّن كان يعتــدُّه الفتى ... وما أكثرَ الباقين إن هو عــدَّدا

وكان بكائى أننى لا أرى الأخَ الـ ... ـودودَ ، فمَن لى أن أرى المتــودِّدا !

أمنعطفٌ قلبُ الزمان بعاطِشٍ ... يرى الأرضَ بحرا لا يرى فيه مَوردا؟

تحمَّل شرقيًّا مع الركب شــوقُهُ ... وقد غار شــوقُ العاشقين وأنجدا

---

(١) تأبد : أقفر ولزمته الوحوش .

له بين أثناء الجبالِ وأهلها مَزارٌ حَبيبٌ دونه طُرُقٌ عِدَا
وما بِيَ إلا أن أرى البدرَ ناطقا "وشهلانَ" شخصا جالسا متوسِّدا
وليثَ الشرى تحت السُّرادق مُلبِدا وبحرَ الندى فوق الأسرَّة مُزبِدا
وأن أدرك العلياءَ شخصا مصوَّرا هناك وألقى العزَّ جسما مجسَّدا
ومن بَلَّغتْهُ "الأوحدَ الكافيَ" المنَى تغزَّلَ مكتفِيًا وناخر أوحدَا



لذاك آشتياق، ليس أن جازني[1] له على البعد إحسانٌ ولا فاتني نَدَى
مواهبهُ سارت لحالي كثيفةً وشعرىَ مطلوبا وذكرِى مشيَّدا
فمن نِعمةٍ خضراءَ تسبق نِعمةً له، ويدٍ بيضاءَ لاحقةٍ يدا
فتى لم أجد لى غيره فأقول: ما أعمَّ عطاءً من فلانٍ وأجودا
أنالَ وفى الأيام لينٌ وأيبستْ فلم ينتقص ذاك النوالَ المعوَّدا
اذا بَلَغَ الزُّوَّارُ بابَك أُلقيتْ رحالُ ذليلٍ عزَّ أو حائرٍ هَدَى
وقَلَّ من الآراب[2] قُلٌّ[3] ضمِمتَهُ وقد جاز فى الآفاق نَهبا مطرَّدا
تُغلَّقُ أبوابُ الملوكِ أمامَهُ ويَرعَى لديها الجهلُ وهى لَقًى سُدَى
تدافعه آدابُها وأكفُّها مدافعةَ السَّرح البعيرَ المعبَّدا[4]
كما شاءها كانت ببعدك دولةٌ جفوتَ، فقد صارت كما شاءها العِدا
فمركبها بعد السكينة نافرٌ ومركبها صعبٌ وكان ممهَّدا
عَدَا الدهرُ فيها إذ نأيت بصرفه وكان آحتشاما منك يمشى مقيَّدا
فإن يك ضَرَّتْ[5] هجرةٌ بعثَ "أحمدٍ" فقد حطَّ هجرُ "الرَّىِّ" رتبةَ "أحمدا"
تعزَّلَ عنها والمقاليدُ عنده ووازرها والكَدُّ فيمن تقلَّدا

(١) فى الأصل "حازنى". (٢) الآراب جمع أرب وفى الأصل "الآداب". (٣) القُلّ الذي لا أحد له. (٤) المعبَّد: البعير المهنوء بالقطران لجربه. (٥) فى الأصل "ضرب".

أيخشى "آبن إبراهيمَ" فَوتَ وِزارةٍ وقـد حازها سقفَ السماء وأبعـدا
ولمـا بدت للعـين وَقْصـاءَ(١) جهمـةً وكانت تريك البـدرَ والظبيَ أجيـدا
معنَّسـة أفنيتَ(٢) عمـرَ شبابهـا فلم يبقَ إلا الشيبُ فيهـا أو الردى
نهضتَ على الإحسان فيهـا ولم تقم وعيشِـك إلا وهى تُزْعِجُ مَقْـعَدا
تزوّجتَهـا أيّامَ تُنكَحُ لـذّةً وَسرَّحتَ إذ كان النكاحُ تمـرُّدا
وخلَّفتَهـا قاعا يغـرُّ سرابُهـا يَدَى(٣) حافرٍ لم يُسْقَ منهـا سوى الكُدَا(٤)
قليـلِ آطلاعٍ فى العواقب لو درى مشَـقَّةَ ما فى مَصـدرٍ ما توردا
تَلبَّسهَـا جهـلا بأنك لم تكن لتـنزِعَها لو كنتَ تنزِعُ سـؤددا
تحـدّثنى عنـك الأمانى حكايةً بما أنا لاقٍ منك كالصوتِ والصدَى
وكم زائرٍ منّـا حملتَ آقـتراحَه مضى ساحبـا رِجْلا وآب مقـوَّدا
ومثـلِىَ لو دونى أتاك بنفسـه ذُنابَى(٥) وولّى عنـك رأسا مسـوّدا
عسى عزمةٌ أشوتْ فثَلَّتَ كاتبـا يقرطسُ أحيـانا فأمثُـلُ منشـدا
وقائلةٍ : هـل يدركُ الحظَّ قاعدًا ؟ فقلتُ لها : هل يقطعُ السيفُ مغمَدا !
سيلقَى بهـا "الكافى" عهودا وثيقةً لقـد زادها الإسـلامُ حقًّا وأكّدا
رضيتُ ــ وإن جدّ(٦) الجدوبُ ــ تعفُّفا وعيشـا مع الوجه المصون مبـدّدا
ومَيـلا بنفسى عن لقـاء معاشرٍ أحتُّهُـمُ(٧) صخـرا وأعصِرُ جلمـدا
أرادوا بخـلٍ أن يُذَمّوا فيُعـرَفوا خمولا ، كما أعطيتَ أنت لتُحمَدا
أعالج نفسـا منهُـمُ مقشـعِرّةً وأنفـا اذا شَمُّـوا المـذلةَ أصيـدا

(١) الوقصاء : قصيرة العنق ، وفى الأصل "وقضاء" وهو تحريف . (٢) فى الاصل "معبّسة أفنيك" وهو تحريف . (٣) فى الأصل "بذى" وهو تحريف . (٤) يقال : أكدى الحافر اذا حفر فبلغ الكدا وهى الصخور فلا يمكنه أن يحفر . (٥) الذُّنابى : الذنَب . (٦) بالأصل "جَرَّ" . (٧) حتّ : فرك وقشر .

هو المنقذى من شِرْكِ قومى و باعثى … على الرشد أن أُصفِى هواى "محمدا"(١)

وتاركِ بيتِ النارِ(٢) يبكى شرارُهُ … علىَّ دمًا أن صار بيتِىَ مسجدا

عليك بها وَصَّالةً رحِمَ الندى … اذا آشتمل الشعرُ العقوقَ أو آرتدى

هجرنا لها اللفظَ المقلقَلَ قربُهُ … الى السمع والمعنى العَوانَ المردَّدا

يُخالُ بها الراوى اذا قام منشدا … بها ملكَ الإطراب قام مغرِّدا

لكم "آلَ ابراهيم" نُهدِى مدائحا … ودمًا الى أعدائكم وتهدُّدا

اذا عزَّ مُلْكٌ أن يدوم لمالكٍ … وطال على ذى نعمة أن يُخلَّدا

فلا تعدَم الدنيا الوَساعُ مدبِّرا … يقوم بها منكم ولا الناسُ سيِّدا

* * *

وكتب الى الصاحب أبى القاسم يهنّئه بعيد الفطر

أنت على حالتيك محمودُ … إن كان بخلٌ لديك أو جودُ

يشقَى ويرضَى بك الفؤادُ كما الـ … ـطَّرفُ اذا ما رآك مسعودُ

يا غُصُنًا دهرُه الربيعُ فما … يفترقُ الماءُ فيه والعودُ

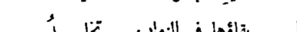
فات بك الحسنُ أن تُحَدَّ ولا … بدر بما آنحطّ عنك تحديدُ

قم حدّث الليلَ عن أواخره … إن مَقامَ الصبوح مشهودُ

يا ظبىُ، لو بتَّ فيه عدتَ وقد … عَنَّ ظباءٌ "ببابلٍ" غيدُ

أما ترى الفِطرَ صائحا : نوروزُوا … حَلَّ حرامٌ وآنحلَّ معقودُ

والبدر يدعو بحاجبٍ حاجبٍ … للعيد : بشرَى هنالك العيدُ

فاسبق بها الشمسَ أختَها لهبا(٣) …  بقاؤها فى الزمان تخليدُ

صان اليهودىُّ خِدرَها أن يُفَضَّ الختمُ أو تؤخذَ المقاليدُ

---

(١) يريد النبي صلى الله عليه وسلم . (٢) بيت النار : معبد المجوس . (٣) يكنى عن الخمر .

عَدَّ رجالا من قومه، لَهُـــمُ	فى فضلها عنـــده أسانيـــدُ
سنَّ له اللهـــوُ أن يعظِّمَها	فهى له فى الدنانـــ معبـودُ
حمـراءُ، ما فازت الأكُفُّ به	من لونها فى الخـــدود مردودُ
مِنـــ فيم إبريقها الى شَفة الـ	ـكأس عمودُ الصباح ممـــدودُ
دينٌ من اللهو أنت عن باب إبـ	ـليسَ متى حُدتَ عنـه مطرودُ
تغـنَّم اليـــومَ من سرورك والـ ـــ	ـساعةَ، إن الزمانـــ معـــدودُ
ما دام يدعونك الفـتى مَرَحا	والغصنُ فينانُ والصِّـــبا رُودُ[1]
غدا بياضٌ، يا قاتـــل الله ما	تنشقّ عنـه من بِيضك السودُ
لا تجمعُ الشَّـيبَ والسرورَ يدٌ	ولا يـتمُّ الـثراءُ والجـودُ
لا أَخلَفَ المـالَ غيرُ متلفـــه	إن الغـنىَّ البخيـــلَ مكدودُ
يا راكبا لم تُلِحْهُ هاجـــرةٌ	ولا ترامت بشخصـه البيـــدُ،
ولم تَقُـــدْ حظَّـــه مخاطرةٌ	تُنضَى اليهـا المهـــريّةُ القُـودُ،
بين منـاه و بينـــه غرضُ الـ ـر	امى ســـدادٌ منـــه وتعضيدُ،[2]
قل لابن "عبدالرحيم": عشتَ فما	يعـدَمُ فضـلٌ وأنت موجودُ
مَلَّكك المجـــدَ أنّ بابَك مفـ	ـتوحٌ وبابَ الأرزاقِ مســدودُ
يزدحم الناس فيـــه راجين را	ضين، وحوضُ الكريم موروُدُ
وأن عافيك ــ والمكلَّفُ مشـ	ـنوءٌ ــ مُرادٌ لديـــك مودودُ
لا هـو فى الذلّ بالسـؤال ولا	بالمنـــّ فيما منِنتَ مكدودُ
يختلفُ النـاس من كرامتـه	عنـدك مَنْ قاصـدٌ ومقصودُ

(١) رود أصلها رؤد وقد سهلت الهمزة وهو الغصن أرطب ما يكون وأرخصـه وهو هنا من المجاز .

(٢) التعضيد : ذهاب السهم شمالا و يمينا .

والبشرُ حتى يقالَ : بارقةٌ — والحلمُ حتى يقالَ : جلمودُ
يُلبسك المدحُ كلَّ ضافيةٍ — لها بطول الإخلاق تجديدُ
دُرُّ المعالى فيها بوصفك منـ — ـظومٌ ووشىُ الألفاظِ منضودُ
تَخْبُرُ منه ما أنت ناقده — وأكثر الإنتقادِ تقليدُ
والشعر، ما لم توجدك آيتُهُ — إلا القوافى والوزنَ - مفقودُ
يتعبُ فيه الموفَّرون له — وهو مع المُنْهلين موءود
بَقيتَ منه لزائراتك بالـ — ـشناء غيدا أكفاؤها الصِّيدُ
كلّ فتاةٍ مُحْدُوُّها يومَ تبـ — ـغى الحظّ إمّا أتتك مجدودُ
صديقُها أنتَ ، والحسود بها — وبى على القرب منك مفؤودُ (١)
فى وجهه البشر حين يسمعها — خوفا وفى قلبه الأخاديدُ
يَطرَبُ منها للشىء يُحزِنهُ — وآسمُ بكاءِ الحَمامِ تغريدُ
لا آجتاز عيدٌ إلا عليك وإن — أَجَزْتَ أن تُمطَلَ المواعيدُ

* * *

وقال وكتب اليه أيضا يهنّئه بعيد الفطر سنة تسع وتسعين وثلثمائة

اذا لم يُرْعَ عندكم الودادُ — فسيّانِ القرابةُ والبعادُ
عهودٌ يومَ "رامةَ" دارساتٌ — كما يتناوب الطلَلَ العهادُ
وأيمان تضيعُ بها المعانى — وتحفظها الأناملُ والعِدادُ (٢)
تطيرُ مع الخيانة كلَّ جنبٍ — وحبّاتُ القلوب بها تصادُ
أمعترضٌ صدودُكِ "أمَّ سعدٍ" — ببعض الشرِّ، أم خُلُقٌ وعادُ (٣)؟

(١) فى الأصل "ولى". (٢) العداد : العدّ . (٣) عاد جمع عادة .

وعـــذلٌ فيـك أوجعَ نازلٌ بى — أنا الملسوعُ والعـذلُ العِـداد[1]
وعبتِ وليس غيرُ الشيب شيئا — أُذادُ له بعيبٍ أو أكادُ
وما منّى البياضُ فتجرمينى — به ذنبا ولا منـك السـوادُ
بأيمنِ ملتقى الماءين دارٌ — لمـرتادِ الهـوى فيها مَرادُ
وقفتُ، ومسعِدون معى عليها، — ألا يا دارُ ما فعلتْ "سعادُ"؟
أقول لهـم أُعَلِّلُ فيك شوقى : — وشيكا ينقعُ الظمأَ الثَّمادُ[2]
خذوا من يومكم لغـدٍ نصيبا — من الأطلالِ، إنّ اليومَ زادُ
توقَّ الحبَّ تأمنْ كلَّ بغضٍ — فـداؤك من دوائك مستفادُ
يخـوّفنى مَكايدَه زمانى — صَغارك[3] لا أُحسُّ ولا أكادُ
وقـدرتُه اذا لم يُعطِ بخـلٌ — وغايتـه اذا أعطى تَفادُ
فقـل لبنيه : لستُ إذًا أخاكم، — بعادٌ بيننا أبـدا بعادُ
أعان الله مسكينا رجاكم — فإنّ رجاءَ مثلِكُمُ جهادُ
رضـينا من قبائلكم ببيتٍ — عمادُ المكرماتِ له عمادُ
بنى "عبدِ الرحيم" وكلُّ فخـر — يفـوت فبآسم نسبتهم يُفادُ
أعِـدْ ذكرَ التحيّـة فى أناسٍ — اذا بدءوا[4] اليـك يدًا أعادوا
وقِمْ وآخطب بحمدك فى ربوعٍ — وفـودُ المجـد عنها لا تُذادُ
وميتسمين يُورى الملكُ منهـم — جباها، كلُّ واضحـةٍ زنادُ
رأوا حفظَ النفوس اذا آستميحوا — ـ وقد بخل الحيا ـ بخلا، فجادوا

---

(١) العداد : اهتياج وجع اللديغ ، و يقال عداد اللديغ سبعة أيام ، و يقال له مادام فيها : هو فى عداده .
(٢) الثماد : الماء القليل .
(٣) صغارك أى هات ضيمك ومذلتك فإنى لا أحس .
(٤) فى الأصل "أبدوا" .

فِـدًى للحسنين فتًى عُلاهم   وناشرُها وقد درسوا وبادوا[1]
دعيٌّ فى السماح وليس منه   متى آعترف الندى بك "يا زِيادُ"[2] ؟
دعِ العلياءَ يَسحَبْها عريقٌ   بياضُك يومَ نسبته سوادُ
يطولُ ركابَه إن قام فيها   ويقصُر عن مقلَّده النجادُ[3]
أيا "آبن علىٍّ" آعتقلتك منى   يدٌ لم تدرِ قبلك ما العَتادُ
عركتُ يدَ الخطوبِ وفىَّ ضعفٌ   فلِنَّ وهنَّ أَعياءٌ شِدادُ
لذلك تُستزاد الشمسُ نورا   وحبُّك الذى لا يُستزادُ
وحظُّك من جَنَى فكرى ثناءٌ   يطول، وطُولُه فيك آقتصادُ
اذا الشيءُ المعادُ أَملَّ سمعا   تَكرَّر وهو طيبًا يُستعادُ
فما خُطِبَتْ بأبلغَ منه خاءٌ   ولا نُطِقَتْ بأفصحَ منه ضادُ[4]
ألا لا تذكُرُ الدنيا بخيرٍ   فتًى إلا وأنتَ به المرادُ
اذا حاز آمرؤ تأبيدَ نجلٍ   أمدَّك من "أبى سعد" مِدادُ
شبيهُك، والعلا منها آكتساب   ومنها — وهو أفضلها — وِلادُ
وكنتَ البدرَ تمَّ فزِيدَ نجما   كما أوفى بغُرته الجوادُ
فعِشْ وآذخره للعافين كهفا   وخيرُ ذخيرةِ الجسم الفؤادُ

***

وكتب اليه أيضا يهنئه بعيد الفطر ويتقاضاه حاجةً

أَبِالغور تشتاقُ تلك النجودا؟   رميتَ بقلبك مَرمًى بعيدا
وفيتَ فكيف رأيتَ الوفاءَ   يُذِلّ العزيزَ ويُضوِى الجليدا[5]

(١) يرى المتمعن أنه آنتقل بجفاة مع التعمية الى غرض آخر ولعله تهكم. (٢) يشير الى تهكمه الى زياد بن أبيه لأنه مجهول الأب. (٣) النجاد: حمائل السيف. (٤) فى الأصل "صاد". (٥) يضوى: يضعف.

أفي كلّ دارٍ تمـــرُّ العهــودُ عليك ولم تنس منهـا العهـــودا ؟
فـــؤادٌ أســـيرٌ ولا يفتـــدى وجفنٌ قتيـلُ البكا ليس يُودى (١)
ســـهرنا " ببابـــلَ " للنـائميـن عمّـا نقاسى " بنجدٍ " رقـودا
من العربيّـات شمسٌ تعـودُ بأحرارِ " فارسَ " مثلى عبيـــدا
اذا قـــومُها آفتخـــروا بالوفاءِ والجود ظلّتْ ترى البخلَ جودا
ولو أنهـــم يحفظون الجوارَ ردّوا علىّ فـــؤادا طـــريدا
نعم جمّـــعَ الله يامن هَـــوِيتُ وصَدٌّ، عليك الهوى والصـدودا
رنَتْ عينُـــه ورأت مَقتَــلى ففـــوّقهـا ورمانى ســـديدا
قـــلوبُ الغــوانى حديدٌ يقــالُ وقلبـــك نارٌ تذيبُ الحـــديدا
سأجرى مع النـاس فى شوطهم فَعـالا بغيضـا وقـــولا وديدا
أُغَرّ بِبِشْـــرِ أخى فى اللقـاءِ لو تبــعَ الغيثُ تلك الرعــودا
ويُعجبنى المـاء فى وجهـــه وفى قلبـــه الغِـــلُّ يُذكِى وَقودا
مُريبون أوســـعُهم حجّـــةً وعذرا معى مَن يكون الحســـودا
وَحادٍ (٢) فلستَ ترى المســـتريحَ فى الناس من لا تراه الوحيدا
وحازت سجايا آبن " عبد الرحيم " ثنـاءً كسؤدده لن يبيـــدا
ومدحا اذا مات مجـــدُ الرجال أعطى الذى سار فيـــه الخلودا
تمهّدَ من " فارس " ذِروةً تُحطُّ " المجـرة " عنهـا صعودا
مكانةَ لا تســـتفزُّ العيـــوبُ نخـــرا ولا يغمِزُ اللؤمُ عودا
تشـابهَ عِـــرقٌ وأغصـانُهُ كما بدئَ المجـدُ فيهـــم أُعيـــدا
فعُـــدَّ الكواكبَ منهـــم بنينَ وعُدَّ الأهاضيبَ منهـــم جدودا

(١) يودَى : تُدفَع دِيتُه . (٢) وَحادٍ : كن وحيدا .

سَــعَدتُ بحبِّـك لو أننى لحظّىَ منــك رُزِقتُ السـعودا
إلامَ توانٍ يُميتُ الـوفاءَ وعنـدى ضمـانٌ يحُـلُّ العقودا ؟
ونقصُ اهتمامٍ أرَى مُكْرَهًا بجـودك من أجله مسـتزيدا
أمَا آن للعـادة المرتضا ةِ من رحبِ صدرِك لى أن تعودا ؟
ولو لم يكن ماءُ وجهى يذوبُ بها ثمنـا لم يَرُعنى جمـودا
أمانِ صـدرنَ بطانًا وعدنَ خمائصَ ممّـا رَعَين الوعـودا
الى الله محتَسـبا(١) عنـده بعثتُ هـوًى مات فيكم شهيدا
على ذاك ما قصُرتْ دولة فطاولْ زمانَك بيضًـا وسُـودا
ولا تبرحنّ بشـعرى عليك عرائسُ يُجْلَينَ هِيفًـا وغِيـدا
تَخـالُ اليمـانىَّ حاك البرودَ اذا أنا قصّـدت منهـا القصيدا
ولى كلِّ عيـدٍ بها وقفةٌ أناشِـدُ عَطفَك فيهـا نشيدا
تهانٍ يغَصُّ التقاضى بها، فهـل أنا لا أتقاضاك عيـدا ؟

⁂

وكتب الى الأستاذ الجليل أبى طالب بن أيّوب يهنّئه بعيد الفطر

أنا اليـومَ ممّـا تعهدين بعيـدُ تُريدينَ منى والعَـلاءُ يريدُ
طوَى رَسَنى عن قبضة الحبّ خالعا قُواه ، وقدمًا كنتُ حيث يقودُ
هوًى — وليالى اللهو بيضٌ — وهبتُهُ اليهـا ، وأيّام الكريهة سـودُ
وهِيفٌ رقاقٌ موضع الهَيْف(٢) فُتْنَنى وهنّ جسـومٌ حلوةٌ وقـدودُ
دعينى وخُلْقًا من سِنىّ استفدته عزيزا فمعـدودُ السنين مفيـدُ

---

(١) فى الأصـل " مستحسبا " . (٢) الهيف : ضمور البطن ورقة الخاصرة وهو أهيف وهى هيفاء وجمعهما هِيفٌ .

ولا تحسبيني صِبْغَ لونين في الهوى — أتوبُ وتبـــدو فرصـــةٌ فأعودُ
ولا كامنا في الحيّ أنظـــرُ سِربَهُ — على خدعة الأشراكِ كيف أصيـــدُ
وحَصَّ غرابي يا آبنــة القومِ أجدلٌ (١) — بمـــيرٍ بأوكار الشبابِ صَـــيودُ
أراكِ تَرَيْني ناقصا ونقيصـــتي — ليـــالٍ وأيامٌ عـــليّ تزيـــدُ
لكلِّ جـــديدٍ باعترافِكِ لذّةٌ — فما لكِ عفتِ الشيبَ وهو جـديدُ
تأخّرتِ بالصمصامِ وهو مصمّم — وخالفتِ رأىَ الرمحِ وهو سـديدُ
متى ضنَّتِ الدنيـا عليّ فأبصرت (٢) — لسانِيَ فيهـا بالسـؤالِ يجـودُ
اذا كنتَ حرّا فاجتنبْ شهواتِهـا — فإن بنيهـا للزمانِ عبيـــدُ
وبِنْ في عيون النـاس منهـم مباعدا — اذا اشتبهوا واسلم وأنت وحيـدُ
وقل بلسان الحـظّ، إن خطيبَهُ — بليغٌ ومَن أعيا عليـه بليـدُ:
اذا شئت أن تلقَ الأنام معظّما — فلا تلقهم إلا وأنت سـعيدُ
ورُبَّ نجيبٍ "كآبن أيّوب" واحدٍ — تراه مع الحـالاتِ حيث تريدُ
صديقي، وما يُغني صديقُك لم يُطِقْ — ثقيـلا ولم يقرُب عليه بعيـدُ؟
أَعُدُّ سجايا الأكرمين وتنقضى — وأمُّ سجـاياه الكرامِ ولودُ
اذا قمتُ أتلوهنّ، قالت لِيَ العُلا: — أعِد، والحديثُ المستحبُّ يعـودُ
وصدّق وصفي — والمحبُّ بمعـرِض — من الريْب — آياتٌ عليـه شهودُ
يدٌ في النـدى ماءٌ، وقلب اذا التوتْ — عليـه حبـالُ المشكلات حـديدُ
ومخضوبةِ الأطرافِ لم تُصبِ عاشقا — عميـدا، وكم أودَى بهن عميـدُ
قواطع أوصالِ البـلاد سـوائر — وما ثار عن أخفافهنّ صـعيدُ
اذا نارُ حربٍ أُضرِمتْ أو مكيدةٌ — فهنّ لهـا وما احـترقن وَقـودُ

(١) الأجدل : الصقر. (٢) في الأصل "مضى".

وعلّمه أنّ يصنع المجدَ مَنبِتٌ عريقٌ وبيتٌ فى السماء قعيدُ
وحامونَ بالرأى الجميع حِماهُمُ ووَفْرُهُمُ عند الحقوق شريدُ
مطاعيمُ أرواحِ الشتاء⁽¹⁾، اذا طفت سواجرُ⁽²⁾ فى أبياتهم وركودُ
قيامٌ الى أضيافهم وعليهمُ ولكنّهم عند الملوك قُعودُ
سخا بِهِمُ أنّ السخاء شجاعةٌ وشجّعهم أنّ الشجاعةَ جودُ
وُقيتُ من الحسّاد فيك فكلّ من يَرَى ودَّك الباقى علىَّ حسودُ
يودّون ما أصفيتنى من مودّةٍ وما أَصطفِى من شكرها وأُجيدُ
لبعضهِمُ من بعضهم متخلَّصٌ وتأبَى غلولٌ بينهم وحقودُ
وعذراء ممّا آستنجبَ الفكرُ وآرتضَى معقّلةً فى الخدرِ وهى شرودُ
نجومُ سجاياك الصِّباحُ اذا سرت قلائدُ فى أعناقها وعقودُ
اذا يومُ عيدٍ زفّها قام ناصبا لتجهيزِ أُخرى مثلِها لك عيدُ
لها بعدما يفنَى الزمانُ وأهلُه بقاءٌ على أحسابكم وخلودُ

* * *

وقال يمدح العمدة ذا النباهتين آبن الصاحب ذى السياستين أبى محمد بن مكرم ويهنّئه، وقد خلع عليه خلعةً مشرقةَ الجمال والجلال، وأضيف الى ألقابه عزّ الجيوش ويصف الخِلَعَ والحُملان

إمّا تقومونَ كذا أو فاقعدوا ما كلّ من رام السماءَ يَصعدُ
نامَ على الهُونِ الذليلُ ودرَى جفنُ العزيز لِمَ بات يَسهَدُ

(١) يشير بذلك الى الذين يقال لهم: مطاعيم الريح فى العرب، زعم آبن الأعرابىّ: أنهم أربعة أحدهم عم أبى محجن الثقفىّ ولم يسمّ الباقين، وقال أبو الندى: هم كنانة بن عبد ياليل الثقفى عم أبى محجن، ولبيد ابن ربيعة وأبوه كانوا اذا هبت الصبا أطعموا الناس وخصوا الصبا لأنها لا تهب إلا فى جدب، وفى المثل "أقرى من مطاعيم الريح". (٢) السواجر السيول تملأ كل شىء.

أخفُّكم سعيا الى سـودَدِه أحقُّكم بأن يقالَ : سيِّدُ
عن تعبٍ أورِدَ ساقٌ أوّلا ومَســحَتْ غرّةَ سَبّاقٍ يدُ
لو شرُفَ الإنسانُ وهو وادعٌ(١) لقطعَ الصمصامُ وهو مغمَدُ
هيهات أبصرتَ العلاءَ وعشَوا عنه فضلُّوا سُبلَه وتجِدُ
يا عمدةَ الملكِ وأىُّ شرفٍ طالَ ولم ترفعه منكم عَمَدُ ؟
لله هذا اليومُ يوما أنجز الـ ـدهرُ به ماكان فيه يَعِدُ
لما طَلعتَ البدرَ من ثنيّةٍ تُجلَى بها عينٌ وعينٌ ترمَدُ
من شَفَقِ الشمسِ يُسَدَّى ثوبُها وتُلحَمُ(٢) الجوزاءَ أو تُعمَّدُ
دقّ وجلّ فهو إن لامستَهُ سَبْطٌ وإن مارسته مُجعَّدُ
متوَّجا عمامةً وإنما عمامةُ الفارس تاجٌ يُعقَدُ
ممتطيا أتلعَ(٣) لو حبستَهُ تحتك قيل : فَدَنٌ(٤) مُشيَّدُ
مناقلا بأربع كأنما يلاطم الجليدَ منها جَلْمَدُ
وقَّرها خوفُك فهو مطلَقٌ يَنقُلها كأنه مقيَّدُ
خَفَّ بطبعِ عتقِه وآده(٥) ثِقلُ الحُلَى فمشيُه تأوُّدُ(٦)
مقلَّدا مهنّدا ما ضمَّه قبلَك إلا خافه مقلَّدُ
أبيضُ(٧) لا يعطيك عهدا مثلَه اذا أخوك حالَ عمّا تَعهَدُ
اذا ٱدرعتَ فى الدجى فقَبَسٌ وإن توسّدتَ الثرى فعضُدُ
ما ٱعتدتَ كسبَ العزِّ إلا معَهُ، والمرء مَشّاءٌ وما يُعوَّدُ

---

(١) الوادع : الساكن المستقر، وفى الأصل "داوع" . (٢) فى الأصل "يحلم" .
(٣) الأتلع : الطويل الجيد، ويريد به الفرس . (٤) الفدن : القصر العظيم . (٥) آده : أثقله . (٦) التأوّد : الانحناء والانعطاف . (٧) الأبيض : السيف .

ما زال "فخر الملك" في أمثالها   يرشُدُ في آرائه ويسعدُ
فكيف لا وأنت من فؤاده   عزًّا وعينيه المكانُ الأسودُ
ولو ركبتُ أرحلا لكان لى   فيك بُراقٌ بالمنى مزوّدُ(١)
أنت الذى جمعتنى من معشرٍ   شملُ العلاء بينهم مبدَّدُ
كأننى آخذُ ما أعطيهُمُ   من مِدَحى اذا نطقتُ أُنشِدُ
أبحتَنِي مجدَكَ إذ أرحتنى   ممّن أذمُّ منهُمُ وأحمَدُ



* * *

وكتب الى الصاحب أبى القاسم بن عبد الرحيم فى عيد الفطر

ليتك لمّا لم تكن مُسعِدا   أو مصلحا لم تكن المفسدا
كنتُ كثيرا بك فيما يَرَى   ظنِّى، فكثَّرتَ عديدَ العدا
وشَى وقد قدَّمتَهُ رائدا،   لا تبعث الظلمة مسترشدا
يسومنى الغدرَ بعهد "اللِّوى"   ما حقُّ من يغدرُ أن يَعهَدا
غيرِى أبو الألوانِ فى حبِّه   يشكو الهوى اليومَ ويسلو غدا
أصبو الى "طَيْبةَ" من "بابلٍ"   ما أقربَ الشوقَ وما أبعدا
يا فارسَ "الغيداء" يبغى "مِنًى"   بلِّغ — بلغتَ الرشأَ الأغيدا —:
يا حبذا الذكرى وإن أسهرتْ   بعدك والدمعُ وإن أرمَدا
لا تأخذِ النَّفْرَ بتفريقنا   فربَّما عاد لنا موعِدا
"بالغور" دارٌ و"بنجدٍ" هوًى   يا لهفَ من غار لمن أنجدا
ما كان سَلمِي يوم فارقتكم   يا "سَلْمَ" منّى حاملا أجلدا
سجيّةٌ فى الصبر عوَّدتُها   قلبِيَ والقلبُ وما عُوّدا

(١) فى الأصل "ومَزيَدُ" ولعله تحريف .

لم تُدنِى الأيامُ من عدلها قـط فالق الجَورَ مستبعَدا

وإنما يُنكرُ مِن عَيشـه أنكدَهُ مَنْ عَرَفَ الأرغـدا

حـوادثٌ أعجبُ من كرِّها أن أتشكَّاها وأن أحسَـدا

ليتَ بى الدنيـا التى لا ترَى لى نسـبا منها ولا مَـولدا

كفَّتهُمُ عنِّىَ أو ليتهُـمْ كانوا جميعا "للحسين" الفدى

للقمرِ الفـردِ وهـل مالكٌ فى الأفْق غيرُ البدرِ أن يُفرَدا

لا يَحسَبُ الطيِّبَ مِن ماله ما لم يكن معـترضا للجَـدَا

وكان أغنَى حسبا عنـدهُمْ من لم يزل أفقـرَ منهـم يدا

والأبيض الرأيِ اذا ما شكا خابطُ ليـلٍ رَأيَهُ الأسـوَدا

وفارس القَـولةِ لم يَسـتقِمْ فى ظهـرها الفارسُ إلا آرتدى (١)

وسالك الخطبِ وقـد أظلمتْ مَحجَّـةٌ بالنجـم لا تُهتَـدَى

ما شِـيمَ منكم صـارمٌ مغمَدٌ إلا وأمضى منـه ما جُـرِّدا (٢)

ولا قَضَى اللهُ عـلى سـيِّد قضـاءَهُ إلا آجتَبَى سـيِّدا

إن بدأوا تَمّ أو تَقصَّـوا أنعمَ أو حطُّوا عُـلًا شـيَّدا

كأنه أُرضِعَ ثـدىَ النُّهى أو شاب من حُنكته أمردا

لا عاقَ أنـوارَك يا بدرَهُـمْ ما يَنقُصُ البـدرَ اذا زُيِّدا

ولا أغبَّتكُم (٣) عـلى عادِها ــ ما أفطر الصائمُ أو عيَّدا ــ ،

بواكرٌ من مِـدَحى تقتَفِى فى صونها آثارَكم فى النـدى

---

(١) ارتدى : تقلّد سيفه ولعل معناه أنه يقضى بقوله ما يقضيه غيره بسيفه ؛ أو لعله محرف عن

وفارس الجولةِ لم يسـتقِمْ فى ظهرها الفارسُ إلا ردَى

ومعنى ردى : سقط . (٢) فى الأصل "فيه" . (٣) أغبتكم : تركتكم .

تجلو على الألباب أحسابكم بواديًا فى حليها عُوَّدا
تبقَ على الدهر وساعَ الخطا فى جَوِّها الأرضَ طِوالَ المدى
يزيدها ترديدُها جِدَّةً ويُخلِقُ القولُ اذا رُدِّدا

* * *

ولما وصلت القصيدة العينيّة الى أبى الحسن محمد بن الحسن الهمانىّ ، تفقّده بهديّة جميلة زائدة على قدر عمله وتمكّنه ، وكتب اليه كتابا منصفا يستوفى معانىَ الاعتذار والتشوق ، فأخّر الجوابَ عنه الى أن ألحقه بهذه القصيدة، واتفق نفوذُها الى الكوفة فى آخر شهر رمضان يهنّئه بالعيد

لا تَلمَسُ الشمسَ يدُ فما يَرُدُّ الحسَدُ ؟
ما لمُريدٍ حسنَها إلا الأسى والكمَدُ
يَفنَى نزولا ولها علاؤها والخُلُدُ
أرى نفوسا ضَلّةً تَنشُدُ ما لا تَجِدُ
تحسَبُ بالكسب العلا ءَ والعلاءُ مُولَدُ
أفضَحُها مفنِّدُ لو سدّ غيظا فَنَدُ
وكلّ قلبٍ قُرحة يشِفُّ عنه الجسدُ
أبرُدُهُ بعَذَلى او أن نارا تَبرُدُ
هيهات من دوائها وداؤها "محمّدُ"
فات على أطماعه حمى العيون الفرقدُ
شَوّقها لحاقَهُ جَهلُ الحظوظِ المسعدُ
ونِعَمٌ نابتةٌ[1] مع الربيع جُدُدُ

(١) فى الأصل " تأتيه " .

حــدَّثَهـا أضغاثُهـا[(١)] هذا السرابُ المُوقَــدُ
والصبحُ فى تكذيبهـا إن بلغوه الموعــدُ
يا حاســدى " محمّدٍ " لا تطلبوه وآحسُــدوا
شريعــةٌ مــورودةٌ لو أصــدَرتْ مَنْ يَرِدُ
متنَكُمُ جــدودُكـم أَنَّ السبيلَ جدَدُ[(٢)]
تنكّبوا فإنمـا على الطريق الأســدُ
أغيــدُ لا يُنجِى الرقا بَ من يديه الجَيَدُ[(٣)]
أوفَى عــلى مَرقَبِـه لكفِّه ما يرصُــدُ
أزبُّ[(٤)] ما مِن قِــرَّةٍ[(٥)] خِيطت عليــه اللِّبَدُ[(٦)]
اذا غــدا لسفَرٍ أقســمَ لا يُــزَوَّدُ
النـاجياتُ عنــده وذيَّــةٌ[(٧)] ونَقَــدُ
قد قلتُ لمّـا أجمعوا وأنت عنهــم مفردُ
تخبِــطُ عشواؤُهُمُ : ما فعــل المُقَــوِّدُ[(٨)] ؟
البــدرُ فى أمثالهـا حنادسـا يُفتقَــدُ
ضاع بياضُ ناركـم والليلُ بعــدُ أَسْوَدُ
أكرمُكم أحقُّـكم بأن يقالَ : ســيِّدُ
دلَّ عــلى آياته فمـا لنـا نُقَــلِّدُ

---

(١) الأضغاث جمع ضِغْث وهو ما آختلط من الخبر والأمر فلا تعرف حقيقته . (٢) الجَدَد : الأرض الغليظة المستوية . (٣) الجَيَــد : طول الجيد وحسنه . (٤) الأزبّ : الكثير الشعر على وجهه . (٥) القرّة : البرد . (٦) اللبد جمع لِبــدة وهى كل شــعر أو صوف متلّبد . (٧) الوذيّة : الحقيرة . (٨) المقوِّد : الذى يقود الدابّة .

وناقصِ الشِّكَّة (١) مض ـ ـموف الحشا مُعوَّدُ (٢)

صمِّ القنا الصِّلابِ من خَوَرِهِ تَقَصُّدُ (٣)

يطولها شوارعا وهو لَقًى موسَّدُ

إذ الكمالُ كلُّه في جسدٍ يجدَّدُ

ما تَلِد الأرضُ كذا والأرضُ بعدُ تَلِدُ

قل لبنى الآراب (٤) تُجـ ـفَى والمنى تُشرَّدُ

والحاج يُلقَى دونه ـنَ اللَّحِزُ المُزَيَّدُ (٥):

الكوفةَ الكوفةَ يا مفـ ـوَّرٌ يا منجدُ

ما الناس إلا رجلٌ والأرض إلا بلدُ

مَن راكبٌ مُرْبِعةً (٦) تمَّ عليها العددُ؟

موضوعةَ الرحل تُد ـسّ حَكَمَتُها (٧) وتَرِدُ

يمدُّ قيد الرمح ظـ ـلّا قصرُها المشيَّدُ

تحمله مُخِفَّةً ولو علاها "أُحُدُ"

تَخِدُّ في الصخر ملا ـطِمٌ (٨) عليها تَخِدُ

عَجْلَى اذا ما الساق صا دت ما تُثيرُ العَضُدُ

لم يدرِ لحظُ ضابطٍ ما رِجلُها وما اليدُ

بلّغ — بلغتَ راشدا تسرى، ويحدو مُرشدُ —:

(١) الشكة: السلاح. (٢) المعوّد: المسن من قولهم عوّد البعير أى صار عوّدا.

(٣) تقصد: تكسر قصدا أى قطعا. (٤) فى الأصل "الآداب". (٥) اللحز المزيّد: البخيل الذى يزيّد ماله أى يُنميه. (٦) المربعة: من ذوات الخفّ التى دخلت فى السنة السابعة.

(٧) الحكم وضع الحَكَمَة فى فم الدابّة وهى ما أحاط بحنكى الدابّة من لجامها وفيها العذاران. (٨) ملاطم، جمع مَلطم وهو الخد وفى الأصل "ملاطيم".

شـــوقا يقُضُّ نَبلُهُ الـ ـأضـــلاعَ وهى زَرَدُ (١)
دام عـــلى حصاة قلـ ـبى ويذوب الجلمـدُ
أفنى الوَقـودُ كبـدى فهـــل يُحسّ المُوقِـدُ
كم يُسعِد الصبرُ تُرى ؟ بعـــدك خان المسعِدُ
على مَن الفضلُ — وقد فارقتَـــه — يعتمِدُ ؟
يا طولَ ذمّى للنوى ، هـــل من لقاءٍ يُحمَــدُ ؟
متى ؟ فقد طال المدى ، لكلِّ شىء أمـــدُ
يا باعثَ النعمى التى آياتُهــا لا تُجحَـــدُ
لو كُتِمتْ تطأمتْ من حسن حالى تَشهدُ
كانت سَـــدادَ رحْلةٍ أصيب فيها المقصــدُ
رمَمتَ منهــا ثُلَمــا (٢) ما خلتهــا تُســـدَدُ
علّك من مطلِّ بالـ ـشـكر عليها تجـــدُ
ما كان تقصيرا ، فهــل يقتصـــر المجتهـــدُ ؟
لكنّهــا عارفـــةٌ من الثناء أزيــدُ
أفســـدنى إفراطُها ، بعضُ العطاء يُفسِــدُ
والجود ما أسرفَ والـ ـإمســاك فيـــه أجودُ
والآن رثّتْ مُسْكةٌ (٣) فاسمـع لهـا أجِــدِّدُ .
تأتيك بشرى ما تسو د أبـــدا وتســـعَدُ
وما تصوم مَرضـــيًّا بقـــاك أو تُعيّـــدُ

(١) يقضّ : يدقّ ، وفى الأصل "يفضّ" . (٢) الثلم جمع ثُلْمة وهى فُرجة المكسور والمهدوم .
(٣) المُسكة : ما يُتمسّك به .

سنين لا يضبطهـ ـنّ فى الحساب عَدَدُ
إن عاقنى دهرٌ أقو مُ أبدا ويُقعِدُ
عن المثول اليوم ما بين يديك أُنشِدُ
فربّما قمتُ غدًا، إنّ أخا اليومِ غَدُ

* * *

(١٠٠) قال وقد رثى الشريف الرضىّ رضوان الله عليه بالقصيدة الميميّة، وشقّت على جماعةٍ ممّن كان يحسدُ الرضىَّ بالفضل فى حياته أن يُرثَى بمثلها فى وفاته، ونسبه قومٌ الى السرف فيما آدعى له وانفسه من الحاق به وشدّة الأنس معه، حبّا لأن تضاف بعضُ المحاسن اليهم، وطعنوا فى غرضه من الإقرار بالتوحيد، وتكلّموا فى ذاك، وكان فيهم مَن رثاه بما ظاهرُه التأسّى، وباطنه الشماتة، بشِعرٍ لا يسرُّ سامعا، ولا يملك فَهما، فأسِفَ لمكان قصوره عمّا كان يجب أن يقدر على قوله، وعمل هذه القصيدةَ يرثيه، ويلوّح بذكرهم، ويزيد فى غيظهم

أقريشُ، لا لفمٍ أراكِ ولا يدِ فتوا كلى،غاض النَدَى وخلا النَّدِى(١)
خولستِ، فآلتفتى بأوقَصَ(٢)، وآسئلى من بزَّ ظهركِ، وآنظرى من أرمدِ(٣)
وهبى الذُّحولَ(٤) فلستِ رائدَ حاجةٍ تُقضَى بمطرورٍ(٥) ولا بمهنّدِ
خلّاكِ ذو الحسبين أنقاضًا(٦) متى تُجذَبْ على حبل المذلّة تَنقَدِ
قَمَرُ الدُّنا أضحت سماؤكِ بعده أرضا تداسُ بحائرٍ وبمهتدى
فاذا تشادقت الخصومُ فلجلجى واذا تصادمت الكماةُ فعرِّدى

(١) يقال توا كل القوم : آتكل بعضهم على بعض، والندىّ : النادى . (٢) الأوقص : العنق القصير . (٣) الأرمد : الذى به رمد . (٤) الذحول جمع ذحل وهو الثأر أو العداوة والحقد . (٥) المطرور : المحدّد ويريد به سنان الرمح . (٦) الأنقاض جمع نِقْض وهو المهزول من السير ناقة كان أو جملا .

يا ناشـدَ الحسـناتِ طوِّف فاليـا (١) عنهـا وعاد كأنه لم ينشُـد
اهبِط الى "مُضرٍ" فسلْ "حمراءَها": مَن صاح "بالبطحاء": يا نارُ اخمدى ؟
بكَر النعىُّ فقال : أُردِىَ خـيرُها، إن كان يصدُقُ "فالرضىُّ" هو الرِّدى (٢)
عادت أراكةُ "هاشم" من بعده خَـوَرا لفأسِ الحاطبِ المتـوقِّـد
فُجعتْ بمعجـزِ آيةٍ مشـهودةٍ ولربَّ آياتٍ لهـا لم تُشـهَد
كانت اذا هى فى الإمامةِ نوزعتْ ثم ادعت بك حقّها لم تُجحَـد
رَضِىَ المـوافقُ والمخالفُ رغبـةً بك واقتدى الغاوى برأى المرشِـد
ما أحرزت قصباتِهـا وتراهنتْ إلا ظهرتَ بفضلةِ من سؤدُد
تبِعتـكَ عاقدةً عليـك أمورَها وعُرَى تميمك بعـدُ لمّا تعـقَد (٣)
ورآكَ طفلا شِيبُهـا وكهولُها فتزحزحوا لك عن مكان السيِّد
أنفقتَ عمـرَك ضائعا فى حفظها وعققت عيشَك فى صلاح المفسِد
كالنار للسارى الهدايةُ والقِـرَى من ضوئهـا ودخانُهـا للُموقِـد
مَن راكبٌ يسع الهمومَ فؤادُهُ وتُنـاط منـه بقارحٍ متعوِّدِ ؟
ألف التطوّح فهـو ما هـددته (٤) يفرى فيـافى البيـدِ غـيرَ مهدَّدِ
يطوى المِيـاهَ على الظما وكأنه عنهـا يَضِـلّ، وإنّه لَلْمهتـدى
صُلبُ الحصـاة يثورُ غـير مودِّع (٥) عن أهله ويسـير غير مزوَّدِ
عُدِلتْ جَوِيّتُهُ على ابنِ مفازةٍ (٦) مسـتقرِبٍ أَمَّ الطريق الأبعـد (٧)
يجرى عـلى أثَرِ الدِّرابِ كأنه (٨) يمشى على صَرحٍ بهنّ ممرَّدِ (٩)

(١) فاليا : باحثا . (٢) الرِّدى : الهالك . (٣) التميم : جمع تميمة وهى خرزات تنظم فى السير ثم يعقد فى عنق الصبى اتقاءً من العين . (٤) فى الأصل "التطرح" . (٥) فى الأصل "ينور" . (٦) الجوّية : الأرض غير الموافقة . (٧) الأمّ : القرب . (٨) الدراب جمع دَرب وهو المضيق فى الجبل وفى الأصل : "الضراب" . (٩) الممرّد : المطوّل المملّس .

يغشى الوهادَ بمثلها من مَهبِطٍ ... ورُبا الهضابِ بمثلها من مَصعَدِ
قَرِّبْ، قُربتَ من التلاع فإنها ... "أمّ المناسك" مثلُها لم يُقصَدِ
دأبا به حتى تُريحَ "بيثربٍ" ... فتنيخَه نِقْضًا(١) بباب المسجدِ
وآحثُ التراب على شحوبك حاسرا ... وآنزِلْ فعزِّ "محمّدا" "بمحمّدِ"
وقل : آنطوى حتّى كأنك لم تلدْ ... منه الهدى وكأنّه لم يولَدِ
نزلت بأمّتك المضاعة فى آبنك الـ ... ـمفقودِ بنتُ العَنقَفيرِ المُؤيِدِ(٢)
طرقَتْه تأخذُ ما آصطفتْه ولا تَرى(٣) ... مكرا وتقتُلُ من نَحتْه ولا تَدى
نشكو اليك وَقود جاحمِها وإن ... كانت تخصّك بالمُلِظِّ(٤) المكمِدِ
بكت السماءُ له وودّت أنها ... فقدت غزالتَها ولمّا يُفقَدِ
والأرضُ وآبن الحاج سُدّتْ سبْلُهُ ... والمجدُ ضيم فما له من مُنجِدِ
وبَكاكَ يومُك إذ جرتْ أخبارُهُ ... تَرَحا وسُمِّيَ بالعبوس الأنكدِ
صبغتْ وفاتُك فيه أبيضَ فجره ... يا للعيون من الصباح الأسودِ
إن تُمسِ بعد تزاحمِ الغاشين مهـ ... ـجورا بمَطرحَةِ الغريبِ المُفرَدِ
فالدهرُ ألأمُ ما علمتَ وأهلُه ... من أن تروحَ عشيرَهم أو تغتدى
ولئن غُمِزت من الزمان بليِّنٍ ... عن عَجْمِ مثلكَ أو عُضضتَ بأدردِ
فالسيفُ يأخذُ حُكمَهُ من مِغفرٍ(٥) ... وطُلًى(٦) ويأخذُ منه سِنُّ المِبرَدِ
لو كان يعقِلُ لم تنلْك له يدٌ ... لكن أصابك منه مجنونُ اليدِ
قد كان لى بطريفِ مجدِك سلوةٌ ... عن سالفٍ من مجدِ قومِك مُتلَدِ

---

(١) النِّقض : المهزول من السير ناقة كان أو جملا . (٢) العنقفير المؤيد : الداهية الشديدة .
(٣) ولا ترى : ولا تظهر نارها أى أنها تطرق فى الظلام . (٤) الملظّ : الملازم ، ويريد به الحزن .
(٥) المغفر : خوذة من الزرد تق الرأس . (٦) الطلى : الأعناق .

فكأنكم — ومدًى بعيدٌ بينكم — ... يومَ آفتقدتُكَ زُلتُمُ عن مَوعِـــد

يا مثكلا أمَّ الفضــائلِ (١) مـ ورثا ... يُتمًا بنـاتِ (٢) القاطناتِ الشُّـــرَّد (٣)

خلّفتهنّ بمــا رضينك ناظما ... ما بين كلّ مُرَجَّزٍ ومُقَصَّـــد

فُجِعتْ بهنّ ـ وقد عدمتُكَ ناقدا ـ ... أفـواهُ زائفـــةِ (٤) اللُّهى لم تُنقَـــد

ورُثيتَ حتّى لو فَرقتَ ممـــيِّزا ... راثيك من هاجيك لم تَستَبعِد

غادرتنى فيهـــم بمـــا أبْنضتَهُ ... أدعو البيوعَ الى متـاعٍ مُكسَد

أشكو آنفـراد الواحدِ السارى بلا ... أُنسٍ و إن أحرزتُ سَـبقَ الأوحد

واذا حفِظتُك باكيا ومؤبِّنــا ... عابوا عليك تفجُّعى وتــلدُّدى (٥)

أحسنتُ فيك فساءهم تقصيرُهم ، ... ذَنْبُ (٦) المصيبِ الى المغـــيرِ المُعضِد

كانوا الصــديقَ رددتَهم لى حُسَّدًا ... صلَّى الإلهُ على مكثِّرِ حُسَّدى

يغــتَرُّ فيك الشامتون وإنه ... يومٌ هُمُ رهنٌ عليــه الى غـــد

ويسبرونى كيف قطعُ مُجَــرَّدى ... إن كان حَزَّ ولم يُعمِّقْ مُغمَدى

وتُشـــير (٧) عارمـــةُ الرياح سحائبِ ... من مُبرِقٍ فى فضلٍ وصفك مُرعِد

فتقَتْ بذكرك فأرها فتفاوحت ... نعما تأرَّجُ لى بطيب المـــولد

تزداد طولا ما آســـترحت فإننى ... أرثيك بعـــدُ وحُرقتى لم تَـــبرُد

ماء الأسى متصبب (٨) لى لم يَنِضْ ... فى صحنِ خدٍّ بالبكاء مُخَـــدَّد

لو قـد رأيتَ مع الدموع جدوبَهُ ... ـ فرطَ الزفيرِ ـ عجبتَ للراوى الصَّدى

---

(١) أمّ الفضائل : العلم . (٢) يشير الى قصائد المرثى التى نظمها . (٣) فى الأصل "التنود" . (٤) فى الأصل "رائقة" . (٥) التلدد : التحيّر . (٦) المغير المعضد : السهم يذهب فى الفور شمالا و يمينا . (٧) فى الأصل "تُسير" وفى القرآن الكريم "هو الذى يُرسل الرياح فتُثير سحابا" . (٨) فى الأصل "متسبب" .

لا غـــيَّرتك جَنائبٌ[(١)] تحت البــلى | وكساك طِيبُ البيت طيبَ المَلحدِ
وقَرُبتَ، لا تبعُــدْ، و إن علالةً | للنفس زورا قولتى لا تبعُــدِ

* * *

وكتب الى الصاحب أبى القاسم بن عبد الرحيم يهنئه بالنيروز وبعيد الفطر الذى اتفق معه، و بسلامته، وكان ورد قادما، ويذكر رسم خلعة شتوية أخرها عنه

حاشاك من عاريةٍ تُرَدُّ | ابيضَّ ذاك الشَّعَرُ المسودُّ
أشرقَ بازىٌّ على غرابه | حتى ذوَى الغصنُ ولان الجَعْدُ
أتعبنى بخاضبٍ مُصــدَّدٍ | لو كان من هُجُــومه يُصَــدُّ
وثالمٍ بلقطــه ثَنيَّــةً | معروفةً من يومها تُسَــدُّ
يصبغ ســوداءَ ودون أخذه | بيضــاءُ تَخفَى تارة وتَبــدو
أَخلقَ جاهى فى ذوات الخُمْرِ[(٢)] مذ | لِيثَ[(٣)] خمــارٌ لِىَ مُســتَجَدُّ
قلنَ[(٤)] — وقد عتبتُ فى وثائق | نقضنها[(٥)] — : ما غادةٌ وعهدُ
ناقَ بك الشيبُ بِطالاتِ الصِّبا | الليـــلُ هزلٌ والنهــارُ جِدُّ
فقلتُ : نصلٌ لا يُذَمُّ عِتقُهُ، | قلنَ : فأيــنَ الماءُ والفِرِندُ ؟
كان قناةً فغــدا حنيّةً | ظهرُك، ما القضيبُ إلا القَدُّ
سائل "بنى سعدٍ"، وأىَّ مأثمٍ | لم يتقلَّدْ منك ظلمــا "سعدُ" ؟
أهندُ قالت : ملَّنى، وحلفتْ ؟ | تحلَّلى حالفــةً يا "هنــدُ"
أَمْنُك بين أضلعى جنايةٌ | أعجبْ بهــا نارا خباها[(٦)] زَنْدُ !

(١) جنائب جمع جنوب وهى ريح تقابل الشمال . (٢) الخمر جمع خِمار وهو مثل النقاب .
(٣) ليث : لُفَّ . (٤) فى الأصــل " قلتْ " . (٥) فى الأصل " نقضتَها " .
(٦) خباها لغةٌ فى خبأها .

وعدُكِ لِمْ أُخْلِفَ[1] يومَ "بابلٍ"؟	بل كان سحرا وٱسمُــهُ لِى وعدُ
خصرُكِ ضعفا واللسـانُ مَلَقًا	دقًّا عليك أنْ يصحّ عَقدُ
ضاع الهوى ضياعَ من يحفَظُه	ومات مع أهــل الوفاء الودُّ
أُنْجُ ربيحَ العِرضِ وٱقعدْ نَجرةً[2]	منفردا، إن الحسامَ فردُ
كم مســتريحٍ فى ظلالِ نعمةٍ	وأنت فى تأميــله تَكُدُّ
طالك بالمــال ولو أريتَــهُ	صَــونا رآك مَعَهُ تُعَــدُّ
ملكتُ نفسى مذ هجرتُ طمعى	اليأسُ حُرٌّ والرجاءُ عبــدُ
ولو علمتُ رغبــةً تسوق لى	نفعا لَخِفتُ أن يَضُرَّ الزهدُ
جرَّبتُ أخــلاقَ الرجال فإذا	بسَمحِها مع السؤال نَكْدُ
ورمتُ أيديهــم بكلِّ رُقيــةٍ	تلين والأيدى معى تَشْتَدُّ
لم يُعِنِى فضــلٌ أداريهم به	وإنما أعيا علىّ الجَــدُّ
ما كان مَن شَعْشَعَ لى سرابَهُ	غَرٌّ فَمِى وقلتُ : ماءٌ عِــدُّ
فى الناس مَنْ معروفُهُ فى عنُقى	غُلٌّ ، وفيهــم مَن جَداه عِقدُ
مثلُ "الحسينِ" إن طلبتُ غايةً	فاتت، وهل مِثْــلٌ له أو نِدٌّ ؟
فات الرجالَ أن ينالوا مجــدَه	مشمِّرٌ للمجــدِ مســتعِدُّ
غَلَّسَ فى إثر العــلا وأشمسوا	لجــاء قبــلا والنجومُ بَعــدُ
ومن بنى " عبد الرحيم " قَمَرٌ	كلُّ لياليه تمــامٌ ســعدُ
ما نطفةُ المزنِ صفَت طاهرةً	أطيبُ ممّــا ضمَّ منــه البُرْدُ
لابنِهُ لا تُلفِ القضيبَ عاسيًا[3]	وٱصعُبْ بزاحمك ثقيلا "أُحْدُ"

(١) فى الأصل " خاف " . (٢) نَجرة : ناحية . (٣) عاسيا : يابسا .

من المحامين على أحسابهم بمالهم، فالفقرُ فيهم مَجْدُ
لا يتمنَّون على حظوظهم أن يجدُوا دنيا اذا لم يُجْدُوا
سخوا ولم تَبْنِ عليهم " طيٌّ " وفصُحوا ولم تلدهم " نَجْدُ "
كانوا الخيارَ وفَرَعْتَ زائدا، والنارُ تعلو وأبوها الزَّندُ !
يا مؤنسى بقربه سلْ وحشتى بعدَك : ما جرّ علىَّ البُعْدُ !
أكلَّ يومٍ للفراق فيكمُ تعمُّدٌ(1) يسوءنى أو قصدُ ؟
ما بين أن يَحْبُرَنى(2) لقاؤكم حتى النوى فنعمةٌ وجُهدُ
وكيف لا وأنتمُ فى نُوَبى يدٌ وظَهرٌ وفمٌ وعَضُدُ
ريشُ جَناحى بكمُ مُضاعفٌ وحبلُ باعى منكمُ ممتدُّ
كم تحملون كُلَفِى ثقيلةً كأنّ حَملى ليس منه بُدُّ
مبتسمين والثرى معبَّسٌ بيضَ الوجوهِ والخطوبُ رُبْدُ
قد فَضَلَتْنِى سَرَفا ألطافُكم لحسبكم ! لكلِّ شيءٍ حَدُّ
أبقُوا علىَّ إنما إبقاؤكم ذُخرٌ ليومِ حاجتى مُعَدُّ
شِيبُكمُ والنُّصَفاءُ منكمُ والغُرُّ من شبابكم والمُرْدُ
فى نجوةٍ أيدى الخطوب دونها بُتْرٌ(3) وأجفانُ الليالى رُمْدُ
أراك فيها كلَّ يومٍ لابسا ثوبا من النَّعماء يستجدُّ
يزورك الشِّعرُ به فى مَعرَضٍ منشِدُهُ يُحسبُ طيّا يشدو
وربما أذكرُ، ما أنساكَ من رسمى اتفاقٌ ساءنى لا عَمْدُ
سيفُكَ فى الأعداء لِمْ خلَّفتَهُ مجرَّدًا ليس عليه غِمْدُ ؟

(1) فى الأصل " تعمُّه ". (2) يحبرنى : يسرنى، وفى الأصل "يجبرنى". (3) بُتْرٌ جمع بتراء أى مقطوعة، وفى الأصل " تروا ".

وكيف طِبتَ أن يُرى فريسةً نفسًا وأيامُ الشتاء أُسْــدُ
يَحتشِمُ النيروزُ من إطلاله (١) والمهرجانُ يقتضيك بعــدُ

* * *

واتفقتْ للأستاذ الجليل أبى طالب محمد بن أيوبَ سَفرةٌ الى سُرَّمَنْ رَأَى وما يجاورها من البلاد لهفوةٍ لحقت الجَنَبَةَ (٢) التى يتعلّق بها، ومات أخوه وهو غائبٌ، ولحقته قُصودٌ من الزمان شُغِلَ عن التوجّع له فيها فكتب اليه

خليلُكَ مَن صــفا لك فى البعادِ وجارُك مَن أذمَّ على الودادِ
وحظُّك من صــديقك أن تراه عدوًّا فى هواك لمن تعادى
وربَّ أخٍ قَصِىِّ العِــرق فيه سُــلوٌّ عن أخيك من الوِلادِ
فلا تغــررْك ألسنةٌ رطابٌ بطائنهنّ أكبادٌ صَــوادى
وعش إمّا قرين أخٍ وفىّ أمينِ الغيبِ أو عيشَ الوحادِ
فإنى بعــدَ تجــربتى لأمرى أنستُ ولا أغشّك بانفرادى
تريدُ خــلائقُ الأيّام مكرا لتُغضِبَنى (٣) على خلُــق وعادى
وتغمـــزنى الخطوبُ تظنُّ أنى ألين على عرائكها الشِّدادِ
وما "شهلانُ" تشرف قُنَّتاه بأحمَلَ للنـــوائب من فؤادى
تغـــرَّبُ فى تقلُّبها الليــالى علىّ بكلّ طارقـــةٍ نآدِ (٤)
اذا قلتُ: اكتفت منى وكفَّتْ نزتْ بالداء ثائرة العِــدادِ
رعَى سِمنُ الحوادثِ فى هُزالى كأنّ صلاحَهن على فسادى
فيوما فى الذخيرة من صــديق ويوما فى الذخيرة من تِلادى

---

(١) الإطلال : إهدار الدم . (٢) الجنبة : الناحية . (٣) فى الأصل : " لتعصينى " .
(٤) النآد : الداهية .

يذمُّ النـــومَ دون الحرص قومٌ ... وقلتُ لرقدتى عنـه : حَمَـادِ(١)

وما كان الغِنَى إلا يســيرا ... لو آنّ الرزقَ يبعثـــه آجتهادى

وضاحكةٍ الى شَـــعرٍ غريبٍ ... شُكِمْتُ به فأسلس من قيادى

تَعُــدُّ سِنِيَّ تَعجَبُ من بيـاضى ... وأعجبُ منه ـ لوعلمتْ ـ سوادى !

أمانٍ كلَّ يــومٍ فى آنتقاصٍ ... يساوقُهنّ همٌّ فى آزديادِ

وفُرقـــةُ صاحبٍ قَلِقِ المطايا ... به قَلَقُ المــدامعِ والوسادِ

تُخفِّضُ بعــدَه الأيّامُ صـــوتى ... على لَسَنِي(٢) وتَخفِضُ من عمـادى

وتُخمِدُ عن ضيوف الأنس نارى ... وكنتُ بقــربه وارى الزنادِ

أقيمُ ولم أقمْ عنـــه لِمُسْلٍ ... ويرحَـــلُ لم يَسِرْ منّى بزادِ

كأنّا إذ خُلقنـا للتصـافى ... خُلقنـا للقطيعـــة والبعـادِ

أرى قلبى يطيش اذا المطـايا ... الى الرابين ياسَرهنَّ حادى

ولم أحسب "دُجَيلا"(٣) من مياهى ... ولا أنّ "المَطيرةَ"(٤) من بلادى

ولا أنى أبيت دعاى يحـــدو ... الى "تكريتَ"(٥) ساريةَ الغوادى

ومن صُـعَداء أنفاسى شِرار ... تمـــرُّ مع الجَنوب بها تنادى :

أأحبـابى أثار البينَ بينى ... وبينكمُ مساخَطةُ الأعادى

سقت أخلاقُكم(٦) عهــدى لديكم ... فهنّ به أبرُّ من العِهـادِ

ورُدَّ علىَّ عنـــدكُمُ زمانٌ ... مَجـــودُ الروضِ مشكورُ المَرادِ

أصابت طيبَ عيشى فيـه عينى ... فقـــد جازيتُها هجـــرَ الرقادِ

---

(١) يقال حَمَاد له كقَطَام بمعنى حمدًا له وشكرًا . (٢) اللَّسَنُ : الفصاحة . (٣) دجيل : اسم نهير . (٤) المطيرة : اسم قرية من نواحى سامراء وكانت من متنزهات بغـداد وسامراء . (٥) تكريت : اسم موضع . (٦) فى الأصل " أخلاقكم " .

فلا تحسب ـ وظنُّك فىّ خيرا ـ … بقاىَ ـ وأنت ناءٍ ـ من مُرادى

ولا أنّى يسُرُّ ســوادَ عينى … بما عُوِّضتُ من هــذا السوادِ

وكيف وما تَلُفُّ المجـدَ دارٌ … نأتْك، ولا يَضُمُّ الفضـلَ نادى

فإن أصبرْ ـــ ولم أصبر رُجوعا … الى جَــلَدٍ ولم أحمل بآدِ[1] ـــ ،

فقـد تُحنَى الضلوعُ على سَقامٍ … وقد تُغضَى الجفونُ على سهادِ

وكنتُ ، وبيننا إن طال ميلٌ … وإما عرضُ "دجلة" وهى وادى ،

اذا راوحتُ دارَك لجَّ شــوقى … فلم يُقنِعه إلا أنــ أُغادى

فكيف وبيننــا للأرض فَرْجٌ … يماطِل طُــولُه عنَقَ[2] الجيــادِ !

ومعترِضُ "الجزيرة" والخوافى … من "القاطول[3]" تلمع والبوادى

وُفودٌ من مطايا المـاءِ[4] ســودٌ ، … روادفُها تطول على الهــوادى

اذا كنّ الليـالى مقمــراتٍ … فراكبُهنّ يخبِــطُ فى الدَّآدى[5]

لهنّ من الرياح الهــوجِ حادٍ … ومن خُلُجِ[6] المياه العوجِ هادى

اذا قمصت على الأمواج خِيلتْ … على الأحشاء تقمِصُ أو فؤادى

فهل لى أن أراك وأنــ ترانى … وهل من عُدَّتى هى أو عَتــادى ؟

سأنتظر الزمانَ لهــا ويــوما … يطيل يدَ الصديق على المعــادى

ظمئنا بعــدكم أسفا وشــوقا … كما جِيــدتْ[7] بكم يُبْسُ البلادِ

لعل "محمدا" ذكَرتْه نُعمَى … ترانى ناسيا فيــه آعتقــادى

---

(١) الآد : القوة ، وفى الأصــل "نآدِ" . (٢) العنق : ضرب من ضروب الســير .

(٣) القاطول : اسم نهر مقطوع من دجلة حفره هارون الرشيد وبنى على فوهته قصرا وسماه "أبا الجند" لكثرة ما كانــ يسق من الأرضين وجعله لأرزاق جنــده .

(٤) مطايا المـاء : السفن .

(٥) الدآدى جمع دأداة وهى آخر ليال الشهر المظلمة وقد تقــدمت .

(٦) خلج جمــع خليج .

(٧) جيدت : أصابها مطر جَوْدٌ .

وعـــل الله يجبرُ بالتـــدانى كسيرةَ قانطٍ، حَسْبُ التمـادى

وأقربُ ما رجوتُ الأمرَ فيـه على الله آعتمادُك وآعتمادى

فلا تعدَم ـ ولا يعدَمْك ـ خلّا متى ما تعْـدُهُ عنك العـوادى

يُزرْك كـرائمـا متكفِّلاتٍ بجمع الأُنس قيــل له : بَدادِ (١)

نواحبَ (٢) فى التعـازى والتشاكى حبائبَ للتهـانى والتبـادى

طوالعَ فى ســوادِ الهم بيضـا طلوعَ المكرماتِ أو الأيادى

اذا جرَّتْ ذلاذلَهـا " بجــوٍّ " تضوَّع حاضرٌ منـــه وبادى

لهـا فعلُ الدروع عليك صونا وفى الأعداء أفعـالُ الصِّعادِ

ربَتْ يا "آلَ أيوبٍ" وأَثَّتْ (٣) رُباىَ بكم على السَّنَةِ الجمـادِ

فهـــل رجلٌ يدُلُّ اذا عَدِمتم على رجلٍ وفىٍّ أو جـوادِ

ومَن أخذَ المحاسنَ عن سـواكم كمن أخذَ المناسبَ عن "زيادِ"

⁂

وكتب الى الأستاذ الجليـل أبى سعد محمـد بن الصاحب الأجلّ أبى القاسم آبن عبد الرحيم يهنّئه فى النيروز وهى أوّل ما عمل فيه

سلمتِ ـ وماالديارُ بسالمـاتٍ ـ على عنَت البـلى يا دارَ "هندِ"

ولا برِحتْ مفوَّفةُ الغـــوادى تُصيب رباكِ من خَطَإٍ وعمـدِ

بموقظـــةِ الثرى والتربُ هادٍ (٤) ومُجـــدِيةِ الحيا والعـامُ مُكدى

على أنى متى مطـــرَتْك عينى ففضلٌ ما سقاكِ الغيثُ بعدى

أميـلُ اليكِ يجـذبنى فـؤادى وغيرُكِ ـ ماآستقامَ السيرُ ـ قصدى

---

(١) بدادِ كقطام بمعنى تبدَّدْ . (٢) فى الأصل "نوائب" . (٣) اثّت : كثر نباتها والتفّ .

(٤) يريد " هادئ " بمعنى ساكن .

وأُشفق أن تبدِّلك المطايا بوطأتها كأنَّ ثراكِ خدّى
أرى بك ما أراه فمستعيرٌ حشاى وواجدٌ بالبين وجدى
وليتك إذ نحلتِ نحولَ جسمى بقيتِ على النحول بقاءَ عهدى
وما أهلوكِ يومَ خلوتِ منهم بأوّلِ غدرةٍ للدهر عندى
سلى الأيام ما فعلت بأنسى وعيش لى على "البيضاء" رغدِ ،
وفى الأحداج عن رشإ حبيبٍ على لونيه من صلةٍ وصدٍّ
يماطلُ ثم يُنجِزُ كلَّ دَيْنٍ ولم ينجز "بذى العلمين" وعدى
تبسّم "بالبراق" وصاب غيث فلو مُلِكَ الفداءُ لكنتُ أفدى ،
ثناياه وفاه ولا أغالى بما فى المزن من برقٍ وبَرْدِ
ألَا مَن عائدٌ ببياض يومٍ لعينى بين "أحناء" و"صمدِ" ؟
وعينٍ "بالطُّوَيلع" بارزاتٍ على قسماتهنّ حياءُ "نجدِ" ؟
نظرنَ — فما غزالتُه؟ — بلحظٍ ومِسْنَ — فما أراكتُه؟ — بقدِّ
وبلهاء الصِّبا تبغى سقاطى اذا حلّتها هزلتْ بجِدّى
تَعدُّ سنىَّ تعجَبُ من وقارى ولم يجتزْ مراحَ العمر عَدّى
فما للشيْب شدَّ علىّ ركضا فطوّح بى ولم أبلغ أشُدّى !

* * *

يعيّرنى ولم أره شانى[1] ، تنبه حظّه بخمول جَدّى
وودَّ على غضارة[2] حُلّتيه مكانَ الرقع من أسمال بُردى
وما ورقُ الغنى المنفوضُ عنّى بعُمرٍ من حُسام المجدِ غمدى
حملتُ — وليس عن جَلَدٍ بقلبى — حُمولَةَ واسع الجنبين جَلْدِ

(١) شانى : سبقنى . (٢) الغضارة : النضارة ، وفى الأصل "غضاضة" .

تبادهني النـــوائب مستـفزّا ... فأدفعها بعـــزمةٍ مســتعِدّ
يزِلُّ الخوفُ عن سكَنات قلبي ... زليلَ الماءِ عن صفحاتِ جِلدى
دعِ الدنيـا تَرِفُّ على بنيهـا ... وتُجلِبْ بالجفـاء عليّ وحدى
وفِرْ[1] أموالَهم تنمـــو وتزكـو ... فليس كنوزُها ثمنـا لحمـدى
امـل حـــوائل الآمال فيهـم ... تُطَرَّقُ من " أبى سعدٍ " بسعدِ
فتى عَقَـدتْ تمائمُـه فطيما ... على أُكرومةٍ ووفاءِ عَقـدِ
وربّتـه على خُلُق المعـالى ... غرائزُ من أبٍ عالٍ وجَدِّ
فما مجَّت له أُذُنٌ ســؤالا ... ولا سمحتْ له شَـفَةٌ بردِّ
اذا آخضرّت بنـانُ أبٍ كريم ... فصِبغتُها الى الأبنـاء تُعـدِى
تطـاولَ للكمال فلم يفُتْـهُ ... على قُربِ الوِلاد مكانُ بُعدِ
وتمّ فعلَّق الأبصـارَ بدرا ... ولم يَعلَقْ له شَـــعَرٌ بخـدِّ
رآه أبوه — وآبن الليث شبل — ... لسَــدَّةِ ثُغـرةٍ وهو آبن مَهـدِ
فقـال لحاسـديه : شقِيتُمُ بى ... وهـذا آبنى به تَشقَوْنَ بعـدى
جَرَى ولداتِه فمضى وكدُّوا ... لو آنَّ الريحَ مُدْرَكَةٌ بكدِّ
اذا سـبروه عن عَوصاءَ أدلَى ... بهـا فنجَا على غَرَرِ التحدّى
دَعُوا دَرَجَ الفضـائل مزلِقاتٍ ... لمـاضٍ بالفضـائلِ مستبِدِّ
وما حسدُ النجومِ على المعـالى ... ـولوذابَالحصاحسدا ـ بمُجدى
" أبا سعدٍ " ولو عثروا بعيبٍ ... مشوا فيـه بحقٍّ أو تعـدّى
وقد تسرى العيوبُ على التصافى ... فكيفَ بهـا على حَنَقٍ وحِقـدِ
ولكن فتّهم فنجوتَ منهـم ... نجـاءَ اللحنِ بالخصمِ الألدِّ

---

(١) فر : صن أو كثّر .

وملَّكَكَ الفخارُ فلم تنازَع بقُلٍّ فى النـدىّ ولا بحَشْـدِ
أبٌ لك يُلحِمُ العلياءَ طولا وخالٌ فى عِراص المجـد يُسدِى
ولم يعدِلْ أبا لك "يعرُبيًّا" زميلٌ مثلُ خالك فى "معَـدٍّ"
جزيتُك عن وفائك لى ثناءً يودّ أخى مكانَك فيـه عنـدى
ولولا الودُّ عزّ عليك مدحى ولولا الفضـلُ عزّ عليك ودّى
بنى "عبد الرحيم" بكم تعالت يدى ووَرى على الظلمـاء زَندى
وإن أودَى "بنيسابور"(١) قومى لجَـدُّكُمُ من الأملاك جدّى
وأصدقُ ما محضتُ القومَ مدحى اذا ما كان مجـدُ القوم مجـدى
تُفاعِينى(٢) لتُرديَنى الليالى فأذكركُم فتنهسُنى بدُرْدِ
وأزحَمُ فيكُمُ نكباتِ دهرى بعصبةِ "غالبٍ" وبنى "الأشدِّ"
لذلك، ماحبوتكُمُ صفايا ذخائرُ خيرُ ما أحبو وأهـدى
طوالعُ من حجابِ القلب، عفوى بهنّ يبُـذُّ غايةَ كلِّ جُهدِ
تجوبُ الأرض تقطعُ كلَّ يوم مدَى عامين للسارى المُجِدِّ
يرِينَ(٣) - وبعدُ لم يُورِين - حسنا كأنّ سطورَهن وُشـوعُ بُرْدِ
اذا روَّت رجالَكُمُ كهولا سأرنَ(٤) لصبيةٍ منكم ومُردِ
ولولا كم لما ظفرت بكفءٍ يسُرُّ ولا سعت قدما لرشـدِ
ولكن زفّها الأحرارُ منكم فما أشقيت حرّتَها بعبـدِ
فَضَلتم سؤددا وفضَلتُ قولا فكلٌّ فى مداه بغير ندِّ
بكم خُتم الندَى وبىَ القوافى بقيتم وحدكم وبقيتُ وحدى

---

(١) فى الأصل "بنوسابور". (٢) تفاعينى: تداهمنى كالأفعى. (٣) يرين: يضئن من ورى الزند يرى. (٤) سأرن: أبقين من السؤر وهو البقية من الماء.

* * *

وكتب الى أبى الحسين أحمد بن عبد الله ، الكاتب وهو أحد الرؤساء المشهورين، وقد آنحدر الى واسط مستدعًى للنظر، يتشوق أيامَ آجتماعه، ويستوحشُ لبعده ، ويذكُر ما يرجوه له من آستقامة الأمر، ويهنّئه بعيد الفطر سنة آثنتى عشرة وأربعمائة

تَظُنُّ ليالينا عُوَّدا ... على العهد من "بُرقَتَىْ ثَهمَدا" ؟

وهل خبرُ الطيفِ من بعدهم ... اذا طاب يصدُقُك المَوعِدا ؟

وياصاحبِى، أين وجهُ الصباح؟ ... وأين غدٌ ؟ صِفْ لعينى غدا

أسدُّوا مَسارحَ ليل "العرا ... ق" أم صبغوا فجرَه أسودا

وخلفَ الضلوعِ زفيرٌ أبَى ... وقد بَرَدَ الليلُ أن يبرُدا

خليلىَّ، لى حاجةٌ ما أخفَّ ... "برامةَ" لو حَمَلتْ مُسعِدا

أريدُ لِتكتمَ وآبنُ الأرا ... ك يفضحُها كلّما غرَّدا

و"بالرمل" سارقةُ المقلتيـ ... ـن تَكحُل أجفانَها المِروَدا

اذا هُصِرتْ هُصرتْ بانةً ... وإن سئلتْ سئلتْ جَلمدا

أُحبّ وإن أخصبَ الحاضرون ... ببادية الرمل أن أخلُدا

وأهوى الظباءَ لأمّ البنينَ ... بما تُشبهُ الرشأَ الأغيدا

وعِينًا يردنَ لصابِ (١) "الغوير" ... بأنقعَ من مائه للصدَى

فليت — وشَيْبى بحامِ (٢) العذارِ — ... زمانَ "الغضا" عاد لى أمردا

ويا قلبُ قبلَك ضلَّ القلو ... بُ لوكنت أملك أن تُنشَدا

---

(١) لصاب جمع لصْب وهو مضيق الوادى ، و يقال : "أعذب من ماء اللصاب" . (٢) حام آبن نوح وهو أبو السودان وذكرُه هنا كناية عن السواد .

أرى كبدى قُسِـمتْ شُقّتين — مع الشـوق غَوّر أو أنجـــدا

" فبالنّعف " ضائعـــةٌ شُعبةٌ — وأخرى " بَمِيسانَ " ما أبعــدا !

وما خانَ لى " واسطا " عُقْلةٌ[1] — تعـــلّم نـــومِىَ أن يَشرُدا

ولا أننى أستشمّ الجَنـــو — بَ أطيبَ ريحِىَ أو بَـــردّا

وأطـــرحُ منحـدِرا ناظرى — لهـا أبتـــغى رفدَها المُصعِدا

وأحمَـــدُ من نشرِها أنه — اذا هبّ مثّل لى " أحمـدا "

ولا كنتُ قبلَكِ فى حاجـةٍ — لتحمِلَ عُنْـــقى لريح يـدا

أسالكَ " دجـــلةَ " تجرى به — محايدةٌ مـــوجَها المُـــزبِدا ،

صُهابيّــةُ اللـون قاريّةٌ — تخـالف صبغتُها المـولدا

تَجِن وما سمعتْ فى الظلا — م غـــيرَ غناء النّـواتى[2] حُـدا

لها رَسَنٌ فى يمين الشّمال — اذا ضــل قائفُ[3] أرض هَدَى

تحمّلْ — سلمتَ على المهلكاتِ — وساقَ لك اللهُ أن تَرشُدا — ،

رسائلَ عنّى تُقيــم الجُمُــوحَ — وتســتعطف العُنُقَ الأصيدا

أجيرانَنـا أمسِ جار الفـــرا — قُ بينى وبينكُمُ وآعتـــدى

جفا المضجَعَ السَّبْطَ جنبى لكم — مُحافَظــةً ونــفَى المَــرقَدا

وأوحشـــتُمُ ربعَ أُنسى فعاد — يُهــدّم بانيــهِ ما شَــيّدا

وفاجأنى بينُكُمْ بغتــةً — ولم آك للبين مســتعدِدا

ففى جَسدى — ليس فى جُبّتى — نوافــذُ ما ســلّ أو سَــدّدا

تمنتك عيـــنى وقلبى يَـــراك — بشوقىَ — حاشاك أن تُفقَدا —

---

(١) فى الأصل " عقله " . (٢) النواتىّ جمع نوتىّ وهو الملّاح . (٣) القائف : الذى يعرف الأثر .

كأنّىَ سُرعةَ ما فُتَّنى عدِمتُك من قبلِ أن تُوجَدا

لئن نازعتْنى يدُ الملك فيك فلم أستطع بدفاعٍ يدا،

لحظٌّ عساه — وإن ساءنى — يكون بما سرَّنى أعوَدا

دعوك لتعدلَ مَيْلَ الزمانِ ويُصلحَ رأيُك ما أفسدا

يسومون كفَّك سَبْرَ الجراح وقد أخذتْ فى العظام المُدَى

سيُبصر مستقرِبا من دعا ك موضعَ تفريطه مُبعَدا

ويعلم كيف آنجفالُ[1] الخطوب اذا سُلَّ منك الذى أُغمِدا

وإن كان منكِبُه منجِبا درى أىَّ صَمصامةٍ قُلِّدا

وقبلك لو أثلتَ الفرقدين خابطُ عشوائهم ما آهتدى

ولما رأوك أمام الرعيل ألقَوا الى عنقك المِقوَدا

وأدنَوا لحمل المهمّات منك بَزلاءَ[2] عجلزةً[3] جلعَدا[4]

اذا ثقُلَ الحِملُ قامت به وإن ظَلعتْ نهضتْ أجلدا

تكون لراكبها — ما آستقام دون خِطار الفيافى — فِدَى

وتُضحى على الخِمس لا تستريب عَجرفةً أن ترى المَوردا

تُطيعُ اللسانَ فإن عوسرتْ أثاروا بها الأسَدَ المُلْبِدا

اذا ما الفتى لم تَجِدْ نفسُه بهمّتها فى العلا مَصْعَدا،

سوى غلَطِ الحظِّ أو أن يُعَدَّ فى قومه نَسَبا قُعدُدا[5]،

فلله أنت آبنُ نفسٍ سمتْ لغايتها قبلَ أن تُولَدا

اذا خُيِّر آختار إحدَى آثنتين إمّا العَلاء وإما الرَّدى

(١) الانجفال: الهروب بسرعة. (٢) البزلاء: الناقة المسنة. (٣) العجلزة: الناقة الشديدة. (٤) الجلعد من الإبل: الصُّلب الشديد. (٥) القعدد: البعيد الآباء من الجد الأعلى.

كأنى أراك وقد زاحموا ... بك الشمسَ إذ عزلوا الفرقدا
وخاطوا[1] النجومَ قميصا عليك ... ولاثوا السحابَ مكانَ الرِّدا
وصانوك عن خرقٍ فى الحلى ... ـفلوًّا طلىَّ خيلك العَسجدا
وان أخلَق الدهرُ ألقابَهم ... بما كرّ منها وما ردَّدا ،
رضُوا بآختيارِىَ أن أصطفى ... لك اللّقَبَ الصادقَ المُفرَدا
فكنَّيتُ نفسَك : أمَّ العلاء ... وسمّيتُ كفّك : قطرَ النَّدى
وهل سمعوا فى آختلاف اللغات ... بلجَّة بحرٍ تُسمَّى يدا !
مُنّى فيك بأتْ يدى منذُ شمْـ ... ـتُ عارضَها المُبرقَ المُرعِدا
فَتَمَّ فراغُ عهودى فقد ... أمِنتُك من قبلِ أن تَعهَدا
فلا ترمِينَّ بحقّى ورا ... ء ظهرِ النسيئة مُلقًى سُدى
ولا يَشغَلَنّكَ عِزُّ الوُلا ... ة عن حُرُماتى وبعدُ المَدَى
فليس الوفىُّ المُراعى القريبَ ... ولكنّه من رَعَى الأبعدا
تحلّيتُ طَعمةَ عيشى المريـ ... ـر يومَ لقيتُك مسترغِدا
وأيقنتُ أن زمانى يصيـ ... ـر عبدِىَ مذ صرتَ لى سيِّدا
وأصبح من كان يقوى عَلَىَّ ... وغايتُه فىَّ أن يَحسُدا
وقد كنتُ أصعبَ من أن أصا ... دَ رأسا وأعوزَ أن أُوجَدا
اذا آستام ودِّىَ أو مدحتى ... فتًى رام أخنسَ[2] مستطرِدا
يفالتُ قَطْعا حبالَ القنيصِ ... يَرَى كلَّ موطنه مَشرَدا
فآنستنى بمديح الرجال ... وذلّلتنى لقبول الجَدا

---

(١) فى الأصل "وخاطرا" . (٢) الأخنس : الأسد ، وفى الأصل "أخيس" .

ولو راض خلقُك لؤمَ الزمان لعلّمه المجدَ والسؤددا
فما أمكنَ القولُ فاسمع أُزرْك قوافِيَ بادئةً عُوَّدا
قواضيَ حقّ الندَى والودا دِ مثنًى تؤمك أو مَوْحَدا
اذا أكلَ الدهرُ أعواضَها[1] من المال عمّرَها سرمدا
لو آستطاع سامعُ أبياتها اذا قام راوٍ بها منشِدا،
لصيَّر أبياتَها سُبحةً ومثَّلَ قِرطاسَها مَسجِدا
مهنِّئةً أبدا من علاك بما استأنف الحظُّ أو جدّدا
وبالصوم والعيدِ حتى تكو نَ آخرَ من صام أو عيَّدا
وحتى تُرَى واحدا باقيا كما كنتَ فى دهرنا أوحدا

* * *

وكتب الى الصاحب أبى القاسم بن عبد الرحيم، وهو مقيم بواسط فى النيروز، يجزيه على عادة الإتحاف ويتشوّقه، وقد آتفق ذلك فى عشر عيد النحر

أخْلَقَ الدهرُ لِمّتِى وأجدّا شَعَراتٍ أريننى الأمرَ جِدّا
لم يزلْ بى واشى الليالى الى سمـ ـع معير الشباب حتى آستردّا
صِبغةً كانت الحياةَ فما أفـ ـرُقُ أودَى دهرى بها أو أردَى
يا بياض المشيب يغْنِى بأيّا مك ليلا نضوتَه مسوَدّا
يا لها سرحةً تَصاوَحُ تَنّو مًا[3] وعهدى بها تَفاوَحُ رَندا
لم أقل قبلها لسوداءَ: عطفًا وآقترابا، ولا لبيضاءَ: بُعدا
عدّتِ الأربعون سنّى تمامى وهى حلّت عُراىَ عقدا فعقدا

---

(١) أعواض جمع عوَض وهو الخلف والبدل. (٢) فى الأصل "لى". (٣) التنّوم واحدته تنومة وهي شجرة يضرب لون ورقها الى السواد.

بَانَ نَقْصِى بأنْ كَمُلْتُ وأحسســـ ـــت بضُعفى لمّا بلغتُ الأشُـــدّا
رجعتْ عـــنّىَ العيونُ كما تر جِعُ عن حاجب الغــزالة رُمْدا
ليت بيْنا "بالخَيْف" أمسِ آستضفنا ه قَـــرانًا ولو غَـــراما ووَجْـــدا
وسـقاةً عـــلى القليب آحتسـابا عوّضـــونا اللّى شِـــفاءً وبَـــرْدا



راح صحبى بفـــوزة الحجّ يحـــدو نَ، وعنسى باسم البخيلة تُحدَى
ولحاظى مقيَّـداتٌ "بسـلع" فكأنّى أضللتُ فيـــه الجَنْـــدَا
ربَّ ليلٍ بين "المُحصَّب" و"الخَيْـ ـف" لبســـناه للخلاعـــة بُـــرْدا
وخيامٍ بسَـــفح "أُحْدٍ" على الأقـ ـمار تُبْنَى، فحىَّ يا رب "أُحْدَا"
لا عـــدا الرَّوْحُ فى "تهامةَ" أنفا سًا اذا آستُرِوحتْ تمنّيتُ "نجدا"
وأعانَ الرقادُ حَـــيْرَةَ طَـــرفٍ لم يجِـــدْ فى الطّلاب يقظانَ رُشْدا
نمتُ أرجو "هنـــدا" فكلّ مثالٍ خَيَّلَتْ لِى الأحلامُ إلّا "هنـدا"
عَجبًا لى ولأبتغائى مَـــودّا تِ ليـالٍ طباعُهـا لِىَ أعـــدَا(١)
نطَقَتْ فى نفوســـها وتعفّفـ ـتُ، فمـا وُدُّ من يَرَى بك صدّا
أجلبتْ(٢) جِلدتى عريكةُ دهرى فـــرمَى بى وقام أملَس جِلْدا
كلّ يـــومٍ أقـــولُ : ذمًّا لعيشى فاذا فاتنى غـــدًا قلتُ : حَمْـــدا
زفراتٌ عـــلى الزمانِ اذا آستبـ ـردتُ منها تنفُّسا زدنَ وَقْـــدا
يا لحَظِّى الأعمى أما يتلـــقّى قائدا يبتـــغى الثـــوابَ فيُهْـــدَى!
يا زمانَ النفاقِ ما لك زاد اللهُ بيـــنى وبينَ أهلك بُعـــدا
مَن عذيرى من صحبة الناس ما أخـ ـفَرَها ذمّـــةً وأخبثَ عهـــدا
كم أخٍ حائم مـــعى واصـــلٍ لى فاذا خَلَّفتْ بـــه الحـالُ صـــدّا

---

(١) يريد أعداء . (٢) أجلبت : تركت عليها جُلبَة وهى القشرة التى تعلو الجرح .

وصــديقٍ سَبْطٍ وأيّامــه وُسْـ ـطَى فلمّا انتهتْ تقلّصَ جَعْـدا

ليتــه غـيرَ منصِـفٍ لِيَ إســما دا عــلى الدهر منصفٌ لِيَ وُدّا

واذا لم تَجِــدْ من الصـبر بُدًّا فتعــزّلْ وَجِدْ من النـاس بُدّا

يدفع اللهُ لى ويَحمى عن "الصا حِبِ" فَـردا كما وَفَى لِيَ فـردا

أَجِنَتْ(١) أوجــهُ الرجالِ فما أنـ ـكَرْتُ من بِشر وجهِه العـذبِ وِرْدا

كيفما خالَفتْ عِطاشُ أمانيـ ـنا اليــه كان النميرَ العِــدّا(٢)

مَلَكَ الجــودُ أمرَه فحــديث الـ ـمال عن راحتيه : أعطَى وأجـدَى

زد بلحـاجا اذا سألتَ وإلحـا حا عليــه يزِدْك صــبرا ورِفْدا

لا تَرَى — والمياهُ تُعطى وتُكدِى — حافــرًا قطّ فى ثــراه أكدَى(٣)

كلمـا عرَّضَتْ له رغبــةُ الدنـ ـيا توانى عنها عَفافا وزُهــدا

كثَّر النـاسُ مالَهـا ، واقتناها سِيَرًا تَشرف الحــديثَ وحَمْــدا

لحقتْــه بغـاية المجــد نفسٌ لم تحــدَّد فضـلا فتبلغ حــدّا

عــدّت الفقر فى المكارم مُلكا وفَنـاءَ الأيّام فى العــزّ خُــلدا

وأبٌ حَــطَّ فى السماء ولو شا ء تخطّى مكانَهـا وتعــدّى

من بهـاليلَ أنبتوا ريشة الأر ضِ وربُّوا عِظامَهـا والجِــلْدا

أرضعتْهـا أيديهــمُ دِرَّة الخصـ ـب فــروَّت تِلاعَها والوُهْــدا

بين "جَمٍّ"(٤) منهمُ و"سابورَ"(٥) أقيا لٍ(٦) يعـــدُّون مَـولد الدهر عَــدّا

لهــمُ حاضرُ الممالك إن فا خــر قومٌ منها بقفرٍ ومَبــدَى(٧)

---

(١) أجنت : صارت آجنــة أى متكدرة متغيرة . (٢) النمير العــد : الزاكى الكثير .

(٣) أكدى من قولهم : أكدى الحافر أى بلغ الكدا وهى الأرض الصلبة وقد تقدم . (٤) جَم : اسم أحد ملوك الطبقة الأولى من الفرس وتاريخه من أعجب التواريخ وفى الأصل "خم" . (٥) سابور : اسم أحد الأكاسرة . (٦) أقيال جمع قيل وهو الملك من ملوك حمير . (٧) المبدى : البادية .

أخــذوا عُذرةَ الزمانِ وسدُّوا فُرَجَ الغِيــلِ(١) يقنصون الأُسْدا
ســـيَرُ العــدلِ فى مآثرهــم تُر وَى وحسنُ التــدبير عنهــم يؤدَّى
واذا آغبرّت السنونَ وأبدَى شَـعثُ الأرض وجهَها المُــربَدَّا
طـردوا الأَزْلَ(٢) بالــثراء وقامــوا أثرَ المحــلِ يخلفون الأنْدا(٣)
تُوِّجوا مُضغةً، وساد كهولَ الـ نــاس أبناؤهـــم شـــبابا ومُردا
عــدَّد الدهرُ ســيدًا سيدًا منـ ـهم وعدَّ «الحسينَ» جَدًّا بجَدّا
حَبَسَ النـاسَ أن يُجاروك فى السؤ دُدِ تعريجُهم وسَــيْرُك قَصــدا
ووقَى المُلكَ زَلّةَ الرأى أن صر تَ بتــدبير أمرِهِ مســتبِدّا
لك يومٌ عنــه مِرَاسٌ مع الحــر بِ يردُّ الســوابقَ الشُّــعْرَ(٤) جُرْدا
تركبُ الدهرَ فيــه ظَهرا الى النصـ ـر وتستصحبُ الليـاليَ جُنــدا
وجــدالٌ يوما ترَى منك فيــه فِقَــرُ الوافــدين خَصْما ألَدّا
كلَّ عَوصـاءَ يسبِق الكَلِمُ الهــدَّ ارُ فى شــوطها الجــوادَ النَّهْــدا(٥)
أنا ذاك الحــرُّ الذى صــيَّرتْه لك أخلاقُــك الســواحرُ عبــدا
مُعلَقٌ من هواك كفِّى بحبــلٍ لم يــزده البعادُ إلا عَقْــدا
ملَكَ الشــوقُ أمرَ قلبي عليــه مذ غــدا البينُ بيننا ممتــدَّا
أشتكى البعدَ وهــو ظلمٌ ولــولا لذّةُ القــربِ ما أَلِمتُ البُعــدا
ليت من يحملُ الضعيفَ على الأخـ ـطارِ ألــقَى رَحلى اليــك وأدَّى
فــتروت عيــنى ولو ساعــةً منـ ـك، فإنى من بعدها لا أَصْدَى
وعــلى النأىِ فالقــوافى تحيّـا تُك منّى تسرى مَراحا ومَغْــدَى

(١) الغيل: عرين الاسد . (٢) الأزل: الضيق والقحط . (٣) يريد الأنداء جمع ندى .
(٤) الشُّعر جمع أشعر وهو ضد الأجرد . (٥) النّهد: الفرس الحسن .

كلّ عذراء تفضَح الشمسَ فى الصبـ ـح وتُـورِى فى فحمة الليـل زَندا
لم تُدنَّس باللمس جسما ولم تَصـ ـبُغْ لها غَضّـةُ اللواحـظ خدّا
أرِجاتُ الأعطافِ مُهـدّى جَناها لك يهـدِى الى الربيع الوَرْدا
فتلقَّ السـلامَ والشوقَ منها ذاك يُشكَى وذا يطيبُ فيُهـدَى
والْبَسْ جيـدَ النيروز منها بطوقيـ ـن وفصِّـل لليلة العيـدِ عِقْـدا
وتسـلَّم من الحوادث ما كـ ـرّ علـى عَقْبـه الزمانُ وردّا
ما أبالى اذا وجـدتُك مَنْ تَفـ ـقِدُ عينى ـ لا أبصرتْ لك فقدَا ـ

* * *

وكتب الى ربيب النّعمة أبى المعمّر بن الموفّق يهنّئه بعيد الفطر

اذا قُطمتْ قَـرارةُ كلِّ وادى فدرّتْ «باللوى» حلَمُ[1] الغوادى
ومرّت تهتـدى بالريح فيـه مطايا الغيثِ مثقَـلةَ الهوادى
ففُتِّحتِ الرُّبا خـدّا وسُـدَّت بشكر المزن أفـواهُ الوهـادِ
أناديـه وتَنشُـدُه المغانى ولكن لا حياةَ لمن تُـادى
وما أرَبِى الى سُقيا ربـوعٍ لها من مقلتى سارٍ وغادى
حملتُ يدَ السحاب الجَوْن[2] فيها واسـتُ معوّدا حمـلَ الأيادى
ولو بكت السماءُ لها وجفـنى تيقَّنتِ البخيلَ من الجـوادِ
ضممتُ «بمَسْقَطِ العَلَمَيْن» صحبى وقد صـاح الـكَلالُ بهم : بَدادِ
على أرَجِ الـثرى لما ضـللنا تضوَّعَ منـه فى الأنفاس هادى

---

(١) حلم جمع حلمة وهى الثؤلول فى وسط الثدى يُمتصّ منه الحليب وهى هنا مجاز. (٢) الجون: الأسود.

وقد سـقط السُّرى والنجم هاوٍ عيون الركب فى حـطّ الرقادِ (١)

نَدامَى صـبوةٍ دارتْ عليهـم بأيدى العيس أكوابُ السهادِ

اذا شربوا السُّرى اقترحوا عليـه صـفيرَ حمـامةٍ وغنـاءَ حادى

ولمـا عزّ ماءُ الرَّكب فيهـم وقفتُ أحُـلُّ من عينى مَزادى

تحوم وقـد تقلّصتِ الأداوَى (٢) عـلى أجفانىَ الأبلُ الصوادى

أجدَّك هل ترى بذيول "سلمى" نَضـارةَ حاضرٍ وخيـامَ بادى ؟

خرقن لكلّ عينٍ فى سواد الـ خدور خَصاصـةً (٣) مثـلَ السوادِ

وما أتبعتُ ظُعْنَ الحىِّ طـرفى لأغنمَ نظـرةً فتكونَ زادى

ولكنّى بعثتُ بلحظ عيـنى وراءَ الركب يسألُ عن فـؤادى

وفى نُوّامِ هـذا الليـل شمسٌ وَفَى سهرى لهـا وجفَا وسـادى

اذا ذُكرتْ نزتْ كبـدى اليهـا هبوبَ الداء نُبِّـهَ بالعِـدادِ

عجِبتُ يَضيمنى زمـنى وأرضَى ويحصُـدنى ولم أبلغ حَصـادى

وتُنفِـقُ مسرفاتٍ من شـبابى لياليهِ الصـعابُ بلا اقتصـادِ

وعهـدى بالتشـابُهِ والتنافى يجرّان التصـادقَ والتّعادى

فـا بالُ الليـالى وهى سُـودٌ يُزالُ بهـا البياضُ من السـوادِ (٤)

توقَّى النـاس إن الداءَ يُعـدى وإن قـرُبوا لحظُّك فى البِعـادِ

(١) هكذا بالأصل ولعله

وقد سَمَطَ السُّرَى والنجم هاوٍ عيونَ الركب فى خيط الرقادِ

وسَمَطَ بمعنى علّقَ ، وهذا يقرب من قوله فى قصيدة أخرى

والحىّ إمّا خائفٌ أو حاضرٌ خيطُ الكرى فى جفنه قد انعقدْ

(٢) الأداوَى جمع إداوة وهى وعاء صـغير من جلد يُتّخذ للماء ، وفى الأصـل " الأوادى " .

(٣) الخصاصة : كلّ خرق فى باب أو برقع أو نحوه . (٤) يشير بذلك الى الشيب .

ولا يغـــررْك ذو مَلَقٍ يغطّى　　أذاه وجمــرُهُ تحتَ الرَّمادِ
كِلا أخـويك ذو رَحِـمٍ ولكن　　أخوك أخوك فى النُّوبِ الشِّدادِ
عذيرىَ من صـديقِ الوجهِ يَجنِى　　أضالعَـــه عـــلى قَلبٍ مُضادِى (١)
لوى يدَه عـــلى حَبـــلٍ لعُنْق　　وقال : آضمُمْ يديك على ودادى
تمنّى — وهو ينْقُصُنى — تمامى ،　　وأيــن الزِّبْرِقانُ (٢) من الدآدى ؟
ومجتمعيـــن يرتفـــدون عيبى　　فلا يَزِنُ آجتماعُهُـــم آنفـرادى
اذا آنتسبوا لفضـــلٍ لم يزيدوا　　على نسبِ "آبن حرب" من "زِيادِ"
أُلامُ على عُزوف النفسِ ظلمـا　　وما لومى عـــلى خُلُـق وعادى
ويخـدعنى البخيـلُ يريـد ذمّى　　وهـل عنـد الهشيمة من مَرادِ
كفانى "آلُ إسماعيلَ" إنى　　بلغتُ بهـم من الدنيـا مُرادى
وأنَّ "محمدا" دارَى نفـارى　　فلانَ له وأسلسَ من قيـادى
رقَى خُلُق بأخـــلاقٍ كرامٍ　　ألانت من عرائكه الشِّـدادِ
وكنتُ أذمُّ شرَّ النـاس قِـــدْما　　وعيبَهُـمُ فصـحَّ على آنتقـادى
وكم خابطتُ عشـــواءَ الأمانى　　وكاذَبنى على الظنّ آرتيـادى
فلمّـا أن سللتُ على الدياجى　　"ربيبَ النعمة" آستذكَى زِنادى
وأنبضَ من يديه لى غديرا　　وقـــد أعيـا فى مَصِّ الثِّمادِ
جلا لى غُرّةً رَويتْ جمالا　　أُسَرُّ بها ووجهُ البـــدرِ صادى
تفـاديهـا السماءُ بنـــيِّريْها　　فتَعـــرِفُ حظَّهـا فيما تُفـادى

(١) فى الأصل "مصاد" .　(٢) الزبرقان : القمر ليلة تمـامه ، والدآدى من تفسيرها .

من الوافين أحلاما وصبرا ... اذا الحُلَّى هفت "بحلوم عادِ" (١)

بنِي البيض الخفافِ توارثوها ... مع الأحساب والخيـلِ الوِرادِ

تَضاحَكُ فى أكفِّهـم العطايا ... وتكلحُ عنهُـمُ يوم الجـلادِ

مطاعيمٌ اذا النكباءُ قَـرَّت ... وجَبَّ القحطُ أسنمةَ البـلادِ

لهم أيدٍ اذا سُـئلوا سِباطٌ (٢) ... موَصَّـلةٌ بأسـيافٍ جِعادِ

اذا كلَّت من الضَّرب المواضى ... أعانوها بأفئـدةٍ حِـدادِ

طوَوا سلَفَ الفخارِ فلم تُوَصَّمْ ... طوارِفُهم بمعـروفِ التـلادِ

اذا الأحسابُ طأطأتِ استشاطوا ... عـلى متمـرِّد الشرُفاتِ عادى

يَعُـدُّ المجـدُ واحدَهم بألفٍ ... من النجباء فى قِيَمِ البـلادِ

اذا وَلدوا فـتًى سعت المعالى ... تَبـاشَـرُ بينها بالإزدياد

نموْك أغرَّ من ملكٍ أغرٍّ ... جـوادا بالكرائم من جـوادِ

أخا طَعمينْ : حُلْوُك للـموالى ... بلا منٍّ، ومُرُّك للمعادى

اذا لم يختضِبْ لك غربُ سيفٍ ... دما خضَّبتَ سـيفا بالمِـدادِ

فأنتَ اذا ركبتَ شهابُ حربٍ ... وأنت اذا جلست شهابُ نادى

اذا رجع الحسيبُ الى فخارٍ ... قـديم أو حديثٍ مسـتفادِ

فحسبك "بالموفَّق" من فخـارٍ ... وبيتِ "الباهليَّـةِ" من عَتـادِ

ومن يُسـنِدْ الى طرفيك مجـدا ... يَبِتْ من جانبيـه فى مِهـادِ

فـداؤك داثرُ الأبيـات يأوى ... الى وقصـاءَ لاطئـةِ (٣) العمادِ

(١) حلوم عاد : يريد بها "أحلام عاد" والعرب تضرب المثل بها لما تصوّره من عظم خَلقها وتزعم أن أحلامها على مقادير أجسامها . (٢) تقـدّم تفسيرها وفى الأصـل "بساط" .

(٣) اللاطئة : اللاصقة بالأرض .

يتـوبُ اذا هفا غَلَطا بجـودٍ ... ولم يتُب آتقـاءً للمَعـادِ
اذا جاراك فى مِضمارِ فضـلٍ ... عَدَتْه عن اللحاق بك العـوادى
اليـك سَرَتْ مطامعُنا فعادت ... مَواقـرَ من ندًى لك مسـتعادِ
يَحِـذْنَ فصائلًا(١) فيـدعنَ وَشْمًا ... لأرجُلهنّ فى الصُّمّ الصِّـلادِ
يقـادحْنَ الحَصَى شَررا كأنّا ... حذوناها مَنـاسمَ من زِنادِ
حَملن اليـك من تحف القـوافى ... غرائبَ من مثـانٍ أو وُحادِ
هـدايا تفخر الأسمـاعُ فيهـا ... على الأبصـار أيّامَ التهـادى
مخلَّصـةً من الـكلم المعـنَّى ... بطول الـكرّ والمعنى المُعـاد
نوافثَ فى عقود السـحر تُمْى ... فصاحتُهـا الى رمـلِ العِقـادِ(٢)
تمنَّى — وهى تُنْظَمُ فيك — أن او ... تكونُ ترائبـا مهجُ الأعادى
تُخالُ العربُ عجـزا عن مـداها ... نبيطَ العُـربِ لم تنطِقْ بضـادِ
لأيّام البشـائر والتهـانى ... بهـا نشرُ الروائح والغـوادى
يجـرِّرُ ذيلَهـا يومٌ شريفٌ ... فيجعلهـا على عيـدٍ مُعـادِ
شواهـدَ أن جدّك فى آرتقاء الـ ... ـسعود وأنّ عمـرَك فى آمتـدادِ
كفاها منك عفوُك فى العطاء الـ ... ـجزيل وقد وفَتْ لك بآجتهادى
فكيف خلَطْتَنى بسـواى فيا ... أنلتَ وأنت تَشـهدُ بانحـادى !
تمـادَى بى جفاؤك ثم جاءت ... مواصَـلةٌ أعقُّ من التمـادى
ألم تك لى من الذَّهَب المصـفَّى ... يدٌ بيضـاءُ تُشرِقُ فى الأيادى

(١) الفصيل : ولد الناقة اذا فصل عن أمه وأنثاه فصيلة وجمعها فصائل ، وفى الأصل "فضائل" ومعنى البيت : أن مطامعه تسير الى الممدوح وهى فصائل صـغيرة حتى اذا عادت من عنده مثقلات بالندى أثّرت أخفافها فى الجلاميد لشدة وطئها شأن المثقل بالأحمال . (٢) العقاد جمع عَقَدٍ كجبل وجبال وهو الرمل المتعقد المتراكم ويريد به البادية لأنها مهد الفصاحة .

منوّهــةٌ اذا آنتشرتْ بذكرى ولاثقــةٌ بمجـــدك وآعتقــادى
رضــائى أن تهــزّك ريحُ شــوقٍ الى قربى ويوحشــك آفتقادى
اذا ما لم يكن نيـــلا شريفــا فحسبي من صِـلاتك بالودادِ

✦

وكتب الى الأستاذ الجليل أبى طالب بن أيّوب يهنّئه بالنيروز

نبهتُهُ فقـام مشـبوحَ العَضُــدْ أغلبُ(١) لو سِـيمَ(٢) الهوانَ ما رقَـدْ
فى يده مــذروبةٌ مَــزيدةٌ ودرعُــه سابغــةٌ من اللَّبَــدْ
اذا غــدا لم يَحتشِمْ هاجرةً وإن سرَى لم يخش من ليلٍ بَرَدْ
إن همّ لم يُحبَسْ على مَشْــورةٍ(٣) وإن غَــدَا لسـفرٍ لم يسـتعِدّْ
لكلّ باغى قَنَص طــريدةٌ تنفُــر منـــه وله كلُّ الطَّـــرَدْ
هبَّ بلبّيك وقــد دعـــوته مكتفيا بقــوله : الى الأبَدْ
وخيرُ من سانَد ظهـرى أسَــدٌ أو رجلٌ فى صــدره قلبُ أســدْ
وقال : فى لَهَــاةِ أىّ خطـــرٍ تقــذِفُ بى وعَرِضٍ ما أىّ بلدْ ؟
وما الذى رابك؟ قلتُ : حاجةٌ فى أفُقِ المجــدِ، فقام فصَـــعِدْ
يسـبقنى ســعيا لمــا أريده حــتّى لقــد أدرك بى ما لم أُرِدْ
فــردَيْن إلّا صــارمين آعتنقــا وضامرَيْنِ وردَا أين قَــدَدْ(٤)
تُضــمِرُ أحشاءُ الدياجى والفــلا منّى ومنــــه جسدين بجســدْ
كأنّ إِثرَيْنــا اذا ما أصـــبحا على الثرى مسحبُ رمح أو مَسَدْ
حــتّى بلغتُ مسرحَ العـــزّ به بأوّل الشــوط وأقرب الأمـــدْ

---

(١) الأغلب : الأسد . (٢) فى الأصل " شم " . (٣) المشْوَرة والمشُورة : الأمر من أشار عليه بكذا . (٤) قدد : اسم ماء والمشهور آستعماله " قُدَيْد " مصغرا .

وربَّ عزمٍ قبلها ركبتُه   نفتُّ أن أُظلمَ أو أن أُضطهَدْ
وغارةٍ من الكلامِ شنَّها   على اللئامِ كلُّ معنًى مطَّرِدْ
شهدتُها مغامرًا وكنت بالـ   ـحضّ عليها غائبًا كمن شهِدْ
ولذةٍ صرفتُ وجهى كرَما   عنها وفيها رغبةٌ لمن زهَدْ
لم يعتلقنى بأثامٍ(١) حبلُها   ولم ينلنى عارُها ولم يَكَدْ
وحَلَّةٍ طرقتُ من أبياتها   أمنعَها بابا وأعلاها عَمَدْ
والحىّ إما خالفٌ أو حاضرٌ   خَبْطُ الكرى بجفنِه قد انعقَدْ
وليس إلا بالنُّباح حَرَسٌ   لهم وإلا مقالة النارِ رَصَدْ
فبتُّ أَستقرِى الحديثَ وحدَه   وغيرُه لولا العفافُ لى مُعَدّْ
ودون إرهابِىَ حدٌّ صارمٌ   عانقتُه ومِقوَلٌ منه أحدّْ
وكم " بذاتِ الرمل " من نافرةٍ   بغير أشراك الشبابِ لم تُصَدْ
أحسنُ من بذلِ هواها منعها   ومن وصالِ الغانياتِ ما تَصُدّْ
نومِىَ محفوظٌ اذا ما زرتُها   وموضعى إن غبتُ عنه مفتقَدْ
يُعجِبُ قلبِى مطلُها لطول ما   يكُرُّ بى المطلُ اليها ويَرُدّْ
لله أحبابٌ وفيتُ لهُمُ   بما استحقُّوا من أسًى ومن كمَدْ
لم يَكفِهم شِقوةُ عينى بعدهم   حتى استعانوا بالدموع والسَّهَدْ
مضوا بجمّات الحياة معَهُم   وعوّلوا بشِقْوتى على الثَّمَدْ
صحبتُ قوما بعدهم، حبالُهُم   سحيلةُ(٢) الفتل رخيّات العُقَدْ
وما على مَن كدَّهُ حَرُّ الظما   اذا رأى الماءَ الأُجاجَ فوَرَدْ !
يضرِبُ قومٌ فى وجوهِ إبلِى   وقد كفاهم أنها عنهم حِيَدْ

---

(١) الأثام: الإثم. (٢) سحيلة الفتل: غير مبرمة الغزل.

لا تُعجِل الكُومَ[1] الى ذيادها فهى قِماحٌ عنكُمُ لو لم تُذَدْ
ما للبخيـــل يتحامى جانبى ! متى رآنى عاكفا على النَّقَـــدْ[2] ؟
يستُرُ عنّى القعبَ دافَ[3] حنظلا فيــه وقد أمَرَّ فى فىَّ الشُّـــهُدْ
ما أبصرَ الدهرَ بمـا أريده لو كان فى الحكم علىّ يقتصِـــدْ
أنزلنى مـــنزلةً بين الغـــنى والفقرِ لم يخـــلُ بها ولم يَجُـــدْ
وشرُّ أقسـامك حظٌّ وسَـطٌ أرعنُ لم تَحْـلُ به ولم تَسُــدْ
أغرَى الليـالى بِىَ أنّى عارفٌ بالسهل من أخلاقهنّ والنَّكَدْ[4]
وأننى أقـــدحُ فى صروفهـا بعزمـةٍ تُضىء لى على البُعُـــدْ
تُطلعـنى على اليقيـن ظنَّتى كأنّ يومى مُخـبِرى بسرِّ غـدْ
يا بائـعى مرتخِصـا بثمـــنى سوف يذُمّ مستعيضٌ ماحِـــدْ
مثلى نُضـارا ضنّت الكفُّ به لو كان فى النـاس بصـيرٌ ينتقِدْ
قد فطِنتْ لحظّهـا مَطالـــبى وأبصرتْ عينى الضلالَ والرَّشَـدْ
وقـــد علمتُ أىّ برق أمترى مُزنتَـــه وأىّ بحـــرٍ أستمِدّْ
ووسَّعتْ أيدى "بنى أيوبَ" لى وبشْرُهم ملء المـــنى مالا ووُدّْ
فما أبالى — وهُم الباقون لى — مَن ذا فَنِى فىالناس أو مَن ذا نفِدْ !
ولا أروم الرزقَ من غــيرهمُ وإنمـا أطلبُ من حيث أجِــدْ
المـانعون بالجـــوار والحمى والناهضون بالعـــديد والعُـدَدْ
والغامرون المَحْـلَ من جودهمُ بكلّ كفٍّ ذاب فى عامٍ جَمَـدْ
والضـاربون فى اليفاع والذُّرَى اذا بيوتُ الذلّ عاذتْ بالوُهُـدْ

(١) الكوم : جمع كَوْماء وهى الناقة الضخمة السنام . (٢) النقد : الأسافل من الناس .
(٣) داف : خلط . (٤) النكد : الشديد الصعب من نكِد عيشه أى اشتدّ وعسر .

تضيء تحت الليل أحسابهم … لضيفهم إن حاجب النار خمد

مدّوا الى الحاجات من ألسنهم … ذوابلا منذ آستقامت لم تمد (١)

لا نتقيها هامة بمغفر … ولا يداريها عن الجسم الزرد

تبهر فى الأسماع كلّ جائف (٢) … اذا آستقامت لحمة الجرح فسد

تعرّفوا بالمجد حتى سافرت (٣) … أخبارهم بطيبه وهم قعد

وآختلفوا، لا أخطأت بسهمها … أمنية صوب نداهم تعتمد

وأفسدوا الدنيا على أبنائها … فما ترى مثلهم فيمن تلد

هم ما هم أصلا ! ومن فروعهم … أبلج أربى طارقا على التلد

وفى بجد قومه "محمد" … فبرّهم وربما عقّ الولد

وبان من بينهم بهمّة … خلّة كل سؤدد منها تسد

تمّ وبدر التمّ بعد ناقص … وزاد والبحر المحيط لم يزد

ودبّر الدنيا برأي واحد … يأنف أن يشركه فيها أحد

تراه وهو فى الجميع واحدا … والبدر فى حفل النجوم منفرد

اذا آستشار لم يزد بصيرة … ولا يلوم رأيه اذا آستبد

حتى لقد أصبح بآتحاده … يتيمة الدهر (٤) وبيضة البلد (٥)

قام فنال المكرمات متعبا، … وفاز بالراحة مخفوض قعد

وخام عن حمل الحقوق معشر (٦) … فلم يرغه حملها ولم يؤد

(١) تمد : تميل . (٢) الجائف : الذى ينتهى الى الجوف من قولهم : جافه بالطعنة : أى بلغ بها جوفه ، وفى الأصل "حايف" . (٣) تعرّفوا : تطيّبوا . (٤) يتيمة الدهر : الدرة الثمينة لا نظير لها . (٥) بيضة البلد : هى بيضة النعام وقد تجيء مرة فى موضع المدح وتارة فى موضع الذم ، فاذا مدح بها الرجل أريد أنه واحد البلد الذى يجتمع اليه ويقبل قوله وأنه فرد ليس مثله أحد فى شرفه ، واذا ذمّ بها أريد أنه منفرد لاناصر له بمنزلة بيضة قام عنها الظليم وتركها لاخير فيها ولا منفعة .

(٦) خام : نكص وجبن ، وفى الأصل "حام" .

ولو درى النـائمُ أىَّ قَـــدَمٍ	يُحرزها الساهر لأشـتاق السَّهَدْ
وربّمـا برّح بالعين الكرى	وكانت الراحـــة داءً للجســـدْ
تسلّمتْ من القذى أخلاقُهُ	والمـاءُ يَقــذَى بالسِّـقاء والزَّبَدْ
وآنتظم القـــلوبَ سِلكُ ودّه	فـا يَرَى من لا يُحبّ و يوَدّْ
لا رفَقَ الغيظُ بقلبٍ محفَـظٍ (١)	عليك إن لم يقل الشِّـعرَ آعتقدْ
جاراك يرجو أن يكون لاحقا،	سومُ السَّحوق (٢) فات أن يُجنَى بيدْ
ينقـاد للذِّلّة طـــوعَ نسبٍ	حيرانَ فى الأحساب أعمى لم يُقَدْ
يدين بالبخل اذا سِـيلَ فإن	أخطأ يوما بنَــوالٍ لم يَعُـــدْ
مـدّ بحبـــلٍ شرِّه فانفصمت	أســبابُه وأنت بالخـير تُمَـــدّْ
فكلّما جاز مـــدًى جاوزته	مقاربا للجـد من حيث بَعُـــدْ
بك آعتلقتُ ويدِى وحشـــيّةٌ	وضمّ أنسى شمـــلَه وهـو بَدَدْ
وآرتاض منّى لك خُلقٌ قامصٌ	لم يدر قبـلُ ما العطاءُ والصَّـفَدْ (٣)
ملكتَ قلـبِى شـغَفا فـا وَفَى	بقدرِ وجدى بك صبرى والجلَدْ
حـــتّى حـــوانى أوّلا فأوّلا	وواحدٌ أوّلُ ألفٍ فى العـــددْ
كم أيكةٍ أنبتَهـا جودُك لى	تُربُ ثراها طيّبٌ والمـاءُ عِـــدّْ
وكلمـا صَوّح منهـا غُصُنٌ	عاد بهـا جودُك غضّـاتٍ جُدَدْ
قــد ملأتْ أوعيَــتى ثمـارُها	فقَدْك (٤) إن ردّ عبابَ (٥) السيلِ قَدْ
لم تبق فىَّ خَـــلّةٌ تســـدُّها	وإنمـا الخَلّةُ بالمـال تُسَـــدّْ

(١) محفظ : مغضب . (٢) السحوق : النخلة الطويلة . (٣) الصفد : الوثاق والصفد أيضا بمعنى العطاء . (٤) قدْك : حسبك . (٥) العباب : معظم السيل وآرتفاعه وكثرته ، وفى الأصل " عنان " ، ومعنى البيت : فحسبك إن كانت لفظة حسب (قد) ترد عباب السيل .

لى فيك من كلّ فقيــدٍ خلَفٌ فابقَ فما يضرُّنى مَنْ أفتقدْ
اذا السنانُ سلِمتْ طريرةً عُلياهُ(١) فلتمضِ الأنابيبُ قِصَدْ(٢)
واضرب بسهمٍ فى العلاء فائزٍ من يدِ عُمْرٍ فائزٍ لا يقتصدْ
تُنفَضُ عنك الحادثاتُ شُعَبا حيثُ التهانى حافلاتٌ تحتشدْ
كلّ صباحٍ شمسُ إقبالك فى فُتوقهِ مفتنةٌ شمسَ الأبدْ
جذلانَ بين مادحٍ وحاسدٍ فموجباتُ المدح يوجبن الحسدْ

* * *

وقال وكتب بها الى الوزير أبى القاسم الحسين بن علىّ المغربىّ، وقد غاب عن بغداد أنفًا من النظر، ذاهبا مع الحميَّة يستوحش له، ويذكر مكان الاستضرار ببعده، ويتفاءل له بسرعة العودة، وأنفذها اليه فى سنة خمس عشرة وأربعمائة

خاطرْ بها إمّا ردًى أو مُرادْ وردْ لها أين وجدتَ المَرادْ
ولا تُماطلْها بحّاجاتها معلّلا أظماءَها بالثِّمادْ
باعدْ عزيزا بين أسفارها فعزّةُ النجم السُّرى والبعادْ
لله رامٍ بلُبَاناتِهِ طولَ الليالى وعروضَ البلادْ
يُقدِمُ إما مبلغا نفسَه معذرةً أو بالغا ما أرادْ
يحفِزُه الضيمُ فتنبو به مضاجعُ الغيدِ ولينُ المِهادْ
اذا أحسَّ الهُونَ صاحتْ به نخوتُه، أو طارَ، أو قيلَ: كادْ
يعجُمُ منه الدهرُ إن رابهُ جَلْدَ العصا صُلْبَ حصاةِ الفؤادْ
سمتْ به الهمّةُ حتى نجا منفردا من بين هذا السوادْ

(١) فى الأصل "غرباه"، ومعنى البيت اذا سلم أعلا السنان محددا فانتكسر الأنابيب وهو على سبيل المثل للبيت الذى قبله. (٢) قصد جمع قِصْدة وهى الكسرة.

مولّيـا آخِـــرَ حاجاتـــهِ خزائمَ العيس وجُثْـــمَ الجيـادْ

أقسمَ مهما آكتحلتْ عينُـه بمثــلهِ لا آكتحلتْ بالرقادْ

وبات مغمورَ العـــلا شـاكرا ميســـورَه، يقنَعُ بالإقتصـادْ

يرضَى من الحظّ بمـا جاءه عفوا، وما الحظّ سوى الاجتهادْ

ينـام للضـــيم على ظهـــره مُراوِحَ الخـــدّ وثيرَ الوسـادِ

إن راء، من يومـــه رائعٌ قال : عُدُوًّا[1]، فرَسُ الذلّ عادْ

ما أكثرَ المُنحِى على مجـــده لُبلغـــةٍ تُرجَى ورزقٍ يُفـادْ

ومؤثرَ المـالِ على عرضـــهِ مجتهـدا ينقُصُ من حيث زادْ

عَـــدِّ عن الدنيـا وأبنائهـا وبـــعْ مودّاتهـــم بالبعـادْ

ما هـــذه الدهمـاءُ[2] إلا دَبًى[3] ينشُرهُ فى الأرض حُبُّ الفسادْ[4]

إلّا فـــتًى يأنف من عيشـــةٍ لغـــيره فيهـا عليـــه آعتدادْ

ودولةٍ تخطُبُ راياتُهـا باسم ســـواه فى رءوس الصِّعادْ

مثل " أبى القاسم " غيران يسـ ـتفيد من عزّته ما آستفادْ

يجـــود بالنفس كما جاد أو يسود بالواجب من حيث سادْ

هيهات ! قامت معجزاتُ العلا فيـــه وبانت آية الإنفـــرادْ

لا تـلدُ الأرضُ له من أخٍ، أعقَمها من بعـدِ طولِ الوِلادْ

شـاد به اللهُ بُنَى[5] مجـــدِهِ راسـيةً، واللهُ ما شـاء شـادْ

بانَ من النـاس فمـا عابه شيءٌ سوى تشـبيهه بالعبـادْ

أبلجُ فى كلّ دُجَى فحمةٍ عمياءَ لا يقـــدَحُ فيهـا الزنادْ

---

(١) العُدوّ : العدوان . (٢) الدهماء : الجماعة من الناس . (٣) الدبى : الجراد الصغير .

(٤) فى الأصل " الـفساد " . (٥) بنى جمع بُنية وهى ما بنيته ، وفى الأصل "بنا" .

يصيبُ بالأوّل من ظنّـــه فليس يُســـتثنَى ولا يُستعادْ

تهفــو قُــوَى الحلم، وغضباتُه تأوِى الى مستحصِفاتٍ[1] شِدادْ

أرهفَ من آرائه ذُبَّلا ترودُ للطعن أمامَ الطرادْ

وقاد للأعـــداء رقّاصـــةً[2] تعزِفُ — لولا يدُه — أن تُقادْ

معـــرَّقاتٍ[3] كان أُمّاتُهـا ربائطا ما بين أبياتِ "عادْ"

يشكُمُها إن خلعتْ لُجْمَها ما جرَّ من فضـلِ نواصى الأتادْ

خضَّبهـا الطعنُ بمـاء الطُّلَى فشُهْبُهـا[4] فى شَـعَراتِ الوِرادْ[5]

يحـالفُ الصـبرَ عليهـا فتًى ما بـــدأ الكرَّة إلا أعادْ

يبـــذُلُ فى حفظ العلا مهجةً تكبُرُ أن تفسدَها نفسُ فادْ

يَرَى طلابَ العـــزّ أو بَـــردَه فى حرّ ما يَشرَبُ يومَ الجِـلادْ

شجـاعـــةٌ سبَّبهـا جـــودُه، إن الفتى يشجُع من حيث جادْ

يا راكـبَ الدهمـاء[6] لم يُحفِها ســـيرٌ ولا حنَّتْ لتغريدِ حادْ

حـــدَّدها الطالى فمـا عابهـا عـلى بياضِ الجسم لُبْسُ الحِدادْ

لا تلتوى من ظمأ والثرى مُكـدٍ وأكبادُ المطايا صَوادْ

يَحفِـزها من مثـله سائقٌ يَضِـلُّ خِرّيتُ الفــلا وهو هادْ

راكبُها وهو على ظهرها موطّأ الجنبِ قليـــلُ السهادْ

يَكرَعُ فى صافٍ قليـلِ القــذى عَذبٍ ويرعَى أبدا بطنَ وادْ

بلِّغ — بلغتَ الخيرَ — خيرَ امرئٍ شُدَّتْ عليـــه حَبَوات البـــوادْ

---

(١) مستحصفات : مجدولات محكمات . (٢) يريد بقوله رقاصـة : الخيل كثيرة الرقص وهو ضرب من الخبب. (٣) معرّقات تمتدّ عروقها أى أصولها ، وفى الأصل "معرفات". (٤) الشهب : البيض . (٥) الوراد : الحمر . (٦) الدهماء : الناقة الشديدة .

قل للوزير: آعترقتْ[(١)] بعـدكم عظمى نيوبُ الأزماتِ الحِدادْ
وآرتجع البخـلُ وأبنـاؤه ما أسارتْ عندىَ كفُّ الجوادْ
غاض النـدَى بعـدك يا بحرَهُ وبانَ مذ بِنتَ بفضـلِ السّدادْ
وآغبرّ جوٌّ كنتَ خضْرتَهُ فشمَطتْ فيـه الرُّبَا والوِهادْ
دينٌ من العـدل عفا رسْمه شَرَعتَهُ للنـاس بعـدَ آرتدادْ
وسُنّةٌ فى المجـد قد قُوِّضتْ أقمتَ من أطنابهـا والعِمادْ
ومهملٌ من كلِمٍ نادرٍ نفّقهُ[(٢)] مدحُك بعـدَ الكسادْ
عاد يُـوَفَّى أجرَهُ كاملا عندك حيًّا قبـلَ يومِ المَعـادْ
عَرَفْتَهُ والنـاسُ مِن حاسدٍ أو جاهـلٍ بالقولِ والإنتقادْ
أوحشتَ بالبعد فلا أُوحِشتْ منـك مغانى الكرمِ المستفادْ
وشُلّ[(٣)] سَرْحُ الأمرِ من قبضة الـ ـراعى فأمسَى هَجمةً[(٤)] لا تذادْ
معطّلَ المجلسِ والمنـبرِ الـ ـمركوبِ عارِى السرجِ رِخوَ البِدادْ[(٥)]
تعـلّقَ المسـكُ أطرافَـه منـه برُسـغَىْ قاطعٍ لا يصـادْ
كأنمـا صـاحَ غرابُ النوى: بدادِ فيـه بعـدَ جمعٍ بدادْ
قد أسِـفَ الرأسُ على تاجه وأنكرَ العاتقُ[(٦)] فقْـدَ النّجادْ[(٧)]
ووَجْهُ "بغـدادَ" على حسنه أسفعُ[(٨)] مكسوفٌ عليـه آربدادْ[(٩)]
كانت حريـا بك ممنوعـةَ الـظـ ـهر فعـادت وهى دارُ الجهادْ
فى كلّ بيتٍ من أذَى عَوْلةٌ تُبْـدَا ومن خوفٍ أنينٌ يُعـادْ

(١) اعترقت: نزعت ما عليه من لحم. (٢) نفّقه: روّجه. (٣) فى الأصل "سلّ".
(٤) الهجمة: من الإبل ما بين السبعين الى المائة أو الى دونها. (٥) البداد: بطانة تحشى وتوضع على الدابة وقاية لظهرها. (٦) العاتق: موضع نجاد السيف من الكتف. (٧) النجاد: حمائل السيف. (٨) الأسفع: الشاحب المتغير اللون مما يقاسى من المشاقّ. (٩) الأربداد: التغير.

وكيف لا يُنكَرُ عهدُ الحمى ... يفوتُه العامُ بصوبِ العِهادْ !
يا مبدئ الإحسان فينا أعِدْ ... فالبدر إن مرّ مع الشهر عادْ
قم فأثرْها عزمةً لم تنمْ ... ضُعفا ولم تنقُصْ لغير آزديادْ
عاجلْ بها جَدْعَ أنوفٍ طغتْ ... وأرؤسٍ قد أينعتْ للحصادْ
يحسبها الأعداء قد أُخمِدتْ ... وإنما جمرُك تحتَ الرّمادْ
لا تأخذ الدهرَ بزلّاته ... وسَعْهُ بالعفو وبالإعتمادْ
ولا تُكشّفْ عن صدورٍ خبتْ ... أضغانُها من قاتلٍ أو مُضادْ
فكلّما تُبصره صالحا ... فإنما يصلُح بعد الفسادْ
أنا الذى ردّ زمانى يدى ... من بعد شدّى بكم وآعتضادْ
وطمعتْ فىّ ذئابُ العدا ... حتى حلا مضغٌ لها وآزدرادْ
وفُتُّ فى حالى وفى عيشتى ... بطلبى ظِلَّكُمُ وآفتقادْ
لا نَسِيَ اللهُ لكم والعلا ... ما زدتُمُ فى عُدّتى أو عَتادْ
ونعمةً أثقلتُمُ كاهلى ... بحملها وهى يدٌ من أيادْ
كم ناخسٍ ظهرى على شكركم ... وحاسدٍ فى مدحكم أو مُعادْ
ومنكرٍ حفظى لكم يرتمى ... مَقاتلى من خطإٍ وآعتمادْ
وليس للخابطِ إلا العَشا ... منّى وللخارط إلا القَتادْ
وناشطاتٍ أبدا نحوكم ... من عُقَلِ الفكر لِيانِ المَقادْ
سوافرٍ عن غُرَرٍ وُضَّحٍ ... ينصَعُ منهنّ سوادُ المِدادْ
يَخلِطنَ فرضَ الحقّ فى مدحكم ... بخالص الحبِّ وصفوِ الودادْ
حافظةٍ فيكم عهودَ الندَى ... حفظَ الرُّبا عهدَ السوارى الغوادْ
وقلّما يرعى أياديكُمُ ... فى القرب مَنْ لم يرْعَها فى البعادْ

(١١٥)

*
* *

وقال وقد بلغــه تشوُّقُ الأمير الأجلّ نور الدولة أبى الأغرّ دُبَيْس بن علىّ بن مَزْيَد الى ما يسمعه من شعره، وٱقتراحه أن يُخصَّ بشىء يَجمعُ فيــه بين أن يحفظه وبين أن يكون مديحا له، وتوسّط بعضُ كُتّابه فى هذا، فكتب اليه يمدحه، ويذكر بعضَ أعدائه ممّن نجمَ عليه فى جُمــادى الأولى من سنة ستّ عشرة وأربعمائة

أمِنْ "أسماءَ" والمسرى بعيدُ ... خيالٌ كلّمــا بخلَتْ يجودُ؟

طوَى طىّ البرودِ عِراضَ "نجدٍ" ... وزار كما تأرّجتِ الــبرودُ

يشقُّ الليـــلَ والأعداءَ فردا ... شجاعا وهو يذعَرُه الوليــدُ

مواقدَ "عامرٍ" ومروحَ "طىٍّ" ... وما قطعت برملتها "زرودُ"

له ما للبــدورِ من الدياجى ... فأرّقَــنى وأصحـابى هُجــودُ

فتمتُ له أطوّقــه عِنـاقا ... يدا ضعُفتْ وباعثُهـا شــديدُ

يدُ القنّاصِ تخفُـقُ أين مُدّتْ ... حِبالتُــه فتَضبِطُ ما تصــيدُ

فيا لكِ سُحـرةً سُرِقتْ لو أنّى ... غدًا فيهـا يــتمّ لِىَ الجُحــودُ!

وكيف وتُربُ "بابلَ" سَلْخَ شهرٍ ... وأردانى(١) بريّاها شُــهودُ!

أمَا ومشعشِعين "بذاتِ عِرقٍ" ... صِلًا(٢) يَقرِى "العراقَ" له عمودُ،

ورامٍ سهمَ عينيــه "بسَلعٍ" ... و"بالزوراء" يقتُلُ مَن يريدُ،

لَمَــا وفَتِ الصوارمُ والعوالى ... بمــا جنتِ المحاجرُ والقــدودُ

وكم يأوِى "المشقّرَ" من غزالٍ ... تحاذر من كِناسَتِه الأسودُ

تُقلِّمُ حولَه الأظفـارَ عَينٌ ... ويُهتَمُ دونَه الأنيـابَ جيــدُ

وأبيضَ من نجوم "بنى هلالٍ" ... وجوهُ العيش بعــد نواه سودُ

(١) الأردان جمع رُدنٍ وهو الكمّ. (٢) الصلا: الوَقود.

هويتُ له الذى يهواه حتّى ... حلا إعراضُه لى والصدودُ
نفضن الحبَّ أسمالا وعندى ... لهنّ على القلى حُبٌّ جديدُ
ورُحنَ وقد سفكنَ دمًا حراما ... تصيح به الأناملُ والخدودُ
أما تنهاك عن عيدِ التصابى (١) ... مواضٍ من شبابك لا تعودُ ؟
وقادحةٌ لها فى كلّ يومٍ ... ذبولٌ من نشاطك أو خمودُ
طوالع فى عذارك لا الأحاظى ... قَسَمْنَ طلوعَهنّ ولا السعودُ
وقالوا : حلّمتْكَ ، فقلت شوقا : ... متى مبدى الخلاعةِ لى يعيدُ ؟
يَجُرُّ علَىّ أبيضُها خمولا ... وكنت بجاهِ أَسْوَدِها أَسودُ
ولم أر كالبياض مذمَّمًا فى ... مواطنَ وهو فى أخرى حميدُ
فتلحاه العوارضُ والمَفالِى ... وترضاه الترائبُ والنهودُ
عدمتُ مكارم الأيّام ، مَنْ ذا الشـ ... ـقىُّ بها ومَنْ فيها السعيدُ ؟
مع الفضل الخصاصةُ والتمنّى ... وحولَ العجزِ تزدحم الجدودُ
تُقامُ على الفقير وما جناها ... اذا وجَبتْ على المثرى الحدودُ
وما لك من أخٍ فى الدهر إلا ... أخوك طريفُ مالِك والتليدُ
مَحَضْتُ الناسَ مختبرا فكلٌّ ... بكىءٌ (٢) دون زُبدته زهيدُ
هُمُ حولى مع النُّعمَى قيامٌ ... وهم عنّى مع الجُلَّى قُعودُ
توقّ تحيةَ ابنِ العمّ يوما ... فربَّ فمٍ بقُبلته يكيدُ
ولا تخدعْك مسحةُ ظهرِ أفعَى ... فتحتَ لثاتهِ نابٌ حديدُ
وأغلبُ ما أتاك الشرُّ ممّن ... تذبّ الشرَّ عنه أو تذودُ
وحولك من قبيلك من تكون الـ (٣) ... ـقليلَ به وإن كثر العديدُ

(١) العيد : ما يعتادك من هم أو مرض أو نحوه . (٢) البكىء : الناقة لا تدر .

(٣) فى الأصل " يكون " .

مُـــداجٍ أو مُبادٍ أو حسودٌ ... وشرُّهمُ على النِّعِمِ الحسـودُ
ومولًى عِرضُـه بك مشمخرٌ ... بطول الحفرِ يَهـدِمُ ما تشيدُ
نصحتُ لمارقٍ من "آل عوف" ... لو انّ النصحَ يبلغ ما أريدُ
وقلتُ له: قناتَك لا تدعها ... تُوَصَّمْ بالعـقوق ولا تميـدُ
وبيتَـك لا تبذّلْ فيـه غدرا ... فإنّ عليـك ما يجني النّـدودُ (١)
ولا تعبَثْ بعـزِّ "مَزيَدِيٍّ" ... لتنقُصَـه وأنت به تزيدُ
هم آنتحـوك معـروقا (٢) وضمُّوا ... عزيبَـك وهو متجحّسٌ طريدُ
ومـدّوا ضَبْعَك المغمورَ حتى ... سمـا بك بعـد مهبطه صعودُ
الى نادٍ تفـوه به وتغشَى ... وسامرةٍ يُشَبُّ لهـا وَقـودُ
عُنُوا بثراك وآغترسوك حتى ... بسقتَ على العِضاهِ وأنت عودُ
وربُّوا نعـمةً لك لا يغطّى ... عليهـا السترَ غَمطُك والجحودُ
فمـا غَـنِيَ المبصِّرُ وهو باغٍ ... بمـا يُجدى المَشورةُ أو تفيـدُ
وقام يقـودُها سُوقًا (٣) عجـافًا ... أعزُّ من القيام بهـا القعـودُ
يَلوثُ جبينَـه منهـا بعـارٍ ... تبيـد المخـزياتُ ولا يبيـدُ
فكيف وأنت طير البغى فيها ... جرت لك بالتى عنهـا تحيـدُ
نزلتَ لهـا بدار الهُـون جارا ... لأقـوامٍ تُضـامُ وهـم شهودُ
صديقَ العجزِ أسلمك الأدانى ... بجُرمك وآسـترابَ بك البعيدُ
تَقاذَفُـك المهامهُ والفيـافى ... وتُنكِـرك التهـائمُ والنُّجودُ
فمـا لك لا وَألتَ (٤) وأنتَ حُرٌّ ... يُجيرك من عشيرتك العبيدُ

---

(١) الندود: النفور والشرود. (٢) معروقا: منزوعا ما عليك من لحم. (٣) سوق جمع ساق. (٤) يقال: وأل فلانا: آتخذه موئلا.

وأن الجارَ لا حيّ عزيزٌ | بأسرته ولا ميْتٌ فقيدُ
ولو بأبي الأغرّ صرختَ فاءتْ | عليك فضولُ رأفته تعودُ
إذن لأثرتَ عاطفةً وحِلمًا | تموتُ له الضغائنُ والحُقودُ
وكان الصفحُ أبردَ فى حشاه | اذا آلتهبتْ من الحَنَقِ الكُبودُ (١)
وعاد أبرَّ بالأنساب منكم | وبالقربَى لو آنك تستعيدُ
نتجتَ من المنى بطنا عقيما | نمَى بك والمنى أمٌّ ولودُ
أتنشُدُ ما أضلَّ الحزمُ منها ؟ | أطِلْ أسفا فليس لها وجودُ !
وتوعدُه وذلك ذلُّ جارٍ ، | متى آجتمع المذلةُ والوعيدُ ؟
تريدون الرءوسَ وقد خُلقتم | ذُنابَى لا آنتفاعَ بأن تريدوا
ويأبى اللهُ إلا " مَزْيَديّا " | على " أسَدٍ " يؤمَّرُ أو يسودُ
فدعْها للذى جُعلتْ اليه | وسلْه العفوَ فهو به يجودُ
دَعُوا قوما يخاصم فى علاهم | رقابَكُم المواثقُ والعهودُ
بأىّ سلاحكم قارعتموهم | أبَى الماضى الشبا ونبا الحديدُ
وإنّ سيوفَكم لتكون فيهم | مَكاوىَ لا تَنُشُّ لها الجلودُ (٢)
ففخرا يا " خُزَيْمُ " فكلُّ فخرٍ | الى أنواركم أعمى بليدُ
لكم نار القِرى وندَى العشايا | وفرسانُ الصباح وَعَوْا فَنُودوا (٣)
وأنديةٌ وألسنةٌ هُبوبٌ | اذا آنتُضيتْ وأحلامٌ رُكودُ (٤)
ومنكم كلُّ وَلّاجٍ خروجٍ | وذو حَزْمَيْن صدّارٌ وَرودُ
وقَرُّ ما أقلَّ السرجُ ثَبْتٌ | اذا مالت من الرَّهَجِ اللُّبودُ

(١) الكبود جمع كبد . (٢) تنش : تصوت . (٣) فى الأصل " فتودوا " .
(٤) فى الأصل " انتضبت " .

اذا "مُضَرٌ" تَطَامَنَ كلُّ بيتٍ لهـا وعلا بربوتهـا الصـعيدُ ،
وكانت جمرةَ الناسِ، آحتبيتم وفيكم عزُّ ســورتهـا العتيدُ
بَنَى لَكُمُ "أبو المظفارِ" مجدا على موت الزمانِ له خلودُ
وقدمكم على الناس آضطرارا مقاماتٌ وأيامٌ شُـــهودُ
إجارةُ "حاتمٍ"(١) ودمٌ شريقٌ به لَبّاتُ "حُجْرٍ"(٢) والوريدُ
وطعنــةُ "حاتم" وطَرٌ قديمٌ قضى "مَروانُ" فيها ما يريدُ
وصاحتْ باسم صامتَ نفسُ حرٍّ "ربيعُ المقترين"(٣) بهـا يجودُ
و"صخرٌ" ذابَ(٤) "صخرُ" على قناكم ولان لكم به الحجر الشـــديدُ
ويومُ "عُتَيْبةٍ" عَلَمٌ عريضٌ تَبَاشَـــره المواسمُ والوفـــودُ
كرائمُ من دماء باردات لديكم لا دِيَاتٍ ولا مَقيـــدُ
وإنّ "ببابلٍ" منـكم لبحـرا لو آنّ البحرَ جاد كما يجودُ
اذا الوادى جرى مِلحا أُجاجا ترقـرق ماؤه العـذبُ البَرودُ
فتيُّ السنِّ مكتهلٌ حجـاهُ طريفُ الملك سؤدُده تليـدُ
اذا آشتبهتْ كواكبهم طلوعا "فنور الدولة" القمرُ الوحيدُ
أناف به وقـــدّمه عليكم أبٌ كَرَمٌ(٥) أناف به الجـــدودُ
أغرُّ قَسيمُهُ(٦) السيفُ المحلَّى ومسحبُ ذيله الروضُ المجودُ
يعود اذا تغـرّب فى العطـايا ويُقلع فى الهَنَـاتِ فلا يعــودُ

(١) يشير الى حاتم الطائى حين أجاره عمرو بن أوس . (٢) يشير الى حجر بن عمرو الكندىّ يوم ذبحته بنو أسد . (٣) يشير الى جدّ لبيد بن ربيعة وكانت العرب يسمونه "ربيع المقترين" لسخائه وقد قتله بنوأسد ، وفى قول : إن قاتله "صامت بن الأفقم" المذكور فى صدر هذا البيت . (٤) يشير الى صخر بن عمرو بن الشريد يوم طعنه ربيعة بن ثور الأسدىّ ؛ ولهذه الإشارات قصص طويلة ولعل وجه الفخار بهـا أن ممدوح مهيار يمتّ بالنسب الى بنى أسد الذين منهم كل من مر ذكرهم . (٥) كرم : كريم . (٦) القسيم : النظير .

بليـلُ الريقِ من كَلِمٍ سـديدٍ يقـوم بنصره رمحٌ سـديدُ
تراغتْ حـول قبّتـه بِكارٌ شـفار الجازرين لها قُتودُ
تراه الخيلُ أفرسَ من تمطّتْ به والجيشُ أشجعَ من يقـودُ
ويَغـنَى ثم يُفقِرُ راحتيـه فقالُ المادحين : الفقرُ جودُ
مَن الغـادى ينقِّلُه حِصانٌ مفدَّى السبق أو عَنْسٌ وَخُودُ
اذا ركبَ الطريقَ، وفَى بشرطِى أخٌ منـه على أربى عقيـدُ
اذا بلّغتُ عن "إنسانَ"(١) ينزو وراء ضلوعـه قلبٌ عميـدُ
يرى المرعى الخصيبَ يصدّ عنه ويظمأُ وهو يمكنه الوُرودُ
فقـل لأمير هذا الحىِّ عنى : أيَجْمَعُ لى بك الأملُ البعيدُ ؟
أحِنُّ الى لقـائك والليالى عـلىّ مـع العوائق لى جُنـودُ
وتجـذبنى نوازعُ موقظاتٌ اليـك وراءها قَـدَرٌ رقودُ
وكم وعَدتْ بك الآمالُ نفسى ويقضى الدهرُ أن تُلْوَى الوُعودُ
فهـل من عطفـةٍ بالود؟ إنى على شحط النـوى خِلّ ودودُ
محبٌّ بالصفاتِ ولم أشاهِـدْ كأنى من نجيِّكُمُ شهيدُ
وكم مَلِكٍ سـواكم مدّ نحوى يديه فقصَّر الباعُ المديدُ
وممصوبٍ بذكرى أو بشِعرى أحوِّل عنـه شعرى أو أحيـدُ
أحاذر أن تبـذّلَنى أكفٌّ سوائمُ صانَنى عنها الغُمودُ
لعـلّ علاكُمُ وندى يديكم سيُنهِضُنى بمُثقِلةٍ تؤودُ
ومُجتمِعٍ عليها القـولُ، أنّى بها والقولُ مشـترك فريدُ
من الغرّ الغرائبِ لم يَعِبْها الـ كلامُ الوغـدُ والمعنى الرديدُ

---

(١) إنسان : اسم ماء .

نوادر تلقــط الأسماعُ منهــا عن الأفواه ما نَثَرَ النشـــيدُ
تَســـير بوصفكم وتُقـيم فيكم خوالدَ فهى قاطنـــةٌ شرودُ
وليس يَضُرُّ راجيكـم لرِفْـدٍ تَلَوُّمُهُ [أذا](١) قصَــدَ القصــيدُ

* * *

(١١٨) وقال وكتب بهــا فى النيروز الى أبى الحسن جابر يهنّئه ويتصره على قوم كان يستضرّ بمعاملتهم فى معيشة له

جَـــمَّ لهــا الوادى وعزَّ الذائدُ وطاب ما حـــدَّثَ عنهــا الرائدُ
نخلّهــا راتعـــةً مجـــرورةً وراءهــا الأرسانُ والمَقاودُ
يُخلِفُ ما آستُسلِفَ من جِرّاتهــا كَهلٌ(٢) أثيثٌ ومَعينٌ باردُ
حيثُ المغــيرُ لا ينالُ فرصـــةً منهــا ولا يطمعُ فيهــا الطاردُ
تذبُّ عنهــا من سِماتِ ربّها صــوارمٌ ليس لهــا مَغـامدُ
اذا بدت فى عُنُـــقٍ أو حارِكٍ فهى عليهــا أعينٌ رواصـــدُ
ونَمْ فقـــد حرَّمَها هـــذا الحمى وضمَّها وهى دُخَانٌ شــاردُ
وأعجــزَ النــاسَ جميعا رَعْيُهــا فاليـــومَ يرعاها جميعا واحـــدُ
أرْوَعُ لا يغلِبُـــه المكرُ ولا تـــدِبُّ فى حريمِــه المَكايدُ
أعارها عينا فكانت عُـوذَةً لهــا وشيطانُ الزمان ماردُ
أفرشَها "كافى الكفاةِ" أمنَـــهُ فالظلُّ سَكْبٌ والنســـيمُ باردُ
دانَ بتاجِ الحضرةِ الدهرُ لهــا وحلَّ حبـــلَ الذلّ عنهــا العاقدُ
وصـــدَّقَتْ أن الربيعَ بعـــدَهــا بـــوارقٌ من يده رواعـــدُ
غاصتْ غصونُ المجد تحتَ مائها فأورقَ الذاوِى وقام المـــائدُ

---

(١) هذه الكلمة غير موجودة بالأصل . (٢) الكهل : النبت تم طوله وظهر نوره .

وضحِـكَ القاطبُ من وجه الثرى ... وسالَ وادى المكرُماتِ الجامـــدُ
وبشَّر الفضـــلُ بقايا أهـــلِهِ : ... لا تقنطوا ، فى الناسِ بعدُ ماجدُ
نقـــل لأبنـاء الطِّلاب والمـنى ... والحاجِ ضاقتْ بهـــم المقاصـدُ ،
يتاجرونَ المجدَ فتخيسُ فى (١) ... أيديهـــم البضائعُ الكواســدُ :
تضمُّكم حَنـوتُهُ (٢) وأنـتُمُ ... عِزُونَ (٣) فى الآفاق أو بدائدُ
زَمَّ الأمـور فـلوَى أعناقَهـا ... ساعٍ الى الغـايات وهو قاعـدُ
ودبَّر الدنيـا عـلى عِلاَّتهـا ... فصَلَحَتْ والدهرُ دهرٌ فاســدُ
ماضٍ له من عزمه مجـرَّدٌ ... يذُبُّ من جهلِ الزمانِ غامدُ
يَرَى بوجهِ اليـوم صـدرَ غدِهِ ... تُعطيـه ما فى المَصــدرِ المواردُ
لا يأخـذ التـدبيرَ إلا من عَلِ ... فالناسُ يحطُّونَ وهو صاعدُ
رأى انتهـاءَ مجـدِهِ مبتـدَأً ... لَمّـا أعانَ الكفَّ منه الساعدُ
أسهرَهُ حبُّ العـلا منفـردا ... وهو على ظنِّ العيونِ راقـدُ
جَـدَّ وقارا والزمانُ هازلٌ ... وجادَ عفوا والسـحابُ جامـدُ
ولاحَ فى المُلك شِهابا فـوَرَى ... زنادُهُ والمُلكُ نجـمٌ خامـدُ
منتصـرا بنفســه لنفســه ... كالليث يشرَى (٤) ما لَهُ مساعـدُ
لا يَملكُ الحفظُ عليـه أمرَهُ ... ولا تُفـرِّى حِلمَه الشـدائدُ
يُنهِضـه الكمالُ من أثقـالِهِ ... بأوسُـقٍ تلفِظها الجلامـدُ
مدَّ على الدولة من جناحـه ... ما مـدَّ عطفا لبنيـه الوالدُ
حتى استقامتْ وهى بلهاءُ الخُطا ... عمياءُ ما بين يديها قائـدُ

---

(١) تخيس : تكسد . (٢) الحنوة : العطفة . (٣) عزون جمع عِزَةٍ وهى العصبة المجتمعة من الناس ، وفى الأصل "عزين" . (٤) يشرى : يتقدّم و يلجّ .

كم قــدَمٍ قبلَك قــد زَلّتْ بهـا ضُعفا وكــفٍّ لم يُطعها الساعدُ
وضابطٍ لم يُغنِـهِ ـ لمّـا طغتْ أدواؤها ـ التجريبُ والعــوائدُ
يَحرُسها وليس من حُمـاتهـا مثـــلُ الشَّـغا[1] ينقُصُ وهو زائدُ
جاءت على الفَــتْرةِ منـــه آيةٌ معجِزةٌ قامت بهـا الشواهـــدُ
مَوهِبــةٌ فاجئـــةٌ لم تُحتَسَبْ ولم تســـوِّفْه بهـا المَواعـــدُ
كنتَ خبيئا ترقُبُ الأيامُ فى إظهـارِه الميقاتَ أو تراصـــدُ
كالنارِ فى الزَّند تكون شَرَرا بالأمس وهو اليومَ جمـــرٌ واقدُ
فأبرزتْـــك للعيونِ كوكبًا يَزهَرُ لم تَجـــرِ به العـــوائدُ
يَفــديك محظوظون وجهُ عجزِهم بغَلَطِ النّعمة فيهـم شاهـــدُ
قــد سَرَق الدهرُ لهـم سـيادةً ليس لهـا من المَساعى عاضدُ
تَنافَرُ الأقلامُ عن أيمـانهـم وتَقشـعِرُّ منهـــم الوسـائدُ
لم يَنظِموا المجـــدَ كما نَظَمتَـــهُ ولا حلَتْ عنـــدهم المَحامـدُ
ولا أعانَ طارفا من حظّهم مجـدُ أبٍ مثـــلِ أبيـك تالدُ
وخيرُ من شاد الفخارَ رافعٌ أُســـرَتَهُ لِمـا بَنَى قواعِـــدُ
وبعضُ علياءِ الفـتى مَكاسبٌ بنفســـه وبعضُـها مَوالدُ
وليهنِـــكَ الأمرُ الذى ذلّ به لك العـــزيزُ وأقـرّ الجاحـــدُ
ولانَ فى يديك منـــهُ مرِسٌ[2] مُـــلاوِذٌ مَن رامَـــهُ مُحايدُ
يَنقُصُ من قـــدرِك وهو فاضلٌ على وســيعات الأمانى زائدُ
ومُشرِفاتٌ قُضُــلٌ لِبستَهـا تَزلُقُ عنهـا المُقَـــلُ الحـــدائدُ
كلِبــدةِ الليثِ سَطَا وحسنُهـا كالوشيِ تُكساهُ الدُّمَى الخـــرائدُ

(١) الشغا : الزائد من الأسنان . (٢) المرس : الشديد المراس .

لو كانت الأفلاكُ أجسادا لمَا كان لها من مثلها مجاسِدُ

باطِنة وظاهر جمالُها فالحسنُ منها غائبٌ وشاهدُ

تَسحَبها فى الأرض ولفخرها مَعالِقٌ فى الجو أو مَعاقدُ

وكالدماء عِمّةٌ صِبغَتُها قد جاءها من الزمان وافدُ

مقدودةٌ منها، ومن نجومها فى طَرَفَيْها سائرٌ وراكدُ

إن لم تكن تاجًا فقد أكسَبَها نورُك ما لم يَكسُ تاجًا عاقدُ

وضاربٌ الى "الوجيه"(١) عِرْقُهُ بأربع تَشقَى بها الأوابدُ(٢)

من اللواتى نَصَرتْ آباءَها فى السبق أمّهاتُها الرّدائدُ

وصَبَحتْها(٣) بالصريف(٤) عُلَبًا(٥) قبلَ عيالِ ربها الولائدُ

خاضَ الظلامَ فاهتدى بغُرّةٍ كوكبُها لمقلتيه قائدُ

يجاذبُ الريحَ على الأرض ومن قلائد الأفقِ له قلائدُ

حَلْىٌ من التبرِ اذا خفَّ بها أثقلَ فهو تحتها مجاهدُ

ينصاعُ "كالمرّيخ" فى التهابِهِ وأنت فوق ظهره "عُطاردُ"

غرائبٌ من الحِباءِ(٦) جُمِعَتْ بها لك الفوارِكُ الشواردُ

تبرّعَ المَلْكُ بها مبتدئا وكلُّ بادٍ بالجميل عائدُ

قد كنتُ عِيفتُ لك الطيرَ بها مستيقظا والحظُّ بعدُ هاجدُ

وبَرَقَتْ لى فى المنى سيوفُها من قبلِ أن تُبرِزَها المَغامدُ

عِلْما بما عندك من أدائها وأنها سيفٌ وأنت ساعدُ

---

(١) الوجيه: اسم فرس. (٢) الأوابد: جمع آبدة وهى الوحش. (٣) صبحتها: سقتها الصَّبوح وهو اللبن يحلب بالغداة. (٤) الصريف: اللبن ساعةَ يُحلَبُ، وفى الأصل "الصرير". (٥) العُلَب جمع عُلبة وهى قَدَح ضخمٌ من جلدٍ أو خشب يُحلب فيه. (٦) الحِباء: العطاء، وفى الأصل "الحياء".

فلم يَحُــنِّى فارسُ الظنِّ ولا غَرَّتْنِى المَخَايِلُ الشواهــدُ
وبعــدُ ، لى فيك رجاءٌ ناظرٌ الى السماء وحسابٌ زائــدُ
حتى يُشَــقَّ للزمانِ رمسُــهُ وأنت باقٍ والعـلاءُ خالدُ
بك آستقاد الفضــلُ ودماؤه مطــلولةٌ وعِزٌ وهو كاســدُ
نصرتَهُ والنـاسُ إمّا جاهــلٌ بحقِّــه أو عارفٌ مُعـانِدُ
وريشْتَ من أبنـائه أجنحةً طار حَصيصا ريشُــهُ البـدائدُ
تُعطى وأنت مُعــدِمٌ وإنمـا يُعطِى أخوك البحــرُ وهو واجدُ
زرعتَ عنــدى نعمــةً سالفةً أنت لهــذا الشكر منهـا حاصدُ
عَطفا على ذكرى ووصفا فخــرُهُ باقٍ علىَّ والزمانُ بائدُ
ونَظَــرا بَدأْتَنى برأيِــه لو أنّ باديه الىّ عائــدُ
لكن أردتَ الخــيرَ لى ودونه حوائلٌ من زمنى حــوائدُ
فهــل لأرضِى لك أن تَبُلَّهـا على الجُــدوب سُحُبُك الجــوائدُ ؟
غَرَسْتُ منك بالولاء والهــوى غرسا فماذا أنا منــه حاصدُ
أُنظرْ، فقد قدَرتَ ، فى مَظْلَمـةٍ كنتَ على إنصافها تعاهــدُ
وآقضِ ديونَ المجـد فيها وآرعَ لى ما تقتضى الأواصرُ التــوالدُ
ولا تكن — حاشاك — من معاشِرٍ تخــذُلُ أقــوالَهم العقـائدُ
كانوا يدى وريحُهــم راكدةٌ وأُسرتى والحظُّ عنهـم عاصدُ (١)
فحين هبّت عاصفا رياحُهــم قــلّ الوفىُّ ونأى المساعدُ
غنّيتُ أنْ أسكرَنى جفـاؤهم وفى غِنـائى لَهُــمُ عَرابــدُ
وبُخَــلاء لا تُهــنّا نعمــةٌ هُمُ اليهـا السُّبْلُ والمَقاصــدُ

(١) العاصد : الملتوى المنحرف .

أذا كَرُمتَ لؤمــوا سَفارَةً ... وإن قرُبتَ فهُــمُ أباعــدُ
تُغـالِقُ الأرزاقَ أيمـانُهُــمُ ... تَضجُّ من مطلِهــم المَواعــدُ
لا يُرتَجى حُكمُ القـريض بينهــم ... ولا يُخاف اللّغــوُ والعَــرابدُ
وكيف أبغي فى النَّبيط منهُــمُ ... والعُجمِ أن تنفعَنى القصـائدُ
تلافَ بالفضـل الوسيع ما جَنَى ... مُسلِمُهـم عــلىّ والمُعاهــدُ
حاشاك يشـقَ واحدٌ بفضـلِهِ ... على زمانٍ أنتَ فيــه واحــدُ
قد طال صونى سمعَك المشغولَ عن ... بثّـك ما ألقى وما أكابدُ
ونقّبتْ(١) جســمى وقلبى صابرٌ ... من زمنى نيــوبُهُ الحــدائدُ
ولم يدعْ تحت الخطوب فَضْـلةً ... فىّ تدبُّ نحــوها الأوابدُ(٢)
وأعوزَ المُقـامُ أن أسْطيعَهُ ... وسُــدِّدَتْ عن سيرىَ المَقاصـدُ
أيقتُــلُ الزمانُ مثـلى هَـدَرا ... وأنت ثأرى والزمانُ عامدُ ؟
أنت بفضـلى شاهدٌ فـلا أمتْ ... هَزْلًا وتضييعـا وأنت شاهـدُ
أعذْ ــ مع الإثقالِ ــ نحوى نظرةً ... تَنعشــنى لحـاظُهـا الروائدُ
لعلّها يا خيرَ مَن يُدعَى لهـا ... تَصلُحُ شيئـا هـذه المفاسـدُ
وأبتغْ بهـا الشكرَ فعنـدى عوَضٌ ... تَضْمنُـهُ(٣) القــواطنُ الشــواردُ
كلّ مطـاعٍ أمرُها مسـلّطٌ ... فى الشـعر ملقاة لهـا المَقـالدُ
سائرة تنشرها الركبانُ أو ... عامرة بذكـرها المَشـاهدُ
ترَى الكلامَ عُجُــزًا وطَرَفًا ... وكلُّهـا وسـائـطٌ فرائــدُ
اذا رأتْ عِرض كريمٍ عاطـلا ... فهى له العــقودُ والقــلائدُ

(١) نقبت : جعلت به نَقْبًا أى خَرقا . (٢) الأوابد : غرائب الكلام و يريد بها القصائد .

(٣) فى الأصل " تضمه " .

تحمِلُ من وصفك ما يحمِلُهُ عن روضة الحَزْنِ النسيمُ البارِدُ
طالعــةً بها التهانى أنجما ما كرَّ نوروزٌ وعيدٌ عائدُ
يفنى بنــو الدنيا وأنت معَها باقٍ على مرّ الزمان خالدُ
تَبقَ عليك والذى تأخــذُه من الجــزاءِ مضمحِلٌّ بائــدُ
محامِدٌ يحسُدُك الناسُ لها والناسُ إما حامدٌ أو حاســدُ

⁂

وقال يصف دَواةً

وخرقاءَ مُعـرِقةٍ فى الضـلا ل شاقك فى القَصد إرشادُها
اذا سُقيتْ فما أطعمَتْ مرنَّقــة، ماؤها زادُها
وإن رَشَفَتْ ريقَها ألسُنٌ وقاءَتْ ففى القَيءِ أكبادُها
تَقطَّع منهـا فـلا تَرعوِى وتُعـدَى بها وهى عُـوّادُها
ترى زوجَها أبدا فوقها ومن غيرِه جاء أولادُها

⁂

وقال يمدح أهل البيت

بكى النـارَ سَـتْرًا على المَوْقِـدِ وغار يغـالطُ فى المُنجِـدِ
أحبَّ وصانَ فورَّى هوًى أضـلَّ، وخاف فلم يَنشُـدِ؟
بعيـد الإصاخة عن عاذلٍ غنيُّ التفــرّدِ عن مُسـعِدِ
حمولٌ على القلب وهو الضعيفُ صبورٌ عن المـاء وهو الصَّدِى
وقورٌ وما الخُـرقُ من حازمٍ متى ما يَرُحْ شيبُه يغتـدى
ويا قلبُ إن قادك الغانيـاتُ فكم رسَنٍ فيك لم ينقـدِ
أفِقْ فكأنى بهـا قـد أُمِرَّ بأفواهها العـذْبُ من مَوْردِي

وسُوِّدَ ما آبيضَّ من ودّها … بما بيّض الدهرُ من أسودى
وما الشيبُ أولُ غدرِ الزمان … بَلَى من عوائده العوَّدِ
لَحَا اللهُ حظّى كما لا يجودُ … بما أستحق وكم أجتدى
وكم أتعلّلُ عيشَ السقيم … أذمُّ يومى وأرجُو غدى
لئن نام دهرِىَ دون المُنَى … وأصبح عن نَيلها مُقعِدى
ولم أك أحمَدُ أفعالَه … فلى أُسوةٌ بنى "أحمدِ"
بخير الورى و بنى خيرهم … اذا وَلَدُ الخيرِ لم يُولَدِ
وأكرمِ حىّ على الأرض قام … ومَيْتٍ توسّد فى مَلحَدِ
و بيتٍ تَقاصَرُ عنه البيوتُ … وطال عَلِيًّا على الفرقَدِ
تحومُ الملائكُ من حوله … ويُصبحُ للوَحْيِ دارَ النَّدى
ألا سَلْ "قريشا" ولُمْ منهُمُ … مَن آستوجبَ اللومَ أو فنِّدِ
وقل : ما لكم بعد طول الضلا … ل لم تشكروا نعمة المرشدِ؟
أتاكم على فَترةٍ فآستقام … بكم جائرين عن المَقصدِ
وولّى حميدا الى ربّه … ومَن سَنَّ ما سنَّهُ يُحمَدِ
وقد جعلَ الأمرَ من بعده … "لحيدَرَ" بالخبر المُسنَدِ
وسمَّاه مولًى بإقرارِ مَنْ … لو آتبَعَ الحقَّ لم يَجْحَدِ
فملتم بها حسدَ الفضل عنه … ومن يكُ خيرَ الورى يُحسَدِ
وقلتم : بذاك قضى الآجتماعُ … ألا إنما الحقُّ للمفردِ
يعزُّ على "هاشمٍ" و "النبيِّ" … تلاعُبُ "تَيْمٍ" بها أو "عَدِى"
وإرثُ "علىٍّ" لأولاده … اذا آيةُ الإرثِ لم تُفسَدِ
فمن قاعدٍ منهُمُ خائف … ومن ثائرٍ قامَ لم يُسعَدِ

تَســلّطَ بغيـا أكفُّ النفا ... ق منهـم على ســيِّد ســيِّد
وما صُرِفوا عن مقام الصــلاة ... ولا عُقِّفوا فى بُنَى[1] المســجِد
أبوهم وأمهُــمُ مَن علمـ ... ـتَ فانقُصْ مَفـاخِرَهم أو زِدِ
أرى الدِّينَ من بعدِ يوم "الحسين" ... عليـــلًا له الموتُ بالمَرصــدِ
وما الشِّرك لله من قبــله ... اذا أنت قستَ بمســتبعَدِ
وما آل "حربٍ" جَنَوا إنمـا ... أعادوا الضــلال على من بُدِى
سيعلم مَن "فاطمٌ" خصمُهُ ... بأىّ نكـالٍ غــدًا يرتدى
وَمَنْ ساءَ "أحمدَ" يا سِبطَهُ ... فبـاءَ بقتلك، ماذا يـدى؟
فـداؤك نفسى ومَنْ لى بذا ... ك لو أن مولًى بعبدٍ فُـدِى
ولَيتَ دمى ماسَقَ الأرضَ منك ... يقوتُ الرَّدَى وأكون الرَّدِى
وليتَ سَبقتُ فكنتُ الشهيدَ ... أمامَك يا صاحبَ المَشهَدِ
عسى الدهرُ يَشفِى غدًا من عدا ... ك قلبَ مَغيظٍ بهـم مُكمَدِ
عسى سطوةُ الحقّ تعلو المُحـالَ ... عسى يُغلَبُ النقصُ بالسـؤدُدِ
وقـــد فعَـلَ اللهُ لكننى ... أرى كَبِدى بعـدُ لم تبرُدِ
بســمعى لقائمكم دعوةٌ ... يُلبِّى لهـا كلُّ مســتنجَدِ
أنا العبــدُ وَالاكُمُ عَقـــدُهُ ... اذا القـــولُ بالقلبِ لم يُعقَدِ
وفيـــكم ودادى ودِينى معًــا ... وإن كان فى "فارسٍ" مولدى
خَصَمْتُ ضلالى بكم فاهتديتُ ... واولاكُمُ لم أكن أهتـدى
وجردتمـــونى وقـــد كنتُ فى ... يد الشِّرك كالصـارم المغمَـدِ
ولا زال شـــعرِىَ من نائحٍ[2] ... يُنَقَّـــل فيكم الى مُنشِـــدِ
وما فاتنى نصرُكم باللسانِ ... اذا فاتنى نصرُكم باليـــدِ

---

(١) بُنَى جمع بُنْيَة . (٢) فى الأصل "فى" .

***

وقال وكتب بها الى الأجلّ العميد أبي منصور بن المزرّع فى رجب سنة تسع وأربعمائة، وقد أحسن له السّفارة، ووفَى بكثير من الشرط فى المودّة

حرِّم عليها نُزُهاتِ الوادى ووَلِّها جوانبَ البلادِ
وغنِّها إنْ طرِبَتْ لصافرٍ آذانُها بَرْقَعِ الجِلادِ
وآسبِقْ بها الى العلا شوطَ الصِّبا لعلّها تُعَدُّ فى الجِيادِ
قد لفظتْكَ هاجدا وقاعدا مَكاسرُ البيتِ وتَجْرُ النادى[1]
كم التمادى تطلب العفوَ به ؟ قد بلغَ الجهدَ بك التمادى
لا بد إن عفت تخالِطَ القذَى أن تُخلَطَ الأرجُلُ بالهوادى
ما العزُّ بين الحُجُراتِ كامنا ولا الغنَى فى الطُّنُبِ والعِمادِ
تفسّحى يا نفسُ أو تطوّحى إمّا الردى أو دَرَكُ المُرادِ
إن النفوس فآعلمى إن حُملتْ مسجونةٌ فى هذه الأجسادِ
خيرٌ من الزاد الوثيرِ والأذى أن أنفُضَ الأرضَ بغير زادِ
قد ملّنى حتّى أخى وأنكرتْ كلابُ بيتى فى الدجى سَوادى
كم أحمِلُ الناسَ على عِلّاتهم، قد جُلِبَ[2] الظهرُ وجُبَّ الهادى
فى كل دارٍ ناعقٌ يخبِطُ فى جنبىّ وهو خاطبٌ ودادى
وحالمٌ لى فاذا آستسعدتُه فى يوم رَوعٍ مال بالرقاد
يُعجبُه قربى لغير حاجةٍ فإن عرَتْ طارَ مع البعادِ
اذا عدمتُ عُدَدى ضحكتُ من تبجُّحى بكثرةِ الأعدادِ
أُنسا على ما خيّلَتْ وخلَبتْ بروقُها بوحشةِ آنفرادى

(١) تَجْر جمع تَجْرة وهى الناحية. (٢) جلب : ظهرت به الجلبة وهى القشرة تعلو الجرح.

(١٢٢)

ما أنا — والحزمُ معى — بآمنٍ شريحتى[1] صـــدرى على فؤادى
قد شَمِتَ النُّقصانُ بالفضـلِ وقد تَسلَّط العجـــزُ على السَّـــدادِ
فاجفُ الوُصولَ وآهجُ من مدحتَهُ فربّمـا تُصـلِحُ بالفســادِ
ولا تخـــلْ ودَّ "العميد" منحةً سيقتْ بقصـدٍ أو عن آعتمادِ
لكنّها جوهرةٌ يتيمـــةٌ تقـــذفها البـــحارُ فى الآحادِ
جاءت بها — والوالدات عُقُمٌ — مُقْبـــلةٌ غريبـــةُ الولادِ
خلّ له النـاسَ وبِهْـم غانيـا به عـــلى كثرتهم وفادِ
وحكّم المجـــدَ التليـــد فيهمُ وفيـــه وآسأل ألسنَ الرُّوّادِ
بالأقربينَ الحاضرين منهُـــمُ ما غاب من ذاك البعيدُ النادى
وحبّذا بين بيوتِ "أسَـدٍ" بيتٌ اذا ضـلَّ الضيوفُ هادى
أتلعُ طال كرمًا ما حـــولَه تَشـــرُّفَ الربْوِ[2] عـــلى الوِهادِ
مُوضَحـــةٌ عـلى ثلاثٍ[3] نارُهُ إن سَرِفوا[4] النيرانَ فى الرَّمادِ
بيتٌ وسيعُ البـاب مبلولُ الثرى ممهّـــد المجلِس رَخصُ الزادِ
إنْ قوّضَ البيوتَ أصلٌ حائرٌ طُنِّبَ بالآباءِ والأجـــدادِ
تُرفَعُ عن "محمـدٍ" سُجوفُهُ جـــوانبَ الظلمـاءِ عن زنادِ
أبلج يُورِى فى الدجى جبينُـــه على خبـــو الكوكب الوقّادِ
ساد وما حُلَّتْ عُرَى تميمـــه بالأطيبَيْنِ : النفسِ والميـلادِ
وجاد حتى صاحت المزنُ به : أكرمتَ يا مُبخِّلَ الأجـــوادِ
من غِلمةٍ تحاشـدوا على النـدَى تحاشُـــدَ الإبْلِ على الأورادِ

---

(١) الشريحة : كلّ سمين من اللحم ممتدّ . (٢) الربو : الرابيـة وهى ما آرتفع من الأرض .
(٣) يريد بالثلاث : الأثافىّ جمع أثفيّة وهى الحجر توضع عليه القدر . (٤) سرفوا : أغفلوا .

ودبَّروا المجـــدَ فسدُّوا ما وَلُوا ســـدَّ السيوف ثُغَـــرَ الأغمـادِ
مشَوا على الدارسِ من طُرْق العلا ، ويَقتفِى الرائحُ إثرَ الغـادِى
يعتقبون دَرَجا ذروتَهـا تعاقُبَ العـــقودِ فى الصِّعادِ
مَثنَى ووُحـــدانًا الى أن أحدقوا بهـالةِ البـــدرِ عـلى ميعـادِ
للكَلِمِ المعتـاصِ من سلطانهم عليـــه ما للجحفل المنقـادِ
فهـم قلوبُ الخيـلِ مثـلُ ما هُمُ إن خَطَبـوا ألسنةُ الأعـــوادِ
هل راكبٌ ؟ وضَمِنَتْ حاجتَـــهُ غضبَى القِماصِ سَمحةُ القِيـادِ ؟
مُطلَقـةُ البـاعِ ، اذا تقيَّـدتْ من الكَلالِ الشَّـوقُ بالأعضـادِ ،
تدرُّ قبـلَ البوِّ أو تَطرَبُ من مَراحِها قبـــلَ غِنـاءِ الحادى ،
لا يُتهِمُ الليـــلُ عليهـا بخـــرَهُ ولا يَخـافُ عدوةَ العـــوادى ،
لها من الجوِّ العريضِ ما اشتهتْ ، همُّك فى السرعةِ والإبعـادِ ،
تَصدُقُها — واللحَظاتُ كُذُبٌ — عينـا قُطامِيٍّ[1] عـلى مِرصادِ :
بلِّغ — وفى عتابك الخيرُ — إذَن تحيـــةً من كَلِفِ الفـــؤادِ
ينفُثُ فيهـا شجـوَه كما اشتفى الـ ـمدنَفُ بالشكوى الى العُـــوّادِ
قُلْ لعميـدِ الحىِّ بين " بابلٍ " و"الطَّفِّ" جادت ربعَك الغوادى
ما اعتضتُ أو نمتُ على البين فلا بقَـــلقٍ بتٌّ ولا سهـادى
أشرقَنى الشـــوقُ اليك ظامئـا بالعـذبِ من أحبابِىَ البِرادِ
ما زارنى طيفُ حبيبٍ هاجرٍ إلا اعترضتُ فثنَى وسـادى
ولا نَسمتُ البـانَ تفليـه الصَّبا إلا تضـــوعتْك من أبرادى

(١) القطامىّ : الصقر أو الحديد البصر الرافع رأسه الى الصيد .

(١٢٣)

والبـــدرُ يحكيك فيشقَ ناظرى حتى كأنّ بيضَـه[1] دآدى
فهـل تـلى ماء اللقـاءِ بِلّةٌ يُروَى بها هـذا النزاعُ الصـادى ؟
مالك لا تسمحُ بالقـربِ كما تسـمحُ بالمـالِ وبالإرفادِ ؟
أنت جـوادٌ والنـوى مبخَـلَةٌ ما أعجبَ البخلَ من الجـوادِ !
ملَكتَنى بالودّ والرفـدِ معا، والرفـدُ من جوالبِ الوِدادِ
وقاد عُنْق لك خُلُقٌ سايسُ الـ ـجبل على صُـعوبة آنقيـادى
حملتُ منك اليدَ بعـدَ أختها بكاهلٍ لا يحمـل الأيادى
ولم يكن قبـلَك من مآربى لمسُ يدِ المُجـدى ولا من عادى
مَواقفا أعطيتَ فيها مسرفا والبحـرُ يعطينى على آقتصـاد
فما أذمُّ الحـظَّ إلا قمتَ لى بمِنـةٍ تكسبه أحـادى[2]
ولا أنادى النـاسَ إلا خِلتَنى إياك من بينهـمُ أنادى
ولم تكن تَخَـلُّبٌ برقُـهُ لا للحيا آعتنّ[3] ولا الإرشادِ
يجلبُ مدحى بلسانٍ ذائبٍ مـع النفـاق ويدٍ جَمـادِ
ماعرَفَتْ فيه الندى "طيٌّ" ولا أغنـاه شـيخُ البيتِ فى " إيادِ "
يدخُلُ فى مجدِ الكرام زائدا غبينـةَ الأنسـابِ فى " زيادِ "
تسلَّطَ البخـلُ على جَنـابِه تسلُّطَ الخُلْفِ عـلى الميعـادِ
لَتعلمَـنّى شاكرا مجتهـدا إن هو كافا[4] عفـوك آجتهـادى
بكلّ مغبـوطٍ بهـا سامعُها كثيرة الأحبـابِ والحسّـادِ
مصمّت لهـا النـدىُّ، واسع نصيبَهـا الضـخمَ فمُ الإنشـادِ

---

(١) بيضه أى لياليه البيض والدآدى، تقدّم شرحها . (٢) أحاد جمع حيد . (٣) اعتنّ : ظهر وآعترض . (٤) يريد "كافأ" .

غريبــة حتى كأنْ ما طُبِعَتْ — من طِيبِ هذا الكَلِم المُعتـادِ
ترفعُها عنايتى عن كُلْفة الـ — ـلفــظ ومعنى الغـارة المُعـادِ
تغشـاك إما بالتهـانى بالعــلا — أو التهـادى بُكرةَ الأعيـادِ

* * *

قال وكتب بها الى الأمير أبى الذواد المفرِّج بن علىّ بن مَزْيَد أخى نور الدولة دُبَيْس ، يمدحه ويصف ملاقاته للأسـد وظفره به ، وقد أطال سؤاله فى ذلك ، وأنفذها فى شهر ربيع الآخر سنة تسع عشرة وأربعمائة

بعينيك يومَ البينِ غَيِّى ومَشهَدى — وذلُّ مَقـامى فى الخليط ومقعَدى
وقَوْلى ــ وقد صاحوا بها يُعجِلونها ــ : — نَشَدتكُمُ فى طارقٍ لم يزوَّدِ
أناخ بكم مستسقيا بعضَ ليلةٍ — ولم يدرِ أن الموتَ منها ضحى الغد
أتحمون عن عضّ الضراغم جارَكم — ويقتُلُنى منكم غزالٌ ولا يدى ؟ (١)
ومازلتُ أبكى كيف حُلَّت "بحاجرٍ" — قُوَى جَلَدى حتى تداعَى تجلُّدى
وعنّفنى "سعدٌ" على فرط ما رأى — فقلتُ : أتعنيفٌ ولم تكُ مسعدى ؟
أسفتُ لحِلمٍ كان لى يومَ "بارقٍ" — فأخرجه جهلُ الصبـابة من يدى
وما ذاك إلا أن عجِلتُ بنظـرةٍ — قَتلتُ بها نفسى ولم أتعمّـدِ
تحرَّشْ بأحقاف "اللوى" (٢) "عُمَر ساعةٍ — ولولا مكانُ الريب ، قلتُ لك : آزدد
وقل صاحبٌ لى ضلَّ "بالرمل" قلبُهُ — لعلّك أن يلقاك هادٍ فتهتـدى
وسلِّمْ على ماءٍ به بَرْدُ غُلّتى — وظلِّ أراكٍ كان للوصل مَوعدى
وقل لحَمام "البانتين" مهنِّئا : — تغنَّ خليًّا من غرامى وغَرِّدِ
أعنـدكُمُ يا قاتلينَ بقيَّـةٌ — على مهجةٍ إن لم تمتْ فكأنْ قَدِ ؟

(١) لايدى : لايدفع الدية . (٢) أحقاف جمع حِقْف وهو ما آعوجّ من الرمل وآستطال .

ويا أهل "نجد" كيف بالغور عندكم — بقـاءُ تهاميٍّ يهـيم بمُنجـد؟
ملكتم عزيزا رقَّـه فتعطَّفوا — على مُنكرٍ للذلّ لم يتعوّد
أغدرا وفيكم ذمّـةٌ عربيّـةٌ — وبخلا ومنكم يستفادُ ندى اليد؟
فليت وجوهَ الحيّ أعدتْ قلوبَهُ — ففجّرَ لى ماءً بهـا كلُّ جلمـد
وليتكُمُ جيرانُ "عوفٍ" تلقّنوا — خلالَ الندى والجودِ من "آل مَزْيَد"
من الضيّق الأعذارِ والواسعِ القِرَى — اذا ما "جُمادى" قال لليلة: أبردى
ولفّ على خيشومه الكلبُ مُقعيا — يرى الموتَ إلا ما آستغاث بموقد
وشـدّ يديه حالبُ الضَّرع غامرا — على مُصفِر(١) قد مسّه الجدبُ مثْمِد(٢)
وباتَ غلامُ الحيّ يُسند ظهرَه — من النَّضَد(٣) الواهى الى غيرِ مُسند
هنالك يأوى طارقُ الليـل منهمُ — الى كلّ رطْبٍ مُثمِرِ النبتِ مُزْبِدِ(٤)
كريم القِرى والوجهِ ملءِ جفانِه — رحيبِ الرواقِ مُنعِمِ العيش مُرفِد
قليـل على الكُوم الصـفايا حنوُّهُ — اذا السيف ردّاهنّ للساق واليـد
كمثـلِ "أبى الذوّادِ" لا متعلّلٍ — اذا سُئل الجـدوَى ولا بمُنكَّد
فتًى، بيتُـهُ للطارقين، وسيفُهُ — لهـامِ العـدا، والمـالُ للمتزوّد
ويوماه إما لاصطباحِ سُـلافةٍ — تُصـفَّقُ أو داعى صـياحٍ ملدَّد
وَفَى بشروطِ المُلك وهو آبن مَهدِه — وسُـوِّدَ فى خيط التميم المعـقَّد
وجادَ على العلّات والعـامُ أشهبٌ — بأحمرَ من خير الرحابِ وأسودِ
ولم تحتبسه عن مساعى شيوخه — سِـنُوه التى حَلّتـه حِليـة أمردِ
أناف بجَـدَّيه وأسـندَ ظهرَهُ — الى جبلين من "عَفيف" و "مَزْيَد"

---

(١) المصفر: المفتقر. (٢) المثمد: القليـل الماء. (٣) النضـد: السرير.
(٤) المزبد: المنوّر، وفى الأصل "مزيد".

له فى ملوك الشرقِ والغربِ منهمُ ... نجومُ السماءِ من ثريًّا وفرقدِ
أيارا كبّ الوجناءِ يخبط ليـــلَه ... على الرزق لم يقصد ضلالًا لمقصدِ ،
ترامت به الآفاقُ ينشُـدُ حظَّه ... فلم يُعطِه التوفيقُ صفحةَ مُرشِـدِ ،
أنخها تُفـرِّجْ همَّها "بمفرِّجٍ" ... وطلِّق شقاءَ العيش من بعدُ وآسعدِ
وَرِدْ جَمّـةَ الجودِ التى ما تكدّرتْ ... بِمَنٍّ ورِدْ ظلَّ المنى المورِق النَّدى
وبِتْ فى أمانٍ أن يسـوءَك ظالمٌ ... علَتْ يدُهُ أو أن تُراعَ بمعتـــدى
حَماكَ "أبو الذوّادِ" مالكُ أمرِهِ ... على كلّ حامٍ منهُـمُ ومـــذوِّدِ
أخو الحرب إمّا مُخمِدٌ يومَ أُوقدتْ ... وإمّا شَـبوبٌ نارَها غير مُخمِـدِ
له الخطوة الأولى اذا السيف قصّرتْ ... به ظبتاه فهو يوصـل باليـــدِ
اذا آبتدر الغاراتِ كان سهامُها ... له من قتيلٍ أو أسـيرٍ مصفَّدِ
خفيف أمام الخيلِ رسغُ جوادِهِ ... اذا الخوفُ أقعى بالحصانِ المعرِّدِ
ولما كفى الأقرانَ فى الرَّوع وآرتوتْ ... صوارمُـهُ من حاسرٍ ومسرَّدِ ،(١)
تعرَّضَ للأُسْدِ الغِضابِ فلم يدعْ ... طريقا لذى شِبلين منهـا ومُفرَدِ
حماها الفريسُ أن تُطيقَ بأرضه ... وشرَّدَها عن غابهـا كلَّ مَشرَدِ
وهانتْ فصارتْ مُضغةً لسلاحه ... ممزَّقةً فى صَـعدَةٍ أو مُهنَّـدِ
ويومَ لقيتَ الأدرعَ الجهمَ واحدا(٢) ... جرى مُلبِدٌ يشـتدُّ فى إثرِ مُلبِـدِ
نَصبتَ له لم تسـتعن بمؤازرٍ ... عليـه ولم تُنصَر بكثرةِ مُسعِدِ
وقفتَ وقد طاش الرجالُ بموقفٍ ... متى تمثّـلْه الفرائصُ تُرعَـدِ

---

(١) الحاسر : من لايغفَرله ولا درع ، والمسرد : لابس السَّرْدِ وهو الدرع . (٢) الأدرع الجهم : الهجين العابس .

فأوجرتَهُ[1] نجــلاءَ أبقتْ بجنبِه	فُتوقا اذا ما رُقِّعتْ لم تُسَــدَّدِ
تحــدَّرُ منها لَبَّتَـاه وصـــدرُهُ	على ساعدٍ رِخوٍ وساقٍ مقيَّـدِ
فلم تُغنِــهِ إذ خان وثبــةُ غاشِمٍ	ولم ينتقذه منك إقعاءُ مُرصِـدِ
رأى الموتَ فى كفَّيكَ رأْىَ ضرورةٍ	فأوردَ منــــه نفسَه شرَّ مَوْرِدِ
وأحرزتَهــا ذكرا يخصُّــك فخرُهُ	تَناقَلُه الأفواهُ فى كلِّ مَشــهَدِ
جمعتَ الغريبينْ : الشجاعةَ والنَّدَى	وما كلُّ مُرْدٍ للكُماةِ بمُرفِــدِ
وقمتَ بإحكام الســيادةِ ناظِما	عُراها فما فاتتك خُلَّةُ ســيِّدِ
أتانى من الأنبــاء أنك مغــرمٌ	بفضلِ مديحى عارفٌ بتوحُّدى
حبيبٌ اليك أن تُزَفَّ عرائسى	عليك تَهادَى بين شــادٍ ومُنشِدِ
متى ما تَجِــدْ لى عنــد غيرك غادةً	مخــدَّرةً تَغبِطْ عليهـا وتَحسُدِ
فقلتُ : كريمٌ هزّه طيبُ أصله	وواحدُ قومٍ شاقه مــدحُ أوحدِ
وليس عجيبا مثلُها عنـــد مثلِهِ	اذا هبَّ يقظانا لهــا بين رُقَّدِ
فأرســلتُها تُلقِى اليــك عنانَهــا	وغـــيرُك أعيتْــه فلم تتقــوَّدِ
لها فارسٌ من وصفِ مجدك دائسٌ	بأرساغِها ما بين طَودٍ وفدفــدِ
يرى كلَّ شىء فانيــا وردَاؤه	على عُنُقٍ باقٍ فى الزمان مخـــلَّدِ
متى تَجزِها الحسنَى بحقِّ ابتــدائها	تَزُرْكَ بعينٍ تملأ الســمعَ عُوَّدِ
فوفِّرْ على عجــز البُعول صَــداقَها	وعرِّسْ بها أمَّ البنيــن وأولِدِ
وصُنْها وكرِّمْ نُزْلَهــا إنَّ بيتَهــا	كبيتك فى أُفْقِ السماء المشـــيَّدِ
وكن "كعلىٍّ" أوفكن لى "كثابتٍ"	وفاءً وإعطاءً وإنْ شئتَ فازددِ

(١) أوجرته : طعنته ، وفى الأصل " أوخزته ".

وقال وكتب بها الى الأجلّ عميد الرؤساء أبى طالب محمّد بن أيّوب يمدحه ويهنّئه بالمهرجان الواقع فى شعبان سنة ثمان عشرة وأربعمائة

أمنها — على أنّ المزارَ بعيدُ — خيالٌ سَرَى والساهرون هُجودُ؟
طوى "بارقا" طىَّ الشجاعِ "وبارقٌ" خِطارٌ يفلُّ القلبَ وهو حديدُ
يجوبُ الدجى الوحشىَّ والبيدَ وحدَهُ فكيفَ وكسرُ البيتِ عندك بِيدُ!
نعم! تُحمَلُ الأشواقُ والعيسُ ظُلَّعٌ ويَمشِى الهوى والناقلاتُ قُعودُ
وتتّسع البلوى فيمضِى مصمّمًا جبانٌ عن الظلِّ الخفوقِ يحيدُ
من المبلغى؟ـ والصدقُ قصدُ حديثِهِ ـ وفى القول غاوٍ نقلُهُ ورشيدُ،
عن الرمل "بالبيضاءِ": هل حِيلَ بعدنا وبانِ "الغضا": هل يستوى ويميدُ؟
وهل ظبياتٌ بين "جوٍّ" "ولعلعٍ" تمرُّ على وادى "الغضا" وتعودُ؟
سوانحُ للرامين، تَصطادُ مثلَها وحوشُ الفلا، وهى الرماةَ تَصيدُ
ويوم "النقا" خالفنَ منّا فعاذلٌ خلىٌّ ومعذولُ الغرامِ عميدُ
سفكنَ دمًا حُرًّا وأهونُ هالكٍ دمٌ حكمتْ عَيْنٌ عليه وجِيدُ
حملن الهوى منّى على ضُعف كاهلٍ وَهَى، وتقولُ الحاملاتُ: جليدُ
تطلعتِ الأشرافَ[1] عينى ريادةً لقلبى سفاها والعيونُ ترودُ
وما علمتْ أنّ البدورَ "برامةٍ" وجوهٌ ولا أنّ الغصونَ قدودُ
وقالوا: غدًا ميقات فُرقةِ بينِنا فقلتُ "لسعدٍ": إنه لوعيدُ
غدًا نعلنُ الشكوى، فهل أنت واقفٌ تسائلُ حادى الركبِ: أين يريدُ؟
وهل تملك الإبقاءَ أو تجحد الهوى ووجهُك قاضٍ والدموعُ شهودُ

(١) الأشراف جمع شَرَف وهو: ما شَرُف وارتفع من الأرض .

وقد كنتُ أبكى والفــراقُ دَعَا بِهِ[1] دلالٌ أدارِى عطفَــه وصــدودُ
فمــا أنا من بَينٍ رجاءُ إيابِهِ وعــودٌ تُقَضَّى[2] دونه وعهــودُ
هل السابق الغضبانُ يملكُ أمرَه ؟ فمــا كلّ سير اليعملاتِ[3] وخيدُ !
رويدا بأخفــافِ المطىّ فإنمــا تداسُ جبــاهٌ تحتهــا وخــدودُ
عذيرى من الآمال أمّا ذراعهــا فرحبٌ وأمّا نَيْلُهــا فزهيــدُ
يُرينك أنّ النجمَ حيثُ تحطُّــه وأنّ زمامَ الليث حيث تقــودُ
ودون حصاة "الرملِ" إن رُمتها يدٌ دفوعٌ، وسهمٌ للزمانِ سـديدُ
سقَى الناسَ كأسَ الغدرِ ساقٍ مُعدِّلٌ متى يُبْــدِ قبــلَ السكر فهو معيــدُ
فمستــبردٌ يهــنَى بأوّلِ شَربةٍ ومستكثرٌ يثــنى له ويزيدُ
ونجّى "ابنَ أيّوبٍ" فأصبح صاحيًا وفاءٌ عريقٌ فى الوفاءِ تليــدُ
فلو لم يُبرِّزْ يومَ كلّ فضيــلةٍ كفَى أنه يومَ الحِفــاظِ وحيدُ
حــوانى وأيّام الزمانِ أراقمٌ وهَبهَبَ عنّى والخطوبُ أســودُ
ولبّى دعائى والصــدَى[4] لا يُجيبنى بيقظتِــهِ والسامعونَ رُقــودُ
وأنهضَنى بالدهرِ حتى دفعتُــه وجانِبُــه وعرٌ علىّ شــديدُ
وقد قعدتْ بى نُصرةُ اليدِ أختَهــا وقُلِّصَ عنى الظــلُّ وهو مديدُ
تكفَّلَ لى بالعيشِ حتى رعيتُــهُ على وخَــمِ الأيّام وهو رغيــدُ
وأطلقَ من ساقَىَّ حتى أناف بى على أَرَبِى والحــادثاتُ قُيــودُ
فمــا راعنى من عقَّنى وهو واصــلٌ ولا ضرّنى من غابَ وهو شهيدُ

(١) فى الأصل "دعابهْ" . (٢) فى الأصل "عهود" . (٣) اليعملات جمع يعملة وهى الناقة النجيبة المطبوعة على العمل . (٤) الصدى : رجوع الصوت وترديده .

من القوم مدلولٌ على المجدِ واصلٌ — اذا ضلَّ عن طُرْقِ العلاء بليدُ

عتيقُ نجارِ الوجهِ أصيدُ صرَّحتْ — به عن صفاياها غَطارِفُ صِيدُ

كرامٌ تُضيءُ المشكلاتُ برأيهم — ويُنظَمُ شملُ المجدِ وهو بديدُ

يَسُودُ فتاهم فى خيوطِ تميمهِ — ويشأى(١) كهولَ الناس وهو وليدُ

إذا نزلوا بالأرض غبراءَ جعدةً — أماه(٢) حصًا فيها وطابَ صعيدُ

كأنَّ نصوعَ الروض حين تسحبَّتْ — مآزرُ منهم فوقَها وبُرودُ

سخا بهمُ أنَّ السخاءَ شجاعةٌ — وشجَّعهم أنَّ الشجاعةَ جودُ

لهم بابنهم ما للسحابة أقلعتْ — من الروض يومَ الدَّجْنِ وهو صَخود(٣)

وماغابَ عن دارِ العلا شخصُ هالكٍ — مضى وبنوه الصالحون شُهودُ

"أبا طالبٍ" لايُخالف الفخرُ دوحةً — وأنتَ لها فرعٌ وبيتُك عُودُ

بَغَى الناسُ أدنَى ما بلغتَ فطُيِّرتْ — رياحُك عَصفًا والبُغاةُ رُكودُ

وشالَ بكَ القِدحُ المعلَّى وحظُّهم — وليس لهاوٍ بالطباع صعودُ

فلوكلَّمتْك الشمسُ، قالتْ: لحقتَ بى — علاءً وإشراقا، فأينَ تريدُ؟

أقرَّ لك الأعداءُ بالفضل عَنوةً، — ومعترِفٌ من لم يسَعْهُ جُحود

وكيف يُمارِى فى الصباح معاندٌ — وقد فلَق الخضراءَ منه عمودُ؟

تسمَّعْ من الحسادِ وصفَك واغتبطْ — فأعجبُ فضلٍ ما رواه نديدُ

وإن نَكَاوا شيئا فإن فصاحتى — وراءك كرٌّ فى الكلام عتيدُ

وبين يدَىْ نُعماك منِّى حيَّةٌ — لها مَددٌ من نفسها وجُنودُ

اذا راعتْ حربًا رأيت كماتَها — تلاوَذُ من أطرافها وتَحيدُ

---

(١) يشأى: يسبق. (٢) أماه: كثر ماؤه. (٣) الصَّخود: الشديد الحر.

أذودُ بها عن سَرح عِرضك كلّما ... تطلّعَ فيـه للفريسـةِ سِيدُ (١)

اذا نَشَطتْ من عُقلة الفكرِ أرسلتْ ... بهـا طَلَقاتٍ وثُبهنّ شُـرودُ

مطايا لأبكار الكلام اذا مشى ... على حَسَكِ (٢) السّعدانِ (٣) منـه رديدُ

نطقتُ بها الإعجازَ فالمؤمنون لى ... على دِينهـا بين الجنـانِ خُلودُ

ويحسـدنى قومٌ عليهـا وحظُّها ... شـقىٌّ وحظّ المقرفاتِ سـعيدُ

تمنّوا على إخصابهم جدبَ عيشِها ... وأنهُـمُ خُصُّـوا بهـا وأُفيـدوا

ولم أحسبِ البـلوى عليها مُزاحِمٌ ... ولا أنَّ ضنكَ العيش فيـه حسودُ

لها النسبُ الحرُّ الصريحُ اذا طغت ... عليك إماءٌ غـيرها وعبيـدُ

يزورك منها — والنساءُ فوارك — ... كواعبُ تُصْـفيك المودّةَ غِيـدُ

لهنّ جـديدٌ من نوالك كلّمـا ... أتى طالعـا يومٌ بهنّ جـديدُ

فـفى كلّ يومٍ مهـرجانٌ مقـلّدٌ ... بهنّ ونـيروزٌ لديك وعيـدُ

✦ ✦ ✦

وقال يمدحه أيضا وكتب بها اليه فى المهرجان الواقع فى سنة عشرين وأربعمائة وفيها نبذة من المعاتبة

تمنّاها بجهلِ الظنّ "سعدُ" ... وما هى من مطايا الظنّ بعـدُ

وخالَ ظهورَها قُعُـدا ليانا ... فرحّلَ وهى مُزلقـةٌ تكُدُّ

وراوحها القِعابُ (٤) ليعتشيهـا (٥) ... فضرعٌ زلّ أو خِلفٌ يَنِـدُّ

---

(١) السِّيد : الذئب . (٢) الحسك : الشوك . (٣) السّعدان نباتٌ من أفضل مراعى الغنم له شوك ، وفى المثل "مرعًى ولا كالسّعدان" . (٤) القعاب جمع قَعْب وهو القدَح الضخم يُحلب فيه ، وفى الأصل "العتاب" وهو تحريف . (٥) فى الأصل "لتغتشيها" ولم نعثر لها على تفسير يتفق ومعنى البيت .

براثنُ أوسقتهُ دما صبيبا ... وفى قوم لها أقِطٌ[1] وزُبدُ
لعلّك "سعدُ" غرّك أن تراها ... على الجِرّاتِ[2] تأكلُ أو تَرُدُّ
وأنّ العام أخلقها فجاءتْ ... حبائلَ فى حبائلها تُمَدُّ
مفلّلةً[3] على الأعطانِ فوضَى، ... هببتَ تظنُّ أنّ الفَلَّ[4] طردُ
وما يُدريكَ من يَحمِى حماها ... ويحضُرُ[5] ذائدا عنها ويبدو[6]
وإنّ وراءها لقَنًا تلظّى ... وأسيافًا وألسنةً تُحَدُّ
ومنتقصَ الطبائع إن أخيفت، ... لَشَدُّ الأُسْدِ أهونُ ما يَشُدُّ
اذا صاح الإباءُ به تنزّى ... يُطيع الغيظَ أغلبُ مستبِدُّ
ومشحوذا! من الكَلِم المصفّى ... به الأعراضُ تُفرَى أو تُقَدُّ
اذا عصبَ اللّهاةَ الريقُ ناضت ... دوافقُ منه واديها مُمَدُّ
تَحاشَدُ "يَعرُبٌ" إن قال: نصرا ... وتغضَبُ بالطباع له "مَعَدُّ"
فما لك — لا أبا لك — تتّقيها ... وفيها السيفُ والخصمُ الألدُّ
طغَى بك أنْ ونَتْ عنك القوافى ... وخافَ فُتورها دأبٌ ووخْدُ
لئن دَرِدَتْ فلا يَغرُرْك منها ... أراقمُ يزدرِدنَ وهنّ دُرْدُ
وإن نأت البلادُ برافديها ... فقومٌ آخرون لها ورِفْدُ
ولم يَقعُدْ عن المعروف جُندٌ ... من الكرماء إلا قام جُندُ
وكم من حاضرٍ دانٍ كفانى ... رجالا لَفّهمْ سَفَرٌ وبُعدُ
ولم أعدَمْ نوالهمُ ولكن ... وجوهٌ بعدَها ألمٌ ووجدُ

(١) الأقط: الجبن المتخذ من اللبن الحامض. (٢) الجرة: ما يفيض به البعير فيأكله ثانية. (٣) مفللة: مهزومة. (٤) الفلّ: الأنهزام. (٥) يحضر: أقام بالحضر.
(٦) يبدو: ينزل البادية.

سقى الله "ابنَ أيوبٍ" سماءً تروح سحابُهـا ملأى وتغدو
وإلا ماءُ خـــديه حيـاءً وإلا خـــلةٌ منـــه وودُّ
وأىّ خلاله كرمًا ســقاه كَفَى وسقَى نمِيرٌ منـــه عِدُّ
أخوك فلا تغـيِّره الليـالى اذا لم يُرعَ عند أخيك عهدُ
ومولاك الذى لا الغلُّ[1] يسرى به ظَهرًا ولا الأضغانُ[2] تحـدو
تَضَــيَّفْهُ وأنت طرِيدُ ليـلٍ رمى بك فيــه إقتـارٌ وجهدُ،
وقد ألقت بكلكلها "جُمادَى"[3] لخيط سمائهـا حلٌّ وعَقْــدُ،
وهبّتْ من رياح "الشامِ" صِرٌّ[4] عسوفٌ[5] لم ترضها قطّ "نجدُ"،
وأبوابُ البيوت مقـــرّناتٌ[6] فـــلا نارٌ ولا زادٌ مُعَــدُّ،
تجدْ وجهًا يضىء لك الدياجى كأنَّ جبينَه فى الليــل زَندُ
وكَفًّا تهرُبُ الأزَماتُ منهـا تَرقرقُ سَــبْطةً والعـامُ جَعدُ
وبِتْ وقِـراك مَيسَرةٌ وبِشرٌ وزادُك نُخبَــةٌ وثراك مَهدُ،
تمـامَ الليلِ واْغدُ بصالحات من الأخلاق إن تَركَتْك تغدو
شمائلُ أصلُها حَسَبٌ وخِـيرٌ[7] وزهرةُ فعلها كرمٌ ومجــدُ
تقلّبــها أبًا فأبًا مـــؤدٍّ كما أخَذَ الغــلا إرثا يُرَدُّ
تَمُّ به اذا حُسِبَ المسـاعى عن الآباءِ عِــدّةٌ ما يُعَــدُّ
تفرّدَ بالمحاسن فى زمانٍ تنـكَّرَ أن يقـالَ : البدرُ فردُ

(١) فى الأصل "الغيل". (٢) فى الأصل "الأظعان"، وقد رجحنا كلمتى "الغل والأضغان" ليستقيم معنى البيت، ومعناه : أن مولاك من لا يتخذ الحقــد ظهرا يركبه ولا يحدوه الضغن فينساق أمامه لاقتراف الشرّ والأذى . (٣) يقال للشتاء عند العرب : جمادى . (٤) الصرّ : الريح الشديدة الصوت والبرد (٥) العسوف : التى تمر فلا يثنيها شىء . (٦) مقرّنات : مشدودة بالحبال كناية عن إحكام إغلاقها ، وفى الأصل "مقرمات" . (٧) الخير : الشرف والأصل .

وجاراه علـى غَرَرٍ رجالٌ ... لهم شـدٌّ وليس لهم أشُـدُّ
فقصّر كلُّ منتفِخٍ هجينٍ ... ومرَّ أقبُّ(١) يطوِى الشوطَ نهدُ(٢)
ثقيـلٌ والحلومُ مشعشَعاتٌ ... نصيعُ العِرضِ والأعراضُ رُبْدُ
ملكتُ به المنى وعلى الليالى ... ديونٌ بعدُ لى فيـه ووعدُ
وكان نوالُ أقـوامٍ ضمانا ... أسوّفه وجودُ يديه نَقْـدُ
أحـدُّ بنصره نابىَّ حـقّى ... فَرَسْتُ به الخطوبَ وهنّ أُسْدُ
وعاد أشلَّ كفُّ الدهر عنّى ... بأنك(٣) لى به سـيفٌ وزندُ
فلا يعدَمْك معتمِرٌ(٤) غريبٌ ... له بك أسوة(٥) : صَبرٌ وحَشْدُ
ولا يَفقِدْك مـنّى مستضىءٌ ... بهَديِك فى الظلام وأنتَ رُشْدُ
وردَّ عليك رائحـةً شـأنى ... عزائبُ(٦) مثلُها لك يُسـتَرَدُّ
خمائصَ أو يَجِدنَ اليك مرعًى ... خوامسَ(٧) أو لهنَّ نداك وِردُ
حواملَ من نتاج الجود ملءَ الـ ... جيوب فمـالهُـا شكرٌ وحمدُ
من الكلم الذى إن كان حدٌّ ... لغاياتِ الفصاحة فهو حـدُّ
سبقتُ به المَقاولَ(٨) مستريحا ... ففتُّهمُ وقد نَصِـبوا وكدُّوا
تكرُّ عليـك واحدةً ومَثـنًى ... بهنّ وفودُها ما قام "أُحْدُ"
ليوم المهرجان وكان عُطْلًا ... وشاحٌ من فرائدها وعِقـدُ
سلبتُ الناس زينتَهـا ضنينا ... بهـا وبرودُها لك تَستجدُّ
وأعتقَنى من الحِرص آقتناعى ... بما تُولِى، ومَولى الحرص عبدُ



(١) الأقبّ : الفرس الدقيق الخصر الضامر البطن . (٢) النهد : الفرس الحسن الجميل .
(٣) فى الأصل "بآية" . (٤) المعتمر : الزائر والقاصـد للشىء . (٥) الأسوة : ما يتأسى به الحزين . (٦) العزائب : الإبل تبعـد عن المرعى ، وفى الأصـل "غرائب" .
(٧) الخوامس : الإبل ترعى ثلاثة أيام وترد الرابع . (٨) المقاول جمع مِقول وهو الفصيح المبين .

***

وقال يهنئ كمالَ الملك أبا المعالى بن أيّوب بالمهرجان ، ويستوحش لبعد غيبته ، وأنفذها اليه

أمكنَتِ العاذلَ من قِيادِها ... فانتزع الرحمةَ من فؤادِها

ولوّنت أخلاقَها فقد غدا ... بياضُها يشِفُّ عن سوادِها

والغانياتُ عَطفةٌ وصدْفةٌ [1] ... يُجنَى لك الحنظلُ من شِهادِها [2]

لا يملأُ الراقدُ من أحلامِهِ ... إلا كما يملك من ودادِها

أعلقُ ما كنت بها طماعةً ... أنصلُ ما تكونُ من إسعادِها

متى تُكلَّفْ من وفاء شيمةً ... تعدْ الى شيمتها وعادِها

آهِ على الرقّةِ فى خدودها ... لو أنها تسرى الى فؤادِها

"بالبان" لى دَيْنٌ على ماطلةٍ ... يميس غصنُ البان فى أبرادِها

سلّطتِ الوجدَ على جوانحى ... تسلُّطَ الخُلفِ على ميعادِها

يا طَرَباً لنفحةٍ "نجديةٍ" ... أعدِلُ حرَّ القلبِ باستبرادِها

وما الصَّبا ريحىَ لولا أنها ... اذا جرت هبَّتْ على بلادِها

قل لمُخِيضِ العيس [3] أغباشَ [4] السُّرَى ... تأكلُ عَرضَ البيدِ فى إسآدِها [5]

موائرا ترى السَّلامَ [6] رمَضاً [7] ... بينَ سُلاماها [8] الى أعضادِها

ذُبالُها تحت الدجى عيونُها ... لا تستشير النجمَ فى رَشادِها

تبغِى الندَى وأين من مُرادِه ... طىُّ الفلا وأين من مُرادِها

---

(١) الصدفة : الإعراض والصدّ ، وفى الأصل "صرفة" . (٢) الشِّهاد جمع شَهْد وهو عسل النحل . (٣) العيس : الكرام من الإبل . (٤) أغباش جمع غَبَش وهو ظلام الليل ، وفى الأصل "أعناس" . (٥) الإسآد : السير طول الليل . (٦) السلام : شجر . (٧) الرمض : حرقة الحرّ . (٨) السُّلامى : عظم فى فِرْسِن البعير أو عظام صغار طول إصبع أو أقلّ فى اليد والرجل .

عِنــدَكَ روضٌ وسحابٌ مغــدِقٌ إن صدَقَتْ عينُك فى آرتيادِها

أيدى بنى "عبدِ الرحيم" أبحــرٌ أعــذبَهـا اللهُ عــلى وُرّادِهـا

أيدٍ تَساوَى الجودُ فيهـا فآكتفَى أن يسألَ المُعْتامُ[1] عن أجوادِها

ســلالةٌ من طينةٍ واحــدةٍ مجموعُهـا يوجَــدُ فى آحادِها

اِرْمِ بهــم على الليـالى تَنتصِفْ بهِـمْ على ضعفِك من شِدادِها

وشِمْهُــمُ على الخطوب تَنْتضِــلْ[2] بيضَ "السُّرَيجيّاتِ"[3] من أغمادِها

أُنظرْ اليهــم فى سمـاواتِ العلا مرفوعــةً منهــم على عِمـادِها،

تَرَ النجومَ الزُّهرَ من وجوههــم ثابتــةَ الســعودِ فى أوتادِها

لهــم سـناها ثمّ ما ضرّهُــمُ نقصانُ ما يَكثُرُ من أعدادِهـا

أسرةُ مجــدٍ شــهِدَ الفضلُ لـا عُقِّبَ عنهـا بعــلا أشــهادِها

حســبُك من آياتِهـا دلالةً أن "كمالَ الملك" من أولادِها

حَىٌّ وقــرَّبْ غُرّةً أبيّــةً كان النــوى يألَمُ من بعادِها

ما سكنَتْ أرضٌ الى حضــورِها إلا بكتْ أخرى عــلى آفتقادِها

تــودُّ حبّـاتُ القــلوب أنهـا ــ ما سافرتْ ــ تكون من أرفادِها

عاد الى الدولة ظــلُّ عزّهـا وقــرّت الأرواحُ فى أجسـادِها

وآمتلأتْ من شُهبِها أفلاكُها وضُمّت الغيــلُ عــلى آسـادِها

يخطبُهـا قومٌ وفى حِبالكم نكاحُها وهــم بنــو سِــفادِها

يا عجــزَ من يطمعُ فى قنيصِها والليثُ جثّامٌ عــلى مِرصـادِها

أنت لهـا بعــدَ أبيــك ثُغــرةٌ غيرُك لا يكون من سِــدادِها

---

(١) المعتام : المختار . (٢) تنتضل : تجرّد . (٣) السريجيات : السيوف المنسوبة الى قين آسمه سريج .

وجهُـك فى ظلمائهـا سراجُهـا — وكفُّك الذائبُ فى جَمادِها
صدعتَ بالفضـلِ وكنتَ معجزا — تُطيعُك النفـوسُ باجتهـادِها
وأذعنتْ طـائعـةً مختـارةً — بميلهـا إليـك وٱنقيـادِها
إن ضلَّت الآراءُ باجتماعها — كفتْك آراؤك بانفـرادِها
أو عُبِـدَتْ أموالُ قـومٍ، شَرُفَتْ — نفسُـكَ أن تكون من عُبَّـادِها
كفتْكَ كسبَ العـزّ نفسٌ حرةٌ — أحرزتِ العـزّةَ من ميـلادِها
وقدّمتك — فاجتُبيتَ سيِّدا — — أرومـةٌ طرفُك من تلادِها



تُعـدِى معـاليها الى أبنـائها — على زمان "هودِها" و"عادِها"
لكم قُـدامَى الأرضِ أو سُـلافُها — كنتم رُبًّا والنـاسُ فى وهادِها
وجَمّـةُ الملك تجِـمُّ لكُمُ — ما طاب وٱسـتَغزَرَ من أورادِها
اذا نطقتم سـكتَ النـاسُ لكم — على قُوَى الأنفـاسِ وٱمتـدادِها
كـأنمـا ألسـنُكم لهـاذمٌ(١) — على القنـا تُشرَع فى صِـعادِها
ميمـونةُ النُّقبـةِ(٢) أين وُجِّهتْ — حَلّتِ المزنُ عُرى مزادِها
وإن سُـئلتم لم تَروا أموالَكم — ناميـةً إلا عـلى نفـادِها
هَنـا المعالى منـك يا خيرَ أبٍ — يُكنَى بهـا جمعُـك من بدادِها
ذاك، وسلْ مذ غبتَ عن نفسى وعن — ضراعـةٍ لم تكُ فى ٱعتيـادِها
ونَبـوَةِ الأعين عـنّى فيكُمُ — كأنّى صُـيِّرتُ من سُهادِها
أنَّحتُ نفسى بل قعدتُ تَجْـرةً(٣) — مزمّـلا بالذلّ فى بجـادِها(٤)
مخفِّضا قـولى متى قيـل : صَهٍ — خشعتُ بينَ هائهـا وصادِها

---

(١) اللهاذم جمع لَهذَم وهو السنان . (٢) النقبة : الوجه . (٣) جمرة : ناحيـة .
(٤) البجاد : كساء مخطّط من أكسية الأعراب .

بينَ رجال كتَمتْ فضائلى — عنهمْ كُمون النار فى زنادِها
لم أرجُهُم وليتنى لم أخشَهم، — قلوبُهم تئنُّ من أحقادِها
تسلُقنى باللوم فيكم ألسنٌ — أقوالُها تصغُر فى آعتقادِها
فكيفَ ـ معْ قناعتى ـ ظنُّك بى — هل كان إلا المصُّ من ثمادِها
خلَّفتنى جوهرةً ضائعةً — بقلّةِ الخبرةِ من نُقّادِها
لا حظَّ لى أرجوه عند غيركم — من عُدَّةِ الدنيا ولا عَتادِها
تسكُنُ أحشائى الى حِفاظكم — سكونَ أجفانى الى رقادِها
أنتم لنفسى فى الحياة وبكم — أنتظر العَونَ على مَعادِها
فأين كان صبرُكم على النوى — من عَركها الصبرَ ومن جهادِها
وهل ـ وقد أمرضها بعادكم ـ — كنتم بعَطفِ الذِّكر من عُوّادِها؟
بلى! لقد واصلَها ما بلَّها — من عَون أيديكم ومن إرفادِها
وقمتُمُ على النوى بلفتةٍ — من نصرها شيئا ومن إنجادِها
فاغتنموا الآنَ تلافِى نَقصِها — فى سَعةِ الأيّام وآزديادِها
وعند نعماك لها إن قُضِيتْ — دَينٌ عليه جُملةُ آعتمادِها
مؤجَّلا قبل النوى وبعدَها — من طارف الرسوم أو تِلادِها
فوكِّل الجودَ على نفسك فى — قضائها ومُرْهُ بانتقادِها
وآعلم بأنّ الحالَ فى تسويفها — تَضيقُ حتى الوعد فى إبعادِها
وآسلم لها وآسع بها سوا (1) — بعفوها منك وباجتهادِها
لك الطويلُ الشوطِ من خيولها — فليس ترضَى لك باقتصادِها
لها بطونُ الأرض بل ظهورُها — تصوَّبَتْ أو هى فى إصعادِها

(1) هذه الكلمة وردت بالأصل هكذا "سوا".

رَجْلَى ولا يعلَقُها ركبُ الفلا   بِإبلِ البيدِ ولا جيادِها
تَسترقِصُ الأسماعَ أو تخالَنى   أستخلفُ "الغريضَ"(١) فى إنشادِها
كأنّها على الطروس أنجمٌ   لألأتِ الخضراء(٢) بآتقادِها
يكاد أن يبيضَّ من نُصوعها   ما سوَّد الكاتبُ من مدادِها
تنفَّسُ الأيّامُ عن صوابِها   فى وصف نُعماكم وفى رشادِها
ما دمتُمُ حَلْيا لمهرجانها   فينا وتيجانا على أعيادِها

⁂

وقال وكتب بها الى ناصر الدين بن مُكرَم يشكر ما تقدّم من إنعامه، ويتنجّزه الكريم من عاداته، وأنفذها اليه بعمان

هل تحت ليلك "بالغضا" من رائدٍ   يقتاف آثارَ الصباحِ الشاردِ؟
هيهات تلك نَشيدةٌ مطولةٌ   عند الغرام على المحبِّ الناشدِ
وكفاك عجزا من شجىٍّ ساهرٍ   يرجُو الرِّفادةَ(٣) من خلىٍّ راقدِ
يا إخوةَ الرجلِ الغنىِّ أصابَ ما   يبغِى وأعداءَ المُقِلِّ الفاقدِ
صاحبتُ بعدكم النجومَ فكلُّكم   إلبٌ(٤) علىّ وكلهنّ مساعدى
فاذا ركدن فمن تحيُّرُ أدمعى   واذا خفقن فمن نُبُوِّ وسائدى
دُلُّوا علىَّ النومَ، إن طريقَهُ   مسدودةٌ بعواذلى وعوائدى
وعلى الثنيّةِ "باللوى" متطلِّعٌ   طِلْبِى بمَرباْة الرقيب الراصدِ
يَقِظٌ اذا خاف الرقيبَ تخطَّاتْ   عيناه عن قلبِ مُريدٍ عامدِ

(١) الغريض: هو مغنّ آسمه عبد الملك وكنيته أبو زيد ولُقّب بالغريض لأنه طرىُّ الوجه غضُّ الشباب، والغريض لغةً الأبيضُ الطرىّ من كلّ شئ. (٢) الخضراء: السماء. (٣) الرفادة: المعونة. (٤) الإلب: القوم يجتمعون على عداوة إنسان.

(١٣٠)

متجاهــلٌ ما حالُ قلبي بعــده — جهــلَ العلـيم وغائبٌ كالشـاهدِ
والى جَنـوب "البـانِ" كلّ مُضرَّةٍ — بالبـان بيـن موائسٍ ومـوائدِ
يمشين مشى مَها "الحواء" تخالّتْ — عنهنّ غيطانَ النقـا المتقـاودِ(١)
متقـلدات بالعيون صـلاتفًا — وطُلًى ولم يحمِلنَ ثِقـلَ قـلائدِ
نافثهنّ السـحرَ يوم "سويقـةٍ" — فاذا مَكايدهنّ فـوق مَكايدى
كنتُ القنيصَ بما نصبتُ ولم أخلْ — أنّ الحبـالة عُقـلةٌ للصـائدِ
أنكرتُ حلمى يومَ "بُرقةِ عاقلٍ" — وعرفتُـه يوم اللقـاءِ "بغامدِ"
وجعلتُ سمعى من نبال عواذلى — غرضَ الغـرورِ لكلّ سهم قاصـدِ
القلبُ قلبُكَ فامضِ حيث مضى الهوى — بك من مضـلٍّ سعيُه أو راشـدِ
ما دام يدعـوك الحسانُ فتًى وما — دام الذوائبُ فى قِـرابِ الغامـدِ
فوَراء يومك من صِـباك ضحًى غدٍ — وغدٌ يسوءُك منـه صـدقُ الواعدِ
ولقـد سريتَ بليـلهِ وبصبحه — فحمًا وفى لَهَبِ البيـاض الواقـدِ
فاذا المشـيبُ مع الإضاءة حـيرةٌ — واذا الشـبابُ أخو المضلّ الواجدِ
ومطيّـةٍ للّهـوِ عزّ فَقـارُها — وصليفُهـا(٢) عن راكبٍ أو قائـدِ
ممـا آحتمَى من رحله بِقِماصـه — ومن الخشـاش بأنفـه المتصـايدِ
أعيا على ركب الصِّـبا أن يظفروا — بمَغـالقٍ من غَرزِها(٣) ومَعاقـدِ
قد رُضتُهـا فـركبتُ منهـا طَيِّعا — ينصاعُ بين مَراسـنى ومَقاودى
وأخٍ رفعتُ له بحىَّ عـلى السُّـرى — والنجمُ يسـبحُ فى غـديرٍ راكـدِ
فوعَى فهبَّ يحُـلُّ خيـطَ جفونهِ — بالكُرهِ من كفِّ النُّعاس العـاقدِ
غيرانَ قام على الخطار مسـاعدا — نصرَ الحسـامِ رفـدتَهُ بالسـاعدِ

(١) المتقاود : المستوى . (٢) الصليف : عرض العنق . (٣) الغرز : ركاب الرحل .

حتى رجمتُ الليـلَ منـه بكوكبٍ فتقَ الدجَى وأضاء وجهَ مَقاصـدى
فردَيْنِ سَومَ الفـرقدين تمـايلا مسـتأمنَين على طريق واحـدِ
ومحجَّبٍ تدع الفـرائصَ هيبـةً أبوابُه من خافـقٍ أو راعـدِ
تتسـابقُ الجَبَهاتُ دون سريرِه للفوزِ بين معـفِّرٍ أو ساجدِ
لا تطمعُ الأقدارُ فى آسـتنزاله بضـعائفٍ منها ولا بجـلائدِ
أذِنَتْ عليـه وسـائلى وترفَّعتْ أسـتارُه لمَقاصـدى وقصـائدى
وبعثتُ غُرَّ قلائدى ففتحنَ لى أبـوابَه فكأنهنّ مَقـالدى
"كهانَ" أو مَلِكِ "عُمانَ" دارُهُ دانى النوالِ على المَـدى المتباعدِ
رانٍ علىّ عـلى آرتفـاع سمائه بَرٌّ بوفـدِ مـدائحى ومَحامـدى
بعثتْ بصـيرتُه نَفَاقَ(١) عنـدَهُ والشـعرُ يَنْضُعُ فى أوانٍ كاسـدِ
وقضَى عـلى أنى الوحيـدُ بعلمـه فكفَى بذلك أنه من شـاهدى
سـبقَ المـلوكَ فبـذَّهم متمهلا جاروا ومرَّ على الطـريق القاصـدِ
ومضَى عـلى غُـلَوائه متبسِّماً(٢) لم تَرتفِقْ(٣) مَسـعاتُه بمُعـاضـدِ
طيَّانَ(٤) لم يقِضِ البوازلَ قبـلَه جَـذَعٌ ولم يُطِلِ القيامَ بقـاعـدِ
نَسَبَ السماءَ، يريد أينَ فخارُها منـه، فباهلَهـا بفخـرٍ زائدِ
وسمـا بمـاجـدُ قومَه بنجومهـا فثَـنَى ولم يظفَـرْ بنجمٍ ماجـدِ
غرسَ المعالىَ "مُكرَّمٌ" فى تربهـا فجنت حـلاوةَ كلّ عيشٍ باردِ
حجْرًا عـلى الأقـدارِ فيما نفَّـذَتْ أحكامَها من صـادرٍ أو واردِ
لن تعـدَم الآفاقُ نجما طالعـا منهـا ينـورُ إثرَ نجـمٍ خامـدِ

(١) النفاق : الرواج . (٢) فى الأصل "متبسم" . (٣) ترتفق : تستعن .
(٤) الطيان : الطاوى وهو الجائع .

فالسيفُ منهم في يمين المنتضِي كالسيف منهم في يمين الغامدِ
هم ما هُمُ ! وتفرّقت آياتُهم في المجد ثم تجمّعتْ في واحدِ
أحيت لهم أيامُ محيي الأمّةِ الـ ـعافي وهبّتْ بالرّقودِ الهاجدِ (١٣١)
وتسنّمتْ دَرَجَ السماء بذكرهم أيامُ آثارٍ لهم ومَشاهدِ
وإلى " يمين الدولة " آفتقرت يدٌ في الملك لم تُعضَدْ سواه بعاضدِ
نظمَ السياسةَ مالكٌ أطرافَها لم تستعِنْ عَزَماتُه بمُرافِدِ
وأقامَ ميلَ الدولتين مؤدِّبٌ بثِقافه خَطَلَ الزمانِ المائدِ
سبَقَ الرجالَ بسعيه وبقومه والمجدُ بين مَكاسبٍ ومَوالدِ
جَرت البحارُ فما وفت بيمينه فكأنَّ ذائبَها يُمَدُّ بجامدِ
ضنّتْ بجوهرِها وما في حِرْزِها من مُنفساتِ ذخائرٍ وفوائدِ
فاستخرجتْها كفُّه وسيوفُه فسخَتْ بها لمؤمِّلٍ ولرافدِ
نامَ الرعاةُ عن البلادِ وأهلِها عجزا وعيناه شِهابَا واقدِ
وحَمى جوانبَ سَرحِه متنصِّفٌ للشاء من ذئب الغضا المستاسِدِ
واذا الأسودُ شممن ريحَ عرينه كانت صوارمُه عِصيَّ الذائد
ما بين " سَرَبْزَةٍ (١) " الى ما يَستقِي " وادى الأُبُلَّةِ " هابطا من صاعدِ
يقظانُ يضرب وهو غيرُ مبارِزٍ عزما ويطعن وهو غير مُطارِدِ
كفٌّ له تحمِي وسيفٌ يُنتضَى ولحاظُ راعٍ للرعيّةِ راصدِ
واذا بغَى باغٍ فباتَ يرومُه باتت صوارمُه بغيرِ مَغامدِ
ومطوِّحٍ ركِبَ الخطارَ فردَّه أعمى تحيَّرَ ماله من قائدِ
كفَّ الرّعاعَ وجاء يطلبُ حاجةً عسراءَ في كفِّ الهمامِ اللابد (٢)

(١) سربزة : جزيرة فى أرض الهند يجلب منها الكافور . (٢) فى الأصل " اللائذ ".

يَرمى الكواكبَ وهى ســـعدٌ كلُّها ... بمَناحسٍ من جَـــدّه ومَناكدِ

جُنَّتْ به الأطماعُ فأســـتُغوِى بهـا ... يصـــبو الى شيطانهـا المتـــماردِ

خُـــبِّرتُهُ يبغِى "عُمانَ" وأهلَها ... فعرفت مَصـــدَرَه بجهـــل الواردِ

لم يُنجِـــه والمـــوتُ فى حَيزومِـــه(١) ... ما ضمّ من حَفْـــلٍ له ومَحاشـــدِ

جمحَتْ به غِرّارةٌ من حَيْنــــه ... قذفتـــه فى لَهَواتِ صِـــلٍّ زاردِ(٢)

نُسِفَتْ بأطراف الرماح جنـــودُهُ ... طَوْحَ السنابلِ(٣) عن شفارِ الحاصـــدِ

من راكبٍ — وفؤادُه من صخـرةٍ — ... جَـــوفاءَ(٤) أمٍّ فواقِـــرٍ وأوابدِ؟(٥)

حدباءَ تســـلك من عثار طريقهـا ... حُـــدْبًا ذواتِ نواقصٍ وزوائـــدِ

فتظـــلّ طورا فى عنانِ سمائها ... صُعُدا وطورا فى الحضيض الهامـــدِ

تختبُّ قامصـــةً ولم تطأ الـــثرى ... وتظـــلُّ لا فى سبسبٍ وفدافـــدِ

يظمَا بهـا الركبانُ وهى ســـوابحٌ ... فى غامـــرٍ تيّـارُه مـــتراكدِ

شـــنعاءَ لو طَرَقَ الخَيـالُ بمثلهـا ... عينى لمـا أطبقتُ مقـــلةَ راقدِ

بلّغْ — وليتَ رسائـــلى تقتصّهـا ... شفتى وغائبِيَ المؤخَّر شاهـــدى —

أو ليت قلبى كانَ قلبَك أصمعًا(٦) ... فى أضـــلعٍ صُمِّ العظـامِ أجالدِ

وأخوضَ بحـــرا من حميمٍ آجنٍ ... يُفضِى الى البحـــرِ الزُّلالِ البـاردِ

قلْ إن وصلتَ "لناصر الدين" أستمع ... فِقَـــرًا تُجَمِّعُ كلَّ أنسٍ شاردِ

يا خـــيرَ من حَمَلتْ ظهورُ صواهلٍ ... فى المُلك أو ضمّتْ صـــدورُ وسائدِ

وتعصّبَتْ بالنـــور فوق جبينـــه ... عَـــذَبُ(٧) اللواء تحفُّ تاجَ العاقـــدِ

أنا عبـــدُ نعمتك التى شُكِرَتْ اذا ... ما نعمـــةٌ نيطت بآخرَ جاحـــدِ

(١) الحيزوم: وسط الصدر . (٢) زارد: اسم فاعل من زرد الشيء: بلعه . (٣) فى الأصل "السـنابك" . (٤) يريد بالجوفاء السفينة . (٥) الفواقر والأوابد: الدواهى . (٦) الأصمع: الذكىّ . (٧) العذب جمع عذبة وهى خرقة تلفّ على رأس الرمح .

أغنيتني عن كلّ مذمومِ الجَدَا ... ألقاه مضطَرًّا بوجهٍ جامدِ

ونفضتَ عن ظَهري بفضلك ثِقلَ ما ... أوعيتُ من نُوَبٍ عليّ شدائدِ

كان الزمانُ يُسِرُّ لي ضِغْنًا فقد ... أصلحتَ لي قلبَ الزمان الفاسدِ

وحفظتَ فيّ تكرُّمًا وتفضُّلا ... ما أذكَرَتْكَ قدائمي وتلائدي

ذِمَمٌ لو آعتصَمَ العُداةُ بمثلها ... عقدوا بهنّ لديك خيرَ مَعاقدِ

ومن الذي يُرعَى سواك لنازحٍ ... عن لحظه نائي المحلّ مُباعدِ

متناقِص الخطواتِ عنك ذكرتَهُ ... في سَكرةِ المُلْكِ العظيمِ الزائدِ

أوليتَني في آبني ونفسي خيرَ ما ... أوليتَ في ولدٍ شفاعةَ والدِ

فلذاك كرٌّ على مشقّة طُرقهِ ... وكررتُ أطلبُ من نداك عوائدي

تُعطي المنى ونعود نسألُ[1] ثانيا ... فتعود حبًّا للسماح العائدِ

(١٣٢)

وتموتُ حاجتنا وينفَدُ فقرُنا ... وسؤالنا ونداك ليس بنافدِ

فاحكم بسنّتك التي شَرَعَ الندى ... لك شرعَها حُكمَ القديرِ الواحدِ

كَفِّلْ علاك بحاجتي واكفف يدي ... عن كلّ جَعد الكف جَعد الساعدِ

فالناسُ غيرَك من تضيق مَجالتي ... فيه وتُقتَل بالمِطالِ مَواعدي

صُنْ عنهمُ شَفَتي ودعني واحدا ... في الدهر أشربُ من قَلِيبٍ واحدِ

حاشا لمجدك أن تُسدِّدَ خَلَّتي ... بمُشارِكٍ لك فيّ أو بمساعدِ

وآنصتْ لها غُرَرًا لمدحك وحده ... يُنظمنَ بين قلائدٍ وفرائدِ

من كلّ مخلوعٍ لصادقِ حسنها ... فيها عِذارُ العابدين لعابدِ

عذراءَ مفضوضٍ لديك ختامُها ، ... ما كلُّ عذراءٍ تُزَفُّ بناهدِ

تجلو عليك بيوتُها ما أنشدت ... حوراءَ ذات وشائحٍ وقلائدِ

(١) في الأصل "وتعود سال".

كعقيلة الحىّ الحُــلوبِ تمشَّت الـ ـخُيلَاءَ بين وصائفٍ وولائــدِ
مما سبقتُ بخاطرى أمَّاتِهـا وحويتُـــهُ برقاىَ أو بمكايدى
خضعَ الكلامُ لمعجِــزِى فى نظمِها فعنا لهـا من راكعٍ أو ساجــدِ
قد آمنَ الشــعراءُ بعــد فسوقهم بدلائلى فى فضلهـا وشــواهدى
وأطاع كلُّ منـافقٍ إن سَــره أو ساءه وأقــرَّ كلُّ معانــدِ
فاعطفْ لمهديهـا وحامــلِ تربِهـا وٱحمــلْ له حقَّ السفيرِ الرائــدِ
وٱردُدْهُ عن عَجَــلٍ كما عوَّدتَه برواجحٍ من نعمتيك ردائــدِ
وٱشــدُدْ يدًا بالخافقين مملــكا عنقيهــما من أتْهُــمٍ ونجائــدِ
فى دولةٍ أختِ السـعودِ وعــزّةٍ أمِّ النجــوم وعمــرٍ ملكٍ خالدِ

* * *

وقال وكتب بها الى الوزير كمال الملك أبى المعالى

تهوَى ــ وأنت مُحلَّأٌ(١) مصدودُ ــ ماءَ "النَّقيب"، وإنه مورودُ
ويُقِرّ عينَك ــ والوصالُ مصوَّحٌ ــ غصنٌ يرِفُّ على الحمى ويميــدُ
واذا رغبتَ الى السحاب لحاجةٍ لك مايصوب على "الغضا" ويجودُ
ما ذاك إلا أن عهــدَك لم يحُــلْ أفــا لحىٍّ فى "النخيــل" عهودُ؟
ومن الشقاوة حافظٌ متجنَّبٌ يقضى عليــه غادرٌ مــودودُ
قَسَما ــ ولم أُقسمْ بسكَّانِ الحمَى عن ريبــةٍ لكنه تأكيدُ ــ
لهمُ ــ وإن مَنعوا ــ مكانُ مَطالبى وهمُ ــ وإن كرِهوا ــ الذين أريدُ
أتنسَّمُ الأرواحَ وهى رواكدٌ منهم وتُجــدِبُ أرضُهم فأرودُ
وأكذِّبُ الواشى الىّ بغــدرهم وعلى الحــديثِ دلائلٌ وشُهودُ

(١) المحلأ: الممنوع عن الماء.

فهم الصـــديقُ ولا مودةَ عندهم ... وهم الأقاربُ والمزارُ بعيـــدُ
و" بأيمَنِ العلَمين " من أبياتهـــم ... ظبيٌ يُصادُ الظبيُ وهو يَصـيدُ
لاهٍ اذا جمع الرجالُ حلومَهـــم ... حل العـــزائمَ خصرُهُ المعقودُ
يَرمِي القلوبَ وما دمٌ بمطـــوَّحٍ ... ما لم تُرِقه مقـــلةٌ أو جيـــدُ
وعدَ الوفاءَ وليس منـــه فغرَّنى ... ومن السرابِ اذا اغتررتَ وعودُ
أعنو له وأنا العـــزيزُ بنفســـه ... وأَلِينُ عمـــدا والفؤادُ جليـــدُ
واذا عزفتُ فتُبتُ من دِينِ الهوى ... جذبَ الغـــرامُ بمقوَدى فأعودُ
ولقد أحنّ الى " زرودَ " وطينتى ... من غير ما فُطرتْ عليه "زرودُ"
ويشوقُنى عَجَفُ[1] "الحجازِ"، وقد ضفا[2] ... رِيفُ[3] " العراق " وظلُّه الممـدودُ
ويُطَرِّبُ الشـادى فـــلا يهتزُّنى ... وينـالُ منّى السـائقُ الغـرِّيدُ
ما ذاك إلّا أنّ أقمـارَ الحمى ... أفلاكُهنَّ اذا طلعن البيـــدُ
طفِقَ العذولُ ـ وما ارتفدتُ برأيه ... فيهن ـ يُبـدئُ ناصحـا ويعيـــدُ
فأنا الذى صدعَ الهوى فى أضلعى ... ما لا يَلُمُّ العـــذلُ والتفنيـــدُ
ياصاحِ ، هل لك من خليلٍ مؤثرٍ ... راضٍ بأن يشـــقى وأنت سعيدُ؟
متقلقلٍ حـــتى تقـــرَّ، وربّمـا ... بَـقَّى رقادَك سـاهرٌ مجهـــودُ
يَلقَ القواذعَ[4] أو يقيك لسـانُه الـ ... ـمشهورُ فيـــك وعزمُه المشدودُ
كذُبالةِ[5] المصـباحِ أنت بضوئهـا ... فى الليـــلة الظلمـاء وهى وَقـودُ
من دونِ عِرضك نَثْلةٌ[6] منضوضة[7] ... منـــه وإن لم يقضها " داودُ "[8]

(١) العجف : ذهاب السمن وهو هنا كناية عن الجدب . (٢) ضـفا : فاض وسبغ .
(٣) الريف : ما أخصب من الأرض وكثر زرعه . (٤) القواذع جمع قاذعة وهى الهجر والشتيمة .
(٥) الذبالة : الفتيلة . (٦) النثلة : الدرع الواسعة وفى الأصل " ثَلَّةٌ " . (٧) فى الأصل مفضوضة . (٨) داود هو داود النبي عليه السلام وكان مشهورا بعمل الدروع و إحكامها .

قـلَّ الثِّقاتُ فإن عَلِقتَ بواحـدٍ فاشدد يديك عليه فهو وحيـــدُ
لا يُبعِـــدِ اللهُ الألى حفِظ العلا بيتٌ لهم حولَ النجوم مَشيـــدُ
وإذا اقشعرّ[1] العامُ أغدقَ من ندًى أيديهـــم الوادى ورَفَّ العـودُ
وإذا سرى نقصُ القبائل أقبلتْ تَنمِى المكارمُ فيهُـــمُ وتـــزيدُ
لا يعـدَمُ الجودَ الغريبُ ومنهُـمُ شخصٌ على وجـه الثرى موجودُ
بيتٌ ، بنو عبـدِ الرحيم طُنـوبُهُ وأبوهُــمُ سـاقٌ له وعمـــودُ
تطغى رياحُ البِرِّ فيـــه عواصـفا ولهـا بأثنـاء[2] البيوت ركودُ
مِن حولِه غُررٌ[3] لهم وضّـاحةٌ تبيضّ منهنّ الليالى الســـودُ
وإذا أناخ به الوفـــودُ رأيتَهـــم ـكرماـ قياما والوفودُ قعـودُ
فإذا أردتَ طُـــروقَهُ لملمَّـــةٍ " فأبو المعالى " بابُهُ المقصـــودُ
جاراهُـــمُ فأراك غائبَ أمسهم ـ رؤيا الزيادة ـ يومُهُ المشهودُ
ومضَى يُريدُ النجمَ حـــتى جازه شوطا ، فقال النجمُ : أين تريدُ؟
شرفٌ " كمالُ المُلك " فى أطرافه حامٍ عن الحسب الكريم يذودُ
فصّـــحَ[4] البوازلَ وهو قارحُ عامه وأجابَ داعى الشَّيبِ وهو وليدُ
يقظانُ يقدَح فى الخطوب بعزمةٍ تسرى به وبنـــو الطريق هُجـودُ
عَشِقَ العلا وسعَى فأدرك وصلَها متروِّحا وحســودُه مكدودُ
ووفَى بأشراطِ الكفايةِ داخلا من بابها ورِتاجُها[5] مســدودُ
عبِقٌ بأرواحِ السيادة عِطفُـــه فكأنه فى حِجـــرها مولودُ
لو طاول الغُمْرُ[6] المغفَّلُ خُلقَـــه شيئا تعلّمَ منـــه كيف يسودُ

(١) اقشعرّ : لم يُصبْ ريًّا . (٢) فى الأصل " بأبيات " . (٣) فى الأصل " له " .
(٤) فصّح : من قولهم : فصّحه الصبحُ بمعنى بان له وغلبه ضوءُه . (٥) الرتاج : الباب العظيم .
(٦) الغمر : الجاهل الأبله .

هَشٌّ لصدر اليوم إمَّا مالُه فيه وإمّا قربُه المنقودُ
لا قبلَ نائله اذا سُئل الندى وعدٌ ولا قبل اللقاءِ وعيدُ
واذا الخلالُ الصالحاتُ تكاملتْ فهى الشجاعةُ أو أخوها الجودُ
أفنَى الثراءَ على الثناءِ وعلمُهُ أنّ الفَناءَ مع الثناء خُلودُ
ولربّما بُلِى البخيلُ بموقِفٍ يُخزيه فيه مالُهُ المعبودُ
لك من خلائقه اذا مارستَه جنبانِ ذا سهلٌ وذاك شديدُ
فمع الحفيظة قسوةٌ وفظاظةٌ حتى كأنّ فؤادَه جُلمودُ
ومع المودّة هِزّةٌ وتعطّفٌ فتقول : غصنُ البانة الأُملودُ
يا أُسْرةَ المجد التى لم تنتبهْ عن مثلها الأيامُ وهى رُقودُ
كُفِىَ الزمانُ العينَ فى أعيانكم، إن الزمانَ عليكُمُ محسودُ
لولاكُمُ نُسِىَ الثناءُ ولم يكن فى الناس لا رِفدٌ ولا مرفودُ
ولكان قُلُّ الفضلِ أو ميسورُهُ يفنَى فَناءَ كثيرِه ويَبيدُ
بكُمُ رددتُ يدَ الزمان، وباعُهُ متوسّعٌ بمَساءتى ممدودُ
وحملتُ مضعوفا ثقائلَ خطبه وهى التى تُوهِى القُوَى وتؤودُ
وخلطتمونى بالنفوس فمن يقَعْ جُنُبًا(١) فإنى منكُمُ معدودُ
واذا تلوّنَ معشرٌ بتلُّونِ الـ دُنيا فعهدى فيكم المعهودُ
وعُنيتَ أنت بخَلّتى فسددتَها ونظمتَها بالجودِ وهى بديدُ
واذا تقاعدَ صاحبٌ عن نُصرتى فالنصرُ حظّى منكَ والتأييدُ
فلأجزينّك خيرَ ما جازَى آمرؤٌ وجَدَ المقال فقالَ وهو مُجيدُ
مما يُخالُ قوافيا ومعانيا بالسمع وهو حَبائرٌ وبُرودُ

(١) جُنُبًا : بعيدا غريبا .

ويكون زادَ السَّفرِ[١] فى ليل الطَّوى ويقادُ تتبعـــه المهارى القُـــودُ
من كلّ مخلوعٍ عِذارُ محبِّها فيها ومعـــذورٌ بها المعمودُ
وكأنها بين الشفاهِ قصائدًا فـــوق النحـــورِ قلائدٌ وعقـــودُ
عذراء تحسُدها — اذا أنصفتَها أوقاتَها منك — الكعابُ الرودُ
يحثُّها شـــوقا لك النـــيروزُ أو يأتى فيُطلِعَها عليـــك العيـــدُ
لك من بشائرها الخلودُ ودولةٌ تمضى بها الأيّامُ ثم تعـــودُ
ما أحسبُ الدنيا تطيب وأمرُها إلّا الى تدبيركم مردودُ
فبقيتم والحاسدون علاكُمُ، لا خـــيرَ فيما ليس فيـــه حسودُ

(١٢٤)

* * *

وقال وكتب بها الى الصاحب أبى القاسم بن عبد الرحيم فى عيد النحر يهنّئه، ويعرِّض بذكر بعض من جهِلَ قضاءَ حقِّه، ولم يُجازِ خدمتَه عند السلاطين

أنشُدُ[٢] من عهد "ليلَى" غيرَ موجودِ وأقتضيها مُعارا غـــيرَ مردودِ
رِضًا "بليلَى" على ما كان من خُلُقٍ جَعْـــدٍ ونَيـــلٍ كثيرِ المَنّ معـــدودِ
من العـــزيزات[٣] أنسابًا وأخبيةً فى صفوةِ البيتِ حلّتْ صفوةَ البيـــدِ
محبُّها قـــد قضى فى كلّ معـــركةٍ[٤] قصيّةٍ عن بلاغِ الأينُـــقِ القُـــودِ
تُقَـــلُّ من غيرِ ذُلّ عنـــد أسرتها بين القبابِ المنيعاتِ الأباديدِ[٥]
كم ليـــلةٍ قد أرتنى حشوَها قمـــرا وجوهُها البيضُ فى أبياتِها السُّـــودِ

(١) السفر : المسافرون . (٢) دخل على هـــذه الكلمة الزحاف المطوىّ وهو حذف الرابع الساكن وقد ورد كثيرا فى الشعر ومنه لمهيار أيضا فى نفس هذه القصيدة قوله

* أملس لا عرضه الوافى بمنتقص *

(٣) فى الأصل "العريرات" . (٤) لعله يريد كلّ معركة من معارك الحب التى لا تخوض غمارها النوق لبعدها عن المعارك الحقيقية . (٥) الأباديد : المتفرقة .

من كلِّ هيفاءَ إلا الرِّدفَ تحسبهُ ... غصنا من البان معقودا بجُلمودِ

ما مستقياتها للريح مائلةً ... لكن براهينُ عِزٍّ لى المواعيدُ

لُثْنَ العناقيدَ(١) فوقَ الخمرِ(٢) واختلفت ... شِفاهُهنَّ على ماءِ العناقيدِ(٣)

ورُحن يَرمِين بالألحاظ مقتنَصًا ... فما تصيَّدنَ إلا أنفُسَ الصِّيدِ

يا ليلَ(٤)، لو كان داءً تقتُلين به ... داويتِه كان داءً غيرَ مقصودِ

اليأسُ أروحُ لى والصبرُ أرفقُ بى ... من نومِ ليلكِ عن همّى وتسهيدى

ما ماء «دِجلةَ» ممزوجا بغدرِكُمُ ... وإن شفَى باردًا عندى بموروِدِ

ولا صَبَا أرضِكم هبَّت تروِّحنى ... وفاءَ وعدٍ لكم بالمطلِ مكدودِ

حسبى! سَمحتُ بأخلاقى فما ظفِرت ... فى الناس إلا بأخلاقٍ مَناكيدِ

وصاحبٍ لينُ أيّامى وشدّتُها ... فَرقٌ له بين تقريبى وتبعيدى

يمشى ابنَ دأيةَ(٥) فى ظلِّ الرجاءِ معى ... وفى النوائبِ يعدو عدوةَ السِّيدِ(٦)

وواسعِ الدار عالى النارِ يُوهِمنى ... خِصبَ القِرَى بين مبثوثٍ ومنضودِ

يهوَى الأناشيدَ أن يَكذِبن سُمعَتَه ... ولا يَهشُّ لأعواضِ الأناشيدِ

أغشاه غِشيانَ مجلوبٍ يُغَرُّ بما ... رأى وأُصرَف عنه صَرفَ مطرودِ

يجودُ مِلءَ يدى بالوعد يمطُله ... والمطلُ من غيرِ عُسرٍ آفةُ الجودِ

فَدَى الرجالُ - وإن ضنّوا وإن سمحوا - ... فتًى يهونُ عليه كلُّ موجودِ

لا يحسب المالَ إلا ما أفاد به ... ثناءَ محتسِبٍ أو ذِكرَ محمودِ

كم جَرَّبَ المدحُ أملاكا وجرَّبه ... فصبَّ ماءً وحثُّوا من جلاميدِ

أملسُ لا عِرضُه الوافى بمنتقَصٍ ... يوما ولا مالُه الواقى بمعبودِ

---

(١) يريد بالعناقيد الغدائر . (٢) الخمر جمع خِمار وهو شبه النقاب . (٣) يريد بماء العناقيد الخَمْر . (٤) يريد يا ليلى . (٥) ابن دأية : الغراب . (٦) السيد : الذئب .

مَن سائلٌ بالكرام السابقـــين مَضَوا — وخلّفـوا الذِّكرَ من إرثٍ وتخليـــدِ؟
هذا "الحسينُ" فخذ عينًا ودعْ خبرًا — من الروايات عنهـــم والأسانيـــدِ
من ساكنى الأرضِ قبلَ الماءِ من قِدمٍ — وعامريهـا وما ذَلّت لتشـــييدِ
كم حاملٍ منهـمُ فضلًا، حمائلُهُ — تُحَــلُّ عن عاتق بالتـاج معـقودِ
لم يبرحوا أجبُـلَ الدنيا وأبحرَها — أصلين من شاهقٍ منهـا وممـــدودِ
وحسّنوا فى الندى أخلاقَ حلمهمُ، — إنَّ الندى فى النُّهى(١) كالماء فى العودِ
يا آل "عبدِ الرحيم" آختار صحبتَكم — تأنُّـــقٌ فى آختياراتى وتجـــويدى
أُحِبُّكم وتُحِبُّـــونى وما لَـــكُمُ — فضـــلٌ ورُبَّ ودودٍ غـيرُ مودودِ
قرابةٌ بيننا فى "فارسٍ" وَصـفتْ — عنّى وعنكم طهاراتِ المواليـــدِ
لا زال مـدحىَ مـــيراثا يقابلكم — عـنّى اذا الشـعرُ فى آذانكم نُودى
بكلِّ حســناء لو أحفَشـتُها(٢) برزتْ — للخـاطبين بروزَ الغـادةِ الرُّودِ(٣)
من نسج فكرى تردّ العارَ دونكُمُ — ردَّ السهام نبتْ عن نسجِ "داودِ"
ما أنبتتْ لِىَ شجـراءُ الرجاء بكـم — خِصـبا وما كرَّ دهرٌ عـودةَ العيـدِ
وما تبـاحُ المُـدَى مشـحوذةً أبدا — صبيحةَ النحـرِ(٤) من نحرٍ ومن جيـدِ

* * *

وقال وكتب بها الى الوزير أبى المعالى يهنئه بالنيروز

أنذرَتْنى أمُّ "سعدٍ" أنَّ "سعدا" — دونهـا ينهَـــدُ(٥) لى بالشَّرِّ نَهْـدَا
غَيرةً أن تسمعَ الشَّربَ تُغنّى — بآسمها فى الشِّعر والأظعانَ تُحدَى

(١) فى الأصل "اللُّهى" جمع لهوة وهى أجزل العطايا أو لعلها "اللّها" جمع لهاة وهى اللحمة المشرفة على الحلق من سقف الفم، وكلاهما لا يتفق ومعنى البيت . (٢) أحفشتها : ألزمتها الحِفْش وهو البيت الصغير من الشَّعَر . (٣) الرود : الشابة الحسنة الناعمة، وفى الأصل "الغيد" . (٤) يريد بصبيحة النحر عيد الأضحى وبالثانية أعلى الصدر . (٥) ينهد : يسرع .

قلت : يا للحبِّ من ظبي رخيم صـدتُه فاهتجتُ ذؤبانا وأُسْـدا (١)
ما عـلى قومِـك أن صـار لهـم أحـدُ الأحرار من أجلكِ عبـدا !
وعـلى ذى نظـرةٍ غائـرةٍ بعثتْ سُقها الى القلب تَعـدَّى !
قَتلتْ حين أصابت خطأً، وقِصاصُ القتـلِ للقاتلِ عمـدا
أتُـرانى طائعًا أضـرمتُها حُرَقًا تأكلُ أضـلاعى ووجدا !
سبّبتْ لى فيكِ أضغانَ العـدا نظرةٌ أرسلتُها تطلبُ ودّا
وعلى ما صفحوا أو نقمـوا ما أرى لى منكِ يا "ظبيةُ" بُدَّا
أَجتلى البـدرَ فلا أنسـاكِ وجها وأرى الغصنَ فلا أسـلاكِ قدّا
فاذا هبَّتْ صَبـا أرضكـمُ حمَلتْ تُربَ "الغضا" بانا ورَندا
لامَ فى "نجدٍ" وما استنصحتُه بابلٌّ لا أراه الله "نجـدا" !
لو تصـدَّى رشأُ "السَّفحِ" له لم يلُم فيـه ولو جارَ وصـدّا
يصـلُ الحولُ على العهـد وما أنكرَ التَّذكارُ من قلبيَ عهـدا
أفيروَى عندكم ذو غُـلّةٍ عـدِمَ الظَّلْمَ (٢) فما يشربُ بَرْدا ؟
رُدَّ لى يوما على "كاظمـةٍ" إن قضى الله لأمرٍ فات ردّا
وحمانى من زمانٍ خابطٍ أبدا فى عَطَنى شَـلًّا وطردا
كلّما أبصر لى تامكةً (٣) كدَّها أو ردّها عظما وجِـلدا
يصـطفى الأكرمَ فالأكرمَ من نُخَبِى أنفسَ ما كنتُ مُعِـدّا
كلّما شُـدّتْ بظهرى هَجمةٌ (٤) ركب الشرُّ لها ركضا وشـدّا
واقعا فى كلّ مَن كثّرنى بيـدٍ خرقاءَ أو أصبحتُ فردا

---

(١) ذؤبان جمع ذئب . (٢) الظلم : ماء الأسنان وبريقها . (٣) التامكة . الناقة العظيمة السنام (٤) الهجمة : من الإبل ما بين السبعين الى المائة فاذا بلغت المائة فهى هُنَيْدة .

أُكلَةَ الصُّعلوكِ ، لا أُسـنِدُ ظهرا	فى الملمّـاتِ ولا أَشتَدُّ عَضْــدا
غاب أنصـارى فمن شاء آتقانى	حذَر الإثمِ ومن شاء تعــدّى
شَقِيَتْ من بعــدهم نفسى وهم	أىّ برجٍ نزلوه كان ســعدا
قل لأمـــلاكٍ نأى عنّى بهــم	ناقلُ الأقمـار قُربا ثُمّ بُعــدا :
يا ســيوفى يوم لا أملِك عزًّا	وعيــونى يوم لا أُورَد عِــدًّا
وشـــبابى إن دنوتم كان غضًّــا	واذا رحتم مع البين آســترِدًّا
عجبا لى كيف أبقى بعــدكم	غير أن قد خُلِقَ الإنسـان جَلْدا !
غلبَ الشـوقُ فمـا أحمِـلُ صبرا	وجفا الناسُ فمـا أسألُ رِفــدا
أنا من أغراســكم فانتصروا لى	قبـل أن تهشِمَنى الأيامُ حصدا
يا رســولى، ومتى تَبلُغْ فقــلْ	خيرَ ما حُمِّــل مأمونٌ فأدّى :
يا "كمالَ الملكِ" يا أكرمَ مَن	يمّمَتْــه ظُعُنُ الآمالِ تُحــدَى
يا شهابا كلّمـا قال العــدا :	كاد يخبــو، زاده الرحمنُ وقـدا
يا حساما كلّمـا ثلّمـــه الـ	ـضربُ راق العــينَ إرهافا وحَــدًّا
ما بـــراك اللّهُ إلا آيـــةً	فَتن النـاسَ بهـا غَيًّا ورُشْــدا
وَثَبَاتُ الليثِ إن أُنكِــر فى	شَدّةٍ كان مع الأخرى أشَــدّا
كلّمـا عاند فيهـا حاســدٌ	ظهـــرتْ باهرةً مَن يتحدّى
ولَكَمْ أنشرتَ إعجـازا بهـا	من فِعـالٍ طُوِيتْ لحـدا فلحدا
وبخيــلٍ خامــلٍ أعديتَــه	كرما نال به الحمــدَ ومجــدا
وزليــقٍ منتهَى شاهقــةٍ	حيثُ لا يصــعَد إلا مَن تردّى
طَأْمَنَ(١) الجوُّ لهـا وآنحــدرت	قُلَل الأجبال حتى كنّ وُهْــدا

---

(١) طأمَنَ : آنخفض .

(١٣٦)

حَرَصَ الكوكبُ أن يطلُعَها … فهوَى عنها وما سدّ مَسَدًّا
وإذا الكيدُ مشَى يَسْمُتُها(١) … طامعًا عاد وقد خاب وأكدى
خفَّ من خطوك فيها ناهضٌ … لم يسرْ فى التيه إلا سار قصدا
يأخذ المجلسَ من ذِروتِها … مالكًا تدبيرَها حَلًّا وعَقْدا
طرتَ فيها والعدا واقعةٌ … تأكل الأيدى(٢) لها غيظا وحِقدا
يُلعَنُ الناسُ على عجزهمُ … وتُحيَّا بالمساعى وتُفَدَّى
فَرَّعَت للمجد منكم دوحةٌ … كنتَ من أنضرها عُودا وأندَى
تربةٌ بورك فى صَلصالها … أنجبَتكم والدا طاب ووُلْدا
طينةٌ — أعجِبْ بها — مجبولةٌ … أخرجتْ سَلْمى وثَهلانَ وأُحْدا(٣)
يا عيونَ الدهرِ، لا زالتْ بكم … قَذِياتٍ أعينُ الحسّاد رُمدا
وتقاضَى الملكُ عنكم بسيوفٍ … منذ سُلَّتْ لم تكن تشتاقُ غِمدا
كلَّما سُوِّد منكم بأخيه … صارمٌ يَمَّمَ أمضَى وأحَدَّا
وبَقِيتم لبقايا كرَمٍ … بكُمُ يَلْحَمُ فى الناس ويُسدَى
لم تكن لولاكُمُ أرماقُها … أثرا يَخفَى ولا عينا تَبدَّى
يا نجومى، لا يَرُعْني منكُمُ … غائرٌ باخٍ(٤) ولا حَيدانُ ندَّا
نَوِّروا لى وآسرجوا فى طُرُقٍ … أقطع الأرضَ بكم جَمْزًا(٥) ووَخْدا
أجمع الحصباء فى مدحكُمُ … بلسانى وأعُدُّ الرمل عَدّا
وكما أرغمتُ من قبلُ بكم … آنُفًا(٦) آبيةً أجدعُ بَعْدا

(١) يسمتها : يقصدها ، وفى الأصل "يسمنها" . (٢) قوله " تأكل الأيدى " كناية عن عضّهم أيديَهم من الغيظ . (٣) أحد وما قبله أسماء جبال . (٤) فى الأصل : " غابر " ؛ وباخ : خمد وآنطفأ . (٥) الجمز : الإسراع فى العَدْو . (٦) آنُف جمع أنْف .

أبــدا أنصُبُ نفسى دونكم   عَلَمًا فــردا وخَصّاما ألدّا
غـير أنى منـك يا بحـرَ النـدى   أشتكى حظّى فقد خاب وأكدى
عادةٌ تُمنَعُ أو تُقطَع بتّـا   وحقـوقٌ وَجبتْ تُهمَلُ جِـدّا
ووعـودٌ يجمـحُ المطـلُ بهـا   أن يرَى ميقاتُهـا عنـدك حدّا
بعـد أن قد كنتَ أحفاهم[1] وفاءً   لى وأوفاهم لمـا أسلفتَ عهـدا
حاش للسُّحبِ التى عُوِّدتُهـا   منك أن يَروَى بها الناسُ وأصدَى
نفثـةٌ من مذكِرٍ لم يألُ فى الـ   ـصبر للحاجـةِ والأوطارِ جهـدا
بعث النـيروزُ يستعجلكم   سائلا فى الوعد أن يُجعـلَ نقـدا
وهْوَ اليومُ الذى من بعـده   سـوف تُفنون مدى الأيام مدّا
فاقبـلوه شافعـا وارضـوا به   زائرا عـنِّىَ بالشـعرِ ووفـدا
أنتُمُ أكرمُ من يُهدَى له،   والقوافى خـيرُ ما يُحبَى[2] ويُهدَى

* * *

وقال يمدح عميد الرؤساء أبا طالب ويهنّئه بالنيروز

صدّتْ "بنعمانَ" على طول الصدَى   دعها فليس كلُّ ماءٍ مَوردا
لحاجـةٍ أمسَّ من حاجاتها   تخطّأتْ أرزاقَهـا تعمّـدا
ترى وفى شـروعها ضـراعةٌ   حرارةً عـلى الكبودِ أبردا
عادةُ عزٍّ جـذَبَتْ بخَطْمها[3]   وكلُّ ذى عزٍّ وما تعـوّدا
لا حَمَلَتْ ظهورُها إن حَمَلَتْ   رِجْـلا على الضيم تقَـرُّ أو يدا
إن لم يلقها جانبٌ مقاربٌ   فارمِ بها الجنبَ العريضَ الأبعـدا

---

(١) فى الأصل "أخفاهم". (٢) فى الأصل "يجبى". (٣) الخطم: مقدّم أنف الدّابة وفمها.

خاطِرْ وَلو أردى الخِطارُ ، إنه ... لا يأمن الذلّةَ مَن خاف الردَى

لا يُحرِزُ الغايةَ إلا بائعٌ ... بغلظةِ العيش الرقيقَ الرَّغَدا

يَطوى الفلا لا يستضيفُ مؤنسا ... والليلَ لا يسأل بها مرشدا

اذا رأى مَطعمةً خافضةً ... عوَّذَ بالله ومالَ الجَيَدا

يُعطِى جِذابَ الشهواتِ عُنُقًا ... شمساءَ(١) لا تَعرف إلا الصَّيَدا(٢)

تمارُسُ الأيّامُ منه كلّما ... حارنَ أو لجّ غلاما نَكِدا

يعزِفُ(٣) إلا عن فُكاهاتِ الهوى ... وقد رأى فيه الحبيبَ المسعِدا

أقسمَ بالعفّةِ : لا تيَّمهُ ... ظبيٌ رنا أو غُصُنٌ تأوَّدا

ولا قَرَى(٤) صَبابةً فؤادَه ... إلا السلوَّ حاضرا والجَلَدا

شأنَكَ يا بنَ الصَّبَواتِ فالتمسْ ... غيرى أخًا ، لستُ لهنّ وَلَدَا

مولاكَ من لا يخلُق الشوقُ له ... وجدا ولا طولُ البعاد كمدا

كأنما يَشهدُ من عَفافه ... على المشيبِ يافعًا وأمردا

موقَّرا متَّعظا ، شبابُه ... كأنما كان مَشيبا أسودا

تحسبه نزاهةً وكرمًا ... ومجدَ نفسٍ " بآبن أيوبَ " آقتدَى

فِدَى عميدِ الرؤساء مُصفِرٌ(٥) ... لو طاب لا يصلُح إلا للفِدَى

يرضَى بما ساق اليه غَلَطُ الـ ... حظّ ولم يسعَ له مجتهدا

يعجَبُ من جهالةِ الأيّام فى ... وِجدانه ما لم يكن لينشُدا

تحسبه جاء يريد غيره ... فضلَّ عن طريقه وما آهتدَى

وحاسدٍ ، نَخارُه معْ نقصه ... فى الناس أن عادى العلا وحسَدا

(١) الشمساء : الممتنعة الأبيّة . (٢) الصَّيَد : رفع الرأس كبرا وزهوا . (٣) فى الأصل " يعرف " . (٤) قرى : أضاف . (٥) المصفر : المفتقر .

تُلهِبُ نارُ الغـيظ فى ضلوعـه جمـراً يقول حـرُّها : لا بَرَدا
زال[1] بنصرِ مجـدِهِ غيرانَ ما نازَلَ إلا ظافـرا مؤيَّـدا
مدّ الى أخـذِ العـلا فنالهـا يدا تبـوعُ ساعـدا وعَضُـدا
تَقضِى له الأقلامُ من حاجاتهـا ما آستقضت الذابلَ والمهنَّـدا
ما زال يرقَى فى سماواتِ العـلا بروجَها الأسـعدَ ثمّ الأسـعدا
مصاعـدا نجومَهـا حتى اذا تطاولتْ خلْفَهـا وصـعِدا
رأى المعـالى بالمسـاعى تُقتضَى والشرفَ المحرَزَ من كسبِ الندَى
فصاعبَ الأُسـودَ فى أغيالهـا صرامـةً وجاودَ الغيثَ جَـدَا
وكلّما قيـل له : قِفْ تسـترحْ جزتَ المدَى ، قال : وهل نلتُ المدَى ؟
ناهضَ ثِقلَ الدولتين فكفى الـ ـمُلكَ الطريفَ ما كفاه المتـلَدا
وكان للأمرينْ منـه جُنّـةً مسرودةً وصـارما مجـرّدا
فاغترسَ «القـادرُ»[2] يـومَ نصرِهِ وآستثمرَ «القـائمُ بالأمرِ»[3] غـدا
قام بأمرٍ جامـعٍ صـلاحَهُ فضـمّه بنفسـه منفـردا
فلستُ أدرى أَلِوَحيٍ هابط أم آختيـارا لقّبـاهُ الأوحـدا ؟
وزارةٌ وفّـرها لدَسـتِهِ أنّ أباه قبلُ فيـه آستندا
دبّرها مستبصرا فلم يكن مفوّضا فيهـا ولا مقـلَّدا
يُسـنِد عن آبائه أخبـارَها صادقةً اذا آتهمتَ المُسـنِدا
وأعتقُ النـاس بهـا من لم يزل مكرّرا فى بيتهـا مردّدا
يا من مخضتُ النـاسَ فاستخلصتُه بعـدَ آجترادى فاليـا منتقـدا

---

(١) زال : نهض . (٢) إشارة الى الخليفة القادر بالله . (٣) إشارة الى الخليفة القائم بأمر الله .

والبازلُ العَوْدُ وقد نبذتُهم ... بَكِيَّةً[1] معرورةً[2] أو نَقَدا

ذلَّتَ أيامىَ وٱستقربتَ لى ... غُلْبَةً[3] وقاعها المستبعدا[4]

هوَّنتَ عندى الصعبَ من صروفها ... نخلتُ أفعاها الوثوبَ مَسَدا

أعديتَها بحفظك العهدَ فقد ... صارت صديقا بعد أن كانت عِدا

ولم تضيِّع حُرَمًا أحكمها ... قديمُ حقٍّ فيكُمُ وأكَّدا

أنتَ كما كنتَ أخًا مُخالِلًا ... بحيثُ قد زدتَ فصرتَ سيِّدا

فٱسمعْ أقايضْك بها قواطنا ... سوائرًا معقَّلاتٍ شُرَّدا

عوالقًا بكلِّ سمعٍ صَلِفٍ ... يلفظُ أن يَقبلَ إلّا الأجودا

ممّا قهرتُ بجفلتُ وعره ... مُدَيَّنًا[5] وحرُّه مستعبَدا

مَطارِبًا اذا ٱحتبى الراوى لها ... شككتَ هل غنَّى بها أم أنشدا!

تُخالُ أرجازًا من ٱستقصارها ... وقد أطال شاعرٌ وقَصَّدا

يَمضى الفتى الموسومُ فى نخارها ... صفحًا وتُبقِى عِرضَه مخلَّدا

تَحمِلُ أيّامَ التهانى تُحَفًا ... منها اليك بادئاتٍ عُوَّدا

ما دامت الغبراءُ أو ما حَمَلَتْ ... مدحوّةً من الجبال وَتِدا

سنينَ تطويهنّ حيًّا سالمًا ... مُنَوِّرًا فى العزّ أو معيِّدا

لا الشعرُ تبلَى أبدا رسومُهُ ... فيك ولا تُعدَمُ أنت سَنَدا

---

(١) البكيّة : الناقة أو الشاة قلّ لبنها ، وفى الأصل " بلية ". (٢) المعرورة : التى أصابها العُرّ وهو الجرَب. (٣) غُلُبّة : قهرا ، وفى الأصل " غَلية ". (٤) فى الأصل " المستعبدا ".

(٥) مديَّنا : مملَّكا مذلَّلا .

وقال يمدح كمال الملك أبا المعالى ويهنّئه بالمهرجان



رَدَّ عليها النــومَ بعــد ما شَرَدْ	إشرافُها على شَرافِ[1] من "أُحُدْ"
وضمَّهـا منشورةً مجــرى الصَّبا	وعَطَنَ الدارِ وطِينــةَ البــلَدْ
فعطَفَتْ كلَّ صليفٍ ناشِزٍ	على الخِشاشِ وعلى لينِ المَسَدْ
يقودها الحـادى الى حاجتــه	وهمُّها أخرى اليهـا لم تُقَـدْ
وإنمـا تيمَّهـا "بحاجــرٍ"	أيّامُهـا "بحاجرٍ" لو تُســترَدْ
وصالحاتٌ من ليـالٍ أخلقت[2]	عهـودُها وهى مع الذِكْرى جُدُدْ
يادين من أهل "الغضا" سقامُها	ووجدُها بمــدّعٍ ما لم يجِـدْ
وحفظُهـا عهــدَ ملولٍ ماطلٍ	يذكر ما آسترعَى وينسَى ما عَهِـدْ
وكم على "وادى الغضا" من كبِدٍ	يحكم فيهـا بسوى العــدل الكَمَدْ
ومن فــؤادٍ بدَدٍ تلفِظُــه	ولائذُ الحىّ مع الحصـا البَدَدْ
وصارمٍ ما شَــقِىَ القَيْنُ به	مذ ســلَّه غُنجُ الحاظِ ما غُمِـدْ
ومن غزالٍ لا يُقِــلُّ رِدفُــه	ضعفا وفى حبـاله عُنقُ أَسَـدْ
وقامــةٍ لو لم يكن لشكلها	فعلُ القنـاة لم تمــلْ ولم تَمِـدْ
بانات وادٍ مــذ حَمتْ شجــراءَهُ	رماحُ "قيس" ما آختُلِى[3] ولا عُضِدْ[4]
تلاوَذُ الريحُ بكلِّ مرهفٍ	غصنٍ اذا قام وحِقْفٍ إن قعــدْ
حبائب "بالخيْف" فى مَلاعبٍ	هنّ النعيمُ وهى جنّاتُ الخُــلُدْ
سقتْ دمــوعى حَرَّها وملحُها	عيشا بهـا بالأمس طاب وبَرَدْ

(١) الشَّراف : اسم موضع . (٢) فى الأصل "أخافت" . (٣) ما آختُلى : لم يُقطع مابه من خَلًى وهو الرطبُ من النبات . (٤) ماعضد : ماقطع نباته بالمِعضد وهو آلة تستعمل فى قطع الشجر .

لو كان لى على الزمان إمْرَةٌ … بطاعــة قلتُ : أعــدْها لى أعِدْ
يا راكبا ، تدوسُ للرزقِ به … حرَّ(١) الثرى والليــلَ وجناءُ أُجُدْ
ترى الطريقَ عَرضَــهُ وطُولَه … لقُطبهــا بين ذراعٍ وعَضُدْ
تطوى السُّرى طىَّ الرياح لا تُرَى … سائلةً : أين المَدَى وما الأَمَــدْ
كأنّهــا من خِفّــةٍ من مسّها الـ … ـأرضَ على أربَعِهــا لا تعتمِدْ
تطلب نُجْحَ حاجها بجَهْــد من … أقسمَ لا يطلُبُ إلا ما يَجِــدْ :
ارجِعْ وراءَ فاســترِحْ وأَعفِها … ما كُلُّ حظٍّ لك منــه أن تَكُدّْ
مَطــرَحُ عينيكَ غِــنًى مقترِفٍ(٢) … كفى بنى الحاجاتِ شُقّاتِ البُعُدْ
بجانب " الزوراء " قصرٌ قصدُهُ … بحرٌ اذا أعطى الغِنَى لم يقتصِــدْ
أيدى بنى " عبد الرحيم " مدُّه الـ … ـدّ ائمُ والبحــرُ يَغيضُ ويَمُــدّْ
قــد أفعمــوه وأباحوا وِردَه … مخــلَّدا عَذْبا فمن شاء وَرَدْ
قــومٌ اذا لم تَلْقَ منهــم واحدا … وإن لقِيتَ النــاسَ لم تَلْقَ أحدْ
صانوا حمى أعراضِهم، ومالُهم(٣) … وذِيّةٌ(٤) عــلى الطريق تُنتقَــدْ
وعَقَدوا لكــلّ جارٍ ذمّــةً … وذمّــةُ المــال بهــم لا تنعقدْ
هم دبَّروا الأرضَ فلم يُعيِهــمُ … بثقلهــا تدبيرُها ولم يَــؤُدْ
ملوكُها اليــومَ وآباؤهُمُ … ملوكُها وما عــلى الأرض وَتَدْ
تمطّقوا(٥) الســؤدُدَ فى مهــودهم … من حلَمِ ما أرضعتْ من لم يَسُــدْ

---

(١) فى الأصل "جدّ الثرى" ، والوجناء الأجد : الناقة القوية الموثّقة الخَلْق . (٢) المقترف : المكتسب . (٣) المال عنــد أهــل البادية النَّعم يذكر ويؤنث ، يقال : هو المال وهى المال .

(٤) وذيّة : جفيرة مبتذلة وفى الحديث « أمن أجل دنيا دنيّةوشهوة وذيّة » وفى الأصل " ودية " .

(٥) تمطقوا : تذوّقوا .

وطوّحوا وهم جِذاعٌ فُصُــلُ[1] بالقارح البـازل والقَرْم[2] الأشَــدّْ

وكلّمـا نازعهـــم منـازعٌ سـلّمَ مختـارا لهم أو مضطَهَدْ

ولا ومَنْ قاد الصِّعابَ لَهُمُ وأوجدوا الفضلَ بهم وقد فُقِــدْ ،

وأظهــرَ الآيةَ فى آشتباههـــم بأسا وجودا وعنـاءً وجَــلَدْ ،

ما تَــلِدُ الأرضُ ولو تحفّلتْ مثلَ ""كمالِ الملكِ""، والأرضُ تَلِدْ

رعَى بنى الدنيـا على آختلافهـــم منفـــردا بمـا رعاه مستبِدّْ

لا مستشيرٌ يُبصر الشـــورى له رأيا ولا منتصِحٌ فيرتَفِــدْ

وَحْدَةُ ذى اللِّبـدةِ، لا يُفقِـــره غَنـاؤه بنفســـه الى العَــدَدْ

تُحرِّم النـــومَ المبـاحَ عينُـــه إزاء كلِّ خَلّةٍ حتى تُسَــدّْ

لا مُغلَقُ[3] الرأيِ ولا مضطربُ الـ أحشاءِ تحت حادثٍ من الزُّؤُدْ[4]

اذا أصاب فرصـــةً لعزمـــه صمّمَ لا يســـوِّفُ اليومَ بغـــدْ

مبـارَكُ النظرةِ، مَن أبصره مصطبحا بوجهـــه فقد سَـــعَدْ

لو صيغت الأيامُ من أخلاقـــه لم يعترضْها كَدَرٌ ولا نَكَدْ

لم يُسمِه الملكُ ""الكمالَ"" أو رأى عن عفوه نقصانَ كلِّ مجتهِدْ

ولا أرادتـــه العـــلا أباً لهـا إلا وقـــد أفلحَ منهـا ما وَلَدْ

أقرّ بالفضـــل له حاســـدُه ولو رأى وجـــهَ الجحـــود لجحَدْ

أفقره الجـــودُ وإن أغنـاه أن ساد به، ولم يَسُــدْ مَن لم يجُــدْ

فلا يزلْ عـلى الزمانِ منكمُ مسلَّطٌ يَفــرِى الأمورَ ويقُـــدّْ

ولا تَبـــدّلْ بســـواكم دولةٌ أنتم عـلى أرجائهـا سِترٌ يُمَــدّْ

(١) فُصُل جمع فصيل وهو ما فُصِلَ عن الرضاع ، وفى الأصل ""فضل"" . (٢) القرم : الفحل .

(٣) فى الأصل "" معلق "" . (٤) الزؤد : الفَزَع .

ولا رأى سريُها وسرجُها ... مِن غيركم مَن يمتطى ويقتعِدْ
وكنتَ أنت باقيا مساوِقا ... بعمــره وعزِّه شمسَ الأبَــدْ
تَسبِي العطايا لك كلَّ حُرّةٍ ... لولا نداك لم تكن لتُعتَبَــدْ
بِنْتِ الخدور فى الصدور رضَعتْ ... ثدىَ النُّهى ونشأتْ من الكَبِدْ
لم تُمتَهنْ بلفظــةٍ يلفِظُهـا ... من شرِّها السمعُ ولا معنًى يُرَدّْ
يَرقِى بهـا ودَّ القلوبِ ساحرٌ ... ما شاء بالنفثــةِ حلَّ وعقــدْ
كل لسانٍ شَنــوىٌّ مشرِكٌ ... وهو لكم فى شــعره فردٌ صمــدْ
ما دار ــ مذ دار الكلامُ ــ ناطقٌ ... بمثلها ولا جرتْ فى الصحْف يدْ
تغشاك منهـا كلَّ يومٍ تحفــةٌ ... نخبــةُ ما قال الخبيرُ أو نقــدْ
رآك دون النـاس أولى بالذى ... بالغ فيـه من شـاء واجتهـدْ
ما نافقتْك مِدحــةٌ ولم يَقُــلْ ... فيك غلوَّ الشــعرِ إلا ما اعتقـدْ

***

وقال فى سرير

قام برِجْلٍ ومشى على يــدِ ... ممتريا للرزقِ من سيب يدِ
أهيفُ وهو فى السِّمانِ معــرِقٌ ... وواحدٌ وهو كثيرُ العَــدَدِ
يمدُّه حبــلٌ ضعيفٌ فتــلُه ... حتى يعــودَ مُحكَما ذا جــلَدِ
يُشِتُّ شمــلا كلّمـا فرّقــه ... ألّفَ منــه بين شمــل بددِ
تُبصر من عِظامه وجِــلدِه ... اذا اكتسى اللُّجَيْنَ فوق العسجد

⁂

وقال فى رمّانة حمراء

ما أمّ أولادٍ كثيرٍ فى العـــدد[١] تُروى رِضاعا وهى بِكرٌ لم تلِدْ ؟
تبسِمُ عن عَذب الرُّضابِ باردِ لولا دمٌ يصـــبُغه قلت : برد[٢]
أعجِبْ به ماءً زُلالا شبِما[٣] تجمعُـــه فى أُهُبٍ[٤] نارٌ تقِـــدْ !
يا حسنَهــا مجموعةَ الشملِ ويا أضعافَ ما تحسُنُ والشملُ بددْ

⁂

وقال فى الغزَل

" بالخَيْف " مُخطَفَةُ الحشا[٥] تهوَى الغصونُ لها القدودا
أخذَ الغـــزالُ نِفـارَها وأعارها عَينـا وجِيـــدا
ألِفتْ مِطـال عِداتهـا[٦] يا ليتهـا تعـــدُ الصدودا
نثرتْ مـــدامعَ الفـــريـ ـدَ لنظمِ[٧] مَضحكِها[٨] الفريدا
قد كانـــ رثَّ[٩] هواى فابـ ـتسمتْ فردّته جـــديدا

⁂

وقال فى غرضٍ من أغراضه

أعانقُ غصنَ البانِ منها تعِلّةً فأُنكره مسًّا وأعرفُه قـــدّا
وأعدِلُ لثمَ الأُقحوانِ بثغرها فأُرزَقُه برقا وأُحرَمُـــه بَرْدا
فلله مَن لم أستعِض عنه غائبا ولم أر منـــه ظالمـا أبدا بُدّا

---

(١) إشارة الى ما بالرمّانة من كثرة الحَبّ . (٢) إشارة الى حلاوتها ولونها . (٣) الشبم : البـارد . (٤) أُهُب جمع إهاب وهو الجلد . (٥) مخطفة الحشا كناية عن نحول الخصر . (٦) عدات جمع عدة وهى الوعد . (٧) الفريد : الدرّ المنظوم . (٨) مضحكها : مبسمها . (٩) رثّ : بَلِىَ .

(٤٠)

قافيـــة الـــراء

وقال فى غرض وهى أول قوله

بدين الهوى إن صحَّ عقدُك فى الهوى … أعن ملَلٍ[1] فى الهجر أم كاشحٍ أغرَى؟
ألا قلّما يقضِى من الحبِّ حاجةً … مُعنًّى بنفسٍ عُلِّقتْ حاجةً أُخرَى
حلفتُ لئن كان الجفاء لغَدرةٍ … لقد أبصرتْ عيناىَ من عينك الغدْرا
أقول لطيفٍ منك وَسَّدتُ خدَّه … يمينِيَ لمّا جلَّ عن يدِىَ اليسرَى:
نحولى الذى عاينتَ من هجر ليلةٍ … فما ظنُّها بالجسم لو هجرَتْ عشرا

وقال فى مثله

ترنَّمتْ ترنُّم الأسيرِ … وَرْقاءُ فوقَ وَرَقٍ نضيرِ
تنطِقُ عن قلبٍ لها مكسورِ … كأنها تُخبِرُ عن ضميرى
لبَّيك يا حزينةَ الصفيرِ … إن آستجرتِ فبمستجيرِ
مثلكِ فى تبلُّدِ المهجورِ … قَصَّ جَناحى زمنى فطيرى
لكِ الخيارُ أنجدى أو غورى … وحيثما صار هواكِ صيرى
وإن أردتِ الأمنَ أن تجورى … فيمِّمى "بغدادَ" ثمَّ سيرى
أو حوِّمى[2] بربعها المعمورِ … مذ غاب فيه قمرى بالنورِ
عسى تقولين لأهل الحُورِ: … وَا وَحْشتِى بعدك للسرورِ

(١) فى الأصل "ملك". (٢) فى الأصل "أو حوى".

*
* *

وقال يُعزّى الشريفَيْن السيّدَيْن الرضىّ والمرتَضَى آبنى الطاهر أبى أحمد الموسوىّ عن خالهما أبى الحسين بن الناصر العَلَوىّ، وكان تُوفِّىَ فجأة

خُدَعُ الزمانِ مــودّةٌ مِن ناثرٍ ومُـنَى الحيـاةِ وتيرةٌ[(١)] من غادرِ
نغـترّ بالباقين منّـا، والذى قَرِس المقــدّمَ رابضٌ للغـابرِ[(٢)]
واذا ذوَى من دَوحــةٍ غصنٌ فيا سَرْعانَ ما يُـــودى بأخرَ ناضرِ[(٣)]
يا عاشقَ الدنيـا، النجاءَ فإنّهـا إن ساعدتْ وصلَتْ بنيّــة هاجرِ
لا تَخـدَعنّك بالسرابِ فـلم تدع ظنًّا يُرجّم فيـــه وجهُ السـافرِ
واردد لحاظَك عن زخارفها تَفُزْ، إنّ البــلاءَ موكَّلٌ بالنـاظرِ
خَذَل المحـــدِّثَ نفسَــــه بوفائها تصريحُها بالغدرِ فى "آبن الناصرِ"
مشت المنونُ اليــه غيرَ محصّنِ[(٤)] الـ ـجَنَباتِ وآغتالته غـــيرَ محاذرِ
ولو آنتحتـــه لأنذرتْه وإنمـا شبُّ الفجيعــةَ أن أُصيبَ بعاثرِ
صَرعتْه مســبِلةَ الكِمامِ[(٥)] وإنمـا يقع التحفُّظُ من ذِراعَىْ حاسرِ[(٦)]
لم يُحجــبِ البيتُ المطنَّبُ بالكوا كبِ والمعمَّـــدُ بالهلالِ الزاهرِ
والنسبةُ العليــاءُ إن هى تَجّــرتْ زلِقتْ معارجُها بكـلِّ مُفاخرِ
وعصـائبٌ مضريّةٌ قرشـــيّةٌ خُلقـــوا لحفظِ وشائجٍ[(٧)] وأواصرِ[(٨)]
يتراكضون الى تَجّـــزِ ثأرِهم ولو آنه عنـــد الغمامِ السـائرِ
مِن كلِّ أبلجَ منجِاه لواؤه بضفيرتَيــــه السمهريّةَ ضافرِ

---

(١) الوتيرة : الرَّيْث والإبطاء . وفى الأصل "وثيرة" . (٢) قَرَس بمعنى آفترس، والغابر : الحاضر . (٣) فى الأصل "يولى" . (٤) فى الأصل "محص" . (٥) الكمام جمع كم . (٦) الحاسر : المكشوف الذراعين . (٧) الوشائج جمع وشيجة وهى المشتبكة المتصـلة . (٨) الأواصر جمع آصرة وهى العطف من قرابة أو رحم أو صهر .

بَرْدُ النسيم اذا تربَّع عنــده ... حَرُّ الهجيرِ اذا عرا فى " ناجرِ "

أَنِسٌ بأسبابِ الطــلابِ كأنّه ... ولو آمتطى النكباءَ (١) غــيرُ مُخاطِرِ

كلّا ولا أغنتــه عفّةُ نفســه ... عن عاجلٍ يُرضِى ســواه حاضرِ

ولقــاؤه شــهواتِهِ ببصــيرةٍ ... معصومةٍ عنهـا وذيلٍ طاهرِ

نرجو لصالحنا تطاوُلَ عمــره، ... تعبٌ رجاءُ ولادةٍ من عاقرِ

لو خُــلِّدَ ٱبنُ البَرِّ أو أمِنَ الردَى ... لعفافــه لم يولَد ٱبنُ الفاجرِ

أو كان يَســلم بالشجاعة ربهـا ... لم تَطوِ مقبــورا حَفــيرةُ قابرِ

بالكُرهِ فارق سيف "عمرٍو" (٢) كفّه ... وتقلّصت عن رمحه يدُ "عامرِ" (٣)

سقت الغيوثُ "أبا الحسين" تراكما ... سقت "الحسينَ" أباك عينُ الزائرِ

ومن الغرام وفيــه ماءٌ هامعٌ ... منــه دُعاى له بماءٍ قاطــرِ

أبكيك لا ما تستحقُّ، وجهدُ ما ... تسعُ الصبابةُ أن تسيلَ محاجرى

وأُشارِكُ النُّــوَّاحَ فيــك بأنّنى ... أرثيك فالتأبين (٤) نوحُ الشاعرِ

وأَمَا وبدرَىْ "هاشمٍ" وَلَدَيْكَ ما ... مبقيهما ذكــرا له بالداثرِ

(١) النكباء: الريح آنحرفت عن مهبّ الرياح. (٢) يشير الى عمرو بن معد يكرب وهو من شجعان العرب المشهورين بالبأس فى الجاهلية وقد أدرك الإسلام فأسلم ثم آرتدّ بعد وفاة النبيّ ثم أسلم وقد سأله عمر ٱبن الخطاب عن الحرب فقال: مرّةُ المذاق، اذا قَلَّصتْ عن ساق، من صبر فيها عُرف، ومن ضَعُفَ عنها تلف؛ وسأله عن السيف فقال: ثَمَّ قارعَتْك أمّك عن الثُّكل. (٣) يشير الى عامر بن مالك وهو أيضا من شجعان العرب المعدودين وكان يُسَمَّى "مُلاعب الأسنّة" وسُمِّى بذلك لقول أوس ٱبن حَجَر:

ولاعبَ أطرافَ الأسنّةِ "عامر" ... فراحَ له حظُّ الكتيبة أجمعُ

(٤) هذه الكلمة غير موجودة فى الأصل وقد طاف بنا خاطر ونحن نصحح هــذا البيت لابأس من إيراده وهو

وأُشارِكُ النُّــوَّاحَ فيك بأنّنى ... فى الشعرِ فالتأبينُ نوحُ الشاعرِ

إن لا يكونا نسـلَ ظهرِك فالذى نشراه بابنِ الظّهر ليس بناشِرِ (١)
و إذا الفتى ضَعُفتْ مؤازرةُ ٱبنـه فى الأمرِ فابنُ الأختِ خيرُ مؤازرِ
أبواك وٱبنـاك الفخارُ بأسرِهِ والمجــدُ يورَثُ كابرا عن كابرِ
لا تحسبَنَّ الموتَ راع حماهمـا فالسارقُ المغتـالُ غـيرُ القاهرِ
أقسمتُ لو لِحَقَاك قبـلَ وصوله ما كان بينهما عليـك بقادرِ
مَنْ مُبلِـغٌ حَيًّا يُجَمِّـعُ عِزُّه (٢) غُرَّ بَنِى حُسامِ بنى "الحسين" الباترِ ،
صـبرا، و إن فُرِكَ العــزاءُ فإنّه (٣) كنزُ الثوابِ ذخيرةٌ للصـابرِ
هو حُكْمُ عــدلٍ لا يُردُّ وكان ما يَهِنُ القلوبَ لو ٱنه من جائرِ (٤)
حفِظَ العـلا لكما مشيِّدُ عرشها بكما فلا معمــورَ بعــد العـامرِ
واذا جَرَتْ ريحُ الحوادث عاصفا فلتنحرِفْ عن ذا الخِضَمِّ الزاخرِ
وكفَى حسـودَكما الشقىَّ علاجُهُ غيظ الهجينِ من العتيقِ الضامرِ
لا غرَّنى منــه السكوتُ فإنه خوفَ العقابِ سكينةٌ فى نافرِ

⁂

وٱتخذ بعضُ أصدقائه من أولاد الرؤساء الكُتَّابِ فى داره بيتا للخَيْش (٥) فى وسطه بِركة مثمَّنةٌ، قد نُصِبتْ فيها صَومعةٌ للحركات مُربَّعةٌ، لها أربعُ منائرَ مجوَّفةٌ فى جوانبها الأربعـة ، يتوسَّطُها عمودٌ عالٍ فى صورة الأسطوانة ، ينزل اليه المـاءُ من حَوضٍ

(١) ناشر بمعنى منشور، وهذا البيت ورد فى الأصل هكذا

إن لا يكونا نسل طهرك فالذى نشراك يابن الطهـر ليس بناشر

(٢) هذا الصدر ورد فى الأصل هكذا

* من مبلغ حيلى يجمع غره *

(٣) فرك : كُرِهَ . (٤) فى الأصل "جابر" . (٥) قوله : للخيش أى لمروحة الخيش وهى نسيج كشراع السفينة ، يعلقها أهلُ العراق فى سقف البيت مبلولةً بالمـاء، و يعملون لها حبلا يجذبونها به فيهبُّ منها نسيمٌ عليلٌ يُذهب أذى الحرِّ .

مُشرِف مرفوعٍ بناؤه على سمـاء البيت ، مصوّب اليـه بالحركاتِ ، حتى اذا آستقر المـاءُ فى قرارِ البركة فاضَ منه ثمّ من الأربعةِ الجوانبِ فيضا يعلو حتى يكادَ بفضـلِ قوّته يلحَقُ بسقف البيتِ ، وقد عُملتْ لها تماثيلُ من الصُّفْرِ(١) يُسمَّى كلُّ واحدٍ منها باسمٍ ، فتؤخذُ آلتُهـا فتركَّبُ على ذلك العمود الأوسط ، ثم تُدارُ بحركةٍ من الحركاتِ فترُشُّ المـاءَ على سائر من يحويه البيتُ أو يقاربُهُ ؛ فمن التمـاثيل صورةٌ تُسمّى "الخَرْكَاة"(٢) ، اذا نُصبتْ وأديرتْ تَشكَّلَ المـاءُ عليها بشكلِ "الخَركاةِ" وبقىَ معلَّقا لا يغيضُ ولا يسيلُ حتى تُقطعَ حركتُها ، ويوضع عليها من جوانبها الشموعُ اللِّطافُ المسرَّجةُ ، فتدور فيها من غير أن تطفئها ؛ ومنهنّ صورة تُسمَّى "العَروس" يُجعلُ لها ذلك العمودُ كالكرسيِّ ، فتدور راقصةً عليه ، وتُوصِّلُ فى دورانها المـاءَ الى رأسها بيدها ؛ ومنهنّ صورةٌ تُسمَّى "الجَمَل" على هيئته ، اذا نُصبتْ سارت مسيرَهُ بالمـاءِ المحرِّكِ لهـا ، ومنهنّ صورة سَمَّوها "الطَّنبَلَنب"(٣) فى هيئةِ رجلٍ ناشبٍ ، اذا نُصبتْ وأريد بعضُ حاضِرى البيتِ بالبلَلِ ، صوّبَ سهمهُ ذلك اليه فأصابه ، فكيفما هرول لينجُوَ منـه كان المـاءُ تابعا له ما دام فى عَرْصَةِ البيتِ ، ثم يخرج المـاءُ من هـذه البركة الى بُستانٍ فى صحن الدارِ متناهٍ فى الحُسْن ، فيه صنوفُ النخلِ والسَّرْوِ وغير ذلك من الشجر وأنواع الرياحين والزَّهر ، ما يروق مثله ! وهواءُ هذا البيت مجلوبٌ من "بادَهَنج"(٤) قد شُيِّد على سطحه مفتوحِ الجناحيْن لمهبِّ الجَنوبِ والشَّمالِ ، فدخل

(١) الصُّفر : النحاس . (٢) الخركاة [كا ورد فى محيط المحيط] بالفارسية القبة التركية ويقال فى تعريبها : خَرْقَاهَة ، وقد وردت فى شعر مهيار بالهمزة كما سيجىء . (٣) الناشب الذى يحمل النُّشَّابَ وهى السهام . (٤) البادهنج : المَنفَذُ الذى تجىء منه الريحُ ، وسماه بعضُهم "راووق النسيم" وقد قال فيه أبو الحسن الأنصارىّ

ونفحة "بادهنج" أسكرتنا وجدتُ لروحهـا بَرْدَ النعيمِ
صفا جَرْىُ الهوا فيـه رقيقا فسمَّيناه "راووقَ النسيمِ"

مهيارُ رحمه الله على هذا الصديقِ ذات ليلةٍ، فسأله التعريجَ الى هـذا البيتِ والنظرَ الى عجائبه ففعل، ولمـا نُصبتْ التماثيلُ وجاءت النوبةُ الى المعروف "بالطنبلنب" رُكِّبَ نحوهُ وصُوِّبَ إليه فبلَّ ثيابَه، وكان فعلُه فى قلّةِ نفع الفرارِ منه على ماقدّمناه، فعند ذلك سئل ذِكْرَ البيتِ وما حواه ووصفَ الدارِ والبسـتانِ والبركةِ والبادهنج، فقال واصفا الحال بمـا يزيد حلاوةً، ويروق موضعُ الإصابةِ فيـه عند مُشاهـدةِ الموضع، وممازحا للرَّجُلِ بغرامة ما بلَّه من ثيابه

نديمى وما الناسُ إلا السُّكارَى أدِرْها ودعنى غـدًا والخُمـارا
من العجـزِ تركُ الفتى عاجلًا يَسُـرُّ لأمرٍ يُخافُ آنتظارا
وعَطِّلْ كؤوسَـك إلا الكبيرَ تجِدْ للصـغيرِ أُناسا صِـغارا
وقـرِّبْ فـتَى مائةٍ[1] أو يزيـ ـدُ قد أُكمِلَ الشيبَ إلا الوقارا
تُسِـرُّ المَسَـرَّةَ أحشـاؤه ويُـبرِزُ للعينِ طِينا وَقَارا
لصونٍ سـواه رأيتُ الغـلا مَ ينفُضُ عن كَتِفَيْه[2] الغُبـارا
وذى مِـبزَلٍ[3] كزنادِ المكبِّ يَقـدَحُ بالبَزْلِ منـه شرارا[4]
فسلَّ من النـار فى وجهه لسـانا، فأمسك فاهُ حِـذارا
وخادعَهُ عن خلوقيَّـةٍ[5] تُذوِّبُ فى كأسها الجُلّنـارا
جَنَتْ فقرَ شُرَّابِهـا المسلمين وأغنتْ "بغُمَّى"[6] اليهودَ التِّجارا
عَقرْنا البُـدورَ[7] لهم فى المهو رِ حـتى جلَوها علينا عُقَارا
يطوف بهـا عاطـلُ المِعصَمينِ يُلبِسـهُ الجـامُ منهـا سِوارا

(١) يريد بفتى مائة : الدَّنّ . (٢) فى الأصل " كفّيه " . (٣) المبزل : الحديدة التى يفتح بها الدنّ . (٤) قال القاموس : شِرار ككتّاب واحدته شرارة بكسر الشين وورد بهذا الضبط أيضا فى محيط المحيط وفى أقرب الموارد، وقال المرتضى : الصواب أنه كسحاب وهو ما تطاير من النار .
(٥) خلوقية : نسـبةٌ الى الخَلوق وهو نوعٌ من الطِّيب . (٦) غُمَّى : قرية من نواحى بغداد .
(٧) البدور جمع بدْرة وهى الكيس يسع عشرة آلاف درهم .



شفيقٌ على الحبِّ من غيره — اذا قلت : ما أحسن البدر غارا
ولا ومُقبّـلهِ ما فَـرَقْتُ — أريقتُـه الخمـرُ أم ما أدارا
هنـيئا لِلْهَـوى أنّى خلعـ — ـتُ حلمِى له وتركتُ الوقارا
وصرتُ فتى غَبَقاتِ(١) الملوكِ — عشيًّا ، أخا النشواتِ آبتكارا
ودادى والدهرُ ما دامَ [دام](٢) — وشِـعرِى والنجمُ ما سارَ سارا
وفيحاءَ من دورهم(٣) زرتُهـا — وأخلِق بها جَنّةً أن تُزارا
تَلجلَجَ فى وصـفها المحـدّثون — وحُدِّثَ "رِضوانُ" عنها لحَارا
تعـرَّبَ قاسمُها عادلا — نخطٌّ وتحسـبه العينُ جارا
صُحُـونا طِوالا كما تقتضِى — شجاعتُنا وخصـونا قِصـارا
وشَقَّ لبستانهـا عن ثرًى — اذا طلَع النبتُ فيـه أنارا
وقـد بَثَّ(٤) فى ظلِّ شجـرائهِ — عُيونَ الأذَى رِقْبَةً(٥) وآسـتتارا
تخفّـرَ(٦) منهـا بمسـلوبةٍ — سـوى ورَقٍ أُلحِفَتْـهُ(٧) إزارا
من الهيفِ حين يجورُ النسيمُ — على غصنها لا تُطيق آنتصارا
نحولٌ عَرَضْتُ له بالسِّمانِ — وصُـغرَى تجنَّبتُ منهـا كِبَارا
ومنشورةٍ سـتَرتْ نفسَـها — نخاطت قميصا ولاثت خمـارا
وعزّتْ فصانت سوى ساقها — وما إن أباحتـه إلا آضطرارا
تُشـمِّر عنـه جلابيبَهـا — لعـادته أن يخوضَ الغِمارا
فكادت تُواريه ضنًّا به — ومن حسنها أنّه لا يُوارَى

(١) غبقات جمع غَبقة وهى شُرب العشىّ . (٢) هذه الكلمة غير موجودة فى الأصل و يقتضيها السياق . (٣) فى الأصل : "دونهم" . (٤) فى الأصل "بات" ولا نظنها تؤدى المعنى . (٥) فى الأصـل "فيه" وهو تحريف . (٦) تخفّر : آستجار ، وفى الأصـل "تحوّر" . (٧) فى الأصل "ألحقته" .

تُشكّكُنِى وهى طوع الريا ... ح تَتْبعُها يَمْنَةً أو يَسارا
أتدنو لتُسعفنى بالعِنا ... ق فى مثلها أم تصدُّ آزورارا ؟
وتجلو عليك بنات الفسيل[1] ... اذا كَسبت السَّعَفاتُ الثمارا
غدائرُ غيدٍ يُضفِّرْنَها ... وتأبى عليهن إلا آنتشارا
جلبنا له[2] الماء من شاهقٍ ... جزانا بحسْب الصعود آنحدارا
وما سال حتى أسلنا اللُّجينَ ... ولا عَزَّ حتى أهنَّا النُّضارا
اذا ما تحلّق مستعليا ... تَعلّق بالطبع يبغِى الفِرارا
فثوَّرَ خمسا اذا ما نطقنَ ... بأخبارِه خِلتَ نقعا مُثارا
اذا جادهنّ ثدّى جُدنَهُ ... وإن فرَّ طِرنَ إليه نِفارا
هوِينَ الأمانة حتى آجتهد ... نَ ليقضينَهُ ماءه المستعارا
تَرُوسُ[3] عليهن فى وسْطِهنَّ كُبرَى تعولُ بناتا صِغارا
برزنَ يُخيِّلنَ للناظرين ... صوامعَ من حولها أو مَنارا
اذا سدّدتْ لطعانٍ قَنًا[4] ... حذفْنَ اليها نُصولا طِرارا
حوتهنّ معجزةُ الآيتين ... تجودُ الحيا وتمُدُّ البحارا
فمن بين خَرْكاهَ مضروبةٍ ... على تَلعةٍ حَمَلتها آغترارا
تَولّى مَجاريَها فوقها ... من الماء سمحٌ كريمٌ نجارا
اذا ما أُديرَ لها مرّةً ... لتُعجِبَ جادت فدارتْ مرارا
لها آيةٌ لم تكن قبلَها ... ولكن ظَهَرنا عليها آقتدارا
ترى ظلَّها جامدًا مائعا ... وتحمِلُ ضدّين ماءً ونارا

---

(١) الفسيل جمع فسيلة وهى الصغيرة من النخل ويريد ببنات الفسيل النخل . (٢) الضمير فى " له " عائد الى البستان فى قوله * وشقَّ لبستانها عن ثرًى *
(٣) تَروسُ : تتبختر . (٤) فى الأصل " فى " .

ومثلِ العروسِ "عروسٌ"[1] تُديمُ ... يداها على منكبيها النِّثارا
اذا ما جَـلَوها أبتْ حِشـمةً ... بكرسيّها أن تُطيق القَرارا
طلبنا لهـا الكُفـءَ من قومها ... فعزَّ وكان سوى الكُفـء عارا
فعـدنا نزُرُّ[2] عليها السُّجوفَ ... فترضَى بهـا عفـةً وآختفارا[3]
وكالظبيِ يُظلَم باسم الجمـال ... فيطغَى إباءً ويُغضِى آغتفارا
ويُزبِـدُ فـــوه لُغـاما[4] اذا ... تفرّق عن شَفَتيْه آستطارا
يسـير رويًّا[5] اذا ما آغتـدت ... كبودُ المطايا عِطاشا حِرارا
ولولا الذى فَعلَ "الطِّنْبَلنْبُ" ... لقـد أنجدَ المدحُ فيـه وغارا
ولـكنّه خافـرٌ للــذما ... مِ جاورتُهُ فأساءَ الجـــوارا
بغـانى فـلم أنجُ مع نَهْضتى ... ورحبِ خِطَائِى[6] منــهُ فِرارا
رمانى فأصمَى بسهمٍ له ... يدور مع المتَّـــق كيفَ دارا
اذا هـــو فوّقـــهُ للثيا ... بِ ألقَى جروحا تُضِلُّ السِّبارا
فأردَى ردائى وجاءت اليـ ... ـك دُرّاعتى[7] تبتـغى منكَ ثارا
قتيلى لديكَ فـــلا تذهبنَّ ... عليـــكَ دماءُ ثيابى جُبـارا[8]
وبيتٍ اذا الدهرُ ضامَ الشتاءَ ... تعـوَّذَ منـــه به فاستجارا
صحبتُ[9] الحريفَ به فى المصيف ... وذكّرنى الليـــلُ فيه النَّهـارا

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ويقتضيها السياق لقوله فى النثر الذى تقدّم وصفا لما قيلت بسببه هذه القصيدة: "ومنهن صورة تسمّى العروس". (٢) فى الأصل "نزيها". (٣) فى الأصل "وآحتقارا". (٤) اللغام: زبد أفواه الإبل. (٥) فى الأصل "عويا". (٦) الخطاء جمع خطوة، وقد ورد فى الأصل هكذا "ورحت خطاى". (٧) الدُّرّاعة: جُبّة من صوف.
(٨) هذا البيت ورد فى الأصل هكذا

فلى مدىك فلا تذهبن ❊ عليـــك وما ساى حبارا

(٩) فى الأصل "صبحتُ".

وأهـــدَى الهواءَ له ناشـــرٌ جناحينْ لو حمّــلاه لطارا

تنصّتَ للـــريح مستفهما بأذنين لا يحملان السّرارا

اذا عَـــبَرتْ مطلقاتُ الريا ح يسلُكنَه ظِلْنَ فيه أسارى

فتلفِظُ منها السُّمومُ[(١)] الشّـــرارَ ويُلقِى الينا النسيمُ الجِبـارا[(٢)]

غرائبُ روّضتَ يا ٱبن الكرام برأيك منها الشّموسَ النَّوارا[(٣)]

وباهلتَ بالأرض فيهـا السما ءَ فٱعترفت خجلا وٱنحصـارا

وقبّحتَ فى جنب تحسـينها[(٤)] بأعين أربابهنّ الديارا

فلو "صاحبُ السّدّ"[(٥)] لاحتـاله تبيّن فيما بنـاه العَـــوارا

وقيستْ " لكسرَى " بإيوانه قلاهُ ولم يُعطَ عنهـا ٱصطبارا

أرتـــك بدائعهـا همّـــةٌ تُهينُ عليـك العظـيمَ ٱحتقارا

وفضـــلُ يحلّيك[(٦)] يومَ الرِّها نِ مَنْ لا يُبـدُّ[(٧)] ومَنْ لا يُجارَى

فأقسِمُ بالله لو أنصـــفو ك قِسْما وردّوا الىّ الخِيـارا

لمـا كنتُ أرضَى لك الخافقيْـ ـن مُلكا ولا جَنّةَ ٱلخلد دارا

✥

وأنفذ اليه أبو القاسم سعدُ بن الكافى الأوحد هديّةً مقترنةً بهديّةٍ من أبيه، وكتابا يعتذرُ فيه من التقصير عمّا فى نفسه من قضاء حقّه، فكتب اليه

بُلِّغَتْ صبرا فقـالت : ما الخبرْ قلتُ : قلبٌ سِيمَ ذلًّا فنفـــرْ

لا تعـــودى فى هَوًى ظالمـــةٌ ربّمـا عاذ بحِـــلِم فانتصرْ

---

(١) السُّموم جمع سَمّ وهو الثقب . (٢) الجبار : الأثر . (٣) الشموس النوار : الممتنعة النافرة . (٤) فى الأصل "تحصيلها" ولو راعينا التحريف لعلها تكون تحصينها . (٥) فى الأصل "اليد" . (٦) فى الأصل هكذا " وفضل يحلك " . (٧) فى الأصل "يند" .

نظرةٌ أعرضتُ عنها أعقبتْ ... غضبا آذنَ للقلب النظرْ

أرهفتْ سيفين في أجفانها ... كلَّ مَنْ غَرَّا يبتْ على غَرَرْ[1]

أقسمتْ مَن جَرَحاه لا براء[2] ... يا طبيبي متْ ودائي في الحَوَرْ

أرسلتْ ليلةَ صدّتْ طيفَها ... ناظرا أين رقادي من سَهَرْ

قال : حيّاني ، فقالت : نائما ... طرفُه؟ قال : نعم ، قالت : غَدَرْ

يا هَوَى حسناءَ! ما شئتَ لها ... من فؤادي ، غيرَ ذلٍّ وخَوَرْ

رُبَّ يومٍ باهلتْني بالصِّبا ... وصَغارٌ عندها حظُّ الكِبَرْ

وتنكّبتُ[3] مُدِلًّا وَفْرةً[4] ... نَشَرَ العنبرَ عنها مَنْ ضَفَرْ

فرأت شَيْبا فقالت : غُيِّرتْ ... قلتُ : ما كلُّ شبابٍ في الشَّعَرْ

غُيِّرت بيضاءَ في سودائها ... قلتُ : مهلا ! آيةُ الليلِ القمرْ

ما لغزلانٍ تصافيني الهوى ... ما استطاعتْ وأُجازيها[5] الكَدَرْ

أنِستْ إذ يئستْ من قَنَصي ... فاستوى ما قرَّ منها ونفَرْ

وهل "الزَّوراء" إلا وطنٌ ... يخدعُ الشوقَ وفي أخرى الوطَرْ؟

يا ندامايَ بها النِّسيانُ لي ... ولكم منّي حِفاظي والذِّكَرْ

كلَّ يومٍ أنا أبكي منكمُ ... صاحبا بالأمس بقّاني ومَرْ

إنّ في "الرَّيِّ" و"سعدٍ" عِوضًا ... كلّما قايستُ طابَ وكَثُرْ

سوف أنجو راكبا إحسانَهُ ... كلُّ مركوبٍ سوى ذاك خَطَرْ

ساريا أجنُبُ كُبْرَى هِممي ... أطلبُ المرعَى لها حيثُ المطَرْ

خاب من رام المعالي حاضرا ... والأماني في كَفالاتِ السَّفَرْ

---

(١) هكذا بالأصل ، وعلى هذه الصورة يكون قد دخل على هذا الشطر "الكفُّ" وهو واقعٌ في كلمة "عَلَى" والكفُّ حذفُ السابع الساكن وهو عيبٌ . (٢) يريد لا برأ . (٣) تنكّبتُ : ألقيتُ على مَنكِبي وهو مجتمعَ رأس الكتف والعضد . (٤) الوفرة : الشعر المجتمع على الرأس .

(٥) في الأصل "وإجارتها" .

ما الغِـنَى والمجـدُ إن زرتَ فتًى ذا تنـاهٍ وهــو ناءٍ لم يُزَرْ؟
لا تباعِــدْهُ الليـالى إنّه أملٌ بين "جُمادَى" و"صفرْ"
بأبى السـاقى وبالغيثِ صـدًى والفتَى الحلوَ الجنَى والشُّهدُ مُرّْ
علِّمتْ أعـداؤه أمــوالَه لَمَمًا[1] يمنعها[2] أن تَسـتقِرّْ
يافعٌ مكتهلٌ من حلمــه للصِّـبا السنُّ وللرأىِ[3] الكِبَرْ
يا أبا "القاسمِ"[4] صـابتْ[5] نِعمةٌ لك لم يعـدُ بهـا الغيثُ الزَّهَرْ
لم أزلْ أصــبرُ علمـا أنه أبدا يُعقِبُ خيرا من صَـبَرْ
ناظِــرا عادَكُمُ[6] فى مثلهـا جنَّــةً لى من عذابٍ منتظَرْ
كان جُرحا جائفا[7] فاندملتْ قرحــةٌ منــه وكَسرٌ جُبِــرْ
يا ملوكَ "الرَّىِّ" هــل داركم الـ أرضُ طُرًّا أم تعولون البَشَرْ؟
وَسِعَ النـاسَ جميعا جــودُكم فاستوى من غابَ عنكم وحَضَرْ
واصلَتْ شاعرَهم نُعمَى لكم لم تدعْ مفحَمَهم حتّى شَــعَرْ
حلِّ[8] يا "سعدَ العلا" بهماءَها[9] مِن قَبولٍ بحُجولٍ وغُرَرْ
واجلُ لى أخرَى على الكافى متى آحْـ تشمتْ منــه حيـاءٌ وخَفَرْ
عرفَتْ مَنَّـكَ فيا قبلَهـا فأتتْ واثقــةً تقفــو الأثَرْ
حاجــةٌ تمّتْ ووافَى حظُّها حين نبّهتُ لهـا منك "عُمَرْ"[10]

(١) اللم: الجنون. (٢) فى الأصل "تمنعها". (٣) فى الأصل "والرأى".
(٤) فى الأصل هكذا "ياباقسم". (٥) صابت: مطرت. (٦) عاد جمع عادة.
(٧) جائفا: بالغا الجوف. (٨) فى الأصل "خلَّ". (٩) البهماء: السوداء.
(١٠) لعلّه يشير بذلك الى قول بشار بن برد مادحا عُمَر بن العلاء:

اذا دهمتك عظامُ الأمور * فنبِّهْ لهـا عُمَــرا ثمّ نَمْ

وفى رواية: اذا أيقظتك حروبُ العدا * فنبِّـهْ لهـا عُمَــرا ثمّ نَمْ

***

وكان فخرُ الملك ليلةَ أنشدَه القصيدةَ اللاميّة التى أولُها

* أروم الوفاءَ الصعبَ بالطلبِ السهلِ *

خلع عليه خلعةً نفيسةً، وأتحفه ببعضِ ما فى مجلسه من التحايا والألطاف، ثم وصل فخرُ الملك الى حضرة أمير المؤمنين القادر بالله رِضوانُ الله عليه مستخرِجا خلعةً ولواءً للملك سلطان الدولة، فقُـدِّم وأُكرِمَ وبلغَ من التمييز الى غايةٍ لم يُدركها أحدٌ من نظرائه، ونُوِّه باسمه فى الخطاب والتلقيب، وقُلِّد سيفا مُحلًّى بذهبٍ تشريفا له، فقال يَذكُرُ ذلك، ويهنّئه بمكان المِنحة، ويَذكُر ما أتاه اليه، ويشكره عليه، ويسأل مُعاوَدة الرسم فيه، وأنشدها فى يوم المهرجان

فَكاكُك أيّها القلبُ الأسيرُ ... غدًا، لوقال حادى الركبِ: سِيرُوا
عسى الأظعانُ تُطلِعُ إن أثاروا ... هلالًا كان تكفُره الخدورُ
وإن أخـذوك أنتَ وخلَّفونى ... فسِرْ معَهم فذاك لهم يَسيرُ
تَعلّقهم عساهم أن يُذِمُّوا[1] ... عليك من الصبابة أو يُجيروا
لِمَن شَدَنيّةٌ[2] سبقتْ عِجالًا ... فما تدرى أتقصِدُ أم[3] تجورُ؟
يخوض الليلَ سائقُها أنيسا ... بآيةِ: لاحَ بين يديه نورُ
وكيف يَخاف تيهَ الليلِ رَكبٌ ... تَطلّعُ من هوادجه البدورُ
يناجزُ فى الوَداع معاتباتٍ ... لهنّ كَبودُنا وانا الزفيرُ
أكنتَ معى بعينٍ أم بقلبٍ ... "برامةَ" والعيونُ إلىَّ صُورُ[4]؟

(١) أن يذموا عليك: أن يأخذوا عليك الذمة. (٢) الشدنيّة: الناقة المنسوبة الى موضع باليمن أو الى فحل من كرام الإبل. (٣) فى الأصل "أو". (٤) صور: مائلة.

غداةَ أقولُ — وآبتهجتْ جِبـاهٌ[1] عطفنَ علىّ وآبتسمت ثغورُ — :

أمَا منْ قُبلةٍ فى الله؟ قالوا : متى حَلَّتْ لشاربها الخمـورُ؟

وقارَكَ وآلتفتْ تَرَهُنَّ بِيضًا ، كَبِرتَ ! فقلتُ : مِسكينُ الكبيرُ

ألَا يا صاحبىَّ تمليَّانى ، أطاعَ إِبائىَ[2] وآعتدلَ النُّفـورُ

أرى كبدى وقد بَردتْ قليلا ، أمات الهمُّ أم عاش السرورُ؟

أم الأيامُ خافتنى لأنّى ” بفخر الملك “ منها أستجيرُ؟

ذرانى ، عاد إمـلاحى ٠ ـيرًا ويُفعِمُ بعد ما نضبَ[3] الغـديرُ

طغَى أملى وطال قصيرُ باعى ويَنْمى الشىءُ أوّلُه حقيـرُ

ولا تتعجّبا من خِصب رَبْعى فرَبعى بعضُ ما جاد الوزيرُ

ولكن بإيعاهُ[4] عن لسانى فإنّى حين أعجِـزُ أستشيرُ

(١٤٦)

ظهـورُك آيةٌ لله صحّتْ بها الأديانُ وآشتفت الصدورُ

وزالت شُبهةُ المرتابِ[5] فى أن تُكشِّفَ عن ضمائرها القبـورُ

رآك وميّتُ الآمال حىٌّ بجودك والنـدَى الأعمى بصيرُ

فآمنَ ” بالمسيح “ وآيتيه وأنْ نشأتْ من الطِّين الطُّيـورُ

وأيقنَ أن ”موسى“ شقَّ بحرا بأن شُقّت بكفّيك البحـورُ[6]

ولمّا أن أتيتَ على فتـورٍ وبابُ ضـلالة الأمم الفتـورُ[7] ،

وأبصرَ قبلك الماضين مرُّوا ولمّا تنتظِمْ بهم الأمـورُ ،

---

(١) فى الأصـل ” حياة “ . (٢) يريد إبائى . (٣) فى الأصـل ” نضت “ .

(٤) فى الأصل ”بانعاه“ . (٥) فى الأصل ” المرتات “ . (٦) يشير بذلك الى قوله تعالى (وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْئَةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَى بِإِذْنِي) . (٧) يشير بذلك الى قوله تعالى (فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ ٱضْرِبْ بِعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ) .

صبا "لمحمّدٍ" وأطاع فيـــه … وقال : الرُّسْلُ خيرهم الأخـــيرُ
أقول بمعجـــزاتك لا غُلُوّا … وكاتمُ نعمــةِ المعطِى كَفورُ
إذا الأسمـاء أُلزمتِ المعـانى … فأنت الحقُّ والوزراءُ زورُ
رأينـاهم وكلُّهُــمُ شُكُولٌ … مُصلِّيهم[1] لسابقهـــم نظـــيرُ
بِكَ آنتصر الملوكُ [وأنتَ][2] فيا … دَعوْك لنصـــره نِعمَ النصـــيرُ
فأنت الليـــلةُ القَـمراءُ بانت … على الأَخَواتِ واليـــومُ المطيرُ
حميتَ كبيرَهـــم إذ حُمَّ وقتٌ … تحوطُ به وقـد كَبِرَ الكبيرُ[3]
وماتت دولةٌ فأقمتَ أخـــرَى … فلا موتٌ عصاك ولا نشـــورُ
وباشرتَ الخلافـةَ فاطمأنَّتْ … عـلى أمرٍ ومطلبُـــه عســـيرُ
ويومَ[4] العـهدِ والوافى قليـــلٌ … أطاعـك منـبراها والســـريرُ
ألِينَ عليـك مُعجَمُها المُعـاصِى … وخَفَّ اليـــك مجلسُها الوقورُ
درَى "الفِهرىُّ" حين أسفَّ قومٌ … وطِـــرتَ بأىّ قادمــــةٍ تطيرُ
رآك بهـذْيِهِ لجـــزاك خـــيرا … وقــد يتفرَّس الرجلُ البصـــيرُ
وأعطاك التى نشرتْ[5] قـــديمـا … وإنْ هى أُغليتْ فيها المهورُ
وأفرشـــك الكرامةَ لم يدُسْها … جبانٌ[6] فى الملوك ولا جسورُ
مقالا فى آصـطفائك وآعتقادا … يُحيـــلُ على اللسان به الضميرُ
وقـلّد سـيفَه بيـــدَيْه سـيفا … طويـلُ نجادِه عنـــه قصـــيرُ
حساما كان "للمنصور" حِصنا … ولم يك للمدينـــة بعـــدُ سورُ

(١) المُصَلِّى : الجواد يأتى فى الحلبة ثانيا . (٢) هذه الكلمة غير موجودة بالأصل فرجّحناها ليستقيم بها المعنى والوزن . (٣) كبر : أسنّ وهرم وقد ورد هذا البيت فى الأصل هكذا

حميت كبيرهم أو حمّ وقتٌ … تحـــوط أو كبر الكبيرُ

(٤) هذه الكلمة فى الأصل "يو" . (٥) فى الأصل "نشرت" . (٦) فى الأصل "جنان".

وصـاحَبَ بعـده الخلفاءُ تِرْبا رفيقا حين يجلِسُ أو يثورُ
تـذِلُّ له المنـابرُ يرتقيهـا وتألفُـه المناكبُ والجورُ
وما كفؤٌ له لولاك كفؤا ولكنّ الذُّكورَ لهـا الذُّكورُ
أميرُ المؤمنـينَ يقول : خـذْهُ فإنّـك فى تقـلُّده الأمـيرُ
ولو عَقلتْ "عُقَيْلٌ" شاورتنى فكنتُ برأيِ ناصحِها أشيرُ
فورِثَ مكانَ لم تجِـدى ثباتا ، ويقتُـلُ ذِكرَهُ البطلُ الفَرورُ
إذنْ فتزحزحى عن دارِ مُلْكٍ لغـيرِك ضَرعُهـا ولكِ الدُّرورُ
أغرَّكِ "بالجزيرةِ" ما أغرنا ! نظارِ[1] فقـربَ ما ٱرتجع المغـيرُ
فـلا تتـوهَّمى بالشـرِّ لينـا فقـد يتألَّقُ النَّصـلُ الطـريرُ
تخطَّتْها ـ وإن وسِعتْكَ ـ مَرعًى فكم دارٍ تُبـيرُ[2] كما تُمـيرُ[3]
ويَقطَعُ عُضوَه المرءُ ٱضـطرارا وإن أَلِفَتْ مَنابتَهـا الشُّـعورُ
سمعتَ بشائرَ الظفَـرِ ٱستمِعْ لى أُعِـدْ خبرًا وأنت به خبـيرُ
أنا المولى صنعتَ اليـه نُعمَى أخى فيهـا حسـودٌ أو غيورُ
جذبتَ من القُنوعِ بهـا ذراعى فطارت دون أخمَصِيَ النسـورُ
نفائسُ لم ينلْهنَّ ٱقـتراحُ الـ مُنَى فيما تُسَـدِّى أو تُنـيرُ[4]
بَرَدْتَ عـلى الزمان بهـا فؤادى وكان عليـه مِرجلُه يفورُ
وها هى نالت الأيّامُ منهـا بجِـدَّدْ ، أَخلَقَ الظِّلَّ الدُّثورُ
يزورُ المهرجانُ برسم قـومٍ ولى رسمٌ يشـوق ولا يزورُ
وقوم يكرمون على الأَسامِى فتُرْخَى الحُجْبُ عنهـم والسـتورُ

(١) نظارِ كقطامِ بمعنى ٱنتظرى . (٢) تُبـير : تُهلك . (٣) تُمـير : تُطعم .
(٤) تُنير : تُلحم .

(١٤٧)

يقول الشعرُ إن حضَروا وغبنا ـ فدى الغُيَّاب[١] ما قال الحُضورُ
يكرِّرُ غابرٌ[٢] ما قال ماضٍ وقِدْمًا أخلقَ المعنَى الكُرورُ
وأحلَى القوسِ أسلمُه منالا فما هذى الشقاشِقُ والهديرُ
تطبَّعتِ القرائحُ واطمأنَّتْ فلِمْ يتكفئونك يا صبورُ
بهذا الحكمُ حين تحالباها[٣] نقائضَ[٤] حاز زُبدتَها "جريرُ"

* * *

واتصلتْ من مجد المعالى مؤيِّد الملك رحمه الله مقاماتٌ فى وصفه، وأفعالٌ جميلةٌ فى الثناء عليه، ومعاضدةٌ على بعض الناس ممن اعتمد أذيَّتَه، وعنايةٌ حاضرةٌ وغائبةٌ بشئونه يُؤثَر بعضُها من مثله ويكبَر، وما زال مؤثِرا على قديم الوقت لأن يخصَّه بشىء من شعرٍ، موافقا لما يبعثه على ذلك، فقال يشكره ويهنّئه بعيد الفطر، ويُعرِّض بذكر الرجُل الذى آذاه، وأعانه عليه

ينام على الغدر من لا يَغارُ ولا يُظلَمَ الحرُّ فيه انتصارُ
علَىَّ لعيِنى اختيارُ الحبيبِ وإن خاننى فإلىَّ الخِيارُ
ملكتُ فؤادى على "بابلٍ" وعقَّ أخاه الفؤادُ المُعارُ
وفيمن سمحتُ به للحُمو ل أبيضُ ليلٍ سُراه نهارُ
اذا شكرتْ حُقْبُهُ[٥] خصرَه تظلَّمَ من معصَميْه السِّوارُ

(١) فى الأصل "قدا". (٢) الغابر: الحاضر والماضى وهو من الأضداد والمراد به هنا الحاضر. (٣) يريد: بهذا كان الحكم. ويريد بالتثنية فى "تحالباها" جريرا والفرزدق وكلاهما من كبار الشعراء فى دولة بنى أمية وكانا يتهاجيان وقد وُضع فى أهاجيهما كتابٌ اسمه "نقائض جرير والفرزدق".
(٤) النقائض جمع نقيضة وهى أن يقول شاعر شعرا فينقض عليه شاعر آخر حتى يجىء بغير ما قال، فيقال هذه القصيدة نقيضة تلك التى قالها فلان ومنه "كتاب نقائض جرير والفرزدق" المارّ ذكره وفى الأصل "نقائص". (٥) الحقب جمع حقاب وهو شىء تشدّه المرأة على وسطها وتعلّق به الحلى.

وبدرٌ وما عُـــدَّ من شهره ... ســوى هجره والتجنّى سِــرارُ
تطلّــعَ يُتبِعــنى مقلتيـــ ... ـه مختمرا من حُلاه الخِمارُ
وكنتُ الحليمَ وفى مثلهـا ... تخِفُّ الحلومُ ويهفـو الوقارُ
أُحبُّ الجفـاءَ عــلى عــزّةٍ ... ولا أحمل الوصلَ والوصــلُ عارُ
قَضيتَ وتهوَى، ويرضَى الفتى ... بطيف يزور وربع يُــزارُ
وهبّتْ تــلوم عــلى عفّــتى ... وتحـــذر او قد كفاها الحِذارُ
تقول : القناعـــةُ موتُ الفـتى ... اذا أُلِفتْ والحيـاةُ اليسـارُ
وما الناسُ — لو أنصفتنى الحسا ... بَ —والأرضُ إلا صديقٌ ودارُ
وما آرتبتُ حـتى رأيتُ اليمِيـ ... ـنَ تُعقَد فى الحقّ عنهـا اليسـارُ
وتَطامعُ بالشـعر لى فى الغنى، ... متى نَصــح الطمعَ المستشـارُ؟
ولم تدرِ أنّ المسـاعى الطوا ... لَ آفتُهن الحظوظُ القِصـارُ
وما علمُ طبِّـــك من علّتى ... وصـــبرىَ والكرمُ الإصطبارُ
اذا لم يَبِنَّ[1] أَسًى أو أُسًى[2] ... فكيف يَبِنْ غـنًى وآفتقارُ
خَــبَرتُ رجالا فمـا سرّنى ... عــلى الودّ ما كشفَ الإختبارُ[3]
ولمّـا غلِقتُ برهن الوفاء ... لهم تركونى "بنجد" وغاروا
فلا يُبعِـــد اللهُ من ظلمهـم ... أخلّاءَ حَصُّــوا جَناحى وطاروا
وجرّبتُ حظّى بمـدح الملوك ... مِرارا وكلّ جناهـا مُرارُ[4]
وكم من مُقامٍ توقّــرتُ فيـ ... ـه طاروا له فرحا وآســتطاروا

(١) يبِنّ : يبِنْ، من قولهم : بيّن الصبح لذى عينين بمعنى بان . (٢) الأَسى بالفتح : الحزن، والأُسى بالضم جمع أُسوة وهو ما يتعزّى به الحزينُ . (٣) فى الأصل "الأختيار" . (٤) المرار : شجر مرٌّ اذا أكله الإبل قلّصت شفاهُها .

وخفَّتْ مسامعُ هنَّ الجبالُ … وجفَّتْ أنامِلُ هنَّ البحارُ
وأُخرَى ولم يأتنى نفعُها … ويا ليت لم يأتِ منها ضِرارُ
اذا ما دعوتُ "زعيمَ الكفا … ة" أدركنى الماءُ والحطبُ نارُ
وقام لها ناهضَ المنكِبيْن … يُقلَّصُ عن قدميْه الإزارُ
اذا خاض نَقْعَىْ حِمًى أو حِجًا … تفرَّج عن حاجبيْه الغبارُ
كريمٌ تبرَّعَ بالنصر لى … وبالخيلِ من دون نصرى آنتشارُ
أبَى أنْ أضامَ وردَّ الفِرارَ(1) … علىّ وأقصى سلاحى الفِرارُ
بلا قَدَمٍ نتقاضاه لى … فتُرعَى له ذمّةٌ أو ذِمارُ
بلى! فى التجانس حقٌّ جناه … علىّ، وجارُك بالجنس جارُ
عجبتُ لباغىٍّ أن أسترقَّ … "وكسرَى" أبِى ولسانى "نِزارُ"
أرادَ لنقصٍ به بذلّهُ … وربحِىَ فى بيع عِرضى خَسارُ
أمانٍ(2) أصابت له فى سِواى … وخابت مِعى والأمانى قِمارُ
دمُ الفضلِ ثارَ بهِ أن يُطَلّ … فتًى لا ينام وللمجدِ ثارُ
قؤولٌ اذا الألسنُ المطلَقا … تُ قيّدَها حَصَرٌ وآنكسارُ
يرَى فَوْرَهُ واصفا غَوْرَهُ … وهل يصِفُ النارَ إلا الشَّرارُ
كفى الدولتين عناءُ "الحسين" … "مَن يُستشارُ ومَن يُستجارُ
وقُلّبتا وإليه مصيـ … ـرُ أمرِيهما وعليه المَدارُ
وقِمتَ ودون المَقام الحميـ … ـدِ مزالقُ يصعُبُ فيها القَرارُ
وقبلكَ قد جرَّبوا واجتنَوا … وبعدَك وانتصحوا وآستشاروا
وحلّوا بسيماك مَن جرَّدو … ه لو قُطِعتْ بالحُلِىِّ الشِّفارُ

(1) فى الأصل "القزار". (2) فى الأصل "آ.ا إن".

فـــذاك مُدِلٌّ عـــلى عجـــزه	يُـــؤمَّرُ وهـــو عِيالٌ يُمارُ
طريرُ العيانِ صدىً اللسانِ	خُطًا لفظـهِ خطأٌ أو عِثارُ
اذا نشر الكِبرُ أعطافَـــه	طوت بشره الغَـــرَمات(١) الصِّغارُ
لثـــوب الرياســـةِ ضيقٌ عليـ	ـه معْ وُسْـعِ أثـوابه وآنشِمارُ
غريبٌ اذا أنت فيهـا آنتسبـ	ـتَ أدلَى به نسبٌ مســتعارُ
جزتك عن المُلك يومَ الجـزاء	وعن فخـره يومَ يُجزَى الفخارُ،
غوادٍ من الحمـدِ والإعترافِ	غوارفُ من كلِّ عذبٍ غِزارُ
تجـــودك(٢) نَعماءَ تزكـو النفـو	سُ(٣) فيهـا وتَغْـــنَى عليهـا الديارُ
وعـــنّى ســـوائرُ إما تحـــطُّ	الرّ واةُ وقاطنـــةٌ حيث ســاروا
عـذَارَى يُحـلِّى لهنَّ الجمـالُ	ويُخلعُ فى حبِّهنَّ العـــذارُ
يُخَيِّـلُ ما نشرَتْ من علاك	عيابا(٤) مـــتى نشرتْهـا التِّجارُ
اذا حَـــبَّرتْ أمهاتُ القـــريـ	ـض أخبـارَها وبنـــوه الكِبارُ،
تمنَّـــوا بجهـدهـــمُ عفـــوَها	على ما سَبَوا غيرَهـــم أو أغاروا
يُقـــرُّ لمجـــدك إكثارُهـا	بمـا(٥) سـلَفتْ أنّه الإقتصـارُ
فإن شفَع العبـــدُ فى مذنبٍ	نجت وجروحُ الأمانى جُبارُ(٦)
وإن بلَغ الشكرُ حـقَّ آمرئٍ	ففا يتُهـا معَـــك الإنتصـارُ

---

(١) الغرمات جمع غرمة وهى المرة من الغُرْم . (٢) فى الأصل "يجودك" . (٣) فى الأصل "النوس" . (٤) عياب جمع عيبة وهى ما توضع فيها الثياب . (٥) فى الأصل "ما" .

(٦) جبار : هدر وفى الأصـــل "حبار" وهو تحريف .

وبلغه عن أبى منصور بن ما سرجيس عتابٌ جميلٌ، وذكرٌ طيّبٌ، وتشوّقٌ شديدٌ، وتشوّفٌ الى الوقوف على شىء من شعره، فراسله يسأل ذلك دفعاتٍ، ويخطبُ ودّه، ويرغبُ اليه فى غشيانِه، فأحبّ أن يكونَ أولُ ما يفسح به المودّةَ أمرا يخصّه، فكتب اليه هذه القصيدةَ، وأنفذها يوم فِصح النصارَى بعد الخجل وتكرّر الرغبة

شواردُ حظٍّ لا يَقِرُّ نَفُورُها ... ورِبقةُ همٍّ لا يُفكُّ أسيرُها

وصحبةُ أيّام تُعَدُّ حظوظُها ... قِصارا اذا عُدَّتْ طِوالا شهورُها

ونزعٌ بأطماعٍ ضِعافٍ تمدُّها ... أمانىُّ لم يَقبَلْ يمينا مُعيرُها

أمرُّ على عَميائها أستدلُّها ... وآوِى الى بَلهائها أستشيرُها

بوارقُ ما للعين إلا وميضُها ... ولا للثرى العطشانِ إلا غُرورُها

تعجّبُ من صبرى وعندى خَلوبُها ... ومُصعِقُها وعند غيرى مَطيرُها

أجِدَّك لم يأنس فمى بثديّها ... فأسئلُ عن أخلافها ما دُرورُها

وجاذبتها ثم آستمرّ ضرورةً ... مَريرِى على ما ساءنى ومَريرُها (١)

كأنّى اذا لم أقضِ منها لُبانةً ... وقد نضَبتْ أوطارُها ونُذورُها،

وأنّى ترانى أغسلُ الدمَ موجَعا ... أو العارَ فآعلم ثَمّ أنى عقيرُها

عطاءٌ على التقتير إلا غديرةٌ ... تزاحَمَ حول الأرِ بعين قتيرُها (٢)

غرابيبُ (٣) من لون الشبيبة وُقَّعٌ ... أسَفَّ (٤) من الأيّام بازٍ يُطيرُها

(١) المرير: الحبل اذا أحكم فتله وآشتد ويقال: استمرّ مريره أى آستحكم عزمه . (٢) القتير: الشيب أو أوّل ما يظهر منه . (٣) غرابيب: سود، وهو وصف لموصوف محذوف يراد به الغربان على جرى عادة العرب فى تشبيه الشيب . (٤) أسفّ: دنا فى طيرانه من الارض حتى كادت رجلاه تصيبانها .

(١٤٩)

تُقَسِّى القلوبَ بعدها وحشةٌ لهــا ... كأنَّ قلوبَ الغانيات وُكــورُها

تُرِى بوجوهٍ أنهــا بجمالهــا ... تصيدُ وما الأشراكُ إلا شــعورُها

أجاور فى شــيبى عيونا قـــويَّةً ... على جَزَلِ الشَّيبِ المغالطِ حُورُها

وكلّ بياضٍ فضــلةٌ لا يليقُهــا ... اذا لم يكن إلا السواد يَضــيرُها

سلا جمراتِ البين بى : كيف دُستُها ... يوقَّــدُ بالأنفاس تحتى ســـعيرُها

حملتُ بقلبى منهــمُ وهو حبَّـــةٌ ... ومن عِيسهم ما لا تَقِــلُّ ظهورُها

تلفتُّ بالأظعانِ رَفعا ومَهبِطا ... تعوَّجُ لى أو تســتقيمُ ســطورُها

بعشواءَ من فـرطِ البكاء كأنمــا ... تواعـــدَ نارُ الحىِّ بَيْنًا ونورُها (١)

وفيمن نكِرتُ الحلمَ من جزَعٍ له ... صبورٌ مقاماتِ الوداع شكورُها

اذا أفحمتنى قـولةٌ فصُــحتُ له (٢) ... وأقتـــلُ ألفاظِ الإناثِ ذُكورُها

يدير كئوسا مُرّةً مــن لحاظه ... وفى فيــه أُخرَى حُلوةٌ لا يُديرُها

مــن العـــربيَّاتِ الكرائم درّةٌ ... تُخاض اليها من "تميم" بحورُها

تلوم آمشاعى فى القناعة جالســا ... فهــل ثورةٌ تُرضِى المَعالى أثورُها ؟

وأوحدنى كما ترينَ وعفَّ بى ... فســادُ مودّاتٍ أرَى وبجُورُها

وأبنــاءُ عَلّاتٍ (٣) أخوها غنيُّهـا الـ ... ـمريحُ ومولاها الهجينُ فقــيرُها

ووجوهٌ يصــفِّيها النفاقُ وتحتَهـا ... بطائنُ من غِشٍّ يشِــفُّ (٤) كُدورُها

أضمُّ القــوافى لى تفىءُ عليهــمُ ... وليس وراء الخــدر إلا نُفورُها

وأوحشها ممّن تُقَــلِّدُ أنه ... سواءٌ حصاها عنـده وشذورُها

وأن قياما بالفِناء لذَودِها ... أعزُّ اذا لم يَرعَ خِصبا مسيرُها

---

(١) مرجع الضمير فيه قوله عشواء فى أول البيت . (٢) فى الأصل "فضحت". (٣) أبناء العَلّات هم بنو أمهاتٍ شتّى وأبٍ واحدٍ، الواحد : عَلّة . (٤) فى الأصل "يسف" .

أفى نُصرة الأعرابِ من حسدٍ لها؟ ومنهم بواديها ومنهم حُضورُها !

وفى قومها من "فارسٍ" للسانها عدوٌّ، فسل فى "قيصرٍ" مَن نصيرُها

لغلٍّ غلامًا أدَّبَ الملكُ رأيَهُ تنِطُّ(١) بــه أرحامُها فيُجيرُها

وما ضرَّ فى غير "الكُفاةِ" ارتخاصُها(٢) اذا ما غلَت عند "آبن عيسى" مهورُها

اذا ما دعتْ أفضى اليه آفتراعُها فكان فتاها مَن أبوه وزيرُها

سعى للعالى سعيَها وهو يافعٌ وأكبرُها من ساد وهو صغيرُها

وهِيبَ وما طَرَّتْ خميلةُ وجهه وأولَى النصولِ أن يُهابَ طريرُها

أراك وما أسديتَ بعدُ صنيعةً يقول الرضا عنها ويَشهَدُ زُورُها

تَخالَفُ أقوالٌ عليك آتفاقُها وتكثُرُ أوصافٌ اليك مصيرُها

لقد نخر النادى أبٌ عَدَلَ آبنَهُ اذا خاف نجلاتِ الرجالِ نخورُها

وفى شطَطِ الآمالِ فيك لنفسه وأكثرُ آمالِ النفوس غُرورُها

لمدَّ على العلياء منك فنالها يدًا يذرعُ(٣) الرمحَ الطويلَ قصيرُها

لكُم وفضةُ(٤) الآراءِ تبتدهونها(٥) فتُصمِى(٦) اذا الآراءُ أشوى(٧) فَطيرُها(٨)

وما وهنتْ فيها تُقلِّبُ دولةٌ وأنتم لها إلا وفيكم(٩) جُبورُها(١٠)

لقد علمتْ كيف آطرادُ نظامها ليالىَ إذ تُلقَى اليكم أمورُها

اذا ذُكرتْ أسماؤكم هشَّ تاجُها لأيامه منكم وحنَّ سريرُها

---

(١) تنط : ترقّ وتحنّ . (٢) فى الأصل "تحاصها" . (٣) يذرع : يقيس بالذراع ، وفى الأصل "يدرع" . (٤) الوفضة : المرّة من الوفض وهو العدْو والإسراع . (٥) تبتدهونها : تقولونها على البديهة . (٦) تصمى : تصيب المقتل . (٧) أشوى : أصاب شواه لا مقتله . (٨) الفطير : الرأى الذى يبدو من غير تروٍّ ومنه "إياك والرأىَ الفطير" . (٩) فى الأصل "الا فيكم" . (١٠) الجبور : جبر العظم .

حلفتُ بمـا يحى الحجيج أحلّه ... ويوقدُ مما قـلّدته ضُفورُها[1]

رَعَوها الربيعَ فالربيعَ وعطّنوا[2] ... عليها الى أن ضاق عنهـا سيورُها[3]

تســاقُ الشهورَ والليـالى هــديّةً ... الى ساعة تُوفَى "بجَمْع" أُجورُها

"ببطحاء" لو ما أنبتَ الدمُ روضةً ... لروّض من جارى طُلاها[4] صخورُها

لقد سرّ سمعى ما آستطاع مخبّرى ... بودّك، والأخبارُ تَزْوُرسرورُها

سلاما و وصفا وآشتياقا بغَيبة[5] ... ذكتْ لوعتى منهـا وشبّ زفيرُها

فإنّك للآداب والــودّ خاطبٌ ... بشيرُ العلا فيما خَطبتَ بشيرُها

فقل: كيف تنبو روضةٌ غاضَ برهةً ... جدَا المـاءِ عنها ثم فاضَ غديرُها؟

محاسنُ أيقظتَ العلا فى طلابهـا ... فقــد[6] نام هاديهـا وقام ضريرُها

فليتك — إن كان المبلّغ صادقا — ... أجابك عفــوا سهلُهـا وعسيرُها

فتحتُ لك الأبوابَ عنها وقد أبَى ... زمانا حفيظـاها[7] وحُصّنَ سورُها

لئن كانت "الزّبّاء"[8] عِزًّا ومنعــة ... فأنت لها من غيرِ جَدْعٍ "قصيرُها"

---

(١) ورد هذا البيت فى الأصـل هكذا: والظاهر من السياق أنه يريد أن يُقسِمَ بالبُدْن التى تُهـدَى وقد حاولنا تصحيحه وتصحيفه على وجوه شتى فلم نوفّق الى ما يرضى الذوق الأدبىّ فأثبتناه كما هو حرصا على أمانة النقــل. (٢) عطّنوا: اتخذوا لهـا العطَنَ وهو المناخ. (٣) سيورها: جلودها. (٤) الطُّلَى: الأعناق. (٥) فى الأصل هكذا "بعسه" ومنه بدلا من منها. (٦) فى الأصل "فقل". (٧) حفيظاها: حارساها. (٨) الزباء: ملكة الجزيرة وكان "جذيمة الأبرش" قد وترها بقتل أبيها فغررته وأرته أنها تريد الزواج به فلما قدم عليها قتلته وكان "قصير" من أهل الرأى والحجا عند "جذيمة" ومن ثقاته فذهب الى "عمرو بن عدىّ" وطلب منه أن يثأر لخاله من "الزبّاء" وآحتال على ذلك "قصير" بأن جدع أنفه وخرج كأنه هارب من "عمرو بن عدىّ" حتى قدم عليها، فلما سألته عن سبب جدع أنفــه قال لهـا: زعم "عمرو بن عدىّ" أنى غرّرتُ خالَه وغششتُه ومالأتُكِ على قتله فصدّقته وأكرمته، وما زال بها حتى هيّأ "لعمرو" الفرصة فسار اليها برجاله فلمـا رأته وعلمت أنها لا محالة هالكة مصّت خاتمـا فى يدها به سمٌّ وقالت: بيدى لا بيد عمرو؛ وقصتها طويلة.

ولولا الودادُ ما بَرزنَ سـواهما وقد برَزتْ بالغانيات خدورُها

ولا عاقها فى عَرضِها (١) لمعاشِر معارِفَها عُجْمُ البصائر عُورُها

اذا آتسعتْ أيمانُها لعطيّة وراجعت الأخلاقَ ضاقت صدورُها

ولكنّها نفسٌ يطاعُ صديقُها على حُكمها فيها ويُعصى (٢) أميرُها

تَمَلَّ بها لا طيبَ نشرٍ يفوتها اذا لومستْ ولا جمالَ يبورُها

أزورُ بها دُورَ الملوك طليعةً تـرود لِىَ الأخلاقَ ثم أزورها

وفَسَّحْ لها فى زينة الفِصحِ (٣) موضعا تقـوم به، تُتلَى عليك عُشورُها

ونَـلْ وأبوك العـزَّ ما حنَّ فاقدٌ وقام عـلى السَّبْع الطِّباقِ مديرُها

وأوفَى بها شُعثٌ لكم يُدرسونها "مزاميرَ" يستوفى اللُّحونَ "زَبورُها"

مُكبِّين للأذقانِ يحتضنونها يصانُ عن الصفح العنيف سُفورُها

تفوتكمُ بالسمع، والعينُ ما رأتْ ودلَّ عـلى ما فى القلوب نذيرُها

فأُقسمُ لو قُضَّتْ (٤) ضلوعى بعدها لمـا آلتأمتْ إلا عليكم فُطورُها (٥)

* * *

وكتب اليه مؤيّد السلطان ذو المجد بن زين الكُفاة بن الصاحب الأوحد ذى السياستين أبى محمد بن مُكرم وهو مؤمَّرٌ على عُمانَ وأعمالِ البحر، يذكر أيّامَ مصاحبته إيّاه فى الصِّبا، ويتشوّقُ قربَهُ، ويصفُ آستيحاشَه لمكانه، ويحثُّه على زيارته، ويرغِّبه فى فوائد الإلمام به، ومنافع غشيانِه، فأجابه عن كتابه نثرا بما آشتمَلَ على وصف العذر فى التأخّر والآرتفاع لسلوك البحر، وقَرَنَ الكتابَ بهذه القصيدةِ يمدحه، ويعرِّض بذكر إنسانٍ عتَبَهُ على المودّة، وقصده بالأذيّة من أهله، ويذمُّ اليه بعضَ من ببغداد من مدبِّرى الأمور، ويصف السفينةَ البحريّةَ وأنفذها اليه

(١) فى الأصل "تعرضها". (٢) فى الأصل "وبعض". (٣) فى الأصل هكذا "رتبة الفسح". (٤) فى الأصل "فضت". (٥) فطور جمع فَطْرٍ وهو الشَّقّ.

بين "النّقا" "فثَنيّة الجِزْع" سمـــراءُ تُرقَبُ بالقنـا السُّمرِ
رصفَتْ قلائدَها بما سفكتْ من فيض دمع أودمٍ هَـدْرِ
ماشئت من حَبِّ القلوب أوال ـأجفان فى بيض وفى حُمـــرِ
نزلتْ "منًى" أُولَى ثلاثِ "منًى" فقضت نجيزة ليلة النّفْـــرِ
وجلَتْ لأربع عشرة قمـــرا والشهـرُ ما أوفَى عـلى العَشْرِ
تَرمِى الجِمارَ وبين أضلعنـا غرضٌ لهـا ترميـه بالجمـــرِ
من لى على عَطْـلَى بغـانيـةٍ شبّتْ وشِبْتُ وعمرُها عُمرى
لم تَنــوِ فى قَسَمٍ تَحِلَّتَـــهُ إلا اذا حلفتْ على الهَجـــرِ
قالت وليمت فى ضنا جسدى: طَــرْفى علىَّ إسقامه عُذرى
وٱستُسقِيَتْ لظَماىَ ريقَتَهـا فاستشهدتْ بالآى فى الخمـــرِ
وتقــول للعـــذّالِ مُغضَبةً: شيَّبتُــه من حيثُ لا يدرى
قبّلتُ عصيـاناً عوارضَــه عمدا فأعدى شَعرَهُ ثغـــرى

* * *

وأخٍ مع السرّاء من عُــدَدِى وعلىّ فى الضـــرّاء والشـــرّ
تطوِى حشـاه عـلى تبسّمه أضلاعَ مُشْرَجةٍ(١) على الغِمـــرِ(٢)
مولاى والأحداثُ مغمَـــدةٌ فاذا ٱنتُضِينَ فَرَى كما تَفْـرِى
تَعِبٌ بحفظ هَنـاتِ.مَيسَرَتى حتى يعـــدِّدَهـا على العُسرِ
الدهرُ ألينُ منـــه لى كنفـا لو كان يتركنى مـع الدهرِ
ومغَمِّ المعـروف يخـــدعنى إيمـاضُ واضحتيـــه بالبِشرِ
سكَنَ اليفاعَ(٣) وشبَّ مَوقِـدَه نارا يغُـــرُّبهـا ولا يَقْـــرِى
ذى فطنـةٍ فى الشكر راغبـةٍ وغبـاوةٍ بجوالب الشكـرِ

(١) مشرجة : مضمومة . (٢) الغِمر : الحقد والغلّ . (٣) اليفاع : نقيض الحضيض .

فاذا مدحتُ مدحتُ ماطرةً … واذا عصرتُ عصرتُ من صخرِ

لا طاب نفسًا بالنــوالِ ولا … مَخَضَ المودةَ زُبدةَ الصّــدرِ

وأرادنى من غــير ثروتِهِ … أن أستكين لذلّةِ الفقــرِ

يَجو بِعــرضى أن يضـام له … عَرْضُ الفلاةِ وغضبةُ الحُــرِّ (١)

وتَنجُّـــزُ الأيّام ما وعـــدتْ … فى مثـــله وعواقبُ الصـــبرِ

"ومؤيّد السلطان" عاليــةٌ … يَدُه بتأييـــدى وفى نصرى

لو شئتُ فُتُّ سُرَى النجوم به … وخَفِيتُ (٢) عن ألحاظها الزُّهرِ

ولبلّغتْنِى المجـــدَ سابحـــةٌ … بالظَّهرِ ليست من بنى الظهرِ (٣)

ترتاح للضَّحضاحِ (٤) خائضــةً … [وتكدُّ] (٥) بالمتعـــمِّقِ الغَمــرِ

تجـــرى الرياح على مشيئتها (٦) … فتُخالُ طائرةً بمــا تجـــرى

واذا شراعاها لهـا نُشِــرَا … خفقَتْ بقادِمتَيْن من نَسرِ (٧)

فى جانبٍ لينٌ يُدَفّعُهــا … وخِطـارُها فى جانبٍ وَعْرِ

يحـــدو المطىَّ الزاجرون له … وتسـاقُ بالتهليـــلِ والذِّكْرِ

من لى بقلبٍ فوقها ذَكَـرٍ … مُصْغٍ لعــذلى تابعٍ أمرى

قالوا : الشجاعــةَ ! إنّه غَرَرٌ … متقاربُ الميقاتِ والقـــدْرِ

(١) فى الأصل "الفلاء" . (٢) فى الأصل "حفيت" . (٣) يريد وصف السفينة بأنها تسبح بظهرها وهو جرمُها الذى فى الماء، وأنها ليست من الإبل ذوات الظهر (٤) الضحضاح : الماء القريب القعر . (٥) هذه الكلمة غير موجودة بالأصــل فرجّحناها لاتزان البيت أولا ولإتمام المعنى بها ثانيا . (٦) فى الأصل "مشيتها" . (٧) فى الأصل "نشر" وفيه نظر الى قول مسلم بن الوليد فى وصف السفينة

اذا أقبلت راعت بقُنَّة قَرْهَبٍ * وإن أدبرتْ راقت بقادِمَتَىْ نَسرِ

قوله : بقنــة قرهب أى برأس ثور وحشىّ مسنّ ، ويراد بقوادم النسر المقاذيف .

يومان فى لُجّ فإن فَضُـــلا	بزيادةٍ فبليـــلة العِـــبْرِ (١)
هيهـات منّى ساحلٌ يَبَسٌ	والبحرُ يُفضى بى الى البحــرِ
القصــدُ والمقصودُ من شَبَهٍ	فى الجـود أو حدٌّ من الغَـزْرِ (٢)
ما أَنَّ (٣) إلا أنَّ ذا أجِنٌ	مِلحٌ وذاك زلالةُ القَطْـــرِ
جارَى الملوكَ فبــذَّهم ملك	سبق القـوارحَ فى سِنى مُهـرِ
وأرَى بنى الستين عجــزَهُمُ	فى الرأى وهو ٱبنُ ٱثْنَتَىْ عَشْرِ
لا طارفُ النعماءِ مـــنتزعٌ	فيهـا ولا مستحدثُ الفخـرِ
من وارثى العلياء ما ٱغتصبوا	مجـــدا ولا ملكوه بالقهـــرِ
أرباب بيتِ مكارمٍ عقــدوا	أطنـابَه بأوائـــل الدهرِ
ضربوا على الدُّوَل ٱستهـامُهُمُ (٤)	وتقاسمـــوا بالنَّهْى والأمرِ
فى كلّ أفْقٍ منهُــمُ عَــلَمٌ	مَرعَى العفاةِ وسَــدَّةُ الثَّغْـــرِ
أبناء "مُكْرَمَ" وهى معرفةٌ	نصروا ٱسمهـا بإهانة الوفـــرِ
قَطَنــوا (٥) وسار عطاؤهم شَبَهـا	بالبحـر قامَ ومُلْكُهُ (٦) يســـرى
فى كلّ دارٍ من مواهبهـــم	أثرُ الحيـا فى البـلدة القفـرِ
وملكتَ ياذا المجـد غايتَهم،	ما للبِهـامِ (٧) فضـــيلة الغُـــرِّ
زيَّدتَهـــم شرفا وبعضُهـــمُ	لأبيه مثـلُ الواوِ فى "عمرو"
ســـدُّوا بك الغاراتِ منفردا	فلاَتَ صفَّ الجحفـلِ المَجْرِ (٨)
ودجا ظـــلامُ الرأى بينهُـــمُ	فوضَحتَ فيــه بطلعةِ الفجـرِ

(١) العبر : الساحل والحافة . (٢) الغزر : كثرة الدَّرّ . (٣) ما أنّ : ما هاج وما ثار حتى أشبه صوته الأنين ويريد البحر . (٤) الأستهام : الاقتراع . (٥) فى الأصل " فطنوا " . (٦) يُلْكه مثلثة : ماؤه وفى الأصل "ملكنه" . (٧) البهام : السود . (٨) الجحفل المجر : الجيش الكثير .

وأبوكَ يومَ "البصرةِ" اعترفت | قِمَمُ العـدا لسيوفه النُّكرِ
ألقى عصًا من عزمةٍ بَـتَرَتْ[1] | آياتُها حدَّ الظُّبَا البُـتْرِ[2]
لقفَتْ على "الكَرَجىِّ" ما أفكتْ | كفَّاه من كيدٍ ومن مَكْرِ
فمضى يخـيِّرُ نفسَه خَوَرا | ذلَّين من قتـلٍ ومن أسرِ
يجـدُ الفـرارَ أحبَّ عاجلةً | لو كُفَّ غربُ الموتِ بالفرِّ
ورأت "عُمانُ" وأهلُها بك ما | أغنى الفقيرَ وأمّنَ المـثرى
صارت بجودك وهي موحشةٌ | أُنسَ الوفودِ وقِبـلةَ السَّفْرِ
يفـديك مبتهجٌ بنعمتـه | أسيانُ[3] فى المعروف والـبِرِّ
ألهـاه طيبُ المـالِ يُحـرِزُهُ | عن طِيبِ ما أحرزتَ من ذِكْرِ
يبغى عِثارَك وهو فى تعبٍ | كالليـل طالبُ عثرةِ البدرِ
قد قلتُ لمـا عقَّ : دع مِدَحِى | زينُ "الكفاةِ" أبرُّ بالشِّـعرِ
أُترك مقاماتِ العـلاء له | متأخِّرا فالصـدرُ للصـدرِ
يا نازحا ورجاءُ نعمتـهِ | منّى مكانَ السَّحْرِ[4] والنَّحرِ
هل أنت قاضٍ فِىَّ نذرَك لى؟ | فلقـد قضت فيك المنى نذرى
أيامَ لى وحدى الوفاءُ وكـلّ | النـاس من نَكْثٍ ومن غَدرِ
وأرى نداك اليـومَ فى نفرٍ | لم يُشرَكوا فى ذلك العصرِ
أُردد يدى ملأى وحاش لمن | يعتامُ جـودَك من يدٍ صِفرِ
وآعطف علىَّ كما[5] صددتَ أذُقْ | طعميك من حُلوٍ ومن مُرِّ
وآلبسْ من النعماء سابغـةً | لا تدَّريها[6] أسهمُ الدهـرِ

(١) بترت : قطعت . (٢) البتر جمع أبتر وهو القاطع من السيوف . (٣) الأسيان : الحزين .
(٤) السحر : الرئة . (٥) فى الأصل "بما" . (٦) لا تدريها : لا تجعلها غرضا لها .

تَعمَى النـــوائبُ عن تأمُّلهـا	وتُطيلُ فيهـا نَومـــةَ السُّكرِ
مهما تَعُـــدْ[1] خَلَقًا بِجِدَّتهـا	تـــزداد بالتقليبِ والنشـــرِ
وآسمــعْ أَزُرْكَ بكلِّ مالئةٍ	عينَ الضجيعِ خريدةٍ بِكْرِ
نَسْجُ القريحـــةِ ثوبُ زينتها	وحُلِيُّهـا من صـــنعة الفكرِ
من سحر "بابلَ" نفثُ[2] عُقدَتِها	سارٍ و"بابلُ" منبِتُ السِّحرِ
وكانمـا سـاقَ التِّجارُ بهـا	لك من "صُحَارَ"[3] لطيمةَ العطرِ
تُمسى لهـا الآذانُ آذنـــةً	ولو آنهنّ حُجِـــبنَ بالوَقْـــرِ[4]
حتى أراك وأخمصاك معـا	قُرطانِ "للعَيُّوقِ"[5] و"النَّسرِ"
هذى الهَـــدِىُّ[6] علىَّ جَلْوَتُهـا	وعليكم الإنصـافُ فى المَهـــرِ

* * *

وكتب الى الأستاذ أبي طالب بن أيّوب فى النيروز

لعـــلَّ لهـا مع النَّسرينْ[7] سِـــرًّا	فدعهـا طائراتٍ أن تَمُـــرَّا
رَكائبَ واثقيـــن من الأمانى	وأظهُـــرِها بمـا قتلتْـــه خُبْرا
تـــلوح خواطفـا فتظُنُّ أمرًا	بهـا فى الســـير وهى تُريد أمرا
ســـواءٌ عنـــد أعينهـا سِرارا[8]	قطعنَ الشهرَ أو سايرن بـــدرا
ولولا أن يخضن مع الدرارى	سوادَ الليـــل لم يُحْلَقْنَ[9] حُمْـــرا
يُحَطُّ المَيْسُ[10] منهـا عن جُنـــوبٍ	مُحلَّقَـــةٍ وكُنَّ رحَلنَ شُـــعْرا[11]

---

(١) فى الأصل "بعد" . (٢) فى الأصل "نفت" . (٣) صُحار : قصبةُ عمان وهى بلد مشهور بخيراته وطيب هوائه وكثرة أسواقه ؛ واللطيمة : العيرُ تحمل الطايب . (٤) الوقر : الصمم . (٥) العيوق والنسر : اسما كوكبين . (٦) فى الأصـــل "هادى" ، والهــدىّ : العروس . (٧) النسران : كوكبان يقال لأحدهما : النسر الواقع وللآخر النسر الطائر . (٨) السرار : ليالى آخر الشهر . (٩) فى الأصل "يحلقن" . (١٠) الميس : الرحل . (١١) شُعْرا جمع شَعْراء وهى الكثيرة الشعر على بدنها .

اذا أُرسِلنَ فى الحاجات خَطْبًا[(١)] حَبَوْنَكَ ثيبًا منها وبِكرا
يَكُنَّ الى فَوارِكها[(٢)] شفيعًا يُقِرُّ نِفارَها ويكُنَّ مَهْرا
وراءَ العزّ نطلبُهُ فإما وصلنا أو بلغنا فيه عُذرا
وماء تُحَبِّسُ[(٣)] الأنفاسُ منه وتُستشرَى[(٤)] به اللَّهَوَاتُ حَرَّا
وردت مع القطا الكُدرىّ منه أجُوناً[(٥)] من بقايا الصَّيف كَدْرا[(٦)]
أسيغُ شرابهُ المكروهَ حلوا اذا قايستُه بالذلّ مُرّا
وبيتِ قِرًى تشرَّف ساكنوه يَفاعا يَقسِرون العيشَ قَسْرا
نزلتُ به وفيه غِنًى لقوم وسرتُ بجودهم وتركتُ فَقرا
وكالمَهَراتِ فى فَتَيات حىٍّ حَكَيْنَ رماحَه خطَرنَ سُمرا
يُردن الخيرَ إلا أنَّ قولا يُظِنُّ المستريبَ بهنَّ شَرّا
خلوتُ بنومهنّ فلم أوسِّدْ يدى جنبًا ولا جنبىَّ نُكرا
ورحتُ وقد ملأتُ الودَّ عينًا بما أودعتُها وملأتُ صدرا
وقافيةٍ على الراوى لَجُوجٍ خدعتُ نِفارَها حتى آستقرّا
تموتُ بموتِ قائلها القوافى وتبقَى لى وللممدوح ذِكرا
فصُحتُ "ليعرُبٍ" فيها كأنّى عُجمتُ "ببابِلٍ" فنفثتُ سِحرا
طلبتُ لها من الفتيان فَذًّا[(٧)] يكون لعقدها المنظومِ نَحرا
فلم يَعْدُ "آبنَ أيّوبَ" آختيارى وقد عمَّقتُ فى ذا الناسِ سَبْرا

---

(١) خطابا : مخطوبة . (٢) الفوارك جمع فاركة وهى المبغضة زوجها . (٣) فى الأصل "يحبس". (٤) تستشرى : تُفسَد بما يصيبها ، من قولهم : استشرَى البعيرُ عرًّا أى فسد جلده بما أصابه من الجرب . (٥) الأجون : الماء المتغير . (٦) الكدر : الذى فيه كدرة مثل أكدر وكَدِر .

(٧) فى الاصل "قدا" .

وما طـــوّفت فى الآفاق إلا وجـــدتُك أنتَ أينَ طلبتُ حُرّا
جنَبتُ بك الهـــوى كهلا كأنى جنبتُ يدى الشبـابَ المسبَكَرّا[1]
وعلّقتُ المـــودّةَ منك كفّى على زلِقٍ متينِ الفتـــلِ شَزْرا[2]
دعوتُك والحـــوادثُ ذاهبـاتٌ بسرح[3] تصـــوّنى طردا وطَـــرّا
وقد طَلَقَتْ بنـاتُ الصـــبرِ منّى كأنى لم أكن للصّـــبرِ صِهرا
فكنتَ أخى هوًى وأَبِى حُنُـــوًّا ونفسى نُصـــرةً وبُنَىَّ بِـــرّا
حملتَ حمـالةَ الأيّامِ عـنّى قُلُوصا[4] فكنَّى منهـا وكَـرّا
مغارمُ أشكَلَتْ، أقضَيْتَ حقَّ الـ ـمودّةِ أم قضَيْتَ بهنَّ نَذْرا ؟
أشرتُ الى يديك فصُبتَ[5] عفــوًا وقد أتعبت أيدى المزن غَفْـــرا
ولمـا ثَلَّمتْ منّى الليـالى أريتُك خَـــلّةً فســـددتَ عَشْرا
مَكارمُ لم تُســابَقْ فى مــداها وقد حَرَصَتْ عليهـا الريحُ حَضْرا
وأخـــلاقٌ صفت من كلِّ غِشٍّ سكرتُ بهـا وما عوطيتُ خمـــرا
ملكتَ حسابَها إرثا حـــلالا فصرنَ لديك حقًّا مســـتقرًّا
أبًا فأبًا من الأعـــلام فيها نعـــدّهُمُ اليك هـــلمَّ جـــرًّا
لَعَمْرُ الحاســـديك، وهـــل يُبَقّ لهم حَسَـــدُ الكمالِ عليك عُمْـــرا؟
لقـــد ليموا بمـا نقمـــوا وإنى لأوسعُهم بمـا حســـدوك عُذرا
أقِلْنى العجـــزَ إن قصَّرتُ وصفا لِمـا أوليتَ أو قصَّرتُ شكرا
فإنَّ علىَّ جَهْـــدَ الفكرِ قـــولا وليس علىَّ عنـــد الغيثِ قَطْـــرا



---

(١) المسبكر : التام المعتدل . (٢) الشزر : فتل الحبـل عن اليسار وهو أحكم لفتله .
(٣) السرح : المـال السائم ، و فى الأصل "بشرح" . (٤) القلوص : الوثب . (٥) صبت
من صاب المطر يصوب بمعنى انصبّ ونزل ، و فى الأصل " قضيت " .

على أنّ القــوافى الغُــرَّ عنى كوافلُ بالذى أرضَى وسَرّا
تروح عليك أو تغــدو التهـانى بهنّ حـوافلَ الأخـلافِ غُزْرا
اذا مَطَرَتْ ترى الأحسابَ بيضا بمـا يُثنينَ والأعراضَ خُضْرا
كأن لطيمـةً منهـا أُبيحتْ ببابك، فارتدعْ[1] ما شئتَ عِطـرا
تعــدّ الدهرَ نيروزا وعيــدا وصــوما راجعا أبدا وفِطــرا
فتصحَبُــه بأنفذَ منــه أمرا على الدنيـا وأطولَ فيــه عُمرا

* * *

وكتب الى الصاحب أبى القاسم بن عبد الرحيم فى النيروز

هل عند ريح الصَّبا من "رامةٍ" خبرُ أم طاب أن صاب روضاتِ اللّوى المطرُ؟
علامةٌ لك من "أمّ الوليد" أتت تعــلو الرياحُ بهـا والمزن تحــدرُ
كأنّ ما هبَّ عِطــريّاً مجاســدُها[2] منفوضــةً وكأنّ البـارقَ الأُشُرُ[3]
هــوًى ترامت به الأيّام تُبعــدُه وقرّبتْــه لك الآياتُ والذِّكَرُ
ونازلٌ "باللوى" يسليك صــورتَهُ تيهُ الطريق وينسيك آسمَــهُ الحذَرُ
سرى الى الشرق مشتاقا وما فُقِـدتْ عينٌ له "بلوى خبتٍ"[4] ولا أثرُ
يُجشِّمُ البــدرَ أن يشقَى برؤيتــه ويلبَسُ الليــلَ زوّارا فيعتكرُ
ما آستوطن البيــدَ لولا أنه رشأٌ وما آمتطى الليــلَ لولا أنه قمــرُ
يا مِنّــةً للكرى لولا حلاوتُهـا ما ذُمَّ — وهو وفاءٌ فى الهوى — السهرُ
مدَّ الظلامُ بهـا قبــلَ الصباح يدا بيضاءَ بانَ بهـا من أمســه السحَرُ

---

(١) يقال: آرتدع بالطيب بمعنى تضمّخ .
(٢) المجاسد جمع مجسد وهو القميص يلى الجسدَ .
(٣) الأشُر: حدّة ورقّة فى أطراف الأسنان .
(٤) لوى خبت: آسم موضع، وفى الأصل "خبث" وهو تحريف .

في الضـاربين على "البَلْقـاءِ" باديةً ... يَسبِي لهـا الحرَّ من أبنائه الحَضَرُ
تُصبِي الأحاديثُ عنهـا وهى نازحـةٌ ... والسـمعُ يعلَق ما لا يعلَق البصرُ
سمراءُ غارتْ عليهـا — وهى تُشبِهها ... في القدّ واللون — تحميها القنا السُّمُرُ
تَلينُ خَلْقًا ويجفـو خُلْقُها فكأنْ ... في جسمها المـاءِ أُلقِي قلبُهـا الحَجَـرُ
"سعديّة" تدّعى أن الوفاءَ لهـا ... من صُلب "حاجبَ" حبلٌ ليس ينبتر
فمـا لها وفـؤادى في خِفارتهـا ... والشـوقُ يرعاه ظلمـا ليس ينتصرُ
لوشاء بعـدُ جِوارِى وهو مطّـرِحٌ ... من شاء، قال: "التميميّون" قد غدروا
ما أنكرتْ "أمُّ خير" وهى معرضة؟ ... أغيرَ أنْ لونتْ من لِمّتى الغِـيَرُ؟!
وَفَى الصِّبَا للهـوَى إذ كان حالفه ... لا يُحلَقُ الحبُّ حتى يُحلَقَ الشَّـعَرُ
أرى المنى بعـدُ تُملِي لى بسـوالفها ... وفى المشيب الذى آستقبلتُ مزدجَرُ
أشتاق حاجاتِيَ الأولَى وتجـذبني ... الى آتبـاع النُّهى حاجاتِيَ الأُخَـرُ
ما أشرفَ الحـلمَ لولا ثِقل محمـلِهِ ... وأجمـلَ الصمتَ لولا قولهم: حَصَرُ
وما أعزَّ الفـتى في ظلّ عفّتِـهِ ... لو شُـوورَ الحزمُ أو لو صحّت الفِكَرُ
ما لكَ في الحرص إلا فضـلُ ذلّته ... والرزقُ يفعل فيـه ما آشتهى القـدَرُ
خُلْقانِ في هـذه الدنيـا مُعاسِرةٌ ... ما طوليتْ، وبها إن تورِكت يُسُرُ
قنعتُ منهـا بمـا بلَّ الصـدَى كِبَرًا ... من همّتى ظنّ قـومٌ أنه صِـغَرُ
أسوِّفُ العيشَ حسنَ الظنّ أجبُرُه ... على فسادٍ وجَـبْرُ الظنّ منكسرُ
مرقّعا بالمنَى أرجـو غدا فغـدا ... تأتى الحظوظُ وحظّى بعـدُ منتظَرُ
رضًا بنفسِيَ أو ودِّ آمرئ ثِقـةٍ ... أغنَى به، وغنىُّ المـالِ مفتقِـرُ

(١) في الأصل "نشب". (٢) يريد في جسمها الذى هو كالماء. (٣) ينبتر: ينقطع، وفى الأصل "ينتشر". (٤) في الأصل "إن". (٥) دخل الطيّ على هذه الكلمة وهو حذف الرابع الساكن وقد كرر كثيرا في هذه القصيدة.

وإن مدحتُ ففخـــرٌ (١) لا أعابُ به ... ولا يكذِّبُ إخبـارى به الخُـــبُرُ
اذا غلوتُ بقـــوبٍ فيـــه لم ترنى ... الى المـــروءة فيما قلتُ أعتـــذرُ
حدِّثْ بفضلِ بنى "عبدِ الرحيم" وما ... طابوا على قِـــدَمِ الدنيا وما كثُروا
وآستشهد الصُّحُفَ الأولى بما نقلت (٢) ... عنهـــم وما قصَّت الآثارُ والسِّـــيَرُ
المكتفين اذا غابوا بشُهرتهـــم ... عن الشهادة والكافين ما حضَروا
أبنـاء ذِروة هـــذا الملكِ قد فرَعوا ... سَنامَه يطلبون النجمَ ما آنحـــدروا
تملَّكوا قَــربَ (٣) الدنيـا وشِرعتَها ... لا يَرِدُ النـاسُ إلا كلَّ ما صـــدَروا
لا تستخفُّهـم الأحداثُ إن طرقت ... عن الحُلومِ ولا يُطغيهـــم البطَـــرُ
اذا بـــلوتَ تُقـاهم أو بصـائرَهم ... فى نعمةٍ شَكَروا أو نكبةٍ صبَروا
تكلَّموا وأرمَّ (٤) النـاطقون لهـــم ... لا يؤمَرون ولا يُعصَوْن إن أمَروا
يُدعَون فى السنواتِ الشُّهبِ (٥) جامدةً ... فيفعلون بهـا ما يفعـــلُ المطـــرُ
غاض الفُراتُ وضنَّ المزنُ وآنبعثتْ ... فى المـــزنِ تُعصَرُ أيديهـــم فتنعصِرُ
لو ركَّبوا فى أعاليهـــم أناملَهـــم ... [يومَ] (٦) الوغَى خُضِّرتْ أطرافُها الحُمُرُ
إن كنتَ فيمن طواه البينُ ممـــترياً ... منهـــم فعنـــدك من منشورهم خَبَرٌ
هذا "الحسينُ" حياةٌ خُلِّدتْ لهـــمُ ... ليسوا بأول موتَى بابنهـــم نُشِروا
صَـــلَّى (٧) فزادت على السُّبَّاق حَلبتُـــه ... محـــلِّقُ العُرفِ جارٍ خطـــوُهُ حُضُرُ (٨)
كالسهـــم أحرزَ ذِكرا يومَ تُرســـله ... لم يُعطِـهِ أبواه القـــوسُ والـــوتَرُ
عُصـارة فضَلتْ فى الطِّيب طينتَها ... والخمـــرُ أطيبُ شىء منـــه يُعتصَرُ

---

(١) فى الأصل "فخر". (٢) فى الأصل "انقلبت". (٣) القرب: طلب الماء ليلا. (٤) أرمّ: سكت. (٥) الشهب: البيض، و يكنى بالبياض عن الجدب والقحط. (٦) هذه الكلمة غير موجودة بالأصل. (٧) صلَّى الجوادُ اذا جاء بعد الذى جلَّى. (٨) الحُضُر: آرتفاع الفرس فى عَدْوه وقد ضُمَّت الضاد للضرورة الشعريّة.

لايعدَم "الصاحبَ" ٱبنُ الليل قوّسهُ طـــولُ السُّرَى وتَنَقٍّ[1] عظمَه السَّفرُ
فــوّزَ فى البيــدِ لا ظــلٌ يَفىء له ظُهْــرًا ولا يتّقيه من ندًى سَحَــرُ
تَرمِى به غرضَ الأخطـارِ حاجتُهُ يحـــلو له المِلحُ أو يصفو له الكَدِرُ
يُحِسُّ أو يــتراءى[2] كلَّ مُخلِفَــةٍ[3] لا سمعَ يَصــدُقُه فيهـا ولا نظــرُ
يرَى سمـاوتَه[4] فى المـاءِ يُنكِـرُها من طول ما ٱختلفتْ فى عينه الصُّوَرُ
حتى اذا ملَّت الأقــدارُ شِقــوتَه وحان من سعيه أن يُدرِكَ الظفــرُ
آنَس من جوده نارا مبشِّــرةً بــبَرْدِ عيشته من حيثُ تستعــرُ
بجـاء يقتافُهـا حتى أصاب قِــرًى يأخذُ منــه ٱشتطاطَ النفسِ أو يذَرُ
بينـا تكونُ البــدورُ الطائفاتُ به ولائذا وتُذَكَّى للقِــرَى البِــدَرُ[5]
فلا خلا منــه ربعُ الفضــلِ يعمُره[6] بالمــال يُقسَمُ والأقــوالِ تُدَّخَرُ
وبَيْضــةَ الملكِ يحميهـا فمـا كَرَبت[7] مــذ قام يَشعَبُهـا بالرأى تنفطــرُ
تيمّنوا بٱسمــه حتى لقــد وثقــوا لو سار فى غير جيش أنهـــم نُصِروا
طلقُ النقيبــةِ لم يعقِــل سعايتَه[8] عن مطلبٍ "رجبٌ" يُخشَى ولا "صَفَرُ"
غَرَّرَ فى العــزِّ حتى نال غايتَــهُ وجانبُ العزِّ مركـوبٌ له الغَرَرُ
لو عِيبَ ما عابه شىءٌ يُزَنُّ[9] به مـن النقيصـةِ إلا أنه بشَــرُ
حلا له الحمــدُ حتى ما لَه ثمــنٌ يغـــلو عليــه وحتى مالُهُ هَــدَرُ

---

(١) تنقّ : استخرج النِّقْىَ وهو المخّ . (٢) يتراءى بمعنى يرى ، وفى الأصل "تنزأ" .
(٣) المخلفة : السحابة تُطمِعُ فى النزول ثم تَنكُصُ عنه . (٤) سماوته : شخصه . (٥) يريد ذوات البدر جمع بَدرة وهى جلد السخلة . (٦) فى الأصل "يعموه" . (٧) كربت : يقال كرب يفعل أى كاد يفعل وهو من أفعال المقاربة ويكثر تجريد خبرها من أن ويقلّ ٱقترانه بها والمشهور فيها فتح الراء وتقِل كسرُها . (٨) فى الأصل "سعادته" . (٩) يزنّ به : يظنّ به أو يتّهم به .

لو وَهَبَ المـــرءُ يوما نَفسَــهُ سَرَفا ... لم يَهَبِ النفسَ إلا وهو مختصـــرُ
عَجِمتُ أيّامَ دهرى صــعبةً بكُمُ ... فسالمتْـــنى وفى أيّامهــا خَـــوَرُ
وكان لى عنـــدَ حظّى قبـلَ ودّكُمُ ... ثأرٌ فقمتُ بكم كالسيف أثّـــئِرُ (١)
فلتأتِينَّــكُمُ عــنّى وبى أبـــدا ... غرائبٌ وهى فى أوطانهـا فِقَـــرُ (٢)
تسرى مراكبَ للأحساب، تَعرِضُها ... على العيونِ شِياتٌ (٣) كلُّهـا غُرَرُ
اذا تحــلَّتْ فمعنـاها قـــلائدُها الـ ... ـضـار أو لفظُها أقـــراطُها (٤) الدُّرَرُ
ممّـا ولَدتُ وإن خالفتُ منصِبَهـا ... "كِسرَى" أبى وأبوها نِسبةً "مُضَرُ"
تسرُّكم وتســوء الحاســدين لكم ... ونفعُ قـــومٍ لقـومٍ غـــيرِهم ضَرَرُ
فى كلِّ يومٍ جديدِ العهــد مبتــكرٍ ... تســوقُهـا لكم الرَّوْحاتُ والبُــكَرُ
لهـا بأحسابهـا طُـولٌ وما قطَعتْ ... سَـــيْرا وفيها عن آستحقاقكم قِصَرُ
وقـــد سمعتم ســـواها قابلـين له ... فكيف يحلو لجانى النحلةِ (٥) الصَّـــبِرُ
وإن تشابهتِ الألفاظُ وآتفقتْ ... فرُمّةُ (٦) الحبـــلِ شــكلا حيّـــةٌ ذَكَرُ

* * *



وقال فى غرض له

ياليـــلةً ما رأتهـا أعينُ الغِـــيَرِ ... لم ينجُ لى قبلَهـا صفـــوٌ من الكَدَرِ
كأنهـا سـاهمتنى فى السرور بمـا ... أولت فطالت، وعمرُ الليل فى القِصَرِ
يئست من صبحها حتى آلتفتُّ الى ... وجهِ العِشاء أعزّيه عن السَّــحَرِ
كم يوم سُخطٍ صفا لى منه ليلُ رضًا ... حتى وهبتُ ذُنوبَ الشمسِ للقمــرِ

(١) أثّئر : أُدرك ثأرى، وأصله أثتئر قُلبت التاءُ ثاءً . (٢) فِقَر جمع فقرة وهى العَلَمَ من جبل، ويريد بذلك أن قصائده أعلامٌ فى مواطنها . (٣) شيات جمع شية وهى العلامة . (٤) فى الأصل "قراطها" . (٥) فى الأصل "النخلة" . (٦) الرمة : القطعةُ من حبل بال .

* * *

وكتب الى حضرة مؤيّد الملك أبى علىّ الرّخجىّ فى المهرجان وهو بواسط، يمدحه وقد آستبطأ خدمته، وأنكر تأخُّرها عنه، ويذكر وقوفَ أمره فى أشياءَ أنعم بترتيبها من معيشته خلفاءُ له، وتولّى إنشادَ هذه القصيدة أبو طالب بن أيّوب

تَغــرَّبْ فبـالدار الحبيبـةِ دارُ ... وفُــكَّ المطـايا فالْمُنـاخُ إِسـارُ
ولا تسأل الأقــدارَ عمّـا تجـرّه ... مخـافةَ هُــلْكٍ والسـلامـةُ عارُ
اذا لم يَسَعْها الأمنُ فى عُقـر دارِها ... فخاطِرْ بها، إنّ العـلاءَ خِطارُ
أرى إبِلى تَعصِى الحُـداةَ كأنّمـا ... بــوازلَها تحتَ الحبـالِ بِكارُ
تَقامصُ من مسِّ الهوان جُنوبُهـا ... كأنّ الأذى طــردٌ لهـا وعَوارُ
تَحَسَّى[1] القذَى المنزورَ من ماء أهلِها ... وتأبَى النمــيرَ العِــدَّ وهْو[2] بحـارُ
ومــذ علِمتْ أن الخَشاشَـةَ[3] ذِلّةٌ ... ففى خَطْمها من أن تُخَشَّ نِفارُ
لغــيرى قِــرَى ألبانِهـا ولحومِها ... ولاحِقَــةٌ[4] من أُدمِهـا[5] وحُــوارُ[6]
متى دبَّ ماءُ الضيم فيهـا فلم تَعُـدْ ... مطىٌّ قفـار الأرض وهى قِفـارُ
وإن لم تُناضِلْ من عقودِ نُسوعِها[7] ... نصــولٌ نَعَى سِيبَ اللِّصابِ[8] تَبـارُ[9]
ظِرَابُ[10] الغضا من تحت أخفافها سَفًا[11] ... يطيشُ وأحقافُ "الغويرِ" حِفارُ

---

(١) تحسَّى محـذوفة التـاء الأولى بمعنى تشرب، وفى الأصـل "تحاشى" ولا تتّفق والمعنى .

(٢) فى الأصل: "وهى" . (٣) الخَشاشةُ: العود يوضع فى أنف البعير . (٤) اللاحقة: الناقة تقبل اللقاح، وفى الأصـل "لاخة" . (٥) الأدم جمع أدماء وهى التى فى لونهـا سمرة .

(٦) الحُوار: ولد الناقة من حين يرضع الى أن يُفطم . (٧) نسوع جمع نِسع وهو سَيْرٌ أو حبلٌ من أَدَم تشدّ به الرِّحال . (٨) اللِّصاب جمع لِصْب وهو مضيق الوادى، ويقال: "أعذب من ماء اللصاب" .

(٩) التَّبار: الهلاك . (١٠) ظِراب جمع ظَرِب وهو ما نتأ من الحجارة وحُدَّ طَرَفُه، وفى الأصـل "طراب" . (١١) السفا: التراب الذى تَسفيه الريح .

كأنّ السياطَ يَقتلعنَ اذا هــوت ... ســفائنَ منها ، والسرابُ بحارُ

مُقامى على "الزَّوراء" وهى حبيبــةٌ ... مع الظُّلم غَبْنٌ للعُــلا وخَسارُ

وكم حَلّةٍ مجفــوّةٍ ولهـا الهــوى ... وأُخرَى لهـا البغضــاءُ وهْى تُزارُ

وفى غيرها المجـــدُ الذى كان مَرّةً ... لهـا شرفٌ فى قُـــربه ونفـارُ

اذا حمَلتْ أرضٌ ترابَ مـــذلّةٍ ... فليس عليهـا للكريم قَـــرارُ

وكم عزمةٍ مرتاضةٍ قـــد ركبتُهـا ... نفضتُ بهـا الحاجاتِ وهْى غِمارُ

وذى سِــــنَةٍ جَمَّعتُ بالنوم عينَــه ... وأجفانُه عَطْفًـا عليــه طَــوَارُ (١)

صَحَا لى وقد ناديتُ من سَكرةِ الكرى ... وقـــد دار فى عينيْــه منــه عُقارُ

تنجّزتُ أقصَى جودهِ وهــو كارهٌ ... ولم يك للــولَى عــلىّ خِيـارُ

وليلٍ أضافَ الصبحَ تحت جَناحه ... وحُصّ فــلم يرفعْهُ عنــه مَطـارُ

هجمتُ عليــه قادحا ببصــيرتى ... دُجاهُ، وليــلُ الزِّبرِقانِ (٢) نَهـارُ

ومُشترَفٍ (٣) من العفـافِ آطلعتُــهُ (٤) ... وقـــد نام واشٍ وآســـتقام نوارُ (٥)

فــلَم يَتَــوَصَّمْنِي وسَادٌ عــلوتُه ... بعيبٍ ولم يَشْهَـــدْ عــلىَّ إِزارُ

وقافيةٍ أسهلتُ مجـــرَى طريقهـا ... لهـا فى حُلوقِ القائلين عِثـارُ

نُضـــار من القــول الذى لم يُرَدْ به ... لُجَــينٌ ولم يوجد عليـــه نُضـارُ

اذا ما آستبقْن الحسنَ يُبسطْن عن فى ... شَردْنَ فــلم يُعْــلَقْ لهن غُبـارُ (٦)

يعـــيّرنى قـــومٌ خلوَّ مَعـاطنى ... وفيهـــم رُغاءٌ (٧) ما آشتَهَــوا ونُعـارُ (٨)

---

(١) الطّوار: ما كان على حَدّ الشيء أو بحذائه . (٢) الزبرقان : البدر . (٣) المشترَف : المكان يشرف عليــه . (٤) آطلعته : طلعته وعلته . (٥) النّوار : النُّفورُ من الرِّيبــة . (٦) فى الأصل "عمار" ولعلها "عِصار" وهو أيضا الغبار الشديد . (٧) الرغاء : تصويت الإبل ، وفى الأصل "دعاء" . (٨) النعار : الصياح والتصويت بالخيشوم ، وفى الأصل هكذا " نعار" .

ولا عيبَ أن أهزلتُ وحدى وأسمَنوا ... اذا أنا أنجـدتُ العـلاءَ وغاروا
ولستَ ترى الأجسامَ وهى ضئيلةٌ ... نواحــلُ إلا والنفــوسُ كِبارُ
خفيتُ ونُورى كامنٌ فى قَناعتى ... وما كلُّ ماءٍ غَــمَّ الهــلالَ سِرارُ
وكيف أذود النومَ أخشى خَصاصةً ... ولى من كلاءاتِ الوزيرِ جِــوارُ
ونعماه ، إن دهرى أغار حُمـاتَه ... على الحُرّ من مسّ الهـوانِ، تَغـارُ
اذا ضمّنى "مــؤيّد الملك" مانعـا ... فمـا لدمِ الأيّام عنــدِىَ ثارُ
نُكولى اذا أمسكتُ أطرافَ حبله ... قُــوَى وآفتقارى فى ذَراه يَسـارُ
سقى اللهُ ماءَ النصر كفّـا بنانُهـا(١) ... غصـــونٌ لهـا دُرُّ البحار ثِمـارُ
وحيّـا على رغم الكواكب غُرّةً(٢) ... أسِــرّتُهـا للمعتفين مَنـارُ
ترى الرزق شَفّافا وراء آبتسامها ... كما شَفَّ عن لَمْــعِ البروق قِطـارُ(٣)
وزاد آنبسـاطا فى الممالك راحةً ... يمــينُ الحيـا إن جاودتْه يَسـارُ
من القــوم لو(٤) طار الفخارُ بمعشرٍ ... الى غايةٍ فــوق السماء لطـاروا
بَنِى الملكِ ، والدنيـا بمـاءِ شبابهـا ... وأيّامُهـا زُغْبٌ(٥) تــدبُّ صِغارُ
خيـامٌ على أطنـابها "رُنْجيــةٌ" ... لهـا فى سمـاوات الفخار ديارُ
وزيريّةٌ جَدًّا فَجَــدًّا يمُــدّها ... على المجــدِ عرقٌ ضاربٌ ونِجـارُ
يُراحُ عليهـا بالعشيّ لَبــونُهـا(٦) ... اذا رُوّحتْ على البيوتِ عِشـارُ(٧)
وشَقّ دُجُنّـاتِ الخطــوبِ برأيه ... بصــيرٌ له سرُّ الغيــوب جِهـارُ

(١) فى الأصل "بناتها" . (٢) فى الأصــل "الكواعب" وليست بوجيهه ولعلها محرفة كما رجّحنا . (٣) طار جمع قَطر وهو المطر . (٤) فى الأصل "إن" . (٥) زغب جمع أزغب وهو الفرخ نبت ريشه الخفيف . (٦) اللبون : غزيرة اللبن . (٧) عِشار جمع عُشَراء وهى الناقة مضى على حملها عشرة أشهر ، وعُشراء وعِشار كنُفساء ونِفاس ولا ثالث لهما .

اذا رَدَّ فى أعطافه لحظاته ... تشعشع سربالٌ له وصدارُ(١)

قريبُ الجَنَى حُلوٌ لأيدى عفاته ... وأشوسُ بين العاقرين مُرارُ

اذا ما بدا للعين راقت بشاشةٌ ... عليه وراعت هيبةٌ ووقارُ

فيُطمِعُ فيه ثغرُهُ حين يُجتَدَى ... ويؤيِسُ منه الأنفُ حين يغارُ

له اللهُ(٢) من مُلك حميت سريرَهُ ... وغايتُهُ للطامعين وجارُ(٣)

وقد نام عنه الدافعون وكُشِّفتْ ... خَباياه للأبصار وهى عَوارُ(٤)

مددتَ بباعيْه فلم يُرَ معصمٌ ... له بارزًا إلا وأنتَ سِوارُ

وغرَّ بك الأعداءَ خُلْقٌ مسامحٌ ... لهم وخلالٌ أن رضيتَ خِيارُ

وما علموا أنّ النصولَ شوارعٌ ... على عَلَق(٥) الأكباد وهى طِرارُ

فإنّ رقابَ الأُسْد دون عراكها ... مصارعُ للآجالِ وهى قِصارُ

وقد جرَّبوا عزميك والجودُ ساكنٌ ... على السِّلم والنقعُ الأغمُّ(٦) مُثارُ

وكم لك من يوم يخيم(٧) شجاعهُ ... ولا يَعصِمُ المهزومَ منه فِرارُ(٨)

تَناكَرَ عنه المدّعون فلم يكن ... سوى آسمك للأبطال فيه شِعارُ

وقفتَ له والمرهفاتُ كأنّها ... دبى(٩) فوق بيْض(١٠) الدارعين مُطارُ

ولو أنّ حدَّ السيف خانك دونه ... وَقَى لك جَدٌّ لم يَعقْه عِثارُ

أَسِلْ(١١) مُزنَتَى كفّيك يغرق بها العدا ... وسِم(١٢) بآسمك الأعداءَ فاسمُك نارُ

(١) الصدار : قيص صغير يلي الجسد . (٢) فى الأصل "لك الله" ولعله تحريف .
(٣) الوجار : الجحر . (٤) العَوار : العيب . (٥) العلق : الدم الغليظ الشديد الحمرة ، وفى الأصل "غلق" . (٦) الأغم : المظلم ، وفى الأصل "الأعتم" . (٧) يخيم : يجبن وينكص ، وفى الأصل هكذا "تخنم" . (٨) فى الأصل "قرار" . (٩) الدبى : الجراد .
(١٠) بيض جمع بَيضة وهى الخُوذة من الحديد توضع على الرأس . (١١) فى الأصل "أسا" .
(١٢) سم : فعل أمر من وسم بمعنى كوى ومنه الميسم وهوالحديدة التى يُكوى بها ، وفى الأصل "شم" .

ولا تَلْقَ يـــومَ الرَّوع إلا مُصالتا ... بجَـــدِّك إن كلَّت ظُبًا وشِـفارُ

فإنّ لجُرحِ السـيـف لا بـدَّ ثائرا ... [له](١) وجراحات الجدود(٢) جُبـارُ

قضى اللهُ فى حُسَّادِ ملكك أنهـم ... وَقودٌ وأنّ الغيـظَ منك شرارُ

فألسـنُهم غَيظًا بواردُ(٣) رَطْبَةٌ(٤) ... وأكبادُهم خلفَ الضلوع حِرارُ

تناهوا(٥) حِـذارا أن يُعَلَّ حديثُهـم ... فما بيـن كلِّ اثنين فيـك سِرارُ

ولاموا نجـومَ السعدِ جهلا و إنمـا ... تدورُ لك الأفــلاكُ حيث تُدارُ

تُواقِفُ أقدامَ الأسـودِ كأنمـا ... جَنابُك عزًّا أن يُرامَ مُغـارُ

وتَخجلُ من دفع الحقـوقِ كأنمـا ... لثامُك من فـرط الحياء خِمـارُ

أجبْ دعوةً ياسـيِّد الوزراء لم ... تُجبْهـا قريبـا إذ دعتْـك مِرارُ

تناديك(٦) عن شوق، مواقدُ نارها ... فـؤادى، وأنفاسى الحِـرارُ أُوارُ(٧)

أُدارِيه خوفَ الشامتين، وظاهرى ... قِيـاسٌ لمـا فى باطنى وعِيـارُ(٨)

الى كم يُقِـلُّ البعدُ ظهرِى وكم يُرى(٩) ... لجنبى على جمـر الفراق قَـرارُ

كأنى حيـالَ البعـدِ بينى و بينكم ... يُقَـدُّ أديمى أو حشاىَ تُعـارُ

ولَيتَ الزمانَ المطـربى باقترابكم ... كما زال سُكْرٌ منـه زال خُمارُ

يكاد نزاعى نحوكم أن يطـيرَ بى ... وهـل لقصيصٍ فى السماءِ مطـارُ

وأُطمِعَ قـومٌ بعدكم فى تهضُّمى ... فشـنُّوا على أحسابكم وأغاروا

---

(١) هذه الكلمة ليست فى الأصل. (٢) فى الأصل "الحدود". (٣، ٤) هاتان الكلمتان وردتا بالأصل هكذا "بوارد طبه". (٥) هذه الكلمة وردت فى الأصل هكذا "ساهوا" وقد صحفناها الى تناهوا وتباهوا فوجدنا الأولى أحقّ بتأدية المعنى ومعناها نهى بعضهم بعضا. (٦) فى الأصل هكذا "مواقد نار". (٧) الأوار: حر النار. (٨) ورد هذا البيت فى الأصل هكذا

* أداريه خوف الشامتين بظاهرين * الخ

(٩) فى الأصل "ترى".

ولم يعلموا مقـــدارَ عَطفةِ جودكم ... عليَّ فـــلى نقصٌ بهـــم وضِرارُ
اذا حبسوا المـاءَ الذى سُقتموهُ لى ... فمن أين تُســـقَى سَرحتى وتُمارُ
وقد علمـــوا أن لا ٱرتجاعَ لنَيْلكم ... ولا الثوبُ ممـا تلبَسون (١) مُعـارُ
عسى اللهُ أن يقتـادَ لى بإيابكـم ... فيُدرَكَ من باغى ٱنتقاصِىَ ثارُ

(١٥٧)

بكلِّ عزيزٍ بذلُهـا عنـد قومها ... لهـا مَنصِبٌ مَعْ حُسنها ونِجارُ
اذا خطَـرتْ بين الرُّواةِ حسبتَهم ... يمانينَ فيما يَحمِـلون عِطارُ
تَنِمُّ بمـا فيها كأنَّ طروسَها ... لطائمُ أهدتْهـا اليـك "صُحَارُ" (٢)
تَضوَّعُ رَندًا "فارسيًّا" لجنسها ... "وللعُرْبِ" فيهـا حَنوةٌ (٣) وعَرارُ (٤)
اذا جُلِيَتْ عَطْـلَى (٥) عليك فَحَلْيُهـا ... عُـلاك وحُسنُ الإستمـاع نِثارُ
على المهرجان وسمـــةٌ من جمالها ... "عَرُوبةُ" (٦) منهـا فاصلٌ وشِيارُ (٧)
لئن قَصَّر المقــدارُ خَطوِىَ عنكمُ ... فـــلى غايةٌ فى بعثها وقُصارُ (٨)

* * *

وقال وقد جَرَتْ نَبوةٌ للصاحب أبى القاسم بن عبـد الرحيم بالحضرة ونُفُورٌ مع سلطانه فى خطاب، فاقتضت ٱعتزالَه عما كان اليه ولزومَ بيته، ثم عاد أمرُه الى أحسن ما كان عليـه (٩) رتبةً وٱرتقاءً وتمكُّنا من الحضرة وٱنبساطا، وأفيضت المكارمُ عليه، وضُوعِف الإحسان اليه، وكتب بهـا اليه يُعلِمه بمـا تجدّد، ويذكر التهنئةَ وذِكرَ الحالِ، ويحثّه على إبانة مسرّته بمـا كان يقول فيها، وأنفذها الى واسط

(١) فى الأصل "يلبسون". (٢) صُحار: قصبةُ عُمَان وهى مدينة ليس على بحر الصين أجلّ منها وهى عامرة ومشهورة بطيب هوائهـا وخيراتها وأسواقها. (٣) الحنوة: نباتٌ طيّب الريح. (٤) العرار: النرجس البرىّ أو هو بهارٌ ناعمٌ أصـفرُ طيّبُ النَّكهة. (٥) عطلَى: غيرُ متحلية. (٦) عروبة: اسم ليوم الجمعة تعريب "أَرُبَا" النبطية أو "عَرو بَتَا" السُّريانيّة. (٧) شِيار: اسم ليوم السبت، ولعله أراد تشبيه قصائده بيوم الجمعة والسبت لجلال مقامهما عنـد المسلمين وبعض أهل الكتاب. (٨) القُصار: الغاية. (٩) فى الأصل "اليه".

هل تَقبـــلون إنابةَ الدهرِ أم تُنصِتون له الى عُـــذرِ (١)
أم تَعرفون لقُربِ رَجعتِـــهِ ما كان همَّ بـــه من الغـــدرِ (٣)
فلقـــد أتاكم يستظلُّ (٢) بكم من حَرِّ سخطِكمُ ويَســـتذرى
متنصِّـــلا من هفوةٍ ، يدُهُ كادت تَشُـــلُّ (٤) بها وما يدرى
خزيانَ يُقسِمُ : لا سـعَى أبدا للجـــد فى وَهْنٍ ولا عَقْـــرِ
وَسْمُ الندامـــةِ فوق جَبهتِـــه ويداه بالإقـــرارِ فى أسرِ
يَلقَى الجراحـــةَ بالدواملِ (٥) من إقلاعِـــه والكَسْرَ بالجَـــبْرِ
فآستعملوا البُقيـا التى فُطِرتْ فيها حلومُكمُ من الصخرِ
وآســـتعبدوه بعفوكم فلكم بالجود من عبـــدٍ لكم حُرِّ
وأنا الزعيمُ لكم بعُهـــدتِهِ (٦) ووفائِه وشفيعُهُ شِـــعرى
قد كان غمرا لم يجـــد خورا وأظافرا خدشت ولم تفـــرِ
ونوافـــذًا حرشت (٧) فما انفيت حَرِجًا (٨) ولا متقبِّضَ الصَّـــدرِ
أُذُنٌ تمجُّ الهُجْـــرَ تسمعه ولسانُ صِـــدقٍ حاضرُ النَّصرِ
طرفٌ أشمُّ من الرجال أبَى فى الضيمِ أن يُعزَى الى صَـــبْرِ
ومـــودّةٌ كَمَلتْ فعـــوَّرها (٩) نَبْذٌ من الإعراض والهَجْرِ
عتْبٌ تخلَّص فى تراجمـــه من عثرة الفحشاءِ والهُجْـــرِ
لم يحترِش (١٠) ضَغَنًا ولا حُنِيتْ عُوجُ الضـــلوع له على غِمـــرِ
مَـــدَّ الوشاةُ له رقابَهُـــمُ يتطلعون عواقبَ المكـــرِ

(١) فى الأصل "العذر" . (٢) فى الأصل "يستطيل" . (٣) يستذرى : يستظل و يلتجى .
(٤) فى الأصل "كانت تسل" . (٥) الدوامل جمع داملة وهى ما تُبرئ الجرح . (٦) العهدة : الرجعة الى الإصلاح . (٧) حرشت : خدشت . (٨) الحرِجُ : الضيِّق وفى الأصل "جَرَحا" .
(٩) عوّرها : جعل بها عوارا . (١٠) لم يحترش : لم يجمع ، وفى الأصل "تحترس" .

يرمون بالأبصار رائدةً	أنّى تَصُوبُ سحابةُ الشرِّ
ظنّوا اليدَ اليمنى اذا بَطشتْ	قعدتْ بيسراها عن النصرِ
والنيّران و إن هما آختلفا	فالشمسُ لا تُرتابُ بالبدرِ
يا خاب سعيُ مرقّشين[1] مشَوا	بالغشّ بين الماء والخمرِ
ومسوِّلين نفوسَهم حسدا	أن القِطارَ تُظَنُّ كالبحرِ
خبطوا من التمويه فى ظُلَمٍ	أسفرن عن مُستبْهِمٍ وعرِ
لا يستقرُّ به الدليلُ على	قصّ ولا يحنو على السَّفْرِ
قد عانقوا فيه رحالَهُمُ	من قائفٍ أَثَرًا ومستقرى[2]
يَغلى الهجيرُ بهم اذا آنغمسوا	فى الآل غلْىَ الماءِ فى القِدرِ
نجواهُمُ فيه اذا آشتوَروا :	يا ليتَ لم نركبْكَ من ظَهْرِ
قد طَأمنَتْ فقَعوا لها وضَعوا الـ	ـجَبَهاتِ موجةَ ذلك العِبْرِ
وأفاقت الأيّام وآعترفت	بمكانِ جَهلتها على السُّكْرِ
فتساندوا أسفا الى صَدَفٍ[3]	هاوٍ على مُمطولةِ القَعرِ
ملساءَ لا تجد الاكفُّ بها	عَلقًا[4] بأنملةٍ ولا ظُفْرِ
عَضُّوا[5] الحصا إن لان من كَمَدٍ	لضروسكم وآمشُوا على الجمرِ
الله أحسنُ للعلا نظرا	وأبرُّ بالمعروف والبِرِّ
وأشدُّ ضَنًّا[6] بالمحاسن أن	يُقوِينَ من عَيْنٍ ومن أَثْرِ[7]
أو أن تُعطَّلَ[8] بالذى زعموا	سُنَنُ الهدَى ومواسمُ الشكرِ



(١) مرقّشين : مزوّرين . (٢) القائف والمستقرى : المتتبع الأثر وغيره . (٣) فى الأصل "صدق". (٤) العلق : مصدر بمعنى التعلق . (٥) فى الأصل : "غضّوا". (٦) فى الأصل "صبا" . (٧) يريد "أثَر" وسكنت الثاء للضرورة . (٨) فى الأصل "تعطل" .

والمُلكُ يعــلم أىّ[1] سيفٍ وغَّى يَمضى وسهمِ رميَّـــة يَبرى
وترى الرجالَ وفوتَ[2] بينهِـــمُ مثلَ البِهـامِ[3] تُقاس بالغُــرِّ[4]
فيعُدُّ للجُـــلَّى أتمَّهُـــمُ باعا وأحفظُهم قُـــوَى أسْرِ[5]
وأخفُّهم فى صدر موكبه سَرْجا وأثقلُهم على الصـــدرِ
ورأوا ظلامَ الأمر منذُ خبا عنهـــم سراجُ النُّهَى والأمرِ
قبضوا الذراعَ الرّحبَ وآعتقدوا أنّ السماء تُقاسُ بالفِـــترِ
وآستصغروا عفوَ اللبيب فما آسـ ـتغنَوا بجهــل الغافل الغَــمْرِ
حتى اذا أبَّتْ[6] حلومُهُـــمُ فرًّا طليعـــةَ رأيهـــم تَسرِى ،
عادوا وقــد خَفَّ البُغاثُ بهم يستطعمون مخالبَ النَّسرِ
فاقـــلْ عِثـارَهُمُ فإنهُـــمُ رجعوا اليك رجـــوعَ مضطَرِّ
وآحملْ — كما عوَّدتَ — ثقلَهُمُ وآنهض لهم بالنفع والضَّرِّ
وأعــدْ مناكبهم كما أَلِفتْ بك من ثياب العزّ والفخـــرِ
وتَمَــلَّ ما أُلبِستَ من نِعَمٍ تكسو الزمانَ بهـا ولا تعرى
هذى ثمـارُ الحلمِ مُجلَبَـــةً[7] فتهنَّها ونتيجـــة الصَّـــبْرِ
وعواقب الحسنى ، وواحدة الـ ـحسنات عنــد الله بالعَشْرِ[8]
قد كايلوك بقـــدر وُسعهِمُ من رفع منزلةٍ ومن قــدرِ
فآقنع ولا تُخجِلْ مَكارمَهـــم بظـــلالِ عالٍ مالُهُ يَجـــرِى[9]
ومتى ترمْ ما تستحقُّ فقــــد كلَّفتَهُمْ ما ليس فى الدَّهرِ

(١) فى الأصل " أن " . (٢) فى الاصل " وقوت " . (٣) البهام : السود .
(٤) الغرُّ جمـع أغرّ أو غرّاء ، وفى الأصـــل " الغر " . (٥) الأسر : شـدّة الخلق .
(٦) أبّت : تهيّأتْ للسير وتجهّزت ، وفى الأصل " أنت " . (٧) مجلبة : مجموعة . (٨) يشير الى قوله تعالى (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا) . (٩) فى الأصل " تجرى " .

شمخَتْ بأنفك عِزّةٌ قَعَسَتْ[1] أن تستقادَ بمخطَمِ[2] القَسرِ
صَمّاءُ من "عبد الرحيم" لها عِرقٌ يمُدُّ إلى "مَنُوجَهْرِ"[3]
دَرَجَ القرونُ وبيتُ مَفخَرِها عالى العمادِ مخلَّدُ الذِّكرِ
طابت أحاديثُ[4] الملوكِ ولا كالعَرْفِ من آبائك الغُرِّ
الناضلين بكل صائبةٍ فى الرأى ضافيةٍ[5] على النَّفْرِ[6]
سيّارةٍ فى الأرض سنّتُها بالعدل سيرَ[7] الأنجم الزُّهْرِ
والباسطين لمنع جانبهم بُوعا تطولُ على القنا السُّمرِ
واذا الكماة دُعُوا فصدَّهُمُ جُبْنٌ يُغالَطُ عنه بالوَقْرِ
شدُّوا الفِجاجَ الى صريخِهِمُ[8] يتكاثرون تكاثُرَ القَطرِ
لهم الجفانُ البيضُ ضاحكة تحت الليالى الكُلَّحِ الغُبْرِ
يتنازعون على الحديث، بها يَقْوَى مقلُّهُمُ على المُثرى
كرماء معترفون إن طرقَتْ أمُّ السنينَ بحادثٍ نُكْرِ
صبروا على البؤسى تعمُّهُمُ فكأنّهم أثرَوْا من الفقرِ
أنشرتَهم بعد الدُّثور كما ولدوك بعد الطىِّ والنشرِ
بك أورقت للجد دوحتُهُ واهتزّ فى أفنانه الخُضْرِ
وأضاء للأقوال مسلكُها فمضى النجاحُ بركبها يَسرى
حلفَ السماحُ عليك: لا وَصَلَ الـ ـأسبابَ بين يديك بالوفْرِ

---

(١) قعست: علت وعزّت. (٢) المخطم: حبل يقتاد به البعير ويثنى على خطمه أى أنفه. (٣) منوجهر: أحد ملوك الفرس. (٤) فى الأصل "أحادث". (٥) ضافية: سابغة تقوم مقام الدرع، وفى الأصل "صافية". (٦) النفر: القوم ينفرون معك ويتنافرون فى القتال. (٧) فى الأصل "بالعدّين". (٨) فى الأصل "ضريحهم".

(١٥٩)

ومن العجائب أن تطيعَك فى   قَبْض[1] يدٌ هى جدولٌ يجـــرى
أنا ذلك المـــولى المقيمُ على   صدقِ الهوى وسلامةِ الصدرِ
محفوظةٌ عنـــدى ودائعُكم   فى الودّ حفظَ نفائسِ الذّخر
خَـــلِّ الأقاربُ عنكمُ ويدى   معصومةٌ بكُمُ الى الحشـــرِ
لا نبـــوةُ الدنيـــا تغـــيّرنى   عنكم ولا متغـــيِّرُ الأمرِ
ناديكُمُ ظِـــلِّى ودولتُكـــم   عِزّى وعمرُ سعودِكم عمـــرى
جاهرتُ فيكم بالعـــداوةِ مَنْ   تُخشَى العـــداوةُ منه فى السِّرّ
ولقيتُ قـــوما دونكم كرهوا   أيّامَكم بقـــواصم الظهـــرِ
كم قـــولةٍ جرَّعتُ قائلَهـــا   غُصصا بتـــكذيبٍ له مُرِّ
وحملتُ أخرَى خفتُ صاحبَها   أطوِى الجناحَ له على الكَسْرِ
حتى تَسرَّى الخطبُ وآنفرجتْ   كُرَبُ الدُّجى بتبلُّج الفجـــرِ
فالان يانفسى لهـــا آنفسحى   جَذَلا وياعينى لهـــا قَـــرِّى
وآنهض بجهدك يالسانِىَ فى الـ   ـبُشرَى لهـــا وتَصَفَّ يافكرى
وآبعث ضوارعَ[2] عنك نائبـــةً   إن أخَّرتْك عـــوائقُ الدهرِ
ولآجَةً، تطأُ الصـــدورَ بهـــا   كَلِـــمٌ توسِّعُ ضيِّق العُـــذرِ
نفّـــاثةَ العُقَـــداتِ تحسبُهـــا   هبَطتْ الى ''هاروتَ'' بالسحرِ
وكأنمـــا نَفَضَ التِّجارُ بهـــا   بين البيوت حقائبَ العطـــرِ
يَشتَق بهـــا المتحرِّشـــون[3] كما   تشتقّ يدُ المشتـــارِ[4] بالدَّبْـــرِ[5]
فاستقبِـــلوا غُرَرا مُوَحَّـــدةً   سيقتْ لكم من واحدِ العصرِ

---

(١) فى الأصل '' قض '' .   (٢) ضوارع : مبتهلات، وفى الأصـــل '' صوادع '' .
(٣) المتحرشون : المتعرضون ، وقد وردت هـــذه الكلمة فى الأصـــل هكذا '' المحوسون '' .
(٤) المشتار : جانى العسل .   (٥) الدبر : جماعة النحل .

وتمسّكوا منّى بجوهرة الـ ـغوّاص وٱحموا معـدِن التبرِ
وٱقضوا نذورَ الشّعر فىّ فقد قَضّيْتُ فيكم شاكرا نَذْرى

* * *

وقال وكتب بها إلى أبى المعالى فى النيروز

اذا رُفعتْ من "شَرافَ" الخدورُ فصبرَك إن قاتَ : إنى صبورُ
ستعلمُ كيف يُطَلُّ القتيـ ـلُ بعد النوى ويُذَلُّ الأسيرُ
فإن كنتَ منتصرا فاستقدْ بثأرك والعيسُ عَجلَى تثورُ
وإلّا فَلِنْ جانبا للفراقِ فما كنتَ أولَ جَلْدٍ يخورُ
ألا تُسعدانى بعينيْكما وما كنتُ قبل الهوى أستعيرُ
فقد حار لحظِىَ بين ٱثنتين : هوًى منجِدٍ وخليطٍ يغورُ
ترى العينُ ما لا يراه الفؤادُ فيقصِدُ قلبى وطرفى يجورُ(١)
وقفتُ وقد فاتنى بالحُمو لِ غضبانُ ليلٍ سراه قصيرُ
عنيفٌ اذا ساقَ لم يلتفتْ لساقٍ تَطيحُ ومخٍّ يَريرُ(٢)
كفاه مع العيس حسنَ النشاط حنينِىَ فى إثرها والزفيرُ
ولما تعيّفتُ فٱستعجمت مَيامنُ كانت بخيرٍ تطيرُ
ولم ادرِ والشكُّ يَنفِى اليَقينَ(٣) إلى أىِّ شِقَّىْ طريقى أصيرُ
تَنَبَّهَ، من هاجعاتِ الرياحِ فدلَّ عليكم، نَسيمٌ عطيرُ
وخاطَفَ عينِىَ برقٌ تُشا مُ فى حافتَيْه الطُّلَى والنحورُ
وفى الظُّعْن مشتبِهاتُ(٤) الجَما لِ تَشقَى بأعجازهنّ الصدورُ

(١) فى الأصل " يحور" . (٢) يرير : يذوب . (٣) فى الأصل " يلق" .
(٤) فى الأصل "مشبهات" والبيت بها لا يتّزن .

حملنَ إلى قتلنا فى الجفون سيوفا حمائلهن الشعورُ
وقـلّدنَ دُرًّا تحـدّثْنَ عنه كأنّ قـلائدَهنَّ النحـورُ
بكيتُ دمًا يوم "سفح الغوير" وذاك لهم ـ وهو جهدى ـ يسيرُ
ومن عجبِ الحبّ قَطْرُ الدما ءِ من مقلتى وفؤادى العقـيرُ
وليـلٍ تعلّقَ فيـه الصباحُ فما يستَسِرُّ وما يستنـيرُ
يعـود بأوّلِ نِصفيْـه لى اذا قلتُ : كاد وجاء الأخـيرُ
كأنّ سـنا الفجر حيرانَ فيـ ـه أعمَى تقاعدَ عنه بصـيرُ
نسـيرُ به ونحطُّ الركابَ (١) وغيهبُـه جانح لا يسـيرُ
كأنّ الـثريّا على جنحه يدى من مَقام الهوى تستجيرُ (٢)
سريتُ أشاورُ فيـه النجومَ ومالِىَ بالصبح فيها بشـيرُ
إلى حاجةٍ فى العـلا همّتى إليها تطول وحظّى قصـيرُ
وهـل ينفعُ الرمحَ ، مالم يُنَطْ بكفٍّ تُطاعِنُ، نصـلٌ طريرُ
عَذيرِىَ من وجه دهرى الوَقاحِ وأين من المتجنّى عَـذيرُ
ومن غَـدرِ (٣) أيّامه العادياتِ على ما أذمّتْ عليـه تُغـيرُ (٤)
ألم يكفِهـا أنّ غصنَ الصِّبا ذوَى وآسـتردَّ الشبابَ المعيرُ
ولو نظـرَتْ حسَنا لم تَمِـلْ علىَّ ومالِىَ فيها نظـيرُ
وولّى اذا أنا قلتُ : آحتكِم تفاحشَ يحبِسنى (٥) أو يجـورُ (٦)
رمانى وقال: آحترِسْ من سواىَ ليشعَبَ قلبىَ منه الفُطـورُ

---

(١) فى الأصل " يسير به و يحطّ الركاب " . (٢) معناه أن أنجم الثريا تشبه يده حين يرفعها مستعيذا من الحبّ . (٣) فى الأصل "عذر" . (٤) فى الأصل " تعير" . (٥) فى الأصل يحسنى . (٦) فى الأصل "يحور" .

ألم يأته أنه لا يُجَسُّ[1] غورى ولا يطّبينى الغؤور[2]
وأن حِمَى "هبةِ اللهِ" لى من الضيم لو رام ضيمى مجيرُ
ومن يعتصمْ بمعالى "أبى الـ ـمعالى" يبتْ كوكبا لا يغورُ
يبيتُ للغزالةِ من دونه ذراعٌ قصيرٌ وطرفٌ حسيرُ
حمَى سَرحَ سوددِه أن يرا عَ أشوسُ دون حماه هصورُ
وقام بنُصرة إحسانه فتًى لا يُخذَّلُ وهو النصيرُ
طليقُ المحيا اذا ياسروه وجَهمٌ اذا حاربوه عسيرُ
له خُلُقانِ من الماء ذا كَ ملحٌ وهذا فُراتٌ نميرُ
وطعانِ إن طَمِعَ الحلُوفيـ ـه قام يدافعُ عنه المريرُ
اذا انتُهكتْ للعلا حُرمةٌ تمَّرَ منه أبىٌّ غيورُ
وإن جئتَ محتلبا كفَّه سقى من أوامك ضرعٌ درورُ
وفى بالسيادة لَدْنَ القضيبِ[3] ولم تتعاقبْ عليه العصورُ
ورُشّح عاتقُه للنِّجاد ولم تُلقَ أحرازُه والسيورُ
حمولٌ قويمٌ قناةِ الفَقارِ[4] اذا ركعتْ للخطوبِ الظهورُ
رحيبُ الأضالع تُبْتُّ اذا تنفّس من ضيقهن الضَّجورُ
غنىٌّ بأولِ آرائه اذا ما استبدَّ فما يستشيرُ
سماتُ ابنِ عشرين فى وجهه وفى حلمه عشراتٌ كثيرُ
كريمٌ تفرَّع من أكرميـ ـنَ كَوْرُ[5] نجارِهمُ لا يحورُ[6]

(١) فى الأصل "يحس" . (٢) الغؤور : الدخول فى الشىء . (٣) لدن القضيب : كناية عن غضارته وصغر سنه . (٤) قناة الفَقار : كناية عن العمود الفقرىّ . (٥) الكَوْر : الزيادة .
(٦) لا يحور : لا ينقُص ، ومنه الحديث "نعوذ بالله من الحَوْر بعد الكَوْر" ، وفى الأصل "لا يخور" .

وُسُومُهُمُ فى جباهِ الدهـــو ... ر بالعـــزّ تبقَى وتَفنَى الدهورُ

اذا مات منهـــم فتًى فأبنُـــه ... حيـاةٌ لسؤدُده أو نشـــورُ

بَنَى البيتَ لا ترتقِى الفاحشاتُ ... اليـهِ ولو حَمَلتْهـا النُّسـورُ

رفيـعُ العمادِ تـــرى بيتَـــه ... مكانَ ٱبتنى منكِبيْـه "ثَبيرُ"(١)

تَزالَقُ عنـــه لحـاظُ العيونِ ... فترجعُ عن أُفْقِـهِ وهْى زُورُ(٢)

ولو لم يكنْ فى العلوِّ السماءَ ... لمـا طلَعتْ منه هذى البدورُ

لنـــيرانهـم فى مُتونِ اليَفاعِ ... لحـاظٌ الى طارق الليل صُورُ(٣)

مواقـــدُ تُضرَمُ بالمنـــدلىّ(٤) ... وتُنحـرُ من حولهنَّ البُـــدورُ

عُلًا شادَها مجدُ "عبد الرحيم" ... على خُطّةٍ خطَّها "أرْدَشِيرُ"

فروعٌ لهـــمْ قـلَّمَ المُلْك من ... أصـولٍ لهـــم تاجُهُ والسريرُ

فـــداكم شقىٌّ بنُعماكُمُ ... تلَمَّ عجْـــزا وأنتم سُـــفورُ

له حينَ يبطُش باعٌ أشـــ ... لُّ من دونكم وجَنـاحٌ كسيرُ

ضعيفُ جناحِ الحشا بائحُ ا ... للسان بمـا ضمَّ منه الضمـــيرُ

يغيض بأذرعكم فـــترُه ... وكيف ينـالُ الطويلَ القصيرُ

تدورُ عليـــه رَحَى غيظِـــهِ ... بكم وعليكم تدورُ الأمـــورُ

على صـــدره حسَدٌ أن غَدَتْ ... بأوجهكم(٥) تستنيرُ الصـــدورُ

لكم كلّ يـــومٍ بمـا ساءه ... بشـــيرٌ ومنكم اليــــه نذيرُ

---

(١) ثبير : اسم جبل ، وفى الأصل "تبير" وهو تحريف . (٢) زور : جمع زوراء وهى المائلة فى عوجٍ وفى الأصل "صور" . (٣) صور ، مائلات . (٤) المندلىّ : العود أو هو المنسوب الى مَنْدَل وهى بلدة بالهنــد . (٥) فى الأصل "بأوجهك"

فللسيف والسَّرج منكم فتًى | أميرٌ وللدَّست منكم وزيرُ
وليس له غيرَ عضِّ البنان | وذمِّ الزمان عليكم ظهيرُ
بكم وضَحتْ سبُل المكرُماتِ | وبات سِراجُ الأمانى يُنيرُ
ومالتْ الىَّ رقابُ المديـ | ـحِ تُصحِبُ(١) وهى عَواصٍ(٢) نُفُورُ
وكان جبانا لسانُ السؤالِ | فأصبح وهو جرىءٌ جسورُ



ملكتم نواصِىَ هذا الكلام | فليس بهنَّ سواكم يطورُ(٣)
لذاك وأنتم فحولُ الرجا | ل يهواكم الشعرُ والشعر زِيرُ(٤)
وهَبْتُ لسانى وقلبى لكم | فيوما ودادٌ ويوما شُكورُ
وأصبحتُ منكم فمن رامنى | سواكم فذاك مَرامٌ عسيرُ
لك الخيرُ، إنى فتًى منك شِمتُ | نداك فأسبَلَ نوءٌ غزيرُ
وجوهرة، لم تلِدْ مثلَها | على طول غوصِىَ فيها البحورُ
وربَّ ندًى لك مستملَحٌ | صغيرُك عندِىَ فيه كبيرُ
يطيبُ فأبصرتَ منه مكانَ | رضاى وغيرُك عنه صبورُ
لئن قمتَ فيه بشرط الوفاء | على فَوْرةٍ لم يعقها فتورُ،
فما كان أوّلَ ما يعجزو | ن عنه وأنت عليه قديرُ
وكم أملٍ لى حَصيصٍ(٥) وثقتُ | بأنّ جناحك فيه يطيرُ
وعندىَ من أمّهات الجزاءِ | وَلودٌ وأُمُّ القوافى نَزورُ
تزورك فى كلّ يومٍ أغرَّ | بحقٍّ من المدح ما فيه زُورُ

---

(١) تصحب : تذلّ وتنقاد . (٢) فى الأصل " عواض " . (٣) يطور : يحيط .

(٤) الزير : الرجل الغزلُ الذى يحبّ مجالسة النساء ومحادثتهنّ . (٥) الحصيص : القليل الشعر، وفى الأصل " حضيض " .

أوانسُ، جـــودُك من كفها إذا أبرزتْها اليك الخـــدورُ
وأمـــدحُ قوما ولكننى اليك بما قلتُ فيهـــم أشيرُ

***

وكتب اليه فى النيروز

لِمَن الطُلولُ تراقصتْ؟[1] نَجْـوَى حشاك قفارُها !
قفـــرٌ نبـا بك ودُّها وتعلّقتـــك ديارُها
إن كنتَ أعينَها عدمـ ـتَ فهـــذه آثارُها
دِمَنٌ كساحبة الأزّ ة مُســحَلا إمرارُها
ماتت حقائقُهـا وخُـ لّـدَ زُورها ومُعـارُها
وآمتدَّ ليـــلُ السافيا تِ بجـــوِّها ونَهـارُها
عندى لها إن أجدبتْ وكّافـــةٌ تمتـارُها
أَبستْ بإسبال الدمو عِ كأنهـا أشـــفارُها
ونعم بكيت ، فهل تبـ ـلُك سائلا أخبـارُها ؟
واهًا لها من حاجةٍ لو قُضِّيَتْ أوطـارُها
يا دارُ تُرْبُكِ والهجـ ـيرُ وأضلعى وأوارُها
حفظا " برملةَ " إن ألَـ ـطَّ[2] بذمـــةٍ غـــدّارُها
لا ضاع ما بينى وبيـ ـنكِ عهـدُها وذِمارُها
خلَتِ الليـالى من بدو رِكِ تِمُّهـا وسِرارُها
حتى كأنّ معيشـــةً لم يحـــلُ فيك مُرارُها
ومآربا برباكِ ما آسـ ـترختْ لنـا أستارُها

(١) تراقصتْ : ظهرت كأنها ترقص مع بعضها البعض لفعل السراب بها إذ يبينُ طللا ويُخفى آخرَ وهو من قولهم : ترقّصت المفازة أى ارتفعت وآنخفضت من فعل السراب بها . (٢) ألطّ : جحد وأنكر .

إذ كلُّ ذى هَدفين فيـ ـلك كأسُها وصُوارُها(١)

ومسائح(٢) الأيام بقـ ـلٌ أخضرٌ وعِـذارها

وجهيرة فى الحسن تُكـ ـتَمُ فى الهوى أسرارُها

كثرت(٣) ضرائرها وقـ ـلَّ بذلك آستضرارُها

بلهاء يرتبِـطُ الحليـ ـمَ من الرجال إسارُها

خبثت أحاديث الوشا ةِ بها وطاب إزارُها

خُلقَتْ معطَّـرةً تَخُـ ـبُّ كاسدا عطَّارُها

وتذكَّرتْ ألفاظُها فثَنَى اللثامَ خمارُها

يا صاحبى، والعينُ تغـ ـنَمُ أو يُغَطِّى عُرارُها(٤)

والليـلة الطولى يُخَوِّ ضُ بالجفون غمارُها

طرقتْ "زميلةُ" تجتلى ظلَمَ "اللِّوى" أنوارُها

وعلى الرحال مُمَلْمَلو نَ(٥) وسادُهم أكوارُها

فى ليله لم يَنثُ(٦) غـ ـيرَ حديثها سُمّارُها

عجبا لها نُفضتْ إلى سحيقـة(٧) أقطارُها

"بأغوطتين" جبالُها و"ببطن وجرةَ" دارُها

باتت تعاطينى "بنخـ ـلةَ"(٨) نخلةً أشتارُها(٩)

---

(١) الصوار: القطيع من البقر. (٢) المسائح جمع مسيحة وهى ما بين الصدغين إلى الجبهة، وفى الأصل "مسايح". (٣) فى الأصل "كبرتْ" وهو تحريف يعينه قوله "قلّ". (٤) العُرار: الإثم والجناية. (٥) مململون: متقلبون. (٦) ينثُ: يُذِعْ، وقد ورد هذا الصدر فى الأصل هكذا * فى ليلة نث غير * الخ (٧) فى الأصل "سحيفة".

(٨) نخلة: اسم قرية بينها وبين بعلبك ثلاثة أميال، وفيها يقول المتنبي

ما مقامى بدار "نخلة" إلا * كمقام المسيح بين اليهود

(٩) أشتارها: أجنيها وفى الأصل "أستارها".

وتبسَّمت عن بَرقــةٍ عسلُ الرِّضابِ قِطارُها
جمــدَ الحيـا بَرَدًا[١] بها وجرَتْ يذوبُ عُقارها
لم يألُ ناظمُ عِقــدِها نَصحا ولا خمّــارُها
طرقَتْ بسهلٍ والمسا لكُ صــعبةٌ أخطارُها
حَلَبَ البكيَّـة ثم جَــدَّ من الصباحِ نِفارُها
فاذا يدى لم تعتــلِقْ بســوى المنَى أظفارُها
ولقــد رفعتُ طلائحا جُردُ[٢] البطون قِصارُها
ضاقت مباركها وجا لت فوقَها أســتارُها
"نجدا" تُغرِّبُ، والهوَى "بحجَّــرٍ" أمّارُها
وعلى الربيئــة أشعثٌ صَدٌّ عليــه غُبارُها
ذو شَمْـلةٍ سَمَــلٍ[٣] يُحا لُطُ جــلدَهُ أطمارُها
طابتْ [له][٤] صحراءُ "صا رةَ"[٥] أثلُهـا وعَرارُها
يرعى قلائصَ تُنتــقَى وحصَى[٦] "الأُبَيرِقِ" دارُها
إن ما طلتــه بغُزرِها[٧] نهضت به أعيـارُها[٨]
نظــر الربيعَ بجُهّــدٍ لبقــوله[٩] أوتارُهـا
يا راعىَ البَكَراتِ[١٠] ما "نجدٌ" وما أخبـارُها؟
أوقدْ بذى السَّمُراتِ[١١] لى فقــد آستنمَّ مَنـارُها

(١) فى الأصل "بردانا" وهو تحريف . (٢) فى الأصل "حرر" . (٣) سمل : بالية .
(٤) ليست موجودة بالأصل ويقتضيها المعنى والوزن . (٥) صارة : اسم جبل فى ديار بنى أسد .
(٦) فى الأصــل "حصى" بغير واو . (٧) الغزر : النياق ذوات الدَّر . (٨) أعيار جمع عَيْر وهو الحمار . (٩) بالأصل "لبعوله" . (١٠) البكرات جمع بكرة وهى الفتيّة من الإبل .
(١١) ذى السمرات : ناحية من نواحى العقيق . والسَّمُرلفة : العضاه .

ولو آنها بضلوعِىَ الـ ـعوجاءِ تُذكَى نارُها

إن ينتقِضْ كُرُّ الخطو بِ قُواى وآستمرارُها،

ويردّنى نقدُ العيو نِ تصادفَتْ أبصارُها،

وتقومُ لى بيدَىْ مشيـ ـبِ مَفارِق أعذارُها، (١)

فلربَّ نَضرةِ عيشةٍ (٢) لى صفوُها ونُضارُها

وعَزيبةٍ (٣) من لذّةٍ راحتْ علىَّ عِشارُها

وقضيّةٍ فى الحبّ لم يُمَلَلْ علىَّ خِيارُها

وصقيلةِ الأنيابِ (٤) تُشـ ـرَبُ حُلوةً أسآرُها

تقع الأمانى دون ما تَثنِى بهِ أسحارُها (٥)

بانَت (٦) وذِكرِى طيّبا دونَ الفراشِ شِعارُها

عرَّجتُ عنها مُعرِضا وقد آستقام مَزارُها

وسلافةٍ كدمِ الغزا لِ تُخال مِسكا فارُها

ممّا أعانَ عليه "طِيـ ـبةَ بابلٍ" أنهارُها

غالَى بها السابونَ وآفـ ـتقدَ (٧) البُدورَ (٨) تِجارُها

فى بيتِ نَصرانيّةٍ باسم "المسيح" عِيارُها (٩)

---

(١) ورد هذا البيت فى الأصل هكذا

ويقوبى بيدى بشيب مفارق أعذارها

(٢) فى الأصل "نقارة". (٣) هذه الكلمة بالأصل هكذا "وعرسة". (٤) فى الأصل "الأنبات". (٥) أسحار جمع سَحْر وهو الرئة ويراد بها الصدر. (٦) فى الأصل "بانت". (٧) فى الأصل "واقتعد". (٨) البدور جمع بَدْرة وهى جلد السخلة يسع عشرة آلاف درهم. (٩) العيار: ما جُعل نظاما للشىء يقاس به ويسوّى ويقدَّر، وفى الأصل "عبار".

وَكَتِ[1] القِرافَ[2] بحِجرِها ووِكاؤُهـا زُنّارهـا
ما كستْ كفَّ مديرِها وعلى هواى مَـــدارُها
لما حلَتْ رشَفاتُهـا لم تحـــلُ لى أوزارُها
وســواىَ واثِبُ[3] لذّةٍ تفـــنَى ويبـــقَى عارُها
ما للرجال تروم أشـ ـواطِى الطِّوالَ قِصارُها
أحفيتُ[4] رُسغَ جيادها وتنـــوءُ بى[5] أعيـارُها
سـل ناخســا إبلى بأ ىِّ تدنُّس عَـــوارُها
وحمى بنى "عبد الرحيـ ـم" يحوطُها وجوارُها
فاذا ذراهم بُزْلُهـا مرحـــولة وبِكارُها
أهونْ بباغى ضيمِها[6] يوما وهـــم أنصارُها
والهضـبةُ الملسـاءُ تمـ ـنعُ أن يداسَ خَبارُها[7]
والدوحـةُ العينـاءُ[8] تحـ ـلو للجُناة ثمـارُهـا
ما بات يُفقِرها الندَى إلا "وثَمَّ"[9] يَسـارُهـا
لولا تُـقَى سُــؤّالهـا لاَستُهوِنَتْ أعمـارُها
حلمـاء والكلمُ القـوا ذِعُ[10] مُغضِبٌ عـوّارُها

---

(١) وكت كأوكت بمعنى شـدّت بالوكاء فم القربة ، والوكاء : رباط القربة ، وفى الأصـل هكذا "رسـ". (٢) فى الأصل "الفراق" ولما كانت هذه الكلمة لا تؤدى معنى اضطررنا الى تحويرها فلم نجد ما يحكيها فى حروفها إلا "القراف" وهى أوعية من جلود واحدها قَرْف و إلا "الغراف" وهو المكيال العظيم الضخم ، وكلاهما يؤدّى معنى لا بأس به فى السياق . (٣) فى الأصل "وأبث" .
(٤) فى الأصل "أخفيت" . (٥) فى الأصل هكذا "وبلوى" . (٦) فى الأصل "ضمها" .
(٧) الخبار : ما لان من الأرض . (٨) العيناء : الخضراء . (٩) فى الأصل "وتمّ" .
(١٠) القواذع : الكلمات التى فيها فحش وشتيمة .

ومغامرون إذا الكما ةُ تواكلتْ أغمارُها

عُرْبُ(١) الأكفّ نمتهمُ من "فارس" أحرارُها

سالت أناملهم وشا لت أنفسٌ(٢) ونجارُها

فَحَّالكَ(٣) آفاقُ المعا لى منهُمُ وبحارُها

طاروا بمجدهمُ وقَدْ مر بالنجوم مَطارُها

ركبَ الصعابَ من آبنهم ركَّاضُها مِغوارُها

وحَمَى حقيقةَ مجدهم سَلِسُ القَناةِ مُمارُها(٤)

لاتستباحُ مصونةٌ "وأبو المعالى" جارُها

يقظانُ أسهرَه اذا ذَكَرَ العيوبَ حِذارُها

قَلِقُ العزيمةِ إن حَمِى(٥) صِغَرَ النفوسِ قرارُها

حمَّالُ ألويةِ السيا دةِ ثَبْتُها صَبَّارُها

سبقَ الكهولَ وسِنّه ما آستُذرِعتْ أشبارُها(٦)

وجَرَى فقدَّمه على أقرانه إقرارُها

عجِبوا — وقد لفَّ الجيا دَ الى المدى مِضمارُها — ،

أنَّ القوارحَ أُخِّرتْ وتقدّمتْ أمهارُها

لا تعجبنَّ فإنه أمضى النصولِ طِرارُها!

أعلى الكواكبِ فى المنا زلِ والعيونِ صِغارُها

هى دوحةُ المجدِ التى لا يُخلِفُ آستثمارُها

(١) فى الأصل "غرب" . (٢) شالت : ارتفعت ، وفى الأصل "سالت" .

(٣) فى الأصل "بجال". (٤) الممار : المتردّد فى المطعون . (٥) فى الأصل "حكى".

(٦) فى الأصل "أستارها" .

غدت الرياسةُ مِعصما   فيهـا وأنتَ سِــوارُها

هى خيرُ أهلِ زمانهـا   بيتـا وأنتَ خِيـارُها

إن السماء اذا ســرتْ   معـــدودةٌ أنوارُهـا

كَثُرَتْ كواكبهـا ولـيـ   ـسَ كثيرةً أقمـارُها[1]

بك عمّ وَدْقُ سحابِهـا   جـــودا وتمّ[2] نُضارُهـا

وتشبّثتْ[3] غيظـا بأعـ   ـناقِ العـــداة شفارُها

قادحتَهـا[4] بمحاسنٍ   ما أصلدتْ[5] أيسـارُها[6]

وخـلائقٍ مَلَكَ الهوى   لك باقيـا سَحّـارُهـا[7]

شقّتْ قلوبَ الحاسدين وما يُشَـــقّ غُبارُهـا

كم من يدٍ لك كالغما   م وكالسحابِ غِزارُها

تُرْوَى بهـا حالى ويُد   رَكُ من زمانى ثارُها

وحصينةٍ من حسن رأ   يك لا يُقَصّ صِدارُها

تضـــفُو علىّ ذيولُهـا   وتضـــمّنى أزرارُهـا

ولطيفـــةٍ باتت وقـد   حفّى النـــدى آثارُها

أعيتْ إصابتُهـا وإنْ   لم يُعيِـــنى إكثارُهـا

والأنطياتُ جمالُها الـ   ـمشكورُ لا أقـــدارُها

فِداك مُعْطٍ يبذُلُ الـ   ـنُّعمَى ولا يختارُهـا

[١٦٣]

---

(١) فى الأصل هكذا

كبرت كواكبها وليـــ﴿﴾ـــس كبيرة أقمـارها

وهو تحريف يدلّ عليه البيت الذى قبله .   (٢) فى الأصل "ثم" .   (٣) وتشبثت : تعلقت ، وفى الأصل هكذا "وسست عنقا" .   (٤) فى الأصل "فادحتها" .   (٥) ما أصلدت : "ما صلبت" .   (٦) الأيسار جمع ياسر أو يَسَر وهو السهلُ اللّين .   (٧) فى الأصل "سخّارها" .

ووقتك ريبَ الدهر أيـ ـدٍ عُرفُها إنكارُها
دينارُ جودِك أو ودا دك لى ولا قِنطارُها
وآستأنفت لك عُونها ما أسلفَتْ أبكارُها
تطوِى البلاد ولم تَرِمْ(١) فقطينُها سُفَّارُها
من كلّ طائرةِ الشُّعا عِ اذا آستطار شَرارُها
تصِلُ الكبيرَ ولا يخا فُ ملالةً زَوَّارُها
عذراء يُخلَع فى هوا كَ معَ العفاف عِذارُها
فى أىِّ بيتٍ شئتَ منـ ـها قلتَ : ذا سيَّارُها
سمِعتِ القوافى خلفَها وعنَا لها جبَّارُها
لو ما تقدّم عصرُها وتردّدتْ أدوارُها
ودَّتْ فحولُ الجاهليـ ـةِ أنّها أشعارُها
لو أُنصِفَتْ فوق الطُّرو سِ لأُذهِبَتْ(٢) أعشارُها
فى كلّ يومِ هديّةٍ مستحسَنٌ تَكرارُها
يُروَى لكم بفم التها نِئ صفوُها وخيارُها

* * *

وقال فى غرض له

يا النَّوازِى كبدٍ هاجها "بالبان" من "خنساءَ" تَذكارُ
عاد لها من بعد إقلاعها دينٌ من الحبِّ و إصرارُ
يا قوم، لى من أسرتى قاتلٌ مَنْ لقتيلٍ ما له ثارُ؟

---

(١) تَرِمْ : تفارق . (٢) لأُذهِبت : لذُهِّبَت .

زورة لم تكن بخطّ[١] بنانى ... فى كتاب الآمال إلا سطرا
سَرَقتها لِىَ الحظوظُ "وخَلسا ... ءً"[٢] آستلابا من الزمان وطَرّا
وأبيها ما حفظَها الدهرَ أنكر ... تُ ولكن أنكرتُ بُعدَ المَسرى
جشَّمتْها الأشواقُ فى ساعةٍ شُقّـ ... ـةَ ما تخبِطُ السحائبُ شهرا
فرحةٌ طار لى غرابا بها الليـ ... ـلُ وطارت عنّى مع الصبح نَسرا
ارتجِعْها يا دهرُ لا زلتَ تسترْ ... جعُ لوْما[٣] ما كنتَ أعطيتَ نَزْرا
وتعلَّمْ أنّى بمكرك لا أحـ ... ـفِلُ ممّا ألفتُ منك المكرا
أنكرَ الغدرَ مرّةً منك قلبى ... ثمّ صارت سجيّةً فاستمرّا
لا حَمَى اللهُ حازما غرّه منـ ... ـك سرابٌ شعشعتَه فاغترّا[٤]
كُلُّ بنابيـك ملءَ جنبيك لحمى[٥] ... وتخـذّلْ عنّى متى قلتُ : نصرا
قلّ صبرى على آقتنائِىَ للجـ ... ـد وأمّا عنك الغداة فصبرا
أنت ذاك الذى أمتَّ شبابى ... عَبطةً[٦] وهو ما تَملّى العمرا
ورددتَ العيونَ عنّى وقد كنـ ... ـتُ لها الكحلَ حائصاتٍ[٧] خُزْرا[٨]
صار عِهنًا تحتَ المراحل ينقا ... دُ وقد كان عاصىَ النّبت شَعْرا
ومشَيتَ الضَّراءَ[٩] كيدا لأحبا ... بى فريعُوا فى الأرض شَلًّا[١٠] ونَفْرا[١١]
صُدِعُوا مَطرحَ الزُّجاج تَشَظّى ... وتداعَوْا عطَّ[١٢] الأديمِ[١٣] تَفرَّى[١٤]

---

(١) فى الأصل "يكن يخط". (٢) الطر : السوق الشديد. (٣) فى الأصل "لوما". (٤) فى الأصل "فاعتمرا". (٥) فى الأصل "تحمى". (٦) عبطة : نحرا من غير علّة، وفى الأصل "غبطة". (٧) حائصات : حائدات ما ثلات، وفى الأصل "خائضات". (٨) خزرا جمع خزراء، وهى العين بها صغر وضيق. (٩) الضراء : الأستخفاء، من قولهم للرجل يختل صاحبه : هو يدب له الضَّراء، ويمشى له الخَمَر. (١٠) الشلّ : الطرد، وفى الأصل "سلّا". (١١) النفر : النفور. (١٢) العطّ : الشقّ. (١٣) الأديم : الجلد. (١٤) تفرّى : انشقّ.

أرى دَمِي يقطُــــرُ من أنمـلٍ شـفارُها مُؤُقٌّ[1] وأشـفارُ[2]

ظَبٌي رخيمٌ، لفظـــهُ ناسكٌ وطرفُـــه الفـاتكُ عيَّارُ[3]

ضَعُفتُ تحت الغمز من عاجمٍ يصرَعُ لبِّي وهـــو خَـوَّارُ

أصبحتُ عبـدا بآختياري له "وفارسٌ" قومىَ أحـــرارُ

يا موتُ نفسى لك إذ أعرضتْ "خنساءُ" أو شطّت بها الدارُ

خوّفنى بالنـارِ فى وصلها قـــومٌ وفى هجـــرانها النـارُ

✦

✦ ✦

وكتب الى صـــديق له من الكُتّاب يشكره على موقفٍ وقفه فى حاجةٍ له رضىَ سعيَه فيها، ويتألّم لفقد جماعةٍ من إخوانه، ويهنّئه بالمهرجان

حيِّهـا أوجُهًا على "السَّفح" غُرًّا وقِبابا بِيضـا ونُوقا حُمـــرا

ورماحا دون الحبائب يهـــزَزْ نَ ويَحطمنَ فى الكتائبِ كسرا

وسراحينَ[4] كالحصونِ جيـادا تملأ الحُـــزْمَ[5] مُهرةً أو مُهْـــرا

يَتَمارحنَ فى الحبـالِ فينقُضـ ـنَ فتيلًا[6] منهـا ويقطعنَ شَزْرا[7]

وقِرّى بعضُـــه الوصالُ اذا أ. ـسى لها جَفنـــةً وزجْرَ قِـدْرا

آهِ للشـــوقِ[8] ما تأوّهتُ منـــه لليـالٍ "بالسفح" لو عُدْنَ أخرى

كُنّ دُهمـا مرـ الدآدى وقد كُنّ بتلك الوجـــوه دُرْعًا[9] وقُمـــرا[10]

---

(١) مؤق جمع مأق وهو مجرى الدمع من العين أو طرفها مما يلى الأنف . (٢) أشفار جمع شَفْر وهو أصل منبت الشعر فى حرف الجفن . (٣) العيَّار : الذى يخلّى نفسَه وهواها لا يروّعها ولا يزجرها . (٤) السراحين : الذئاب واحدها سرحان وتشبَّه بها الخيل فى سُرعة العـدْو . (٥) الحُزْم جمع حِزام . (٦) فى الأصل " فينقصن " . (٧) الشزر : فتل الحبل عن اليسار وهو أشدّ لفتله . (٨) فى الأصل " الشوق " : (٩) الدرع جمع الدرعاء وهى الليلة يطلع قمرها عند الصبح . (١٠) القمر جمع قمراء وهى الليلة المقمرة .

حيثُ لا تظفَــرُ الوشاةُ بأسرا ... رِى اذا ما الصــباحُ أعلنَ سِرّا

فاذا ما العــذولُ قال : عِقـابًا ... فى ذنوبى، قال الصِّبا : بل غَفْرا

أجتنيهـا رَيْحـانةَ العيشِ خضرا ... ءَ وتُمسى فيهـا المُــنَى لِىَ خُضْرا

يا مَغانِى "الحمى" سُقيتِ، وما ينـ ... ـفعُنى الغيثُ أن يجــودَكِ قَفْرا

أىُّ عين أصابتِ الدارَ؟ أقذَى ... اللهُ بعـــدِى أجفانَهـا وأضرّا

عَرِيَتْ من ظبائها [الآنساتِ الـ ... بيضِ] وآعتاضتِ الظِّبـاءَ العُفْرا[1]

لاتراها تُطـــيلُ بعد النوى غصـ ... ـنًا ولا جــوُّها يُتمِّمُ بـدرا[2]

غيرَ حُمٍّ[3] مِن القطا جاثماتٍ ... كنَّ جُونًا[4] فعدنَ بالرَّهْجِ[5] كُدْرا[6]

وبقـايا مواقفٍ تصـــفُ الجو ... دَ أباديدَ[7] فى يدِ الريحِ يُذْرَى[8]

قَلِّبـــوا ذلك الرَّمادَ تُصيبوا ... فيـــه قلبى إن لم تُصيبوا الجمـــرا

ما لدهرى قضَى الفــراقَ عليها ! ... عـــذَّبَ اللهُ بالفـــراقِ الدهرا

أُنظرا لى ــ وقبلُ كنت بصيرا ــ ... يا خليلىَّ بين "جوّ" و"بُصْرى"[9]

أوميضٌ سَرَى فشــقَّ قميصَ الـ ... ليلِ أم [ذاك][10] طيفُ "سُعْدَى" تَسَرَّى؟

زار وهْنا ــ لا يُصغِرِ اللهُ ممشا ... هُ ــ وحَيَّـا فــزاده الله بِرّا

بشَّرتنى مقـــدِّماتٌ بـــه يحـ ... ـمِلُ فيهـا ذيلُ النسيمِ العِطــرا

وآعتنقنا وليس همِّى سوى مسـ ... ـألةِ الليــلِ أن يُميتَ الفجرا

---

(١) ورد هذا البيت فى الأصل هكذا

عريت من ظبائهـا الأُ نُـ ـس وآعتاضت الظباء العفرا

وقد آحتفظنا بمعناه حين آضطررنا الى آتزانه . (٢) فى الأصل "نذرا" . (٣) حمّ جمع حمّاء وهى السوداء . (٤) جونا : بيضا . (٥) الرهج : الغبار . (٦) كدر جمع كدراء وهى التى بها غبرة . (٧) أباديد : متفرقا : يذرى : يبدد، وفى الأصل "نذرا" . (٨) جوّ : اسم لناحية اليمامة . (٩) بصرى : من قرى بغداد قرب عكبراء، وفى الأصل "بين جوّ بصرى" .
(١٠) هذه الكلمة ليست فى الأصل .

قَسمتهم يــدُ الشتاتِ فشطرا للتنائى وللنــوائبِ شطــرا
فكأن الأرضَ الحَولَ أبتْ أن يجِــدوا (١) فوقَها لرِجلٍ مَقَــرّا
خولسوا من يدِى غصونا رطيبا تِ وغابوا عنّى كواكبَ زُهْرا
أقتضيهــم مطْلَ الإيابِ وقــد وفّى الفــراقُ الوشيكُ فيهــم نَذْرا
صحِبَ اللهُ راكبين الى العــزّ طريقًــا من المخــافة وَعْرا
سمعــوا هَتفةَ الخمُــول فطاروا يأخذون الأرزاقَ بالسيف قَهرا
شربوا الموتَ فى الكريهــة حُلْوًا خوفَ يومٍ أن يشربوا الضيمَ مُرّا
طَرَحوا حاجَهــم وراءَ متــونِ الـ ـخيلِ ركضا والسمهريّة (٢) جَرّا (٣)
كلُّ عجــلانَ خَطْهُ لأخيــه : العَــلاءَ العــلاءَ إن كنتَ حُرّا
يمــلأون الحُبَـا جُلوسًـا فإن ثا روا ملأتَ الفضاءَ (٤) بيضا وسُمرا
واذا آســتُصرخوا لعضّــةِ عامٍ ركبوا الجودَ يطــردون الفقــرا
لا يبالى الجـيرانُ ما أطاقوا الأيـ ـمانَ (٥) أن تُمسكَ السماءُ القَطــرا
إخوتى من بنى الوفاء ورهطى يومَ أغزو الملوكَ من آلِ "كسرى"
غادرونى فــردا ومرّوا مع الأيـ ـام ، والحظُّ بعدَهم أن أمُرّا
أتشكّى القــذَى بمقــلةِ حيرا نَ عليهــم الى ضــلوعٍ حَرّى
ليتَ شِعرى بمن أُعوِّضُ عنكم يومَ آبى ضيمـا وأدفعُ عُســرا ؟
فســدَ الناسُ بعدكم فآستوى فى الـ ـعيش مَن سرّنى نفاقا وضَرّا
ونجا بى ما شئتُ يأسِى منهم ، نال خيرا من ظنَّ بالنـاس شرّا
وبلى ! قــد أنادنى الدهرُ خِلًّا لَمَّ شَــعثى وشَــدّ منّىَ أَزْرا

(١) فى الأصل "تجدوا" . (٢) السمهريّة : الرماح . (٣) فى الأصل "حرّا" .
(٤) فى الأصل "الفضل" . (٥) الأيمـان جمع اليمين من الأيدى . وفى الأصل "ما أطاقوا أيمـان" .

واحـــدا أعلقتْ يدى غلطةُ الأ ـ يـ ـام منـــه حبـــلَ الوفاءِ المُمَـرّا[١]

أَلمعيًّـا رأى بعـــينِ ابنِ ليـــلٍ[٢] خافيًـا من مَحاسنى مستسِـــرّا[٣]

فاقتنـانى تغنُّما واقـــتراطا واستبـانى قـــولا لطيفـا وبِرّا

وتحـــرَّى تفضُّلا أن يرى الفضـ[٤] ـلَ مضاعا، والحرُّ من يتحرَّى

صَدَقتْ فى "أبى طريف" ميامينُ ظنونى وقـــد تعيَّفن زَجْرا

وتجلَّت غشـاوةُ الدهرِ عن قلـ ـبى وفكَّتْ عنِّى الليـالى الحَجْـــرا

وأتانى يتـــوبُ من ذنبـه الدهـ ـرُ احتشـاما له وكان مُصِـــرّا

ألحقَتْنى به غريبـا من الآ مال قُـربَى تُعَـــدُّ صِنْوا وصِهرا

فتحـــنَّى لهـا ورقَّ عليهـا ورأى الدهرَ عقَّ فيهـا فـبرَّا

وصَــــلَ الـــودَّ لى بآخيّـة[٥] الجا ه فكانا[٦] عُجـالةً[٧] لى وذُخـــرا

وأتاه صـــوتى فنبَّـــه منـــه "عُمَرًا" حين نبَّهَ الناسُ "عَمْرا"

شيمةٌ منك يابن "باسلَ" فى السؤ دَدِ لم تُعتَسَـــفْ عليهـا قَسرا

وعروقٌ زَكَى ثراهنّ فى المجـ ـدِ فأرعَى نبـاتُهن وأثْـــرى

طاب مَجنـاكَ فاهتصرتُك وَرْدا لـــيِّنَ الغصنِ واعتصرتُك خَمـرا

كان نصرى عليـك دَيْنا فمـا كنـ ـتَ بغـــير القضاء منـــه لتَبْرا[٨]

نَدبَتْـــك العُـــلا له فتجـــرّدْ تَ حسـاما فيه وقمتَ هِزَبْرا[٩]

(١) الممَرّ : الحبل المفتول فتلا شديدا . (٢) ابن ليل : تقوله العرب لصاحب الغارات وللذى يسير الليل ولا يهوله لقوته وجسارته ، قال الراجز

ما ذا يريعُ الليل من أهواله ※ إنى أنا ابن الليل وابن خاله

وله معان كثيرة غير ما ذكرناه لا تناسب السياق .

(٣) مستسرا : متواريا . (٤) فى الأصل "برى" . (٥) الآخية : العروة ومن معانيها أيضا : الحرمة والذمة . (٦) يريد بهذه التثنية : الود والجاه . (٧) العجالة : ما يتزوده الراكب مما لا يتعبه أكله وهو هنا مجاز . (٨) يريد لتبرأ . (٩) الهزبر : الأسد .

مِلّةٌ فى الوفاء ضيَّعها النا ... سُ وأحييتَها سَناءً[1] ونخرا[2]
ولسانٌ فى الحمد كان عقيما ... قبلُ أولدتَهُ ثناءً وشُكرا
فتأهّبْ لوافداتِ القوافى ... يعتملنَ الدُّجى وما كُنَّ سَفْرا
ضارباتٍ فى الأرض طولا وعرضا ... وهى لم تلقَ جانبا مغبَرّا
حاملاتٍ لحُرِّ عرضك من بحـ ... ـر ضميرى ملءَ الحقائب دُرّا
كلّ غراءَ تجتليها على شـ ... ـطك فى الحسن ثيّباً أو بِكرا
لم أكلِّفك أن تسوقَ مع الرغـ ... ـبة فيها سوى المودةِ مَهرا
وبحقٍّ لم ينشرح لك صدرى ... بمديح حتى ملأتَ الصدرا
ورآك الشِّعرُ العزيزُ على غيـ ... ـرك كُفئاً فلانَ شيئا وقَرّا
كم عظيمٍ أبَى عليه وجبّا ... رٍ ثنَى عنه جيدَه وأمرّا
فتهنَّ انقيادَه لك واعلمْ ... أىَّ طِرْفٍ جعلتَه[3] لك ظَهرا
والبس المهرجانَ حُلّةَ عزٍّ ... لستَ من لُبسها مدى الدهر تعرَى
طاعنا فى السنين تطوى عليهـ ... ـنَّ [طوالَ][4] السنين عصرا فعصرا
واعلُ حتى أراكَ أشرفَ كعبًا ... من مكان السُّهَى وأنبَهَ ذِكرا

* * *

وقال وقد بلغه عن الرئيس أبى القاسم هبةِ الله بن علىّ بن ماكولا ذِكرٌ جميلٌ، وتقريظٌ لشعره، وتشوّقٌ الى رؤيته، وكان مقيما بالبَطِيحة، يتقلّدها وواسطَ حرْبا وخراجا، وكتب بها اليه

"بالغَور" ما شاء المطايا والمطـرْ ... بَقلٌ ثخينٌ ونميرٌ منهمِرْ
وسرحةٌ ضاحكةٌ وبانةٌ ... غنَّى الربيعُ شأنَها قبلَ السَّحَرْ

(١) السناء: الرفعة والعلو، وفى الأصل "شناء". (٢) فى الأصل "بخرا". (٣) فى الأصل "جلعته". (٤) هذه الكلمة ليست فى الاصل.

وأثرٍ من ظاعنين أجهدوا ... من عيشهم على "الأُثَيلات" الأثر
فَراخ من حبالها وخلّها ... تأخذُ من هذا اللُّبَاخ(١) وتذر
كم المنى تُرعَى لها وكم تُرى ... يُمسك من أرماقها رجع الجِرر(٢)
أمَا تُجَمُّ(٣) لمساقطٍ لها ... يطرحُهنّ بالفلا طول السفر
اللهَ فيها(٤) إنها طُرْق العلا ... وعُدّةُ المرء لخيرٍ ولشرّ
ظهورُها العزُّ وفي بطونها ... كنزٌ لليل الطارقين مدّخر
نعم لقد طاولها مِطالُنا ... وحان أن يُعقبها الصبرُ الظفر
"فالغورَ" يا راكبها(٥) "الغورَ" إذن ... إنْ صدق الرائدُ(٦) في هذا الخبر
لسًّا(٧) وخضما(٨) أو يعودَ تامكا ... ألغاربُ التامكَ(٩) والجنب المُعَرّ
وإن حننتَ "للحمى" وروضه ... "فبالغضا" ماءٌ وروضاتٌ أُخَر(١٠)
هل "نجدُ" إلا منزلٌ مفارقٌ ... ووطنٌ في غيره يُقضى الوطر
وحاجةٌ كامنةٌ بين الحشا ... والصدر إن ينبِض لها البرقُ تُثر
يادين قلبي من صَبًا نجديّةٍ ... تجري بأنفاس العِشاءِ والسَّحر
اذا نَسيتُ أو تناسيتُ جَنَتْ ... على "بالغور" جنايات الذِّكَر

---

(١) اللباخ بضم أوّله : شجر عظيم معروف باللبخ . (٢) الجرر جمع جِرّة وهي ما يخرجه البعير من بطنه ليمضغه ثم يبلعه . (٣) تجم : تُترك ولا تُركب لتقوى . (٤) الله فيها بمعنى اتقوا الله فيها . (٥) في الأصل "يا راكبنا" . (٦) الرائد : الرسول الذي يرسله القوم لينظر لهم مكانا ينزلون فيه ، ومنه قولهم : "الرائد لا يكذب أهله" . (٧) اللسّ ، أن تأخذ الدابة الكلأ بطرف لسانها . (٨) الخضم : الأكل بأقصى الأضراس . (٩) التامك الأولى : بمعنى الناقة العظيمة السنام ، والتامك الثانية بمعنى السنام والغارب هنا بمعنى الفاتر أو الذاهب ، والجنب المعر : الذي أصابه العر وهو الجرب ؛ فيكون معنى البيت أنّ الذي ذهب سنامه لهزاله والذي أصابه العرّ من طول السفر اذا وصل الى الغور أكب على اللس والخضم لكثرة المرعى به فيعود عظيم السنام بعد هزاله (١٠) في الأصل "أخر" .

آهِ لتلك الأوجهِ البيض على ... "رامَة" فى تلك القُبَيْبات الحُمُرْ

يـنزو بجنبىّ متى غـنّى بها ... قلبٌ متى ما شربَ الذكرى سكِرْ (١)

كنّا وكانت والليالى رطبةٌ ... بوصلنا والدهرُ مقبولُ الغِيَرْ

أيّام لا تُدفع فى صدرى يدٌ ... ولا يُطاع بى أميرٌ إن أمَرْ

وعاطفُ العيون لى وشافعى (٢) ... ذنبى اليها اليومَ من هذا الشَّعَرْ

وَسْمًا رجعتُ مهمِلا غفلاتِه ... اذا البهامُ نصَّعتهنّ (٣) الغُرَرْ

ما خِيلَ (٤) لى أن الدرارىّ (٥) قبله ... يُنكرها سارى الظلام المعتكِرْ

قالوا : تجمّلتْ (٦) بها غديرةً ... مَرْدَعةً عن الخنا ومُزدَجَرْ

رُدُّوا سفاهى وخذوا وقارَها ... بَيْعَ الرضا، وندَمًا لمن خَسِرْ

رحتُ بها بين البيوتِ أزوَرًا (٧) ... مواريا شخصىَ من غيرِ خَفَرْ

أحملُ منها بقلةً ذاويةً ... بالعيش كانت أمسِ ريحانَ العُمُرْ

ياقَصُرتْ يدُ الزمان شدّما ... تطول فى تلمّى وفى نقضِ المِرَرْ (٨)

عَصًا شظايا ومشيبٌ عَنِتٌ ... ومنزلٌ نابٍ وأحبابٌ غُدُرْ

وصاحبٌ كالداء إن أبديتُه ... عَوَّرَ وهو قاتل اذا أُسِرّ (٩)

أحمله حَمْلَ الشَّغا (١٠) نقيصةً ... وقلّةً ما زاد ألَّا (١١) وكثُرْ

يُبرزه النفاقُ لى فى حُلّةٍ ... حبيرةٍ من تحتها جِلدُ نَمِرْ

(١) فى الأصل " شكر " . (٢) يشير بذلك الى سواد شعره وهو فتىّ . (٣) نصّعتهن : جعلتهن نواصع ، وفى الأصل " تضعتهن " . (٤) فى الأصل " حيل " . (٥) فى الأصل " التشاكى " ولا معنى لها هنا مطلقا وهو من تشويه النسخ ، وقد رجحنا كلمة " الدرارى " لأن الشاعر يريد تشبيه ما ابيضّ من شعره بالنجوم فى الظلام الدامس ، وكثيرا ما طرق هو وغيره من الشعراء هذا المعنى . (٦) فى الأصل "تحملت" . (٧) الأزور : المائل ، وفى الأصل "أزوزا" . (٨) المرر جمع مِرّة وهى طاقة الحبل . (٩) فى الأصل " سر " . (١٠) الشغا : الزيادة فى الأسنان . (١١) ألّا : صفاء وبريقا .

مبتسمٌ والشــرُّ في جــلاقِــهِ خَفْ كيف شئت أرقا اذا كَثَرْ
لأنفضنَّ النـاسَ عن ظهـرى كما قَطَّرَ(١) بالراكبِ مجـلوبٌ عُقِــرْ
فَرْدًا شِـعارى لا مساسَ بينهـم منفَرِدَ الليثِ وإن شئتَ القَمــرْ
نفسى حبيـبى وأخى تقنُّـعى وربّمـا طـرَّقتِ الدنيـا بحُـرّْ
إن يكُ يأسٌ فعسى غائبــةٌ تَظهرُ، والنارُ كمينٌ فى الحجــرْ
قـد بشَّـرتنى بكريم هَبَّـةٌ بمثلهـا ريحُ الجَنــوبِ لم تَـثُرْ
تقـول لى بصوتهـا الأعـلى ضُحًى وبالنسيم فى الدُّجى الحـلوِ العَطِرْ:
إنَّ فَـتَى "مَيسانَ" دون داره [قد](٢) بَقِيَ المجـدُ وحيدا وغَــبَرْ
يعرفُ ما قـد أنكر الناسُ من الـ ـفضــل ويُحيِى فى العلا ما قد دَثَرْ
وأنه — جرى بخيرٍ ذكرُهُ — حقّ وقـد عُرِّض باسمى وذُكِرْ
وعَلِقَتْ بقلبــه ناشــطةٌ مرّت عليــه من بُنَيّاتِ الفكَرْ(٣)
فمن هـو الراكبُ ملسـاءَ القَـرا(٤) مُصْمَتَةَ الظهــر(٥) ببطنٍ منقعِرْ؟
رفَّعَ ذُناباها وخفَّضَ صـدرَها مُشرِفـةَ الحارك(٦) وقَصـاءَ(٧) القَصرْ(٨)
تحـدو بها أربعـةٌ خاطفــةٌ تُحى عليها أربعٌ منها أُخَـرْ(٩)
اذا المطـايا خِفنَ إظماءَ السُّرى فربُّهـا من شَرَقٍ على حـذَرْ
يعــدُّ أبــراجَ السماء عَنَقًا فى مثلهـا تصــعُّدا ومنحـدَرْ
يرفعُ عنهـا حدَبَ الموج اذا آسـ تنَّتْ(١٠) صناعُ الرِّجْلِ(١١) فى خوضِ الغمَرْ

(١) قطّر: ألقى، وفى الأصل "فطر". (٢) ليست بالأصل. (٣) بنيّات الفكر: الخواطر. (٤) القرا: الظهر. (٥) يشير بذلك الى السفينة. (٦) الحارك: أعلى الكاهل. (٧) الوقصاء: القصيرة وهو وصف خاص بالعنق. (٨) القصر: أصل العنق اذا غلظت. (٩) يشير بذلك الى المجاديف. (١٠) استنّت: اضطربت. (١١) صناع الرجل: الحاذق فى العمل برجله ويقابلها "صناع اليد"، وفى الأصل "صناع الرخل".

لو لم يلاطفها على اعتسافه بخُدعةٍ من اللّيان لم تسِرْ:
إسلَمْ وسِرْ وليس إلا سالما مَن راح فى حاجةٍ مثلى أو بَكَرْ
قُلْ " لأبى القاسم " : يا أكرمَ مَنْ طُوِى اليه دَرْجُ أرضٍ أو نُشِرْ
وخيرَ من مُوطِلَ جفنٌ بكَرى فى مدحه فلم يضعْ فيه السَّهرْ
وابنَ الذى قيل : إذا ولَّى عن الـ دنيا تولَّتْ بعده على الأثَرْ
وآستشرفَ الملوكُ من عطائه والخلفاءُ ما آستعزَّ واحتقرْ
ومَنْ تكونُ " الكَرَجُ "(١) الدنيا بأن أُوطنَها " وعِجْلُ "(٢) ساداتُ البَشَرْ
لو لم يكن إلا " آبنُ عيسى "(٣) لكُمُ فخرا كفى ملءَ لسان المفتخِرْ
ساقِى العوالى من دمٍ ما رَوِيَتْ وعاقرُ البُدْنِ وعاقِرُ البِدَرْ
ناصبتم الشمسَ بجدِّ سيفه ودستُمُ بسعيه حدَّ القمَرْ
وصارت الشمسُ تُسمِّيكم به أنجادَ "عدنانَ" وأجوادَ "مُضَرْ"
مضى وبقّ سؤرة(٤) المجد لكم ملآى(٥) اذا ما شرب الناس السُّؤَرْ
لكرماءَ آلتقموا(٦) طريقَه وألقوا بينهُمُ تلك السِّيَرْ
وشغَلوا مكانَهُ من بعده كالشمس سدَّ جوَّها الشُّهْبُ الزُّهُرْ

(١) الكرج : مدينة بين همذان وأصبهان وأول من مصّرها أبو دلف القاسم بن عيسى العجلىّ وجعلها وطنه وكان قائدا فى عهد المعتصم كريما ممّدحا مشهورا بالسماحة والشجاعة وله مكان فى الشعر والغناء وهو الذى قال فيه علىّ بن جبلة

إنما الدنيا أبو دلف * بين مغزاه ومحتضرهْ
فاذا ولّى أبو دلف * ولّت الدنيا على أثرهْ

والى هذه الصفات يشير مهيار فى الأبيات التالية كما أشار الى هذين البيتين فى قوله .

وآبن الذى قيل : اذا ولّى عن الد * نيا تولت بعده على الأثر

(٢) عجل : اسم قبيلة . (٣) ابن عيسى : أبو دلف المار ذكره . (٤) السؤرة : البقيّة .
(٥) فى الأصل "ملى" . (٦) التقموا طريقه : نهجوا منهاجه .

زكيّة طينتهـــم ، حـــديدة شو كتهم، طاب حصاهم وكثُرْ
لا يمشّـــون الضَّراء[1] غيـــلةً لجارهم ولا يدبُّـــون الخَمَـــر[2]
كلُّ غلام ذاهبٌ بنفســـه مع العَــلاء إن بدا[3] وإن حضَرْ
إمّا زعيمٌ فيـــلقٍ يطرحهـــم فى لَهَـــواتِ الظـــلم حتى ينتصِرْ،
مغـامرٌ مســـلّطٌ بســـيفه على الردى منتصِفٌ من القَـــدَرْ،
أو تاركٌ لفضـــله من دِينـــه ما عزَّ من سلطانِه وما قَهَـــرْ
عفَّ عن الدنيـا وقـــد تزخرفتْ ممكنةً وعافها وقـــد قَـــدَرْ
محكِّمٌ فى النـاس يقضِى بينهـــم بمُحكَمِ الآيِ ومنصوصِ السُّـــوَرْ

(١٦٧)

فكلّكم إمّا ابن عـــزٍّ حاضرٍ بســـبقه[4] أو ابن عزٍّ مـــدَّخَرْ
وحسبُكم شهادةً "لقاسمٍ" مجـــدُ "أبى القاسم" عينًا بأثرْ
حدَّثَ عنـــه مثلَ ما تحـــدَّثتْ عن كرم الأغصـانِ حلواءُ الثَّمَـــرْ
مواهبٌ فى "هبـــةِ الله" لكم أوفَى بهـا على منـاكم وأبَـــرّْ
يا مســـلفى تبرُّعا من ودِّه سلافةَ الخمـــرِ ووسمِىَّ[5] المطَـــرْ
ومُـــنزلى من شُرُفاتِ رأيه مكانَ يخـــطُّ السهَى ويخـــدِرْ
لبّيك قـــد أسمعتَـــنى وإن يغبْ سمعِى عنـك ففؤادى[6] قـــد حضَرْ
عوائدٌ من الكرامِ عاد لى ميّتهن بعـــلاك ونُشِـــرْ
كم فىَّ من جُرحٍ قـــد التحمتَـــهُ بهـا ومن كَسرٍ عَصَبتَ بجُـــبِرْ
ملكتَ رقِّى وهـــواى فاحتكمْ مِلكَ اليمين لم أَهَبْ ولم أُعِرْ
لَمَّتُ ما خطَّت يـــدُ الكاتب من وصفِكَ لى لثمَ المطيفين الحجَـــرْ

(١) الضراء : الاستخفاء . (٢) الخمر : الخفيـــة ، يقال : "هو يدبّ له الضراء ويمشى له الخمر" لمن يختل صاحبه . (٣) بدا وحضر : أقام فى البادية أو فى الحضر . (٤) فى الأصل "بسيفه" . (٥) الوسمىّ : أول مطر الربيع أو مطر أول الربيع . (٦) فى الأصل : "ففوادى" .

وقلتُ : يا كامنَ شوقِي ثُرْ، ويا قلبىَ إمَّا واقعا كنتَ فَطِرْ

ويا ظَمائى هذه شريعةٌ يدعو اليها الواردين من صَدَرْ

فلو علِقتُ بجناح نهضةٍ حوّم بى عليك سعىٌ مبتدَرْ

ولرأيتَ معَ فرط حشمتى وجهى عليك طالعا قبلَ خَبَرْ

لكنّها عزيمةٌ معقولةٌ (١) تئنُّ من ضغط الخطوبِ والغِيَرْ

وهمةٌ عاليةٌ يحطُّها أَسْرُ القضاء لا يفكُّ من أَسَرْ

وربّما تلتفتُ الأيّام عن لحاجها أو يُقلعُ الدهرُ المُصِرْ

وإن أُقِمْ فسائراتٌ شُرَّدٌ يَزُرن عنّى أبدا من لم أَزُرْ

قواطعٌ (٢) اذا الجيادُ حَبَسَتْ اليك أمراسُ (٣) الجبالِ والعُذُرْ (٤)

كلُّ ركوبٍ رأسَها الى المدى لم تزجُر الطيرَ ولمّا تستشِرْ

نهارُها مختلطٌ بليلها ترمى العشيّاتُ بها على البُكَرْ

تحملُ من مدحكمُ بضائعا يمسى الغبينَ فى سواها من تَجَرْ (٥)

كأنّما حلَّ "اليمانون" بها عطارَ "دارين" وأفواقَ "هَجَرْ"

لم يمضِ من قبلى فمٌ لأُذُنٍ بمثلهنّ موعَبًا ولم يَطِرْ

سلّمها لخولُ هذا الشعر لى ضرورةً، ما سلّموها عن خِيَرْ

شُهْدٌ لمن أحبّكم وأَقِطٌ (٦) وفى أعاديكم سِمامٌ وصَبِرْ

لتعلموا أن قد أصاب طَوْلَكم (٧) مَن عرفَ النعمةَ فيه فشكَرْ

---

(١) معقولة : محبوسة مشدودة بالعقال . (٢) قواطع : تقطع البلاد وتجتازها كالطيور القواطع . (٣) أمراس جمع مَرَس (جمع مَرَسة) وهى الحبل . (٤) العذر جمع عذار وهو الخطام . (٥) تجر : باع وآشترى ، وفى الأصل "نحر" . (٦) الأقط : شىء يتخذ من اللبن المخيض ، يطبخ حتى يمصُل . (٧) الطول : العطاء .

* * *

وقال يرثى الصاحب أبا القاسم بن عبد الرحيم، وقد قتل محبوسا بعد طول الأسر في قرية على شاطئ الفرات من أعمال هيت(١)

مَنْ حاكمٌ وخصوميَ الأقـــدارُ؟ كثُر العـــدوُّ وقلّت الأنصـارُ !

أشْجَى من الدنيا بحبِّ مقلّبٍ وجهين، عُرفُ وفائه إنكارُ

ســـوْمَ الدعىِّ اذا تضرّع ردّه للؤم عرقُ الهُجنــةِ(٢) النعّـارُ(٣)

واذا وَفَى لمنـاىَ يـــومٌ حاضرٌ فأجارَ أســلمنى غدٌ غــدّارُ

أفصخرةٌ يا دهرُ هــذا القلبُ أم هو للهمـــوم الساريات قرارُ؟

فى كلِّ يـــومٍ للنوائبِ شـــلّةٌ(٤) مِن جانبٍ وللهمـــومِ غِوارُ(٥)

ومصائبٌ متحكّماتٌ ليس لى معَهنّ فى بيع النفـــوس خيـارُ

تُجي فأحملُها ثِقـالا مُكرَهـا وكأننى بتجـلُّدى مختـارُ

جرحٌ على جُـــرحٍ ولكن جائفٌ(٦) ضـــلّ الفتائلُ(٧) فيـه والمِسبارُ(٨)

بَخَرَتْ عمائقُه العـروقَ وغادرتْ قَصَبَ(٩) العظامِ وهنّ مُخٌّ رارُ(١٠)

فاغمـــزْ قناتى يا زمانُ فإنّه ذاك المماكسُ طائحٌ خـــوّارُ

كُشِفَتْ لنَبْلك غامضاتُ مَقاتلى وترفّعتْ عن صَفحتيّ الأستـارُ .

وأكلتُ لا خَلَفٌ يردُّ ســـلامتى ذلّا ولا يحمى حمـاىَ جِـــوارُ

---

(١) هيت : بلدة على الفرات من نواحى بغداد . (٢) الهجنة : عدم الإعراق . (٣) النعّار : المصوّت . (٤) الشلّة : المرة من الشلّ وهو الطرد ، يقال : فلان يشلّهم بالسيف أى يطردهم ويكسعهم ، وفى الأصل "سلة" . (٥) الغِوار : الغارة . (٦) الجائف : الطعن أو الداء بلغ الجوف ، وفى الأصل "ذارف" . (٧) الفتائل جمع فتيلة وهى الخرقة تفتل وتراتُ ، وفى الأصل "القبائل" . (٨) المسبار : الآلة يجسّ بها الجرح . (٩) فى الأصل "قصب" . (١٠) الرار : الذائب .

ذهب الذى كانت تجاملنى له الد نيا وتسقط دونى الأخطارُ

ويردُّ فارسةَ الخطوبِ نواصلًا (١) منّى مخالبُهنَّ والأظفارُ

من يشتريني بالنفائس مُغليًا بعدَ "الحسينِ" ومَنْ علىَّ يغارُ؟

ويظلّنى واليومُ أغبرُ مشمسٌ (٢) أنجالُ النكباتِ وهى أوارُ

أم من يضمّ بدائدَ الآمال لى ويُفلّ عنى بأسمه الإقتارُ (٣)

واذا آقشعرتْ (٤) أرضىَ آستصرختُه فاذا لجينُ تُربها ونُضارُ

المخذمُ (٥) البتّارُ أُسقطَ من يدى والغيثُ أقلعَ عنىَ المدرارُ

والصاحب آنتُزعَتْ قوادمُ أسرتى منهُ وهيضَ جناحُها الطيّارُ

فاليوم لا أبتِ الصَّغارَ ولا آعترتْ إلا عبيدًا " فارسُ " الأحرارُ

وتطأطأتْ ذلًّا فطالت ما آشتهتْ شرفًا عليها "يعرُبٌ" "ونزارُ"

كنّا وإن كَرُمتْ نفاخرُها [به] (٦) فالآنَ ما بعدَ "الحسين" نخارُ

لا خفتُ بعدُ ولا رجوتُ وقدثوى فى التُّرب منه النافعُ الضرّارُ

سائلْ بهذا الذَّودِ (٧) يرغو (٨) بكرُه (٩) فى الحىّ : أينَ المُقرمُ (١٠) الهدّارُ

ومتى أخلَّ أبو الشبول بغيلهِ فتناهقتْ من حوله الأعيارُ

يا مُدرَجا فردا تُسَدَّى (١١) فوقه بالقاعِ أرديةُ الثرى وتُنارُ (١٢)

(١) فى الأصل " فارسه " . (٢) ورد هذا الصدر فى الأصل هكذا

* ويظل من واليوم مشمس أغبر *

وتصحيحه بما رجّحناه لا يخفى على أهل الأدب واللغة . (٣) الإقتار : قلّة المال والافتقار .

(٤) اقشعرّت : أجدبت . (٥) المخذم : السيف . (٦) هذه الكلمة غير موجودة بالأصل .

(٧) الذود : من الإبل ما بين الثلاثة الى التسعة وهو واحد وجمع كالفُلك . (٨) فى الأصل "يرعوا".

(٩) البكر : الفتىّ من الإبل . (١٠) المقرم : الفحل يترك عن الركوب والعمل للفحلة .

(١١) تسدّى : يجعل لها سَدًى وهو ما مُدّ من خيوط الثوب بخلاف لُحمته . (١٢) تنار : يجعل لها نير وهو آجتماع الخيوط بخلاف السدى ، وفى الأصل " تثار " .

مُلقًى وراءَ نســيَّةٍ ومَضــلَّةٍ تُخفى ضريحَك والقبــورُ تُزارُ
أذللتَ قلــبى للأسَى وتركتنى أتبرَّدُ الزفــراتِ وهى حِرارُ
وحطمتَ آمالى فهنّ ضعائفٌ وقَصَرتَ من همى فهنّ صِغــارُ
أنا من شِفار القاتليك متى ٱلتقتْ من مقلَــتىَّ مع الكرى الأشفارُ
أو قاتُ معتاضا بجارٍ مثــله جارٌ ولا بالدار بعــدك دارُ
و متى صحبتُ العيشَ بعدك باردا والنــاسُ صاروا بى الى ما صاروا
نبــذوا عهودَك آنفــا وتقسَّموا رُمَّتَا بحبــل الخُلف وهو مُغــارُ
ظنُّوا بفقــدك أن يَلُمّــوا شَعثَها يا رُبَّ نقضٍ جَــرَّه الإمرارُ
ورجَوْا بهُلكك أن يخلّد ملكُهم فاذا سلامتُهـــم بذاك بَــوارُ
فعلامَ لم تُشْكَمْ(١) وقــد فغرتْ لهم فلجاءُ(٢) يُنكِرنا بهــا الفــرّارُ
وتفجَّرتْ بالشرّ بعــدك والأذى جنباتُهــا وتداعت الأقطــارُ(٣)
حذِروا السجالَ(٤) يخابطون قَليبَهــا(٥) والحبــلُ(٦) واهٍ والجَبَــا(٧) منهارُ
ودّوا لو آنك حاضرٌ فكفيتَهــا لمــا تــولّى أمرَها الأغمــارُ
ورعَى النــدامةَ حيث لم يشبع بها غاوٍ رماك وآخرون أشاروا
ولّى يفــرُّ ولم يعفها سُــبَّةٌ تَسرى وليس من الحِمامِ فرارُ
سرِدانَ ما آستعروا بجَــرةِ بغيهم ولربَّ باغٍ غــرَّه الأنصــارُ
طرحوا الفراتَ الى الفراتِ فمادرى مُلقَــوك أيُّهمــا له التيّــارُ(٨)

---

(١) تشكم : توضع فيها الشكيمة وهى حديدة اللجام . (٢) الفلجاء : المتباعدة ما بين الأسنان ويريد بها هنا الوزارة من باب المجاز . (٣) الأقطار جمع قطر وهو الجانب . (٤) السِّجال جمع سَجْل وهو الدّلو . (٥) القليب : البئر (٦) فى الأصل " والحال " . (٧) الجبا : نثيلة البئر وهي التراب الذى حولها تراه من بعيد ، وفى الأصل " الحيا " . (٨) فى الأصل " البتار " .

وتعاظموا أن يَقبُروك ومن رأى ... ليثا يُخَطُّ [له الثرى] [1] مِحفارُ [2]
"وأبى العلا" ما كنتُ أعلم قبلَها ... أنّ البحورَ قبورُهنّ بحارُ
ذلّا لبيض الهند بعدك شدّ ما ... غدرتْ ولا سَلِمَ القنا الخطّارُ
ما كان أنكلهنّ عنك لو آنه ... عند السلاح حفيظةٌ وذِمارُ
قتلوك محصورا غريبا لا ترى ... مولًى يَعِزُّ ولا بجنبك جارُ
من خلْفِ ضيّقةِ السماء بهيمةٍ ... يغزو بقلبك بابُها الصَّرّارُ
حفروا الزبى [3] لك فارتديت وإنما ... سلطانُ ليث الغابة الإصحارُ [4]
هلا وفيك الى وثوبٍ نهضةٌ ... ولديك مُتنفَّسٌ [5] وعندك زارُ [6]
وخطاك واسعةُ المَدى تحت الظُّبا ... لا الخيطُ يحبسها ولا المسمارُ [7]
أعزِزْ علىّ بأن تصابَ غنيمةً ... فى القِدِّ [8] يجمعُ ساعديك إسارُ
فى حيث لا يُروَى على عاداته ... بيديك نَصلٌ حائمٌ وغِرارُ [9]
وبمصرعٍ لك لم تشابر دونه ... فوق الأكفّ صوارمٌ وشِفارُ
والخيل صائمة على أشطانها ... قَرِحَى [10] تَقامَصُ خلفَها الأمهارُ
بشِياتها لم يُختضَبْ بدمٍ لها ... عُرفٌ ولم يُبلَلْ عليك عِذارُ
أو أن يكون الجوُّ بعدك ساكنًا ... واليومُ أبيضُ ما عليه غبارُ
ووراء ثأرك غِلمةٌ لسيوفهم ... فى الرَّوع من مهج العدا ما آختاروا
يتهافتون على المنون كأنّهم ... حِرصًا فَراشٌ والمنيّةُ نارُ

(١) هاتان الكلمتان ليستا فى الأصل . (٢) المحفار : الآلة يحفر بها . (٣) الزبى جمع زبية وهى الحفرة ، وفى الأصل "الربى" . (٤) الإصحار : البروز للصحراء . (٥) المتنفد : السعة ، وفى الأصل "متنقد" . (٦) يريد زأر فسهّلت الهمزة . (٧) يشير بذلك الى القيد كما يدلّ عليه البيت التالى . (٨) القدّ : سير من جلد يقيّد به الأسير . (٩) الغرار : حدّ الرمح والسهم والسيف . (١٠) فى الأصل "مرحى" .

حلماءُ فى الحُلّى فإن هم أُغضِبوا طاشـوا لخَنّت[1] فيهـم الأوتارُ

لو صحتَ تُسمعهم وصوتُك فى الثرى لحصوا عليـك وفى السماء لطاروا

خذلوك مضْطَرّين فيك وجمجموا من بعد ما فَصُحت بك الأخبـارُ

وتناذروا أن ينـدبوك تقيّـة[2] فالحزنُ بينهـمُ عليك سِرارُ

إن يُمسكوا فيضَ الدموع فربّما فاضت عيونٌ فى الصدور غِزارُ

أو يجلسوا نظـرا ليوم تشاورٍ فالريثُ أحزمُ ما أرابَ بِـدارُ

ولربّما نام الطّلوبُ بثأره لغـدٍ ولكن لا ينـام الثارُ

وقد اشتفى بعد البسوس "مهلهل" زمنـا وما نَسِيَ الدّمَ "المَـرّارُ"

وعلى "الطّفوْف" دمٌ أطيلَ مِطالُه حتى تقاضَى دَيْنـه "المختـارُ"[3]

لا بدّ من يـومٍ مريضٍ جوّه للخيلِ فيـه بالرءوس عِثارُ

متورّدِ الطرفين يكفُرُ شمسَـهُ دَجْنٌ له عَـلَقُ الكماة قِطارُ

تَصـلاه باسمك آخذين بحقّهـم عُصَبٌ لهم "عبدُ الرحيم" شِعارُ

فهنـاك يعـلم قاتلوك بأنه ما عُـقّ مَن أبنـاؤه أبرارُ

ويرى عدوُّك — والبقاءُ لغيره — أنّ البقـاءَ وإن أطيـلَ مُعـارُ

وإن اشتفى وحلا بفيه غدرُهُ أنّ اعتقابَ حلاوتيـه مُرارُ

ولقـد يُشـاك[4] المجتنى بمكان ما عجِلتْ يداه ويُـلدغُ المشتـارُ

ولّى بها شـنعاءَ تَذهبُ نفسُـهُ فيها ويَبْـقَى لومُها والعـارُ

---

(١) لخنت : فصوّتت ، والأوتار جمع وتَر وهو شرعة القوس ومعلّقها . (٢) تقيّة : اتقاء وخوفا . (٣) الطفوف : يراد به الطفّ وهو موضع قرب الكوفة قُتل به الإمامُ الحسين رضى الله عنه والمختارُ هو ابن عبيد الثقفىّ وقد قام بأخذ الثأر من قتَلة الحسين فدعا الناس الى محمد بن على بن أبى طالب رضى الله عنه المعروف بابن الحنفيّة . (٤) فى الأصل "يشال" .

درستْ بك السُّنن الحميدةُ وآغتدى ... تَقْـدُ المكارم وهو منك ضِمارُ (١)

هل سائلٌ بك بعدها أو قائلٌ ؟ ... هيهات لا خَبرٌ ولا آستخبارُ !

حتى كأنك لم تقُدْ ملمومةً (٢) ... يُومَى اليك أمامَها ويُشارُ

خرساءَ إلا ما تكلّم صارمٌ ... فى قَوْنَسٍ (٣) أو طَنَّ عنه فقَارُ

تهفو عليك عُقابها (٤) ويضمُّها ... منشورةً لفنائك التَّكرارُ

وكأنّ رأيك لم يلُحْ قَبَسًا اذا ... عَميتْ عشايا الرأى والأسحارُ

واذا خِلاط الأمرِ سُدّ طريقُه ... فلديك واضحةٌ له وقرارُ

وكأنّ بابَك لم يكن لعُفاته ... حَرَما يُجير ولا حَمًى يُمتارُ

يأوى اليه المسنتون (٥) ويلتقى ... بفنائه السُّفَّارُ والحُضّارُ

وتبيت تلْغَطُ من وصائل ناقة ... عُشَراءَ عندك بُرمةٌ (٦) أعشارُ

تُصفِى كرائمَها الضيوفَ وتكتفى ... فيما يليك بما آنتَقَى (٧) الجزّارُ

وكأنّ كفّك لم تَبِنْ فى ظهرها ... قُبَلُ الملوك وتشهدُ الآثارُ

ويخفُّ بين بنانها إن حُمّلتْ ... ضبطُ الحسامِ ويثقلُ الدينارُ

بالكره منك وبالمَساءة رَوّحت ... لسوى العُقور على البيوت عِشارُ

وتراجعتْ وخدودُها ملطومةٌ ... بُزْلٌ لقصدك وُجّهتْ وبِكارُ

وغفلتَ لم تسأل ـولستَ بغافلٍـ (٨) ... أنَّى تنكّب بابَك الزُّوّارُ

وتسلّبتْ من فارسٍ أو راكبٍ ... تلك السروجُ اليك والأكوارُ

(١) الضمار : الوعد المسوّف . (٢) الملمومة : الكتيبة . (٣) القونس : مقدّم الرأس أو العظم الناتئ بين الأذنين . (٤) العقاب : الراية وكانت راية النبىّ صلى الله عليه وسلم تسمى "العقاب" . (٥) المسنتون : المجدبون . (٦) البرمة : القِدر . (٧) انتقى : استخرج النِّقْىَ وهو مخ العظام . (٧) فى الأصل هكذا

* وعقلت لم تسأل ولست بعاقل *

ومـــتى أرمَّ[1] المادحون وأكسدتْ من بعــد ما نفقتْ بك الأشعـارُ
أو أن أقولَ فلا تصيخ لقــولتى لو كنتَ متروكا وما تختـارُ[2]
وترى الزمانَ يَضيمنى[3] فيفوتنى من راحتيك حميّــةٌ وغِيـارُ[4]
قد كنتَ حصنا من وَرايَ وكان لى بك من أمامى جُنّةٌ وصِـــدارُ
أيامَ شـــيبى تحت ظلّك نضرةٌ[5] وصِبًا وليـــلى فى ذَراك نهـارُ
وعلىَّ من نُعمَى يديك طلاوةٌ أمشى وتتبعنى لهـا الأبصارُ
قد كنتُ أحسبُ أن بأسَك هضبةٌ لا يســتطيع رُقيَّها المِقـــدارُ
وأقولُ أنّ[6] لسقف بيتك فى العلا عَمَــدًا حبالُ الموت عنـه قصارُ
وإخالُ جودَك نَثْـلةً دون الردى حصــداءَ تمنع فَرْجَهـا الأزرارُ[7]
فاذا الشجاعةُ والسماحـــةُ مَتجَرٌ تزكو بــه الأعمـالُ والأعمارُ
غـــدرا من الأيّام تُفْتِــقُ[8] شمسُها والأرض تورقُ فوقَها الأشجـارُ
ومذلّةً فى السُّحبِ وهى صواحب ليديك تَنزِل بعـــدك الأمطارُ
كم قـــد تعلّلتِ المنى بك ، تارةً أمنٌ وطورا خيفـــةٌ وحِذارُ
وتخالفتْ فيك الرُّواةُ فسرّنى وتلونت بحـــديثك الأخبـارُ
ولقـــد ظننتُ بهـا وراءَ لثامها خـيرًا فكشّفَ قُبحَها[9] الإســفارُ[10]
إن تفتقدْ عينى مثالَك فى العـــلا فبنوك من عَينِ العـــلا آثارُ



(١) أرمّ : سكت . (٢) فى الأصــل "تختار" . (٣) فى الأصــل "يضمّنى" .
(٤) الغيار : الغيرة من الحميّة والأنفة ، وفى الأصل "عثار" . (٥) فى الأصل "نصرة" .
(٦) أقول هنا بمعنى أظنّ . (٧) فى الأصل "الإزار" . (٨) يقال : أفتق قرن الشمس بمعنى أصاب فتقا من السحاب فبدا منه . (٩) فى الأصل "فتحها" . (١٠) فى الأصل "الأشفار" .

سدُّوا مكانَك والشموسُ اذا هوتْ ... مـــلأت مَطارحَ نورِها الأقمــارُ
طِبْ فى الثرى نفسًا فكلٌّ منهـمُ ... ثَمَّ آقــتراحُك فيـــه والإيثارُ
هم ، أنفسا تُدوى[1] عداك وألسنا ، ... ـن جمــرتيك ســلائطٌ وشَرارُ
كانوا السَّراةَ وقد عدِمتَ وبعضُهم ... لأبيــه إن طــرَقَ الحِمــامُ عوارُ
متلاحقين الى العــلاء كأنّهـم ... مُجْــرَوْنَ يجمعُ بينهـــم مِضمارُ
الوفــدُ وفدُك طائفٌ ببيوتهــم ... والحـامـــلُ العبقـاتِ والسُّمَّارُ
تُتلَى عليهم فيــك كلُّ فضيـــلةٍ ... للِبَيْتِ فيهـا النشرُ والتَّــذكارُ
أيدٍ طُبعنَ على السماح وأوجـــهٌ ... فى عتقهـا من دوحيتــك نِجـارُ
هم ما همُ ! ويزينُ مجـــدَ أبيهمُ ... خالٌ لزَندِ المجـــدِ منه سِـــوارُ
ما غِبتَ عنهم وهو شاهدُ أمرهم ... لك منه فيهـــم كافلٌ وظَـــوارُ
فليبـــقَ وليبقـــوا له ما طبّق الـ ... ـآفاق طِيبُ ثنـائك السـيَّارُ
واذا العــزاءُ أتى فــذَلَّ لهم به ... فيك العزيزُ وأسهـــلَ المِعسـارُ
ولقـــد أُسلّيهـــم[2] وفى عِظتى لهم ... جَزَعٌ ورَجْعِ كلامِىَ آستعبـارُ
ساهمتُهـــم عِبءَ المصابِ وكلُّنـا ... تحت التجمُّــل حامـــلٌ صبَّارُ
لا تبعُـــدَنَّ بِلًى ، فقـد فات البلى ... بك أن يُظَنَّ تقـاربٌ ومَزارُ
وسقاكـ إن عطِش القليبُ وماؤهـ ... متبجِّسٌ[3] وقَـــرارُهُ خَـــرَّارُ[4]

---

(١) تدوى : تُمرض . (٢) فى الأصل "أسلبهم" . (٣) منبجّس : متفجّر ، و فى الأصل "متنحس" . (٤) خرّار : له خرير وهو صوت الماء ، وفى الأصل "جرّار" .

متهــدِّلُ الأطرافِ يَمسَحُ بالثرى ... ممـا ترا كَمَ ذيـــلَهُ الجَـــرّارُ
صَخِبُ الرُّعودِ تَهيـــجُ فى جَنباتِهِ ... للعـاصفـاتِ جَرَاجِرٌ[1] وخُـــوارُ
فجَـــرى يجلِّلُ بالحيـا حِيطـانَهُ ... حتى الجَـــداولُ تحتهـا أنهـارُ
يَسقِى بأعذب ماسَقَى حيث التقتْ ... فِلقُ الصفيحِ عليــكَ والأحجـارُ
حتى يُظنَّ ثراك نَشـــوانا به ... دارت عليــه من السحابِ عُقارُ
ويضوعَ منك بطيبِ مافى ضمنه ... فكأنَّ ضارجَ تُربه عطَّـارُ
ونزلتَ حيث تُحَطُّ أملاكُ العـلا ... شـــوقا اليـــك وتُرفَعُ الأوزارُ

تم الجـــزء الأوّل

ويليه الجزء الثـانى ، أوّله قصيدة مطلعها

رعَتْ بين "حاجرَ" والنعفِ "شهرا" ... جَمـــيمًا[2] وعبَّتْ[3] شآبيبَ غُـــزْرَا

(١) الجراجر : الأصوات . (٢) الجميم : النبات الكثير . (٣) عبّت : شربت وجرعت، وفى الأصل " غبّت " .

إصـــلاح خطأ

وقعت فى هذا الجزء أغلاطٌ قليلة نرجو تصحيحَها فى صُحُفِها وهى :

صحيفة	سطر	خطــأ	صــواب
١	١١	وقَذاءُ	وقَذاةُ
٢٧	١٢	المزاح	المِراح
٢٧	٢٠	(٤) الجُرُبُ جمع أجرب	(٤) الجَرِبُ : الأجربُ
٢٨	٢٢	(٩) الأُهَبُ جمع أهبة وهى العدة	(٩) الأُهُبُ جمع إهاب وهو الجلد
٣٠	٦	كاثُرُوا	كاثَرُوا
٤٤	١٥	الزُّنْجِىّ	الزِّنْجِىّ
٤٥	٢١	حجراتهم	حجزاتهم
٤٧	٧	رافدتْ	رادفتْ
٤٧	٩	تُدْمِل	تَدْمَل
٤٧	١٦	شبهُ الأيامَ	شبهةَ الأيامِ
٤٨	٢	حُسنَها	خِمْسَها
٤٨	١٠	رأَمتْ أبواءَها	رُئِمتْ أبواؤُها
٤٩	٩	محداجُها	مخداجُها
٥٠	١٧	دُبو بها	دَبو بها
٥٠	٢٢	(٩) تزمّ : تصوّتُ	(٩) تُزِمُّ : تَسكُتُ
٨٨	٨	أبى الحسين	أبى الحسن
١٥٥	٢٠	(٣) الُرَّة : الحجارة السود	(٣) الحَرَّة : الأرض ذات الحجارة السود
١٥٧	٢١	(٦) لأذَمَتْ : لأعيت	(٦) لأرمَّتْ : لسكتَتْ
١٧٥	١٧	وُرقاء	وَرقاء

(مطبعة الدار ٩٢/١٩٢٤/٣٠٠٠)

دار الكتب المصرية

القسم الأدبى

ديوان مهيار الديلمى

الجزء الثانى

[الطبعة الأولى]

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٤٥ هـ — ١٩٢٦ م



قوافي الجزء الثاني من ديوان مهيار

(ملحوظة) ليس للشاعر قواف من حروف الزاى والشين والظاء والغين .

*

الجزء الثاني

من ديوان مهيار

صحّحنا هـذا الجزء بالطريقة التى صحّحنا بها الجزء الأوّل ، وهو لا يقلّ عناءً فى تصحيحه عن سابقه ، ويتبيّن ذلك من التصويبات الموضوعة فى أواخر الصحف ومن الأمثلة التى آخترناها للدلالة على مبلغ ما فى هذا الجزء من تحريف ، ونقلنا صفحتين فتوغرافيّتين لتكونا نموذجا لباقى الصفحات ، إحداهما صفحة (٢١٦) التى طُمست أوائلُ أبياتها طمسا تامًّا أو بقى من كلماتها أواخر حروفها ، فأوجدنا أخرى غيرها تتفق مع سياق البيت ومع ما بقى من حروفها الأخيرة ووضعناها بين هـذه العـلامة [ ]

وقد توسّعنا فى الشرح بقدر ما يحتمله المقام ، عملا بإشارة كثيرين من ذوى الرأى والعلم والأدب ، وفى مقدّمتهم حضرة صاحب العزة "محمد أسعد برّاده بك" مدير دار الكتب المصرية شاكرين له تعهّده إيّانا بإرشاده وسداد رأيه ؟

أحمد نسيم

بدار الكتب المصرية

*

أمثـــلة

من كلماتٍ محــرّفة

صحيفة سطر

الأصل : أمنتك يا "قران" وربّ يوم حذرت لو آنه نفع الحـــذارُ

٦ ١٠ صوابه : أمنتك يا "فراق" وربّ يوم حذرت لو آنه نفع الحـــذارُ

* * *

الأصل : ترى "الـــووق" الزاكيا ت من شـفافات الثمـرْ

١٤ ٨ صوابه : ترى "العـــروق" الزاكيا ت من شـفافات الثمـرْ

* * *

الأصل : يأوى الى "بديعــة" من عزمه تطلعه قبـل الورود الصـــدَرا

٢٧ ١٤ صوابه : يأوى الى "بديهــة" من عزمه تطلعه قبـل الورود الصـــدَرا

* * *

الأصل : والأمر فيكم؛ لا يطاع "لفى" زُورٌ ولا يراقب آسمٌ مفـــتَرَى

٣٢ ٢ صوابه : والأمر فيكم؛ لا يطاع "لقبٌ" زُورٌ ولا يراقب آسمٌ مفـــتَرَى

* * *

الأصل : ولكن تطالَلْ بعين النصـيح لعـلّك "مشـــتفر" تنظـرُ

٣٣ ١١ صوابه : ولكن تطالَلْ بعين النصـيح لعـلّك "مستشرفا" تنظـرُ

* * *

الأصل : "فتحلِم" فى ربوعك أو تسدّى خمائلَ تأسر الطـرفَ الطليقا

٣٥٦ ٩ صوابه : "فتُلحِم" فى ربوعك أو تسدّى خمائلَ تأسر الطـرفَ الطليقا

أمثـــلة

من أبياتٍ سقط بعضُ ألفاظها

صحيفة	سطر		
		الأصل : فإن تقتنوها بالجميل ..... لكم	حصونا على الأحساب من أنفَس الذخرِ
٢٥	٥	صوابه : فإن تقتنوها بالجميل [بنت] لكم	حصونا على الأحساب من أنفَس الذخرِ
		الأصل : ودونها من أسلاتِ عامرٍ	جمـــرة ... ... لا تبوخ نارُها
٨٨	٣	صوابه : ودونها من أسلاتِ عامرٍ	جمـــرة [حربٍ] لا تبوخ نارُها
		الأصل : وَحفٍّ اذا ماغربت ..... يدًا	فارقـــةٍ أدردَ أسنانَ المشُـطْ
١٥٩	٨	صوابه : وَحفٍّ اذا ماغربت [فيه] يدًا	فارقـــةٍ أدردَ أسنانَ المشُـطْ
		الأصل : والمـالُ أهون أن تُضيعَ لحفظه	إن كنت حرًّا ماءَ ... ...
٢٦٩	١٤	صوابه : والمـالُ أهون أن تُضيعَ لحفظه	إن كنت حرًّا ماءَ [وجهٍ يُنزَفُ]
		الأصل : ورَى أكبادَها بالقاع	جـــوائمُ ما آستتمّ لهنّ خَلقُ
٣٥٧	١٣	صوابه : ورَى أكبادَها بالقاع [زُغبٌ]	جـــوائمُ ما آستتمّ لهنّ خَلقُ

(ملحوظة) نعيد هنا ما قلناه فى الجزء الأوّل : " وآضطررنا الى زيادة طائفة أخرى من الكلمات التى نقصتها الأبيات لتحلّ محلّ المفقود، وراعينا فى ذلك ما يرمى اليه الشاعر، غير جازمين بأنها هى بعينها ، إذ قد تختلف هـذه الكلمات فيما لو وجدت نسخة أخرى، ولكنّا زدناها لتعطى صورة تكيلية فحسب لهذه الابيات فى آتزانها ومعناها " .

أمثـــلة

من كلماتٍ أُهملتْ أو أُعجمتْ خطأً

صحيفة	سطر		
		الأصل : رِباطا لشـملهمُ أن "يشـدّ"	ودعمـا لسقفهمُ أن يخِـرّا
٤	١٥	صوابه : رِباطا لشـملهمُ أن "يشِـذّ"	ودعمـا لسقفهمُ أن يخِـرّا
		* * *	
		الأصل : " وإنمـا " علاقـــة	بين الغـرام والعُمُـرْ
١٢	٥	صوابه : " وأيّمـا " علاقـــة	بين الغـرام والعُمُـرْ
		* * *	
		الأصل : وإما أن "تجيبَ" فلست فيهـا	بأول طالبٍ حُرِمَ اللُّحـوقا
٣٥٤	٦	صوابه : وإما أن "تخيبَ" فلست فيهـا	بأول طالبٍ حُرِمَ اللُّحـوقا
		* * *	
		الأصل : وجادك كسب جودك من "ثيابى"	مواقرَ ترجع الذاوى وريقـا
٣٥٦	٧	صوابه : وجادك كسب جودك من "ثنائى"	مواقرَ ترجع الذاوى وريقـا
		* * *	
		الأصل : و"سلّت" كفّ خطبٍ كان منها	لرتق علائكم وهنٌ وفتقُ
٣٥٩	١١	صوابه : و"شلّت" كفّ خطبٍ كان منها	لرتق علائكم وهنٌ وفتقُ
		* * *	
		الأصل : تخـال صـبغ " النَّفِس" فى	سـنانه صـبغَ العَـلَقْ
٣٦٤	٧	صوابه : تخـال صـبغ " النِّقس" فى	سـنانه صـبغَ العَـلَقْ

استدراك

وقع فى صحيفة ١٣٣ سطر ٢ (يرشح) والصواب (يرسخ) وفى صحيفة ١٩١ سطر ١٦ (يومُ) والصواب (يومَ) وفى الصحيفة عينها سطر ١٧ (حقوقا) والصواب (خفوقا) .

وفى صحيفة ٣١٠ سطر ١٦ (البناء) والصواب (الثناء) [وفى الأصل «الينا»] .

*

... [illegible] سعد بن الكافي

الأوحد [illegible] بن وجود

ن وما ذوفاي حيث أنني بعجلة كم صاح لي تمشي
ن نجني منها نعيما ولم نعرس بفعل الخير غرسا
عز أسها فابعدن فلولا ما شربت شكوت وكسا
ابعه داو نازي وقد كرمت وإن لوما وخسا
[illegible] معزاما شاء غنها وبعضه معجما لكما وحبسا
ذهبا من ذهبا فإنا نسوي في جنبها الدينار فلسا
هنئه البين حتى يقلن لعالما فتقول تعسا
[illegible] الفراق فضن عشرا وان لحا اللقا تبسط خمسا
[illegible] جارعه فإني رأها وحسنه تنحر أنسا
[illegible] لا ورأه الرزق [illegible] منه كنا فوادك منه أقشى
[illegible] عدها من كل ذنب أناخ بساحتي ثقلا وأرشى
[illegible] بن بروجرد وفقو ولا أحد رأى سعدا وخسا
[illegible] نيوب الدهر درداباد وقد تعزن إلى نفسا
[illegible] طاهر أشرف العطايا فلما عوين سنحي ودسا
[illegible] راته فمال غصنا فطيب الفرع لما طاب أسا
[illegible] لدى فلو لوبت خطوت بجود لا الثويزوي [illegible]
[illegible] إبراهيم عاش السماح وقد محاه الدهر درسا
[illegible] مع الجوزا [illegible] تسم عداها الأنعام قطسا
[illegible] حسودها منها بدار إذا [illegible] كسا
[illegible] الحمد انعم تعني فضيح منظرا ما شا [illegible]

تغلي من مغانيها مغان بنا فيها السرور رضا رجلسا
تركت خلالها وزحلت قلبي فلو عذبت قلبي ما أحسا
وبكرم من خنا بر زائر عنق تعوذ بمجلس الندمان عرسا
حضنا ها فما القس عنها خاطبا لحاث القس قسا
وسائرها غنا بعالي به في ظنه وتراه خنسا
وخافقه الفؤاد مشين عليها الانتراب وهي ذنب خمسا
تعون من نواي مختطفان حلين عوالملا ونطق خرسا
تقول عدمت مدعيا هواكم وأصبح يوم بينكم فأمسى
ذريني والنطرح ان بينا اذا هو صار الفا صار خمسا
الا من مبلغ الايام عني وان جلت فما استطع لبسا
وكانت سكرة أقلعت منها علي صحو وذنب السكر ينسى
فتى احيت به الايام ذكري وكان موسدا منهن رمسا
وذاد سماحه الفياض عني ذبابا من صروف الدهر طلسا
أبا سعد بن احمد ما انتمي وبارت سوق اذا التنسب قدسا
وأشرف فاستمدت النوء منه فكنت البدر لما كان شمسا
وطبت يدا فلو أمنت سقاه نفثا [illegible] لمس لعسا
وهب الريح في روح المعالي فطرق وطالما رددن فعسا
وأعراض [illegible] تصونها لأعراض ملسا
[illegible] اليم فنبت سليبا والله يحسا
[illegible] دراعي القرطاس ما استمددت نفسا
[illegible] لما ضاقرد في الس الحمض لبسا

نموذج من الأصل الفتوغرافي

[صفحة (٢١٦) يقابلها صفحة (١٢٨ — ١٣١) من هذه الطبعة]

وقد أفسد الناس المقال فلا ترى لكثرة من يرضى المحال محققا

فعاد بذاك لذة العيش مصبحا

وأعطو ... الزمان محكما

فلو كانت الأيام تنطق أفصحت بما فيك من حسن الثنا ونطقا

وكتب إليه

نموذج آخر من الأصل الفتوغرافي

[صفحة (٢٨٤) يقابلها صفحة (٣١٠ — ٣١٤) من هذه الطبعة]

*

بسم الله الرحمن الرحيم

الجـــزء الثـانى من ديوان مهيـار

تتمــة قافية الراء

وقال وكتب بها الى أبى سعد بن عبد الرحيم وقد عاد من الحجّ

رعَتْ بين "حاجرٍ"[1] "والنّعف" شهرا	جَمـيما[2] وعبّتْ[3] شآبيبَ[4] غُـزْرا[5]
مِـراحًا[6] محلّـلةً عُقْـلُهـا[7]	ترى الخصبَ أوسعَ من أن تُجِـرّا[8]
مكرمةً عن عِصىّ الرُّعاة	فإن كان لا بدَّ ردعٌ فـزجرا
ولا ظُعُنٌ[9] ثَمّ مرحـولةً	تجـرُّ الجنوبَ[10] ولا ضيفَ يُقرى
الى أن غدا الهضـبةَ ابنُ اللّبو[11]	ن — فيما ترَى العينُ — والنابُ قصرا
فكان على ذاك شَمُّ السّـفا[12]	ولسُ[13] الهشـيم[14] وإن كان مُرّا

(١) حاجر والنعف: اسما موضعين . (٢) الجميم: النبت الكثير أو هو ما غطى الأرض .

(٣) عبت: شربت، وفى الأصل "غبيت" . (٤) شآبيب جمع شؤبوب وهو الدفعة من المطر .

(٥) غزرا: غزيرة . (٦) مراحا: فرحى، وفى الأصل "مزاحا" . (٧) العقل جمع عقال وهو ما تعقل به الدابة . (٨) تجترا: تأتى بالجرّة وهى أن يُخرج البعـير ما فى بطنه ليمضغه ثم يأكله ثانية . (٩) الظعن جمع ظَعُون وهو البعيرُ يُعتَمل ويُحمَّل عليـه . (١٠) فى الأصـل "الحبوب" . (١١) ابن اللبون: ولد الناقة اذا كان فى العام الثانى واستكمله وقيل اذا دخل فى الثالث .

(١٢) السفا: التراب . (١٣) اللس: تناول الكلأ بمقـدّم فم الدابة أو بطرف لسانها .

(١٤) الهشيم: النبت اليابس المتكسر .

وماءٍ(١) تَعــرمضُ(٢) أوشـالُهُ(٣) „ ببابــلَ " أشهى اليهـا وأمْرا

بــلادٌ منـابتُ أوبارهـا عليهـا ربَتْ يوم تُنزَى(٤) وتُذْرَى

وأفــلاؤهـا(٥) ومسـاقيطُهـا(٦) تَقـامَصُ فيهـا قَلُوصـا(٧) وبَكْرا(٨)

وتُحمَى بأرماح فــرسانهـا اذا شُلَّت(٩) الإبْلُ طــردا وطَــرْا

وفيهـا الكـواعبُ والمحصَــنا تُ من مقتنيها عَــوانا(١٠) و بِكْرا(١١)

نجــومُ قبيــلٍ اذا ما طلعن أغرنَ النجومَ و إن كنَّ زُهْرا

وكلّ ثقيــلةِ حمــلِ الإزار خفيفــةِ ما ضمَّ عُنْقا وخَصْرا

ترى الغصنَ تحسبه فى النسيم أخاها و إن كُسِيَتْ يوم يعرَى

أمنهـا — وإن نام ليلُ الوشاة وعاد المَواقدُ فى الليل حُمْــرا —

— ومن يصوبُ سرحُ النجوم — : خيـالٌ ألمَّ ولا حينَ مَسرَى؟

ألمَّ بمعتنــقٍ سـاعــديْه يطارح منهـا الأمانىَّ ذِكـرا

فـا رابه من صــعيد „ الغويـ ـر " إلا تحوّلُه الليــلَ عِطْــرا

ولمـا أضـاء الذى حــوله تطلّع يحسَب „ ظمياءَ " بــدرا

فلله „ بابــلُ " نَفـاثــةً و إن ضرّت الحلم سحرا وخمــرا

عــلى أنهـا مــنزلٌ لا يكا د يجمــل فى غالب الأمر حُــرّا

ومزلقـــةٌ بالفــتى لا تكون لذى حاجةٍ وآبنِ فضـلٍ مَقَرّا

الى كم أطامنُ عُنْــق بهـا نُحــولا وأعرُكُ جنبىَّ فقــرا

(١) فى الأصل „ وما " . (٢) تعرمض : تطحلب . (٣) أوشال جمع وشَل وهو الماء القليل . (٤) تنزى : تُنزَف . (٥) أفلاء جمع فلو وهو الجحش أو المهر والمراد بها هنا أولاد النوق . (٦) مساقيط جمع مسقوط وهو الولد يسقط من بطن أمّه . (٧) القلوص : الشابة من الإبل . (٨) البكر : الفتىّ من الإبل . (٩) شُلّت : طُرِدت . (١٠) العوان : المسنة أو النصف من النساء . (١١) البكر : العذراء .

وأتبعُ إلـفى، وحزمى يقــول : وراءَك فى غــير ذا المِصر مِصرا(١)
كفى الناس لؤما بمثـلى يضيـ ـع فيهـم ويطلبُ منهـم مَفَرّا
فَــلِمْ يغـمز الدهرُ حمــلا علىّ ، مالك أبعــدك الله دهـــرا!
أمِن أجل أنى بفضـلى وسعـ ـتُ أهلَك توسعنى منــك شرّا؟
وما زلتُ أحفِل بالغـدرِ منــك وأنكر جـــورَك حــتى آستمــرّا
ولو قــد وفت " لعميد الكفا ةِ " أيّامُــه لم أنل منــك غدرا
إذن لوقتنىَ حصــداءُه منـــه(٢) تُطـــير سهامَك ثَلْمــا وكسرا
وكنتُ أعزّ حِمّى أن أضامَ وأمنعَ فى حَرَم الأمن ظَهــرا
وردّك عــنّى ولا الطود فَــلَّ بكفيك مــنّى ولا الليثُ فــرَى(٣)
عــوائد ما أسلفتْنى يـــداه عــلى نائباتك غــوثا ونصــرا
لئن كنتَ أسحلتَ(٤) فى كفّه من العهد حبــلا فتيلا مُمَــرّا(٥)،
وأصــبحتَ تنهَــدُ(٦) بغيا اليــه بشهباءَ(٧) بيّتَهَـا أمسِ مَكرا،
فــلم تُنجِ(٨) إلا عــلى المكرماتِ ولا هِضتَ(٩) إلا السماحَ المــبرّا،
لغــادر جهلُك قلبَ العــلا خفوقا بهــا وحشى المجــدِ حَرّى
ضممتَ عليـــه جَناحَ العُــقوق فرُحتَ بها قــد تأبطتَ شــرّا
فســل عنه كيدَك يا دهرُ : كيف ثنــاك ثبــاتا وأعيــاك صــبرا!
وكيف حشَدتَ له وآرتقيتَ فلم تســتطع طودَه(١٠) المشــمخرّا!

(١) المصر : المدينة . (٢) الحصداء : الدرع الضيقة الحلق المحكمة . (٣) فرى : قطع وشقّ . (٤) أسحلت : جعلته سحيلا أى مفتولا فتلا واحدا ضعيفا . (٥) الممر : المحكم الفتل . (٦) تنهد : تقصد . (٧) الشهباء : الكتيبة العظيمة الكثيرة السلاح . (٨) فى الأصل " تنخ " . (٩) هضت : كسرت . (١٠) الطود المشمخر : الجبل العالى .

وَفِىٍّ ناهضـا بك حـــتى رددتَ صروفَـــك عنـه رَذايا[1] وحَسرى[2]

وما كنتَ ـ والأَسَدُ الوَرْدُ[3] أنتَ ـ لتُعـــلِقَ بالحـــرِّ نابا وظُفْـــرا

ولكـنّهـا دولةٌ أعرضتْ ودنيـا تَنَقّـــلُ مَرًّا ومرًّا[4]

هو الحظّ يَعقِل من حيث جُـنّ والمـالُ يرجعُ من حيث مَرًّا

وخيرُ بنيـك الذى إن نقصـتَ من حاله آزداد مجدا ونفـــرا

وما كَثّرَ المـرءُ خـيرا له من الحمدِ والحسبِ العِـدّ ذُخرا

اذا سـلم العرضُ عرضُ الكريم وعزّ فـلا وفَـرَ اللهُ وَفْـرا[5]

لعـلّ مُجعجِعِها[6] أن يطيـلَ لهـا فى الأزمّـةِ[7] سَحبا وجَرّا

ويتركـها وسـواءَ الطـريق تسـاقُ الى غايتيهـا وتُجـرَى

فتأتى ويا قربَهـا من مُـنًى يقول لهـا الدهر : صفحا وغَفْرا

مبينا بمـا قـد جـنى تائبـا اليـك بسالِف ما قـد أصرًا

تـرى للنـدامةِ فى صفحتيـه سـطرا مبينا وللذلّ سـطرا

لعـمرى لئن صوّحت[8] دوحةٌ[9] لقـد أعقبت غُصُنًا منـك نَضْرا

وسيعَ الظلالِ[10] عـلى قومـه شهىَّ الجنَى[11] ناعمـا مسبَكِرًا[12]

رِباطا لشَـملِهِمُ أن يشـدّ[13] ودَعْمـا[14] لسـقفِهِمُ أن يخِـرًّا

بك آنتظم العقدُ من بعـد ما تهـاوَى فعطّلَ جيـدا ونَحْـرَا

---

(١) الرذايا : النوق المهزولة الضعيفة وهى هنا مجاز، وفى الأصل "ردايا" . (٢) الحسرى : التى أعيت من السير وكلّت وتعبت . (٣) الورد : من صفات الأسد وهو الأحمر الضارب الى الصفرة . (٤) مرّا ومرّا : تارة وتارة . (٥) الوفر : المـال . (٦) المجعجع : مبرّك البعير ومنيخه . (٧) الأزمّة جمع زمام وهو ما تقاد به الدابة . (٨) صوّحت : يبست وجفّت . (٩) الدوحة : الشجرة العظيمة . (١٠) فى الأصل " الطلال " . (١١) الجنى : ما يُجنَى من الشجر ما دام غضًّا . (١٢) مسبكرّا : ممتدا . (١٣) فى الأصل "يشدّ" . (١٤) الدعم : التقوية .

ضممتَ قواصيَهم بعد ما تعاطَوْا عصا البين صَدْعا وقَسْرا[1]

وكنتَ لهم كأبيك الكريم حُنُوَّ الرءوم[2] وعَطفًا وبِرًّا

فلم يهوِ طودٌ وأنتَ الكثيب[3] ولا مات "زيدٌ" اذا كنت "عَمْرا"

أطافوا بناديك واستحلبوك فأحسنتَ حَوْطا وأغزرتَ دَرًّا

وما ضرَّهم أنهُم يعدَمو ن غيثا وقد وجَدُوا منك أثرى

مَخايلُ كنتُ توسَّمتُها قديما وعيَّفتُها فيك زَجْرا

وأيقنَ صدرِىَ أنّى أراك لأهلك وجها وللناس صَدْرا

بما كنتَ أبعدَهم هِمّةً وأمتنَهم فى المُلمّات أَسْرا[4]

وأضيقَهم عُذْرةً فى السؤال وأوسعَهم ليلةَ القُرِّ[5] قِدْرا

وأجلَى اذا الشُّبُهاتُ اختلط ن رأيا وأمضَى لسانا وأجرَى

أمور اذا اجتمعَتْ للفتى أراد به اللهُ فى العزِّ أمرا

سُدِ اليومَ أبناءَ "عبد الرحيم" فانت غدًا سيّدُ الناس طُرًّا

وثِقْ ببشائرَ تُملَى علىَّ فما كذَّبتْ لِىَ فى الخير بُشرى

أنا ابنُ الوفاءِ الذى تعلمو ن لم أنوِ نَكْثا ولم أطوِ غِمْرا[6]

قسيمُكُمُ إذ أساء الزمانُ كما كان قاسمَكم حين سَرَّا،

حُليًّا على عَطَل المهرجا ن يُعصَبنَ تاجا ويُرصَفنَ شَذْرا[7]

فإن تك وقتا أخلَّتْ بكم فربَّ انقطاعٍ وما كان هَجْرا

ولولا تلاعبُ أيدى النوى بكم ما أغبَّتْ[8] ثناءً وشُكرا

(١) القسر: الإكراه على الأمر. (٢) الرءوم: التى تحنو وتعطف على ولدها. (٣) الكثيب: التلّ من الرمل. (٤) الأسر: القوة. (٥) القر: البرد. (٦) الغمر: الحقد. (٧) الشذر: اللؤلؤ الصغير. (٨) ما أغبت: ما انقطعت.

* * *

وقال يمدح الكافىَ الخطيرَ شرفَ المعالى أبا عبد الله القَنَانىّ[١]، ويهنّئه بالمهرجان، ويشكره على جميلٍ أسلفه إيّاه

متى رُفعتْ لهـا "بالغور"[٢] نارُ	وقرَّ "بذى الأراكِ" بهـا قَرارُ،
فكلُّ دمٍ أراق السـيرُ فيهـا	بحكم السـير مطلولٌ جُبارُ[٣]
فهـل بالطالعين بنـا الثنايا[٤]	أَنـوقٌ[٥] ليـلُ نظـرتِهِ نهـارُ
لعلّك أنْ ترى عيناك قبـلى	مواقـدَ والزفـيرُ لهـا شَـرارُ
وبعضُ المصطلين وإن نآنى[٦]	وأوحـدنى أخو ثقـةٍ وجارُ
يريدُ عـواذلى عنـه آلتفاتى	بآيةِ شطَّ أو بَعُـدَ المـزارُ
وما غَضبُ النـوى عينى عليـه	بأوّل ما طـوى القمرَ السّـرارُ
أمتُـك يا فـراقُ[٧] وربَّ يومٍ	حـذرتُ لو آنه نفع الحِـذارُ
أخذتَ فلم تدع شـيئا عليـه	يُخـاف أسًى ولا يُرجى آصطبارُ
حبيبٌ خنتَنى فيـه ودارٌ	ولَلنّـاسُ الأحبـةُ والديارُ
أمرتَجِعٌ — ويا نَفْسى عليـه[٨] —	"برامة" ذلك العيشُ المُعَـارُ
وثَـوْبُ شبيبةٍ ما فاض حـتّى	تقلّص منـه وآنشـمر الإزارُ
لكلِّ سليبةٍ بدلٌ، وفـوتٌ	لمـا سُلبَ المسـائحُ[٩] والعـذارُ

(١) القنانىّ: نسبة الى قَنَان وهو جبل بأعلى نجد، أو آسم جبل به ماء يسمى العسيلة وهو لبنى أسد.
(٢) الغور وذو الأراك: اسما موضعين. (٣) الجبار: الهدر. (٤) الثنايا جمع ثنيّة وهى العقبة أو الطريق فى الجبل. (٥) الأنوق: العقاب، ويضرب المثل بحدّة بصرها فيقال "أبصر من عقاب". وفى مثل آخر "هو أعز من بيض الأنوق" يضرب لما عز نيله، وفى الأصل "أبرق".
(٦) نآنى: بعُدَ عنّى، وفى الأصل "نأى". (٧) فى الأصل" يافران". (٨) ويا نفسى عليه: بمعنى ويالهف نفسى. (٩) المسائح جمع مسيحة وهى شعر جانبى الرأس.

ظلامٌ هبّ فيه وليتها لم ... تلُحْ هذى الأدلّة والمَنارُ
وربّ سميرِ ليلٍ ودّ ألّا ... يُضيء[1] على جوانبه النهارُ
ألا يا صاحبَيّ خُرَّقِ نجاء، ... يفوتكما بى اليومَ الوقارُ
خُذانى حيث لا النظر آستراقٌ ... لريبته[2] ولا النجوى سِرارُ
وزُمّا بالمطامع أنفَ غيرى ... فبى عنها — وإن خَدَعَتْ — نفارُ
كفى بالحرص عيبا أنّ أُولَى ... جَداه مُنًى وغايته آنتظارُ[3]
وما أنسى بآمالٍ طِوالٍ ... تُناولهنّ[4] أيامٌ قِصارُ!
يقول المرءُ ما يهوَى ويرجُو ... ويفعلُ فعلَه الفلَكُ المُدارُ
وإن ظمِئت ركابٌ أو أُجيعتْ ... فأفْرِعَ[5] شَعرَها الوبَرُ المطارُ
فخيرٌ من مراعيها بذلٍّ ... عِضاضٌ[6] بالحناجر[7] وآجترارُ[8]
وإلا فابغيا "شرفَ المعالى" ... بها إن كان للظُّلَم آنسفارُ
وضُمّا "بالخطير" غريبتيها[9] ... فَثَمّ العزُّ يَمنعُ والجِوارُ
وماءٌ فاضلٌ عنها وبقلٌ ... تَبزَّلُ[10] فى كمائمه البِكارُ[11]
رِدَا المجدَ التليدَ بها وعُودَا ... بأغلبَ[12] حبلُ ذمّته مُغارُ[13]
بِبحرِ ندًى يفيضُ وبدرِ نادٍ ... وإن رُغِمَ البدورُ أو البحارُ
جَوادٌ لا يزِلُّ به عِثارٌ ... وجارٍ لا يُشَقُّ له غُبارُ
تمنّى الناسُ أصغرَ همّتيه ... ففاتت دونها الهممُ الكبارُ

---

(١) فى الأصل "يصيب". (٢) هذه الكلمة وردت فى الأصل هكذا "لريه". (٣) فى الأصل "وغايتى". (٤) فى الأصل "تناوشهن". (٥) أفرع: أدمى، والمراد أدمى منابت شعرها. (٦) العضاض: العض. (٧) فى الأصل "الخفاجر". (٨) الأجترار: أن يُخرج البعير ما فى بطنه الى فمه ليأكله ثانيةً. (٩) الغريبة: التى بعدت عن وطنها. وفى الأصل "عربتيها". (١٠) تبزّل تصير بُزّلا، والبازل من الإبل: المسن. (١١) البكار جمع بكرة وهى الفتية من الإبل. (١٢) الأغلب: الأسد. (١٣) المغار: المفتول أشد الفتل.

(١٧٣)

وطار بـــه فانعـــله الـــثريّا ... فـــؤادٌ لا يطـــير به الحـــذارُ
ونفسٌ حـــرّةٌ لا يزدهيهـا ... حُـــلَى الدنيـا وزخرفُهـا المُعـارُ
يبيت الحقُّ أصـــدقَ حاجتيْهـا ... وكـــسبُ العزّ أطيبَ ما يُمـارُ
اذا آلتفتت الى الدنيـا عيونٌ ... فلفتتُهـا إباءٌ وآحتقـارُ
من الوافين أحلاما وعهدا ... اذا هفَت الحُبَا ووهى الذمارُ
كرامٌ لا يرون العُسرَ فقـــرا ... وفى العـــرض الغـــنى والإفتقارُ
اذا عزّوا بأرض أوْطَنـــوها ... وإن ضِيموا(١) بهـا ركبوا فسـاروا
كُفُوا بدلالة "الكافى" عليهـم ... بحـــرصٍ ما آدعى لهـــم الفخارُ
مضـــوا سلَفا وجاء يزيد مجـــدا ... كما أوفى على السُّـــحب القطارُ(٢)
توحّدَ من بنى الدنيـا رَكوبٌ ... صـــعائبَهـا اذا كُرِه الخطارُ(٣)
سعى لحَوَى الكمالَ وهـــم قعودٌ ... وأنجـــدَ يطلب الدنيـا وغاروا
وأشرفُ شيمـــةٍ ظَلَفٌ(٤) وأمرٌ ... يطاعُ وعفـــةٌ معـها آقتـــدارُ
وعفٌّ فبـات يحلبهنّ مَذقا(٥) ... وأخلافُ(٦) الزمان له غِزارُ
حميتَ الملكَ مقتبلا وكهلا ... يَخـاف من الدنيّة أو يغـارُ
ولم تُدخِـــلْ غريبـا خارجيًّـا ... له بســـواه نهضٌ وآنتصارُ
وقوّمتَ الأمورَ وهنّ ميـــلٌ(٧) ... لهـا من كفّ جابرها آنكسارُ
وكلّ دعىٍّ فضـــلٍ مســـتطِبٌّ(٨) ... له بالعجـــز شغلٌ وآعتـــذارُ

---

(١) فى الأصل "صموا" . (٢) القطار جمع قَطر وهو المطر . (٣) الخطار : المخاطرة .
(٤) الظلف : الترفع عن الدنايا . (٥) المذق : اللبن الممزوج بالماء . (٦) أخلاف جمع خِلْف وهو حلمة ضرع الناقة . (٧) ميل جمع أميل وميلاء . (٨) المستطبّ : الذى يستوصف الدواء لدائه .

وسِعتَ الناسَ إحسانا وعَطفا — كأنك رأفــةً بهِـم ظــؤارُ (١)

وصرتَ حُـلَى الملوكِ وأىّ كفٍّ — لهــم مُدَّت فأنت لها سوارُ

تشــيرُ بك العلا نصحا عليهم — اذا ما خان رأىٌ مستشارُ

بك ٱنتصرتْ يدى وعَلَا لسانى — وصمَّمَ (٢) ناظــرى وبــه ٱزورارُ (٣)

وكنتُ أطيعُ مضطرًّا زمانى — فأصبح لى على الزمنِ الخيارُ

بِرَعيِك فِىَّ حقَّ الفضــلِ صحّت — قنــاةٌ كلُّهــا وضَــمٌ وعارُ

وجُدتَ فعدتُ بعدجُفوفِ عُودى — وفى أغصانــه أيكيّ ٱخضرارُ

عرفتَ توحُّدى فغــرستَ منّى — غصــونا ذا الثناءُ لها ثِمارُ

محاسنُ لا يــراها فِىَّ إلا — بصــيرٌ كيف يُنتَقَــدُ النُّضارُ

ورَدتُ نداكَ عَــذبا لم يُكدَّرْ — له حــوضٌ ولم تُـنزَف غِمارُ (٤)

على الإعسار تعطينى كثيرا — ويُعطِى الناسُ ما بلغَ اليَسارُ

ومن آياتِ جودك أن غَنِينا — به وإلى القليــلِ بك ٱفتقارُ

فعِشْ يبلُغْــك ما تجزِى القوافى — وما يُســدَى (٥) بهنَّ وما يُنارُ (٦)

بكلِّ غريبــةِ المعــنَى عَلوقٍ (٧) — اذا قــرَّتْ فليس لها نفارُ

تســيرُ بعرضــك المجلوِّ فيها — مســيرَ الشمس مُهلَتُها بِدارُ (٨)

لها فى الجوِّ رافعــةٌ صُــعودٌ — وفى مَهوَى الرياح لها ٱنحدارُ

كأنّ فتيقَ (٩) منشــرها "يَمانٍ" — تنفّس فى حقائبــه العِطارُ

---

(١) الظؤار : جمع ظِئْر وهو الذى يعطف على ولده و يطلق على الأمّ والأب . (٢) صمّم : مضى لا يلوى على شىء . (٣) الأزورار : الميل والأعوجاج . (٤) تنزف : تفنى وتنضب ، والغمار جمع غمر وهو الماء الكثير . (٥) يسدى : يُجعَلُ له سَدًى وهو ما مدّ من خيوطه بخلاف لحمته . (٦) ينار : يلحم . (٧) العلوق : المرأة لا تحب غير زوجها . (٨) البدار : الإسراع . (٩) الفتيق : المنتشر الرائحة .

يسوق المهرجانُ اليك منها عرائسَ والنشيدُ لها نِثارُ
مبشِّـرةً بأن الله عينٌ[1] عليك من الردى الجارى وجارُ[2]
وأنك خالد لا الليلُ يُفنِى مداك من البقاءِ ولا النهارُ

***

وقال يمدح أبا المعالى عبد الرحيم فى النيروز

ما ليلتى على "أُقُرْ"[3] إلا البكاءُ والسهرْ
بتُّ أظنّ الصبحَ بالـ ـعادة مما ينسفرْ
أرقبُ من نجومها زوالَ أمرٍ مستقِرْ
رواكدٌ كأنما أفلاكهنّ لم تدُرْ
وكلّما قلت: آنطوى[4] شطرٌ من الليل آنتشرْ
أسألها[5] أين الكرى أينَ النهارُ المنتظَرْ
وكلُّ شيء عندها إلا الرقادَ والسَّحَرْ
من مخبرى؟ فما أرى هل دام ليلٌ فاستمّرْ!
وغابت الشمسُ نعم فكيف خُلِّد القمرْ
أين الأُلى طرّحهم مَطارحَ البين الحذَرْ
غابوا وما غابت لهم دارٌ ولا جدّ سَفَرْ
لٰكن عيون الكاشحيـ ـن الشُّزْرُ[6] منها والخُزْرُ[7]،
مابرِحتْ لا نظرَتْ تمنعنا حتى النظَرْ

(١) العين: الحارس والحفيظ. (٢) الجار: الناصر. (٣) أُقُر: اسم واد بين الكوفة والبصرة. (٤) فى الأصل "أنظارى". (٥) فى الأصل "أسأ". (٦) الشزر جمع شزراء وهى الحمراء من العيون كعين الأسد والغضبان. (٧) الخزر جمع خزراء وهى العين الضيقة.

تطلّعوا نارَ الجوى / في القلب كيف تستعرْ
وما الذى تبعثه / على الجوانح الذِّكَرْ
وأىّ نارٍ للفؤا / د فيهمُ عند البصرْ
غنّى "بهيفاءَ" الرّفا / قُ والكئوسُ لم تدُرْ
فكلّ صاحٍ انتشى / وكلّ نشوانَ سكِرْ
كأنما قلبي لها / في صدر كلّ من حضرْ
فظلتُ أبكى مثلما / أشربُ أدمعاً حُمُرْ
كأنّ ماءَ قدحى / من بين جفنىّ[1] عُصِرْ
قال الرسولُ : عتبتْ / "هيفاءُ"، قلت : ما الخبرْ
قال : تقول : ملّنا / قلت : الملولُ من غدَرْ
لا والذى لو شاء أن / يُنصِفنى[2] منها قَدَرْ
ما خُدعتْ بغيرها / عينى على حُسن الصورْ
بَلَى ولا أُنكرهُ / وليس بالأمر النُّكُرْ
لقد رأيتُ البان من / "ذى العلَمين والسَّمُرْ"[3]
تضربه ريحُ الصَّبا / فيستوى ويناطِرْ[4]
فلتُ تشبيها بها / آخُذُ ضمًّا وأذَرْ
فإن رأت ذلك ذنـ / ـبا ، إننى لمعتذرْ
يا يومَ دبّ بيننا / أمرُ الفراق ، ما أمرّ!
ما كنتَ في الأيام إلا عارضاً يَنطُفُ[5] شرّْ

(١) فى الأصل "جفنى" . (٢) فى الأصل "يصفنى" . (٣) ذو العلمين : اسم موضع فى اليمن والسمر : اسم موضع من نواحى العقيق والسَّمُر لغةً شجرٌ من العضاه وليس فى العضاه خشبٌ أجودُ منه . (٤) يناطر : ينثنى . (٥) ينطف : يسيل و يقطر .

قد عيَّفتك الطيرُ [لى] [1] لكنّ قلبي ما زجَرْ
ولائم مُـــدّتْ له حبائلُ اللـــوم بجُـــرْ
رأى هَناتٍ فنهى غـــيرَ مطاع وأمرْ
قال ، فَرُدَّ صاغرا ، : أغزَلٌ مـــع الكِبَرْ؟
وأيُّمـا [2] عَلاقـــــةٍ بين الغرامِ والعُمُرْ
وأين إطـــرابُ النفو س مع أصابيغ الشَّعَرْ
رب شـــبابٍ ليـــلُهُ يصـــبح تنعاه الأُزُرْ [3]
وشَيبِ رأسٍ ذنبُـــه فى الحُظُوات مغتفَـــرْ
حلفتُ بالشُّعث [4] الوفو د زُمَرا عـــلى زُمَرْ [5] ،
يَرَونــ ظَلْمـا [6] باردا بلـــثم [7] ذلك الحجـــرْ ،
ومن دعا ومن ســـعى وآستنّ سبعا وجَمَـــرْ [8] ،
وسَوْقِهم مثـلَ الحصو نِ مُرِّدت [9] إلا المَـــدرْ [10] ،
توامكا [11] ممطـــورةً أعشابُـهـا وقتَ المطرْ ،
جاءوا بهـا مجتهـــديـ ن تَقْتَـــلى [12] وتُختَـــبَرْ [13] ،
لكلِّ مُهْـــدٍ نسكَهُ أنفسَ ماليـــه نَحَـــرْ ،

---

(١) هذه الكلمة ليست بالأصل . (٢) فى الأصل " وإنمـا " . (٣) الأزر جمع إزار وهى المرأة ، ومعناه رب شـباب يبيضّ سواد شـعره فتنعاه النساء . (٤) الشعث جمع أشعث وهو المغـبر اللون المتلبد الشـعر ، و يريد بهم الحجاج . (٥) زمر جمع زمرة وهى الجماعة من الناس .
(٦) الظلم : ماء الأسنان . (٧) فى الأصل " يلثم " ، و يريد بالحجر : الحجر الأسود بالكعبة .
(٨) جمر : رمى بالجمار . (٩) مرّدت : طوّلت وملّست . (١٠) المدر : الطين .
(١١) توامك جمع تامك وهى الناقة العظيمة السـنام . (١٢) تفتلى : تُجتثُ بتـدبّر وتمعن .
(١٣) فى الأصل " تجتبر " .

أن بنى "عبد الرحيـ ـم" نعم كنز المدخر

وخير من سدت به يوم الملمات[1] الثغر[2]

المطعمون الهبر[3] والـ ـعام عبوس مقشعر[4]

وصبية الحى تنـدا ـرى الإبل عن فضل الجزر[5]

والريح لا تلوى بأكـ ـسار[6] البيوت والجدر[7]

وتحسب الفائز منـ ـها ملقم البطن الجحر

والمانعين الجار لو زحزح عنهم لم يجر

حتى يعز فيهم عز "تميم" فى "مضر"

من بعد ما صاح به الـ ـموت: آستمت فلا وزر[8]

والواهبون بسط الر زق عليهم أو قدر

لا يحسبون معطيا أعطى اذا لم يفتقر

لهم حياض الجود والـ ـسودد[9] فعما[10] وغزر[11]

تخلى[12] لهم جماتها[13] وبعد للناس السؤر[14]

أبناء مجد نقلو ه أثرا بعد أثر

روايـة يسندها[15] باقيهم عمن غبر

---

(١) الملمات جمع ملمة وهى النازلة الشديدة . (٢) الثغر جمع ثغرة وهى الطريق والمسلك، ويراد بها هنا الحاجات . (٣) الهبر جمع هبرة وهى القطعة الكبيرة من اللحم ، وفى الأصـل "البهر" . (٤) مقشعر : مجدب . (٥) الجزر جمع جزور وهى الناقة التى تنحر . (٦) أكسار جمع كِسر وهو جانب البيت . (٧) الجدر جمع جدار . (٨) الوزر : الملجأ والمعتصم . (٩) فى الأصل "السود" . (١٠) فعما : امتلاءا . (١١) الغزر : الكثرة والأصل فيه سكون الزاى . (١٢) فى الأصل "تحلى" . (١٣) جمات جمع جمة وهى ما آجتمع من الماء . (١٤) السؤر جمع سؤرة وهى البقية . (١٥) أسندها : عزاها وأخبر بها مسندة .

يُنَصِّرُ عنهـا القولُ بالـ ـفعلِ فيسـلم الخـبَرْ
طابوا حيـاةً مثلمـا طابوا عِظاما وحُفَـرْ
تساهموا أُفُق العـلا تسـاهمَ الشهبِ الزُّهُرْ
كأنهم فى أوجـه الـ دنيـا البهيات (١) غُـرَرْ
فانتظموا نظمَ القنـا إلا الوصومَ والخـوَرْ
من "هبـة الله" الى "سابورَ" فخرٌ مستمِرّْ
قِسْ خبرى عنهـم الى "أبى المعـالى" واعتبِرْ
تر العـروقَ (٢) الزاكيا تِ من شُفَافاتِ (٣) الثمَـرْ
المشـترى الحمدَ الربيـحَ لا يبـالى ما خسِرْ
والطَّلْق (٤) حتى ما تبيـن عُسرةً من اليُسُرْ
تكرع (٥) من أخلاقه فى سلسلٍ (٦) عذبِ الغُدُرْ (٧)
لم يُبقِ راووقُ (٨) الصبا قـذًى به ولا كدَرْ
ثم خلّتْ أربعيـن عشرةً من العُمُرْ
وفاتَ أحلامَ الكهو لِ وهو فى سن الغُمُرْ (٩)
وأبصـر اليـومَ غدا فـلم يَرِدْ إلا صـدَرْ
لا اضـامه الخوفُ ولا أطغاه فى الأمن البَطَرْ
عـلى نـداه باعث من نفسـه لا يُقتَسَرْ (١٠)



(١) البهيات : السود . (٢) فى الأصل "الورق" . (٣) الشفافات جمع شُفافة وهى البقية .
(٤) الطلق : الضاحك المشرق . (٥) تكرع : تشرب بفيك من غير كفّ ولا إناء . (٦) السلسل : الماء الصافى . (٧) الغدر جمع غدير وهو النهر . (٨) الراووق : المصفاة . (٩) الغمر : من لم يجرّب الأمور وهو هنا مجاز للصغر ، وفى الأصل "العمر" . (١٠) لا يُقتسر : لا يُغصب .

اذا أحسّ فترةً(١) … لجّ(٢) عليها ونفرْ

لا يُخلفُ الظنّ ولا … يَلقَ الحقوقَ بالعُذُرْ(٣)

علقتُ من ودّك بالـ … ـمُستحصِفِ(٤) المُثنى المُررْ(٥)

أملسَ لا تسحله(٦) … بالغدر كفُّ المنتسرْ

وكنتَ [من](٧) حيثُ اقترحـ … ـتَ وأبى قومٌ أُخَرْ،

تُعطى على الخفّة(٨) ما … يُعطُون والضَّرعُ(٩) دِرَرْ(١٠)

والخير من مالك لى … وإنْ وَفَى وإن كثُرْ

محبةٌ ما فوّزتْ(١١) … نفسى منها فى غرَرْ(١٢)

فما أطيرُ بأخٍ … محلّقًا ما لم تطرْ

ولا يَنْزِى(١٣) كبِدى … اذا وصلتَ مَن هَجرْ

فابق على وغرِ(١٤) الحسو … د نجوةً(١٥) من الغيَرْ

ترعاك عينُ الله لى … من شرّ أعين البشرْ

ما ذيّل النيروزُ فى … ثوبِ الرياض وخَطَرْ

وكرَّ عامٌ مقبلٌ … وآبَ(?) الى أن لا يكُرّ

---

(١) الفترة : المدّة بين زمانين . (٢) لجّ : ألحّ . (٣) العذر : الأعتذار . (٤) المستحصف : المستحكم . (٥) المرر جمع مِرّة وهى طاقة الحبل . (٦) يسحله : يفتله ، والمنتسر : الناقض . (٧) هذه الكلمة ليست بالأصل . (٨) الخفة : رقة الحال . (٩) الضرع : مدرّ اللبن من ذوات الخف أو الشاء والغنم كالخلف للناقة والثدى للمرأة . (١٠) درر جمع دِرّة وهى ما يَدِرّ من اللبن والمراد والضرع ذو درر ، كقول الشاعر :

سلام الإله وريحانه … ورحمته وسماء درَرْ

أى سماء ذات درر . (١١) فوزت : ركبت المفازة . (١٢) الغرر : الخطر . (١٣) ينزى : يجعلها تنزو بمعنى تثب ، وفى الأصل "تنزّى" . (١٤) الوغر : الحقد . (١٥) النجوة : ما ارتفع من الأرض .

وأسمع لها تُهدى الى الـ ـعرض الغنى وهى فُقُرُ[1]

تضُوع فى الناس بها نوافِجٌ[2] لُسْنُ[3] السُّرَرْ[4]

سَـلَّمَت الريحُ لها شـرطَ الرواح والبُكَرْ[5]

كما تمطَّت[6] بالخـزا مى لك أرواحُ السحَرْ[7]

فهى بحكم معـقولةٌ[8] وهى شرودٌ لا تقَـرْ

اذا بنـاتُ شـاعرٍ أُنِّثنَ[9] أوكُنَّ عُقُـرْ[10]

فكلُّ بنتٍ ولَدتْ فى مدحكم مـنّى ذَكَرْ

ترى حسودى حاضرا يُنشِـدُ وهو يحتضِرْ

تعجيـله عن نفسـه سابقـةً أمرَ القـدَرْ

يُصـغِى لها وودُّه لوكان من قبلُ وَقِـرْ[11]

✦ ✦ ✦

وكتب الى الرئيس أبى طالب محمد بن أيّوب يهنّئه بالنيروز، ويلوِّحُ بذكر هفوةٍ جرت، وأسفرت، ويرجى زوالَهـا[12]

تمُـدُّ بالآذانـ والمنـاخرِ[13] "لحاجرٍ" ومَن لها "بحاجرِ"؟

تغرُّها منـه أحاديثُ الصَّبا ولامعاتٌ فى السحابِ الباكرِ

---

(١) يريد بفقر: فقيرات . (٢) نوافج جمع نافجة وهى وعاء المسك . (٣) لسن جمع لسناء وهى الفصيحة المبينة . (٤) السرر جمع سرّة وهى هنا بمعنى وسط ما يسرّ فيه المسك ومعنى البيت : أن سرر هذه النوافج تنم رائحتها على ما فيها فهى من أجل ذلك فصيحات مبينات . (٥) البكر : الغدو . (٦) تمطت : مدّت . (٧) الخزامى : نبت طيب الرائحة . (٨) معقولة : مربوطة بالعقال . (٩) أنثن : كن إناثا . (١٠) يريد بعقر : عواقر لا يلدن . (١١) وقر : صمّ وذهب سمعه كله . (١٢) فى الأصل "وتوجّه" . (١٣) المناخر جمع منخر وهو ثقب الأنف .

وأعينٌ موكَّلاتٌ "بالحمى" من مستقيم اللحظ أو مُخازِرِ (١)

تودّ لو أنّ ثراه عوضٌ من دمعها يُستافُ (٢) بالمحاجرِ (٣)

أرضٌ بها السابغ (٤) من ربيعها وشوقُها المكنونُ فى الضمائرِ

مَشاربٌ تخُز تحتَ سُوقِها وعُشُبٌ يضفو على المَشافرِ (٥)

وحيثُ دبّت وربَتْ (٦) فِصالُها (٧) وبَرَكَتْ تفحصُ بالكراكرِ (٨)،

وأَمِنتْ ساربةً سروحُها (٩) شَلَّةَ (١٠) كلِّ طاردٍ مُغاوِرِ (١١)،

تمنعُها سيوفُ "بكرٍ" (١٢) أن ترى بؤسا (١٣) وتحميها رماحُ "عامرِ" (١٤)

فهل لها وهل لمن تحلُّه من عائفٍ (١٥) "بحاجرٍ" أو زاجرِ (١٦)؟

سارت يمينا والغرامُ شأمةٌ (١٧) ياسِرْ (١٨) بها "يابنَ رَواحٍ" ياسِرِ

فإنّها من حبّها "نجدا" ترى بكُثُبِ (١٩) "الغور" شِفارَ (٢٠) الجازِرِ (٢١)

"وبالحمى" أفئدةٌ من شجوها خاليةٌ سالمةُ الضمائرِ

وأعينٌ تحسبها قريرةً نائمةً عن أعينٍ سواهرِ

---

(١) المخازر: من يقبض جفنه ليحدّد النظر. (٢) يستاف: يُشَمّ. (٣) المحاجر جمع محجر وهو ما دار بالعين. (٤) فى الأصل هكذا "السابع" وهى مما يحتمل تصحيفه الى "سابغ" بمعنى ضاف و "سائغ" فرجّحنا الأولى لما يقتضيه السياق. (٥) المشافر جمع مشفر وهو للبعير كالشفة للإنسان والجحفلة للفرس. (٦) ربت: نشأت. (٧) فصال جمع فصيل وهو من الإبل ما فُصل عن أمه. (٨) الكراكر جمع كِرْكِرة وهى صدر كل ذى خفّ. (٩) سروح جمع سَرْح وهو المال السائم، وفى الأصل "سروج". (١٠) الشلة: الطرد، وفى الأصل "سلة". (١١) المغاور: المغير على الشىء. (١٢) بكر: اسم قبيلة. (١٣) فى الأصل "نوسا". (١٤) عامر: اسم قبيلة. (١٥) العائف: المتكهّن بالطير. (١٦) الزاجر: المتطيّر الذى يزجر الطاير لعدم تفاؤله به. (١٧) الشأمة: ضدّ اليمنة. (١٨) ياسِرْ بها: خذ بها ناحية اليسار. (١٩) كثب جمع كثيب وهو التل من الرمل. (٢٠) شفار جمع شفرة وهى السكين العظيمة العريضة. (٢١) الجازر: الجزار وفى الأصل "الحازر".

يرمين كلَّ ساهرٍ بمزعجٍ ... وكلَّ مجبورِ الحشا بكاسرِ

كفَّلَهنّ السُّقمُ بقلوبنا ... فكلُّ قلبٍ فى ضمانِ ناظرِ

يا ليت شعرى والمنى تعلّةٌ! ... هل "بمِنًى" لعهدنا من ذاكرِ ؟

أم هل على بعد النوى الى التى ... لها الهوى من راكبٍ مخاطرِ؟

لعلّه يحمل من سلامنا ... نُخبةَ زادِ الرجُلِ المسافرِ

ألوكةً(١) خفّت ومن ورائها ... بلابِلٌ(٢) تُعقَرُ بالأباعرِ(٣)

اذا رأيتَ الشمسَ فى أترابها(٤) ... فاحبس وقُلْ عنِّىَ غيرَ صاغرِ :

اللهَ يا ذات اللمَى(٥) فى أدمعٍ ... فوائرٍ وأدمعٍ فواترِ

وفى عهودٍ كُتْبُها مبلولةٌ ... وهى لديك فى النسىِّ الداثرِ

فإنّ من دينِكُمُ فى "يَعرُبٍ" ... أن تأنفوا من الذمام الفاجرِ

وفى الضيوفِ الغرباءِ عندكم ... قلبٌ يضامُ ماله من ناصرِ

فقرِّبوا صحبتَه واحتفظوا(٦) ... فيه بحقّ البائع المهاجرِ

إما قِرَى النادى الكريم، أو فر ... دوه على أربابه بالخاطرِ

أ كلّ كفٍّ ظفِرت لئيمةٌ ... وكلُّ عقدٍ فى بنانِ غادرِ!

من لك بالناس ولا ناسٌ هُمُ ... إلا كلامُ المُحرِجِ(٧) المكاشرِ(٨)

نفسَك صُنْ ليس أخوك غيرَها ... فقالِل(٩) الناسَ ولا تكاثرِ

واعلم بأنّ عزَّها قُنوعُها ... برزقها(١٠) الميسورِ فى المَعاسرِ

١٧٦

(١) الألوكة : الرسالة . (٢) البلابل : الأشجان ووساوس الصدور . (٣) الأباعر جمع بعير . (٤) الأتراب جمع ترب وهو من ولد معك وأكثر استعماله فى المؤنث . (٥) اللمى : السواد فى الشفة . (٦) فى الأصل "واحفظوا" . (٧) المحرج : الذى يُحرِج غيره . (٨) المكاشر : الذى يبدى أسنانه حقدا . (٩) فى الأصل "أو كاثر" . (١٠) فى الأصل "يرزقها" .

وإن وصلتَ أو سألتَ فأخًا صحَّ على التجريب والمخابرِ

أخًا ترى لوجهه قبلَ الجدا أسِرّةً[1] تلقاك بالبشائرِ

مثلَ "ابن أيوبَ"[2] وأين مثله مُثِّلَ للأشباهِ والنظائرِ

من طينة المجد التى فروعُها تُنبيك عن طهارة العناصرِ

الطيّبين أنفسا باقيةً وأرمُسًا[3] فى ظُلَمِ الحفائرِ

يدلّك المجدُ[4] على الأوائل الـ ـماضين منهم بعلا الأواخرِ

داسوا ثرى المجد القديم ومشَوا خَطَرًا[5] على خدّ الزمان الغابرِ[6]

وأنطقوا بالخُرسِ من أقلامهم ألسنةَ الدسوتِ والمنابرِ[7]

كلّ كريم لاسمه فى مجدها ما لأسانيد الحديث السائرِ

ولابنه من بعده ما يرث الـشـ ـبولُ فى الغاب عن القَساورِ[8]

شهادةٌ صدَّقَها "محمدٌ" صِدقَ الربى[9] عن الغمام الماطرِ

قامَ فأدّى[10] ثم مرَّ زائدا، تجاوزَ الذراعِ شبرَ الشابرِ

قضى له قاضى السماح والندى يومَ تحورُ[11] حجّةُ المفاخرِ

قضيةٌ شَقّت[12] على الهضبة من رضوى[13] وأزرت بالفُرات الزاخرِ

رأى الكمالَ حِلّةً[14] فاحتلَّها وربعُها مقوٍ[15] بغير عامرِ

---

(١) أسرة جمع سِرار وهى خطوط الجبهة . (٢) فى الأصل "ابن" . (٣) أرمس جمع رمس وهو القبر . (٤) فى الأصل "بذلك" . (٥) الخطر : التبختر . (٦) فى الأصل "الغائر" . (٧) فى الأصل "المنابر" . (٨) القساور جمع قسور وهو الأسد . (٩) الربى جمع ربوة وهى ما ارتفع عن الأرض . (١٠) فى الأصل "فؤادى" . (١١) تحور : تحدر كأنها رجعت فى موضعها أى تُردّ ؛ ويجوز فيها التصحيف الى "تخور" بمعنى تضعف وتهن . (١٢) فى الأصل "شفت" . (١٣) رضوى : اسم جبل . (١٤) الحلة : المحلة . (١٥) مقو : خال من السكان .

ونهضَ الفضـــلُ له فى مَزلَقٍ (١) مُسَـــنَّمٍ (٢) يُكسَّرُ بالعوابرِ (٣)

جرى ففاتَ والعلا من خلفِهِ تقول: قاصِرٌ من خطاك قاصِر

حــتّى أرانا العجزُ فى قولِهِمُ : طالبُ شأوِ المجـــدِ غيرُ ظافرِ

لله أنتَ من جَمالٍ ظاهرٍ وَخُلُقٍ صافى الغـــدير طاهرِ

وعدّةٍ ليـــوم لا يُغنى أخا الـ حاجة إلا أنفَسُ الذخائرِ

عهــدٌ كَلْموم (٤) الصـفاةِ (٥) مُتعِبٌ جانبُهـا لن يُبتغَى لفاطـــرِ (٦)

وخُلّةٌ [لا] (٧) يهتَدِى لنقْضِهــا عــلى الزمانِ ناقضُ المرائرِ (٨)

أحرزَ من كنتَ وراءَ ظهــرِهِ حِصْنا له من جولة الدوائرِ

يحســدك النـاسُ وأىّ عاجزٍ لم تُدوِهِ (٩) شَـــقاوةٌ (١٠) بقـادرِ

وإنّى معْ بُغض (١١) كلِّ حاســـدٍ أقضى لحسّـادِك بالمَعـاذرِ

يَفــديك كلُّ ساكتٍ مُداجٍ (١٢) بغـــلّةٍ وبائحٍ مُظاهـــرِ

وشـامتٍ إن رُفعت لعينـــه صيفيّةٌ (١٣) من الســحاب العابرِ ،

جهامـــةٌ (١٤) يفتحُ فاه نحـــوَها يحسبها جهلا من المواطرِ

يسرّه العاجلُ من أظلالهــا وهى غـــدًا مهتوكةُ الستائرِ

---

(١) المزلق : المكان يزلق فيه لوعورته . (٢) مسنم : مرتفع كأنما له سنام . (٣) العوابر جمع عابرة . (٤) الملموم : المجتمع المدور والمضموم . (٥) الصفاة : الحجر الصلد الضخم لا ينبت ، ومنه "فلان لا تنــدى صفاته" أى بخيل ممسك لا يسمح بشىء . (٦) الفاطر : اسم فاعل من فطر الشىء أى شقه . (٧) هذه الكلمة ليست بالأصــل . (٨) مرائر جمع مريرة وهى الحبل أحكم فتله . (٩) تدوه : تمرضه ، وفى الأصل هكذا "دوه" . (١٠) فى الأصل "سقاوة" . (١١) فى الأصل "بعض" . (١٢) المداج : الموافق . (١٣) الصيفيّة : السحابة تظهر فى الصيف لاماء فيها . (١٤) الجهامة : السحابة البيضاء لا تحمل ماء .

وربّما عادت بذى حَواصِبٍ (١) ... عليه واجتاحت (٢) وذى صَراصِرِ (٣)

كمن جنى البـغىُ (٤) على أمثاله ... من غامطٍ نعماءكم وكافـرِ

وأنتمُ فى معـزِلٍ من شرِّها ... وجانبٍ من النجاءِ وافـرِ

عـوائدٌ لله فيكم ضَمِنَتْ ... لَمَّ الشتيتِ (٥) وجُبورَ (٦) الكاسـرِ

كم مثلها قد غَلِط الدهرُ بهـا ... ثُمّتَ لاذَ منكمُ بغافـرِ

دَجَتْ ولكن أقشعتْ عن أنفسٍ ... سواكنٍ وأعينٍ قرائرِ

وكم تعيَّفتُ (٧) لكم سُفورَها ... من قبل أن يبرُزَ وجهُ السافرِ

فَلم تُكَذِّبْ فيكمُ زاجرَتى ... قـطُّ ولا خُيِّبَ يُمْنُ طائرى

فانتظِروها ويدى رهنٌ بهـا ... فربّما كانت كرجعِ النـاظرِ

بك آستجابَ الدهرُ لى ودعوتى ... تجولُ (٨) منـه حولَ سميعٍ واقرِ

وأبصرَ (٩) الحظُّ الطريقَ فاهتدَى ... الى وهـو أبـلهُ البصـائرِ

حصَّنتَ وجهى وحقَنتَ ماءَه ... فليس مـذ حقنتَه بقاطـرِ (١٠)

ولم تدَعْ لى منذ أولَدتَ المنى ... مَشقّةً الى لقـاحِ العـاقرِ

كم أربٍ كنتَ اليـه سببى (١١) ... فتلتَـه بمُحصَـدِ (١٢) المـرائرِ (١٣)

وخَـلّةٍ (١٤) أعضلنى (١٥) شـفاؤها ... شفيتنى من دائها المخامرِ (١٦)



(١) حواصب جمع حاصب وهى الريح الشديدة تحمل التراب والحصباء . (٢) اجتاحت : أهلكت وآستأصلت . (٣) الصراصر جمع صرصر وهى الريح الشديدة الهبوب أو هى البرد الشديد . (٤) فى الأصل "حتى" . (٥) الشتيت : المتفرق . (٦) الجبور : إصلاح كسر العظام . (٧) تعيفت : تكهنت ، ويشير هنا الى الوزارة وتمنيه إسنادها الى الممدوح . (٨) فى الأصل "تحول" . (٩) فى الأصل "وأبطر" . (١٠) فى الأصل "وبقاطر" . (١١) السبب : الحبل . (١٢) المحصد : المفتول فتلا محكما . (١٣) المرائر جمع مريرة وهى ما طال ولطف وآشتد من الحبال . (١٤) الخلة : الحاجة . (١٥) أعضلنى : أعيانى . (١٦) المخامر : الذى خالط الجوف .

ونهضَ الفضــلُ له فى مَزلَقٍ (١) ... مُسَــنَّمٍ (٢) يُكسِّرُ بالعوابرِ (٣)

جرى ففاتَ والعلا من خلفِه ... تقول: قاصِرْ من خطاك قاصِرِ

حتى أرانا العجزُ فى قولهِمُ : ... طالبُ شأوِ المجــدِ غيرُ ظافرِ

لله أنتَ من جمالٍ ظاهرٍ ... وَخُلُقٍ صافى الغــديرِ طاهرِ

وعدّةٍ ليــوم لا يُغنى أخا الـ ... ـحاجة إلا أنفَسُ الذخائرِ

عهــدُكَ كَلْموم (٤) الصــفاةِ (٥) مُتعبٌ ... جانبُهــا لن يُبتغَى لفاطـــرِ (٦)

وخُلّةٌ [لا] (٧) يهتدِى لنَقضِهــا ... عــلى الزمان ناقضُ المرائرِ (٨)

أحرزَ من كنتَ وراءَ ظهــرِه ... حِصْنا له من جولة الدوائرِ

يحسـدك النـاسُ وأىّ عاجزٍ ... لم تُدوِه (٩) شَــقاوةٌ (١٠) بقـادرِ

وإننى معْ بُغضِ (١١) كلِّ حاســدٍ ... أقضى لحسّادك بالمَعاذرِ

يَفــديك كلُّ ساكتٍ مُداجٍ (١٢) ... بغُــلَّةٍ وبائحٍ مُظاهـــرِ

وشـامتٍ إن رُفعت لعينــه ... صيفيّةٌ (١٣) من السـحاب العابرِ ،

جهامــةٌ (١٤) يفتحُ فاه نحــوَها ... يحسبها جهلا من المواطرِ

يسرّه العاجلُ من أظلالهـا ... وهى غــدًا مهتوكةُ الستائرِ

---

(١) المزلق : المكان يزلق فيه لوعورته . (٢) مسنم : مرتفع كأنما له سنام . (٣) العوابر جمع عابرة . (٤) الملموم : المجتمع المدور المضموم . (٥) الصفاة : الحجر الصلد الضخم لا ينبت ، ومنه "فلان لا تنـدى صفاته" أى بخيل ممسك لا يسمح بشىء . (٦) الفاطر : اسم فاعل من فطر الشىء أى شقه . (٧) هذه الكلمة ليست بالأصـل . (٨) مرائر جمع مريرة وهى الحبل أحكم فتله . (٩) تدوه : تمرضه ، وفى الأصل هكذا "دوه" . (١٠) فى الأصل "سقاوة" . (١١) فى الأصل "بعض" . (١٢) المداجى : الموافق . (١٣) الصيفيّة : السحابة تظهر فى الصيف لا ماء فيها . (١٤) الجهامة : السحابة البيضاء لا تحمل ماء .

وربّما عادت بذى حَواصِبٍ (١)	عليه وٱجتاحت (٢) وذى صَراصِرِ (٣)
كمن جنى البغىُ (٤) على أمثاله	من غامط نعماءَ كم وكافرِ
وأنتُمُ فى معزِلٍ من شرِّها	وجانبٍ من النجاءِ وافرِ
عوائدٌ لله فيكم ضَمِنَتْ	لَمَّ الشتيتِ (٥) وجُبورَ (٦) الكاسرِ
كم مثلها قد غَلِط الدهرُ بها	ثُمَّتَ لاذَ منكُمُ بغافرِ
دَجَتْ ولكن أقشعتْ عن أنفُسٍ	سواكنٍ وأعينٍ قوائرِ
وكم تعيَّفتُ (٧) لكم سُفورَها	من قبل أن يبرُزَ وجهُ السافرِ
فَلم تُكَذِّبْ فيكُمُ زاجرَتى	قطُّ ولا خُيِّبَ يُمْنُ طائرى
فانتظروها ويدى رهنٌ بها	فربّما كانت كرجعِ الناظرِ
بك ٱستجابَ الدهرُ لى ودعوتى	تجولُ (٨) منه حولَ سميعٍ واقرِ
وأبصرَ (٩) الحظُّ الطريقَ فاهتدَى	الى وهو أبلهُ البصائرِ
حصَّنتَ وجهى وحقَنتَ ماءَه	فليس مذ حقنتَه بقاطرِ (١٠)
ولم تدَعْ لى منذ أولَدتَ المنى	مَشقةً الى لقاحِ العاقرِ
كم أربٍ كنتَ اليه سببى (١١)	فتلتَه بمُحْصَدِ (١٢) المرائرِ (١٣)
وخَلَّةٍ (١٤) أعضلنى (١٥) شفاؤها	شفيتنى من دائها المخامرِ (١٦)

(١) حواصب جمع حاصب وهى الريح الشديدة تحمل التراب والحصباء . (٢) اجتاحت : أهلكت واستأصلت . (٣) الصراصر جمع صرصر وهى الريح الشديدة الهبوب أو هى البرد الشديد . (٤) فى الأصل "حتى" . (٥) الشتيت : المتفرق . (٦) الجبور : إصلاح كسر العظام . (٧) تعيفت : تكهنت ، ويشير هنا الى الوزارة وتمنيه إسنادها الى الممدوح . (٨) فى الأصل "تحول" . (٩) فى الأصل "وأبطر" . (١٠) فى الأصل "وبقاطر" . (١١) السبب : الحبل . (١٢) المحصد : المفتول فتلا محكما . (١٣) المرائر جمع مريرة وهى ما طال ونطف واشتد من الحبال . (١٤) الخلة : الحاجة . (١٥) أعضلنى : أعيانى . (١٦) المخامر : الذى خالط الجوف .

ملّكْتَنى مِلكَ الوفاءِ بيـــدِ تطلبُ بعضى فتحوزُ سائرى[1]

فصار يُرضينى بمـا ترضـاه لى منذ عرفتُ نافعى من ضائرى[2]

فلا تُخِفْ فيـك الليالى جانبى بقاصـــدِ[3] السهمِ ولا بغـائرِ[4]

ولا يزلْ عزُّك لى ذخـــيرةً لأوّلٍ[5] من عيشتى وآخرِ

مالاح صبح بضُحى[6] أضاء [لى][7] وشوّقَ الوارد[8] رِىُّ[9] الصادرِ

وحسر[10] النيروزُ من قناعه طلعتــه[11] على الربيع الناضـــرِ

وزاركم يرفُل فى وشائع[12] من حُلَلِ الروض وفى حَبـائرِ[13]

بكلّ عــذراءَ لهـا فى خِدرِها صرامـــةٌ ما للهصورِ الخادرِ[14]

حاطمة تُحى عـــلى مَعـاشرٍ وتُحفـــةٍ تُهدَى الى مَعـاشرِ

إقذاعُها[15] على عِداكم ولكم منها يدُ الراضى ولفظُ الشاكرِ

تَطـرَبُ للحادى اذا غنّى بها فيكم وتستقصرُ ليلَ السـامرِ

كأنهـم لم يسمعوا من قبلكم فى ماجـــدٍ مقالةً من شاعرِ

⁂

وكتب الى الأمير أبى الذوّاد المفرِّج بن علىّ بن مَزْيَد ، ويخاطبُ فى آخرها كاتبَه أبا نصر بن عَبْدَر الكوهىّ ، وكان هو الذى آستغواه لمدح صاحبه ، وأنفذها مع رسوله اليه

(١) فى الأصل " فتجوز " . (٢) فى الأصل " صايرى " . (٣) القاصد : المستوى نحو الرمية . (٤) الغائر : الداخل فى الجوف . (٥) فى الأصل "الأول" . (٦) الضحى : إشراق الشمس ، وفى الأصل " بدجى " ولعله تحريف . (٧) هذه الكلمة ليست بالأصل . (٨) فى الأصل " الورد " . (٩) فى الأصل " ذى " . (١٠) حسر : كشف . (١١) فى الأصل "طليعة" . (١٢) الوشائع جمع وشيعة وهى طريقة البرد وتوشيته . (١٣) الحبائر جمع حبيرة وهى الثوب الموشّى ، وفى الأصـــل " جبائر " . (١٤) الهصور الخادر : الأســد فى خدره . (١٥) الإقذاع : الشتيمة والهجاء ، وفى الأصل "قذاعها" .

ألا يا خليلى المجتبَى من "خُزَيمة" ... هل انتَ أمينٌ إن أمنتَ على سِرِّى؟

وهـل أنت عنى إن أمنتَ مبلِّغٌ ... ألوكةَ(١) عتبٍ ضاق عن حملها صدرى؟

نشَـدتُك بالشُّعثِ الدوافعِ(٢) من "مِنًى" ... خلاطا كما خُبِّرتَ عن ليـلة القَـدرِ

وبالأسـود الملثومِ(٣) قـد ضغطوا به ... جنوبَهُـمُ والمَشـعَرين(٤) وبالحِجْرِ(٥)

أكنتَ بسـمعى أو أظنُّك سامعا ... بأعجب من أبيـات قومك فى أمرى

يُغـارُ على الأمـوال فى كلِّ حِـلَّةٍ ... وفتيانُ "عَوفٍ"(٦) قد أغاروا على شعرى

سـلائبُ لى منهـوبةٌ فى رحالهم ... ينادين(٧) بالخيبات(٨) من حَلَقِ الأسرِ

مَطـارحُ للركبان يقتسـمونها ... تناقَلُهـا الأفـواهُ مصرا الى مصرِ

يغنِّى بهـا الحادى، ويشـدو لشَرْبِهم(٩) ... بها المطرب الشادى، ويُثنى بها المطرى

كرائمُ قـد أهـديتهنَّ تـبرُّعا ... لكلِّ فـتًى لم يَرْعَ لى حُرمـةَ الصِّهرِ

همُ خطبـوها راغبين وسـوَّدوا(١٠) ... عليهـا نفيساتٍ من البـذلِ والوفرِ

وكانت على قـومٍ ملوكٍ سـواهُمُ ... تكون مع الجـوزاء(١١) او عُنُقِ النسرِ

ممنَّعـةً أن تُسـتباحَ بخُـدعةٍ ... ووعـدٍ بروقٍ(١٢) أو تُسـاقَ على قسرِ

فلمـا غدت مجنـوبةً فى حبـالهم ... تواصَـوْا عليهـا بالخيانة والغـدرِ

---

(١) الألوكة : الرسالة . (٢) يريد بالشعث الدوافع : النوق التى تهدى للبيت . (٣) الأسود الملثوم : الحجر الأسود بالكعبة . (٤) المشعرين : الصفا والمروة . (٥) الحجر : حطيم مكة .
(٦) اسم لكثيرين أشهرهم عوف بن محلّم بن ذهل ، وقد قيـل فيه "لا حرّ بوادى عوف" وهو مثـل قاله عمرو بن هنـد حين طلب مروان القرظ من عوف وكان قد أجاره فأبى أن يسلمه ؛ ومعناه أنه يقهر من حلّ بواديه وكلّ من فيه كالعبيد لطاعتهم إياه ؛ وقيل : إنمـا قيل ذلك فى عوف لأنه كان يقتل الأسرى ، ولعل مهيار يشير الى ذلك فى البيت الذى يلى هذا البيت . (٧) فى الأصل "ينادون" وهى لاتتفق والسياق للتأمل . (٨) الخيبات جمع خيبة . (٩) الشرب جمع شارب . (١٠) سوّدوا : جعلوا لها السيادة ، وفى الأصل "وسوا" . (١١) الجوزاء والنسر : نجمان . (١٢) فى الأصل "ووعدوق" وقد رجحنا كلمة بروق لأنها أحيانا لا تكون صادقة ، ومن ذلك البرق الخلب .

كأنهم شَلُّوا[1] بها سَرحَ[2] مهمِلٍ … نفاه الرعاةُ بين "بابلَ" "والعَقْرِ"[3]

فعرِّجْ عليهم ثم قل "لمفرِّج": … أترغبُ فى مدحى وتزهدُ فى شكرى؟

أترضَى بأن أضوَى[4] وكفُّك مخصِبٌ … عشيبٌ وأطوَى[5] من يديك على النحرِ[6]

وتُظلَمَ[7] آمالى عليك ومطلبى … ووجهُك من تحت اللثام أخو البدرِ

وقد سارت الأخبارُ أنك خيرهم … قِرًى [يوم يبكى][8] الضيفُ من عضّة القُرِّ[9]

وأعقرُهم للبُزْلِ[10] والعامُ أشهبٌ[11] … وأوسعُهم خَطًّا لأُثفِيَّةِ[12] القِدْرِ

تجود فتعطى فى الغنى قُدرةَ الغنى … وتجبُرُ أكسارَ الفقير على الفقرِ

فما بالُ بِكرٍ حُرّةٍ بعثَتْ بها … إليك القوافى من عَوانٍ[13] ومن بِكرٍ[14]،

شُغفتَ[15] بها ثم انصرفتَ ملالةً … بوجهك فيها عن جزائى وعن ذكرى

وأمهرتموها وارتجعتم صداقَها … فهل تستحلّون النكاح بلا مَهرِ

فأين السماحُ "المَزْيَدِىُّ" وما ابتنى … أبوكم وبقّى من علاءٍ ومن فخرِ

وما لم تزالوا تُنفقون على العلا … وتُعطون من مالٍ ومن نَعَمٍ[16] دَثْرِ[17]

---

(١) شلوا : طردوا ، وفى الأصل "سلوا". (٢) السرح : المال السائم. (٣) العقر : اسم موضع يقال له عقر بابل قرب كربلاء من الكوفة ، وقد روى أن الحسين رضى الله عنه لما انتهى الى كربلاء وأحاطت به خيل عبيد الله بن زياد ، قال : ما اسم تلك القرية ؟ — وأشار الى العقر — فقيل له : اسمها العقر ، فقال : نعوذ بالله من العقر ، ثم قال : ما اسم هذه الأرض التى نحن فيها ؟ فقيل له : اسمها كربلاء ، قال : أرض كرب وبلاء ! ! وأراد الخروج منها فمنع حتى كان ما كان .

(٤) أضوى : أهزل وأدق . (٥) أطوى : أجوع . (٦) النحر : ما يخسر ويجزر .

(٧) فى الأصل "وتلطم" . (٨) هاتان الكلمتان وردتا بالأصل هكذا : "يوسلى" .

(٩) القر : البرد . (١٠) البزل جمع بزلاء ، وهى الناقة المسنة . (١١) الأشهب : المجدب الذى لا خضرة فيه . (١٢) الأثفية : حجارة توضع عليها القدر . (١٣) العوان : المسنة .

(١٤) البكر : العذراء . (١٥) فى الأصل "شفعت" . (١٦) النعم : الإبل أو الجمال خاصة .

(١٧) الدثر : الكثير ، يطلق على الواحد وغيره فيقال : مال دَثْر ومالان دَثْر وأموال دَثْر .

(١٧٨)

أعيذكُمُ من أن يقالَ عليكُمُ : ثوى معَه[1] جودُ الجماعةِ فى القبرِ
وحاشاكُمُ من أن تَخيس[2] بضائعى لديكم بما تنمِى البضائعُ للتَّجْرِ[3]
وقد ملأتْ فيكم أوَابِدِىَ الملا وسارت حُداءَ العيس أو طُعَمَ السَّفْرِ[4]
وعندِىَ فيكم ما يسوء عداكُمُ ويُبقِى لكم ما سرَّكم آخرَ الدهرِ
فإن تقتنوها بالجميل [بَنتْ[5]] لكم حصونا على الأحساب من أنفس الذُّخرِ
وإن تَغصِبوها تُمسِ فى غير حيِّكم تَشكَّى اضطرارا أو تكلَّمُ عن عُذرِ
أيا نجمَ " عوفٍ " يا " مفرِّج " كربِها أما آن لى أن يَخجلَ المطلُ من صبرى
حملتُ التقاضى عنكُمُ مُهلةً لكم فأنظرتكم فى العسرِ فاقضوا مع اليسرِ
وقل يا رسولى مبلغا سُفراءَهم جميعا وخُصَّ " العبدرِىَّ أبا نصرِ " :
أفى الحقّ أن سوَّمتُ[6] بينى و بينكم خيولَ الأمانى ثمّ تقعدُ عن نصرى ؟
وأغريتَنى حتى اذا ما ولجتُها تأخرتَ عنّى والعقابُ على المُغرى
أما تذكر العهدَ الذى كان بيننا ! بلى نتناساه وأنتَ على ذِكرِ
تنامون عن حقّ وتُلغون مدحتى وأنتم حملتم ثِقلَ ذاك على ظهرى
فقم يا " أبا نصرٍ " قيامَ[7] ابنِ حرّةٍ بنصرِ صديقٍ أنت أوقعتَه حُرِّ
وعد برسولى يحملِ الغُرمَ وافرا وفز بثنائى فهو أسنَى من الوفرِ
وقل للأمير ابنِ الأميرِ نصيحةً : تربَّصْ بخيرى واحترس من أذى شرّى

---

(١) الضمير فى "معه" عائد الى قوله "أبوكم" فيا مرّ . (٢) تخيس : تكسد . (٣) التجر جمع تاجر . (٤) طُعَم جمع طُعمة وهى المأكلة والرزق ، والسفر : المسافرون . (٥) هذه الكلمة ليست بالأصل . (٦) سوّمتُ : أرسلتُ . (٧) فى الأصل " فنام " .

***

وكتب للوزير أبى سعد ، وقد بعد مستوحشا من بغداد الى تكريت ، يتألّم لبعده ، ويذكر شوقه اليه ، ويتفاءل بسرعة العود الى الأمر ، ويذكر اضطرابَ التدبيرات بعده ، ويشكو أحد الولاة ممن كان الوزير أمَّرَهُ بحمل شىء اليه فخالف أمره وأخّره ، ويهنّئه بالعيد والمهرجان

هَوَّنَ فى الليـل عليها الغَـرَرا (١) ... أنّ العُـلا مقيَّـداتٌ بالسُّرى

فركّبتْ بسُوقها (٢) رءوسَها ... حتى تخيّلنا الجحُولَ (٣) الغُرَرا (٤)

تحسبها عَجْرفةً (٥) وورَهًا (٦) ... فيما ترى خابطـةً ليستْ تَرَى

تنضى (٧) النهارَ شَمْلةً (٨) جونيّةً (٩) ... وتَلبَسُ الليلَ رِداءً أخضرا (١٠)

ترى بما تُجهِض (١١) من سِخالها (١٢) ... لحمًا مَضيغا (١٣) ودماءً هَدَرا

علّمها النومُ على رِباطِها ... ذليلةً أن تَستطيبَ السهَرا

كلُّ ابن ذات أربع تحسبه ... ذاتَ جَناحين اذا تَمطَّرا (١٤)

ينتشر الأرضَ فلا يَردَعُه ... كيف طواها عَنَقًا (١٥) أو حُضُرا (١٦)

يرى الظلامَ بشهابَىْ قابس (١٧) ... لا يستميحان النجومَ خَبَرًا

---

(١) الغَرَر : التعريض للهلكة . (٢) سوق جمع ساق . (٣) الجحول جمع حجْل وهو البياض فى القوائم . (٤) الغُرَر جمع غُرّة وهى البياض فى الجبهة . (٥) العجرفة : قلة المبالاة فى سرعة العَدْو . (٦) الوره : الخُرق فى السير كالعجرفة . (٧) تنضى : تنزع وتخلع . (٨) الشملة : كساء مخمل دون القطيفة يُشتَمل به . (٩) جونية : بيضاء . (١٠) أخضر : أسود ، يقال : اخضرّ الليل بمعنى اسودّ . (١١) تجهض : تُلقى . (١٢) السِّخال جمع سَخل وهو ولد الشاة وهنا بمعنى ولد الناقة . (١٣) المضيغ : الممضوغ ، والمراد أنه ممتهن . (١٤) تمطّر : أسرع فى هُوِيّه . (١٥) العَنَق : السير الفسيح الواسع . (١٦) الحضر : العدو ، والأصل فيه سكون الضاد . (١٧) شهابى قابس : كناية عن العينين .

تَكارَها شمسَ الضحى وأقسما … على الدجى لا يَصحَبان القمرا

إن غاب شخصٌ مقلتيه أبصرتْ … أذْناه ، هل خُبِّرتَ سَمْعا بَصَرا ؟

يُلهِبُ قرعُ السوطِ منه مِرجلا[1] … يجيشُ صدرا ويجيشُ منخرا

يُعطِي الشكيمَ[2] ساءه أو سرّه … لَحْيًا[3] أبيًّا أو عِذارا أصعرا[4]

يَظْمَأ فلا يَشرعُ[5] مسبوقا على … صافيةٍ ولو تكونُ الكوثرا

عاف البقايا أنه مُنتَتِجٌ[6] … فى معشر لا يشربون السُّؤرا[7]

يأنف من ماء الرُّكِيِّ[8] أنه … فى الأرض أو تَسقِي السماءُ المطرا

كالنجم فى نهاره وليله … إما ارتفاعا سار أو منحدرا

ذلك دأبُ ربِّه ودأبُهُ … ما آستقدما فشاورا التأخُّرا

اذا أصابا وطرًا من العلا … فذاك ، أو فيبلغان العُذُرا

لله مفطورٌ على سؤدده … اذا رأى العجزَ غِمارًا[9] شمَّرا[10]

يصرِفُ عن بيت الهوان وجهَهُ … وإن ضَفَتْ[11] أفياؤُهُ وخضِرا[12]

يريه صدرَ اليوم ما فى غدِه … رأيٌ اذا الرأىُ أصرَّ أبصرا

يأوى الى بديهةٍ[13] من عزمه … تُطلِعُه قبلَ الورود الصَّدَرا

تنصره الوثبةُ فى أوانها … اذا الهُوَيْنَى[14] خانت المنتظرا

---

(١) فى الأصل "مزحلا" . (٢) الشكيم جمع شكيمة وهى الحديدة المعترضة فى فم الفرس .
(٣) اللحى : عظم الحنك . (٤) الأصعر : الذى يُميلُ خدَّه كِبرا وتهاونا بالناس .
(٥) لا يشرع : لا يرد شريعة الماء . (٦) منتتج : متوالد . (٧) السؤر جمع سؤرة وهى البقية . (٨) الركى جمع ركية وهى البئر ذات الماء . (٩) الغمار جمع غمر وهو الماء الكثير .
(١٠) شمر : مر جادًّا أو مختالا وفى الأصل "سمرا" . (١١) ضفت أفياؤه : سبغت ظلاله وآمتدت . (١٢) خضر : صار أخضر وفى الأصل هكذا : * وان ضفت أفناؤه وحقرا *
(١٣) فى الأصل "بديعة" . (١٤) الهوينى : التؤدة .

لا يعـــلُق الأعـــداء فى آتباعه بعينـــه فيُعظمون الاثرا
وكلُّ من قصر عن عُـــدُوه(١) أعظمـــه ضرورةً لا خِـــيرا(٢)
كالليث يُقـلَى وهو يُطرَى أو كما نافق أعـــداءٌ وزيرَ الوُزَرا
قادحَهـــم(٣) ففـازهم أروعُ(٤) ما قامَر فى العليـاء الّا قَمَـــرا(٥)
مقلَّبٌ جانبَـــه(٦) وحظُّـــه من الســعود سَفَرا أو حَضَرا
تواصت الأقـــدار أن تمضى على تدبـــيره جاريـــةً كما جرى
وغيرُهُ ــ والنقصُ حظُّ غيره ــ إن أحمَـــد الآراءَ ذمَّ القـــدَرا
عضَّ العـــدا أظافرا من بعـــده تَـــدْمَى ولم تُرزق عليـــه الظفَرا
ولم يكن من "شرفِ الدين" لمن ينـــدمُ إلا أن يعَضَّ الحجـــرا
ولا لدارٍ فاتهـا ودولةٍ منـــه سوى أن أقويا(٧) وأقفـــرا
أبصـــرها بلهـاءَ جاهليَّـــةً ذاتَ فُسوقٍ(٨) لا تخاف النُّـــذُرا(٩)
مجنـــونةَ الوداد إما عاهـــدتْ لم يك إلا الغـــدرَ والتغـــيُّرا
أشهى خليلَيها اليهـا خُـــلَّةً(١٠) من كان أدنى همَّـــةً وأحقرا
تكيلُ بالجـــور اذا ناصفَهـا وتنبُـــذ العُرفَ تراه منكـــرا
نافـــرةً من ذى اليمينين اذا قـــوَّدها(١١) حتى تُطيـــعَ الأبترا(١٢)
فـــردَّها بالعتب ردَّ ناقـــدٍ غالط فيهـا النفسَ حتى آستبصرا
ألقَى عـــلى غاربهـا(١٣) حبالَها من بعـــد ما متَّعها وأمهـــرا

(١) العُدُوّ : الوثوب . (٢) فى الأصل "خبرا" . (٣) قادحهم : لعب معهم بالقداح
(٤) الأروع : الشهم الذكى . (٥) قمر : غلب وكسب ما قامر عليه . (٦) فى الأصل "حليه" .
(٧) أقوى : خلا من ساكنيه . (٨) فى الأصل "نسوق" . (٩) النذر جمع نذير، ويشير بهذا البيت وما بعده الى الوزارة . (١٠) الخلة : الصـــداقة والود . (١١) قودها : قادها .
(١٢) الأبتر : المقطوع . (١٣) الغارب : أعلى الكاهل .

على أوانٍ شُوِّهَتْ وعُنِّسَتْ (١) … وسُلبتْ جمالَها والخَفَرا (٢)
تناحلوها شَرَهًا وزاحموا … عَجْزًا شفيرَ (٣) جُرْفِها (٤) المُهوَّرا (٥)
فطرَّفوا منها بشِلوٍ (٦) ميِّتٍ … وأكثروا فيه الجدالَ والمِرا (٧)
مَرَّ وولَّاهم رَذايا (٨) سَرحِها (٩) … يدبِّرون منه أمرًا مدبِرا
ياليت شعرَ الملكِ مَن عَذيرُهُ … بعدَك مما جرَّ عجزُ السُّفَرا !
ودولة أسلمها عميدُها … كيف يُظَنُّ كسرُها أن يُجبرا
وهل لها أن تستوى قائمةً … ما لم تجدك الناعمَ المقدِّرا (١٠) ؟
وكيف يُرجَى عند ذؤبانِ (١١) الغضا … فى الغيل (١٢) أن تحمى حمى أُسْدِ الشرى (١٣)
خطَوتَها مستقدما أمامَها … لما رأيتَ خَطوَها إلى وَرَا
نجَّاك منها أن تُرَى مهتَصرا … بغمرةٍ (١٤) — حاشاك — أو مُقتسَرا ،
يدٌ علت عن أن تكون فوقها … يدٌ ، ونفسٌ لا تُطيعُ الأُمَرا
ونخوةٌ سيماءُ (١٥) فارسيَّةٍ … شمَّاءَ (١٦) لا تُعطى الخِزامَ (١٧) منخرا (١٨)

(١) عُنِّست : تُركت بلا زواج حتى كبرت . (٢) الخفر : الحياء . (٣) الشفير : ناحية كلّ حدّ . (٤) الجرف : الجانب الذى يؤكل من الأرض ، كل ساعة يسقط جزء منه . (٥) المهوّر : المنهار . (٦) الشلو : العضو . (٧) المراء : الجدل والشك . (٨) الرذايا جمع رذيّة وهى الناقة المهزولة . (٩) السرح : المال السائم . (١٠) الناعم المقدِّر : ذو النعمة الذى يترّوى و يفكّر فى تسوية أمره ، أو ذو النعمة الذى يقدِّر الأمور والأحكام تقديرا ، والمقدِّر أيضا بمعنى العالم بالشىء . ومنه قوله تعالى (إلا آمرأته قدَّرنا إنها لمن الغابرين) بمعنى علمنا انهما لمَن الغابرين . (١١) ذؤبان جمع ذئب . (١٢) الغيل : بيت الأسد . (١٣) الشرى : مأسدة جانب الفرات يضرب بها المثل . (١٤) الغمرة : الشدة والمهلك ، وفى الاصل "بعمره" . (١٥) السيماء : الهيئة ، وفى الأصل " شماء " ولا تتفق والسياق . (١٦) شماء : عالية . (١٧) الخزام : حلقة من شعر توضع فى وترة أنف البعير يشد فيها الزمام . (١٨) المنخر : ثقب الأنف .

أفدتها[1] كفاية جامعة منها وظلا فوقها منتشرا
فهى اذا ذُكرتَ مع خُطّابها تقول : كلُّ الصيدِ فى جوفِ الفرا[2]
غدا تلظّى تشتكى أوامَها الى الفراتِ وهى تُسقَ الكَدِرا
واضعةً جبينها[3] لِمَنسِم[4] الذ لّ وخدّيها جميعا للسّرى
قد غمّز الأغمارُ فى صعدتها[5] فهى تداعَى خطَلا وخَوَرا
حتى تلوذَ تستغيث ربّها منك وترجو ذنبَها أن يُغفَرا
ويأخذ الدهر بناصيتها سَوْقا فيأتيك بها معتذرا
قد أدبَتْهُ لكُمُ جهلاتُهُ فيكم وأنْ جَرّبَ[6] قوما أُخَرا
جَرْيًا على العادةِ فى آستصراخهِ بعفوكم اذا هفا أو عثرا
فاستقبلوا منها مَرِيرا قد حلا لمجتنيكم وسقيما قد برا
أصلحتُمُ ببعدكم فسادَها والجرحُ لا يَدْمَلُ حتى يُسْبَرا
وكلُّ محبوب اذا الوصلُ طغى يوما به فظُنّهُ أن يُهجَرا
وزارةٌ كم قد قدحتُ زندَها فيكم وكم قمتُ بها مبشّرا
فلم تُكذّبْ قطّ لى عائفةٌ فيها ولا خُيّبَ فألٌ زجرا
قد ثبتَ المعجزُ لى فى صدقها من طول ما صحّ وما تكرّرا

(١) فى الأصل " أفسدتها " . (٢) كل الصيد فى جوف الفرا : مثل يضرب لمن يفضل على أقرانه ، والفرا : الحمار الوحشىّ ، وأصل هذا المثل : أن ثلاثة نفر خرجوا متصيّدين فاصطاد أحدهم أرنبا والثانى ظبيا والثالث حمارا ، فاستبشر صاحب الأرنب وصاحب الظبى بما نالا وتطاولا عليه ، فقال لهما صاحب الحمار : كل الصيد فى جوف الفرا ، أى هذا الذى رُزقتُ وظفرتُ به يشتمل على ما عندكما ؛ لأنه ليس أعظم من الحمار الوحشىّ فيما يصيده الناس . (٣) فى الأصل " جنبها " . (٤) المنسم : الخف وهو من الأبل كالحافر من الخيل . (٥) الصعدة : القناة المستوية ، تنبت كذلك لا تحتاج الى تثقيف .
(٦) فى الأصل " جرت " .

كالوحيِ لو أنى خُلقتُ مَلَكًا … طــرتُ به لكن خُلقتُ بَشَرا
فانتظــروها إنمـا مِيعـادها … غدٌ، ويا قُــربَ غدٍ منتظَــرَا
فعنـــدها يـــبرُد(١) حَرُّ أضلعٍ … يوقد شـــوق بينهن شررا
وعنـــدها يحـــلو بعيني وفمي … ما قـد أمرَّ المـاءَ عذبًا والكرى
ويَكمَدُ الحـاســـدُ والشامتُ بي … بفــرطِ ما قـــد أكلاني أَشَرا(٢)
كاشـــفني بعـــدكُمُ بغـــلِّه(٣) … مَن كان يخشى جانبي مستترا
وكــلُّ جِبْسٍ(٤) يدُه ووجهُـــهُ … من حَجــرٍ يُلقَــمُ منِّي حَجَــرا
واجَـــهَ بالعصيانِ فيَّ أمرَكم … والدهـــرُ لا يَعصيكُمُ لو أُمِرا
كنتُ له ذريعـــةَ اليكــمُ … وكنتمُ بالعِلْجِ(٥) مـــنِّي أبصـــرا
فجنَّبوني عفــوَكم عنه غـــدًا … أكنْ لكم منـــه ولى منتصِـــرا
يا عُشبَ أرضي وسماءَ روضتي … ودارَ أمني يـــومَ أَرعَى الحـــذَرا
ومَن اذا عُرِّيَ من ظلِّهِـــمُ … ظهرى فقـــد ألقيتُ شِلْوًا(٦) بالعَرَا
قـــد أكلَتْنا بعـــدكم فاغرةٌ … أنيابُها(٧) قبــلَ العِضـاضِ(٨) جَزَرا(٩)
لم يَتأَسَّ بنتـاجٍ إذ أتت … ضيفٌ ولم توقَـدْ لهـا نارُ القِرى
تَعـــترِقُ(١٠) العظمَ كما تَسْـــتَرِطُ الـ … لحمَ وجلّت أن تَحُصَّ الوبَرا(١١)
فنظَـــرًا وإن نأت دارُكمُ … وأرشِـــدوا لمن يقول : نظَـــرا
يا فرحةً يـــومَ أرى رايتَكم … تـــلاوذُ الريحَ ، تـــؤمُّ العسكرا

(١) فى الأصل "برد". (٢) الأشر : البطر . (٣) الغلّ : الحقد . (٤) الجبس : الجبان . (٥) العلج : العير أو الحمار الوحشيّ السمين أو الرجل القويّ من كفّار العجم ولا يراد به إلا الذم على أى معنى . (٦) الشلو : العضو . (٧) فى الأصل "نبالها" . (٨) العضاض : العضّ . (٩) الجزَر : اللحم تأكله السباع . (١٠) تعترق : تأخذ ما على العظم من لحم نهشا بأسنانها ، وتسترط : تبتلع . (١١) تحصّ الوبرا : تحلق الشعر وتُذهِبه وفى الأصل "الورا" .

ونشرَ أيديكم وأعراضُكمُ "بالزاب"[1] يلقانى وشاطى "عُكبرا"[2]

والأمر فيكم؛ لا يُطاعُ لقبٌ[3] زُورٌ ولا يُراقَبُ اسمٌ مفتَرَى

لا غرو إن كَفَيتَها مستوزَرا بالأمس أن تكفِيَها مؤمَّرا

آملُها وكيفَ لا يأمُلُ أن يراك شمسا مَن رآك قمرا

أنا الذى لو سجد النجمُ لكم ما كنتُ مرتابا ولا مستنكِرا

ولو مسحتم "زحلا" ببُوعكم[4] رجوتُ بعدُ لعلاكم مَظهَرا

أقذيتُ أبصارَ العدا بمدحكم فساوَرونى[5] أحْوصا[6] وأخزرا[7]

ولم أراع فيكمُ تقيَّةً[8] من كبِدٍ غِيظت وصدرٍ أوغِرا[9]

على سبيلى فى مُوالاتِكُمُ أمرٌ فردًا لا أخاف الخطَرا

وقاطنات سائرات معكم نتبعكم مَحَلَّةً وسَفَرا

تشتاق منكم عامرى أوطانها ومَن ثوت فيهم فقضَتْ عُمُرا

لا تعدَمون رسمها مردَّدا عليكُمُ وقسمها مُوفَّرا

ما كرَّ يومُ المهرجان وطَرا[10] وصامَ ذو شهادةٍ وأفطَرا

قلتُ فأغضبت الملوكَ فيكُمُ وأنتمُ بى تُغضبون الشُّعَرا

---

(١) الزاب : اسم نهر بأرض الموصل . (٢) عكبرا : اسم بليدة بينها وبين بغداد عشرة فراسخ . (٣) فى الأصل "لفى" . (٤) البوع : الباع وهو قدر مدّ اليدين . (٥) ساوروني : واثبوني . (٦) الأحوص : الذى فى مؤخر عينه ضيق . (٧) الأخزر : الذى صغرت عينه وضاقت . (٨) تقيـة : اتقاء . (٩) أوغر : التهب من الغيظ . (١٠) طرا : أتى من مكان بعيد .

*
* *

وقال وكتب بهـا الى الوزير أبى القاسم هبـة الله بن علىّ بن ماكولا ، يتشوّقه ويذكّره بعهـوده ، ويتنجّزه قديمَ ديونه وحقوقَ ما أسلفَ من مديحه ، وأنفـذها الى حضرته بعُكْبَرَاء فى ذى القعدة من سنة ستّ وعشرين وأربعمائة

أدمعُك أم عارضٌ ممطرُ ؟ أم النفسُ ذائبـةٌ تقطُرُ ؟
دعَوا بالرحيـل فستذهِلَّ أضـلَّ البكاءُ ومستعبِرُ
وقالوا : الوداعُ على "رامة" فقلت لهم : "رامةُ" المحشَرُ
وأرسلتُ عينِيَ "بالأنعمين"(1) لتُبصرَ لو أنها تُبصـرُ
فما حمَلتْ خبرا يُستطا بُ إلا الذى كذَبَ المخبِرُ
وعنّفـنِى منـذرٌ خاليـا ، ألفتَ وفُورِقتَ يا منـذرُ
وقالوا : تحمّـل ولو ساعةً فقلت لهم : مُـدّتى أقصرُ
ولكن تطالَلْ بعينِ النصـيح لعلّك مُسـتشرِفا(2) تنظـرُ
أجنب "الغضا" يقبلون الركا بَ أم عَرْعَرًا ؟ قال: بل عَرعَر(3)
فلا تذكرون لقلـبى السلـوّ إن كان ذاك كما يُذكَرُ
سقى اللهُ — ما كُرمتْ مزنةٌ(4) وما وَضَعَتْ حاملٌ معصرُ(5) — ،
— وحنّت فَدرّتْ على أرضها سماءٌ تبوح بما تُضـمِرُ — ،
مـلاعبَنا بالحـمى والزما نُ أعمَى وليـلُ الصّبا مقمِـرُ
وعصرُ البِطالةِ [مثلُ](6) الربيع: حَيّـا أبيضُ وثَرّى أخضـرُ

(١) الأنعمان : موضع بنجد . (٢) المستشرف : الذى يرفع بصره الى الشىء ينظر اليه باسطا كفه على حاجبه كالمستظل من الشمس ؛ وفى الأصل "مشتفر" . (٣) عرعر : اسم لعدّة مواضع نجديّة . (٤) المزنة : المطرة . (٥) المعصر : الجارية التى بلغت شبابها . (٦) هذه الكلمة ليست فى الأصل .

(١٨١)

"وظبيـــةُ" جارٌ اذا شاء زا ... رَ لا تســتريبُ ولا تحــذَرُ
اذا لذّة اليــوم عنا انطوت ... وثقنا بأخرى غــدًا تُنشَرُ
وفى الحىّ كلُّ "هلاليّةٍ" ... هــلالُ السماء بهـا يَكْفُرُ
تذلُّ عـلى عزِّها للهــوى ... وتُســبَى وأنصارُها حُضَّـــرُ
تسيل الأســنّةُ من دونها ... ونحنُ على سرّها نَظهَــرُ
فذاك وهــذا لو آنَ الزمانَ ... إناءٌ اذا راق لا يَكدُرُ
تلوّنَ فى صِبغ أيّامــه ... تلوُّنَ ما نســجَتْ عَبقَــرُ[(١)]
فيــومٌ تَعرَّفُــهُ غفــلةٌ ... ويــومٌ تجنُّبُــهُ مُنكَرُ
يَجِــدُّ ويبـلَى فطورا غريبٌ ... وطورا يَســدُّ الذى يَعــوَرُ
وحاجةِ نفسٍ ســفيرُ الرجا ... ء يُورِدُ فيهـا ولا يُصْــدِرُ[(٢)]
تكونُ شجّى دون أن تنقضى ... وبابُ القضاءِ بهـا أعسرُ
بَردتُ لسانِىَ أن أشتكى ... أذاها وصــدرى بهـا يَزْفِرُ
وعهــدٍ رعَيْتُ وذى مَــلّةٍ ... وصلتُ من الحق ما يَهجُــرُ
أردتُ بقيّتَــهُ فانعطفتُ ... عليــه وجانبُــه أزوَرُ
سها فتناسى حقــوقى عليـ ... ـه وهو عــلى سهوه يَذْكُرُ
أبالحــق تهــدِمُنى بالجفاء ... وأقطارُ عرضك بى تَعْمُــرُ؟
وتشربُ ظلْمِىَ مســتعذبا ... وظلمى مُمِــرٌّ[(٣)] الجنـا مُمقِــرُ[(٤)]
ساضربُ عنك صدورَ المطىّ ... وفى الأرض مَغنًى ومســتمطَرُ

---

(١) عبقر : بلد فى اليمن ينسب اليه الوشى ، ويزعمون أنه مسكون بالجن . (٢) يقال : فلان يُورد ولا يُصدرُ أى يأخذ فى الأمر ولا يُتمّه . (٣) المر : غير الحلو . (٤) المقر : الحامض .

نوازِعُ تقمحُ[1] وِرْدَ الهــوانِ فتطمــحُ تُسهِلُ[2] أو تُوعِرُ[3]

وأنّ لهــا فى رجالِ الحفاظِ[4] مَرَادًا الى مثــله تُزجَرُ

وفوقَ ثنــايا العــلا أعينٌ يَهشُّ اليهــا ويُســتبشَرُ

وفى جَوِّ "عجِلٍ"[5] اذا أعتمتْ وضلَّتْ نجومُ هُــدًى تَزْهَرُ

وأفنيـــةٌ[6] تقبِضُ الوافــدين اذا رُفِعتْ بينهــم كبّروا

يَفيءُ[7] لهــم ظلُّهــا بالهجــيرِ وتأرجُ[8] طِيبًا اذا أسحــروا

متى تَرِدِ المــاءَ "بالزابيينِ"[9] وترعَى "صَريفينَ" أو تعبُرُ،

تَخُضْ فى جَميمٍ يَعُمُّ السَّــنام وينصُفُهُ العنُــقُ المســفِرُ

وتكرعُ منبســطاتِ الرقا بِ لا يرِدُ النــاسُ أو تَصدُرُ

وللراكبيهــا القــرَى والحمى ورِفــدٌ يطيبُ كما يَكثُرُ

ومعقورةٌ واجبــاتُ[10] الجُنوبِ صــفايا[11] وفهاقــةٌ[12] تهــدِرُ

فزاحِم بهــا الليلَ حتى تكونَ لهــا الصادعاتُ[13] له الفُجَّــرُ[14]

مواقِرُ[15] بالحاجِ تُبْطَنُ[16] حيـ ـثُ تَطرَحُ أثقالَهــا الأظهــرُ

---

(١) تقمح : تأبى أن تشرب . (٢) تسهل : تأتى السهل . (٣) توعر : تأتى الوعر وهو ضد السهل . (٤) الحفاظ : الود . (٥) عجل : اسم قبيلة . (٦) أفنية جمع فناء وهو ساحة أمام البيت . (٧) يفيء : يمتد . (٨) تأرج : تفوح . (٩) الزابيان : نهران بأرض الموصل ، وصَريفين : قرية فى سواد العراق كبيرة غنّاء شجراء قرب عكبراء وأوانا على ضفة نهر دُجَيل . (١٠) واجبات : ساقطات . (١١) الصفايا جمع صفيّ وهى الناقة الغزيرة اللبن . (١٢) الفهّاقة : الممتلئة ، و يراد بها القِدر . (١٣) الصادعات : الحجارة الصلدة . (١٤) الفُجَّر : التى تنفجر منها المياه . (١٥) مواقر : مثقلات . (١٦) تبطن : تضرب تحت بطونها حيث لا يؤلمها الضرب قال الراجز :

* اذا ضَربتَ موقرا فابطُنْ له *

يقال : بطنه و بطن له كشكره وشكر له ونصحه ونصح له ، وفى الأصل "يطنن" .

فلا يعطفنّك عن همّـــة … هممتَ بها بارحٌ يُزجَـــرُ (١)
فلا الجَـدُّ يدفعـــه أعضبٌ (٢) … ولا الحـظّ يصرفـــه أعورُ
ولا أنتَ رامٍ بها جانبا … يشُـــطُّ ولا نيّـــةٌ (٣) تَشْـطُرُ (٤)
وعند "أبى القاسم" المكرما … تُ تَنمى وأغصانُها تُزهِرُ
كـريم يَـــرى أنه بالملا … م يُقْـــذَعُ أو بالغنى يُفقَرُ
اذا آســتأثر اللهُ بالمنفسات … من المـال فهو بها مؤثَرُ
يُهين الحياةَ بحبّ الفناءِ … وكفّاه فى حسب يَغمُـرُ
ويُعطى عطاءَ "ابن عيسى" ابنُه … وما بين بحريهما أبحـرُ
فهـــذا يجود عـلى فقـره … وذاك على جـوده موسـرُ
ففى الضيم عنـه فؤادٌ أصمُّ … اذا قطَـر الصخر لا يقطُرُ
وأنفٌ يجيشُ به منخـراه … اذا سُـدّ فى آخرٍ منخـرُ
ونفسٌ اذا العيش كان اثنتين … عُلًا تُقتنَى وغـنًى يُـؤثَرُ،
مضت فى سبيل الأشقّ الأعزّ … ولم يُضْنِها الأروحُ الأصغرُ
ويومٍ من الدمِ ساعاتُه … قميصُ النهار بـه أحمـرُ
تبطّنـه خائضا نقـعَهُ … يُقلِّص عن ساقه المِـئزرُ
حميّـةُ من لا تنام التِّرا (٥) … تُ خلفَ حشاه ولا تُهـدرُ
وضوضاء، قطّـر (٦) بالمفحَمِيـ … ـن ظهـرُ مطيّتها الأزعرُ (٧)

---

(١) البارح : الطير يوليك مياسره ، والعرب تتطيّر منه . (٢) الأعضب : القصير اليد ، وله معان أخرى لا يقتضيها السياق ، وفى الأصل "أعصب" . (٣) النية : الرحلة البعيـدة . (٤) تشطر : تُبعد . (٥) الترات جمع ترة وهى الثأر . (٦) قطر : ألقى . (٧) الأزعر : القليل الشعر والمتفرقه .

تخلّصها فُـه فانجلت ... كما فارق الصدفَ الجوهرُ
فوترٌ(١) مضاعٌ به يستقاد(٢) ... وفضلٌ مذالٌ به يُنصرُ
اذا قال فاعقد خيوطَ التميم(٣) ... عليك فألفاظه تَسْحَرُ
ويا تارك الخمرِ لا تأته ... فإنّ خلائقه تُسكِرُ
يريك بظاهره غادةً ... تَزِمُّ(٤) حياءً وتستخفرُ(٥)
وفى فهمه لك نَضنَاضةٌ(٦) ... خَدورٌ وفى درعه قسورُ(٧)
تعطّر من طيبه المجدُ عنه ... وعن قومه الأطيبُ الأطهرُ
ملوكٌ قديمُهمُ كالحديث ... وبالفرع يُعرَفُ ما العنصُرُ
وما أخلفوا أن يُحلِّي الزما ... نَ منهم أميرٌ ومستوزَرُ
وقاضٍ ينفِّذُ أحكامَهُ ... اذا أمرُ الناسَ لا يؤمَرُ
هُمُ لعشيرتهم كالسما ... ءِ كلُّ الذى تحتها يصغُرُ
لهم كأسُ نَشوتها بالعَشيِّ ... وخيلُ الصباح اذا استُذعِرُوا
وفيهم مَرابعُها(٨) والصفـ(٩) ... يُّ والقدحُ(١٠) إن عُلِّىَ الميسرُ
وما سار من ذكرها فى السماح ... فهم ريّشوه وهم طيّروا
مضوا سالفَ المجد واستعمَروا ... ديارَ العلا سعىَ من أخّروا
وقد علموا بأنهم يومَ را ... شَ(١١) أن رمائمَهم تُنْشَرُ

(١) الوتر : الثأر . (٢) يستقاد : يُنال قودُه أى قصاصه . (٣) التميم جمع تميمة وهى عوذة تعلق على الصغار مخافة العين . (٤) تزم : تتأبّى . (٥) تستخفر : تستحى أشدّ الحياء . (٦) النضناضة : من الحيات التى اذا نهشت قتلت لساعتها ، و فى الأصل " نضنانة " و يريد بالخدور : المستترة فى خدرها . (٧) القسور : الأسد . (٨) مرابع جمع مرباع وهو ربع الغنيمة الذى كان يأخذه الرئيس فى الجاهلية . (٩) الصفىّ : ما يختاره الرئيس لنفسه من الغنيمة قبل تقسيمها . (١٠) القدح : سهم الميسر . (١١) راش : نبت زغبه بمعنى شب وترعرع .

وما " هبـــةُ الله " إلا المدا ... مُ من مثـــلِ كَرْمِهِـمُ تُعْصَرُ
فلا عَضْمُ سودَدِهـــم بالقنا ... يُحَـــلُّ ولا عودُهـــم يُقْشَرُ(١)
ومتحِـــلٍ سِمَـــةَ الفاضليـ ... ـن والفضـــلُ من شكله ينفرُ
تقــلّد فيما ادّعى غـــيره ... هوًى وهو فى اللؤم مستبصرُ
رآك كُملتَ فظنَّ الكمالَ ... لكلّ فتًى رامَـــهُ يقـــدرُ
ولم يدرِ أنّ الحجا متعِبٌ ... ولا أن حبَّ العـــلا مُفقرُ
حلَتْ نومةُ العجـــزِ فى عينه ... فلم يدرِ ما فضـــلُ من يَسهرُ
لك الخـــيرُ فاسمع فإنّ الحديـ ... ـثَ يُقْتَصُّ ثمّ له مَنشَـــرُ
يهبُّ شَرارا ويمشى [على](٢)(٣) الـ ... ـسروح(٤) فتُلهَبُ أو تُســـعَرُ
ولا تُرْعِني سمعَ خالى الضـــلو ... ع ممّـا أُجِنُّ وما أُظهِـــرُ
فغـيرك مَن لا أُبالى بمـا ... شكوتُ أيســـمعُ أم يُوقَـــرُ(٥)
وغير حياضـــك ما لا أحومُ ... عليـــه ولـــو أنه الكوثرُ
إلام تحَـــرّمُ شعرى بكـم ... يضـــيعُ وذمّتُـــهُ تُخْفَـــرُ(٦)
ويُمْطَل دَيْنى، ودِينُ الوفا ... ء تاركُه عنـــدكم يَكْفُرُ
وللمطل والصـــبر وقتٌ يُحَدُّ ... فكم تمطُلونَ وكم أصـــبرُ
ألم تعلمـــوا أننى ما بقيـ ... ـتُ أَنظُـــرُكم ثمّ لا أُنظَـــرُ
أذمُّ زمانى وبى حاجـــةٌ ... الى القول شاهـــدُها يحضُرُ
وأرسل من رَسَنِ(٧) الإقتضـاءِ ... أوانًا أعرِّض أو أذكُـرُ

---

(١) فى الأصل " يقسر " . (٢) فى الأصل " تمسى " . (٣) هـذه الكلمة ليست فى الأصل . (٤) السروح : جمع سرح وهو الشجر العظام الباسق . (٥) يُوقَر : يصمّ ويثقل سمعــه . (٦) تخفر : يُنقض عهدُها ويُغدَر بها . (٧) الرسن : الزمام .

فـلا بالشكاية فيما أبو ... حُ أحظى ولا بالذى أستُرُ
وقد كنتُ أشكو وأيامُكم ... جِعادٌ(١) وعامُكُمُ أغبرُ
وأعذرُ والحالُ فيما أرو ... م عن قدر همّتكم تقصرُ
فكيف — وقد أُمطِرتْ أرضُكم ... وأُفعمَ واديكُمُ — أعذرُ!
وأمرُ البلاد ورزقُ العباد ... اليكم وعن مثلكم يصدرُ
قدرتم فمنّوا فكم ليلةٍ ... سهرتُ الى الله أن تقدروا
فما فى الحميّة أن يمنع الـ ... حلىءُ وذو حقّه معسرُ
دعوناكُمُ من وراء التى ... لسانُ البليغ بها يَحصرُ(٢)
وعن خَلةٍ(٣) باطنٍ داؤها ... تُجمَّلُ بالصمت أو تُسترُ
مَكحَّلةٍ(٤) خشنٍ مسّها ... الى أكلنا فمُها يُفغَرُ(٥)
يعزّ على المجد والمكرما ... ت أنّا بأنيابها نُعقَرُ
ونحن من الدهر بل منكُمُ ... بما سدّ خَلّتَنا أجدرُ
شموسٌ "ببغداد" منكم تضىء ... ونحن بأقسامنا نَعثُرُ
"وبالجزع" "فالمنحنى" من "دُجَيل"(٦) ... سحابٌ على غيرنا يَهمرُ
ونحن نظنّ بأيامكم ... كما ظنّ بالثمر المؤبِّرُ(٧)
فهل فيكُمُ — وبَلَى فيكُمُ(٨) — ... فتى يُصرِخُ(٩) الفضلَ أو ينصُرُ؟
فيذكر من حقّنا ما نُسى ، ... ومثلُ أواصرِنا(١٠) يُذكَرُ

(١٨٣)

(١) جعاد : شحيحة . (٢) يحصر : يعيَ . (٣) الخلّة : الحاجة . (٤) مكحلة : مشتدّة فى محلها وجدبها . (٥) يفغر : يُفتح . (٦) دجيل : اسم نهر وما قبله أسماء مواضع . (٧) المؤبر : الذى يصلح الزرع و يتعهده . . (٨) فى الأصل هكذا * فهل فيك و بلى فيكم * (٩) يصرخ : يغيث و يعين ، وفى الأصل "يصرح" بمعنى يبين و يظهر ، والأول أرجح لاتفاقه والسياق . (١٠) أواصر جمع آصرة وهى ما عطفك على رجل من رحم أو قرابة أو صهر ، و فى الأصل " واصرنا " .

* * *

ولما آستقلّ الأمر لوزير الوزراء شرف الدين عميـد الدولة أبى سعد بن عبد الرحيم أنشده بالمعسكر

رقّ "لبغداد" القضاءُ والقـدَرْ وعطف الدهـــرُ عليهـا وأمَرْ[1]

وآمتعض المجد لهـا من طول ما حاق[2] بها الضيم فثار فانتصـــرْ

وضحـك المزن الى ربوعهـا والعامُ قـد قطّب فيها وكشَرْ

فهى ومن يحمـله ترابُهـا عازبةٌ[3] راحت ومُنهـاضٌ جَـبَرْ

عاد الحيـا[4] الى الـثرى فَـرَبَّهْ[5] وفَتَقَ الصبحُ الظلامَ ففُجِـرْ[6]

ونطقَتْ خُرسُ العـلا فأبصرتْ عميـاؤها وسمعت وهى وَقَـرْ[7]

فليهنهـا ما أثمـر الصبرُ لهـا والصـبرُ فى إمراره حلو الثمـرْ

قصرك[8] ياخابطـةَ الليـل بنـا لا بدّ لليـل الطويل من سَحَرْ

تنفَّسى مبصـرةً وآنفـرجى فطالمـا غَـمَّ دجالِك وآعتكرْ

هـذا الوزير وأخوه فاسـفرى قد رُدّت الشمسُ عليك والقمرْ

نجمان ما غابا لسـعى ماجـدٍ فى الأفق إلا طلعا مع الظفَـرْ

وجاريان سـابقٌ بنفسـه [الى][9] المدى ولاحقٌ على الأثرْ

تشابهـا والكفُّ مثـلُ أختهـا والزَّندُ مثـل الزند مرخًا[10] وعشرْ[11]

---

(١) هكذا بالأصل وهى لا تخلو من معنى . (٢) فى الأصل "خاف" . (٣) المنهاض : العظم المكسور . (٤) الحيا : المطر . (٥) ربّه : أصلحه وزاده وأتمّه . (٦) ففجر : فطلع بفجره . (٧) الوقر : الصمم من بابى تعب ووعد . (٨) قصرك : جهدك وغايتك وآخر أمرك . (٩) هـذه الكلمة ليست بالأصل . (١٠) المرخ : شجر سريع الورى يُقتَدَح به ، وفى الأصل "مرحى" . (١١) العُشَر : شجر فيه حُرّاق مثل القطن لم يَقتدِح الناسُ بأجودَ منه .

متى تَطُلْ من "شرف الدين" يدٌ ... تجدْ "كمالَ الملك" عن أخرى حَسَرْ[١]

كلتا اليمينين قياسٌ للعلا ... ذا ذَرَعَ الأفقَ بها وذا شَبَرْ

من ير ذا وِرْدًا[٢] وذاكَ قَرَبًا[٣] ... له، يقل: ذا العشبُ من ذاك المطَرْ

دوحةُ مجدٍ صعُبتْ عيدانُها ... على العدا أن تُخْتَلَى[٤] وتُهتَصَرْ[٥]

سقى الندى "عبدُ الرحيم" ساقَها ... وحاط "أيّوبُ" عليها وحظَرْ[٦]

وحَمَلتْ مثقَلةً فأثمرتْ ... مُذكِرَةً فولدتْ كلَّ ذكَرْ

قومٌ أقاموا الدهرَ وهو عاثرٌ ... حتى مشى يختالُ عنهم وخَطَرْ

وأدركوا أيّامَهم بهيمةً[٧] ... مُغْفَلَةً[٨] شِياتُها[٩] حُصَّ[١٠] الشَّعَرْ

فاعتلقوا جباهَها وسُوقَها ... وطلعوا فيها الحجولَ والغُرَرْ

كلّ غلام إن عفا وإن سطا ... أمِنَ بين الخافقين وذَعَرْ

أروعُ لا تجرى الخطوبُ إن نهى ... خوفًا ولا يقضى القضاءُ إن أمرْ

نال السماءَ مُدرَجًا فى قُمْطِه[١١] ... وفات كلَّ قارحٍ[١٢] وما اثّغَرْ[١٣]

لم يأخذ السوددَ حظًّا غلطًا ... ولا العلا مغتصبًا أو مقتسَرْ

ما سار فى كتيبةٍ إلا حَمَى ... وما امتطى وسادةً إلا وزَرْ

قد صدعَ اللهُ بكم معجزةً ... فى الأرض ليست فى محالات البشرْ

فأرشدَ المستبصرين بكمُ ... لو كان يُغنِى القلبُ أو يُغنِى البصرْ

---

(١) حسر: كشف. (٢) الورد: الماء المورود. (٣) القرب: سير الليل لورود الغد. (٤) تختلى: يُجزّ خَلَاها وهو الرطب من النبات. (٥) تهتصر: تكسر. (٦) حظر: اتخذ حظيرة. (٧) بهيمة: سوداء أو التى لا شية فيها. (٨) مغفلة: مهملة غير موسومة، وفى الأصل "معقلة". (٩) شيات جمع شية وهى العلامة. (١٠) الحُصّ جمع حصاء وهى المحلوقة الشعر أو التى تناثر شعرها. (١١) قمط جمع قِماط وهو خرقة تلف على الصبىّ فى مهده. (١٢) القارح: من الإبل والخيل الذى بلغ آخر سنه. (١٣) اثّغر: نبتت أسنانه.

وأعـــلم المُلكَ المـــدارَ أنـــه بغير قطبٍ منكُمُ لا يستقِرْ
وأنه حبـــلٌ وليـــتُم فتـــلَه فكيفما أبرمـه النـاسُ آنتشـــرْ
أما كفاه — إنْ كفاهُ واعظٌ — بيانُ ما جرَّبَ[1] منكم وآختبرْ
وكيف لُمَّتْ وهى فى أيديكُمُ طيتُـــه وآنحـــلَّ فى أيدٍ أُخَرْ
كم [غارَ من بعد][2] الغرورِ مدّةً بغـيركم، أما يَغارُ من يُغَـــرّْ ؟
بلى! على ذاك لقـــد بان له فُرقانُ ما بين الرجال فظهـرْ
ونَصَحَتْـــه نفسُـــه لنفسِـــهِ فشاورَ الحـــزمَ وأحسنَ النظرْ
فقابـــلوا هفـــوتَه بحلمكم فمثلُكم — إن كان ذنبٌ — مَن غَفَرْ
وآســـتدركوا بسـعيكم حفيظةً من أمره ما شعَبَ العجـزُ وجَرّْ
فهـو الذى درَّ على أيمانِكم[3] قِدْما له خِلفُ[4] الصـلاح وغَزُرْ
وإن غنيتم لغـــنى أنفسكم عن رغبـــةٍ فهـــو اليكم مفتقِرْ
إن "العراقَ" اليوم أنتم قطبُـه لولاكُمُ مـدَبِّرين لم يَدُرْ
قد حُبِستْ عليكُمُ سُروجُـــه من غاب من حُماتِكم ومن حضَرْ
أنتم اذا ضِـــيمَ ســـيوفُ نصره وأنـــتُمُ ربيعـــه اذا آقشعَرّْ[5]
اذا قربتم ضحِكتْ عِراصُـــه[6] وآبيضَّ وجهُ العدل فيهـا وسفَرْ
وإن نأيتم [كان فى][7] آنتظارِكم كأنكم فيـــه الإمامُ المنتظَـــرْ



(١) فى الأصل "جزت" . (٢) هذه الكلمات ليست بالأصل وقد ورد به هذا البيت هكذا :

كم الغـــرور مرّة بغيركم أما يغار من يغتر

(٣) أيمان جمع يمين من الأيدى . (٤) الخلف : حلمة ضرع الناقة . (٥) آقشعر : لم يصب ريّا وفى الأصل "آستقرّ" (٦) عراص جمع عَرصة وهى ساحة الدار . (٧) فى الأصل "فانه انتظاركم" ولا يستقيم بهما الوزن والمعنى .

فعالجوا أدواءه بطبكم قد حُفِر(١) الجرحُ الذى كان عقر
لم يبقَ إلا رمقٌ فابتدروا إمساكه ، والغوثَ إن لم يُبتدَر
يا قاتلَ الجدب انتصرْ(٢) وقد بغى بعدك عامُ المحل فينا وجَر
كم تُمطَر(٣) الشهباء عنك بالحيا ، قد صرَّحتْ(٤) كَحَلٌ وقد صابتْ بقُرّْ(٥)
أمدد بيمناك(٦) على مجدٍ عفا خِصبًا وجدِّدْ رسمَ جُودٍ قد دَثَرْ
وآقدم على السعد الى الصدر الذى أوحشتَه فانهض بوِرْدٍ وصَدَرْ
وآضفُ على الدولة ظلًّا سابغا تسحبه تحبك(٧) هُدَّابَ(٨) الأُزُرْ
دعْ كَبِدَ(٩) الغيظ على أعدائها ودع لأوليائها حَزَّ(١٠) الأَشَرْ(١١)
قد أكلتْ أكفَّها(١٢) نواجذٌ يومَ لك الأمرُ آستقامَ وآستقرْ
ودَوِيتْ(١٣) بما أَشرتَ وطَوتْ(١٤) أفئدةٌ بالسوء فيك تأتمرْ
فتَهُمُ فربعوا(١٥) من ظَلَعٍ(١٦) على رضًا بادٍ وسخطٍ مستسِرّْ(١٧)

---

(١) حفر : فسد ، من قولهم : حُفِر فمه بمعنى فسدت أصول أسنانه . (٢) فى الأصل "نبى" .
(٣) فى الأصل " تمطل " ، والشهباء : الأرض لا نبات فيها ولا خضرة . (٤) يقال فى المثل : "صرَّحتْ كَحَلِ" وصرّحت بمعنى آنكشفت ، وكحل : السنة الشديدة ومعناه : خلصت السنة من الشدّة والجدب وقيل : كحل اسم للسماء ، يقال : صرّحت كحل اذا لم يكن فى السماء غيم ، وهى معرفة لا تدخلها الألف واللام وتصرف ولا تصرف . (٥) يقال فى المثل "صابت بقُرّ" أى نزل الأمر فى قراره فلا يستطاع له تحويل ، وصابت من الصوب وهو النزول ، والقر : القرار ، يضرب عند الشدّة ويروى "وقعت بقرّ" .
(٦) فى الأصل "بمينيك" . (٧) الهداب : الخيوط التى تبق فى طرف الثوب من عرضيه دون حاشيته . (٨) الأزر جمع إزار . (٩) الكبد : الشدّة والمشقة . (١٠) فى الأصل "جن" . (١١) الأَشَر : الحدّة والرقة فى أطراف الأسنان ، ويراد به هنا من باب المجاز الرفاهية فى العيش . (١٢) فى الأصل "أكفتها" والنواجذ : الأضراس . (١٣) دويت : مرضت . (١٤) طوت : نقيض نشرت . (١٥) فربعوا : فوقفوا وآنتظروا . (١٦) الظلع : غمز فى المشى قريب من العرج وفى المثل "اربعْ على ظلعك" أى إنك ضعيف فآنته عمّا لا تطيقه
(١٧) مستسرّ : متوار .

فلا يزل — وأنت حىٌّ خالدٌ — نأيُهُــم[1] حتى يسدُّون الحُفَرْ
ولا تنــلْ مُلكَكَ إلا شــللا يدُ الزمان وتصاريفُ الغِــيَرْ
أُذكُرْ وصفْ : كيف ترى بشائرى فى مجـــدكم ، إنّ الكريم مَنْ ذَكَرْ
حــدِّثْ بآياتى وقــلْ بمعجزى وخَبَرِى عن كلِّ غيبٍ مســتترْ
هــذا الذى جَرَتْ به عِيافــتى[2] لكم وطيرى ذو اليمين إذ زُجِرْ
وكيف لا تصــدُقُ فيكم نُذُرى[3] وأنا فى مديحكم أبو النُّــذُرْ
ومَدَدُ العيشــةِ لى من فضلكم وحظُّكم حظّىَ من خَــيْرٍ وشرّْ
قد عَرَّقَ[4] الزمانُ لحمى بعــدكم ببعــدكم وأحرق العظــمَ وذَرّْ
ولم يدع لى غمــزُهُ جارحــةً إلا وفيهــا غمــزُ نابٍ وظُفُــرْ
تنبِــذنى فى حبّكم نواظــرٌ وألسنٌ مَنبَــذَةَ النِّضوِ[5] المُعَــرّْ[6]
أرجو نداهــم ضلّةً وعطفَهــم كما رجت "قحطانُ" ودًّا فى "مُضرْ"[7]
أرجعُ عن زيارتى فى يُسرهــم الى محلٍّ عامرٍ من العُسُــرْ[8]
فافتقِــدوا شِــلوًا[9] لكم بقاؤه ومنكُمُ إنْ فاتَ أو مرَّ يَمُــرّْ
لسانكم ، وكلُّ من يُنطِقُكم سواه معقولُ[10] اللسان أو مُجَــرّْ[11]
قــد بلَغَ المفصــلَ منى جازرى فاللهَ فىَّ أنْ يَحُــزَّ ما جَــزَرْ

(١) وردت بالأصل هكذا "رالهم" . (٢) العيافة : التفاؤل بالطير . (٣) نذر جمع نذير . (٤) عرق : نهش بأسنانه . (٥) النضو : المهزول من الإبل . (٦) المعرّ : الذى أصابه العرّ وهو الجرب . (٧) يشير الى ما بين القبيلتين من العداء . (٨) العسر بضمتين : الضيق . (٩) الشلو : العضو . (١٠) المعقول : المشدود المربوط بالعقال . (١١) مُجَرّ : مقطوعٌ ممنوعٌ عن الكلام من قولهم : أجرَّ لسانَه : منعه الكلام ، ومنه لعمرو بن معد يكرب :

فلو أنّ قومى أنطقتنى رماحُهم ❊ نطقتُ ولكنَّ الرماح أجرَّتِ

ومعناه أنهم لو قاتلوا وأبلوا لذكرت ذلك ونخرت به ولكنهم قطعوا لسانى بفرارهم وفى الأصل هكذا "نحر".

لم تبق فىّ بعدكم بقيةٌ | يُرجَى لها رفدُ غدٍ ويُنتظَرْ
فا قضوا ديونَ جودكم فى خَلّتى | فقد قضى شعرىَ فيكم ما نَذَرْ

* * *

وقال وقد عاد شرف الدين أبو سعد الى تكريت

الليلُ فالأرضُ لليثِ الشرى[1] | عرّس[2] يبغى راحةً أو سرى
فتارةً مفترشا غابةً | وتارةً مفترسا مُصحِرا[3]
والظَّفَر الحلوله إن عفا | عمدا وإن نَيَّب[4] أو ظَفَّرا
مرَّ على هِزَّة ألبادهِ | يكبُرُ أن يؤمرَ أو يُزجَرا
يرَى من العِزَّة في نفسه | ما لم يكن ماحضُ نصحٍ يرَى
أغلب[5] لم يُخلَق رَكوبَ المطا[6] | سهلا ولم يُقصَر لحزِم[7] البُرى[8]
فما تريد اليدُ من مقودٍ | يرجعُ عنه باعُها أبترا[9]
لله رامٍ سهمُه رأيُه | اذا رأى شاكلةً[10] فكَّرا
يطيع من عزمته مُقدِما | ما غلّس[11] النهضةَ أو بكَّرا[12]
تنصره الوثبةُ من أن يُرَى | مستصرِخ الخُلسةِ مستنصِرا
لا تجذُبُ[13] الأوطان منه ولا | يخدعه للضيم طيبُ الكرى
يأنسُ بالنعمةِ ما ساندت | جنبا منيعا وحمًى أعسرا



(١) الشرى : اسم مأسدة بجانب الفرات . (٢) عرّس : نزل فى آخر الليل يطلب الاستراحة .
(٣) مصحرا : بارزا للصحراء . (٤) نيّب : غرز أنيابه ، وفى الأصل " بيب " ، وظفر : أنشب أظفاره . (٥) الأغلب : الأسد . (٦) المطا : الظهر . (٧) فى الأصل "حزم".
(٨) البرى : جمع بُرَة وهى حلقة تجعل فى أنف البعير يربط فيها الزمام . (٩) الأبتر : المقطوع .
(١٠) الشاكلة : الخاصرة ، يقال : أصاب شاكلة الرمية أى خاصرتها . (١١) غلّس : دخل فى الغلس وهو الظلمة . (١٢) بكر : دخل فى البُكرة وهى الغدوة . (١٣) فى الأصل "تجدب" .

فإن مشت فى جوّها ذلةٌ رابك مـذعورا ومســتنفرا

لِـمَ عـلى غَشْـمته فاتكٌ هلاَّ آرتأى فيها وهلاَّ آمترى

وقيـل لو عُلِّلَ مســتأمنا والداءُ إن موطِلَ يـوماً سَرَى

وكم جَنَى الرَّيثُ(١) عـلى حازمٍ فـودّ لو قــدَّمَ ما أخَّــرا

يا فارسَ الغــرَّاء(٢) يرمِى بها سهلَ العِنانِ الجانبَ الأوعَرا ،

يــردُّ من غُرَّتهـا مُعتِما عـلى الدآدى(٣) غَلَسـا مقمرا ،

ينُصُّ(٤) من أرساغهـا(٥) والمطـا إما جناحا طارَ أو مَنسِـرا(٦) ،

قل "لعميدالدولة" : آفلج بها قد ســلَّم الخصمُ وزال المِرَا(٧)

فانظر الى الأعقاب من صدرها لا بد للعـتم أن يُفجِــرا(٨)

ركبتَها بـزلاءَ(٩) مخطومــةً تحملُ منك الأســدَ القَسْورا(١٠)

ترمِى بدار الذلِّ من خلفها ظهرا وتبـغِى فى العلا مظهرا

ناجيــةً(١١) تأخذ من حظِّها مقبِــلةً ما تركَــتْ مدْبِرا

حتى آستقلَّتْ بك بحبوحــةً تشــرُفُ بالبـادية الحُضَّرا

محمِيَّةَ الأرجاء إن هُيِّجت زعزعتِ الأبيضَ والأسمـرا

تُذكِـرُك المجدَ بوفد الجـدا وســامرَ الليـل ونارَ القِـرى

وغلمــةً حولك من "عامرٍ" شرَطَك مـدعوًّا ومسـتنصَرا

---

(١) الريث : التمهل والإبطاء . (٢) الغراء : ذات الغرة . (٣) الدآدئ جمع دأداء، وهى الليلة الشـديدة الظلمة . (٤) ينص : يسـتحث . (٥) أرساغ جمع رُسغ وهو الموضع المستدق بين الحافر وموصل الوظيف من اليد والرجل ، ومفصل ما بين السـاعد والكف والساق والقدم . (٦) المنسر : منقار الطير الجارح . (٧) المراء : الأعتراض فى الجدل . (٨) يفجر : يدخل فى الفجر . (٩) البزلاء : الناقة العظيمة . (١٠) القسور : الأسد القوى . (١١) الناجية : الناقة الشديدة .

تحسَبها إن غضبتْ جِنّةً | وجانبَ "الزاب"[1] بها "عَبقَرا"[2]
تأمر في ذاك وتنهى بما | أنفتَ أن يُنهَى وأن يؤمَرا
عدوُّك الآملُ ما لا يرى | أصبح من بعدك مستوزَرا
دعوة داعٍ لم يجد حظَّهُ | أشقى له منك ولا أخسرا
قد أنكرتْ بَعدك خُطّابَها | فما ترى كُفئا ولا مُهرا
وابتُذلتْ حتى غدا ظهرُها | أجلبَ[3] مما ركضتْ أدبرا[4]
بين بنى العاهات منبوذةً | يزاحم الأعمى بها الأعورا
وآستامها المفلِسُ لما غدتْ | تباعُ بالفَلْس فلا تشترَى
كانت بكم مغنًى[5] هوًى آهلا | فاليومَ أضحت طللا مقفرا
وساقَها سالُبها ظلّكم | للذئب يرَعى سَرحَها[6] مُصحِرا[7]
داميةً من ندمٍ كفُّه | يأكلها الإبهامَ والخِنصَرا
ينشُدُ منكم وطرا فاته | ويسأل الرُّكبانَ مستخبِرا
كعاشقٍ فارقَ أحبابَهُ | طوعاً وسامَ الليلَ طيفَ الكرى
أين له أين بكم نادما | معتذرا إلا بأن يُعذَرا !
ما أخلقَ العاثرَ يمشى به | كسيرهُ أن يبتغى مُجْبِرا[8]
لا يعرف المعروفَ من أمره | مُعمَّرٌ حتى يرى المنكَرا
يا نعمةً ما صاحبتْ صاحبًا | وعُقلَةُ النعمة أن تُشكَرا
غدًا يوافيك بأيمانه | جاحدُك الغامطُ مستبصِرا

(١) الزاب : نهر بأرض الموصل . (٢) عبقر : اسم بلدة يقال إن الجن يسكنونها .
(٣) الأجلب : ما علته الجُلبة وهى القشرة تعلو الجرح . (٤) الأدبر : ما أصابته الدَّبرةُ وهى القرحة تحدث من الرحل ونحوه . (٥) فى الأصل "معنى" . (٦) السرح : المال السائم .
(٧) مصحرا : بارزا للصحراء . (٨) فى الأصل "مخبرا" .

بغـــدرةٍ يرغبُ فى بســـطها وزلّةٍ يسأل أن تُغـــفرا
فـــثَمَّ فاردد قادرا رأيك الـ ـشـ ـاردَ وآبرُدْ صـــدرَك الموغَرا (١)
وآجرِ من الصـــفح على عادةٍ مثلُك مستولٍ عليهـا جرى
وآلتحِم الجُرح فقــد طُوِّحتْ جَنْباه (٢) بالمسـبار وآستَنهرا (٣)
بادرْ بهـا الفوتَ فمـا شِلْوُهـا أول مَيْتٍ بك قــد أُنشِـــرا
وآركب مطاها (٤) فقد آستخضعتْ ذلًّا لأنْ تُلْجَـم أو تُثْفَرا (٥)
وروّض البُعـــدُ وتأديبُـــه لك الرقابَ الذلَّ والأظهـــرا
غَـــرسُ فـــتًى أنت أنشأتَهُ فـلا تدَعْ غـــيرَك مستثمرا (٦)
ما أسَّسَ "القــادرُ" إلا بنَى عُلْوا ولا يخـــلُقُ إلا فَـــرى (٧)
وآسئل مواعيـــدِىَ فى مثلهـا هل أخلفت أو كذّبتْ مَزجَرا
لو نزل الوحىُ عـــلى شـاعرٍ قمتُ بشيرا فيكُـمُ منـــذرا
أو آدعى المعجزَ من ليس بالـ ـنـ ـبىّ كنتُ المعجِـزَ المبهرا
كم آيةٍ لى لـو تحفَّظـــتُمُ بهـا وفألٍ بعـلاكم جرى
يشكر مقروءا ويشكو اذا صح الذى حـــدّث أو خبّرا

(١) الموغر: الملتهب حقدا. (٢) وردت هكذا فى الأصل. (٣) استنهر: آتسع وجرى، وفى الأصل "اشتهر". (٤) المطا: الظهر. (٥) تُثفَر: عُمِلَ لها ثَفَر وهو السير الذى فى مؤخر السرج، وفى الأصل هكذا "نفرا". (٦) ورد هذا البيت فى الأصل هكذا:

عرس فتى أنت إنسأنه * فلا ىدع عرك مستنمرا

(٧) يخلق: من قولهم: خلق الأديم يخلقه خلقا بمعنى قدره لمـا يريده قبـل القطع وقاسه ليقطع منـه؛ وفرى: قطع وصنع بعد التقدير، قال زهير:

ولأنت تفرى ما خلقتَ وبعـ * ـض القوم يخلق ثم لا يفرى

ومعناه: أنك اذا قدرت أمرا قطعتـه وأمضيته وغيرك يقدّر ما لا يقطعه لأنه غير ماضى العزم؛ وقال الحجاج: ما خلقت إلا فريت، وهو بالمعنى المتقدّم.

لا حقُّ مَن قــدّم حتمًا به ... يُعطَى ولا فـوزَةُ ما يُشـتَرى

وجُلّ حظى عندكم فيــه ما ... أجـودَ ما قال وما أشــعرا !

تناسـيا فى حيث تقضى العلا ... وتوجبُ القدرةُ أن أُذكَرا

كنتم ربيعى وثرى[1] أرضكم ... يلقى الحيا ظمآنَ مستبشرا

فما لربــعى دارسا هامــدا ... مذ صرتم الأنواءَ والأبحــرا ؟ !

اليكم الصرخةُ، لا منكُمُ! ... ما أخونَ الحـظَّ وما أجورا

قـد أكلتنى بعــدكم فــترةٌ ... ما أكلت إلا فتًى مُقْــترا

وآستعذبتْ لحمى وإن لم تجـد ... إلا مُمِـرًّا[2] طعمه مُمْقِــرا[3]

كنتُ على البِلّةِ من مائكم ... منتفضا من ورقى مُصــفِرا[4]

فكيف حالى ونوى داركم ... قد منع القطرةَ أن تقطُرا

من لى بصون العمــر فى ظلّه ... سِــنِىَّ أُحصِينّ[5] والأشهرا

ومن لكم غيرى طباق المــلا ... ما راضه فيكم وما سَــيَّرا

حتى لقــد سُمِّى بكم مسرفا ... حيث يُســمَّى مادحا مكثرا

أقسمتُ إن فاتكم الدهر بى ... لَيندمَنْ بَعــدِىَ مَنْ قصّرا

يا عُروتى الوثقَ أعــدْ نظرةً ... فى خَــلَّةٍ منبوذةٍ بالعــرا

تلافَ بالعاجل ميســورَها ... وصُبَّ[6] ولو مؤتشِــلا[7] مُنزِرا[8]

وآضمن على جودك من أجل ما ... قـد أنعم الوادى وعمّ الثرى[9]

---

(١) فى الأصل "وترى". (٢) الممر : الذى به مرارة. (٣) الممقر : الحامض أو المر.
(٤) المصفر : المفتقر. (٥) هذه الكلمة فى الأصل هكذا "أحبصهن". (٦) صب : فعل أمر من صاب المطر بمعنى آنصبّ ونزل. (٧) مؤتشلا : جائدا بالوشل وهو القليل من الماء.
(٨) منزرا : مقللا. (٩) الثرى : الخير.

ولا تدعــنى ودعاء الصّبـا ... فى معشرٍ أشــقَ(١) بهم مُعسرا
نَبِّـهْ على أنّ آختصاصى بكم ... يُخرِجُكم بالرّغم منى يَـرا(٢)
وآطلع طلوعَ البـدر ما ضرّه ... ســراره ليـلةَ ما أقمــرا
وآستخدم النيروزَ وآسـعد به ... مستعملا فى العــزّ مستعمرا
يومٌ من الأيام لكن رأى ... له عليها الفضــلَ والمفخَـرا
كأنه من نخــوة قُــلِّد الـ ... ـتسويدَ عن أمرك أو أُمِّرا
ينسب "كسرى" فإن آختاركم ... دينا فقــد وافقكم عنصُــرا
يُقسم ـــ والصدق قمينٌ به ـــ ... بمـا حبا الأرضَ وما نوّرا :
أنك تَبــقىَ مالكا خالدا ... ما ردّ منــه الدهرُ أو كرّرا

* * *

وكتب الى الوزير شرف الدين أبى سـعد وهو مقيم بالبَنْدَنِيجين(٣) يستوحش له ويصف آختلال حاله بفراقه

لو كنتَ تبلو غداة "السفح" أخبارى ... علمتَ أن ليس ما عَــيَّرْتَ(٤) بالعـارِ
شوقٌ الى الوطن المحبوبِ جاذبَ أضـ ... ـلاعى ودمعٌ جرى من فُرقة الجارِ
ووقفــةٌ لم أكن فيهـا بأوّل من ... بان الخليــطُ فداوى الوجــدَ بالدارِ
ولمتَ فى الــبرق زفراتى(٥) فــلو علمتْ ... عيناكَ من أين ذاك البـارقُ السارى
طارتْ شَرارتُه من جوّ "كاظمـةٍ" ... تحت الدجى بلُبـاناتى وأوطارى

(١) فى الأصل "أسق" . (٢) هكذا فى الأصل رسما وشكلا ولم نفهم معناه ، ولعل صوابه
نبــه على أن آختصاصى بكم ... يخرجهــم بالرغم مــنى بَرَا
و بَرَاء بمعنى بريئين حذفت همزتها للضرورة ، ويكون معنى البيت : نبه على أن آختصاصى بكم يخرج المعشر الذين أشق بهم برآء بالرغم منى . (٣) البندنيجين : لفظه لفظ التثنية بلدة مشهورة فى طرف النهروان .
(٤) فى الأصل "غيّرت العار" . (٥) فى الأصل "الرق" .

من كلّ مبتسِم عن مثــل وَمْضــتِه وذائبٍ ريقُــه فى مزنــه الجارى

وخافقٍ بفــؤادى فى حيًّا [هَطِــلٍ] (١) خفــوقَ شَعشاعِه من غير إضرارِ

وطائشٍ من لحاظِ يومَ "ذى سَلَمٍ" (٢) ملكْنَ وِردى ولم يملكن إصــدارى

رميتُ أحسَبُ أنّى فى "بنى جُشَمٍ" فَرُدَّ سهمى ورامى مهجتى "قارى" (٣)

هــل بالديار على لومى ومعــذرتى عَدْوى (٤) تقامُ على وجــدى وتَذكارى

أم أنت تعــذُلُ فيما لا تزيد بــه إلا مــداواةَ حَــرّ النــار بالنارِ

تنكّرتْ أن رأتْ شيبى وقــد حسبت (٥) أيّامَ عمرى فصــدّت "أمُّ عمّــارِ"

أما ترىنى ذَوَى غصــنى وناحلَــنى ظلّى وراب الهوى صبرى وإقصارى

وقُوربتْ (٦) خُطُــواتى من هُنا وهُنا فبُــدّلتْ أذرعٌ منهــا بأشــبارِ

مطرَّدا تَجتفيــنى العينُــ (٧)، راكدةً عنــد الملوك رياحى بعــدَ إعصارِ

فمــا خضعتُ ولكــن خاننى زمــنى ولا ذللتُ ولكن غاب أنصــارى

وقــد أكون وما تُقضَى بُلَهْنيــةٌ (٨) إلا بمتعــة آصــالى وأسحــارى

موسّــعا لى رواقُ الأنسِ، قالصــةً عــنّى ذلاذلُ (٩) أبــوابٍ وأســتارِ

مع الوسائد أو فــوق المضاجع إنــ ـنُلْتُ مجــالسُ الأُلّافِ وسُمّــارِ

أشرِى المــوداتِ والأموالَ مقــترحا منهــا الصفايا (١٠) بأخلاقى وأشــعارى

أيامَ لى من بنى "عبــد الرحيم" حمًى راعينَ حقَّ العــلا دانينَ حُضّارِ

مرفرِفين على حــقّ بحفظِهــمُ رامينَ نحــوى بأسمــاعٍ وأبصارِ

---

(١) هذه الكلمة ليست بالأصل . (٢) فى الأصل "لحاظى" . (٣) قارى : نسبة الى القارة وهى قبيلة مشهورة بالرماية ، وفى المثل "أنصف القارة من راماها" . (٤) العدوى : النصرة والمعونة . (٥) فى الأصل "دأب" . (٦) فى الأصل وردت هكذا "قوربت" . (٧) فى الأصل هكذا "نفى" . (٨) البلهنية : رغد العيش . (٩) الذلاذل : ما تدلى من حواشى الثوب . (١٠) الصفايا جمع صفىّ وهى ما يختار من الغنيمة .

(١٨٧)

فاليـومَ تنبِـــذنى الأبوابُ مطَّـــرَحا — نبـــذَ المُعَرَّةِ تحتَ الزِّفتِ والقـارِ
يُمَلُّ مـــدحى ولا يُصـــغَى لمعتبتى — ولا يـراقَبُ تخـــويفى وإنـــذارى
يُنقِّصُ الفضــــلُ ميزاتى[1] ويُصـــغرنى — ما كانَ فيـه اذا أُنصفتُ إكبارى
هـــذا وهم بعـــدُ يرعونى وإن شحَطوا — ويلحظونى على بُعـــدٍ من الدارِ
عَلِقتُ باسمِهِـــمُ فاســـتبقنى ويفى — أنى علقت بحبـــل غيرِ خـــوّارِ
بالأطهـــرين ثرًى والأطيبين ندًى — والأسمحين[2] عـــلى عُســـرٍ وإقتـارِ[3]
والناصرين لمـا قالوا بمـا فعـــلوا — والفاتلين عـــلى شَزْرٍ[4] وإمرارِ[5]
لا يعـــدَمُ الجارُ فيهـــم عِزَّ أُسرتِهِ — ولا يكون قـــراهم نجـــلةَ الجارِ
ولا يردّون فى صـــدر الحقـــوق اذا — توجَّهتْ بتســاويفٍ وأعـــذارِ
يأوى الطـــريدُ اليهـــم غيرَ مهتضَمٍ — ويرحل الضيفُ عنهـــم غيرَ مختـارِ
سريتُ منهـــم بشُهبٍ فى دُجَى أمـــلى — تضىءُ لى واهتـــدَى ليـــلى بأقمـارِ
صحبتهـــم والصِّـــبا رَيعانُ فى ورق — [فما][6] نبوْا[7] بِىَ حتّى حانَ إصفارى
مقـــرَّبا يُسحِبونى ذيلَ أنعمهـــم — حـــتى ترى النـاسَ يقتافون آثارى
حـــتى لو آنىَ أدعى باسم بعضهـــمُ — لم ينبُ جهرى عن الداعى وإسرارى
حَمَوا شـــبولا حِمى سَرحى وعشتُ الى — أن ذبَّ عنِّىَ منهـــم ضـــيغمٌ ضارى
قضيت فى "شرف الدين" الذى ضمِنتْ — لِىَ المـــنى ووقى[8] زجرى وأطيـارى[9]
وحَرَّمتْ يـــدُه لحمى على زمـــنى — وكنتُ منـــه لأنيابٍ وأظفـارِ

---

(١) ميزاتى جمع ميزة ، وفى الأصل "ميزانى" . (٢) فى الأصل "عبر" . (٣) فى الأصل "إيثار" . (٤) و (٥) الشزر : الفتل من اليسار وهو أشد فتل الحبل . والإمرار : الفتل الشديد . (٦) هذه الكلمة ليست بالأصل . (٧) نبوا : تجافوا ، وفى الأصل "يبونى" . (٨) فى الأصل "ورفى" . (٩) فى الأصل "اطبارى" .

أغرُّ قامت بقولى فيه معجزتى — فى الفضل وآنكشفت بالصدق أخبارى
وسار بآيِىَ ما أرسلتُه مثلا — فى الأرض من كلّ بيتٍ فيه سيّارِ
مبارَكٌ تطرُد اللأْواءَ (١) رؤيتُه — طردَ الظلام بزَند الَبْلجةِ الوارى
وزيرُ مُلكٍ خلَتْ فى عدل سيرته — صحيفةُ المُلكِ من إثم وأوزارِ
يزيِّن الحقَّ فى عينيه منيّتُه (٢) — على نوازع عرقٍ فيه نَعّارِ
شبّت به الدولةُ الشمطاءُ وآرتجعت — زمانَها بين إعراس وإعذارِ (٣)
وأقلع الدهرُ عمّا كان يثلِمُه — من عرشها بعد تصميم وإصرارِ
طورا هشيما تلظّى ثم يرفُل من — تدبيره بين جنّاتٍ وأنهارِ
يذُبُّ عنها وقد ريعت جوانبُها — برأيه المكتسِى أو سيفه العارى
تهفو مرارا به غَمطا لنعمته — ثم تعودُ بحلوِ الصفح غفّار
فكم تموتُ ويُحييها برجعته — وكم تَعُقُّ أباها الخالقَ البارى
شيمةُ لؤمٍ لها تُنسى اذا قُرِنتْ — منه بشيمةِ حرٍّ وآبن أحرارِ
من طينةِ المُلك ملموما على كرمٍ — لم تُنتحَتْ صخرةٌ منه بمنقارِ
يهتزُّ فخرا بعِرضٍ لا يُلِمّ به — وَصْمُ القَنا وأديمٍ غيرِ عُوّارِ (٤)
بين وزيرٍ تغُصُّ الصدرَ جلستُه — يختال أو مَلِكٍ فى الفرس جبّارِ
تقسّموا الأرضَ يفتضّون عُذرتَها — بعدلهم بين عُمّال وعُمّارِ
ورثتَهم سؤددا وآزددت بينهُمُ — زيادةَ السيف بين الماءِ والنارِ
إن تخلُ من وجهك «الزوراء» كرهةً — فإنّ صدَّك عنها صدُّ مختارِ
أو يُنضَ بعدَك عنها حسنُها فلها — بقرب غيرِك أثوابٌ من العارِ

(١) اللأْواء : الشدة . (٢) فى الأصل «منيته» . (٣) الإعذار : طعام يتخذ لسرورٍ حادث . وفى الأصل «أنذار» . (٤) العوّار : الضعيف .

أمّا الديارُ فقفرٌ والقطينُ بها (١) (٢) (٣) يـودُّ من قـلقٍ لو أنـه سارِى (٤) (٥)
قد خضخض السَّجلُ جالَيْها فما يجد السـ ـاقى سوى حمأةٍ [ما] بين أحجارِ
وطار بالرزق عنها أجدلٌ (٦) علقتْ منـه المنى بحديد الظُّفر عقَّارِ
قامت بأذنابها أقدامُهم وهوت رءوسُها فى هوى مستهدمٍ هارى
فالأرضُ مردودةٌ بالفَلس لو عُرِضَتْ والمُلكُ يغلو لمبتاعٍ بدينارِ
وصاحبُ الأرض مملوكٌ بصرفِهِ مجعجعٌ (٧) بين نهّاءٍ وأمّارِ
حِلْسُ (٨) العرينةِ (٩) خافٍ تحت لِبدتهِ ويكسبُ الليثُ مع سعيٍ وإصحارِ (١٠)
مدبّرٌ لعبت أيدٍ بدولته مشلولةٌ بين إقبالٍ وإدبارِ
يدعوك معترفا بالحقّ فيك وما آسـ ـتدناك مثلُ آعترافٍ بعدَ إنكارِ
يا جارهُ أمسِ ! قد لانت عريكتُهُ فآعطف له وآرعَ فيه حُرمةَ الجارِ
وآنهض لها نهضةَ الشارى (١١) ببطشته الـ ـكبرى وحاشا لك التمثيل بالشارى
قد أعقم الرأىُ فاستدرك بقيّتها منك برأيٍ وَلودِ البطنِ مِذكارِ
فلم تزل واريًا فى كلّ مشكلةٍ بقَدحِها جاريا فى كلّ مِضمارِ
وآملِذْ بجودك أهواءً موزّعةً حتى تفيءَ لإذعانٍ وإقرارِ
وآسعَ لمنتظرٍ آياتِ عَودِك لم يغنم سوى الصبر من غَمٍّ وإنظارِ
لا يشتكيك وإن طال الجفاءُ به إلا إليك بإخفاءٍ وإظهارِ

(١) يقال : خضخض الأرض : قلبها وأثارها . (٢) السجل : الدلو . (٣) الجال : ناحية البئر، وفى الأصل "حاليها" . (٤) الحمأة : الطينة . (٥) هذه الكلمة ليست بالأصل . (٦) الأجدل : الصقر . (٧) المجعجع : مبرك الإبل ومنيخها . (٨) حلس : يقال هو حلس بيته اذا لزمه ولم يبرحه . (٩) العرينة : بيت الأسد . (١٠) الإصحار : البروز للصحراء . (١١) الشارى : واحد الشراة وهم الخوارج .

لم يبقَ إلا الذَّما[1] منه وأحسَبهُ ... لليوم أو لغدٍ[2] ميتا بلا ثارِ
لولا عوائد من نعماك تنشُلنى ... وإن أتت فى قبيل الطارق الطارى
تزورنى والنوى بينى وبينكُمُ ... أهلا بها من حفىٍّ بى وزوَّارِ
يجدودها مراعاةً فى ظمأٍ ... لو كان فى البحر لم يُخْلَقْ بتيّارِ
لُمُّوا كسورى فما فى الأرض منقبةٌ ... أعلى بصاحبها من جبر أكسارى
اليدُ منكم فلا تُلقوا أشاجعها[3] ... لقاصم من يد العلياء بشارِ[4]
وإن أَغِبْ عنكُمُ فالشعر يَذْكُرُنى ... وحسبكم بالقوافى ربّ إذكارِ
فآستجلها يا "عميد الدولتين" فقد ... وافى بها الشوقُ من عُونٍ[5] وأبكارِ
عرائسا أنت مولَى الناس خاطبُها ... وبعلُها، وأبوها عفوُ أفكارى
وآنظر اليها وما قد أُعطيَتْ شرَفا ... مرددًا بين أحماءٍ وأصهارِ
والمهرجان وعيد الفطر قد وَلِيَا ... زفافَها بين صَوّاغٍ وعطّارِ
يومان للفُرس أو للعُرب بينهما ... حظُّ السعادة مقسومٌ بمقدارِ
هذا بتاج[6] أبيه عاصبٌ وعلى ... هذا آختيالُ فتىً بالسيف خطّارِ
تصاحَبا صحبةَ الخِلَّين وآتفقا ... سلْما ولم يذكرا أضغانَ "ذى قارِ"[7]
فآلبسهما بين عيشٍ ناعمٍ وتُقىً ... وبين صومٍ تزكِّيه وإفطارِ

---

(١) الذماء: بقية النفس. (٢) فى الأصل "منا". (٣) الأشاجع جمع أشجع وأشجَع وهو أصل الإصبع الذى يتصل بعصب ظاهر الكف، و يقال أيضا: إن الأشاجع عروق ظاهر الكف. (٤) البشار: الذى يقشر البشرة التى ينبت عليها الشعر. (٥) العون جمع عوان وهى النَّصَف فى سنّها أو المسنة ويقابلها البكر وهى العذراء الصغيرة. (٦) فى الأصل "نتاج" وهو تحريف، والعاصب: المعتم بالتاج. (٧) ذو قار: من أيام الحروب التى وقعت بين الفرس والعرب، وكانت وقعة ذى قار وقد بُعث النبى صلى الله عليه وسلم وخبر أصحابه بها، فقال: «اليوم أوّل يوم آنتصفت فيه العرب من العجم وبى نُصروا».

ما طاف بالبيت ماحِى زَلّةٍ وســعى شُعْثٌ[1] أمامَ " الصفا " أنضاءُ[2] أسفارِ
تنصَّــبوا لهجير الشمس وآفترشــوا ليــلَ السُّرَى بين أقتــابٍ وأكوارِ
نضَّــوا[3] الركابَ بمصرٍ واحــدٍ وهُمُ شــتَّى أباديدُ[4] آفاقٍ وأمصــارِ
حــتى أهلُّوا فلبَّــوا حاسرين الى الــ ـدَّاعى مبـاذلَ[5] أشــعارٍ[6] وأبشـارِ[7]
وما جرى الدمُ فى الوادى وقــد نحروا وسُرِبِلَ البيتُ من حُجْبٍ وأسـتارِ
مخــلَّد الملك تفضِى كلُّ شارقةٍ الى وفاقٍ لمـا تهــوَى وإيثـارِ

* * *

وقال وكتب بها الى أبى الوفاء كامل بن مهدىّ ، وقد سأله إجراءه على العادة فى رسم الشعر فى المهرجان

لمن الظُّعْنُ تهتــدى وتجـورُ؟ سائقٌ منجــدٌ وشوقٌ يغــيرُ!
تُتبــعُ الخطوَ قاهرا بين أيديـ ـها ومن خلفهـا هوًى مقهــورُ
وهى فى طاعــةِ التلفُّتِ حيًّا تٌ وفى طاعة الجبـالِ ســطورُ
ووراءَ الحُــدوجِ[8] فى البيــد أروا حُ المقيمين فى الديارِ تســيرُ
رفعوها وهى الخــدورُ وراحــوا وهى مما[9] تحوى القلوبَ صــدورُ
يا عقيــدى على الغــرام بليــلٍ قم وفيًّا ـ وغــيرك المأمورُ ـ
وأَعِرْنى ـ إن كان ممّا يُعارـ الــ ـقلبَ أو كنتَ أنت ممّن يُعيرُ

(١) الشعث : مغبرو الرءوس ويريد بهم الحجاج ، والصفا : من شعائر الحج . (٢) أنضاء جمع نضو وهو المهزول . (٣) نضوا : استحثوا . (٤) أباديد : متفرقون . (٥) المباذل : الثياب التى تبتذل . (٦) أشعار جمع شَعَر . (٧) أبشار جمع بشرة . (٨) حدوج جمع حدج وهو مركب للنساء يشبه الهودج . (٩) فى الأصل " وفى " .

لِىَ وِترٌ[1] بين الركاب وأَوْلَى … من تولَّيتَ نصرَه الموتورُ

حكَمَتْ فى دمى فتاةٌ من الحىِّ مباحٌ لها الدمُ المحظورُ

غادةٌ بين ظبيةِ البانِ والبا … نِ اهتزازٌ فى خَلْقِها[2] وفتورُ

بهما تَخلِسُ العقولَ وتَرعَى … فى حِمَى كلِّ مهجةٍ وتُغيرُ

فتى استعصمتْ فعاقلتاها[3] … رَشأٌ أحورٌ وغصنٌ نضيرُ

مَن عذيرى منها وأين من القا … تل يَجنِى ولا يُقادُ عذيرُ

قامرتنى بطَرفها يومَ ذى البا … ن وراحت ولِىَّ المقمورُ

دونها من إبائها شيمةُ الغد … ر ومن قومها القنا المشجورُ

قال عنها الواشون حقًّا فعِفْنا … وقنِعنا بالطيف والطيفُ زورُ

ومن النزح[4] صادقٌ وهو مذمو … م لدينا وكاذبٌ مشكورُ

زارنا " بالعراق " زَورةَ ذى الجَنْ … ـبِ " وماوانُ " دونه " بَخَفِيرُ "[5]

يركب الليلَ قعدةً والليالى … صَهَواتٌ فُرسانهنّ البدورُ

يقطعُ التيهَ[6] والجمانُ دليلُ … بين عينيه والظلامُ خفيرُ

فاذا مَضْجَعى القضيضُ[7] مهيدٌ[8] … واذا ليلِىَ الطويلُ قصيرُ

ما " لظمياء " تنطوى شِرَّةُ[9] العمـ … ـرِ فيبلَى وحسنها منشورُ؟

وعظَ الشيبُ والحوادثُ فيها … وفؤادى ذاك المصرُّ الجسورُ

ومشيرٍ ولَيتَهُ صفحةَ الإعـ … ـراض عنها والحبُّ لا يستشيرُ

---

(١) الوتر : الثأر . (٢) فى الأصل " خلقها " . (٣) العاقلة : دافع الدية .

(٤) فى الأصل " البرح " . (٥) ماوان وجفير : اسما موضعين أولهما قرية : فى أرض اليمامة باليمن ، وثانيهما لم يبينه يا قوت . (٦) التيه : المفازة يتاه فيها . (٧) القضيض : الخشن .

(٨) مهيد : ممهد . (٩) الشرّة : الحدة والنشاط .

نكِرَ البيضَ والصـــبابةَ بالبيـ ـضِ وأين الصِّـــبا وأين النكيرُ
إن ترانى عـــلى يديك خفيفا سلسَ السهم مِقـــودى[1] والقتـــيرُ[2]
لَيِّنـًا[3] تحت غمـــزة الحائلِ[4] الفا طِرِ[5] تمـاعُ[6] طينـــتى وتخــورُ
فبما أكرهُ الحفيـــظَ ولا يَطـ ـعم نوما على آنتباهى الغيــورُ
غيرعِرِدى ،الملوى ،وغيرعصاى ،الـ ـملتحى بالمـــلامةِ المقشـــورُ[7]
حيث حُكمِى فصلُ القضاء على الدهـ ـر وأمرى عـــلى الحسان أمـــيرُ
فخذ الآن كيف شئتَ بجبـــلى قد كفاك الجـــذابَ أنى أســيرُ
يا بنى الدهـــر كم يَصَمّ عن الزجـ ـرِ وكم يكمُهُ الســـميعُ البصـــيرُ
ســـقمٌ ماطلٌ أما آن أن يفـ ـرق شيئا عـــلى الرُّقَى المســـحورُ؟
ملكَ الجـــورُ أمرَكم فالفـــتى الغـ ـرورُ بالعيش فيكُمُ معـــذورُ
فتساقيتم الفـــراقَ بكأس هى فيكم عـــلى السماء تـــدورُ
كلّ يومٍ حـــقٌّ مضاعٌ عليـــكم ووفاءٌ لديـــكُمُ مكفـــورُ
يفـــرحُ المنتشِى بها اليـــومَ أو يذ ـمّى غـــدا ما يكابد المخمـــورُ
وثنـاءٌ تزكو تجارةُ أعـــرا ضِكُمُ منـــه وهو فيكم يبـــورُ
وجنـاحٌ اذا المـــنى ريّشـــتْهُ عاد فيـــكم باليأس وهـــو كسيرُ
وأخٌ وجهـــه الحيـا البارد العـــذ بُ ومكنونه الأُجاجُ[8] المـــريرُ
عُـــدّتى منـــه رثّةٌ وعـــديدى يـــومَ ألقى العـــدا به مكثورُ

---

(١) المقود : ما يقاد به من حبل ونحوه . (٢) القتير : الشيب أو هو أول ما يظهر منه . (٣) فى الأصل "إلينا". (٤) الحائل : المتغير اللون ، ويريد به الشيب . (٥) الفاطر : يقال : فطر الأجير الطين فهو فاطر أى طَيَّن به قبـل أن يختمر ويريد بذلك أنه هرم قبـل أوانه . (٦) تماع : تذوب . (٧) فى الأصل "المقسور" . (٨) الأجاج : الماء الملح المتغير .

ومـــتى هُزَّ للحقـــوقِ نبـا منـ ـهُ صـــديقٌ يكورُ[١] ثمَّ يحـــورُ[٢]

وآفترقنا وقـــد سلا الغـادرُ الهـا جرُ منّـا وما ســـلا المهجـــورُ

لو تأسّى "بكاملٍ" كلُّ من يسـ ـألُ نَصَفًا[٣] لم تـــلقَ خَلْقا يجـــورُ

تلك طُـــرْقٌ على المسالك عميـا ءُ وظهـــرٌ على العـــراك عســـيرٌ

وعنـاءٌ على النـــواظر أن يُطـ ـلَبَ للشمس فى السماء نظـــيرُ[٤]

ترك النـاسَ خلفَـــه سابقَ النـا سِ وقافت به[٥] الصَّـــبا والدَّبـــورُ[٦]

وسما للعـــلا فأشـــرقَ من أشـ ـرفِ أفلاكها الهـــلالُ المنـــيرُ

طالبًـا قدرَ نفســـه يكفُلُ السعـ ـىَ له النجـاحُ والمقـــدورُ

همّـــةٌ قارنت قرينـا من السعـ ـد فسارت فى الأفق حيث يسـيرُ

وعطايا رأت معينـا من الشكـ ـر فدامت ، «ا كلُّ مُعطًى شَكورُ

ولد الدهرُ منك ـ والدهـــرُ هِمٌّ[٧] ـ ما تمنّت عـــلى الشباب الدهورُ

وآســـتقلّت بنعمـــة الله جنبـا كَ وكـلٌّ بثقلهـا مبهـــورُ

ورأى النـاسُ معجـــزاتِك فآستيـ ـقن من شـكٍّ وآستجاب الكَفورُ

فسماحٌ أعمَى مســـحتَ بكفَّيـ ـك عليـــه فارتدَّ وهو بصـــيرُ

ودفينٌ من الفضـائل نادا كَ من التُّربِ ميْتُـــه المقبـــورُ

مســـتجيرا من الردى بك فانتا شَ[٨] فأعجِبْ بميِّتٍ يســـتجيرُ

جدتَ عذبَ الندى غزيرا وجودُ الـ ـغيث ملـــحٌ فى سُحْبِـــه منزورُ

(١٩٠)

---

(١) يكور : يزيد ، وفى الأصل "يكرن" . (٢) يحور : ينقص ، وفى الأصل "يجور" ؛ وفى الحديث « نعوذ بالله من الحور بعد الكور » أى من النقصان بعد الزيادة .

(٣) النصف : الإنصاف . (٤) فى الأصل "يطير" . (٥) قافت به : تبعته وآقتفت أثره ، وفى الأصل "قاتت" . (٦) الدبور : الريح الجنوبية . (٧) الهم : الشيخ الهرم .

(٨) فآنتاش : فأنقذ من الهلكة .

وتعـــذّرتَ من كثيرك، والبحـ ـرُ وقـــد قلّ رفــدُه معـــذورُ

فى زمانٍ اذا الرجالُ سخَـــوا فيـ ـه فـا فــرطُ نَيْلهم تبــذيرُ

جودُ من لا غدًا يَخافُ ولا اليـــو م عليـــه مســيطرٌ ومشــيرُ

سائرٌ بالثنـاء وهـــو مقـــيمٌ وغـــنىٌّ بالذكر وهو فقــيرُ

زاده بالثنـا ولوعا ووجـــدا قولُ قومٍ : هـــذا هو التـــدبيرُ

لك يومانِ فى النـــدى شائعٌ با دٍ ومُلْـــقىً قِرامُـــهُ (١) مســـتورُ

فعطـاءٌ وربُّـــه مشـــكورُ وعطـاءٌ وربُّـــه مأجـــورُ

قـــد أريقت إلا لديك المـــروءا ت وضاقت إلا عليـــك الأمورُ

وتفـــردتَ بالمحـاسنِ فى دهـ ـرٍ بأوصافـــه تُشاهُ الدهـــورُ

ملكَ العجزُ فيـــه ناصـــيةَ الفضـ ـلِ فطالت ذُرَى الجبالِ الصخورُ

وتواصى الرجالُ باللـــؤم حتى الـ ـمجـد عارٌ والجـــودُ ذنبٌ كبيرُ

أقحطتْ أوجـــهُ البـــلادِ ومن حو لك للخِصبِ روضـــةٌ وغـــديرُ

فإلى بابك الحـــوائجُ تحـــدو ولك العِـــيرُ فى العـلا والنفـــيرُ

عادةٌ من ورائهـا شافعُ النفـ ـس وأصـــلٌ بفرعه منصـــورُ

واكتسابٌ أعانه شـــرفُ الميـ ـراثِ والمجـــدُ أولٌ وأخـــيرُ

ويمينًا لَمَن تمـــدُّ بأعرا قك فى الفخـــر أن يســودَ جديرُ

دوحـــةٌ من ثمـارها أنت والمَغـ ـرَسُ منها "بهرامُ" أو "أردشيرُ"

خير ما تربةٍ عـــلى الأرض لم يُشـ ـعَبْ على اللؤم طينُها المفطـــورُ

طاب صلصـالُ عِيصِها (٢) وبريّا ها ثرًى ماجـــدٌ وماءٌ طهـــورُ

(١) القرام : الستر الرقيق . (٢) العيص : الأصل وخير منابت الشجر .

قومُك الغالبون عزًّا وهم قو مى على الأرض وهى ماءٌ يمور[1]

ركبوا الدهرَ وهو بعدُ فتىٌّ جَذَعٌ[2] وهو قارحٌ[3] مقرورُ[4]

ملكوا الناس آمرين وما فى الـ ناس إلا مستعبَدٌ[5] مأمورُ

كلُّ خوفٍ بهم أمانٌ ومهجو رِ خرابٍ بعدلهم معمورُ

أىُّ مجدٍ يضمُّنا ونِجارٍ يومَ أنسابُنا اليه تصيرُ

إن يَفُتنا الخطيبُ والمِنبر المنـ صوبُ فالتاج حظُّنا والسريرُ

حسْبنا أن تعلَّم الملكُ منّا والسياساتُ فيه والتدبيرُ

وكفيناه أمرَ "رستمَ" فى الحر ب اذا عُدِّد الرجالُ الذُّكورُ

والذى قد سَقَى من الدمِ "ذو الأكتـ ـاف"[6] حتى روَّى الثرى "سابورُ"

ولدوا منك كوكبا ضوءُه السا رى دليلٌ عليهمُ ونذيرُ

واستسلُّوا لفخرهم من لسانى صارما غَربُهُ الكلامُ الغزيرُ

تُحطَمُ الذُّبَّلُ الصِّعادُ[7] ويَسرى صدأ السيف وهو ماضٍ طريرُ[8]

فلهذا اذا مدحتُك فى عِـ زّى أسَدِّى[9] وفى علائى أُنيرُ[10]

منك أن تُحسنَ الصَّنيعَ[11] وأن تر عَى ومنِّى التنميقُ والتحبيرُ

وكلانا بحظِّه من أخيه جَذِلٌ يومَ كسبه مسرورُ

غير أنى يبقى قليلُ الذى أعـ طِى ويفنَى عطاؤك الموفورُ

---

(١) يمور : يموج و يضطرب . (٢) الجذَع : الفتىّ . (٣) القارح : المسنّ .
(٤) المقرور : الساكن الثابت . (٥) فى الأصل "مسبعد" . (٦) ذو الأكتاف : ملك من ملوك الفرس واسمه سابور بن هرمز وسمى بذى الأكتاف — فى بعض ما قيل — لخروج قوم من العرب عليه فسار اليهم ونزع أكتافهم . (٧) الذبّل الصعاد : الرماح . (٨) طرير : حادّ .
(٩) أسدّى : أجعل لمدحى سدى وهو خلاف اللحمة . (١٠) أنير : أجعل له نيرا وهو خلاف السدى فى عمل الثوب . (١١) فى الأصل "الضيع" .

كلّ كنزٍ فى الأرض تأكلُه الأر ... ضُ وكنزى مؤبّد[1] مذخــورُ

وسِـوى ما أقول جَنـدَلةٌ تُقـ ... ـذَفُ فى الماء أو سفاءٌ[2] يطـيرُ

كَلِمٌ أعـور المعادنِ مطـرو ... قٌ ومعـنًّى مردّدٌ مطـرورُ

سرَاتٌ خُلْسٌ كما يرد المـ ... ـذعورُ خوفا أن يصطلى المقـرورُ[3]

ولعمـرى إن القـريضَ اذا عُـ ... ـدّ كثيرٌ وما يَسـيرُ يسيرُ

لِيَ وحـدى إعجـازُه، والدعاوَى ... طَبَـقُ الأرض فيـه والتزويرُ

(١٩١)

ويُطيـقُ[4] المغمّـرون[5] الذى أبـ ... ـدعَ فيـه طريقه المسـطورُ

غرِقوا منـه فى بحـور الأعاريـ ... ـض وكيف المنصوب [و][6] المجرورُ

واليتـامَى من دُرّه فى خليج ... ضَـيّق ليس منـه هذى البحورُ

واذا المهـرجانُ جاءك يهـديـ ... ـه فقـد طاب زائرٌ ومَزورُ

ذاك يومٌ فـردٌ وذا كَلِمٌ فصـ ... ـلٌ[7] وكلٌّ بفضـله مشهورُ

فاقتبِـلْ منهما السـعودَ وباكر ... صـفوةَ العيش فالمعاشُ البُكورُ

وتمـلَّ الزمانَ تجـرى على حكـ ... ـمك قسرا أيّامُـه والشهورُ

تقع الدائرات دونك حَسـرَى ... ورحاها عـلى عـداك تدورُ

غُصّة الغيظ حظُّ حاسـدك البـا ... غى وحظّاك غِبطـةٌ وسرورُ

نام عنـك المكلَّفون وليـلى ... ساهرٌ ما لنجمـه تغـويرُ

نَفَسٌ طال كان لولاك يغـنى الـ ... ـعفوُ منـه ويُقنع الميسـورُ

فوفاءً "أبا الوفاء" فـلم تُقـ ... ـضَ، اذا ما لم تَقْضِ فىّ، النذورُ

---

(١) فى الأصل "مؤيد". (٢) السفاء: التراب. (٣) المقرور: الذى أصابه القر وهو البرد. (٤) فى الأصـل "ويَنْقُ". (٥) المغمرون: المدفوعون فى الغمر. (٦) هذا الحرف ليس بالأصل. (٧) فى الأصل "فضل".

كن غيورا علىّ من أن يلى غيـ ـرك نصرى ، إن الكريمَ غيورُ
فكثيرُ الجزاءِ منك قليلٌ [وقليلٌ] (١) من آخرين كثير

* * *

وقال وكتب بها الى عميد الرؤساء أبى طالب فى المهرجان

نفّرها عن وِردها "بحاجرٍ" شوقٌ يعوقُ الماءَ فى الحناجرِ
وردّها على الطّوَى سواغبا ذلُّ الغريب وحنينُ الزاجرِ
فطفقتْ تُقنعُها جِرّاتُها (٢) من شِبَعٍ دانٍ ورِىٍّ حاضرِ
يكسّعها التّرابُ فى أعطافها تساند الأعضاد (٣) بالكراكرِ (٤)
ذاك على سكونٍ من أقلقها وأنها وافيةٌ لغادرِ
مغرورةُ الأعينِ من أحبابها بخالبِ الإيماض غيرِ ماطرِ
تقابل المذمومَ من عهودهم بكلّ قلبٍ ولسانٍ شاكرِ
وهى بأرماح الملال والقِلَى مطرودةٌ منخوسةُ الدوابرِ
تشكو اليهم غدرَهم كما اشتكت عقيرةٌ الى شفارِ العاقرِ
قد وقَروا عنها وكانت مدّةً (٥) تُسمِعُ منهم كلَّ سمعٍ وافرِ
وكلّما ليموا على جفائها تواكلوا فيها الى المعاذرِ
فليت شعرَ جدبها إذ صوّحوا أين الخصيبُ الكَثُّ (٦) فى المشافرِ
وهبهمُ عن السيول عَجَزوا فأين بالقاطرِ بعد القاطرِ؟
كانت لها واسعةً ركابُهم وكلُّهم فى الحظّ كلُّ الخاسر

---

(١) هذه الكلمة ليست بالأصل . (٢) جرات جمع جِرّة وهى أن يعيد البعير ما فى جوفه الى فمه ويأكله ثانية . (٣) الأعضاد جمع عضد وهو الساعد . (٤) الكراكر جمع كِرْكِرَة وهى صدر البعير .
(٥) فى الأصل "مرة" . (٦) الكث : الكثيف .

ففـــيم ضاقوا فتناسَـــوا حقَّها ... والدهرُ يُعطيهـــم بسهمٍ وافـــرِ
كانت وهم فى طىِّ أغمـادهمُ ... لم نتـــبرَّزهم يمينُ شاهرِ
وافـــرةً أقسامُها فـــا لها ... لم تُقتضَب من هـــذه المناشرِ
هل ذَخَرتْهم دون من فوق الثرى ... إلا ليـــومِ النفـــع بالذخائرِ
لوشاوروا مجدَ "ابن أيوبَ" لمـا ... فاتتهُـــمُ حزَامـــةُ المشـاورِ
إذن لقـــد تعلَّموا ولُقِّنـــوا ... رعىَ الحقوقِ منـــه والأواصرِ
لله راعٍ منهـــمُ مســـتيقظٌ ... لم يتظلَّم طولَ ليـــلِ الساهرِ
يرى الصباحَ كلُّ من توقظه الـ ... ـعليـا وما لليـــله من آخرِ
جـــرى الى غايتـــه فنالهـا ... مخاطرا، والسبقُ للمخاطـــرِ
ما برِحتْ تبعثُـــه همّتُـــه ... فى طلب الجسائمِ الكبائرِ
حـــتى أناف آخـــذا بحقّـــه ... من العـــلا أخذَ العزيزِ القـادرِ
رَدّ "عميدُ الرؤساء" دارسَ الـ ... ـمجد وأحيا كلَّ فضـــلٍ داثرِ
حلَّق حـــتى آشتط فى سمـائه ... بحاكمٍ فى نفســـه وآمرِ
وبَعـــدُ، فى الغيب له بقيّـــةٌ ... ناطقـــةُ الأنبـاءِ والبشـائرِ
ولم يقصِّر قومُـــه عن ســـوددٍ ... يُخـــبَرُ عن أولهم بالآخرِ
ولا آســـتزلُّوا عن مقامِ شرفٍ ... توارثـــوه كابرا عن كابرِ
لكنّه زاد بنفيسٍ فَضَلَت ... فضـــلَ يَدِ الذارعِ شبرَ الشابرِ
والشمسُ معْ أن النجومَ قومُها ... تنسخُهنّ بالضـــياء الباهرِ
وخيرُ من كاثرك الفخرُ [بهِ] (١) ... شـــهادةُ الأنفسِ للعنـاصرِ
دـــونَّ فى الجود عليـــه فقرَه ... أنّ المعـالى إخوةُ المَفاقـــرِ

(١) هذه الكلمة ليست بالأصـــل .

فالمالُ منه بين مُفْنٍ واهبٍ ... والناسُ بين مقتنٍ وذاخرِ
ولن تُرى الكفُّ القليلُ وفرُها ... فى الناس إلا لابن عِرضٍ وافرِ
مَن راكبٌ؟ — تحمله وحاجةً ... أمُّ الطريق(١) من بنات "داعرٍ"(٢) —،
ضامرة تركّبتْ نسبتُها ... شطرين من ضامرةٍ وضامرِ(٣)،
يَقطع عنى مطرح العينين لا ... أسومُه مشقّةَ المسافرِ،
من أسهلتْ أو أحزنتْ رحلتُه ... فحظُّه حظُّ المجيرِ العابرِ،
بلِّغ على قرب المدَى، وعجَبٌ ... قولِىَ : بلِّغ حاضرا عن حاضرِ
نادِ بها "الأوحدَ" : يا أكرمَ مَن ... تُثْنَى عليه عُقَدُ الخناصرِ(٤)
لم تسُدِ الناسَ بحظٍّ غالطٍ ... متّفقٍ ولا بحكمٍ جائرِ
ولا وزرتَ الخلفاءَ عَرَضا ... بل عن يقينٍ من عليمٍ خابرِ
ما هزَّك "القائمُ" حتى آختبرتْ ... بالحسِّ حدّيك يمينُ "القادرِ"
خليفتان آصطفياك بعد ما ... تنخّلا سريرةَ الضمائرِ
وجرّبا قبلكَ كلَّ ناكلٍ(٥) ... فعرفا فضلَ الجُرازِ(٦) الباترِ
لم تكُ كالفاتل فى حبالِه ... والدِّينُ منه مُسحَلُ(٧) المرائرِ(٨)
يأكل مالَ الله غيرَ حَرِجِ الصـ ... ـدرِ بما جرَّ من الجرائرِ
فانعم بما أعطيتَ من رأيهما ... وكاثر المجدَ به وفاخرِ

---

(١) أم الطريق : النعامة وقد آستعارها هنا للناقة تشبيها لها بالنعامة فى سرعة عدوها . (٢) داعر : فحل منجب تنسب اليه الداعرية من الإبل، وفى الأصل "ذاعر" . (٣) الضامر : القليل اللحم . (٤) عقد الخناصر : يكنى بهن عن آختيار المتوحد الذى اذا ذكر بمدحة تعين لها دون غيره . (٥) الناكل : الجبان الضعيف . (٦) الجراز الباتر : السيف القاطع . (٧) مسحل : مفتول غير محكم . (٨) المرائر جمع مريرة وهى الحبل الشديد الفتل .

وٱكتسِ ما ألحفتَ فى ظلِّيهمـا من رُدْنِ(١) زاكٍ وذيــلٍ طاهرِ

فحسبُ أعــدائك كَبْتا(٢) وكفَى كَبًّا(٣) على الجباءِ والمناخــرِ

إن الذى ماتَ ففـاتَ منهما بقَّـاك ذُخرا بعــده للغـابرِ

فٱبق عــلى ما رغمــوا مُمَلَّكا أزِمَّــةَ الدَّســوتِ والمنـابرِ

مادامت"المَروَة""أختا""للصَّفا" والبيتُ بين ماســحٍ ودائرِ

وٱجلس لأيّام التهـانى مالئـا صــدورَها بالمجــدِ والمآثرِ

تَطلُع منهـا كلَّ يــومٍ شارقٍ بمهــرجانٍ وبعيــدٍ زائرِ

لك الزكىّ الــبَرُّ من أيّامهـا وللأعادى كلُّ يومٍ فاجــرِ(٤)

وٱسمــع أناديك بكلِّ غادةٍ غريبــةٍ لم تجْــرِ فى الخواطرِ

مؤيســةِ المــرامِ فى باطنِهـا مُطمِعــةٍ فى نفسها بالظـاهرِ

وهى على كثرةِ من يحبُّها وحسنها قليــلةُ الضــرائرِ

تســتولد الودادَ والأموالَ من كلّ عقــيمٍ فى الوِلادِ عاقــرِ

فلستَ تدرى فكرةٌ من شاعرٍ جاءت بهـا أو نفثـةٌ من ساحرٍ !

ملَّكَكَ الــودُّ عزيزَ رقِّهـا وهى من الكرائم الحــرائرِ

تُفضِل فى وصفك ما تُفضِــلُه فى الروض أسآرُ(٥) الغمامِ البـاكرِ

لاتشــتكيك ، والملالُ حظُّهـا منك وأن ريعتْ بهجـرِ الهاجرِ

فى سالف الوصل وفى مستأنَف الـ ـجفـاء بين شاكرٍ وعاذرِ(٦)

وٱعرف لها ٱعترافَها إذ أنصفَتْ وٱعرف لها فى الجَورِ فضلَ الصابرِ

---

(١) الردن : أصل الكم ، وحركت الدال للضرورة ، وفى الأصل "درن" . (٢) الكبت : الذل والرد بالغيظ . (٣) الكبّ : الصَّرع . (٤) فى الأصــل "فاخر" .
(٥) أسآر جمع سؤر وهو البقية من الماء . (٦) فى الأصل "وغادر" .

وقال يمدح عميد الدولة أبا سعد ويهنئه بالنيروز

لعمـــر الواشياتِ بأمّ "عمرو" لقـــد أغرينَ والتأنيبُ يُغـرى
حســـدنَ مـــودةً فحملن إفكًا وعِبنَ وعائبُ الحسناءِ يَفـــرى (١)
يُردنَ عـــلى الوفاء نُزوعَ خُلْـــق وما ساومنى شَطَطا كغـــدرى
وهل "هيفاء" إن غدرت وجارت سوى غُصْنٍ من الأرواح يَجـــرى
وقُلن : تـــلونت لك حين ملّت وليس على الملالة كلُّ هجـــرِ
تُقلِّبها أصابيـــغُ الغـــوانى عـــلى الطعمين من حُـــلوٍ ومرٍّ
وأين من الحِفاظِ لهـــا فـــؤادى اذا لم ألـــقَ زلّتَها بعـــذْرِ
ومن يُصـــبح هواكَ له أمـــيرا (٢) عليـــك فـــداره فى كلّ أمرِ
وأبعـــدُ ما ظفـــرتَ به حبيبٌ جِراحتُـــه تصـــحُّ بكلّ سَـــبْرِ
وإنَّ أحبَّـــتى لبنـــو زمانى كلا العودين من سِنْخٍ ونَجْـــرِ (٣)
فهبنى مبـــدِلًا خـــلًّا بخـــلٍّ فهـــل أنا مبـــدلٌ دهرا بدهرِ
سألبس ما كُســـيتَ وربَّ كاسٍ يُزخرفـــك الملابسَ وهو مُعـــرِى
وأحملهـــم وإيّاه بقـــلبٍ يفى بالثِّقل لى إن خان ظهـــرى (٤)
ولستُ بواجـــدٍ قلبا صحيحا اذا نُخِلتْ دفينـــةُ كلِّ صـــدرِ
فـــلا تُعنَّ لائمـــةٌ بعـــذلى ولا تغمـــزْ فما تستـــطيعُ كسرى
ولا يَخَفِ الصـــديقُ شَـــبا لسانى على عِرْضٍ ولا لَســـعاتِ فكرى
فلا ألقَ بغـــير الصـــبر قـــرنا لعـــلّى أجتنى ثمراتِ صـــبرى
وإن ضعُفتْ أواصرُ من رجال شـــددتُ بأسرة الكرماءِ أسرى (٥)

(١) يفرى : يختلق ، وفى الأصل "يغرى" . (٢) فى الأصل "أسيرا" ولا نظنها تتفق والسياق .
(٣) السنخ والنجر بمعنى الأصل . (٤) فى الأصل "خاف" . (٥) الأسر : إحكام الخَلق .

وفاءَ من الوزير علىّ ظِلٌّ ... يقيني الضيمَ من حَرٍّ وقُرٍّ (١)

وأحجبُ نائباتِ الدهرِ منه ... بخُوصٍ (٢) لا تُحصِّلني وشُزْرِ (٣)

تراني أعينُ الأيّام منه ... بوافى الظلِّ أخضرَ مسبكرٍّ (٤)

وكيف يُريبني وحماه بابي (٥) ... وهيبته عن الأبصار سِتري

ودوني من حمايته خميسٌ (٦) ... أخو عرضين يُبْهِمُ (٧) كلَّ ثغرِ

تُزمجِرُ في جوانبه أسودٌ ... على ألبادها (٨) أسلاتُ (٩) نصرِ

تُظفَّرُ باسمه الميمونِ أنَّى ... سَرَت، حتى الحوادثُ ليس تسري

نفذتُ برشده فنفضتُ طُرْفي ... وصلتُ بجدّه فقضيتُ نذري

وكيف يضلُّ أو يخشى ابنُ ليلٍ ... سطا بمهنّدٍ وسرى ببدرِ

أقول لمنفضين ترحّلوها ... مطايا أزمةٍ وركابَ ضُرٍّ،

تعسَّفَ عيشُهم فطوى عليهم ... وأيديهم على سَغَبٍ (١٠) وفقرٍ،

يمنُّون الطَّوى ليلا بليلٍ ... وتعريسَ السُّرى فجرا بفجرٍ،

وراءَ الرزق مختبطين ترمي ... بهم أصدارُها قفرا بقفرٍ،:

وراءَكُم ارجعوا فتضيَّفوها ... بيوتًا لا مجاعةَ وهي تَقْرِي

تصرَّفَ باليفاعِ (١١) مطنبوها (١٢) ... مع الكرمين من حَلَبٍ (١٣) ونحرِ

---

(١) القر: البرد. (٢) خوص جمع خوصاء وهي العين الغائرة. (٣) شزر جمع شزراء وهي الحمراء من العيون كعين الأسد والغضبان. (٤) المسبكر: الممتد. (٥) في الأصل "نائي". (٦) الخميس: الجيش العظيم. (٧) يبهم: يغلق. (٨) في الأصل "أكباد" وهي لا تتفق والمعنى فنقلناها الى "ألباد" جمع لبد وهو شعر رقبة الأسد، والى "أكتاد" جمع كتد وهو مجتمع الكتفين وقد رجحنا الأولى. (٩) أسلات جمع أسلة وهي الرمح. (١٠) السغب: الجوع. (١١) اليفاع: ما ارتفع من الأرض. (١٢) مطنبوها: موطدوها بالاطناب وهي الحبال. (١٣) الحلب: استخراج اللبن من الضرع، وفي الأصل "حلت".

اذا ما آحتلّها الطُّـرّاقُ لاحتْ ... لأيديهـم عِصامة كلّ عسـرِ
بنو " عبـد الرحيم " على حُباها (١) ... بنـو الأبوين من لَسَن ونخـرِ
وإنّ " ببابلٍ " منهـم لطَـودا ... يضعضع كلَّ أرعنَ مشـمخرّ
وبحرا من " بنى سـعدٍ " عميقا ... بغـير قَـرارةٍ وبغـير قَعـرِ
حمى حرم الوزارةِ منـه عاصٍ ... عـلى الأقـرانِ فى كرٍّ وفَـرّ
خضـيب النابِ والأظفارِ ممّـا ... يقُـدُّ على فريسـته ويفـرى
اذا ما هيج عنهـا ثارَ منـه ... الى الهَجهاجِ (٢) عاصـفةٌ بقُـرِّ (٣)
اذا الغاراتُ طُفنَ به كفتـهُ ... زماجرُ (٤) بين هَمهمةٍ (٥) وهمـرِ (٦)
فمـا يمنع يبتْ ما بين نَسـرٍ ... مع العَيّوقِ (٧) مجنـوبٍ ونَسـرِ (٨)
كفاها بالسياسة بعـد عجـز ... وأمّنهـا عـلى حـذَرٍ وذُعـرِ
رَبَى فى حِجـرها وتداولتهـا ... مناكحُ منـه شفعا بعـد وَتر
فمـا نفرت من الغـرباء إلا ... أوت منـه الى ولدٍ وصِـهرِ
وإن تظفـر بعُـذرتهـا رجالٌ ... حظَـوا بطلاقةِ الزمن الأغرّ ،
وأعقبهـم على الأيّام ذكـرا ... فعصرك بالكفاية خـيرُ عصر
براك الله سـهما دقّ عمّـا ... تريش له بنو " ثُعَـلٍ " (٩) وتبرى
اذا الرامى ثُـلاثا أو رُباعا ... أصاب أصـبت من عَشْرٍ بعَشرِ
فِداؤك مغْـلق الجنبين يأوى ... الى صـدرٍ يضـيقُ بكلّ سرّ

(١) الحبى : العطايا . (٢) الهجهاج : اليوم الكثير الريح الشديد الصوت مما يهب فيه من العواصف . (٣) القر : البرد . (٤) الزماجر جمع زمجرة وهى صوت كل شىء ، والصخب والصياح . (٥) الهمهمة : دوىّ صوت الرعد ، وزئير الاسد . (٦) الهمر : اندفاع السيل . (٧) العيّوق : اسم نجم فى طرف المجرّة الأيمن . (٨) نسر : اسم نجمين أحدهما يقال له النسر الواقع وللآخر النسر الطائر . (٩) ثعل : قبيلة مشهورة بالرماية .

(١٩٤)

اذا ثَقُلتْ وُسُـــوقُ(١) الرأى أقعى(٢) ... يَحُـــكُّ بظهـــره من غير عسرِ
ومعتــــلّ البنانـ على العطـايا ... يُظِلُّ(٣) البخلَ فى عرض التحــرّى
يجود وما عليـــه فضولُ حـــقٍّ ... على عُـــدْمٍ ويمنعُ وهــو مُثرى
ومـــولى وهـــو حرٌّ عبـــدتَه ... هباتُـك فى زمانـ غيرِ حُـــرِّ
رعيتَ له أواصـــرَ محـــكماتٍ ... عاقنَـــك مَعلَق المَـــرِسِ(٤) المِرِّ
تذكّرها بعهـــدٍ منـــك حىٍّ ... وشـكرُ الملك يقتُـلُ كلَّ شُـكرِ
ولكن ما لِشِـــعرى فى هَنـاتٍ ... تطارحنى الظُّلامةَ، ليتَ شعرى !
وما عتبٌ أسمّيـــه التجـــنّى ... وتنبِـــزه(٥) الأعادى بإسمِ غـــدرِ
أشـــكًّا فى وفائى بعـــد علمٍ ... وقدْحا فى حفاظى بعـد خُـــبْرِ
وإعراضا عن الشِّـــيَمِ اللواتى ... عليهـا طينتى طُبعتْ وفَطـــرى
أأعزِفُ عنڪُمُ أبغى بصـونى ... لســانى مـــع مُعاســـرةٍ وفكرِ
وإنى لا أرى الدنيـا كفاءً ... لشىء فيـــه مَنقصةٌ لقـــدرى
وأحمـــلُ ملءَ أضلاعى جراحا ... ولم أحمـــل لعيبٍ خدشَ ظُفرِ
أبغضـا أم لأنَّ سِـــنِىَّ مُدَّتْ ... فدام عليڪُمُ ردّى وكرّى
ولم يملَلْ مديحكُمُ لسـانى ... فكيف مللتُمُ من طول عمرى
وكيف وزنتُمُ بى من عسـاه ... يودّ بباعِـــه لو قاس فِـــترى
فهل فى الأرض أفسقُ فى حديثٍ ... مِنـ العازى الىَّ مقامَ شـــرِّ
وما أنا منـ وشايته، وإنّى ا ... لـذى رقّاه منـ خَلٍّ وخمـــرى
مطارٌ لستُ منـــه وليس منّى ... بعيـــد الشوط فى نفعى وضرّى

---

(١) وسوق جمع وسق وهو الحمل الثقيل. (٢) أقعى: تساند الى ما وراءه. (٣) فى الأصل "يظلّ". (٤) المرس المرّ: الحبل المفتول فتلا شديدا. (٥) تنبزه: تلقبه.

فإن أُنصَفْ فإنَّ يدا تولّتْ كسورى تهتدى لمكانِ جبرى
وإن أُحرمْ قضاءَ العدل أرجعْ الى كُفئين من هَجْرٍ وصبرِ
وأعلمُ بعدُ أنّك أنت باقٍ على العهدين من صلتى وبِرّى
وأنك لو رأيتَ التُّرْب[1] فوق لقمتَ بقُدرة فوليتَ نشرى
تسمَّنْها سمعتَ الخيرَ تُوعِ الـ فصاحةَ بين مَعتبةٍ وشكرِ
أنلها الودَّ وآجلها هنيئاً ولولا الودُّ لم تقنع بمَهرِ
وغادِ صبيحةَ النيروز منها بنشطةِ ثيِّبٍ وحياءِ بِكرِ
وطاولْ مدّة الأيام واَسحب ذيولَ المُلك من بِيضٍ وخُضرِ
الى أن ترجعَ الغبراءُ ماءً وتمشى الراسياتُ بها وتجرى
أُناوِبُك[2] المديحَ مدى حياتى وأُنشدُه أمامك يومَ حشرى

* * *

وقال يمدح كمال الملك أبا المعالى ويهنئه بالمهرجان

الليلُ بعدَ اليأس أطمعَ ناظرى فى عطفةِ[3] السالى ووصل الهاجرِ
غلِطَ الكرى بزيارةٍ لم أرضَها مخلوسةٌ جاءت بكره الزائرِ
هاجَ الرقادُ بها غراما كامنا فذممته وحمدتُ ليلَ الساهرِ
ما كان إلا لمحةً من بارقٍ منه تقارُبُ أوّلٍ من آخرِ
ملّتْ فكان الغادرُ النامى بها أحظَى لدىَّ[4] من الوفىِّ الذاكرِ
والوصلُ ما بَرَدَ الغليلَ وشرُّه ما عاد يوقد فى الغليل الفاترِ
هل رفدُ ذاتِ الطوق يوما عائدٌ بسوى الخديعة من سحابٍ عابرِ

---

(١) فى الأصل "الترت". (٢) هذه الكلمة فى الأصل هكذا بغير نقط "اناوىك".
(٣) فى الأصل "عطفه". (٤) فى الأصل "الذي".

أم عند ليلاتى الطِّوالِ " ببابلٍ " من ردّ أيّامى القصارِ " بحاجرِ "

راميتُ من "خنساء" من لا يتّقِى بحشًى تذوب ولا بجفنٍ قاطـــرِ

وصبَرتُ لكن ما صبرَت جَلادةً عنهـا ولم أظفـر بأجرِ الصـابرِ

قدَرتْ على قتل النفوس ضعيفة يا للّرجالِ من الضــعيف القادرِ

من منصفى من ظالمٍ لم أنتصـــر منــه، عـلى أنى كثيرُ الناصــرِ

عاصـيتُ حكم العاذلين وسامنى فأطعتُـــه حكمَ العسوف الجائرِ

ومن البليّــة أن تنكَّــرَ عهــدُهُ إذ أنكرتْ قَصَبى بنانُ الضافـــرِ



لم أبلك يـوما نَضــرةً بوصـاله حتى بكيتُ على الشـباب الناضرِ

أعدَى الى شَـعَرِى حؤول وفائه بالغـــدر حتى حال لونُ غدائرى

فاليـــومَ أوراقى لأوّلِ جاردٍ خَوَرا وعيـدانى لأوّلِ كاســـرِ

قد كنتُ أشوسَ(١) لا تَهُزُّ خصائلى كفُّ المهجهجِ(٢) بالحسـامِ البـاترِ

آوى الى حِصن الشبابِ يجود لى ما لا يحـوط قبائلى وعشـائرى

فالآن قلبى فى ضـــلوع حمـامةٍ حصّاء(٣) سرّبهـا صـــفيرُ(٤) الصافرِ

لكننى ألقَ الحـــوادثَ من بنى " عبد الرحيم " بباطشٍ وبقاهرِ

هم خـــيرُ ما حملتْ فقامت حرّةٌ حصناءُ(٥) عن كرمٍ وذيلٍ طاهرِ

ولدتهُـــمُ أمّ الفضـائل إخــوةً متشابهين أصـاغرا كأكابرِ

كالراحِ كُلّ بنانهـا منها وإن بان اختـلافُ أباهـــمِ وخناصرِ

وتجمّلتْ لتجىء بعــد بمثلهــم فأبت عـلى الميلاد بطنُ العاقــرِ

---

(١) الأشوس : الذى ينظر بمؤخر عينه تكبرا . (٢) المهجهج : الزاجر . (٣) الحصّاء : التى ذهب ريشها . (٤) فى الأصل "ضمير" . (٥) الحصناء : المتزوجة من النساء أو العفيفة ، وفى الأصل "حصباء" .

أبناءُ تيجانِ الأسرَّة قوبلوا … في الفخر بين مَرازبٍ(1) وأكاسرِ(2)

فاذا انتضَوها ألسنا عربيَّةً … فسيوفُ أندية وقُضْبُ منابرِ

واذا الروايةُ في السيادة ضُعِّفَتْ … نَقَلوا(3) الرياسةَ كابرا عن كابرِ(4)

كانوا الرءوس قديمَها وحديثَها … في مؤمنٍ من دهره أو كافرِ

وعلى "كمال الملك" منهم مسحةٌ … فعليك صورة غائبٍ في حاضرِ

قِفْ في شمائل فخره متفرِّسا … وخذ الخفيَّ على قياس الظاهرِ

جمعَ الغرائبَ في السيادة رأيُهُ … حتى التأمنَ وهنَّ غيرُ نظائرِ

ورمى صدورَ الحادثات بعزمةٍ … فأصابَهنَّ بقاصدٍ(5) وبعائرِ

ملأ الوسائد من سُطاهُ وبشره … قمرٌ يُناط بصدرِ ليثٍ خادرِ

ووَرَى له زَنْدَ العواقب رأيه … فأراه واردُها طريقَ الصادرِ

شَدَّ الوزارة منه كفٌّ فاتلٌ … من بعد ما انتقضت بكفِّ الناسرِ(6)

وسطت يمينُ أخيه منه بمثلها … فهُمَا يمينا قوةٍ وتآزُرِ

كالنيّرين متى تغبْ شمسُ الضحى … تُخلِفْ ببدرٍ في الدُّجُنَّة باهرِ

"بأبي المعالي" رِيضَ كلُّ مُحارِنٍ … ونمى الكسيرُ(7) على عِصابِ(8) الجابرِ

من كان مقهورَ الرجاء مخيَّبَ الـ … ـمسعَى فراجيه شريكُ القاهرِ(9)

---

(1) المرازب جمع مرزبان وهو رئيس الفرس . (2) أكاسر جمع كسرى وهو ملك الفرس .

(3) في الأصل "نعلوا" . (4) في الأصل "كابر" . (5) القاصد : السهم المستوى نحو الرمية ، والعائر : السهم لا يُدرَى من راميه ، و يجوز نقلها الى الغائر : بمعنى السهم الذى يغور فيا يصيبه كقوله في صحيفة ٢٢ سطر ٣

ولا تُخِفْ منك الليالى جانبي * بقاصد السهم ولا بغائر

وآستدرا كا لما فات يجوز نقل هذه أيضا الى عائر . (6) الناسر : الناقض . (7) في الأصل "الكبير" . (8) العصاب : ما يعصب به من منديل ونحوه ، والجابر : من يجبر كسر العظام .

(9) في الأصل "القامر" .

يا من يَسُـــدُّ فروجَ كلِّ ثنيَّـــةٍ فُتِقَتْ ويَكْمِ[1] كلَّ خطبٍ فاغرِ
ويُتِمُّ كلَّ نقيصـــةٍ بكماله كالرمح متمــوما بباعٍ عاشـــرِ
لا تهتدى طُرُقُ الصـــلاح بغيركم والنـاسُ بين مضلَّلٍ أو حائرِ
والُملكُ ما لم تقـــدحوه دُجُنَّـــةٌ يَقتـافُ سائرها بنجـــم غائرِ[2]
فإن اعترتكم هفـوةٌ أو صـــدكم غضبُ المذِلِ[على][3] الغَموطِ الكافرِ ،
ورأيتُم نعماءكم وصنيعَكم لا فى المُقـرِّلكم ولا فى الشاكرِ ،
فلكُم غــدًا أيّامُ وصـــلٍ طولُها موفٍ على اليـــوم القصيرِ الهاجرِ
لا غرَّنى هـــذا الصـدودُ فإنه صـــدُّ المدِلِّ وليس صدَّ الغـادرِ
كانت لكم وغدًا تصير اليكُمُ طوعا بخـــيرِ عواقبٍ ومَصـادرِ
ولربَّ معـتزِلٍ تعطَّل فاغتـــدى سببَ البـــلاء على المولَّى الناظرِ
ومقـلَّدٍ أمرا يكـون بجيـــده حلى الذبيحـــةِ سُوِّمت للجازرِ
خَـــلَّدتَ للحسناتِ تنـثُرها[4] يدا فيـــدا وينظمُها لسانُ الشاعرِ
بك ذدتُ عن ظهرى فلم أربَعْ على ظَلِعٍ[5] ولم أصـــفِقْ بكفِّ الخاسرِ
إما حضرتَ بجُنَّتى أو بنت عن وطنى بجـــودُك خيرُ زادِ مسافرِ
ما غاب وجهُك لا يغبْ عن ناظرى إلا ذكرتُك بالهـــلال الزاهرِ
فاذا عـــدمتُ ندَى يديك تعلَّلت خَـــلَّاتُ[6] حالى بالغمام الماطـرِ
عوضا وهل شىءٌ يحـلُّ بعائضٍ من بعد وجهك أو نداك الغامرِ
فاذهب على كرمٍ شرَعتَ طريقَهُ والنـاسُ فيه على مَـــدَقِّ الحافرِ
واذكر نسايا الشـعرِ عندك إنها لا تنفـعُ الذكرى لغـــيرِ الذاكرِ

---

(١) يكم : يشدّ فاه لئلا يعض . (٢) فى الأصل "ثابر" . (٣) ليست بالأصل .
(٤) فى الأصل "تنشرها" وهى غير ملتئمة مع قوله : "وينظمها" على مالها من معنى . (٥) لم أربع على ظلع : لم أك ضعيفا حتى أنتهى عما لا أطيقه . (٦) خلات جمع خَلّة وهى الحاجة .

(١٩٦)

وتَــلَقَّ يوم المهرجان بأول من عمـر عزّك لا يُراع بآخرِ
يومٌ يَمُتُّ اليـه طالعُ سـعده بوشائج(١) فى سـعده وأواصـر
ويقومُ مفتخـرا بأنك وهو من بيت العـلا فيـه دُكلّ مفاخر
ولعمرُ من نسَك الحجيجُ لبيتـه دأبًا وخاطرَ فيـه كلُّ مخاطر
لأحقُّ يـوم أن يكون معظما يومٌ يضمُّك وهو طينُ الفاطرِ(٢)

* * *

وقال فى الأرض والسماء

وأُمٍّ يفـوزُ بإعـلانها(٣) بنـوها ويُذْهَوْنَ من سرِّها
عجوزٌ ولودٌ تعُـدُّ البعولَ كثيرا وكلٌّ أبو عُذرِها(٤)
اذا نُجبت طامثا كان ذا ك أشبهَ فى الحزم من طُهرِها
يطاها بنـوها وهم مسلمو ن حتى تعـودَ الى كفرِها
تدبِّرها أختُهـا فى الرّضاع فتمضى الأمورُ على أمرِها
اذا ولدت بطنُهـا للتمامِ فتًى شَهَرتْه عـلى ظهرِها
لها الفخر بالذكر والانتساب اليها وتبعد عن ذكرِها

* * *

وقال يمدح الملك جلال الدولة فى النيروز

بطرفك ، والمسحورُ يُقسم بالسـحرِ أعمـدا رمانى أم أصاب ولا يدرى؟
تعرَّضَ بى فى القانصين مسـدّد الـ إشارة مـدلول السهام على النحـرِ
رمى اللحظةَ الأولى، فقلتُ : مجـرِّبٌ وكرَّرها أخرى، فأحسستُ بالشرِّ

(١) وشائج جمع وشيجة وهى اشتباك القرابة . (٢) يريد بقوله وهو طين الفاطر وهو جديد .

(٣) فى الأصل " إعلانها " . (٤) أبو عذرها : أول من افتضها .

فهل ظنّ ما قد حرّم اللهُ من دمى ... مباحا له أم نام قومٌ على الوِترِ؟[1]

"بنجدٍ" ـ "ونجدٌ"[2] دارُ جودٍ وذمّةٍ ـ ... مطالٌ بلا عُسرٍ ومطلٌ بلا عُذرِ

وسمراءُ ودّ البدرُ لو حال لونُه ... الى لونها فى صبغة الأوجه السُّمرِ

خليلىّ، هل من وقفةٍ وٱلتفاتةٍ ... الى القبة السوداءِ من جانب "الحِجْرِ"؟

وهل مَن أرانا الحجّ "بالخَيف" عائدٌ ... الى مثلها أوعدّها حِجّةَ العمرِ؟

فلله ما أوفى الالاتَ على "مِنًى" ... لأهل الهوى لو لم تحنْ ليلةُ النَّفْرِ[3]

لقد كنتُ لا أوتى من الصبر قبلَها ... فهل تعلمان اليومَ أين مضى صبرى؟

وكنتُ ألومُ العاشقين ولا أرى ... مزيّةَ ما بين الوصال الى الهجرِ

فأعدَى الىّ الحبَّ صحبةُ أهله ... ولم يدر قلبى أنّ داء الهوى يسرى

أيشردُ لبّى يا غزالةَ "حاجرٍ" ... وأنتِ "بذات البان" مجموعةُ الأمرِ؟

خذى لحظَ عينى فى الغُصوب إضافةً ... الى القلب أو ردّى فؤادى الى صدرى

وإلا فظهر الهجر أوطأُ مركبا ... اذا خُنْتِ وٱستوطأتِ لى مركبَ الغدرِ

وإنى لجَلْدُ العزم أملك شهوتى ... وأعرف أيّامى وأقوى على سرى

وأحمل أثقال الحبيب خفيفةً ... ولكنّ حمْلَ الضيم ثقلٌ على ظهرى

ولا يملك المولى وفائى بنَكثه ... ولا يشترى معروفَ ودّىَ بالنّكرِ

ومن دون ضيمى بسطةُ الأرض والسُّرى ... [وخوض][4] الدياجى وٱمتعاضُ الفتى الحُرّ

وإنّى من مولى الملوك ورأيِه ... وسلطانهِ بين المجرّةِ والنَّسرِ

فلا أنا مغمودٌ ولا أنا مُسْلَمٌ ... وفى سيفه عزّى وفى يده نصرى

تعالى "بركن الدين" صوتى وشيّدتْ ... محاسنُهُ وصفى وسار بها ذكرى

---

(١) الوتر : الثأر . (٢) فى الأصل : "تة" . (٣) ليلة النفر : الليلة التى ينفر فيها الحجاج من منى الى مكة . (٤) هذه الكلمة ليست بالأصل .

وكان إلىّ الدهرُ بالشرِّ ناظـــرا فغمَّض عـــنّى جودُهُ ناظرَ الدهرِ
وإن كان هـذا القولُ قِدماً يطيعنى فقـد زاد بَسْطًا فى لسانى وفى فكرى
وكنت له نجما فلمـا مدحتـــه كسانى سنا إقبـالِه بُلجةَ الفجـــر
اليك مليكَ الأرض ألقت ملوكُها آضـطرارا عنانَ النهىِ فى الأرض والأمر
ودان لك الغُرُّ الميامينُ من " بنى بُويه " كما دانَ الكواكبُ للبـــدرِ
رأوك فتاهم فى الشجاعة والنـــدى وشيخَهُم المتبوعَ فى الرأيِ والعُمــرِ
فأعطـــوك طوعًا ما تعـــذَّر منهمُ عـــلى كلِّ باغ بالكراهةِ والقسرِ
نظمتَ لهم عِقدَ العُـــلا وفضَلتَهـــم فأصبحتَ وسْطَ العقدِ فى ذلك النحرِ
لكم أوّل الدنيـا القـــديمُ وعنكُمُ يكون قيـامُ الأمرِ فى ساعةِ الحشرِ
وما المُلك إلا ما آحتـــبى متمـــدحا بأيامكـــم فيـــه المحجَّلةِ الغُـــرِّ
ولا الدهـــر إلا ما تقلَّب صَرفُـــهُ على ما قســـمتم من يَسارٍ ومن عُسرِ
ولا تطعم الدنيـا بنيها ســوى الذى تشـــيرون من حُلوٍ اليـــه ومن مرِّ
بكم يصبح الدينُ الحنيفىُّ آمنـا اذا بات مخلوعَ الفـــؤاد من الذُّعرِ
وما برحتْ أبيـاتُكم فى آبتنـائه دعائم للخَطِّىِّ[1] والقُضُبِ[2] البُـــترِ
وأنت الذى كنت الذخيرةَ منهُـــمُ قـــديما اذا الرحمنُ بارك فى الذُّخرِ
فلو بَقِىَ الماضون منهـــم تمثّلوا بملكك فى مُلكٍ وعمرك فى عصرِ
اذا ما أراد اللهُ إحيـاءَ دولةٍ بغـاك بنـــوها بالحديعةِ والمكرِ
وإن شاءَ فى دهمـاءِ[3] قـــومٍ إبادةً رماهم بدُهمٍ[4] من جيادك أو شُـــقرِ
ومن مـــلَّ طولَ العمـــرِ والعزِّ قاده لك الحَيْنُ فى حبـــلِ الشناءةِ[5] والغمرِ[6]

(١) الخطى : الرمح . (٢) القضب البتر : السيوف القواطع . (٣) الدهماء : العدد الكثير من جماعة الناس (٤) دهم جمع أدهم وهو الأسود فى الخيل . (٥) الشناءة : البغض . (٦) الغمر : الحقد .

(١٩٧)

قسمتَ بكفّيك المنيّــةَ والغنى ... للهفانَ يستجدى وغضبانَ يستشرى
فأنتَ اذا شِمتَ الظُّبا قاتلُ العــدا ... وأنت اذا شمت النــدَى قاتلُ الفقرِ
فــلا زال معقودا عطاؤك بالغــنى ... ولا زال معــقودا لواؤك بالنصرِ
وزارك بالنــيروز أيمنُ قادمٍ ... سرَى لك فى وفد الرجاء الذى يسرى
جديدا على العــام الجــديد مؤمَّرا ... كما أمْرك المـاضى على العبـدِ والحرّ
تُزخرَفُ منه الأرضُ فى حَلْيِ روضها ... بمـا كُسيَتْ من صِبْغ أيّامِك الخُضرِ
كأنّ الربيــعَ من صِفاتِك يمترِى ... وشائعــهُ(١) ومن سجاياك(٢) يَســتقرى
فطاوِلْ به عــدَّ السنين مفاوِتا ... بعمرك مقــدارَ الإحاطةِ والحصرِ
مــتى تطوِ مُلكا تنتشرْ لك بعــدَهُ ... ممــالكُ(٣) لا تبــلَى على الطيِّ والنشرِ
وحيّــاك منّى بالمــديح مبشِّــرٌ ... خمــائل لم تنبتْ على سَــبَلِ القَطرِ
لها مَــدَدٌ من خاطرٍ غــيرِ ناضبٍ ... ملىٍّ إذا كافَا الصنيعةَ بالشكرِ
خدمتُــك منهــا بالمحصَّــنةِ التى ... عليهـا أحامى والمخـدَّرةِ البِكرِ
فكرّمتنى لمــا قبلتَ نكاحَهــا ... وزيّدتَ فى فضلى وضاعفتَ من قدرى
وملّكتنى قلبـا كريمـا ولم أكن ... أظنُّ قلوبَ الأســد تُملك بالشّــعرِ
فقمتُ عــلى ظلٍّ من الأنس باردٍ ... ومن هيبــةِ الملك العقيم على الجمــرِ
ولكنّها قــد موطلت بمهــورها ... ولا بدّ فى عَقــد النكاح من المَهــرِ
وممّــا شجاها أن تضــلّ وســيُرها ... مع النجم، أو تَظما على ساحل البحــرِ
وخــيرُ العطايا ما يُراد به العــلا ... وما كلّ جُــود باللُّجينِ(٤) وبالتــبرِ
وما بِيَ إلا أنْ نسيتَ فراغــى ... لتعــلَمَ أنّى من علاك عــلى ذكرِ

(١) الوشائع جمع وشيعة وهى الطريقة فى الثوب، وفى الأصل "وسائعه" . (٢) بالأصل "شجاياك" . (٣) فى الأصل "فالك" . (٤) اللجين : الفضة، والتبر : الذهب .

***

وقال يمدح عميد الدولة أبا سعد فى النيروز ، وهو مقيم بسرّ من رأى وكتب بها اليه

كم النوى ؟ قد جَزِع الصابرُ وقَنَط المهجورُ يا هاجرُ

أأحمدَ البادون فى عيشهم ما ذمّ من بعدهم الحاضرُ ؟

أم كان يومُ البين — حاشاكُمُ — أوّلَ شيء ماله آخرُ ؟

ما لقلوبٍ جُبلتْ لدنةً يعطفها العاجمُ والكاسرُ !

قستْ على البعد وقد ظُنّ بالـ ـوفىّ منها أنّه غادرُ

قد آن للناسين أن يرعووا شيئا ، فما عذرُك يا ذاكرُ ؟

أما يهُزُّ الشوقُ عِطفا ولا يجذُب هذا الوطنُ الساحرُ

كم يُطلُّ المسوعُ فى الوعد بالـ ـرّاقى وكم ينتظر الناظرُ !

قد صُدِعَ العظمُ وأخلِق متى شُظِّىَ أن لا ينفعَ الجابرُ

لا تتركوا المحصوصَ فى أسركم يخلِفُ ريشا إنه طائرُ

اللهَ يا فاتلَ أمراسها أن يتولّى أمرَها الناسرُ

اِقبلْ من الباذل واقنعْ بما يُعطيك من باطنه الظاهرُ

ولا تُكشِّفْ عن خفيّاتِ ما يخفيه عنك الهائب الساترُ

وشاور الإقبال من قبل ما تشاورُ الرأىَ وتستامرُ

وانهضْ بجدٍّ، فلكم ناهض بالحزمِ والحزمُ به[1] عاثرُ

سعدُك فى أمثالها ضامنٌ أنك فيها الفائزُ الظافرُ

قد أهملَ النوّامُ من سَرحها ما كان يرعَى طرفُك الساهرُ

وحملَتْ بعدَك جهلاتُها وفرّ منها القامصُ النافرُ

---

(١) فى الأصل " له " .

وأدّبتْهـا لك غَلَـطاتُهـا ... كم قاصـد[1] بصَّـره[2] جائرُ
فمِن لهـا مجـدبةً أرضُهـا ... إن لم يُعنهـا العـارضُ[3] المـاطرُ
أنت لهـا أو رُجـلٌ منكمُ ... والنـاسُ أكّـالٌ ومستـاثرُ
لا تُسلموهـا فهى خَطّيـةٌ[4] ... يُدعَى لها "بِسطامُ"[5] أو "عامرُ"[6]
إما هـلالٌ منكمُ واضـحٌ ... يسرى لهـا أو كوكبٌ زاهرُ
يا راكبَ الدهمـاءِ[7] تمطـو[8] به ... فى زافـرٍ تيّـارُهُ زاخـرُ
ملساء تجـرى منـه فى أملس ... يُروِى صـداها نقـعُهُ الثـائرُ
تطوِى السُّرى لم يتشـذّبْ لهـا ... خُفٌّ ولم يحفَ لهـا حافـرُ
سابقـة لا السـوطُ هبهـابُهُ[9] ... فيـه ولا الصـوتُ لهـا زاجرُ
اذا سـوافى[10] الريح شَقّت على الـ ... ـركبِ سَفتهـا[11] العاصفُ العاصرُ[12]
يزاحم "القاطولَ"[13] من "دِجلةٍ" ... رامٍ الى البحـرِ بهـا صـائرُ
يرود روضَ الجود حيث آستوى الـ ... ـظّـلُّ ورفَّ الورَقُ[14] النـاضـرُ

(١) القاصد : العادل أو هو ضد المفرط . (٢) فى الأصل "خائر" . (٣) العارض : السحاب المعترض فى الأفق . (٤) الخطية : الرماح المنسوبة الى "الخطّ" وهى مرفأ السفن بالبحرين، يقال رماح خطّية على الوصف و رماح الخط على الإضافة . (٥) يشير الى بسطام بن قيس الشيبانى فارس بكر، و يقال فى المثل "أفرس من بسطام" . (٦) يشير الى عامر بن مالك الشهير بملاعب الأسنة وسمى بذلك لقول أوس بن حجر :

ولاعب أطراف الأسنة عامر * فراح له حظ الكتيبـة أجمع

(٧) الدهماء : السوداء، ويشير بذلك الى السفينة لطلائها بالقار (الزفت) . (٨) تمطو : تجدّ فى السير وتسرع . (٩) الهبهاب : الصيّاح . (١٠) السوافى جمع سافية وهى الريح تحمل التراب . (١١) سفتها : حملتها كما تحمل الريح التراب . (١٢) العاصف العاصر : الريح التى تعتصر السحاب . (١٣) القاطول : اسم نهر مقطوع من دجلة فى سامراء، حفره هارون الرشيد و بنى على فوهتـه قصرا وسماه "أبا الجند" وجعله لأرزاق جنده لكثرة ما كان يروى من الأراضى . (١٤) فى الأصل "ورق" .

وحيثُ قام الماءُ مــعْ أنّــهُ[(١)] جارٍ وحــلَّ القــمرُ السائرُ
قــل لوزير الوزراء : آلتظّى بعــدك ذاك الولَهُ الفاتــرُ
وآنتحت الأشــواقُ قلبي فما يفوتنى القاصــدُ والعائــرُ[(٢)]
وأكلَتْنى كلُّ جــوفاءَ لا يُشــبِعها الحالبُ والجازرُ
تَســرُطنى بَلْعًا[(٣)] وكانت وما يُســيغ لحمى فمُها الفاغــرُ
فى كلّ يــومٍ قَتَبٌ ضاغطٌ يغــمزُ نضوٌ تحتــه ضامرُ
أدعــو فــلانا وفــلانا له دعاءَ من ليس له ناصــرُ
أقمتُ أرعَى جــدبَ دارٍ وفى أخــرَى ربيــعٌ مائحٌ[(٤)] مائــرُ[(٥)]
فمَن لظمآنَ ”بنجــدٍ“ وفى ”تهامةٍ“ صوبُ الحيا القاطرُ
”يا شرفَ الدين“عسى ميِّت الـ ـفضلِ بأن تلحظَه ناشــرُ
يا خــيرَ من دُلَّت علي بابه حائــرةٌ يركبُها حائــرُ
أطلعها[(٦)] التطوافُ معْ فــرط ما ورثَها من ”جَلَدٍ“ ”داعــرُ“[(٧)]
بقَّ السُّــرَى منها ومنــه كما بَــقَّ من المأطورةِ[(٨)] الآطــرُ
لم يَــرَيَا قبــلك بيتًا له نادٍ[(٩)] ولا نارًا[(١٠)] لها سامــرُ
حــتى قضى اللهُ لحظّيْهــما عنــدك قسما كلُّه وافــرُ
فخَــوَّلا فى عَطَنٍ واســعٍ يذرَعُ فيــه الأمــلُ الشابرُ[(١١)]

---

(١) قام : جمد . (٢) القاصد : السهم الملتوى نحو الرمية ، والعائر : السهم لا يُدرى من راميه . (٣) تَسرطنى : تبلعنى . (٤) المائح : الساقى آغترافا باليد . (٥) المائر : من يأتى بالميرة . (٦) أطلعها : جعلها تظلع أى تغمز فى مشيها . (٧) داعر : فحل منجب تنسب اليه الإبل الداعرية وفى الأصل ”ذاعر“ . (٨) المأطورة : التى عُطِفتْ ولُويت كالقوس .
(٩) فى الأصل ”باد“ . (١٠) فى الأصل ”ولا نار له“ . (١١) فى الأصل ”السائر“ .

لم يبقَ من فوق الثرى للعـلا غـيرك لا سمـعٌ ولا ناظـرُ
قـد كانت الأرضُ ولودا فمـذ وُلدتَ فهى المقلتُ(١) العاقـرُ
وسلَّم الإجماعُ من أهلها أنك فيها المعجـزُ الباهرُ
إن نجمَتْ ناجمـةٌ بالظُّبا أبدع فيها سـيفُك الباتـرُ
أو كانت الشـورى غِطاءً على الـ ـبَطىءِ جلّى رأيُكَ الحاضـرُ
وإن أخذتَ الدستَ والصدرَ فالـ ـقضاءُ ناهٍ فيهـما آمـرُ
أو وردَ النـاسُ فلم يصـدروا عجـزا فأنت الواردُ الصـادرُ
وكم أراك اليـومُ ما فى غدٍ ما أنت من أمرِ غـدٍ حائرُ
إن تُنزَع الدولةُ ما أُلبِستْ منـك وأنتَ الملبسُ الفاخـرُ،
أو يُكفَر الحـقُّ ولا بدَّ أن يُحـرَمَ طيبَ النعمةِ الكافرُ،
فاسـئل مَن الناجى اذا بُويعتْ نفسٌ بنفسٍ ومَن الخاسـرُ
غدًا يُرى عنـد آختلاف القنـا كيف غناءُ الدِّرعِ يا حاسـرُ(٢)
ويعكُفُ النـادمُ مسـترجعـا عادةَ ما عـوَّده الغـافـرُ
اللهُ — إن تَرضوا وإن تسخطوا — قـدَّر وهـو العالمُ القادرُ،
أنَّ العـلا بحبوحةٌ بيتُهـا الـ ـمشرقُ هـذا الحسبُ الطاهرُ
ناصَى بها "عبدُ الرحيم" السها وبعـدَه الكابرُ والكابـرُ
حتى آنتهى الفخـرُ الى هضبةٍ ليس لمن يصعَدها حادرُ
ساهَـمَ فى المجـد فعـلَّى به مُقـادحٌ ليس له قامـرُ
قـد فـرضَ اللهُ لتـدبيره الـ ـأمرَ وهـذا الفَلكُ الدائرُ



(١) المقلت : التى تأتى بولد واحد ثم تعقم بعده، وفى الأصل "المقلب". (٢) الحاسر : غير الدارع.

فكلما نـدّ (١) الى غيره — فهو اليه صاغرا صائرُ
يا ملبسَ النُّعمى التى لم يزل — علىَّ منها الشاملُ الغامرُ
ومَنبَعِى العذبَ اذا قلّص الـ — سَّجلُ (٢) وأكدى (٣) الرجلُ الحافرُ
مضت بطرحى أشهرٌ تسعةٌ — حاشاك أن يَعقُبَها العاشرُ
هذا وما قصّر شعرٌ ولا آسـ — تحالَ عن عادته شاكرُ
وما الخلّاتُ (٤) سوى جودكم — خبيثةٌ يذخرها الذاخرُ
قد أقحط الوادى فلا لابنٌ (٥) — لطارقِ الحىّ ولا تامرُ (٦)
فلا ونَتْ تطرقكم فى النوى — قتائلٌ أبرمها الضافرُ
زوائرٌ تُهدى لأعراضكم — ألطفَ ما يحمله الزائرُ
يؤثَرُ عنها خبرٌ صادقٌ — فى مجدكم أو مَثَلٌ سائرُ
فى كلّ [نادٍ] (٧) نازحٍ غائبٍ — لها حديثٌ بكمُ حاضرُ
تعرِضُ أيّام التهانى بها — ما تعرِضُ المعشوقةُ العاطرُ
تميس منها بين أيامكم — خاطرة يتبعها الخاطرُ
لثَّمها التحصينُ عن غيركم — وهى على أبوابكم سافرُ
شاهدةٌ أنى لكم حافظٌ — اذا نبا أو نكثَ الغادرُ
وكلّ الفخرُ لها أنّك الـ — ممدوح فيها وأنا الشاعرُ

---

(١) ندّ : نفر وشرد . (٢) السجل : الدلو العظيمة . (٣) أكدى : بلغ الكدية وهى الأرض الغليظة الصلبة التى يعجز عنها الحافر فلا يمكنه أن يحفرها . (٤) الخلات جمع خلة وهى الحاجة . (٥) اللابن : الكثير اللبن . (٦) التامر : الكثير التمر . (٧) هذه الكلمة فى الأصل هكذا "د" .

* * *

وكتب الى الأجلّ عميد الرؤساء أبى طالب بن أيّوب فى النيروز

بلوتُ هــذا الدهــر أطوارَهْ عــلىَّ طـورا ومــعى تارَهْ

وبصّــرتْنى كيف أخلاقُــه تجاربٌ كشّفن أخبارَهْ

فصــرتُ لا أنكر إحلاءَهُ يــوما ولا أنكر إمــرارَهْ

لا هو إن شــدّ رأى كاهلى رِخــوًا ولا نفسىَ خــوّارَهْ

ولا تصــبّانِىَ من سَــلمِه زخارفٌ للعين غــرّارَهْ

من عاذرى منــه على أننى ضرورةً أقبــلُ أعــذارَهْ

دعه وبِتْ منــه عــلى نجـوةٍ خائفــةِ الرقبــةِ حــذّارَهْ

وآسلم فمـا تسـلَمُ من جَوْرِهِ إلا اذا ما لم تكن جارَهْ

تنقّــلِى يا رُكُبَ(١) العيس بى منجــدةً يــوما وغَــوّارَهْ

لا خطر الضــيمُ ببـالِ آمرئ وأنتِ بالبيــداء خطّارَهْ

قــد نبتِ البيــداءُ بى جالسـا أرجــو الأمانى وهى غــدّارَهْ

أظلِمُ نفسى بين أبنـائها والنفسُ لا تُظــلَمَ مختـارَهْ

ويطّبينى(٢) وطَنٌ تــربُهُ مســتعبدٌ يلفِــظ أحــرارَهْ

وكم تُرَى تَســحرنى "بابلٌ" "وبابلٌ" بالطبــع سحّارَهْ

إن كنتَ يا قلبِىَ منّى فــلا تخــدَعْك منهـا هــذه الشارهْ(٣)

أَوْلى بمن تحمــله قــدرةٌ فراقُ من تجهــلُ مقــدارَهْ

لا شِمتُ برقَ الهُــون فى دُورِكم والعزُّ فى "الأبرقِ" "والدّارَهْ"

اللهُ لى منتصــفٌ من أخٍ يكيلُنى بالعُــرفِ إنكارَهْ

(١) ركب جمع ركاب . (٢) يطبينى : يزدهينى . (٣) الشارة : الحسن والزينة .

يحمى لسانى أبدا عِرضَه ويبتغى فى عِرضِىَ الغارَهْ
أعِفُّ عن جَمّته[1] مفعَماً تُناهزُ الوُرّادُ تيّارَهْ
ولا يرانى ناسيا عهدَهُ إن غاض أو كابد إعسارَهْ
فليته صان مكانى كما صان عن البذلة دينارَهْ
لولا بنو "أيوبَ" لولاهُمُ ما وجد المظلومُ أنصارَهْ
قومٌ اذا آستنجدتهم لم أخف سهما ولو ناضلَنى القارَهْ[2]
وبتُّ فيهم حيث لا يؤكل الـ جارُ ولا تُنتَهكُ الجارَهْ
البيتُ لا ينكرُ طُرّاقَهُ والليلُ لا يعدَم سُمّارَهْ
والجفناتُ الغُرُّ يُسنَى[3] لها كُلُّ غضوبِ الغَلْىِ هدّارَهْ
ترى الجَزورَ العَبْلَ[4] فى قلبها أعشارُهُ تلعَبُ جزّارَهْ
إن صَمَّ عنك الناسُ أو غَمّضتْ فى الخطب عينٌ وهى نظّارَهْ ،
فتحتَ منهم فى مغاليقه أسماعَ ذا الدهرِ وأبصارَهْ
نَموا شهابا من "أبى طالبٍ" خيرا وبثَّ الله أنوارَهْ
والأُفُقُ العُلوىّ إن غورتْ شموسُه أطلعَ أقمارَهْ
قَصَّ حديثَ المجد عنهم فتًى يُصدِّقُ السودَدُ أخبارَه
وبرَّزوا سَبْقا ولكنّهم لم يُدركوا فى المجد مِضمارَهْ
ناصَى "عميدُ الرؤساء" العلا والناسُ يقتصّون آثارَهْ
وطالت النجمَ به هِمّةٌ تقضِى من الغايات أوطارَهْ

---

(١) الجمة : الماء الكثير المجتمع . (٢) القارة : قبيلة مشهورة بالرماية ، وفى المثل "أنصف القارة من راماها" . (٣) يسنى : يرفع . (٤) العبل : الضخم .

أبلــجُ وذ البــدرُ لو صُــيِّرتْ | لوجهـــه عِمّتُـــهُ دارهْ[1]
مَــوَّلَهُ المجــدُ فلم يكترثْ | إقــلالَه المـالَ وإكثارَهْ
كفَت به القــدرةُ لما سطت | أيدٍ مــع القــدرة جبّارَهْ
سالِمْــهُ وآحــذَرْ صافيا ماءَهُ | وهِجْــه وآحــذَرْ صاليـا نارَهْ
إن نام راعى السَّرحِ فى الأمن لم | يكحَلْ بطعم النــوم أشفـارَهْ
ولم تكــن ثَلّتُــه[2] نهــزةً | يُطمِعُ فيهـا الذئبُ أظفـارَهْ
أو شَرَعــوا فى الشرّ عافت له | نفسٌ بفــعل الخيــر أمّارَهْ
كفى " الإمامين " بتــدبيره | مخـاوفَ الخطبِ وأخطـارَهْ
وآستسبغا من رأيه نَثْــلةً[3] | ضافيــةَ الأذيالِ جــرّارَهْ
حلّتْ عن المـاضى فعادت يدُ الـ | ـباقى بهـا تَعــقِدُ أزرارَهْ
قام بأمرِ الله مســتخلفٌ | كنت لجـــرح الدين مِســبارَهْ
أرهفَ من نصحِك صمصامةً | بيضاءَ مثــلَ البــدرِ نيّـارَهْ
أُخرِست الفتنــةُ عن ملكه | بالأمس والفتنـــةُ نعّـارَهْ
وزارة حصَّنْتَ أمــوالَه | فيهـا كما حصَّنْتَ أســرارَهْ
فابلــغ به أقصى المـــنى مثلمـا | بلّغَـــهُ ســعيُك إيثـارَهْ
وآســتخدم الأيّامَ نَفّاعــةً | تجــرى بما شئتَ وضرّارَهْ
لا يرفع الإقبـالُ مســتقبلا | غِطـاءَه عنــك وأستـارَهْ
يزيرك النــيروزُ فى روضــةٍ | من مِــدَحى أحسنَ زوّارَهْ
غنّـاء شــقّ الشّــعر نُوّارَه | لهـا وأجرى الفكرُ أخطارَهْ

---

(١) الدارة : الهالة التى تحيط بالبــدر والشمس . (٢) الثـلّة : جماعة الغنم الكثيرة .

(٣) النثلة : الدرع الواسعة المحكمة .

مقيمـــة عنـــدك لكنّها بعَـــرفها فى الأرض سيّـارَهْ
تحققتْ بالكَلِم الفضـــلِ (١) فالـ ـمُلك لهـا والنـاسُ نَظّـارَهْ (٢)
تشربُ [من حوضٍ] (٣) المعانى، وما تُفضِـــلُ للـــوارد أسآرَهْ (٤)
وهى مع الإفـــراط فى حبّـــكم حامـــلةٌ للهجـــر صـــبّارَهْ
تُنسَى وتقصَى غـــير منســـيّة وهى مع الإعـــراض ذكّارَهْ
تحنُّ للجـافى وتحتـال للـ ـمقصِّر المهمِـــلِ أعـــذارَهْ
يُقنعهـا الإنصاف لو أُنصفَتْ وتطلبُ المـالَ وإكثارَهْ
حظُّك منهـا صـــفوُ سلسالها إن رنّقَ (٥) المـادحُ أشـــعارَهْ
وإنّ صـدقى فيـــك أعتـــدّه من كذِبى فى النـاس كفّارَهْ

* * *

وكتب الى وزير الوزراء عميـد الدولة أبى سعد بن عبد الرحيم وهو مقيم بسرّ من رأى، يستوحش لبعده، ويهنئه بالنيروز

(٢٠١)

أولى لهـا أن يَرعوى نفارُها وأن يقـــر بالهوى قـــرارُها
وأن تُرى ميســـورةً خبْطاتُهـا من مَرَحٍ (٦) منشـــوطةً أسيارُها
تُرعى وتُروَى ما ضـــفا وما صفا وللـــرُّعاة بعـــدَها أسآرُها

(١) فى الأصـل "الفضل". (٢) النظّارة: المشاهدون. (٣) هـذه الكلمة ليست فى الأصـل. (٤) أسآرجمع سؤر وهو بقية المـاء فى الإناء أو الحوض، وقـد ورد هـذا البيت فى الأصل هكذا:

* تشرب المعانى وللوارد ما يفضل أسواره *

ويكون معنى البيت على ما رجّحناه: أن قصـائده تشرب من حوض المعـانى ولمن يرد أسآر هـذا الحوض ما تتركه وتبقيه، ويشير بذلك الى غيره من الشعراء الذين يردون حوض المعانى فلا يجدون فيه إلا ما أبقاه ممـا لا خير فيه. (٥) رنّق: كدّر. (٦) المرح: النشاط.

حــتى تروحَ ضخمــةً جُنوبُهــا	بخِصبها شاكِرةً (١) أوبارُها
وكيف لا وماء "سَلع" ماؤها	مقــلوّةٌ و "العلَمان" دارُها
ودونهــا من أسلاتِ "عامرٍ"	جمرةُ [حربٍ] (٢) لا تبــوخُ نارُها
وذمّــةٌ مرعيّــةٌ أســندَها	الى حفاظ "غالبٍ" "نزارُها"
لا شلها (٣) ممّا تطــورُ (٤) همّــةٌ	لطاردٍ فيــه ولا عــوّارُها
كأنّها بين بيــوتِ قومهــا	نواظــرٌ تمنعهــا أشــفارُها
نعم! سقى الله بيــوتا "بالحمى"	مســدلةٌ على الدُّمَى (٥) أستارُها
وأوجها يشــفُّ من ألوانها	عنصرُها الكريمُ أو نِجارُها (٦)
سَــواهمًا (٧) ما ضرّها شحــوبُها (٨)	ومن صــفاتِ حسنها آستمرارُها
لم أر ليــلا فى الحيــاة أبيضــا	إلا بأن تطلُــعَ لى أقمارُها
كم زورةٍ على "الغضا" تأذَنُ لى	فيهــا بيوتٌ لم تصِــلْ زُوّارُها
وليــلةٍ سامحــنى رقيبُهــا	عمــدا وأخلى (٩) مجلسى سُمّارُها
فبت أجــنى ثمر الوصــل بهــا	من شجــراتٍ حــلوةٍ ثمارُها
وخــلوةٍ كثيرةٍ لذّاتُهــا	قليــلةٍ على الصِّــبا أوزارُها
لم يتوضّمــنى بريبٍ ســرُّها	صــونا ولم يُقــدَر علىّ عارُها
وأمّ خشفٍ (١٠) طيّبٍ حــديثُها	بين الوشاة طاهرٍ إزارُها
باتت تعاطيــنى على شرط المــنى	نخبــةَ كأسٍ ريقُهــا عُقارُها

(١) يقــال : شكرت الدابة بمعنى سمنت فهى شاكرة . (٢) هذه الكلمة ليست فى الأصل . (٣) شلها : طردها . (٤) تطور : تقرب وتدنو . (٥) فى الأصل "الدنى جمع دنيا" ولعلها محرفة و إن كانت لا تخلو من معنى . (٦) النجار : الأصل . (٧) سواهم : متغيرة فى لونها . (٨) الشحوب : تغير لون الوجه من هزال أو جوع أو سفر . (٩) فى الأصل "وأحلى" . (١٠) الخشف : ولد الظبية .

سَكرى وفى لِثَاتِها خمّارها الـ ـساقى (١) وعَطرى نشرُها عَطّارُها

يعرفنى بين البيوت ليلُها بمبسم ينكره نهارُها

الحبّ لا تملكنى خشاوه الـ ـقصوى ولا يُسمعُنى أمّارُها

وطُرُقُ العلياء لا تُعجزنى سعيا ولا تُوحشنى أخطارُها

وقولةٍ لا تُرتَقَى هضبتُها ولا تخاض غزرا (٢) غمارها

عوصاءَ (٣) للألسن عن طريقها [تَعتعَةٌ (٤)] الزالق أو عثارُها

كنتُ الى الفضل أبا عُذرتها (٥) ، وللرجال القالة (٦) اعتذارها

قمتُ بها ، تمدّنى من خلفها دافعةٌ ما كُسعتْ أعيارُها

كأنى من فضل أيمان بنى " عبد الرحيم " واقفا أمتارها

أرسلتُها محكمةً سيّارَةً لا لغوها منها ولا عَوَارُها

وكيف لا وإنما آثارُهم قُصّتْ وعنهم رُوِيَتْ أخبارُها

سقى الحيَا ذكرَ ملوكٍ كلّما مات الندى أنشره تذكارُها

وزاد عِزًّا أنفسا تحلّقت فوق السها وما انتهتْ أقدارُها

تزداد حرصا كلّما زادت ندًى ترى المعالى أنّه قُصارُها

وإن قست أيدى الغمام والتوتْ فقيلَ فى يمينها : يسارُها

---

(١) فى الأصل " الساقى " . (٢) غزرا : ممتلئة . (٣) العوصاء : الكلمة الغريبة أو الصعبة . (٤) فى الأصل " تعتا " والتعتعة : ارتطام الدابة فى الرمل والوحل والخَبار أى وعوثة الرمال ومنه قول الشاعر :

يتعتع فى الخَبار اذا علاه * ويعثُر فى الطريق المستقيم

ومن ذلك يتضح تصويبُ ما رجّحناه . (٥) يقال : فلان أبو عذرتها بمعنى أوّل من افتضها وقد توسّع فى استعماله فصار بمعنى : أوّل من أتى بكلام لم يأت به غيره . (٦) القالة جمع قائل .

فعضَـــدَ اللهُ أكفا سَـــبْطةً(١) تُفـــدَى ببوعٍ(٢) غيرِها أشـــبارُها
ما ضرَّ أرضا تســتميحُ صوبَهـا أنَّ السماءَ لَجِـــزَت(٣) أمطارُها
دوحةُ مجـــدٍ بَسَقتْ غصونُهـا من حيث طابَ وزكَى قـرارُها
شَـــقَّ لهـا فى "فارس" إماؤها حُرَّ الـــترابِ وهُمُ أحـــرارُها
مطعِمـــةٌ مورِقـــةٌ لا ظلُّهـا يضـــوِى(٤) ولا يُغبُّكَ(٥) آستثمارُها
كلَّ زمانٍ عامِها ربيعُهـا لا جدبُ شهباء(٦) ولا إعصارُها(٧)
وحسبُهـا أنّ الوزيرَ فَـــلَقٌ أبلـــجُ ممّـا قدَحتْ أنوارُها
شُجِّرَ منهـا وهو فى حكمِ العـــلا قُطْبٌ على ســـعوده(٨) مـــدارُها
ما برِحت يبعثهـا آســـتعلاؤها عـــلى عِضاهِ(٩) المجـــدِ وآشتهارُها
كأنهـا كانت تَرى مـــذ بدأتْ أنَّ اليـــه ينتهى نخـارُها
وللمعـالى فى الفـــتى إمارةٌ واضحـــةٌ من قبلهـا منارُها
الى "عميد الدولة" آشتطّت بنا مـــوائرٌ(١٠) لا تُقتـــفَى آثارُها
تنشُر من أخفافها أجنحـــةً وخيـــدُها(١١) على الثرى مَطـارُها
كلُّ طريقٍ نفَضَتْ الى العـــلا فهى وإن تطاولَتْ مِضمارُها
لا تتَّـــوقَّى شوكةَ الأرضِ ولو ذابَ عـــلى حَرِّ الظِّـرابِ(١٢) رارُها(١٣)

---

(١) سبطة : كريمة سهلة . (٢) فى الأصل "بنوع" . (٣) لجزت : بخلت وشحت .
(٤) يضوى : يدقّ ويهزل . (٥) لا يغبّك : لا يأتيك يوما بعد يوم بل يأتيك كل يوم .
(٦) الشهباء : السنة الشديدة لا خضرة فيها . (٧) فى الاصل "أعطارها". (٨) فى الأصل "سعود" . (٩) العضاه : كل شجر يعظم وله شوك واحدته عضاهة . (١٠) موائر جمع مائرة وهى المتحركة بسرعة . (١١) الوخيـد : سعة الخطو أو رمى البعير بقوائمه كمشى النعام .
(١٢) الظراب جمع ظَرِب وهو ما نتأ من الحجارة وحُدَّ طرفهُ . (١٣) الرار : المخ

تَسفِرُ[1] فى الحاجات وهى [عدّة][2] على بلوغِ ما ٱبتغى سُفّارُها
تدلُّها فى الشُّبهاتِ سُرُج[3] هنّ على جُرح الفلا مِسبارُها
لا تعرف العذرَ على غضّ السُّرى اذا المطايا عُذرت أبصارُها
تمضى حنايا ذُبَّلا شخوصُها سهامُها تُنقَضُ أو أوتارُها
حتى اذا شرعنَ فى حياضه خالفَ من إيرادها إصدارُها
تلقاه خِفًّا[4] فاذا تروحتْ فكالهضاب فوقها أوقارُها[5]
يصوّت الجودُ بها : ألا كذا عن الملوك فليعُد زُوّارُها
على نداك " شرفَ الدين " ربَتْ فصالُها[6] وبَزَلَتْ[7] بِكارُها[8]
وعندك الفاسحُ من أعطانها والأمنُ إن أرهقها حِذارُها
موسمُ فضلٍ لا تبورُ سُوقُه ودار عزٍّ لا يذلُّ جارُها
وأعطياتٌ وحلومٌ عجبتْ منها جبالُ الأرض أو بحارُها
قد درَت الدنيا على جهلاتها أنك خيرُ من حوت أقطارُها
الكوكبُ المفردُ من أبنائها إن خُيِّرت لم يَعْدُك ٱختيارُها
تكثَّرتْ بواحدٍ منك كما قلَّلها من الورَى إكثارُها
وأيقنتْ دولةُ " آلِ باسلٍ " أنك يومَ بطشِها جبّارُها
وأن ما تنظِمُ من تدبيرها مريرةٌ[9] لغيرك ٱنتسارُها[10]

(١) تسفر : تتوسط . (٢) هذه الكلمة ليست بالأصل . (٣) سرج جمع سراج ، ويراد بها النجوم ، وفى الأصل "سرح" . (٤) خفًّا : خفيفة . (٥) الأوقار جمع وِقر وهو الحمل الثقيل . (٦) فصال جمع فصيل وهو ما فصل عن أمه . (٧) بزلت : صارت بازلا أى مسنّة . (٨) بكار جمع بكرة وهى الفتيّة من الإبل . (٩) المريرة : الحبل المفتول . (١٠) انتسارها : نقضها .

اذا قُرُبتَ خافها أعــداؤهـا وإن نأيتَ خافها أنصارُها
غادرتَها منـذ اعتزلتَ بيتَها لها نبوُّ العين وازورارُها
يـلاثُ[1] قُبحا لا عَفافا وتُقًى على صِفاحِ وجهها خمارُها[2]
مطروحـةٌ للضيم لا يمنعها قنا المحامين ولا شِفارُها
تمدّ للخطب يدا مقبوضـةً لا سيفُها فيها ولا سِوارُها
واجتمعتْ على تنافى بينها الـ ـأهواءُ فيك واستوتْ أقدارُها
واعترفتْ لك العدا اعترافَنا بالحقّ إذ لم يُغنها إنكارُها
وآمنتْ أنّـك فينا آيـةٌ باقيـةٌ وحَسُنَ استبصارُها
ولو رأتْ وجـهَ الجحود جَحَدَت وإنما ضـرورة إقـرارُها
يا من به استحليتُ[3] طعمَ عيشتى من بعد ما قَضَّ فمى إمرارُها
وردّ أيامى على إصرارها مُنيبـةً[4] يُخجلنى اعتذارُها
ومن تحرّمتُ به فلم يَضِعْ ذمامُ آمالى ولا ذِمارُها
فى كلّ يـومٍ نعمةٌ غريبـةٌ أُوهَبُها كأننى أُعارُها
تأتى وما أنصبنى تطاوُلٌ لها ولا عذّبنى انتظارُها
محلّيا من عَطَلى لَبوسَها وراقعا من خَلَلى نُضارُها
أقربُ ما يكون منّى وصلُها اذا نأتْ أو بَعُدتْ ديارُها
فما يضرّ حسنَ حظّى منكمُ تصاعُدُ العيس ولا انحدارُها
لكنّ شوقا حرُّه فى أضلعى جنايـةٌ لا يُملَكُ اغتفارُها
ولوعـة اذا تنفّستُ لها عن كبدى حرّقنى أُوارُها[5]

---

(١) يلاث : يلفّ . (٢) الخمار : ما تغطى به المرأة رأسها . (٣) فى الأصل "استجليت" . (٤) منيبة : راجعة تائبة ، وفى الأصل "ميتة" . (٥) الأوار : حر النار .

فهل لهذا الداء من راقيةٍ ينفِثُ في عُقدته سَحّارُها

أم هل يكونُ من لطيف بِرِّكم زيارةٌ تُقضَى بكم أوطارُها ؟

وإنها على النوى لآيةٌ معجزةٌ ، عندكم آحتقارُها

لا قلَّصتْ عنكم ظلالَ مُلككم نوائبُ الدهر ولا أقدارُها

ولا أحالَ من قشيب(١) عزِّكم مرورُ أيامٍ ولا تَكرارُها

وحالفتكم نعمةٌ صحيحة عهودُها، طويلةٌ أعمارُها .

وتَجَّرت(٢) أوجهَها عن غيركم دولةُ دنيا لكُمُ إسفارُها

عمن يُعادى مجدكم زوالُها وعندكم برغمه آستقرارُها

(٢٠٣)

وسائرات بالثناء(٣) لا يُرى مستعفيا من دَأَبٍ سيّارُها

لا تخلُقُ الظلماءُ في بسطتها قبضا كأنّ ليلَها نهارُها

تطوى الفيافي لا خفارات لها إلا الذى تضمنه أسطارُها

تشتاقها(٤) الأرض وبعدُ لم تصِلْ لأنها تسبِقُها أخبارُها

يخالها النادى اذا آجتازت به لطيمةً(٥) مرَّ بها عطّارُها

تحمِلُ آثاما بمدح غيركم حتى تُحَطَّ بكُمُ أوزارُها

تُهدى لك الأعيادُ منها طُرَفا جواهرا تحت فمى بحارُها

مما توحدتُ به لم تُفْتَرَعْ لا عُونها قبلُ ولا أبكارُها

ودّت "تميم" وفحولُ "وائلٍ" من قبلها لو أنها أشعارُها

---

(١) القشيب : الجديد . (٢) تجّرت : غطّت . (٣) في الأصل " بالشاء " .

(٤) في الأصل " تستاوها " . (٥) اللطيمة : نافجة المسك .

*
* *

وقال يمدح الوزير كمال الملك أبا المعالى فى المهرجان

هــل لقتيل على "اللوى" ثائـر أم هل لليل المحبّ من آخرْ؟
أم الفــتى جائــدٌ بمهجتــه عــلى بخيــلٍ بقــوله غادرْ (١)
خاطــرَ فى حبّ ظالمٍ لم تجــزْ قــطّ له رحمــةٌ عــلى خاطــرْ
يحسب كلّ الأبدان يومَ "منًى" بُدْنَ (٢) الهدايا تحــلُّ للعــاقرْ
له من القتــل باعثٌ لا يُقــا ويه من الحزم والتــقَ زاجرْ
اذا كريمٌ عفــا لقــدرته أغــراه بالشــرّ أنّــه قادرْ
يحصِب " وادى الجمارِ " يستغفر الله ومَن للــدماء بالغــافــرْ
كلّ حصــاة بتراء تُنبَــذ بالــوادى حســامٌ من كفّه باترْ
رامٍ بســبعٍ اذا رأى كبِدًا قرطس (٣) من واحــدٍ الى العاشــرْ
عــزّ قبيــلى وخاننى وأنا الــمظلومُ فى حبــه بلا ناصــرْ
لو كان فى " بابلٍ " رُضــابا (٤) وألــحاظا (٥) لقلتُ الخمّارُ (٦) والســاحـرْ
تاجرْ هــواه وثِقْ بذمّتــه تكن شريكَ المقمورِ (٧) لا القــامرْ (٨)
يلقاك من قــدّه وإمرته يوم التقاضى بالعادل الجــائــرْ
يا قلبُ صــبرا عساك حين حُرمــتَ الوصلَ تُعطَى مَثوبةَ الصابرْ
ولا تُسَمَّ الهجــر الملال وعِشْ بالفــرق بين الملولِ (٩) والهــاجر
تُجَرُّ عليــك الإطرابُ بعــدَ ليا ليك اللواتى انطوت على "حاجِرْ"

---

(١) فى الأصل " عاذر " . (٢) البدن جمع بدنة وهى الناقة تُنحر بمكة . (٣) قرطس : أصاب الغرض . (٤) الرضاب : الريق المرشوف . (٥) فى الأصل " وخماطا " . (٦) فى الأصل " لقلب " . (٧) المقمور : المغلوب فى لعب القمار . (٨) القامر : الغالب فى لعب القمار . (٩) فى الأصل " الملوك " .

ذلك عهدٌ ناسِى بشاشته أسعدُ حظًّا به من الذاكرْ
كم عثرةٍ بين "زمزمٍ" لك و "الـ ـمشعرِ" لا يستقيلها العاثرْ
أفسدتَ فيها فريضة الحجّ بالـ ـذُّلِّ لغير المهيمن القاهرْ
قلبُك فيها على التنسُّك معـ ـقودٌ وللفتك فعلُك الظاهرْ
فأنت بين الإحرام والحبِّ للـ أصنامِ لا مؤمنٌ ولا كافرْ
تخضعُ منها لصورةٍ فُطِرتْ ويَخضَعُ المخبِتون[(١)] للفاطرْ
حسْبك كان الشبابُ يستر من نفسك ما الشَّيب ليس بالساترْ
قد آن أن ينفعَ الملامُ وأن تلزَمَ فى العدل طاعة الآمرْ
طارت، بعزماتك المُضلّة من شيبك هذا، عُقابُه الكاسرْ
غاب الشباب المغرِى وقد حضَر الـ ـشَّيبُ نذيرا والحكمُ للحاضرْ
قِفْ! قد مضتْ غفلةُ الخليع بما فيها وقوفَ المستبصر الناظرْ
شمِّر وخُضْها ما دمتَ خائضها فربّما طَمَّ[(٢)] ماؤها الغامرْ
والشعرَ صنْه فالشعرُ يحتسب اللهَ اذا لم يُصَنْ على الشاعرْ
لا تمتهنه فى كلّ سوقٍ فقد تربَح حينا وبيعُك الخاسرْ
أُنظرْ الى مَنْ، وفى مدائح من أنت — وقد بات نائما — ساهرْ
اِختَرْ ولودا للفهم منجبةً فأكثرُ الفهم مُحمِقٌ[(٣)] عاقرْ
غالِ به وآستَمِ[(٤)] المهورَ الثقيـ ـلاتِ وصاهرْ أكفاءَها صاهرْ
وآحنُ عليه فإنّه ولدٌ أبوه قلبٌ وأمُّه خاطرْ
صَرِّفْهُ فيما يَرضى العلاءُ به ويَعمُر العرضَ بيتُه العامرْ

(١) المخبتون : المطمئنون الى ربّهم . (٢) طمّ : غمر . (٣) المحمق : المرأة جاءت بولد أحمق . (٤) استم : فعل أمر من آستام يقال : آستام البائع السلعة بمعنى عرضها وذكر ثمنها .

إمّا لفخـرٍ يصـدّق النسبَ الحـ ـرَّ ويُحيى ذكـرَ الأبِ الداثـرْ

أو لأخٍ يشـفع الـودادُ بمـا يرضيه منـه بالفـذِّ والنـادرْ

أو مَلِك رحتَ منـه فى نِعـمٍ أنت لهـا لا محالة شـاكرْ

ترى من الوِرْد فى شريعته الـ ـعذبة (١) آثارَ غيظـةِ (٢) الصـادرْ

من "آل عبد الرحيم" حيث عهد تَ العُشْبَ الكهلَ والحيا القاطرْ

والبيت من أيمـا آستُضِفتَ به فأنت فى الجدب لابن (٣) تامرْ (٤)

حيث القِـرى لا تُكَبُّ جفنتُـهُ (٥) والنـارُ لليـل أوّلا آخـرْ

والبُزْلُ (٦) لا تُعقَل الوديكةُ (٧) والـ ـكَوْماءُ (٨) إلا بشـفرةِ (٩) الجازرْ

والنضَـدُ (١٠) الضخمُ والأرائـك يؤ ثَرْن لجنبِ النـديمِ والسـامرْ

كم قمـرٍ منهـمُ ولا "كـكما ل الملك" ضوّاك نورُه الباهـرْ

تمَّ فأبصـرتَ أو سمعتَ به ما لم تكن سامعا ولا ناظـرْ

أربابُك المـالكون رقَّك مِن ماضٍ سـعيدٍ وسـيِّدٍ غابرْ

تـورّث فيهـم فأنت ينقلك الـ ـميراثُ من كابرٍ الى كابرْ

تأنس إن قيل : غرسُ نعمتهم وأنت منهـا فى غيرهـم نافـرْ

فما الذى ردّ عن حميّتـه أنفَك فانقـدت فى يد القاسـر؟!

بلى تصـبَّاك فى خلائقهـم مرتبِـقٌ (١١) فى حبالهـم آسـرْ

---

(١) فى الأصل "العذبة". (٢) فى الأصل "غيظه". (٣) اللابن : من عنده ابن كثير. (٤) التامر : من عنده تمر كثير. (٥) الجفنة : القصعة. (٦) البزل جمع بازل وهو البعير فطر نابه أى آنشـق بدخوله فى السنة التاسـعة. (٧) الوديكة : السمينة الضخمة. (٨) الكوماء : الناقة المرتفعة السنام. (٩) الشفرة : السكين. (١٠) النضد : السرير. (١١) المرتبق : من يشدّ الربقة وهى حبل يجعل لشدّ البهم.

ورقيـة يُخرِجُ الأُسـودَ بهـا ... "أبو المعالى" من غيلها الغـابر[١]

تنفُثُ أخلاقُه العـذابُ فيُجـ ... ـرين الصفا[٢] قبـل صِلّه الحـادرْ

دلّ عـلى مجدِ قومـه، وعلى الـ ... ـصّبح دليـلٌ من نوره الفـاجرْ[٣]

وقدّمـوه طليعـة يصف الـ ... ـفخر ووافَوا بالكوكب الزاهرْ

أبلج تُمسى النجـومُ راكدةً ... وكوكبُ السـعدِ برجُهُ السائرْ

فى الأرض منهـم لعـزّهم فلكٌ ... بكلّ ما شاد ذِكرهم دائرْ

أراكة حـلوة الثمـار بـه ... لم تَشـقَ فى لقحها يدُ الآبِرْ[٤]

عـدّلَ مَيـلَ الدنيـا وثقّفها ... ـ حتى ٱستقامت ـ تدبيرُه الآطِرْ[٥]

وٱبتسـم الدهرُ تحت سـيرته ... وعـدلِه وهـو عابسٌ باسرْ

كأنمـا رأيه عـلى لهب الـ ... ـخطب جُمادى[٦] صُبّتْ على "ناجِرْ"[٧]

وجمـرة دون سُـدّة الملك لا ... يثبت وجـهٌ لوجهها الزافـرْ

ينهال تحت الرِّجل القويـة جا ... لاها[٨] بمـا عمّقتْ يدُ الحافـرْ

قام عليهـا فألقم الجمـرَ الـ ... ـهاتمَ فيهـا فمَ الردى الفاغرْ

تجُـد إمّا بمـاء صارمـه الـ ... ـباترِ أو ماءِ كفّه المـائرْ

طَبٌّ بأدواء كلّ معضـلةٍ ... يغالط الجسّ عرقُهـا الفـائرْ

قـد جرّبوه وآخرين فمـا ... أشـكل بين الوفىّ والغـادرْ

وٱعـترف المنـكرون بالآية الـ ... ـكبرى ٱضطرارا وآمن الفاجرْ

---

(١) الغابر : ما علاه الغبار . (٢) الصفا جمع صفاة وهى الحجر الصلد ، والصلّ : الحيّة .

(٣) الفاجر : المنبثق كالفجر . (٤) الآبر : متعهد الزرع ومصلحه . (٥) الآطر : العاطف .

(٦) جمادى : يقال للشتاء عند العرب : جمادى لجمود الماء فيه . (٧) ناجر : شهر رجب أو صفر أو هو كل شهر واقع فى صميم الحر . (٨) الجال : ناحية القبر والبئر ، وفى الأصل "حالاها" .

جاراكم[1] النـاسُ يدأبون فمـا شَـقّ هجينٌ[2] عَجاجةَ[3] الضامرْ
وقارعـوكم على العـلا سـقَها فمـا وفى بالمـدجّج الحاسـرْ[4]
وقـد رأى من نصحته فأبى النـ ـصحَ وكان الخلافُ[5] للخائرْ
وكيف يبـق على زئـيركمُ قلبُ قطـاةٍ يُراعُ بالصافـرْ
وأسـعد النـاس ربُّ مُلكٍ له منكم ظهـيرٌ وعاضـدٌ وازرْ
أنتم لهـا تمسحون غاربَهـا بأذرعٍ[6] لا يقيسها الشـابرْ
وأمرُها كيف غيَّر الدهرُ أو بدَّل فيهـا اليكمُ صـائرْ
منـارُها فيكمُ وقبلتُهـا والنـاسُ من تائهٍ ومن حائرْ
فـلا يزل منكمُ لهـا ناظمٌ يجمـع منهـا ما بدّد النـاثرْ
ولا أتيحت عِصِىٌّ عزّكُمُ للمتح منهُـمُ ولا قاشـرْ
ولا تزل أنت كالقضـاء بمـا تطلبُ من كلّ بغيـةٍ ظافرْ
تلتـثم الحادثاتُ من خجـلٍ عنـك اذا راع وجهُها السـافرْ
وناوبت ربعَـك السحائبُ من مـدحى بهامٍ مروّضٍ هامرْ
بكل وطفاءَ[7] تطمئنّ بجـا جُ الأرض منهـا للرائح الباكرْ
يكسو الثرى ماؤها وترتدعُ الـ ـحصباءُ طيبا من ريحهـا العاطرْ
تُشهَد فى المنصب الكريم وتحـ ـمى العرضَ والعرضُ مهمَلٌ شاغرْ[8]
يزفُّهـا الحبُّ والرجاء الى بابك من كاعبٍ[9] ومن عاصرْ[10]



---

(١) فى الأصـل " جازا كم " . (٢) الهجين : غير العتيق . (٣) العجاجة : الغبـار .
(٤) الحاسر : من لا مغفر له ولا درع . (٥) فى الأصـل " الخلات " . (٦) فى الأصل " ذرع " . (٧) الوطفاء : السحابة المسترخية لكثرة مائها . (٨) الشاغر : الذى ليس له من يحميـه . (٩) الكاعب : الجارية تنهد ثديها . (١٠) يريد بالعاصر : التى بلغت شبابها ، والذى تقول به معاجم اللغة " معصر " ولعله أجراها هذا المجرى للازدواج .

تجارة لا تبور والمشترى | سمعُك منها وقلبَ التاجرْ
أعظمها عن سواك أنك للـ | أموال فيها مستصغِرٌ حاقرْ
ووُدُّ نفسى لو أن باطنَها | يُحمَلُ فى حبّكم على الظاهرْ
وأن تَرَى عينُك العليّةُ من | تحت شَغافى نصيبَك الوافرْ
فتصرف الشكّ باليقين اذا | بلوتَ سرّى بالفاحص السابرْ (١)
ذاك اعتقادى وإننى لدمِ الـ | ـوفاء إن كنتُ مُدهِنا (٢) هادرْ
فاقبلْ ولا تنس من حفاظِىَ ما | أنت بفضل الحجا له ذاكرْ
واعلم بأنى ما اشتقت عهدالصبا الـ | ـعافى ولا سكرة الغنى الغامرْ ،
شوق الى أن أراك أو اشترى | ذاك بإنسان عينِىَ الناظرْ
فلا تُصبْنِى فيك المقاديرِ بالـ | ـقاصد (٣) من سهمها ولا العاثرْ (٤)
وزارك المهرجانُ يحمل من | سعدك أوْفَى ما يحملُ الزائرْ
يومَ أماتوا بالغدر بهجتَهُ | وأنت منه رعايةً ناشرْ
أتاك فى الوفد يعتفى روضَك الـ | ـغضَّ ويعتامُ بحرَك الزاخرْ
فاجتلِ منه المبرّزَ الحسنِ فى الـ | ـعين وفزْ بالمبارَك الطائرْ

***

وقال يمدح زعيم الملك أبا الحسن ويهنئه بالنيروز

وفى لى بك الحظُّ الذى كان يَغدِرُ | وصحَّ لِىَ الدهرُ الذى يتغيّرُ
وسالمنى صرفُ القضاءِ وبيننا | فلولُ المواضى والقنا المتكسّرُ

---

(١) السابر : من يسبر الجرح ليعرف غوره ، وفى الأصل "السابر" . (٢) المدهن : المنافق المخادع . (٣) القاصد : السهم المستوى نحو الرمية . (٤) العاثر : السهم لايُدرَى من راميه ، وفى الأصل "العابر" .

وحسّنتُ ظنّى فى الزمان وأهلِهِ فأصبحتُ أرجو وصلَ من كنتُ أحذَرُ
وعرَّفَنى فيمن رأى غاية العلا فطالَبها بالسعى كيف يُشَمِّرُ
وكيف يغارُ الحرُّ من ثَلْمِ مجده فيدعَمُه بالمكرمات ويعمُرُ
حنوًّا وفى قلب الزمان قساوةٌ ورَعْيًا لحقٍّ وآبنُ أمّىَ يَخفِرُ[1]
ورفدا هنيئا تستقلّ كثيرَه وودًّا وما تُسنِى[2] من الودّ أكثرُ
عطاؤك كافٍ وآعتذارك فضلةٌ وغيرك لا يعطِى ولا يتعذَّرُ
وفيتَ لآباءٍ تكأّمتَ عنهمُ فضائلَ ما سنُّوا الفخارَ وسيَّروا
كرامٌ طواهم ما طوى الناسَ قبلهم وأنت لهم من ذلك[3] الطىِّ مُنشِرُ
مضَوا سلَفا وآستخلفوك[4] لذكرهم خلودا فلم يُخزِ[5] القديمَ المؤخَّرُ
وأبقَوا حديثا طيِّبا منك بعدهم وقد علموا أنّ الأحاديثَ تُؤثَرُ[6]
وزَنَّاهُمُ بالناس بيتا وأنفُسا فزلّت موازينٌ وزادوا وثمَّروا
وجئتَ بمعنى زائدٍ فكأنهم — وما قصّروا عن غاية المجد — قصّروا
وإن أبا أبقاك مجدا لعقبِهِ وإن عَبَطتْه[7] ميتةٌ[8] لمعمَّرُ
أقول لركبٍ كالأجادل[9] طوّحتْ بهم قامصاتٌ كالأهلّة ضُمَّرُ
على قِمم البيداء منها ومنهمُ — اذا خفقَ[10] الآلُ[11] — الملاءُ[12] المنشَّرُ
رمت بهم الحاجاتُ كلَّ مخوفةٍ[13] اذا سار فيها النجم فهو مغرِّرُ[14]

---

(١) يخفر : ينقض العهد و يغدر . (٢) تسنى : تجعله سنيًّا ذا رفعة . (٣) فى الأصل "ذاك" . (٤) فى الأصل "وآستحلفوك" . (٥) فى الأصل هكذا "يحرن" .
(٦) فى الأصل "تؤثر" . (٧) عبطته : أردته بفجأة من غير علة ، وفى الأصل "غبطته" .
(٨) فى الأصل "منه" . (٩) الأجادل جمع أجدل وهو الصقر . (١٠) خفق : آضطرب ، وفى الأصل : "أخفر" . (١١) الآل : السراب . (١٢) الملاء جمع ملاءة وهى ثوب ذو لفقين (الملاية) . (١٣) المخوفة : المفازة . (١٤) المغرِّر : المعرِّض نفسه للهلاك ، وفى الأصل "وهو مقرر" .

اذا الليلة العمياءُ منها تصرّمت — تولّاهُمُ يومٌ من التيه أعورُ
رأوا رزقَهم فى جانبٍ متعذّرا — تطاوله أعناقُهم وهى تقصُرُ
خذوا من "زعيم الملك" عهدا على الغنى — وردُّوا المطايا فاْعقلوها وعقِّروا
دعوا جانبَ البَرّ العسوفِ وحوّموا — على البحر بالآمال فالبحرُ أغزرَ
ولا تحسبوا أفعال قوم ذلائمُ(١) — عليها كما تُروَى الأسامى وتُذكَرُ
فما كل خضراء [من](٢) الأرض روضة — تراد ولا كل السحائب تُمطِرُ
"ببغداد" فى "دار السلام" محجب — على عادة الأقمار يخفى ويظهرُ
اذا كتمته رِقبةٌ أو مكيدةٌ — وشى بمعاليه العطاء المشهَّرُ
كريم يرى أنّ الغنى تركه الغنى — وأنّ اتقاءَ الفقر بالفقر مُفقِرُ
غلامٌ اذا ما عدّ أعداد سنّه — ويومَ قضاء الحزم شيخٌ موقّرُ
تمرّن طفلا بالسيادة مرضَعا — يدرّ عليه خِلفُها ويوفّرُ
له من مقامات الملوك صدورها — يقدّم فيها إذنَه ويؤخّرُ
زعيما على التدبير لا هو حاجة — يعانُ على أمرٍ ولا هو يؤمَرُ
له من سرايا(٣) رأيه ولسانه — اذا نازل الأقرانَ جيشٌ مظفَّرُ
وأهيفُ يذرى فى العظائم حدُّه — ومنظرُه فى العين يضوى(٤) ويصغرُ
ترى الرزقَ والآجالَ طوعَ قضيّةٍ — تُخَطُّ على أمريهما وتُسطَّرُ
ومرٌّ على الشحناء، حلوٌ على الرضا — وللضيم يحلولى(٥) فلا يتمرّرُ
ضحوكٌ اذا حكّمته متطلّقٌ(٦) — وأشوسُ(٧) إن نازعته متنمّرُ

(١) فى الأصل هكذا " للتم " . (٢) هذه الكلمة ليست بالأصل . (٣) سرايا جمع سرية وهى القطعة من الجيش ، وفى الأصل " سرا " . (٤) يضوى : يهزل و يدق . (٥) فى الأصل هكذا " محلوا " . (٦) المتطلق : المنبسط الوجه . (٧) فى الأصل " بأشوس " .

كفى الملك ما آستكفت لحاظُ جفونها وأغناه ما أغــنى عن الكفّ مِنسَرُ (١)(٢)
وقام له بالنصــح يُثبتُ رجــلَه عــلى زَلِقٍ فيــه الفتى يتعــثَّرُ
فإن شكرت كفُّ بلاءَ مهنَّــدٍ قضى نذرَها فالملكُ لا شــك يشكُرُ
لك الله مُولِى نعمــةٍ ومفيــدَها وغارسَها من حيث تزكو وتُثمــرُ
ومســتعبدا حُرَّ القــلوب وفاؤه وحُرَّ الكلام ماله المتيسِّــرُ
جرى الخلقُ إلا فى علاك فأبصر الـ ـمقلِّد فيهـا وآســتقال المقصِّــرُ
وقال بقــولى فيك كلُّ محــدث يرى أننى ما قلت إلا وأخــبرُ
وعنَّف قومٌ حاســديك جهالةً وذمّــوا وهم بالحمــد أولى وأجدرُ
اذا عرَّفوا الفضلَ الذى حسدوا له (٣) فتلك لهم مجــدٌ يُعدُّ ومفخــرُ
أعاذك من عين الكمال الذى قضى به لك قسما فهــو يقضى ويقــدرُ
ولا غشيت ظلمــاءُ إلا وبخــرُها برغم العــدا عما تحبّون يُســفرُ
فمـا تصلح الدنيا ومن غيركم لهـا أميرٌ مطــاعٌ أو وزيرٌ مــدبّرُ
ولا عُــدم المدحُ الموفَّى أجــورَه بكم وهو فى قــومٍ سواكم مســخّرُ
مواسمُ فى أبياتكــم بعــراصها تُحَــطُّ وعنها فى الثنــاء تُسَــيّرُ
تناوبــكم منــه سحائبُ ثَرَّةٌ تروح عــلى أغراضكم وتُبَــكّرُ
تســوق مطاياها رياح زَكيّةٌ بمـا حملت من وصفكم تتعطّــرُ
اذا عرضتها الصُّحْفُ شك رواتُهـا أوشىُ حــريرٍ أم كلامٌ محــبّرُ؟!
تفيــد قلوب السامعين توقُّــرا لهـا وآهتزازا فهى تصحى وتُســكَرُ
اليــك "زعيمَ الملك" لانتْ رقابُها وذلّتْ وفيهـا عزّةٌ وتغشــمرُ (٤)
رأتك لهـا أهــلا فلان عصيُّها (٥) لديك وقالت : فى فِنـائك أُحشَرُ

(١) فى الأصل "بن" . (٢) المنسر : منقار الطير الجارح . (٣) فى الأصل هكذا "جهدوا" . (٤) التغشمر : رفع الرأس إباءً وشمما . (٥) فى الأصل "لانت عِصِيها" .

اذا زارك النـيروزُ عُطْـلًا فإنه ... يُطـوَّق من أبياتهـا ويسـوَّرُ

وغاليتَ فى أثمانهـا فشريتَهـا ... ربيحـا فظنّ الغمـرُ أنك تخسرُ

اذا المـرءُ أعطانى كرائمَ ماله ... ليأخذَ شـعرى فهو منّىَ أشعرُ

٭٭٭

وقال يصف الشطرنج

ومؤمَّرٍ بين الرجال مقـدَّمٍ ... فى الأرض وهو مـدَبَّرٌ مأمورُ

باقٍ يخافُ الحتَفَ وهو مُبيَّتٌ ... فله مَعـادٌ عاجلٌ ونشـورُ

ويسـيرُ ما سار الجيوشُ أمامَهُ ... ويقـودُها فيقيمُ وهو يسـيرُ

كثرتْ منـازلُه وضاقت طُرْقُهُ ... فكأنّه بمكانه مأسـورُ

٭٭٭

وكتب الى الأمير شهاب الدولة منصـور بن الحسين بن دُبَيس ، وأنفـذها الى خوزستان

هل فى الشموسِ التى تُحدَى بها العيرُ (١) ... قلب الى غـير هـذا الدينِ مفطورُ؟

أم عنـد تلك العيونِ المتبِلات (٢) لنـا ... دمٌ عـلى أسهم الرامين محظورُ؟

زمُّوا المطايا فدمـعٌ مطلَقٌ أمِنَ الـ ... ـعدوَى ودمعٌ وراءَ الخوف محصورُ

فـكم نهيتُ بأولَى الزجر سـائقَهـم ... حـتى تشـابَه مهتـوكٌ ومستورُ

وفى الخـدور مواعيـدٌ مسـوَّفةٌ ... لم يُقضَ منهنّ منـذورٌ ومنظـورُ

وماطلات ديونَ الحبِّ تلزمهـا ... لَيًّا (٣) وهنّ مليّـاتٌ (٤) مياسـيرُ

لا تُقتضَى بفـتًى يقتلنَ عاقـلةٌ (٥) ... ولا يقـوم وراءَ الثأر مـوتورُ

(١) العير : كل ما امتير عليه إبلا كانت أو حميرا أو بغالا ، وفى الأصل "الغير" (٢) المتبلات : التى جعلتنا ذوى ترات وحقود . (٣) اللىّ : المطل . (٤) مليّات : غنيّات متمولات . (٥) العاقلة : دافع الدية .

يحذرنَ ماسفكَتْ أجفانُهن دمًا ... وقـد أقـرّ به خـدٌّ وأُظفـورُ [١]

ياسـائق البكرات آسـتبقِ فضلتَها ... على الوريد فظهـرُ [٢] العفر معقـورُ

حبسا [٣] واو سـاعةً تروَى بها مقـلٌ ... هِـيمٌ [٤] وأنت عليها الدهرَ مشـكورُ

فالعيس طـائعـةٌ والأرض واسعةٌ ... و إنمـا هــو تقــديمٌ وتأخـيرُ

تغلّسوا [٥] من " زرودٍ " وجهَ يومهـمُ ... وحطّهـم لظلالِ " البـانِ " تهجيرُ

وجاذبوا الجزع من وادى الأراك وقد ... تعصّبتْ بالغروب الأحمـرِ القُـورُ [٦]

وضمنوا الليل " سلعا " أن رأوه وقد ... غنّت على قُنّتَىْ " سَلعَ " العصافيرُ

وكيف لا يستطيب العُشبَ رائدُهـم ... وكلُّ وادٍ لهم بالدمـع ممطـورُ

وآستكثفوا البقلَ من " نعمان " فاقتمحوا ... لسًّا [٧] وخضمًا [٨] فمهـلوسٌ [٩] ومهصـورُ [١٠]

ومن ورائهـمُ عقدُ اليمين سُدًى ... مضيَّـعٌ وذمـامُ الجـار مخفـورُ [١١]

أطبقتُ جفنى على ضوء الصباح لهم ... حفظًـا فمـا لنهـارٍ فيهمـا نـورُ

وعاصت اليأسَ نفسى أن تُعـاب به ... وكلُّ سـالٍ بأمر النـاس معـذورُ

وقـد عددت على سكرى بفُرقتهـم ... شهـورَ عامٍ وقلبى بعـدُ مخمـورُ

كذاك حظُّ فـؤادى من أحبّتِه ... مـذ جرّبَ الحبَّ مبخوس ومنزورُ

فمـا يحـافِظ إلا وهـو مطّـرَحٌ ... ولا يواصِـلُ إلا وهو مهجـورُ

حتى لقـد خفت أن تنبو على يده ... بالشرقِ من " أسَـدٍ " بيضٌ مشاهيرُ

---

(١) الأظفور : الظُفر . (٢) البكرات جمع بكرة وهى الفتية من الإبل والعُفر جمع أعفر وعفراء وهو من الإبل ما شابه لونه التراب . (٣) حبسا : أى قف وآحبس المطايا عن السير ، وفى الأصل " جيشا " . (٤) هيم : عطاش . (٥) تغلّسوا : ساروا فى الغلس . (٦) القور جمع قارة وهى الجبيل الصغير المنقطع عن الجبال . (٧) اللس : نتف الكلأ بمقدم فم الدابّة . (٨) الخضم : الأكل بالأضراس . (٩) المهلوس : المهزول الذى يأكل ولا يبين أثر الأكل فى جسمه . (١٠) المهصور : المعطوف المثنىّ . (١١) مخفور : منقوض .

مَن مرسَلٌ تَسَعُ الأرسانَ همّتُهُ ... جُرحُ الفلاةِ به والليلُ مسبورُ
لا يرهب الجانبَ المرهوبَ محتشما ... لعلمه أنّ طُرْقَ المجد تغريرُ
يُنضِى الجيادَ الى إدراك حاجته ... والعيسَ حتى يضجَّ السرجُ والكورُ (١)
يذارع الأفُقَ الشرقَّ قبلته ... فى القِسطِ ما ضمّ "خوزستانُ" (٢) فالكورُ (٣)
بأَبْـغ — حُملت على الأخطار محتكما ... على السرى وأعانتك المقادير — ،
حيًّا "بَمَيسانَ" (٤) ربعُ المال بينهمُ ... عافٍ خرابٌ وربع العزّ معمورُ
فثَمّ ما شئتَ نخرُ الناس كلّهمُ ... بلا مثيلٍ وثَمّ المجدُ والخِيرُ
وأوجهٌ مقمراتٌ للقِرى وإلى ... معترَج الصبح فُرسانٌ مَغاويرُ
وآخصص غَطارفَ (٥) من دُودانَ (٦) يقدمها ... ضارٍ تبادره الأُسْدُ المساعيرُ (٧)
فقل لهم ماقضى عنّى نصيحتَهم ... وأكثرُ النصح تخويفٌ وتحذيرُ:
تخاذلوا لولىّ الأمر وآعتزلوا الصـ ... دور "فالملكُ المنصورُ" منصورُ
توضّحوا فى دياجيكم بطاعته ... فهى الصباحُ ولقياه التباشيرُ
وتابعوا الحقّ تسليما لإمرته ... فتابعُ الحقّ منهىٌّ ومأمورُ
ساد العشيرةَ مرزوقٌ سيادتَها ... فى الدَّرّ (٨) متخَّل (٩) للملك مخبورُ
مردَّدٌ من مَطا (١٠) "عدنانَ" فى كرم الـ ... أصلاب كنزٌ لهذا الأمر مذخورُ

---

(١) الكور: الرحل . (٢) خوزستان: بلدة بين فارس والبصرة وواسط وجبال اللُّور المجاورة لأصبهان وهى أشبه شىء بأرض العراق فى هوائها وصحتها . (٣) الكور ثنية فى بلاد اليمن . (٤) ميسان: كورة واسعة القُرى والنخل بين البصرة وواسط . (٥) غطارف: جمع غطريف وهو السيد الكريم (٦) دُودان: قبيلة من بنى أسد وهو دودان بن أسد بن خُزيمة . (٧) المساعير: جمع مِسعار وهو الشديد أو هو الذى يوقد نار الحرب كأنه آلة فى إيقادها . (٨) فى الدَّرّ بمعنى فى وقت الرَّضاع (٩) هذه الكلمة فى الأصل هكذا "مسحل" . (١٠) المطا: الظهر .

يميه من "أسد" عرقٌ يوشّجه[1] الى "عفيف" وعرقُ المجد مبنورُ[2]

وعن "دُبيس" بُعرف المجـد مولدهُ الى "الحسين" وأمرُ المجد مقدورُ

لا تخصموا اللهَ فى تمهيـد إمرتهِ عليكُمُ، إنَّ خصمَ الله مقهـورُ

كفاكم الناسَ فأمشوا تحت رايتـه وكلُّ بيتٍ بكم فى النـاس مكثورُ

ولا تعزوا قُـدامَى مجدكم حسـدا "لأبن الحسين" بما تجنى المآخيرُ

أو فأدعُوا مثـلَ أيام له بهـرتْ والحقُّ أبلجُ والبهتانُ مدحـورُ

لمن جِفانٌ[3] مع النكباء مُتأَقَـةٌ[4]؟ ليلُ الضيوف بها جذلانُ محبـورُ

وراسـياتٌ[5] تدلُّ المعتمين اذا ضجّت زماجرُ[6] منها أو قراقـيرُ[7]

يردّها متأقاتٍ[8] كلّما آنتقصت مُرحَلٌ[9] من صـفاياه[10] ومنحـورُ

يعاجلُ الآكلين الجازرونَ بها فِلْذًا وفِلْذًا[11] فمشـوىٌّ ومقـدورُ

ومن جنا النحلِ بيضاء يلملمها ماءٌ من الأصفر "السوسى"[12] معصورُ

على القِـرى ويطيب المشبعون بها فى الجـدب والزادُ ممنـونٌ وممرورُ

(١) يوشّجه، يمدّ بالقرابة. (٢) فى الأصل "مسور". (٣) جفان: جمع جفنة وهى القصـعة. (٤) متأقة: ممـلوءة. (٥) يراد بالراسيات: القـدور. (٦) زماجر: جمـع زمجرة وهى الصياح والصخب، وصوت كل شىء زمجرته. (٧) القراقير: الأصـوات. (٨) متأقات: ممـلوءات. (٩) المرحل: الجمـل عليه الرحل. (١٠) الصفايا: جمـع صفىّ وهو ما يصـطفى ويختار. (١١) الفـلذ: القطعة من اللحم والمقدور: الموضوع فى القدر. (١٢) لعله يريد بالأصفر السوسىّ: العنب الأصفر المنسوب الى دير السوسىّ وهو دير بناه رجل من أهل السوس وسكنه هو ورهبان معه فسمى باسمه وهو بنواحى سرّ من رأى بالجانب الغربىّ وفيه يقول آبن المعتز:

يا ليالىَّ بالمطـيرة والكر ❊ خ ودير السوسىّ بالله عودى

وقال فيه أحمد بن أبى طاهر:

سـقىَ سُرَّ مَنْ رَى وسكّانَها ❊ وديرا لسوسيّها الراهبِ

وصافنات (١) تَضاغَى (٢) فى مَراسنها (٣) ... كأنهن على الصمّ اليعافيرُ (٤)

عتائقٌ أذعنتْ مثل الكلاب له ... ويومُ "طخفةَ (٥)" مجهولٌ ومغرورُ

للموت يوم يخوضُ النقعَ جائرُه ... والغوثِ يوم تعاطاه المضاميرُ

يحملن نحو الأعادى كلَّ ذى حنقٍ ... لم يرقب الموتَ إلا وهو مصدورُ

يستنشق الرَّدعَ (٦) من ثِنْيِ (٧) مُفاضتِه (٨) ... كأنّه بالدم المطلولِ معطورُ

فوارس إن أحسّوا فترةً وجدوا ... "أبا الفوارس (٩)" حيث اليوم مسجورُ (١٠)

او لم يُقيموا "شهابَ الدولتين" على ... أسيافهم لم يكن للضرب تأثيرُ

ومن فتًى كلُّ قوم وسمُ شهرتِه ... على أسرّةِ وجه الدهرِ مسطورُ

كليلة "السُّوسِ (١١)" أوليل "البِذانِ (١٢)" وما ... حَمَى "بواسطَ (١٣)" تُنبيك الأخابيرُ

وموقف مُعلِمٍ أيّامَ منعكُمُ ... تُنسَى خطوبُ الليالى وهو مذكورُ

ومن سواه اذا ما الجودُ هدّده ... بالفقر فهو بذكر الفقر مسرورُ

لم ينبذ المالَ منفوضا حقائبُه ... حتى آستوى عنده عسرٌ وميسورُ

اذا أضبّتْ (١٤) على شىء أناملُه ... حفظا فأضيعُ عانيه (١٥) الدنانيرُ

---

(١) الصافنات : جمع صافن وهو من الخيل القائم على ثلاث أرجل . (٢) تضاغى : تصيح وتتضور . (٣) مراسن : جمع مرسِن وهو موضع الرسن . (٤) اليعافير : جمع يعفور وهو تيس الظباء . (٥) يوم طخفة : من أيام وقائع العرب . (٦) الردع : الزعفران . (٧) الثنى : كل شىء ثُنِى بعضه على بعض فكل طاق من ذلك ثِنى وفى الأصل "تنى" . (٨) المفاضة : الدرع السابغة . (٩) فى الأصل "حتى القوم" . (١٠) المسجور : المملوء وَقودا ، وفى الأصل "مسحور" . (١١) السوس : بلدة بخوزستان . (١٢) البذان : ناحية من أعمال الأهواز . (١٣) واسط : بلدة متوسطة بين البصرة والكوفة . (١٤) أضبت : احتوت وأمسكت . (١٥) فى الأصل "عافيه" .

سرى البدورُ[1] مطايا[ها][2] البدورُ[3] الى ... عفاته ثم نتلوها المعاذيرُ[4]
شرى المحامد منه بالتلائد فالـ ... أموال منهوكة[5] والعرض موفورُ
اذا حوى اليومَ غُنما لم يدع لغد ... حظًّا وعند غدٍ شأنٌ وتغييرُ
ذِلِّى له ثم عِزِّى يا بنى "أسد" ... فالغضُّ للحقِّ تعظيمٌ وتوقيرُ
الناس دونك طرًّا وهو فوقك والـ ... آثارُ تَنصرُ قولى والأساطيرُ
لكم مسامعُ "عدنانٍ" وأعينُها ... والناسُ صُمٌّ الى إحسانكم عورُ
وأنتم الشامة البيضاء فى "مضرٍ" ... والمنبِتُ الضخمُ منها والجماهيرُ
وهل تكابر[6] فى أيام عزّكُمُ ... قبيلةٌ وَهْىَ[7] الغرُّ المشاهيرُ
فيومَ "حجرٍ" و"حجرٌ" كل ممتنع[8] ... فى ملكه النجمُ مقبوضٌ ومحجورُ
جرَّ الكتائبَ من "غسانَ"[9] يقدمها ... عنه مدلٌّ على الأقدار مغرورُ
عنا له الدهرُ أحيانا وأقدره ... على الممالك تأجيلٌ وتعميرُ
فساقها نحوكم يبغى إتاوتكم ... وأنتمُ جانبٌ فى العزّ محذورُ
يحلف لا آبَ إلا بعد قسركُمُ ... يا لكَ حَلْفًا لو آن الشيخَ مبرورُ
لكنه لم يكن فى دين غيركُمُ ... لها سوى السيفِ تحليلٌ وتكفيرُ
و"جندل" ولغت[10] فيه رماحكُمُ ... وذيلُه مثلُ ظهرِ الأرض مجرورُ
شفى "ربيعةُ" منه غِلَّ مضطهَدٍ ... لم يركب السيفَ إلا وهو مغمورُ

(١) البدور : جمع بدرة وهى كيس فيه عشرة آلاف درهم . (٢) ليست بالأصل .
(٣) يريد بالبدور النوق الممتلئة من قولهم : غلام بدر بمعنى ممتلئ تام تشبيها بالبدر فى تمامه وكماله .
(٤) فى الأصل هكذا " سلوها العاذير" . (٥) منهوكة : منهوبة . (٦) فى الأصل " يكاثر" . (٧) الضمير فى "وهى" يعود على الأيام . (٨) يوم حجر : اليوم الذى قتلت فيه بنو أسد حجر بن الحارث الكندى وكان ملكهم . (٩) غسان : اسم قبيلة وماء فى اليمن بقرب سد مأرب . (١٠) ولغت : شربت كما يشرب الكلب بطرف لسانه .

والنارُ أضرمها آبن النار نحوكُمُ … بالدارعين[1] لها وقدٌ وتسعيرُ

فردّه بغيه شلوا[2] وجاحمها[3] … بماء فوديه[4] مطفيٌّ ومكفورُ

وسل " بفارعةٍ " أبناءَ " صعصعةٍ " … يخبرْك بالحقّ مصفودٌ[5] ومقبورُ

لم يقبلوا نصحَ أنفِ الكلبِ فانقلبوا … بيومِ شرٍّ ثناياه الأعاصيرُ

وبالنّسارِ[6] وأيّامِ الجفارِ[7] لكمْ … مواقفٌ صونُها فى الأرض منشورُ

شكا سيوفكم " عليا تميم " بها … الى " بنى عامرٍ " والسيفُ مأمورُ

ومرّ " حاجبُ " يرجو نصرَ سابقةٍ … لها على النصر ترديدٌ وتكريرُ

" وبالمعلَّى " غنمتم طيّبًا فغدا … يومٌ له غضَبٌ فيهم وتدميرُ

و"الحارثُ بن أبى شمرٍ" ينوحُ على آبن أختـه منكمُ والنوحُ تقصيرُ

تلك المكارمُ لا إبلٌ معزّبةٌ[8] … لها مع الحوْل تضعيفٌ وتثميرُ

ولا سروح يغصّ الواديان بها … فيها مزكّى الى الساعى[9] ومعشورُ[10]

وما طوى الدهرُ من آثاركم فعفا … فإنه " بالحسينيّين " منشورُ

[يا][11] خيرَ من رُحّلتْ أو أُسرجتْ طلبا … لبابِهِ العيسُ والخيلُ المضاميرُ

وخيرَ من قامر العافون راحتَه … فراح قرحانَ يزهو وهو مقمورُ

---

(١) الدارعون : لابسو الدروع . (٢) الشلو : العضو . (٣) الجاحم : الجمر الشديد الاشتعال أو معظم الحرب وشدة القتل فى معاركها . (٤) الفود : ناحية الرأس . (٥) مصفود : مقيّد . (٦) النسار : ماء لبنى عامر له يوم لبنى أسد وذبيان على بنى جشم بن معاوية ، وفى الأصل " اليسار " . (٧) الجفار : ماء لبنى تميم بنجد ومنه يوم الجفار وهو يوم مشهور كان فيه حرب بين بنى بكر و بنى تميم على هذا الماء وكان على بنى تميم فى هذين اليومين حاجب بن زرارة .

(٨) معزّبة : متروكة مغيّبة . (٩) الساعى : من يأخذ الزكاة . (١٠) المعشور : ما يؤخذ عشره زكاة ، وقد ورد هذا البيت فى الأصل هكذا :

ولا سروح الى بعض الواديان بها * فيها مزكى الساعى ومعشور

(١١) ليست بالأصل .

ومن يـــذمّ عطاياه ويلمنهـا إلا الذى هـــو إسرافٌ وتبـــذيرُ
زجرتُ بأسمك دهرى أو تمهّـــدَ لى والدهر بأسم الكريم الحـــرّ مزجورُ
وقام ســـعدُك حتى قوّمتْ يدُه قنـاةَ حظّى ثقافا وهو مأطـــورُ[1]
سحرتُ جودَك فأستخرجت كامنَـهُ إن الكريم ببيتِ الشـــعرِ مسحورُ
وأبتعـتنى بجزيل الرفـــدِ مرتخصا حتى ربحتُ وبعض البيع تخســـيرُ
آمنت فى الشـــعر توحيدا بمعجز آ ياتى وفى الشـــعر إيمـانٌ وتكفيرُ
ولم تكن كرجالٍ سمـــعُ عِرضهمُ مُصغ لمـــدحى وسمعُ الجود موقـــورُ
لهم من العـــرب العرباء ما أقترحوا إلا النـــدى فهو تعليلٌ وتعـــذيرُ
وسابقاتٌ أناخت فى فِنائـكُمُ ثم آنثنت[2] وهى بالنعمى مواقـــيرُ[3]
لكنّ محـــروبةً[4] منهنّ واحـــدةً سهوتَ عنهـا وبعضُ السهو مغفورُ
تقـــدّمتْ وهى مذ حـــولٍ مؤخّرةٌ وربمـا كان فى التأخير توفـــيرُ
وهل يحِـــلُّ بلا مهرٍ وقـــد نُكحتْ بَضْعُ الكـريمةِ والمنكوحُ ممهـــورُ
فأجمع لها ولهـــذى نصفَ حظّهما من النـــدى بات شفعا وهو موتورُ[5]
فالواهبُ العـــدلُ من كرّت نوافلُه ودائمُ المـــدح ترديدٌ وتـكريرُ
أُكسُ — وحرمتنا — عندى جمَالهَا فالجودُ بالمـالِ ما لم تكْسُ مبتـــورُ[6]
وأردد رسولى يغاظ الحاســـدون به ضخمَ العيابِ عليـــه البشرُ والنـــورُ
فـا رمتـــك الأمانى الواسعات به إلا ومنها عيونٌ نحـــوه حُورُ
ولا سمحتُ لمَلْكٍ قـــطّ قبلَك بأقـ تضاءِ رفـــدٍ ولكن أنت منصـــورُ

---

(١) مأطور: معطوف مثنىّ. (٢) فى الأصل "انثنت". (٣) مواقير: مثقلات. (٤) المحروبة: المسلوبة المال. (٥) فى الأصل "موقور". (٦) فى الأصل هكذا "مسور".

وباقيات علـى الأحساب سائرة (١) تصول نحوك حتى يُنفَخَ الصورُ (٢)

للشّعر من حولها مذ صرتَ قبلتَـهُ طرفٌ بغنجٍ وتهليـلٌ وتكبيرُ

كأنها يومَ تسليم الكلام بها حـقٌّ وكلّ كلامٍ بعدها زورُ

يغدو بها الشادنُ الشادى بمدحكمُ كأنَّ أبياتَها كأسٌ وطنبورُ

ما ضرَّها وأبوها من فصاحتِـهِ "نزارُ" أنَّ أبى فى البيت "سابورُ"

فاسمع لها وتمتّعْ ما اقترحتَ بها تَبقَ ويفنَى من المال القناطيرُ

مقيمـة بين نادى ربِّها ولها بالعرض ما انطلقتْ جَدٌّ (٣) وتشميرُ

سكتُّ حينا ومن عـذرٍ نطقتُ بها إن السكوت على الأجواد تذكيرُ

⁂

وقال يمدح الوزير أبا الفضل محمد بن علىّ بن الطيب

سائل الدارَ إن سألتَ خبيرا واستجرْ بالدموع تدعُ مجيرا

وتعوَّذْ بالذكر من سُنَّة الغـدر فـلا حب أن تكون ذكورا

المغانى أحفى بقلبى من العـذل وإن هجن لوعةً وزفيرا

أفهمتنى على نحولٍ رباها فكأنى قرأتُ منها سطورا

يا مُعيرى أجفانَه أنا أغنَى بجفونى الغزارِ أن أستعيرا

دمُ عينى "بالسّفح" (٤) حَلٌّ لدارٍ لا يرى أهلُها دمًا محظورا

ومشيرٍ بالعذل كامنَ أشوا قى مشيرٍ ولم أكن مستشيرا !

لامنى فى الوفاء، مات ملوما فيـه أو عاش عاشقا مهجورا

يا حُداةَ الركابِ لا وألَ القا صدُ منكم غير الحمى أن يجورا

---

(١) فى الأصل هكذا "وباهات". (٢) فى الأصل "نحول". (٣) فى الأصل "حد".

(٤) السفح : اسم موضع وفيه تورية حسنة لما يتضمنه من معنى السفك والإراقة .

"رامةٌ" بى وأين "رامــةُ" منّى أنجدَ الركبُ، والهوى أن أغـورا

هى دار العيش الغرير بمـا ضمّـ ـت قضيبـا لَدْنا وظبيا غـــريرا

ما تخيّلتُ أنهـا جنـــةُ الخلـ ـد الى أن رأيتُ فيها الحـــورا

يا لُواةَ الديون هـــل فى قضايا الـ ـحسن أن يمطُلَ الغنىُّ الفقـــيرا ؟

لِىَ فيكم عهـــدٌ أغيرَ عليـــه يومَ "سَلع" ولا أسمِّى المغـــيرا

اِحذروا العارَ فيـه، والعارُ أن يمـ ـسى ذمامى فى رعيـه مخفـــورا (١)

أو فـردُّوا علىَّ حـــيرانَ أعشى ناظرا قـــد أخذتموه بصـــيرا

أنا ذاك آعتبـــدتُ قلبى وأنفقـ ـتُ دمــوعى عليكُمُ تبـــذيرا

فآحفظـــوا فى الإسار قلبا تمنّى شغفا أن يمـــوتَ فيكم أســـيرا

وقتيـــلا لكم ولا يشتكيكم هـــل رأيتم قبـلى قتيلا شكورا

اِعرفوا لى اذا الجـــوارحُ عوفـ ـين ندوبا فى أضـــلعى وكسورا

باقياتٍ وقـــد جررنَ عليهـ ـن الليالى معـــدودةً والشهورا

نَصَـلَ الحولُ بعـــدكم وأرانى بعـــدُ من سكرة النوى مخـــورا

اِرجعوا لى أيامَ "رامـةَ" إن كا (٢) ن كما كان وآنقضى أن يحـــورا

وشبابا ما كنتُ من قبـلِ نشر الـ ـشـيب أخشى غرابَهُ أن يطـــيرا

إن تكن أعينُ المهـا أنكرتنى فلعمرى لقـــد أصبن نكيرا

زاورتْ خَتَّين منّىَ: إقتـا (٣) را يقـــذى عيونَها وقتـــيرا (٤)

كنتُ ما قـــد عرفن ثم آنتحتنى غـــيرٌ لم أُطقْ لهـا تغيـــيرا

وخطـــوبٌ تُحيـلُ صِبغتَها الأبـ ـشارَ (٥) فضلا عن أن تُحيلَ الشعورا

(١) المخفور: المنقوض . (٢) فى الأصل "ارجوا" . (٣) الإقتار: الفقر .

(٤) القتير: الشيب أو أول ما يبدو منه . (٥) الأبشار: جمع بشرة وهى الجلد الظاهر .

وآفتقادى من الكرام رجالا كان عيسى فى ظلّهم مستورا
ينضحون الفتيق منّى بأيد ناعشات ويجبرون الكسيرا
فارقونى فقلّونى وكم كا ثرتُ دهرى بهم فكنتُ كثيرا
ولعمرى لربما عاسر الحظُّ على القَوْد ثم جاء يسيرا
ولقد أبقت الليالى "أبا الفضل" فأبقت(١) فى المجد فضلا كبيرا
قسما بالمقلّدات الى "جمع" عهونا(٢) محبوكةً وضفورا،
يتلاحكن(٣) فى المضايق أو يُديِن فيها صلائفا(٤) ونحورا،
كلّ تلعاء(٥) كالبنيّة تعطيك سَناما طورا وعينا حفيرا،
سرّها ما تزيّنتْ، ولأمرٍ ساءها عجّلوا عليها السرورا،
بينما أن رأيتها وهى ملءُ العين حسنا حتى تراها عقيرا،
منحوها ذاتَ الإله فلم يفترضوها إلا الصفِىّ الأثيرا،
والملبّين حرّموا اللُّبسَ والطِّيبَ آحتسابا والحَلْقَ والتقصيرا،
هوّنوا الأنفسَ الكرامَ فباعوها على الرُّخص يشترون الأُجورا،
يُجهدون الأرماقَ أو شهدوا "بالخَيف" ذاك المسعَى وذاك النفيرا،
حلِفٌ لا تعيثُ فيه يدُ الحِنْث بإفك ولا يكون فُجورا،:
أنّ "كافى الكُفاة" خيرهُمُ بالبيت والنفس أوّلا وأخيرا
من رجالٍ اذا آنتموا نسبوا بيتا من المجد آهلا معمورا
بالمساميح الطيّبين بنى "الطِّيب" أضحى سَبِطُ(٦) التراب عطيرا

(١) فى الأصل "أبقيت". (٢) عهون: جمع عهن وهو الصوف، ويشير بذلك الى النوق التى تُهدَى للكعبة. (٣) يتلاحكن: يتلاصقن ويتلاءمن. (٤) صلائف: جمع صليف وهو عرض العنق. (٥) التلعاء: الطويلة الجيد. (٦) السبط نقيض الجعد وهو الرخو المسترسل.

يمـــترى ماؤه عُقارا ويُستـا (١) ف ثـــراه ألُوَّةً (٢) وعبـــيرا (٣)
شرفٌ زاحمَ النجـــومَ على الأُفْـق فأربَى عزًّا عليها ونورا
درجوا فيـــه سيّدا سـيّدا قدْ مًا وزالوا عنـــه وزيرا وزيرا
يتواصَوْن بالمعـالى فيقتا فُ الفـتى الحىُّ منهم المقبــورا
وإذا حوسـبوا على الحسَب الأبـعدِ عَدُّوا "بَهرام" أو "سابورا"
ومناجيب محصنـات توحَّــدْن بأن لا يلدنَ إلا الذُّكورا
زعمـاء على المــلوك اذا ما آعـتورَ الملكُ ناصحا ومشــيرا
وكاة عـــلى الوسائد إمَّا آقـتعـــدوها يُقَسِّمون الأمـــورا
غوّروا غـــورةَ النجوم وبقَّـــوْا عَلَمًا ردّ طيَّهـــم منشـــورا
وتصفَّوا من "ناصر الدولة" آبنا ـــ يشهد الفخر ـــ ظافرا منصورا
لِحقَ الأصـــلَ ثم ساد بنفسٍ ظفِرتْ بالنـــدى وزادت كثيرا
فضحتْ بالنـــدى الغمامَ وردّتْ بالمسـاعى شَوطَ الرياح حسـيرا
أنِفتْ أن تَرى لهـا فى بنى الدهـر اذا نوظـــر الرجالُ نظـــيرا
فآمتطت وحـــدَها الى غاية المجـد ظُهـورا خُشْنًا وطُرْقا وُعُـورا
راكبُ العـزّ فى مفاوزها اليهـماءِ (٤) سارٍ لا يركب التغـــريرا
يبتغى حقّــه من الشرف الأبـعـــدِ خوضا اليه أو تشـــميرا
وآنتهى حيث لا يَرَى النجمُ فى الأفْـق صعودا ولا الهلالُ مســـيرا
تارةً بالمَضاء يســـتخدمُ العـــزمَ وطورا يستخدم المقـــدورا
مدَّ باعا فى الفضـــل طال لأمرٍ كان عنـــه باعُ الزمان قصـــيرا

(١) العقار: الخمر. (٢) يستاف: يشتم. (٣) الألوّة: العود الذى يتبخّر به.
(٤) اليهماء أو البهماء: المفازة لا يهتدى فيها، وفى الأصل "الهماء".

لم يلامسْ خطبا وكان جسيما في المعالى إلا رآه حقيرا
وأظنُّ آستقلالَه الدَّستَ أن يرْ كَبَهُ يملكُ الزمانَ السريرا (١)
قهر الدهرَ وهو يقهره الجو دُ فناهيك قاهرا مقهورا
وآكتسى حُلَّةَ الغنَى وسلبنا ه فأكرِمْ به غنيًّا فقيرا
لاح فينا فأقمرتْ ليلةُ البد رِ وأعطَى فكان يوما مطيرا
وسَلَوْنا بجودِهِ الحيِّ أيْما نًا دُروسا من الكرام دُثورا
وشهدنا نداه حقًّا يقينا وسمعنا عنهمْ ضجيجا وزورا
ورَوِينا بماله الوشَلِ العِدِّ وأعطَى قومٌ وكانوا بحورا (٢) (٣)
وسرَى ذكرُه فلم يُبْقِ يوما لَهُمُ في سماحهم مذكورا
يا "أبا الفضلِ" والفضائلُ إن قا ضين يحكمنَ فِيَّ أن لا تجورا
أتناسيتَ أو نسيتَ حقوقا لِيَ لم آلُكم بها تذكيرا (٤)
ووعودا يكنّ عند الكريم الـ معهدِ حتى يفي بهنّ نذورا
وغُروسا لي في ثراك الزكيِّ ا لرَّطبِ يرجو مثلي بها التثميرا (٥)
وصِفاتي على لسانك يُسمعـ ـن الصفا الصلدَ والفتى الموقورا (٦)
فعلامَ آستردَّك الدهرُ منّي مكرها بعد خِبرتي مقسورا (٧)
نعمةٌ نُفِّرتْ وما كنتُ يوما بالعطاء الهنيِّ منها كفورا
وعَذارَى من القوافي تعوّضـ ـتُ بهنّ التعليلَ والتعذيرا
لم يكن حجُّها وقد جهدَتْ فيـ ـه الى كعبة العلا مبرورا

---

(١) هكذا بالأصل رسما وشكلا وهو لا يخلو من التعقيد . (٢) الوشل : الماء القليل .
(٣) العدّ : الماء الجارى الذى له مادة لا تنقطع كماء العين والينبوع . (٤) فى الأصل "بق" .
(٥) فى الأصل "وعَروسا" . (٦) فى الأصل "وصفانى" . (٧) فى الأصل "عن خبرتى" .

ألظن؟ وربمـا كان إثمـا — كنتَ لو قـد عصيتَه مأجورا

لم تدنّس عِرضا ولم تؤت بالذنـ — ـب آعتمادا فيــه ولا تقصــيرا

لم تكن صـــدقت بأوّل مـــديح — ضاق وقتٌ(١) عن ملكه فآستعيرا

لتمونى فيــه وربَّ مــلوم — كان فى غيبِ أمره معـذورا

هو شـعرى وفيـك قيل آبتـداءً — جاء أو كان راجعا مكرورا

ولعمرو الواشى لقد كان ذنبـا(٢) — هينـا لو وهبتموه يســيرا

وآعترافى بالهفــوة الآن يمحو — من خبايا الصــدور تلك الوغورا(٣)

والقــوافى عنى عبيـدٌ منيبـا — تٌ فكن لى بالصــفح ربًّا غفورا

لك أُبرِزنَ بعــدَ أن رُدَّ عنهـنَّ بعُــولٌ أَسْـنَوا(٤) الىّ المهـــورا

وأرى التزرَ من ودادك أو رفـ — ـدك حظًّـا فى مهرهن خطـيرا

باقيـات فى الدهر ما بـقِيَ الدهـ — ـرُ وناصى(٥) "رضوَى" أخاه "ثبيرا"

فآستمعهـا مختومةَ العـذرِ أبكا — را الى اليـوم ما برحنَ الخـدورا

نُتلفُ المـالَ لا تبـالى اذا أحـ — ـرزتَ فى الأرض كنزها المذخورا

واذا ما وجـــدن عِرضا بهيا — مدلَهِمًّا طلعنَ فيـه بدورا

عوَضًا من عتـابك المرِّ حتّى — تشربَ الشكرَ منـك عذبا نميرا

نِعَمٌ ما تقتـــنى مقيما وإن سا — فرتَ كانت الى النجاح سـفيرا

فآحتفظ قاطنا بهـا وآسر منبـو — طا عـــلى ملك مثلها محبـــورا

وتزوّدْ منهـا على صحبـــة اللـ — ـه متـاعا اذا عزمتَ المسـيرا

وكُن القَــرْمَ من ملوكِ "بنى مرْ — وانَ"، لى أن أكونَ فيك "جريرا"

---

(١) فى الأصل "ضاف". (٢) فى الأصل "فلو". (٣) الوغور جمع وغر وهو الحقد والضغن. (٤) أسنوا المهور: جعلوها سنيّة. (٥) ناصى: مدّ كلّ منهما ناصيته للآخر.

⁂

وقال يمدح عميد الدولة أبا سعد فى النيروز

طوى الليلَ راكبُ أخطارِهِ … على شحْط دارىَ من دارِهِ
خيالٌ وفَى بضمانِ الهوى … فجاء رسولا لغدّارِهِ [1]
سرى من ضنينٍ بمعروفه … تعرَّض فىّ لإنكارِهِ
حبيبٌ جبانٌ بغير الوصال … شجاعٌ بإهداء آثارِهِ
طُرِقتُ بما زار من طيفه … كأنى طُرِقتُ بعطّارِهِ
تطلّعَ يُقصِرُ ليلَ التمام … طلوعَ كواكبِ أسحارِهِ
بأشنبَ يسمحُ للراشفين [2] … بنهب ودائع خمّارِهِ
اذا أسكرتْ دائراتُ الكئوس … صحا الشاربونَ بأدوارِهِ
أقام فواقَ وجلَّى به … من الصبح أخبثُ أطيارِهِ [3]
وبرقٌ خشوعىَ من طيفه … وماءُ جفونىَ من نارِهِ
تعرَّض لى شفق الأنجمى … تنزو الرياحُ بأشطارِهِ
فطارحنى من حديث "العُذَيب" … وفاكهنى طيبَ أخبارِهِ
أرانى مَواقدَ نيرانه … بعيدا ومجلسَ سُمّارِهِ
وذكَّرنى زمنًا ما شربتُ [4] … دموعىَ إلّا لتذكارِهِ
وليلا عدمتُ ضياءَ السرو … ر منذ فُجعتُ بأقمارِهِ
وهيفًا غذاهنّ وادى النعيم … بجنّاته وبأنهارِهِ
ملكن الهوى فاعرن القلو … بَ ما شئن منه سوى عارِهِ

---

(١) فى الأصل "لتزاره". (٢) الأشنب: الثغر فى أسنانه ماء ورقة وبرد وعذوبة.
(٣) أخبث أطيار الصبح: الغراب. (٤) فى الأصل "شربت".

فهنّ ظواهـرُ ما غاب منـــه وهنّ بواطنُ أســرارِه
وأبـــله لا تجـــد العينُ فيـ ـه نهـجا يُقَـصُّ بآثارِه
يقـلّ عليـه آنتفاعُ الدليـل بتجـريبـــه وبتكرارِه
ندَبتُ له يدَ طَبِّ(١) الحسابِ بأخماســهِ وبأعشـارِه
غنيٌّ عن النجم أن يَستدلّ بـواقعــه وبطـيّـارِه
ونبهتُ ذا رقـدةٍ حُـلوةٍ فقام لأمـرى وإمرارِه
يُخال بمُخبرته بالفضا ء أُعطِىَ قِسـمةَ أقطارِه
يدارِى الى السوط جفنا خيوطُ الـ ـكرى ممسكاتٌ لأشفارِه
فلنا الى جنح ليـلٍ يضيع بياضُ الكواكب فى قارِه
لعـزٍّ تركنا غـراما به سـروجَ الطـريق لأكوارِه(٢)
وأحرى به أن يُجَلِّى دجاه بوجـهِ الوزير وإسـفارِه
وأن يضعَ السيرُ أثقالَهُ اذا رُفعتْ حُجْبُ أسـتارِه
اذا شُـرُف(٣) الدين حطّت به قـدَرْنا سـراها بمقـدارِه
فطـاب المُقـامُ لقُطّانـه وقـرّ المطىّ بسُـفّارِه
اليـك آفتضضنا عـذارَى الـ ـسهوبِ بعُونِ الرجاءِ وأبكارِه
الى خـير من حلّ شوقا اليه ركابُ المطىّ لأسـيارِه
فحرّمها أن تشمّ الهـوانَ فـتًى لا يُجارُ عـلى جارِه
كريمٌ يعـدُّك أغنيتَـهُ اذا أنت جئت لإفقـارِه
كأنـك أوّل أحبابـه اذا كنتَ آخـرَ زوّارِه

---

(١) الطب : الخبير . (٢) الأكوار : جمع كور وهو الرحل . (٣) شرف : جمع شارف وهى الناقة المسنة .

دع النـاسَ وٱعكف على بيتـه فـدَرُّ النـدى تحت أحجارِهِ
رِواقٌ ترى المجـدَ فى صـدره ورزقـك ما بين أكسارِهِ
وَهَبْ عُشُبَ الأرض للـرائدين اذا ما وليـتَ بأقـطارِهِ
حَمَى اللهُ أبلـجَ ، بدرُ التمـا م يطلُـعُ ما بين أزرارِهِ
وحيّـا على رغـم زُهر النجـو م وجـهها يعـمُّ بأنـوارِهِ
وأعـدى أعاديه من ماله اذا جاد قـلّةُ أعمـارِهِ
همـامٌ ظـواهرُ أسْـد الشـرَى تَـلاوَذُ فى الغـابِ من زارِهِ
يُهيب بهـا بعـد إصحـاره وترهَبُـه قبـل إصحارِهِ
حليم السـطا يتزل الذنب(1) منـه بـواهبـه وبغفّـارِهِ
تنـام عـلى القُـرُطاتِ العظا م عيناه إلا عـلى ثارِهِ
نهيتُ عـدوّك لـو أنه بـوعظىَ تاركُ إصـرارِهِ
وقلتُ : حـذارَك لا تغـترر بصـلّ(2) الحَمـاطـةِ(3) فى غارِهِ
فبعـد سكينةِ مجموعـهِ تسـوءك وثبـة ثـوّارِهِ
فـلم ينتصـحنى ولم يعنـنى وقـد حان كثرةُ إنذارِهِ
ومن يجـارى عـلى الاغـترا ر من ليس من خيـل مِضمارِهِ
أراد ليغـمزَ صُـمَّ القنـا بجُـوفِ(4) الـيراع وخُـوّارِهِ
وشـاور فى البـغى شـيطانَهُ فأطغتْـه طاعـةُ أمّارِهِ
وعارَض معجـز آياتكم بكذّابـه وبسـحّارِهِ
تـوغّل يـدرُس آثارَكم فانغض(5) من دون آثارِهِ

(١) فى الأصل "الذنب" . (٢) الصل : الحية . (٣) الحماطة : شجرة شبيهة بشجرالتين ، وقيل : الجميزة . (٤) جوف : جمع جوفاء وهى الفارغة من القنا والشجر . (٥) فأنغض : فاضطرب .

ومــدّ ليحملَ ما تحمــلون صــليفا ضــعيفـا بأوقارِه (١)
وكـان يلام فلمـا لحـا الى العجــز قام بأعــذاره
ألم يكفه غــدرُ كرّاته بـــه وتقلّبُ أطـــــوارِه (٢)
وتجريبُــه معكم نفسَــه فينُهى اللجاجَ بإقصارِه
ولمـا آنتصرتَ "بكافى" المهم أحسّ بخـذلانِ أنصارِه
ظَفِـرتَ وها هـو تحت الإسـا ر يأكل زائــدَ أظفـارِه
تُعـفّى الخطـايا بإقلاعــه وتمحــو الذنــوبَ بإقــرارِه
رضــيتَ بقُلِّك حــتى تعزّ ويرضَى الهـوانَ بإكثارِه (٣)
فقنطارُ مالك دون الأذى ومهجتُــه قبــلَ دينارِه
تجلّتْ بســعدك غُمّـاؤهـا فتــوقَ الصــباح بإســفارِه
وغُرم الذى فات فى ذمّــة الـ ـقضـاء وسـابق أقــدارِه
وقـد جنَبَ الدهــرُ من نفعه منـائحَ (٤) فى حبــل إصــرارِه
ســيأتى تنصُّــلُهُ آنفـا فيســفر فى حــطّ أوزارِه
ودون جنـا النحــل وخّازَةٌ تشــقّ عــلى يد مشــتارِه (٥)
بقيتَ للملكِ اذا كنت فيــه فإثراؤه مــع إصــفارِه
ويارَبَّ بيتِ النــدى لا أصيـ ـبَ منــك بســيّد عُمّارِه
ودارَ بمـا شئتَ قطب النجــو م تُعطَى ســعادةَ أدوارِه

(١) الصليف : صفحة العنق . (٢) ورد هذا البيت فى الأصل هكذا :

ألم يكفه غدر كرابة وتقلب أطــواره

(٣) الإكثار : نقيض القل ، وفى الأصل "بإكباره" ولا يتفق وقوله "رضيت بقلك" فى أوّل البيت .

(٤) المنائح جمع منيحة وهى الناقة أو الشاة تعطيها غيرك ليحتلبها ثم يردها عليك . (٥) المشتار : جانى العسل .

وزار جنابَك هـذا الربيعُ بمنخرق الخِلف[١] درّارِه
تجارى سماحَك أنواؤه وخُلْقَك زُهرةُ أنوارِه
يؤديك نيروزُه سالما الى صومه ثم إفطارِه
وبُقّيتَ لى وَزَرا لا تَدرُّ سحابىَ إلّا بإعصارِه
لمضطهَدٍ يُسرُه ما آنسعتَ وضيقُك آيةُ إعسارِه
رَمانى[٢] زمانى بما نابكم فأغرق فى نزع أوتارِه
وعمّق يجرحُ ما لا تنا ل كفُّ الطبيب بمسبارِه
فمن كَلْم[٣] قلبى وإحراقِه الى فقر ربعى وإقفارِه
فلا يعدمنْكم شريبٌ لكم على حلو دهرٍ وإمرارِه
سليم الأديم على ودّكم اذا راب كثرةُ عوّارِه
يمدُّكُمُ ما آستطاع الثناءَ بقاطنه وبسيّارِه
اذا لم يجد حبوةً بالثراء حباكم بصفوة أفكاره
فإن فاته بيدٍ نصرُكم أظلَّكُمُ نصرُ أشعاره

* *

وقال وهو من قديم قوله فى اللغز المعمّى فى صيّادٍ بَرّق[٤] .

ما ناشرٌ ذو مخالبٍ لم يُنَطْنَ بظُفرِهْ
يبغى فينشُرُ مكرًا يطويه من بعد نشرِهْ
له مكايدُ شرّ وخيرُه قبلَ شرّهْ
ينال بسط يديه بضمّ ما تحت صدرِهْ

(١) الخلف : حلمة الضرع . (٢) فى الأصل "زمانى" . (٣) الكلم : الجرح .
(٤) الرّق : بالفتح والضم الماء الرقيق فى البحر أو فى الوادى .

يعـــدو برقّ خبيث لحِـــلّه ولطُهـــرِهْ
شطرين يمشى بشطرٍ وشطره فوق مُهرِهْ
عـلى أقبَّ[1] خفيف محمَّـلٍ فوق وِفْـرِهْ
طورا له هو ظهـرٌ وتارةً فوق ظهـرِهْ
فيـا لريّانَ غضّ الـ ـمعاش مع طول ضُرِّهْ

وقال فى سمكة

وجاريةٍ بيضاءَ حمـراءَ ربمـا تكون غدًا سوداءَ إن شئتَ أو صَفْرا
تعيش بخفض ما تمنّت ونعمـــةٍ بحيث سواها لو يُرَى فارَقَ العمْـرا
سرت تقطع الخرقَ الوسيعَ وما مشت ولا ركبت فيـهِ سفينا ولا ظَهْـرا
مسربلةٌ لم تدفع النّبـــل دِرعُهـا وعُريانةٌ لم تشـكُ قيظـا ولا قُـرًّا
تطفّـــلَ حتى زفهـا لك جاهرا اذا صاعبتـه عدّ إعسارَها يُسرا[2]
وأعجبـــه ممـا يمـيِّز أنهـا اذا هى زادت كبرةً زدته مَهْـرا
يحـــلُّ له منهـا الحـــرامُ لمعشر يكونون فى جِنسٍ سوى جِنسها بحرا

وقال وقد اتفق وقوعُ شَغَبٍ مفرطٍ لم تَجرِ بمثله عادةٌ من الأتراك ببغـداد على شاهنشاه ركن الدين، وفسادُ دينٍ فى إزعاجه عن داره، فخرج منها ليلا على رقبةٍ، وتوجّه الى عكبراء لاجئا الى بلاد غَريب بن مقن ، وصادف هنـاك وزير الوزراء أبا القاسم هبـة الله بن علىّ بن ماكولا، وكان قاطنـا فى تلك النواحى، وقد تردّد له

(١) الأقبّ : الضامر البطن .   (٢) كذا بالأصل ولعل قبل ذلك بيتا أو أبياتا يقتضيها السياق .

خطاب على الوزارة فى أوقات مختلفة، ثم يبعد ويتوجّه ثم يقف، فلما أدركه ملك الملوك هناك آستروح الى وجوده، وآستوزره، وآستضاء برأيه فى كشف الغمة، وتدبر بينهما ما آل الى إصلاح أمر الملك، وعَودِ الأتراك الى طاعته، وإبعادهم مَن سَعَى فى الشغب عليه، وجرى ذلك على يد الوزير أبى القاسم، وورد الى بغداد، وقد آستتب لها الأمر، ووصل الوزير الى دار الخلافة، فخلع عليه بها خلعة شريفة، ووثق له على غاية ما آقترح من الوثيقة، وكان للأستاذ أبى الحسن(١) مهيار أسلاف عنده من خِدَمٍ متقدّمة، وحقوقٍ بالمدائح متأكدة، ومودّة بحضرته الجليلة مستحكمة، فوصف ما جرى، وذكر القصّة ببغداد فى سنة ثمان وعشرين وأربعمائة

أفاق بها من طول سكرته الدهرُ ... وفُكّت أمانٍ فيك ماطلها الأسرُ

وأسمحتِ الأيام بعد حِرانها ... ونهنهها الوعظُ المكرَّرُ والزجرُ

حملت تمادى غيّها ولَجاجها ... على غاربٍ لم يُدمه النَّدْبُ(٢) والعَقْرُ

نَهوض اذا خار القَفَار(٣) نجت به ... جوارحُ صُمٌّ كلُّها فى السرى ظَهرُ

وأرعيتها الإمهال علما بأنها ... اليك ــ وإن طال التنازعُ ــ تضطرُّ

وما فات مطلوبٌ سرى الجدّ خلفه ... وضامِنُه العمرُ المؤخَّر والصبرُ

وقد كنتُ أستبطى القضاءَ وسعيَه ... وأعذُله فيما ينوب وما يعرو

ويُقنِطنى ما يستقيم ويلتوى ... ويُقبِل من أمر عليك ويزوَرُّ

ولم أدر أن الله أخّر آيةً ... له بك فى إظهار معجزها سرُّ

وأنك مذخور لإحياء دولةٍ ... اذا هى ماتت كان فى يدك النشرُ

---

(١) كذا فى الأصل وفى الوفيات لآبن خلكان أن كنيته "أبو الحسين" وقد نبهنا الى هذا الخلاف فى الجزء الأوّل فى ترجمة مهيار . (٢) الندب : أثر الجرح الباقى على الجلد . (٣) القَفار : ما آتسق من عظام الصلب من لدن الكاهل الى العَجْب .

تعاورها شـــلّ الغواة وطـــردُهم | تسـاق على حكم الغِوارِ[١] وتُجتَرُّ
لهـا جانب من خوفهـم متسهِّلٌ | وآخر يرجو أن تداركه وعرُ
مزعزعَـــة أيدى سَبَا بين معشرٍ | همُ غمطـوا النعمى وغمطهُـمُ كفرُ
ولم أر كالعبـــد المـــوسّم آمنـا | يروّع منـــه ربُّه الملـــك الحـــرُّ
محافـــرُ أكدت[٢] فى أكفٍّ تخاذلت | فكان عليهـا حَثو ما[٣] فَحَص الحفـرُ
ولمـا نبت بالمـــلك دارُ قـــرارِه | ومال عليـــه منهـــم الفاجرُ الغِـــرُّ[٤]
وسُرّحَ من مكنونه الخـوفُ حامـا | عليـه وأبدى من نواجـذه الشرُّ
وكوشف حـتى لم تحصّـنه رِقْبَـــةٌ[٥] | ولم يبـــق بابٌ للحيـاء ولا سِـترُ
أتتك به الظلمـاءُ يركب ظهرَها | على ثقـــةٍ من غيِّـــه أنك الفجـــرُ
يناديك : قم ! هـــذا أوان انتهازها | فشمَّر لهـا قد أمكن الخائضَ البحرُ
فما ضرّه خـذل الذين وراءه ، | وقـــدامه منـــك الحميَّـــةُ والنصرُ
تلافيتهـا بالرأى شـــنعاءَ لم تُجَـــزْ | بظنٍّ ولم يُنفَـق على مثلهـا فكرُ
دعاك لهـا يا واحدا وهـــو واحـــد | فأصرخه من نصحك الجحفـــلُ المَجْرُ[٦]
وفى النـاس من تسرى له عزماتُه | بعيـدا ولم يُشكَمْ حصـانٌ ولا مُهـرُ
وأعـــزلُ ما مدَّ[٧] الســـلاحَ بَنـانُه[٨] | تلاوذُ من فتكاته البيضُ والسمرُ
وما كان إلا أن وفيتَ بعهـده | وأسميتَ حتى مات من خوفك الغدرُ
فكنت عصا "موسى" هوت فتلقّفت | بآيتها البيضـاءِ ما أفَـكَ السِّـحْرُ
طلعت لنـا بالملك شمسـا جـديدةً | أعادت بيـاضَ الحقّ والحقُّ مغـبرُّ

(١) الغوار : الغارة وفى الأصل " يساق على حكم الغوار ويجتر " . (٢) أكدت : صلبت .
(٣) فى الأصل " وما " . (٤) الغر : الجاهل بجربة الأمور وفى الأصل " البر " .
(٥) فى الأصل " رقبة " . (٦) الجحفل المجر : الجيش العظيم . (٧) فى الأصل "ملّ" .
(٨) فى الأصل "بنانه" .

ترحّل فى يـوم من الشرّ عابس ... وعاد وقـد أعداه من وجهك البشرُ
اضاءت لنـا من بعـد ظلمتها الدجى ... فقلنا : الوزير "القاسمىّ" أو البدرُ؟
وكم مثلها من غُمّـةٍ قـد فرجتُمُ ... ومن دولةٍ هيضت وأنتم لهـا جَـبْرُ
دجَتْ ما دجت ثم انجلت وسيوفُكم ... كواكبُ فيهـا أو وجوهكم الغُـرُّ
بكم رُبّ هـذا الملكُ طفلا وناشئـا ... فـا ضمّه حصنٌ سـواكم ولا حِجـرُ
وفيكم نمت أعراقـه وفروعه ... ورفّت على أغصـانه الورَقُ الخُضْرُ
لكم فيـه أيامٌ يزيد بيـاضُها ... نُصـوعا وأيامُ الأعادى بهـا حُمْـرُ
يداولُ منكم واحدا بعـد واحـد ... فيُرضيه ما تُمـلى التجاربُ والخُـبرُ
وما تمَّ أمرٌ لستُمُ من وُلاتِـه ... وليس لكم نهىٌ عليـه ولا أمرُ
لكم سورةُ المجـدِ التليـدِ وفيكُمُ ... طرائفُ من يفخرْ بهـا فهىَ الفخرُ
فيـوما أمـيرا سيفُه ويمينُـه ... — حمى جانبيه أوحيا — الدمُ والقَطرُ
ويـوما وزيرا صـدرُه ولسـانه ... كما اشترط القرطاسُ واقترحَ الصدرُ (١)
هو الشرفُ "العِجلىُّ" يَصدَعُ فجرُهُ ... وتُغـنى عن الدنيـا كواكبُه الزُّهرُ
ويستوقف الأسمـاعَ منشورُ ذكرِهِ ... اذا وصم النـاسَ الأحاديثُ والذكْرُ
فلا يعـدَم الدهرُ الفقـيرُ اليكُمُ ... فـتًى منكُمُ فى جوده يُنسَـخُ الفقرُ
ولا زال مغمورٌ من الفضـل دارسٌ ... يعـود به غضًّـا نـوالُكُمُ الغَمْـرُ
ومُلِّيتَ أنتَ ثـوبَ عزٍّ سحبتَـهُ ... ولا يُبـلِهِ سَحْبٌ عليـك ولا جَرُّ
يطول الى أن لا يُرَى ما يطوله ... ويمتـدّ فيه العمرُ ما حسُنَ العمـرُ
وعذراءَ بكرا من عوارفِ ربِّهـا ... حُبيت بهـا، ما كلّ عارفـةٍ بِكْرُ!
رآك الإمامُ كفئَها وقِـوامَهـا ... فسـيقت وما إلّا علاك لها مَهْـرُ

---

(١) فى الأصل "اشتط".

(٢١٥)

لبست بهـا تاجا وحصنا حصينـــة (١) وإن لم يصغها لا الحـــديدُ ولا التِّبرُ
تمـــنَّى رجالٌ أن يكـونوا مكانَها ففاتت ولم يقــدِرْ على مثلهـا قَــدرُ
مشيتَ على بُســـطِ الخلافة واطئـا مكانا تمنّـاه من الفَلَك النَّســـرُ (٢)
مكانا زليقـا لو ســـواك يقومُـــهُ هوت رِجلُه أو ظَنَّ أن الثرى جَمـرُ
وقلب شجـاع القلبِ والفمِ باسـطا لسـانَك حيث القـــولُ محتشمٌ نَزرُ (٣)
ولمـا وَعدتَ بالطـــروق تشوَّف الـ ــسريرُ الى رؤياك وٱشتاقَك القصرُ
وودّ ولىّ الأمر كلُّ صبيحـــة لعينيه عن إقبـال وجهـــك تفـترُّ
مزايا اذا خاف الكَفـــورُ سراحَها فعنـــدك فيهـا أن يقيِّـــدك الشكْرُ
وقد كنتُ أرجـــوها وأزجرُ طيرَها بفألٍ قضى أن لا يخيبَ له زجرُ
وأَنْذُر إن أدركتُهـا فيـــك منسكا أقوم به فاليوم [قد] (٤) وجبَ النـذرُ
وفاءً عصى أن يستحيلَ به النـــوى وعهــــدا تعـالى أن يغيِّره (٥) الهجـــرُ
وشفعـا لأســـلافٍ لديك شفيعها مطـاع وقاضيهـا له الحكم والأمرُ
وإن مسنى لذعُ (٦) الجفـاء وطـال بى فـــربّ جفـاءٍ فى مـــدارجه عُذرُ
وقد أمكن الإنصافَ والجـودَ فرصةٌ اذا أعــوزتْ فى العسر قام بها اليسرُ
وهـــل ضائعٌ حقّ وجـدُك شاهدٌ بفضلى، وسلطانى على مالِكَ الشـعرُ؟
اعد نظـــرةً تشجى الزمان بريقـــه يراشُ بهـا المحصوص (٧) أو يُجبر الكسرُ
ووفِّر لهـا أعـــواض مافات إنهـا غنيمةُ مجـــدٍ يُستقَلُّ بهـا الوفـــرُ
فما زلتُ ألقَ العُدمَ جذلانَ مهـــوِنا بمـا جرَّ علمـا أنّ رأيـــك لى ذخرُ

---

(١) الحصن : السلاح والسلاح يذكر و يؤنث . (٢) النسر : اسم لكوكبين أحدهما يسمى النسر الواقع ، والآخر يسمى النسر الطائر . (٣) النزر : القليل . (٤) ليست بالأصل . (٥) فى الأصل "يعيّره" . (٦) فى الأصل "لدغ" . (٧) المحصوص : الذى نتف ريشه .

***

وقال فى الطبل

دلّ على الخــير وأنبـائه ودلّ أحيانا عـــلى الشرّ

للطالبـين الوِترَ عونا اذا ثاروا ومأخـوذ بلا وِترِ

باح بما آستودعتَه صدرُهُ لاضيّق الباع ولا الصدرِ

تمّ بقــدٍّ لم يطلْ وآنطوى مجتمعَ الأعضـاء بالنشرِ (١)

غـير ضعيف أبدا أسره وهو طَوالَ الدهر فى الأسرِ

***

وقال فى أسطُرلاب (٢)

ماسـائر بين الورى دائرٌ بآيةٍ ســائـــرةٍ دائرَهْ

يجولُ فى مستبهِـم ضيّق منه حِذاءَ الحلَق (٣) الوافـرهْ

تنظـــرُ منه أبدا كلّمـا ليست له عينُك بالناظرهْ

يوجَدُ منه ناحلٌ مسمِنٌ يُحمَلُ فى واردةٍ صـادرهْ

ووادعٌ يُدئِبُ (٤) أقـــرانَهُ وغائبٌ صورتُه حاضرهْ

قضت به خرقاءُ مضعوفةٌ قضيّةَ القـادرة القاهرهْ

كأنمـا تعقِد (٥) فى نظمه سحرا ولكن أختها الساحرهْ

تعطيك إما ظفَرا أو ردًى سمـاتُه العادلةُ الجـائرهْ

---

(١) فى الأصل "بالشر" . (٢) الأسطُرلاب : لفظة يونانية مركبة من "استرون" ومعناها كوكب و "لافى" ومعناها أخذ والحاصـل "أخذ الكوكب" . و يفسرها العـرب "بميزان الشـمس أو ميزان الكواكب" وفى الأسطُرلاب أقوال كثيرة فليرجع اليها من يشاء فى المجلد الثالث من دائرة المعارف للعلم بطرس البستانى وفى غيرها من الكتب الخاصـة بها . (٣) فى الاصل "جزاء الخلق" . (٤) فى الأصـل "بدأت" . (٥) فى الأصل "يقعد" .

فساعةٌ متجـــرُها مربح وساعةٌ خائبـــة خاسرهْ
شواهد الإيمان فى صمته ودِينُـــه فى أمّـــةٍ كافرهْ

* * *

وقال فى غرض من أغراضه

أبكى عليهـا وما شطّ المزارُ بهـا ودمعةُ البين تُجـرِى دمعةَ الحذرِ
وأقتضى وصلهَـا صداً يناوبه، خوفا من العين أو من فطنة الغِيَرِ
غار المحبـونَ من أبصـارِ غيرِهمُ ضدا وغرتُ على "لمياء" من بصرى
فكلّ ذى شجنٍ يشكو صبابتَـه يلقَى من الشوق ما ألقَى من النظرِ
فى الغاديات يردنَ الصَّيْدَ ناصبةً لأنفس الصِّيدِ أشراكا من الحورِ
تُهدى الى حسنها فى اليوم ليلتهـا وجها تولّد بين الشمس والقمرِ

قافيـــة السين

بعـــد خـــلق قافيـــة الزاى

وقال وأنشدها أبا القاسم سور بن الكافى الأوحد وهو مقيم ببروجرد[1]

[ذكرتُ][2] وما وفاى بحيثُ أنسَى " بدجلةَ " كم صبـاحٍ لى ومُمْسَى
بقلـبى من مبانيهـا مغـانٍ بنَى فيهـا السرورُ فصار حِلسـا[3]
[مغانٍ][4] نجتـنى منهـا نعـيما ولم نغـرس بفعل الخـير غرسا
تركتُ خلالهَا ـــ ورحلتُ ـــ قلبى فـلو عـذّبتُ قلـبى ما أحسَّـا

---

(١) بروجرد : بلدة بين همـذان وبين الكرج وهى مدينـة حصينة كثيرة الخـيرات وينبت بها الزعفران . (٢) فى الأصل هكذا "ت" . (٣) الحلس : الملازم لبيته . (٤) فى الأصل هكذا " ن " .

[شربتُ] (١) عراصها نقداً بدَيْنٍ — فلولا ما شربتُ شكوتُ وكسا (٢)

وبِكرٍ من ذخائرِ (٣) " رأسِ عينٍ " (٤) — تعودُ بمجلس الندمانِ عِرْسا

[يضِنّ] (٥) [بها] (٦) يهود أو نصارى — وقد كرمت وإن لؤما وخسّا

خطبناها فقام القَسُّ عنها — يخاطبنا نخلت القَسَّ " قُسّا " (٧)

[يُحدِّثُ] (٨) معرِبا ما شاء عنها — ويُعهِدُ مُعجِما (٩) لَكْنًا (١٠) وجِنسا

وصار بمَهرها ثمنا يغالى — به في ظنّه ونراه بخسا

[أسِلْ] (١١) ذهبا تزِنْ ذَهَبا فإنا — نرى في حبّها الدينارَ فَلْسا

وخافقة الفؤاد مشين عجلَى — بها الأترابُ وهى تدبُّ همسا

[تعثّر] (١٢) دهشةً بالبين حتى — يقلن : لعًا (١٣) لها ، فتقولُ : تعسا

تغوثُ (١٤) من نواى بمختطَفاتٍ (١٥) — حَلين عواطلا ونطقنَ خُرْسا

[اذا] (١٦) [جَمَع] (١٧) الفراقُ قبضن عشرا — وإن جفا اللقاءُ بسطن خمسا

تقول : عدمتُ مدّعيا هواكم — وأصبحَ يوم بينكُمُ فأمسَى

[أقيمى] (١٨) [غير] (١٩) جازعةٍ فإنى — أراها وحشةً ستجرُّ أُنسا

---

(١) ليست بالأصل . (٢) الوكس : النقصان . (٣) يريد بالبكر الخمر . (٤) رأس عين : مدينة كبيرة من مدن الجزيرة بين حرّان ونصيبين ودنَيْسر وبها عيون كثيرة عجيبة صافية تجتمع كلها فى موضع فتصير نهر الخابور . (٥) ليست بالأصل . (٦) بالأصل هكذا " ا " . (٧) القَسّ : حَبْر من أحبار النصارى وقُسّ : هو ابن ساعدة الإيادى أسقف نجران يضرب به المثل فى البلاغة وكان خطيبا مفوّها . (٨) فى الأصل هكذا " تـ " . (٩) المعجم : خلاف المعرب ومن فى كلامه عجمة . (١٠) اللكن : العى وثقل اللسان فى النطق بالعربية . (١١) ليست بالأصل ويجوز أن تكون " أنل " أو ما أشبه وقد رجحنا " أسل " لأنها أنسب بالخمر . (١٢) ليست بالأصل . (١٣) لعا : كلمة تقال للعاثر دعاء له بسلامته . (١٤) تغوث : تستغيث . (١٥) المختطفات : الضوامر المنطوية الحشى . (١٦) ليست بالأصل . (١٧) فى الأصل هكذا " ع " . (١٨) ليست بالأصل . (١٩) فى الأصل هكذا " ير " .

ذريني والتطـرّحَ إنّ بيتا اذا هـــو صار إلفا صار حبسـا
[أَجُزْ] جبـلا وراء الرزق قالت : وتتركنا ؟ ! فـؤادُك منــه أقسى
ألا من مبلغُ الأيام عــنّي وإن نجلتْ فما تسطيع نَبْسا ؟ ،
[متابي] بعـــدها من كلّ ذنبٍ أناخَ بساحتي ثِقَـلًا وأرسَى
وكانت سكرة أقلعتُ منهـا على صحـــو وذنبُ الســكر يُنسَى
[وما] [آجتمعت] "بَروجِرْدٌ" وفقرٌ ولا أحدٌ رأى " سعدا " ونحسـا
فـــتى أحيت به الأيامُ ذكري وكان موسَّــدا منهنّ رمسـا
[وقد] [رَدّتْ] نُيوبَ الدهرِ دُردا يداهُ وقـــد فغرنَ الىَّ نهسـا
وذاد سماحُـــهُ الفيّاضُ عنّي ذئابا من صروف الدهرِ طُلسـا
[وأعطى] ظاهرا سَرَفَ العطـايا فلمـا عوتب آســتخفى ودسّا
أيا " ســعدُ بن أحمدَ " ما تسمّى ويا "رضوى" اذا آنتسب آبن قدسا
[نمتْ] أعراقـــه فنماك غصنـا فطبتَ الفــرعَ لمّا طاب أُسّا
وأشرق فآســتفدت النورَ منـــه فكنت البـــدرَ لما كان شمْسا
[عظمت] ندى فلو لُويتْ خطوبٌ بجـــودك لآلتوينَ وكنَّ شُمْسـا
وطبت يدا فلو كُمِتْ شـــفاهٌ تقبِّـــلُ راحتيك كُمِنَّ لُعْسا
[بنائل] آل " إبراهيمَ " عاش الســـماحُ وقـــد محاه الدهر درسا

(١) ليست بالأصل . (٢) فى الأصل " جبـلا " . (٣) ليست بالأصـل .
(٤) ليست بالأصل . (٥) بالأصل هكذا "ممت" . (٦) ليست بالأصل .
(٧) فى الأصل هكذا " دت " . (٨) النهس : النهش . (٩) طلس جمع أطلس وهو الذئب فى لونه غبرة الى السواد . (١٠) فى الأصل هكذا " على " . (١١) السرف : التبذير . (١٢) رضوى : جبل بالمدينة . (١٣) قدس : جبل عظيم باليمن .
(١٤) ليست بالأصل . (١٥) فى الأصل هكذا " ت " . (١٦) ليست بالأصل .

وهبَّ الريحُ فى روح المعالى | فطــرن وطالما رُدِّدن قُعْسا
[عرانين] (١) مع الجــوزاء شُمٌّ | تشمُّ عُــداتُها الإرغامَ فُطْسا
وأعــراضٌ تصافح لامسيها | — غداةَ تضرَّس الأعراضُ — مُلْسا
[يموتُ] (٢) حســودها منها بداء | اذا [آستشفاه] (٣) عاود منه نكسا
دعانى الشــوق يزأر بى اليكم | فسرت ملبيا والدهرُ يخسا (٤)
[لأُدرِكَ] (٥) معجزاتِكُمُ بعيــنى | فيصبحَ منظرا ما كان حِسَّا
وكم بمديحكم بددت درًّا | على القرطاس ما آستمددت نِقسا (٦)
[وقد] (٧) كان البنانُ ينــوب خطًّا | فقــد حضر اللســانُ يهُذُّ (٨) دَرْسا
رعيتُ هشيمَ طَرْقِكُمُ (٩) لماظا | فــرُدُّونى ألُسَّ الحَمْضَ (١٠) لَسَّا (١١)
ورَوُّوا من نميرِكُمُ غليــلا | ووردتُ به القــذى خِمْسًا فخِمسا (١٢)
فإن الله أوجبها فروضا | عليكم لاتزال الدهرَ حبسا
صــلاح بلاده شرقا وغربا | ورزق عبــاده عربا وفُرْسا

(١) بالأصل هكذا "نين". (٢) فى الأصل هكذا "ت". (٣) بالأصل "استسقاه".
(٤) يخسأ : يبعد و ينزجر . (٥) بالأصل هكذا " درك " . (٦) النقس : المداد .
(٧) فى الأصل هكذا " د " . (٨) يقال : هذَّ فى قراءته اذا أسرع فيها . (٩) الطرق : الماء تخوض فيه الإبل ، واللماظ : ذوق الشيء بطرف اللسان و فى الأصل "لماضا". (١٠) الحمض : ما ملح وأمر من النبات وهو كفاكهة للإبل تأكله عند سآمتها من الخلة وهى ما حلا من النبات ومتى شبعت من الخلة مالت الى الحمض . (١١) اللس : نتف الكلأ بمقدم الفم . (١٢) الخمس : من أظماء الإبل وهو أن ترعى ثلاثة أيام وترد الرابع .

ملحوظة : فى هذه القصيدة طائفة من الكلمات التى فقدت فقدانا تاما فى الأصل الفتوغرافى وطائفة مثلها لم يبق منها إلا الأحرف الأخيرة فآضطررنا فى الحالة الأولى الى آبتكار كلمات تحل محل المفقود كما آضطررنا فى الحالة الثانية الى آبتكار كلمات تنتهى بالأحرف التى بقيت فى الأصل مع آستقامة المعنى فى كلتا الحالتين وليراجع القارئ الأصل الفتوغرافىَّ لهذه القصيدة فى أوّل هــذا الجزء حتى يلمس بنفسه المجهود الذى بذل فى تصحيحها .

***

وقال [وبعث] بهـا الى الصاحب أبى القاسم بن عبـد الرحيم فى المهرجان، ويكلّفه تقديم رسم خلعة الشتاء ويمازحه بذلك

كالشمس من جمرة[1] "عبد شمس" غضبي سخت نفسي لها بنفسي

ماطلةٌ، غريمها لا يقتضي ديونَــه ودَينَها لا يُنسِى[2]

فى بـلدٍ يحرُم صـيدُ وحشِهِ وهى به تُحـلّ صـيدَ الإنس

ترى دمَ العشاق فى بنانها علامـــةً قد مُوِّهتْ بالورس[3]

تُفسِـــدُ خَلْقا لِيِّنا معتـــدلا لها بأخـــلاقٍ جِعـادٍ[4] شُمس[5]

فى طرفها تغـــزُّلٌ وقلبها حماســـةٌ تنسبها للحُمس[6]

ذكَّرتها العهد على "كاظمة" قالت : نسيتُ، والفراقُ يُنسى

أُنكِرُ منهـا حِليةً غريبةً تشوب لى معـــرفةً بلَبْس

وشَـــعَرا مبـــدَّلا بشَـــعَرٍ بَـــدَّلَ فيها بالنفـار أنسى

هل هو إلا الشيب "أمّ مالك"؟ لا بدّ أن يصـبحَ ليـلُ الممسى

وما عليـــكِ والهـــوى مكانَهُ أن الثَّغـامَ[7] فى مكان النِّقس[8]

غالٍ بها عنـــد الغوانى لِمَّـــةٌ[9] ما لم تبعها حَـــدَدًا[10] بلُبس

---

(١) الجمرة : كل قبيلة انضموا فصاروا يدا واحدة ولم يحالفوا غيرهم . (٢) ينسئ : يؤجل .
(٣) الورس : نبات أصفر يصبغ به . (٤) جعاد : جامدة غير سهلة . (٥) شمس جمع شموس : وهو الصعب الخلق . (٦) الحمس : لقب قريش وكنانة وجديلة ومن تابعهم فى الجاهليـة لتحمسهم فى دينهم أو لاعتصامهم بالحمساء وهى الكعبة ، الواحد أحمس والنسبة اليهم أحمسىّ .
(٧) الثغام : شجر أبيض الزهر والثمر كأن جماعتها هامة شيخ والمراد به هنا الشيب . (٨) النقس : المداد والمراد به هنا سواد الشعر . (٩) اللمة : الشعر المجاوز شحمة الأذن . (١٠) حددا : باطلا وكذبا ، يقال أمر حدد أى باطل ، وخبر حدد أى كاذب .

إن الكرامَ درَستْ آثارُهم ... فلم أطق ضبطا لها بدرس
إلا من البيت الذى خُطَّتُه ... يرشح فيها مجدها فيُرسى
شادَ بنو "عبد الرحيم" فى العلا ... خيرَ بناءٍ فوق خير أُسِّ
ادفع بهم غضبةَ كلِّ لَزْبَةٍ (١) ... عمياءَ تدفَعْ ربوةَ "بقُدسِ" (٢)
وآلق بنجم منهُمُ وسعدهِ ... تخلُصْ نجيًّا كلَّ يومِ نحسِ
إنى عجمتُ "بالحسين" زمنى ... فلم يُثَلَّمْ وهو صُلْبٌ ضِرسى
وذبَّ عنى فوقيتُ ناهضا ... من الخطوب بذئابٍ طُلْسِ (٣)
أنشَرَ آمالى وكنّ رمما ... يا من رأى حياةَ ما فى الرمسِ !
ومدَّ لى كفًّا فكانت رُقيةً ... والدهر أفعَى فاغرٌ لنهسى (٤)
صافحتُها فصفَحتْ بلينها ... عنّى ضروسَ (٥) السنَوات اليُبْسِ
ما آستصبحتْ عينٌ بمثل وجهه ... واليومُ عبّاسُ العشىّ مُمْسى (٦)
ولا ورى زندىَ إلا رأيُه (٧) ... أبيضُ منه فى الخطوب الغُبْسِ (٨)
من دوحةٍ مُظِلّةٍ مطعمةٍ ... طاب جناها الحلْوطيبَ الغرسِ
أدَّتْهُمُ يحذوك فرعُ أصله (٩) ... لم يك دينارُهم آبنَ الفَلْسِ
إن بَليتْ (١٠) أعراضُ قومٍ أوخبثْ ... يوما فغطّت صحّةً بلَبْسِ ،
باتوا بأعراضٍ عراضٍ فى العلا ... يومَ الفخار ووجوهٍ مُلْسِ

---

(١) اللزبة : الشدة والقحط . (٢) قدس : جبل عظيم باليمن . (٣) طلس جمع أطلس وهو الذئب فى لونه غبرة . (٤) النهس : النهش . (٥) الضروس : المهلكة . (٦) فى الأصل "يمسى" . (٧) ورد هذا الشطر فى الأصل هكذا * ولا ورى زند ولا رأيه * وهو غير مستقيم الوزن والمعنى ولم نوفق فى تصحيحه الى أبين مما أثبتناه ، ولو قيل "عينى" بضمير المتكلم فى البيت الذى قبله لآلتأم البيتان ولم يأبهما سياق ما قبلهما من الأبيات . (٨) الغُبس جمع أغبس وهو المظلم . (٩) هكذا بالأصل رسما وشكلا ولم نفهمه . (١٠) فى الأصل "تليت" .

مكارمٌ معمّـة مخـولة	تركّبتْ من عَربٍ وفُرسِ
لم يتهجّن غُرُّهـا وشُمُّهـا	بالبُهـمِ من إمائها والفُطْسِ
واليـوم باقٍ من حُلِيّ ما بكُمْ	بقاءَ سـطرٍ ناحلٍ فى طِرسِ
غـيرُ أخذُ الحـقّ من باطله	طلاوةً فيـه وفـرطَ أُنسِ
فراعِ من حفظِهـمُ فى رسمـه	ناسجـةَ العـرقِ وحـقّ الجنسِ
وآعمـرْ بساعاتِ السرور ساعةً	تُتبـعُ بـرءَ سكرةٍ بنكسِ
ما بين جَورِ قَـدَحٍ وعدله	وبين حثّ مِزْهَرٍ وجَسِّ
هـذا لحـرٍّ فارسٍ نسـبتُهُ	وتلك من عِلجِ(١) النصارَى الجِبْسِ(٢)
عجبتُ منها خَشَبا من خَشَبٍ	جاءت ومنـه ناطقا عن خُرسِ
فاشرب على آبن المُوبَذانِ(٣) خُرِقَتْ	عُـذْرَتُه ــ عـذراءَ بنتَ القَسِّ
وخـذ لأيام الشـتاء أهبـةً	أخذَ العـروس أُهُباتِ العُرسِ
عنـدىَ من جودك فيـه عادةٌ	يحبسها النسـيان بعضَ الحبسِ
تدركنى وقـد قضت رُعيانُهُ الـ	ـأوطارَ من تحشُّشى(٤) ولسّى(٥)
والمجـدُ فيا أنت مهـدٍ خالعٌ	والنفـع أن تُلبِسَ وقتَ اللُّبسِ
وحاجتى ــ اذا آقترحتُ حاجةً	فى لطف حِسٍّ وبحسن مسٍّ ــ
فى أن يكون اليـوم ما يأتى غدا	إذ كنتُ قد أجممتكم(٦) بالأمسِ
وآعلم ــ بنفسى أنت خيرُ عالِمٍ ــ	أن الشتاءَ من عدوّ النفسِ

(١) العلج : الأعجمى من الكفار . (٢) الجبس : الجبان الفدم . (٣) المو بذان : فقيه الفرس وحاكم المجوس ويريد بقوله : ابن المو بذان "العود" لأنه من صنع الفرس ، و يريد بقوله : ابنة القسّ الخمر ، والأبيات التى قبل هـذا البيت تعينهما . (٤) التحشش : أكل الحشيش . (٥) اللس : نتف الكلأ بمقدم فم الدابة . (٦) أجممتكم : تركتكم .

وقال فى غرض له

مالى كأنىَ مخبولٌ ولست به … أشكو الى الناس معْ علمى مَن الناسُ

كنا اذا اعتلّت الأذناب يجبرنا … رجاؤنا الرأسَ حتى أُدوِىَ الراسُ (١)

لا بأسَ فى كفّ نفسى عن سؤالهِمُ … وليس عندهُمُ جود ولا باسُ

نقِّلْ ركابَك إلا فى رحالهِمُ … وآستغنَ ماشئتَ عنهم فالغنى الياسُ

وقال فى مثله

" خنساءُ " همّى وذكْرُها أنسى … اذا أمانىَّ حدَّثتْ نفسى

وساوس بين خاطرى وفمى … أصبح أهذِى بها كما أمسى

حتى لظنَّ الأقوامُ أنّىَ ممسوسٌ وما بى إلّاكِ من مس

كم دعوةٍ يشهدُ الحفيظُ على … خلوص سِرّى بها من اللَّبس

يارب إما أن ضمَّنى وصلُ " خنساء " اليها أو ضمَّنى رمسى

وقال وقد آتفق ورود الشريف الزكىّ مجد الدين أبى علىّ ، يشكر ما آتفق من تجديد العهد به ، ويذكر شوقَه اليه ، وهى تجرى مجرى المكاتبة المرتجلة ، والقافية مقترحة ، مما كان أملاها فى داره بدار كعب

يا وحشة المجد ثِقِ بالأَنَس (٢) … قد عطّت (٣) الشمسُ رداءَ الغلَس

ويا حمى "الزوراء" أمنا ، حرَّمتْ … رَعيكَ كفُّ الأخدرىّ (٤) الأشوَس (٥)

(١) أدوى : مرض . (٢) فى الأصل هكذا "نفى" . (٣) عطّت : شقّت .

(٤) الأخدرىّ : الأسد الخادر . (٥) الأشوس : من ينظر بمؤخر عينه كبرا أو تغيظا .

من بعـد ما كنتَ ببعـد صوته مهبِـط كلِّ خابِط ملْتَمِس[1]

عاد الحيا مرقـرقا عـلى الـثرى بمـائه قبـل كلِّ يَبِس

وآنتشرت خضراءَ دوحـةُ العلا فالساقُ وَحْفٌ[2] والقضيبُ مكتسى

وردَّ "مجدُ الدين" فى أيامه دينَ النـدى كأنّه لم يَدرُس

عزَّ به الفضلُ كأن لم يُهْتَضَمْ وقامت العليا كأن لم تجلِس

ووضَحتْ على ضَـلالات السُّرى طُـرُقُ المنى للـرائد الملتمِس

فيا مشيرَ العيسِ جعجعها[3] ويا مُرسلَ [أفراسِ][4] الرجاءِ أحبِس

كُفيتُما تهجـيرَها مُظهِـرةً وخوضَها فى الليل بحرَ الحِندِس[5]

جاءكما الحـظ ولم تقـامرا بناقـةٍ فيـه ولا بفـرس

لم تضرِبا أعناقَها وسُـوقَها حرصًا لإدلاجٍ[6] ولا معـرَّسٍ[7]

ردَّ الكرى الى العيـون قُرّةً وعاد للأنفس روحُ الأنفسِ

بالحـلو والمـرّ عـلى أعـدائه والطائش السرج الوقـور المجلس

"ببابـلىٍّ"[8] ماله لم يمتنـع "وسامرىٍّ" عِرضُه لم يُمْسَس

أروع لا يعـثر من آرائه بمشكل هـافٍ ولا ملتبِس

اذا دجى الخطبُ سرى مستقدما من عزمه فى قمـرٍ أو قبَس

لا هائم مغـرَّر لم يعتـبر ولا حريصٌ معجَب لم يقِس

---

(١) الملتمس : الناتف الكلأ بمقدم فمه . (٢) الوحف : ما غزر من النبات وأثّت أصوله .

(٣) جعجعها : أنخها و بركها . (٤) هذه الكلمة ليست بالأصل ، وقد رجحناها لقوله فيا بعد :

جاءكما الحظ ولم تقامرا * بناقة فيـه ولا بفرس

(٥) الحندس : الظلام . (٦) الإدلاج : السير أول الليل . (٧) المعرس : الموضع ينزل فيه القوم للاستراحة فى آخر الليل . (٨) فى الأصل هكذا "سا بلى" .

نجّـذتِ الأيام منـه قارحا[1] ... بفضـله والسنُّ لم تُعنِّس[2]

وطال أمّاتِ العضاهِ مشـرِفا ... وهو قريبٌ عنـده بالمغـرِس

تختمر الزُّهَـرةُ[3] فى لثـامـه ... بصُدغِهـا حتى الدجى المسعِس[4]

فإن غلت بصـدره حيَّـةٌ[5] ... راعـك وجـهُ الضيغم المعبِّس

رمَتْ به صحنَ السماء فسما ... مدارجَ البيتِ الأشمِّ الأقعس

فأنت من أخلاقـه فى مغـزل[6] ... ومن حمى غـيرته فى محمِس[7]

بيتٌ يقـول الله : بيتٌ مثـلُه ... عنـدِىَ لم يُبْنَ ولم يؤسَّس

سمـاحـةُ الغيث وفى أرجائه ... مهابطُ الوحى وروحُ القُـدُس

ومنه فرعا "مكـةٍ" و"طيبةٍ" ... تشعَّبا ومنـه "بيتُ المقـدِس"

قومٌ بهـم ثَمَّ — ونحنُ فترةٌ — ... فرْجُ المضيقِ وآنكشافُ اللَّبَس

هـم حملوا على الصراط أرجلا[8] ... لولا هـداهـم عثرتْ بالأرؤس

وحطَّموا "ودًّا"[9] وخلوا "هُبَلًا"[10] ... مبدّلين بالعتيـق الأملس

ديست من الشِّرك بهم جماجمٌ ... ترابُهـا من عزةٍ لم يُدَس

سـاروا بتيجان الملوك عنـدنا ... معـقودةً عـلى الرماح الدُّعَّس[11]

آلُك آلُ الحجـراتِ أيقظـوا ... للرشـد أبصـارَ القلوبِ النُّعَّس

---

(١) القارح : المسن من الإبل . (٢) لم تعنس : لم يطل مكثها كالعانس التى يطول مكثها فى أهلها ولم تتزوج حتى تخرج من عداد الأبكار . (٣) الزهرة : اسم كوكب . (٤) المعسعس : المظلم . (٥) فى الأصل "حات بصدر" . (٦) المغزل : محل الغزل . (٧) المحمس : موضع الحماسة . (٨) فى الأصل "رجلا" . (٩) ودّ : صنم كان لقوم نوح وكان على صورة رجل ومنـه سمى "عبد ودّ" . (١٠) هبل : صنم كان بالكعبة . (١١) الدعس : الطاعنة جمع داعس وفى الأصل "الدس" .

وأخَـــذُوا الى فســيح لاحبٍ ... بالناس من جهل المضيق المُلْبِسِ
قالوا لجادوا فكأنّ الرعـدَ لم ... يُرزِم[(١)] وماءَ المزن لم ينبجِسِ[(٢)]
وجـدُّك الناطقُ بالصــدق له ... طاعةُ كلّ ناطـقٍ وأخرسِ
وبأبيـــك حبـــه وبغضـــه ... غدًا يرى المحسنُ خسرانَ المسى
وأنت — ما أنت — لحوقًا بهمُ ... ""زُرارةٌ""[(٣)] تجرى وراءَ ""عُدَس""
يفـديك ممـلوكٌ عليـه أمرُهُ ... رِخوُ البِـدادين[(٤)] ضعيفُ المَرِس[(٥)]
يأكله العيبُ فـلا يُميطُـه ... بمـاله عن عِرضـه المضـرَّس[(٦)]
لو خنقتـــه ذلّةُ البخـــل لما ... قال بدينـار لهـا : تنفّسى
يغـزو أباك ويظنّ مقنعـا ... عزّ الأصـول مـع ذلّ الأنفسِ
ضُمَّ اليـك فعلوت ولَطِى[(٧)] ... سـومَ الأشمّ قستَه بالأفطسِ
عاد بظـلّ بيتـــه وأصحـــرت ... غرُّ مسـاعيك بقاعٍ مشـمسِ
تأخذ حـقّ العـزّ قسرا وسُطًا ... والأسـد لا تعـاب بالتغطرسِ
فاصـدع بهـا داميـةً نحورُهـا ... صـدعَ فتًى فى نقـعها منغمسِ
وقـــم بنـا نطلبهـا عاليـــةً ... إما لمـرمى العـزّ أو للمرمسِ[(٨)]
فالسـيف مالم يمض قُـدما زُبرةٌ[(٩)] ... والليثُ كلبُ البيت ما لم يفرِسِ
نادى البشـيرُ وفـؤادى جمـرةٌ ... للشـوق من يرفع له يقتبِسِ ،
والبينُ قد أوحدنى فليس لى ... بعـدك غير وحشـتى من مؤنسِ ،

---

(١) يرزم : يشتد صوته . (٢) ينبجس : ينفجر . (٣) هو زرارة بن عدس بن زيد الدارمىّ آباء قبائل ، ويريد الشاعر أن الأبناء يقتفون الآباء فى بناء سؤددهم والإشادة بمجدهم .
(٤) البـداد : بطانة تحشى وتجعل تحت القتب وقاية للبعير من شق ومن الشق الآخر مثله وهما بدادان .
(٥) المرس : الحبل . (٦) المضرس : المصاب المثلّم . (٧) لطى : لزق بالأرض .
(٨) المرمس : موضع الرمس وهو الدفن . (٩) الزُّبرة : القطعة من حديد .

والبعـــد باستمـــراره يطلـع لى ـ كيف طمعتُ ـ من ثنايا المؤيس
دعا وقد ضعفتُ عن جوابه كأنّ نفسى خُلقتْ من نَفَس : «
هـــذا الزكىّ ابن التقىّ» فطفى شـيطان شـوق وهفا موسوسى
وقيل : ممسوس ولكن واجد قلبـا له ضـــلّ ولمّا يُمسَس
فيالهـا غنيمةً سـرّى بهـا لم يختلج وخاطـرى لم يهجُس
أحلّى على القربِ ــ وقد تملّأت عينى بهـا ــ من نظرة المختلس
حبـا غزيرا لا كما تُسنيه لى(١) من نَزرِ(٢) ماءٍ وقَليبٍ يبِس(٣)
وشكر ما توسع من خلائق عـلى البعاد ثوبُهـا لم يَدْنَس
طاهرة(٤) اذا عركتَ جانبى من ودّ قـوم بالخبيث النجِس
عرفتنى والنـاس ينكروننى وجدّك بالشـــفوف والتفرس
أودعتُك الفضـــلَ فلا حقوقه عندك ضاعت لى ولا العهد نُسى
فقصرُ ما أوليتَ أن أجزيَهُ جزاءه فى المطلَقـاتِ الحُبُس
شواردا باسمـــك كلَّ مطـــرَح ولم تُرِحْ عنـــك ولم تعـــرّس
كالحور فى خيامها مقصـــورة وفى الفلا مع الظبـاء الكُنّس
ممـا حـــويت برُقاىَ فسرَى سحـــرىَ فى حيّاتهن النُّهَّس
يترك كلُّ ماسح ــ غير يدى ــ دما على نُيـــوبها والأضرس
تغشـاك لا تحتشم الصـــبحَ ولا ترهبُ فى الليـــل دبيبَ العَسَس(٥)
فأنت منهـا أبدا غـــواديا ورائحـاتٍ فى ثياب العُـــرُس

---

(١) فى الأصل «لما» وتسنيه لى : تصلنى به وترفعه الىّ . (٢) النزر : القليل .
(٣) اليبس : ما كان رطبا بجف . (٤) فى الأصل «ظاهرة» . (٥) العسس : جمع عاس وهو الذى يطوف بالليل لحراسة الناس .

فٱسمع لها وٱسلم على ٱتصالها وٱتقِ أن تُعيرَها وٱحترِس
وٱستغن بى وأغنِنى عن معشرٍ سُورَةُ فضلى بينهم لم تُدرَس
أعوذ من لينى لهم بجَعَدى(١) ومن ذحولى(٢) بينهم ببُلُسِى(٣)
شفيتُ أعراضَهمُ وعيشتى فيهم متى تبرا ٱختلالا تُنكِس
ودّ القريضُ قبل ما قال لهم على لسانى أنَّ نطقى خَرَسى
فإن تغرْ أو تكفنى جانبهم فلستُ من ذلك بالمبتئِس

* * *

وقال يمدح أبا طالب فى النيروز ويتنجَّزه رسمَ الكسوة

سل " بالغُوير " السائقَ المغلِّسا(٤) هل يستطيع ساعةً أن يحبسا ؟
فإن فى الدار رذايا لوعةٍ نوقا ضِعافاً وعيونا نُعَّسَا
وثَملين ما أداروا بينهم إلا السهادَ والدموعَ أكؤسا
ما علِمتْ نفوسُهم أن الردى ميقاتُه الصبحُ اذا تنفَّسا
راخِ لهم فإنهم وفدُ هوًى يرضيه [أنْ](٥) تُزْوِدَ(٦) أو أن تَسْلَسا(٧)
تركتَ من خلفك أجسامَهُمُ وسقتَ ما بين يديك الأنفُسا
اِعطفْ لهم شيئا فلو لم ينفِسوا(٨) على الشموس فى الخدور مَنفَسا ،
لأغرقوك دمعةً فدمعةً وحرقوك نَفَسا فنفَسا

(١) الجعد : التقبض والجمود ، والأصل فيه سكون العين وحركت للضرورة . (٢) الذحول جمع ذحل وهو طلب مكافأة بجناية وقعت عليك . (٣) البُلُس : جمع بَلَاس وهو المِسْحُ فارسية معربة ؛ والبيت معناه بعيد الوضوح . (٤) المغلس : من يسير فى الغلس وهو الظلام . (٥) ليست فى الأصل . (٦) تزود : ترفق وتتئد . (٧) تسلس : تلين وتسهل . (٨) نفس على الشىء : حسده .

أين تريد عن حياض "حاجر" أن تستجيز الخضم والتلسا ؟ (١) (٢) (٣)

وهل على ماء "النخيل" مطعن (٤) اذا وردت مثلثًا أو مخمسا

وفي الحمول سمحة ضنينة تبذل وجها وتصان ملمسا

شنت على الكأس حتى لم تدع للريم إلا حمشا أو خنسا (٥) (٦)

تبسم عن أشنب (٧) في ضمانه نطفة مزن لقبوها اللعسا (٨)

سلسالة إن لم أكن عرفتها رشفا فقد عرفتها تفرسا

يا هل الى ذاك اللمى وسيلة تبل لي هذا الغليل اليبسا ؟

أم هل الى ذاك الهلال نظرة إما بملء العين أو مختلسا ؟

بل كل ما بعد المشيب مسمح ماكس أو منجذب تشمسا (٩)

ومن عناء اليد أن تبغي الجنا والساق خاو والقضيب قد عسا (١٠)

لامت على تعزلي إذ أبصرت جحفل شيب هاجما ومخمسا

تنكرته مذ رأته بلجة (١١) ضاحية أن عرفته حندسا

بيضاء أعشت في السواد عينها فاشتبه الصبح عليها والمسا

اذا تلفعت بها منصعا ما كنت من صبغتها مورسا (١٢)

منتبذا نبذ الحصى يردني نقد العيون أخزرا وأشوسا

---

(١) في الأصل "تستجير" . (٢) الخضم : الأكل بأقصى الأضراس وفي الأصل "الخصم" . (٣) التلس من لس الدابة الكلأ أي تناولها إياه بمقدم فمها ، وفي الأصل "التسلسا" . (٤) النخيل : اسم عين قرب المدينة على بعد خمسة أميال . (٥) الحمش : دقة الساقين . (٦) الخنس : تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل في الأرنبة وهي طرف الأنف . (٧) الأشنب : من كان في ثغره الشنب وهو الرقة والعذوبة في الأسنان . (٨) اللعس : السواد المستحسن في الشفة . (٩) تشمس : أبى وامتنع كبرا . (١٠) عسا : كبر وانحنى . (١١) البلجة : الضوء . (١٢) المورس : الصابغ بالورس وهو نبات أصفر يصبغ

فـــلم تكن أوّلَ حال غبطـــةٍ أحسنَ فيها زمـــنى ثم أسا
هو الذى ما جاد أو ضنّ ولا رقّ عـــلىَّ مرةً إلا قسـا
وقـــد ألفتُ خُلقَـــه تمرُّنًا به على لونيـــه أو تمـــرُّسا
حلفتُ بالخُلقِ الطِّلاحِ (١) صعُبتْ على الوجى (٢) سُوقًا ولانت أرؤسا
مثل القسىّ كلُّ ظهر (٣) فوقه ظهرٌ بإدمان السُّرى قـد قُوِّسا
من كلّ فتـلاء تطيع المَرِسَ (٤) الـ ـمثْنِى عليهـا أو تعـودَ مَرِسا
تقامر الأخطـار فى نفوسها على الطلاب إن زكًا (٥) وإن خسا
يخبطن يطرحن الربى عجرفةً فى الوفد يطلبن العتيـقَ (٦) الأملسا
اذا فرقن (٧) المـــوتَ لم يفرقْنَ ما ديِّثَ (٨) من أرضٍ وما توعَّسا (٩)
حتى يؤدّين الشخوصَ "بمنى" مكبِّرًا لله أو مقـــدّسا
لا ضاع من يعتمـــد الحظُّ به من قسمةٍ على "عميد الرؤسا"
أروعُ لا ترعَى الخطوبُ ما رعَى ولا تشـــلُّ غارةٌ ما حرسا
أبلجُ بسّـام العشىّ ما غـــدا وجه الجدوبِ فى الثرى معبِّسا
مبـارك الصفقة يهتزُّ الغـــنى فى كلّ ما صافح أو ما لمسا
يفـــرِّجُ التقبيـــلُ عن أنامل لو قارع الصخرَ بهنّ انبجسـا
جاد على اليُسر فلمـا أفلست به عطايا اليسر جاد مفلسـا
لا يحسَب المـالَ يغطّى عورةً عاريةٌ ما غطّت العُرَى الكُسَا (١٠)

(١) الحلق الطلاح : الإبل المهزولة المحلوقة الشعر . (٢) الوجى : الحفا . (٣) الظهر : ما ركب من الإبل التى تحمل الأثقال . (٤) المرس : الحبل . (٥) الزكا : الزوج من العـدد ، يقال : أزكا هـذا أم خسا أى أزوج هذا أم فرد . (٦) العتيق الأملس : البيت الحرام . (٧) فرقن : خفن . (٨) ديّث : ذلل . (٩) توعس : تعسر سلوكه . (١٠) الكسا جمع كسوة .

أرهف للاعراض من عزمته أصمعَ[1] ما أنبلَ[2] إلا قرطسا[3]
اذا رمى غايتــه بظنــه كفى يقين غيره ما حدسا
قال فأعدى الخُرسَ بالنطق كما حسَّنَ عند الناطقين الخرسا
وقام يبغى حقَّـه من العـلا حتى اذا جاز النجومَ جلسا
موقَّـر المجلس إما هـو فى ا لدست آحتبي أو ركن "ثهلان" رسا
اذا سُطَاه أوحشت جليسَـه فاض عليها بشرُه فأنسا
ذبَّ عن الخليفتين رأيُه الـ منصورُ ذؤبانَ[4] الخلافِ الطُّلُسا[5]
أصحـرَ فى إثر العـدو عنهما أغلبُ[6] ما واثب إلا فَرَسا[7]
خلافـة الله رقى مشـيِّدا منها الذى كان أبوه أسَّسا
طهَّـرها تدبيرُه فـلم يدع إزاءَها من العباد نجسا
رقَى من الأعداء كلَّ حيَّـةٍ أصمَّ لـو لم يحـوِهِ لنهَسَا
كم قد جلوت الحقَّ عن بصيرة عمياءَ فيها وكشفتَ لَبَسا
أنفقتَ مـيراثك فى طاعتها جناه "أيوبُ" الذى قد غرَسا
تمنـع من قناتها من رامها بالعَجْم أو أدردتَ عنها الأضرُسا
أنت الذى أحيا الزمانَ راعيا من سنن المجـد به ما درسا
قومك كنتَ فى آقتفاء سعيهـم "زرارةٌ" فى الفخر تتلو "عُدَسا"[8]
قد كبَّرتْ لك العـلا وشكرتْ نشرَك ذاك الكرمَ المـرمَّسا[9]

(١) الأصمع : الرأى العازم . (٢) أنبل : أعطاه نبلا يرمى به . (٣) قرطس : أصاب القرطاس وهو الغرض . (٤) ذؤبان جمع ذئب . (٥) الطلس جمع أطلس وهو الذئب فى لونه غبرة . (٦) الأغلب : الأسد . (٧) فرس : افترس . (٨) زرارة بن عدس : كلاهما أب لقبيلة ويريد الشاعر بهذا أن الأبناء يقتفون آثار الآباء فى بناء سؤددهم ومجدهم . (٩) المرمس : المدفون .

بك آعتلت نارى وهبّت عاصفا ريحىَ وآلتفّ قضيبى وآكتسى
وطمعتْ فى زمنى فضائـــلى وكنتُ من إنصـافه مستيئسـا
إن أجدبتْ أرضىَ صُبت مزنةً أو أدجنتْ(١) حالىَ لحتَ قبَسـا
ساهمتَنى يدَ مرك والعسر تـرى بخس(٢) العـلا وغبنَها أن أبخَسـا
لاتذخـــر الأنزرَ تضطـــرّ له ولا تضنُّ ما وجدتَ الأنفَسـا
فـلا تصبنى فيـــك يدُ حادثٍ أومضَ أو بارقُ خطبٍ أربَسا(٣)
ولا تزل تُلين لى من عُنُقِ الـ أيام فظًا فى مقادى شـرسا
وعاودتْنى بادئـاتُ نِعـم(٤) منك اذا آستوحشت كانت أنَسا
ضافيـةً تفضُـلُ عن ذلاذلى لا أنزِع الحُـلّةَ حتى أُلبَسـا
قـد راعنى العامَ آفتقادُ رسمها وأنــ أرى مُطلَقه محتَبسـا
حاشاك من تطيّرى على العـدا من سطرِها الثابتِ لى أن يُطمَسا
دَيْنى وفى الشتاء بعـــدُ فضلةٌ يوضح منهـا المشكِلَ الملتبِسـا
فآسمح بهـا وآسمع لهـا قواطنا شـواردا ملايناتٍ شُمُسـا
تطوى الفجاج لم ترحّل ناقــةً لهـا ولم تسرِج(٥) اليهـا فرسـا
لا ترهب الجِنّـــةَ فى عزيفها إن أعتمت(٦) ولا تخاف العَسَسا
عذائرا تكون ما شئتَ بهـا كلّ ضُحَى تهنئــةٍ معــرّسـا
قد أمنتْ بحســنها وصونهـا عند الرجال كلّ ما تخشى النّسا

---

(١) أدجنت : اسودّت وأظلمت ، وفى الأصل " أجدبت " والسياق يأباها والصواب مارجحناه .
(٢) فى الأصل " بحسن " . (٣) أربس : أصاب بما يسوء ، وفى الأصل " أوبسا " .
(٤) الذلاذل : أسافل القميص الطويل . (٥) فى الأصل " تشرح " . (٦) فى الأصل " أغنمت " .

ما كُتبتْ أو قرئت لم تترك | لغيرها مخطَّةً أو مَدرَسا
تشفع للنيروز فيما جاء من | قبولكم مبتغيا ملتمسا
ثم يعود مثلُها عليكُمُ | بألف عيد عَرَبا وفُرُسا
فى نعيم يقينُها وحقُها | يغنى الليالى عن لعلَّ وعسى

***

وقال فى منشار

وجارٍ يُجدُّ به رائضا | نِ من مطلِقٍ منه أو حابِسِ[1]
اذا ما مضى فى سواء الطريـ | ـق شقَّ بذاك على الفارِسِ
تبوَّع[2] تهتز منه الضلو | عُ بين المرنَّح والجالِسِ
له نسب فى آغتراس الرجا | ل وهو بلاءٌ على الغارِسِ

***

قافيـة الصاد

بعد خلو قافية الشين

وكتب الى الأستاذ أبى طالب محمد بن أيّوب فى النيروز

(٣٣٢)

أرأيتَ أم حبَستْ لحاظَك عَبرةٌ | طللاً "لسُعدة" "بالمحصَّب" أوقصا؟[3]
تبعَ الرياحَ وكان يسأل مفصِحًا | عن ساكنيه فصار ينطقُ مُعوِصا
دمَنٌ اذا شخصتْ لعينك أشرفت | نزوات قلبك يقتضينك مَشخَصا
بعدتْ بآثار الأنيس عهودُها | فوحوشُها فى نجوةٍ أن تُقنَصا
وكأن جاثمةَ الثَّغام[4] بعُقرها | أشياخُ حىّ جالسين القُرفُصا

(١) الرائض : من يسوس الدابة ليذللها وفى الأصل "رابضان" . (٢) تبوّع : مدّ باعه .
(٣) الأوقص : القصير العنق . (٤) الثغام : نبات زهره أبيض اذا آجتمع يكون كهامة الشيخ .

ولقـــد تَعُـــدُّ فـلا تَعُـــدُّ بطالةً — لك فى ثـــراها بُدِّدتْ بَدَدَ الحصى
أيامَ عيشُـــك باردٌ متــلوِّمٌ — وسواك يَنْهَزُ عيشَـــه مســـتفرصا (١)
وعليك من ظُلَل الشـباب وقاية — ظلٌّ لعمـرُك حين أُسبغَ قُلِّصـا
نَدمانُ (٢) سافـرةِ الجمـال اذا احتمتْ — عينا تنقبت البنانَ الرُّخَّصـا
ريَّا اذا هـــزَّتْ لشُـــغلٍ (٣) غصنَها — أَمَرَ الكثيبُ وراءَها أن تنكصا
سمجتْ فغـودر كلُّ ذنبٍ عنـــدها — ماكان شافعَـــه الشـبابُ ممحَّصا
لم يبق عنـــدك من حقيقـــةِ ودِّها — إلا الخيـال تكذُّبا وتخـــرُّصـا
وعجبتُ منهـا والمـــوانعُ جَمَّـــةٌ — من أنهـا وجـــدتْ الىّ تخلُّصا
طـــرقتْ وشملتهـا الدجى فأسرَّهـا — شـــيئا ونمَّ بهـا الحُـــلىُّ فأوبصـا (٤)
مالى سمحتُ بحـــظِّ نفسى ذاهبـا — فى الغافلين وبعتُ حزمى مرخصـا
والدهـــرُ يوســـعنى اذا عاصيتُـهُ — لحظا يسـارقنى التـــوعُّدَ أخوصـا (٥)
ولقد كفانى شـيبُ رأسى عِبرةً (٦) — وعـــلى الفَناء دلالة أن نُقِّصـا
فلأركبنَّ الى الســـلامة غاربَىْ — عَوْدٍ (٧) اذا وخَـــدَ المهارى أوقصـا (٨)
أَنِس بأشـــباح الفيافى طـــرفُـــهُ — لا يطَّبيـه منفِّـــر أن يَقْمُصـا
يطِسُ (٩) الثرى وَرْدًا (١٠) وينصُـل أورقا (١١) — ممـا ارتـــدَى بغبـاره وتقمَّصـا
متحـــريا بهـــدايتى وأدائـــه (١٢) — فى حيث لا تجـد القطاةُ المفحَصـا

---

(١) مستفرصا : منتهزا الفرص . (٢) الندمان : النديم . (٣) فى الأصل "لسقل" .
(٤) أوبص : أضاء وبرق . (٥) الأخوص : الغائر . (٦) فى الأصل " غيرة " .
(٧) العود : الجمل المسنّ . (٨) أوقص : سار بين الخبب والعنق وهما ضربان من السير .
(٩) يطس : يضرب بالخف ضربا شديدا . (١٠) وردا : أحمر . (١١) الأورق : الذى يضرب لونها الى الخضرة ومنه الورقاء وهى الحمامة التى يضرب لونها الى الخضرة . (١٢) فى الأصل هكذا " واذ آبه " .

في فتيـةٍ يتبادلون نفوسَهم … في الحقّ أين رأوه لاح محصحصا (١)

ومسوَّمين ضوامرا ، أعرافُها … تُفلَى بأطراف الرماح وتُنتصى (٢)

تبعوا هواى مكلّفا أو مؤثرا (٣) … وتعلّقوا بي مازحا أو مخلصا

واذا بلغتَ بناصح أو مدهن (٤) … ما تبتغيه فقد أطاعك من عصى

يشكو ملالى نافرٌ خُلُقٌ به … ولقد أكون على التواصل أحرصا

وتصبُّ نفسى غيرَ أنى لم أجد … خِلًّا سقانى الودَّ إلا غصَّصا

قد كنتُ أطلبُ من عدوّى غِرّةً … فالآن أطلبُ من صديقى مَخلَصا

كم صاحبٍ بالأمس صادفَ بِطنةً … فترتْ به لما رآنى مُخمَصا

لم يُلفِ لى عيبا وطالعَ عِرضَه … فرنا الىّ بعيبه وتخرّصا

عدّوا "ابن أيوب" [و] (٥) رُضْ شيمى تَرُضْ … متراجعاتٍ عن سواه حُيَّصا (٦)

أنفقتُ كلَّ مودّةٍ أحرزتُها … سَرَفا ورحتُ بودّه متربّصا

من معشرٍ شرعوا الى حاجاتهم … أسلا كفته مُداهُمُ أن يَخرُصا

من كل أرقش إن تأوّد ثقّفتْ (٧) … منه البلاغةُ أو تسدّد أقعصا (٨)

يتوارثون به العلاءَ فسابقٌ … يمضى وقافٍ إثرَهُ متقصّصا

وُلدتْ حلومُهمُ وهم لم يولدوا … من قبل أن قُرِعتْ لذى الحلم العصا (٩)

كرماء حبّبَهم الىّ كريمُهم ، … إن الهوى ما عمّ حتى خصّصا

---

(١) في الأصل "حصحصا" . (٢) تنتصى : تقبض من ناصيتها . (٣) في الأصل "و" . (٤) المدهن : المخادع . (٥) ليست بالأصل . (٦) حُيَّص جمع حائص وهو الحائد العادل عن الشىء . (٧) يريد بالأرقش القلم ومعناه في الأصل الحية الذكر المنقط بسواد وبياض وهو هنا مجاز . (٨) أقعص : قتل . (٩) في المثل : "إن العصا قرعت لذى الحلم" وله تفصيل في مجمع الأمثال فليرجع اليه من يشاء ، وهو يضرب لمن اذا نبه آنتبه .

" بمحمــــد " رُدّت عــلى أعقابهــا عن ساحتى غُشْمُ الحوادث نُكَّصــا
أعطى فأغــنَى مسرفا متعــدّيا ميســـورَه كرما وودّ فأخلصــا
وخـــبَرتُ قوما قبــلَه وخبرتُه فعرفتُ مولى السيفِ من عبد العصا
تفــدِى ثرى قدميك قمّــةُ ناقصٍ حزتَ العـــلا مِلكا وطرٌ تلصّصــا
حُرِمَ الســيادةَ يافعا فاســتامها شــيخا فكان كناكح بعــدَ الخصا (١)
لمــا جلستَ وقامَ ينشُر باعَــه جهدَ التطاولِ لم يجِــدْ لك أَخْمَصا (٢)
لو ذُمَّ ما ألِمَ المذمّـــةَ عرضُـــه ما ينقُصُ العـــوراءَ من أن تُبْخَصا (٣)
وأنا الذى سر القـــلوب وساءها ما حكتُه لك مسهِبا وملخِّصــا (٤)
وتــاذَر الشــعراءُ مس لواذعى والجمـــر يحمى نفســـه أن يُقبَصــا
وٱستمتنى رقِّى فبعتُـــك مُرخِصــا عن رغبــــةٍ، وكواهبٍ من أرخصــا

* * *

وقال يذكر قوما ٱغتابوه

روّحهــا مخمســـةً (٥) خمائصــا (٦) جبّاً (٧) من الإعيــاء أو وقائصــا (٨)
قرومها (٩) الجــلّةَ (١٠) والقلائصــا (١١) مـــوبرةً (١٢) تحسبها قصائصــا
زاد الربيـــعُ وغدت نواقصــا اذا مشت عـلى الحصى حوائصا (١٣)

---

(١) الخِصَاءُ : قطع الخصية . (٢) الأخمص : باطن القدم . (٣) تبخص : تقلعُ عينها ، وفى الأصل هكذا " تخصا " . (٤) فى الأصل " مخلّصا " . (٥) مخمسة أى واردة على المـاء فى اليوم الرابع وفى الأصل "محمسة" . (٦) خمائص جمع خميصة وهى ضامرة البطن من الجوع وفى الأصل "حمايص" . (٧) جبّ : جمع جباء وهى المقطوعة السنام وفى الأصل "حبا" . (٨) الوقائص من الإبل القصيرة العنق . (٩) قروم جمع قرم وهو الفحل ترك للفحلة . (١٠) الجلة المسانّ من الإبل ، للواحد والجمع . (١١) القلائص جمع قلوص وهى الشابة من الإبل وقيل أوّل ما يركب من إناثها . (١٢) موبرة : كثيرة الوبر . (١٣) حوائصا : عليها الحياصة وهو حزام الدابة .

عاد بها لذّاعه قوامصا — تسأل بالماء القطا الفواحصا
اذا السحاب آغترّها مُراقصا — ردّتْ عليه أعينا أخاوصا (١)
يغدو السفا لموقهن باخصا (٢) (٣) (٤) — حتى لحقن طيّما وعائصا
يفلين من روض الحمى العقائصا (٥) — ويحتلبن الُلمَّعَ النشائصا (٦)
يا لك ربعا " بالنخيل " شاخصا (٧) — أين الظباء تقنص القوانصا
بأوجهٍ لم تعرف الوَصاوصا (٨) — وأنملٍ يبسطنها رواخصا (٩)
اذا ضممن فى الدجى القَرابصا (١٠) — نمّ عليهن الحُلِيُّ آبصا (١١)
أيام أرعيك الهوى مخالصا (١٢) — مناوئا غيّ الصبا مناوصا (١٣)
ذلك حتى عدتُ ظلّا قالصا — قل لأمرئٍ نابلنى القوارصا (١٤)،
مستخفيا وذمّ فضلى ناقصا : — عمّك جهلٌ أتعب الخصائصا
عش حاسدا ما شئت أو قل خارصا — تعلقُ منى قُلْقُلا محارصا (١٥)
مصابرا أقرانَه مرابصا — حتى يردّ (١٦) كلّ مخزٍ ناكصا
حرّمتُ شربا ما رزقتُ خابصا — يا لك درًّا لو تكون خالصا

---

(١) أخاوص : غائرة . (٢) السفا : التراب . (٣) الموق : طرف العين مما يلى الأنف . (٤) باخصا : يقال بخص عينه : قلعها بشحمها . (٥) العقائص جمع عقيصة وهى الخصلة تأخذها المرأة من رأسها فتكويها ثم تعقدها حتى يبقى فيها آلتواء ثم ترسلها وهى هنا مجاز . (٦) النشائص جمع نشاص ككتّاب وسحاب : السحاب المرتفع بعضه فوق بعض . (٧) النخيل : اسم عين بالمدينة . (٨) الوصاوص جمع وصواص وهو البرقع الصغير . (٩) رواخص : لينة . (١٠) القرابص جمع قربوص وهو حنو السرج . (١١) آبصا : مضيئا لامعا . (١٢) مخالصا : مصافيا . (١٣) مناوصا : مناوشا ، وقد ورد هذا الشطر فى الأصل هكذا :

* ماوها عم الصبى مقاوصا *

(١٤) نابلنى : رمانى بالنبل ، وفى الأصل هكذا " بابلنى " . (١٥) القلقل : الخفيف السريع التحرك . (١٦) فى الأصل " ترد " .

إن ترد الجمـــر تجده قابصـا قبلك أقذيت عِـــدًّا أخاوصا (١)

تنصّ نحـوى أعينا شواخصـا تلفُّتَ العـانةِ (٢) راعت قانصـا

ففتّها بمهَـــلى حرائصـا فوتَ الرعوس أعيتِ الأخامصا

فقل مطيـــلا فىّ أو ملاخصاً (٣) تشرِ المنايا من فمى رخائصا (٤)

وربما عفـــوت عنك ماحصا جهدُ البعوض أن يكون قارصا

⁂

قافيـــة الضـاد

وقال يمدح عميد الرؤساء أبا طالب ويهنئه بالنيروز

رضيتُ ـ ومامن طاعةٍ كلّ من رضِى ـ وفاءً لغـــدّارٍ وحبًّا لمبغض

وراجعت قلبى أســتر الصبرَ بعـــده فــلم أر إلا مقبــلا نحو مُعــرِض

حفاظٌ ولكــن لو وجــدتُ جزاءه وودٌّ ولكــن منـــه لم أتعـوّض

أكنتَ " بصحراء الأبيرق " صارفى بعـــذلك (٥) عن بثّ الهوى أم محرّضى؟

عشـــيّةَ لا يخـــفى جوَى متجلدٍ ولا تسـع الأجفانُ دمـعَ مغيّض

وأنت تمنينى بدمـــعٍ سمعتـــه وماكان إلا قـولةً من ممرّضى

ألا فى ضمـان الله لبُّ أطاره أصيلا سنا برقٍ " بدِجلةَ " مومِض

له من سُحـوق (٦) الغـيم ردّة غامدٍ وفى خفقان الريح سـلَّةُ منتضى

أضـاء ويومى " بالجـزيرة " مظلمٌ يذكّرنى من " بابلٍ " ليلَها المُضى

وحســناء لم ترج الإيابَ لغـائبٍ فترعى ولم تنـوِ القضـاءَ لمقـرِض

(١) أخاوص : غائرة عيونهم . (٢) العانة : القطيع من حمر الوحش . (٣) فى الأصل " مخالصا " . (٤) فى الأصل " رحائصا " . (٥) فى الأصل " بعدلك " .

(٦) سحوق جمع سحق وهو الثوب البالى وهو هنا مجاز .

(٣٢٤)

لهــا منزل " بالغور " بين معدَّن (١) — مَشــيد ومنشــورِ البساط مروَّض

حَبستُ به أبــغى الحيــاة لقــاتلى — غراما وأدعــو بالشــفاء (٢) لممرضى

ولمــا تواقفنــا وفى العيس فضــلةٌ — بقــدر الوقوف ساعــةً ثم تنقضى ،

رأت شــيبةً ما لوّحت بعــوارضى — فصرّح بالهجران كلُّ معــرِّض

وقالت :أشيخٌ؟ قلتُ : كهلٌ ،فأطرقت — وقالت : أمامَ السهم إنذارُ مُنبِض (٣)

يناغيك بعــد الشيب قلبى وناظرى — ومن أين يصفو أسودان لأبيض

فيالَيْــتنى أيامَ يعطلُ مِســحلى (٤) — وصمــتىَ فى حَــلْى اللجام المفضّض

أ نُوَّامَ ليــلٍ قصّــر اليومُ عمــرَه : — ســلوا ببقاء الليــل من لم يغمّض

وكنتم جناحى ثم هيض ببعــدكم — فهل بعدكم عضو اذا طرت منهضى

أأركض أبغى فى البــلاد معوضــةً — بكم طال تَطــوافى إذن فتركّضى

بلى ! قَبَصٌ (٥) من "آل أيوبَ" صاح بى — سناه ــ وقد أعتمت ــ : دونك ناستضى

رعَتْ نفسِىَ الخُلاتِ (٦) قبــل وداده — هشيما فلمــا عنَّ لى قلتُ : أحمضى (٧)

" أبا طالبٍ " والظنُّ أنك شــافعٌ — لهــا فى غــنًى عن باعثٍ ومحضِّض

شكيّةَ مملــوءٍ من الوعــد قلبُــهُ — تحــدَّثَ عن داء من المطل مُرمِضِ (٨)

غــنىّ بتســـويف الأمانى تقطّعتْ — عُرَى صــبره بين المجىء الى المُضِى

أحلَّ بكم فى الصوم للفطر حاجــةً — وقــد عبَرَ الأضحى به وهو يقتضى

---

(١) معدَّن : مموّه بالمعدن . (٢) فى الأصل " بالشفاء " . (٣) المنبض : الذى يجذب وتر القوس لتصوت ، وفى المثــل " لا يعجبك الإنباض قبل التوتير " يضرب فى استعجال الأمر قبل بلوغ إناه . ومنه أيضا " إنباض بغير توتير " . (٤) المسحل : اللسان .

(٥) القبص : الضوء كالقبس . (٦) فى الأصل : " الخلان " . (٧) أحمضى : كلى الحمض وهو فاكهة الإبل بعــد أكلهــا الخلة وهى خبز الإبل . (٨) المرمض : الموجــع المحرق .

أترضَوْن أن تصفو لغـيرى حياضُكم وأرضىَ تُغـــذى بجرعةَ المتــبرّض[1]

لعلّكم آرتبـــتم بفضــــل تســـهلى عليكم والمــامى بكــم وتعـــرُّضى

فلا تحسبوا ذلًّا فما من ضراعةٍ بدا لكُمُ نابُ[2] الشــجاع[3] المنضنِض[4]

وغيرك من يرمى القضاءَ بذنبــه اذا قيل: قد فرّطتَ، قال: كذا[5] قُضى

تبسـمّعْ لهـا لم توفِ شكرَك حقَّـــه ولو قد وفت ماكنتُ بالشكر أرتضى

جميـــلة وجهٍ عاطلٍ من كُسَى الغنَى وإن وسمتهـا منـك حُلَّةُ معـــرض

وفى القلب ما لا يبلغ الفـــمُ بثُّـــهُ وفَى بقريضٍ دونه الهـــمُّ مُجرِضى[6]

فعــــذرا وفـــوزا بانبساطى فإنـــه عزيزٌ على ما آعتاد فـــرطُ تقبّضى

وأخـــذا من الأيام أوفى[7] حظوظهـا بخيرٍ تجـــدْ ما شئتَ منهنّ وآرفض

تسـاقُ لك الدنيـا بظهـــرٍ مذلَّلٍ اذا وزَعَتْ قَـــرْما[8] بنفـــرة ريِّض

* * *

وقال وكتب بها اليه فى النيروز

مَطَـــلَ الدَّينَ ولو شاء قضَى فاســـقُ الذمّةِ ينسَى ما مضى

كيف يُرجَى النصحُ من محتكمٍ يُكثر السّخطَ ولا يرضى الرضا

سرّنى يومَ "مِنًى" معترضا ملءَ عيـــنى وشجانى مُعرِضـا

وجـــد الوجـــدَ كما خلّفــه بعد حولٍ ما بـــرا ما أمرضا

أيّهـا الرامى وما أجـــرى[9] دمًا لا تحصِّبْ قـــد بلغتَ الغرضا

---

(١) المتبرض: من يرشف الماء قليلا قليلا. (٢) فى الأصل "باب". (٣) الشجاع: الحية. (٤) المنضنض: المحرك لسانه. (٥) فى الأصل هكذا "كدى". (٦) يقال: أجرضه بريقه: أغصه، وفى المثل "حال الجريض دون القريض". (٧) فى الأصل "الأنام". (٨) القرم: الفحل يترك بلا ركوب. (٩) فى الأصل "أحرى".

قَسَمَ الحبُّ فما أنصفنى جورَ ما نقَّلَ لى وآفترضا (١)

ما على ساقٍ دمعى مغدقا فى رضابٍ لو سقاه مبرِضا (٢)

قد سلبتم حسدا (٣) جوهره فآستحِلّوه وبقُّوا العَرَضا

شَقِىَ السائقُ فى تبليغه أدرى أىَّ طريقٍ نفضا ؟

"الغَضا" إن الحشا من ذكره ربما آستبردتُ منها بالغضا

آطلبوا للعين فى أبياته نظرةً تَكحَلُها أو غُمُضا

وبنفسى هاجرٌ لم يعتمد قبضوا من أنسه فانقبضا

لمتُمُ فيه وقلتم رقبة رمتُمُ (٤) صعبا وقُدتم رَيِّضا

إن تفُتْكَ اليومَ شمسٌ حُجبتْ فغدًا، ما كلّ يومٍ أبيضَا

من أمرَّ الليلَ والصبحَ به أظلم الحظُّ عليه وأضا

خلِّ يادهرُ "ابن أيوبَ" وخذ كلَّ شىء إن فيه عوَضا

هبْ لىَ "الواحدَ" إنى آخترتُه وهنيئا لك ما ضمّ الفضا

بك أفدى وبهم منك أخا حين أمذقتم (٥) ودادى مَحَضا

ناصلا من صدإ العار (٦) كما خلَّص القَينُ الحسامَ المنتضى

لبس المجدَ فما أوحشه أىّ ثوبٍ فى هوى المجد نضا

سؤددٌ حلَّ تراثٍ، ونرى كرَمَ القومِ مُعارا مقرَضا

شرفٌ يا "آل أيوب" مشى معرقا فيكم مطيلا معرِضا

نرتعى أوديةً مُهشَمةً وترودون ربيعا مُحِضا

وقف الحبُّ على دوحتكم غُصُنٌ منها لقلبى قبضا

(١) فى الأصل "افترضا". (٢) مبرضا: معطيه رشفا قليلا قليلا. (٣) فى الأصل "جسدا". (٤) فى الأصل "رتم". (٥) امذقتم: خلطتم. (٦) فى الأصل "فاصلا".

نجتنى منـــه خيـارا لكُمُ   حـــلو ما لاكَ فمٌ أو قَرَضا
مِـــدَحًا تنشـــر أعراضَكُمُ   نشرَ حســـناء لعُـــرسٍ مَعْرِضا
سائراتٍ تحت أوصافكُمُ   شاهـــداتٍ لا يذقن الغُمُضا
ما ســـعى للبيت يمشى حاسرا   راجلٌ وآبنُ ركابٍ ركضا
وجرت أوداجُهـا قائمـــةً   يوم "جَمعٍ"[1] وتَلَوَّتْ رُبُضـا[2]

*
* *

وكتب الى ذى الرياستين كمال الملك أبى المعالى فى النيروز

ســـقى زمنا "ببابلَ" عقـــربىٌّ[3]   مـــلِثٌّ بالذى يُروِى ويُرضِى
عنيفُ الســـير أوطفُ[4] مستمرٌّ   على غُـــلَواء ما يَقضى ويمضى
يزور الأرضَ بعـــد جفائه فى   قضيضٍ من زماجره وقَضِّ
ســـقىً بجْرَى فأسمـــنَ كلَّ ضاوٍ   يمـــرُّ به ورفَّع كلَّ خفضٍ
فمن ملآ ن بعد الغيض طاغٍ[5]   ومن ريَّانَ بعـــد اليبْسِ غضٍّ[6]
وكـــرَّمَ أسرةً[7] كانوا اذا ما آ ذ   نتجعت زُلالىَ الصـافى وحَمضى
هم حـــلوا وسوقَ[8] الدهر عـــنّى   وهم نشطوا[9] عرى نِسعى[10] وغَرضى[11]
أضاءوا مذهـــبى فسرَحتُ طرفى   وسيعا بعـــد إطـــراق وغضى[12]
وقامـــوا بين أيامى وبيـــنى   فلم تقتُـــل ولا راعت بنبـــضِ

---

(١) يوم جمع : يوم عرفة . (٢) رُبضا . باركة . (٣) منسوب الى برج فى السماء .
(٤) الأوطف : السحاب الدانى من الأرض لكثرة مائه . (٥) فى الأصل "الغيظ طاو" ولا معنى لهما وإنما عبث بهما التحريف . (٦) فى الأصل "عض" . (٧) فى الأصل " أزرة" .
(٨) وسوق جمع وسق وهو الحمل الثقيل . (٩) نشطوا : عقدوا وشدوا ، وفى الأصل "بسطوا" .
(١٠) النسع : الحبل تشـد به الرحال . (١١) الغَرْض : رباط الرحل كالحزام للسرج ، وفى الأصل "عرضى" . (١٢) فى الأصل "عضى" .

حَمَوا وجهي ولم أسأل سواهم وأعطَوا كلَّ نافلةٍ وفرضِ
فأصبحُ فيهمُ وأروح عنهم الى وفرين من مالي وعِرضي
فهل من حاملٍ شَوقي اليهم على ما فيه من ألمٍ ومضِّ
لحامله فموصله اليهم على بزلاءَ يخلها وينضى
يؤم "الزابيين"(١) بها ويعلو قويقا(٢) بين تقريب(٣) وركض
فيُسمعَ ثَمَّ سامعةً كراما أيامَى العيش بعدهمُ ويُفضى(٤)
وإنى مذ نأت دنياى عنهم من الدنيا على هجرٍ ورفضِ
أقضِّي ما أغالطُ من زماني بلوعاتٍ تكاد علىَّ تَقضى
فكم أحيا وفى "بغدادَ" بعضى على مرَضٍ وفى "تكريتَ" بعضى
ومسبوقين فى طرق المعالى وإن زُجِروا بحَثٍّ أو بحضٍّ
أصاحبهم فيمسى الودّ منهم على زلِقٍ من الشحناء دحضِ(٥)
وأبرمُ فيهمُ مِدَحًا متانا فتلقاها معايبهم بنقضِ
ولو حامى "كمال الملك" عنى رعيتُ الخصبَ فى دَعةٍ وخفضِ
اذًا لأعاد سلسالا نميرا على عاداته ثمَدى وبرضى(٦)
فدتك "أبا المعالى" كلُّ كفٍّ تقصِّر عنك فى بسطٍ وقبضِ
وكلُّ مدنَّس الأبِ لا بحتٍّ(٧) يميطُ العارَ عنه ولا برَحْضِ(٨)
دعىٌّ فى الفضائل كلّ يوم له نسبٌ يجيء به ويمضى

(١) الزابيان : نهران بأرض الموصل . (٢) قويق : نهر مدينة حلب وفى الأصل "فويقا" ولعله تصغير فوق . (٣) فى الأصل "تقريت"، والتقريب : سير دون الحضر . (٤) فى الأصل "يغضى" . (٥) الدحض : الزلق . (٦) البرض : القليل من الماء مثل الثمد بفتح الميم وسكونها . (٧) الحتّ : فرك الشيء وحكه وإزالته عن الثوب، وفى الأصل "بحثٍّ" .
(٨) الرحض : الغسل .

نأى بك جمـــرةً بالغيظ تسرى ... الى ســـوداء مهجتـــه وتُفضى
كَرُمتَ فهى عطايا الغيث شَوبٌ ... وماء يديك من صافٍ ومحضٍ
ويعطى النـاسُ من جِدةٍ وتعطى ... عطاءَ الحمد من دَيْنٍ وقرضِ
وتخجلك المواهِبُ وهى كُثْرٌ ... كأنك مســخطٌ ونداك مُرضى
قضى اللهُ الكمالَ فكنت شخصـا ... لصـــورته وخَلقُ الناس يقضى
شريتـــك بالبرية بعـــد قطعى ... طريقَ الإختيـار بهـــم ونفضى
ورعتُ بك النوائب وهى فوقى ... وتحتى بين حائمـــةٍ ورُبْضِ
فقـــد أسلمتني بنـــواك حتى ... نَسلنَ قـــوادمى وبرينَ نحضى (١)
فها أنا بينَ حاجاتى وشـــوقى ... لفتٌّ من مخالبهـا ورضِّ
أزمّ اليـــكُمُ قلـــبى وعيـــنى ... بآيـــة فيكُمُ جـــذلى وغمضى
أسادتَنا كم الإبطـاءُ عنكـم ... وصـــبركُمُ على الهجـــر المِضِّ؟!
ألمّا يأتِ وقتُـكم المســمّى ... ألمّـا يأنِ زبدُكُمُ بمخضٍ
فكم سخـــطٍ على الدنيـا وصـــدّ ... عن الدولات وهى عـــلى الترضّى
حديثكُمُ يـــبرّحُ بالمعـالى ... فنهضـا ، إنهـا أيام نهضِ
أراها أينعتْ ودنا جنـاها ... وأذعنَ ختمُهـا لكُمُ بفضٍّ (٢)
عسى أقـــذى بقـــربكُمُ عيونا ... حســـدنَ عليَّ من حزنٍ وبرضٍ (٣)
ويـــبرد من أعاديكم وشـيكا ... زفـــيرُ جـــوانح بالهـــمّ رُمْضِ
وبعـــد! فما لكم أغفلتمونى ... وأخلبَ بارقٌ من بعـــد ومضٍ!
أظنـا أنني عنكم غـــنيٌّ ... بحـــلّى أو بتطواف وركضِ

---

(١) النحض : اللحم المكتنز كلحم الفخذ .
(٢) فى الأصل " بفيض " .
(٣) البرض : خروج الماء من العين قليلا قليلا .

معاذَ الله والعهدِ المراعَى ولو أنضيتُ تامكتى[1] ونِقْضى[2]
وتعويلى من النيروز وفدا على متنجّزٍ لى مُستَنِضّ[3]
فلا تتوهموا لى خصبَ مرعى اذا قعدت سماؤكُم بأرضى

* * *

وقال فى قوس صفراء

صفراءُ من غير مرضْ بلهاءُ تفهم الغرضْ
عمياء تُبدى السَّنَنَ الـ ـقصدَ رَكوبٌ لم تُرَضْ
يراكض الريحَ بها فارسُها وما ركضْ
كأنه يبسط من عنانها وما قبضْ
لها ابن سوء اسمه[4] فى الأفق وهو منخفضْ
أخرسُ يُبدى كلَّ ما دقَّ خفيًّا وغمضْ
ترى دما ترضعه ولم تلدْ ولم تحضْ

* * *

قافيـــة الطـاء

وكتب الى الصاحب أبى القاسم يهنئه بالنيروز

غالِ بها فيما تسامُ واشترطْ فلاءها[5] فضلا على البيع الشططْ
واعلم بأنّ الغبنَ[6] حيث نُشطت[7] رُبُطُها[8] والغُنْمَ حيث تُرتَبَطْ

---

(١) التامكة : الناقة العظيمة السنام . (٢) النقض : المهزول من السير ناقة كان أو جملا ، وفى الأصل "نقضى" . (٣) مستنض : مستنجز . (٤) يشير الى كوكب اسمه "سهم الرامى" ، و يقال له أيضا : السهم . (٥) الفلاء : عزل الدابة عن الرضاع وفطمها . (٦) فى الأصل "العين" . (٧) نشطت : نزعت . (٨) ربط جمع رباط .

من ضامنات الحاج لو دانيتَها بالنجم لم تُلْوَ به ولم تُلطْ (١)
ليس على راكبها جنايةٌ من عَلَمٍ يُعيِي (٢) ولا أرض تشطّ
إن لم تكن أنت الذى ينصبُه طولُ السرى فهى التى لم تعىَ قطّ
كأنها تحت الدجى جِنِّيَّةٌ راكبها فى ظهرها نجمٌ هَبَطْ
لا تطأ الأرضَ وإن تسهّلتْ لوطأة الدائس إلا ما تخط (٣)
كأنما أربعُها من خفّةٍ واحدةٌ فى السير حين تختلطْ
تجرى فتُدمى أذنَها بيدها كأنها بسنبكيها (٤) تشترطْ (٥)
تنخّل الغالون من آياتها صفوةَ ما خلّف فيهم وفرطْ
لم تتحرّش بشميم أمّها هجائنُ "الفُرس" ولا غُبْس "النَّبَطْ"
لها من "العُربِ" ضمورٌ ناسبٌ يغنَى به عن الوسوم من عَلَطْ (٦)
جرداء لولا سَعَفٌ منتشرٌ من عُرفها قلت: عسيبٌ (٧) مخترَطْ
مُحزَّم كما طويتَ بُردةً ومَلجَم كما نشرتَ عن سَفَطْ (٨)
هى التى رحتَ بها مغتبطا وقد لحقتَ بعد خمس "بالغُبُطْ" (٩)
وبتّ جارَ الحىّ ترعَى معَهم على نوى المرعَى ومصدوع الخُطَطْ
وناظرات من فروج الرَّقم (١٠) مذ سُنت (١١) عليهنّ السجوفُ لم تُمَطْ
بيضاتِ كِنٍّ مُلْسٍ لو خُطِّيت (١٢) ما بينهنّ وصمةٌ لم تحخط (١٣)

(١) تلط: تلصق. (٢) فى الأصل "يعمى". (٣) فى الأصل "تحط".
(٤) السنبك: طرف الحافر. (٥) فى الأصل "تترط". (٦) علط: وسم، وفى الأصل "غلط". (٧) العسيب: الذى لم ينبت عليه الخوص وما نبت عليه الخوص فهو السعف.
(٨) السفط: الجوالق وهو شىء يشبه القفة. (٩) الغبط جمع للغبيط وهو اسم لعدّة مواضع.
(١٠) الرَّقم: ضرب مخطط من الوشى أو الخز. (١١) سنت: وُضعت، وفى الأصل "مشنت".
(١٢) فى الأصل "حطيت". (١٣) فى الأصل هكذا "تحط".

(٢٣٧)

لم يُبتَذَلنَ أوجها وأيديا ... فى وهَج النارِ ولا مخض الأقِط (١)

وادى الغضا يرقدن حوليه الضحى ... لطيمةُ السَّفر اليمانين تُحَطّ

كأن روضا تتهاداه الصَّبا ... هبّاتُهنّ يتنازعن الشُّرُط (٢)

طرقتهنّ والدجى لم ينفتق ... وسبحة الجوزاء لما تنخرط

أنشد قلبى عندهنّ ضلّةً ... نشدك بالقاع بعيرا منتشط

وبينهنّ ظبيةٌ شارفةٌ ... لم نتعرَّف عندَها قبلى اللُّقَط (٣)

ضاعف درعيها وقد تجرّدتْ ... مرجَّلٌ (٤) أسحمُ (٥) ذيّالٌ قَطَط (٦)

وَحْفٌ (٧) اذا ما غرّبت [فيه] (٨) يدا ... فارقةٍ (٩) أدردَ أسنانَ المُشُط

صدّ بها معرِضةً أن قرأتْ ... خطًّا من الشيب بفودىّ وَخَط

من منصفى من عنَتٍ فى طرفها ... يزحمُ هُدّاب الرداءِ بالشَّمَط

قالت : كبِرتَ ، والغنى (١٠) معبسٌ ... لا بدّ ما لم تُختضَر فتعتبط (١١)

دبت أفانينُ صروف الدهر لى ... أساودا (١٢) فناهشتنى ورُقُط (١٣)

ونجّذتنى (١٤) حقَبٌ عُلوقها ... بالشيب وهى لم تجنّى فُرُط (١٥)

وكم أصبتُ ثم أرمى غلطا ... فدلّنى على الإصابات الغَلَط

وصاحبٍ كالجرح أعيا سَبرُه ... وجلّ عن ضبط العِصاب (١٦) والقُمُط (١٧)

(١) الأقط : الجبن المتخذ من اللبن الحامض . (٢) الشرط جمع شريط وهى العتيدة تضع فيها المرأة طيبها وفى الأصل "السرط" . (٣) اللقط جمع لُقطة وهى ما يجده الإنسان . (٤) المرجّل : الشعر المسرّح . (٥) الأسحم : الأسود . (٦) القَطَط : القصير الجعد . (٧) الوحف : الكثير الملتف . (٨) ليست بالأصل . (٩) فى الأصل "فارَقَةٌ" . (١٠) فى الأصل "والفتى" . (١١) فتعتبط : فتموت بلا علة . (١٢) أساود جمع أسود وهو العظيم من الحيات . (١٣) رقط جمع رقطاء : وهى الحية التى بها نقط . (١٤) نجذتنى : حنكتنى . (١٥) الفرط : الظلم والاعتداء والأمر المجاوز فيه عن الحدّ . (١٦) العصاب ما يربط به من منديل ونحوه . (١٧) قمط جمع قماط وهو قطعة عريضة من القماش تشدّ على الصبىّ .

حملتُـــه لا أتشـكّى ثِقـــلَه كى[1] لا تقولوا : طَرِفٌ[2] أو مشترطْ

وكـالشـــجا قافيـــةٌ أسغتُهـــا لو عارضت حنجـرةَ البازلِ أطّ[3]

أُسمِعها مسـتدعيا منـــه الرضى أصمَّ لا يســـمع إلا ما سخَـطْ

يأكـل مـــدحى وعتابى سُحُتا حلوا ومرّا ماضغا ومســـترِطْ[4]

يأكله بالذلّ ممنـــونا به فلا يبـالى ساقطٌ كيف لقَـــطْ

ليت بنى " عبـــد الرحيم " ليتهم يبقون لى من عَرَض الدنيا فقطْ !

الواهبين طُعمـــةً أرضَهم ما أخصب العـامُ عليهم أو قَحَطْ

والمـانعين أَنَفـا جارَهُـــمُ لم يلتصـــق بنسبٍ ولم يُنَـــطْ

يحاط فيهم وهو ممنـــوع الحمى اذا تسمّى بأسمهـــم لو لم يُحَـــطْ

سادات مجـــد واذا قستَ بهـــم ســـيّدَهم باعدَ فضـــلًا وشحَطْ

جاء " الحسينُ " فاحتذى مثالَهم ثُمَّتَ زاد جائزا تلك النُّقَـــطْ

يشمخ أن ترفعَـــه وراثةٌ عليـاءُ لم يَرفَعْ لهـا ولم يَحُـــطّْ

كالليث لا تحـــلو له مضغةُ ما لم يفتـــلِذْ بكفّه ويعتبِـــطْ

مدّ الى ناصـــية المجـــد يدا ينقبض المـــزنُ مكانَ تنبسـطْ

تُفـــدَى بيسرى[5] لك إن أعجلتَهـا بالجـــود يُمنَى كلِّ روّاغٍ مُلِطّ[6]

يعطى مقـــلًّا ويضنُّ مكثِرا وإنمـا أحسنتَ ظنـا وقنَـــطْ

وما يد البخيـــل إلا ســـوأةٌ متى بدت بارزةً فقل : تَغَـــطّْ

ومنكـرٍ حقَّك لم تعـــلَقْ به من الوفاء شيمـــةٌ ولم تَلَـــطْ[7]

أسلفتَه — لو شكر العبد — يدا غطّى عليهـا بالجحـود وغَمَـــطْ

---

(١) فى الأصل "فى". (٢) الطرف : الذى لا يثبت على هوى . (٣) أطّ : أنّ .
(٤) المسترط : المبتلع . (٥) فى الأصل "بيسر". (٦) الملطّ : الجاحد لحق . (٧) تلط : تلزم .

لو شئتَ بعـد غلطةِ الأيّام فى آر ... تقائه جازيتـه لمّا سـقَطْ
غرَّر اذ خاطـرك الجهـلُ به ... ما كلّ من أبصر عشواءَ خَبَطْ
ما كنتَ إلا جبـلا أرسَى ولا ... كان سوى سهمٍ من الشرّ مَرَطْ (١)
اِسمعْ فما تُؤثَر أخبارُ العـلا ... إلا شـذوذا وهى عنك تنضبِطْ
هل أنا فى وصـفك إلا ناقلٌ ... تُمـلِى سجاياك عـلىَّ وأخُطّْ
أوانسا لولاك ما كنتُ بها ... ـ ما فَارقتْ حشمتَها ـ بمغتبِطْ
كلّ نَـوارٍ (٢) لم يفارق نزقـةً ... أخمصُها النعلَ وجنباها النَّمَـطْ (٣)
كم عنُـقٍ وهى لها طوقٌ وكم ... من أذنٍ تُصـغى لها وهى قُرُطْ
أروضها لا نصـبى ضاع ولا ... أجرىَ فيها عنـد نعاك حَبِطْ
فى كلّ يـوم قاسمُ الحسن به ... أقسط (٤) فى غيرى وفى شعرى قَسَطْ (٥)
كنْ كسالَى قبلـكم لكنّه ... ما نشِط الإحسان للشـعر نَشِطْ

✦
✦ ✦

(٣٤٨) وقال وكتب بها الى الرئيس سعد الملك أبى الحسن (٦) بن حاجب النعمان يعتـد له بمراعاة أسلفه إياها ، وتحفة جميلة حباه مبتدئا بها عنـد آستدعائه للقصـيدة البائية (٧) التى تقدمت ويهنئه بالنيروز

بكَرتْ هِيماً (٨) تحِـلُّ الرُّبُطا (٩) ... تملكُ الماءَ عـلى سربِ القطا
تحسَب الأخفـافَ فى أجنحـةٍ ... طرنَ والجرجارَ (١٠) منها اللغَطا (١١)

---

(١) مرط : أسرع . (٢) النوار : المرأة النفور من الريبة . (٣) النمط : ضرب من البُسط .
(٤) أقسط : عدل . (٥) قسط : ظلم . (٦) بالأصل : أبى الحسين وقد تكرر فى عدة صحائف من الديوان بهذا الضبط وفى آبن الأثير " أبى الحسن " وقد آعتمدنا روايته . (٧) يشير الى القصيدة البائية التى نشرت فى الجزء الأوّل صحيفة ٨٨ . (٨) هيما : عطاشا . (٩) الربط جمع رباط .
(١٠) الجرجار : تردّد صوت البعير فى حلقه . (١١) اللغط : صوت القطا .

كلّ هـــوجاء (١) ترى فى حبلهـا ... من " أبانٍ (٢) " منكبا منخــرطا

تصف المعـــقولَ منهـا ماردا ... غُـــلَّ والناشــطَ سهما مَرَطا (٣)

ما رأت جزْعَ " أشيٍّ (٤) " خُوصُها (٥) ... فـــرأت كفَّ لعُنْقٍ مَضبَطـا

ظـــمأً لا يتبغّين (٦) لـــه ... مُشتكًى إلا وســيعاتِ الخُطـا

فانهَ ياحابسَها فضـــلَ العصـا ... إنمـا تأمر أمرا شطَطـا

وعـــلى المـاء الذى جئت له ... كلّ جمٍّ الأخـــذ مَزورِ العطـا

يمنـــع الرشـــفةَ لا ترزأهُ (٧) ... ويفـــرّى (٨) بالحـاظ النَبطـا (٩)

بارد الريـــق اذا مرَّ ســـق ... مرهف الجفن إذا همّ سطـا

يافروع البان من " وادى الغضا " ... زادكنّ الله بى مختبطـا

أجتنى حيث اجتنَى الظبيُ العـــرا ... قَ أو أعطى المـــنى حيثُ عَطـا (١٠)

وســـقِ الدمـــعُ وإلا فالحيـا ... ذلك الملـــعبَ والمختـــلطـا

آهِ كم فيكنّ لى من نظـــرةٍ ... قتلتْ عمـــدا وكانت غلطـا

وفـــؤادٍ أبـــدا أرمى بـــه ... لعيونٍ تســـتقلّ اللُّقطـا (١١)

ومَقيـــلٍ فـــرَشَ اللهوُ بـــه ... فوقكنّ الأزْرَ (١٢) لى والرِّيَطـا (١٣)

زمنٍ ليت المـــنى تَرجِعُـــهُ ... لـــو بليتٍ رُدَّ عيشٌ فَـــرَطا!

---

(١) الهوجاء : الناقة المسرعة كأن بها هوجا . (٢) أبان : اسم جبل . (٣) مرط : أسرع . (٤) أشىّ : اسم موضع بالوشم والوشم واد باليمامة . (٥) خوص جمع خوصاء وهى غائرة العين ، وفى الأصل " حوضها " . (٦) يتبغين : يبتغين ، وفى الأصل هكذا "يتبعن" . (٧) ترزأه : تنقصه . (٨) يفرّى : يشقّ . (٩) النبط : الماء النابع أو الماء الذى يخرج من البئر أوّل ما تحفر ، وفى الأصـــل " النيأطا " ولم نهتد اليها فى معاجم اللغة فاضطررنا الى نقلها الى ما يلائم السياق . (١٠) عطا : مد رأسه ورفعه . (١١) اللقط جمع لقطة وهى ما يجده الانسان . (١٢) الأزر جمع إزار . (١٣) الريط : جمع ريطة وهى الملاءة .

كل يوم أتمنّى وطرا لم أكن أمسِ به مغتبطا
أشتكى الآنى الى الماضى ولا يعدَم الأقربُ لى ما شحطا
قل لبيضاءَ توسّعت بها : قد تلثّمتُك صِلًّا أرقطا
إنما كنتِ حساما حُطّ فى مَفرِقى وآسمكِ شيبٌ وَخَطا
أنكر الطُّرّاقُ منه قبسا أعلق النارَ به من سلَطْ (١)
وتواصت رسلُ الألحاظ من قبل أن تبلغَه أن يسقطا
قمتُ فى نادى الهوى أندبُه شَعَرا صار برغمى شَمَطا
ولئن هان ضعيفا ذاويا فبما عزّ دهينا قَطَطَا (٢)
وأخ والنوم فى أجفانه نحلةٌ شنّوا عليها المأقطا (٣)
ومن الليل عليه فضلة ميسمُ الصبح بها ما علطا (٤)
وسطورُ الأفْق [قد] (٥) جلّلها أزرقُ الفجرِ فعادت نُقَطا
والثريا فى مآخير الدجى هامةٌ شمطاءُ غلّتْ مُشُطا
قلت : قم قد يئستْ منّا العلا فتمطّى يُوسِدُ الكفَّ المَطَا (٦)
ينفض الونيةَ عن أعطافه منفض المعقول لاقى مَنشَطا
ثم قال : آطلب بنا غاياتها وتقحّمها مخيضا مُورِطا
قد مللنا الناسَ فآصفح عنهُمُ عرْضَ هذا الملإ المنبسطا
لا تقعْ إلا رءوسا فيهُمُ دع ذناباها لهم والوسَطا
فأثرناها رفيقَىْ عزمة شاكلتْ بينهما فاختلطا

---

(١) سلط : دهن بالسليط وهو الزيت . (٢) القطط : الشعر الجعد القصير . (٣) المأقط : موضع القتال أو المضيق فى الحرب ــ و يراد به هنا الخلية ، وفى الأصل "الأقطا" والأقط الجبن المتخذ من اللبن الحامض ولا يتفق والسياق . (٤) عَلَطَ : وسم . (٥) ليست بالأصل . (٦) المطا : الظهر .

نأخذُ الأرفــعَ من طُرْق العــلا ونعــدِّى المنحــنى والمهبِطا
فوصلنـا والعــلا لم تختضــعْ بٱعتسـاف والــذُّرَى لم تُلتَطا (١)
نــرِدُ الغُــدرَ زُلالا شَبِما ونفىء المجــدَ ظــلًّا سبطا
والــثرى أخضر لا يلبســه جِــلدةَ الشهبـاءِ عامٌ خَِّطا
واذا العــوراء غطّتْ وجهها عنـك لم تُلق عـلى المـال غِطا
ليس إلا جفنــةٌ فهّاقــة (٢) للقِــرى أو بازلا معتَبَطا
غرِرٌ تجــلو الدياجى ولُهى يتفرَّجنَ الخطــوب الضَّغَّطا
[نعم] (٣) باناتُ صَبًّا مطــلولةٌ تطــرد الريحَ شمـالا قِطْقِطا (٤)
تسرح الأبصـار حيث ٱقـترحت والرجاء الرحب كيف ٱشــترطا
كلُّ فضــلٍ عادل مــيزانه فاذا جاء عطـاءٌ فَــرَّطا
لا تعبّس نعمــةٌ ضـاحــكةٌ قاسم الحــظِّ (٥) بهـا ما غلِطا
رضىَ المقــدار والحــظُّ بهـا إنْ رضى حاســدُها أو سخطا
لبنى "عبــد العزيز" ٱجتهدتْ بــوجيف (٦) المنتــقِى والمَــرَطَى (٧)
لمساميحَ حــوَوْا سقفَ العـلا حِصصًـا وٱقتســموه خُطَطا
كلُّ وضّاحٍ قُــدامَى دســتِه قُبَــلُ الآمالِ تحــفِى البُسُــطا (٨)
تبصــرِ الغاشين حــولَىْ بابه أبــدا رَكْبا ورَجْــلَى سُمُطا (٩)
لو مشى حولا على شــوك القنـا ورأى الضــيم قعـودا ما ٱمتطى

(١) لم نوفق الى معناها ولعلها "تمتطى". (٢) فهاقة: ممتلئة. (٣) ليست بالأصل. (٤) القطقط: المطر المتتابع العظيم. (٥) فى الأصل "الخطّ". (٦) الوجيف: ضرب من السير أو هو العنق. (٧) المرطى ضرب من العدو. (٨) البسط جمع بساط. (٩) سمط جمع سماط وهو الصف.

فاذا آستُصرِخ فى نازلةٍ	سلّط الآراءَ فيها سلَّطا
قام تأويد الخلافات بهم	حادثاتٍ وسلافا فُرُطا
واذا لم يصبحوا أربابَها	وزَروا فيها وكانوا الوسطا
واذا ما ولدوا بدرا جلا	ظُلَمَ الأرض وبحرًا غَطْمَطا (١)
مثلما أحيا الندى "نخرُ العلا"	وآستراش الكرمَ المنجلطا (٢)
ساكنُ الصدر ليانٌ مسُّه	فرشَ البشرَ شِعارا ووِطا (٣)
شائما فيها ظبًا مبروّةً	يفتلن الصارم المخترطا
مثلَ حيّات النقا ما عرَمتْ (٤)	كان مأكولا بها مسترَطا (٥)
مبصراتٍ فقَرَ القول اذا	ما آبنُ عشواءَ بليل خبطا (٦)
تضبِط الدنيا فإن سام يدا	ضمَّ دينارٍ أبت أن تضبِطا
وسعى طفلا فطالت يدُه	سوددًا كهلَهم المختلطا
جئتُه والدهر قد أرصد لى	من خفىِّ الكيد ذئبا أمعطا (٧)
وجروح اليأس فى حالى سدى	تقذف القيد وتعى القُمُطا (٨)
فوقَ جذلانَ حتى ردّنى	وقصارى غايتى أن تُغبَطا
تأخذ الأبصارَ منى شارة	تدع الشيخ فتًى مستشرطا
نعمةٌ لو قعد الشكر بها	بهرت وآشتهرت أن تُغمطا (٩)
فاتت الأملاكَ حتى منعتْ	كلّ راجى غايةٍ أن يقنطا (١٠)

---

(١) غطمط : كثر ماؤه وعظمت أمواجه . (٢) المنجلط : الذى كشط جلده فذهب ريشه ، وفى الأصل "المختلطا" . (٣) الوطاء : خلاف الغطاء . (٤) عرمت : أخذت ما عليه من لحم . (٥) مسترطا : مبتلَعا . (٦) فى الأصل "حبطا" . (٧) الأمعط : الذئب لا شعر على جسده . (٨) فى الأصل "العيل" ، والقمط جمع قماط : وهو الخرقة تلف على الصغير اذا شدّ فى المهد . (٩) فى الأصل "تعمطا" . (١٠) فى الأصل "يقبطا" .

فاستمـع تخـــبِرْك عـــنى شـــرَّدٌ | تقطـع الأرضَ الربَى والغُــوطا[1]
تـــدع الآمال إما روضـــةً | سُـــقيتْ أو عِـــترةً[2] أو نمَطا[3]
معدِنٌ كلُّ لسـانٍ مفصِـــح | حـولهـا يســـقط حـــتى تُلْقطا
وإذا هُجْنَ القـــوافى نُسِـبَتْ | كانت "العُربَ" وكُنّ "النبطا"
وإذا النـــيروز ضمّت عطفَـــه | فـــترةٌ هـــزّته حـــتى يَبسُـــطا
فابتـــدا بين يديكم قائمـا | لكُمُ يَفتح منهـا سَـــفَطا[4]
فاهتبلهـا تحفـــة وآنعـــم بهـا | زائـــرا [إمّا دنا][5] أو شحطـا

✦

وقال يمدح كمال الملك أبا المعالى وهو مع أخيـه بالبَنْدَنيجين[6] ، يهنّئه بالعيـد والمهرجان ويتشوّقه

أصبْ برأيي أصـابَ الحظُّ أو غلِطا | فانهض له كسلَ المقـدار أو نَشِـطا
ولا تفـــرّط جلوسا فى آنتظار غـد | فخـير عزميك أمرٌ لم يكن فُرُطا
خاتلْ يدَ الدهرِ وآنصُـل غيلةً أبدا | من حبـــله مارقَ الجنبين منخـرطا
ولا تشـاوِرْه فى أمرٍ هممت بـــه | فـــربمـا لهـــوّجَ الآراءَ أو خبطا[7]
إن قلت : خذ بيدى فى الخوف ، أرسلها | أو قلت فى الأمر : دعنى مرسَلا ، ضبطا
أبو العجائب أدوى[8] أو شـفا وكسـا | أو برَّ مرتجعـا أو حـــلَّ أو ربطا
جبْ هذه الأرض إمّا عشتَ محتشما | مؤمَّـــلا فـــوقهـا أو متَّ معتبِطا[9]

---

(١) الغوط جمع غوطة وهى الوهدة فى الأرض . (٢) العترة : القطعة من المسك الخالص .
(٣) النمط : ضرب من البسط . (٤) السفط : الجوالق . (٥) فى الأصل هكذا "ما ذنبا" .
(٦) البندنيجين : بلفظ التثنية موضع بناحيـة العراق معرّب (وندنيكان) وهى بلدة مشهورة من أعمـال بغداد . (٧) فى الأصل "خطا" . (٨) أدوى : أمرض . (٩) معتبطا : بلا علّة ، وفى الأصل "مقتبطا" .

إما ذُنابَى فلا تحفل بمنقصة ... أو قمّة الرأس واحذرْ أن تقع وسَطا

فما الحياة وإن طالت بصالحة ... لمن يعدُّ متاعا بائرا سقطا

ما خطة العجز والأرزاق معرضةٌ ... إلا لمن نام تحت الذلّ أو قنطا

يا أهل "بابلَ" لا طار الوفاء لكم ... بعدى اذا سرت فى جوّ ولا هبَطا

لأتركنّ رحيلى عنكمُ سمةً ... شنعاءَ يعلُط فيها العارُ من عَلَطا (١)

كم يمضغ البين لحمى بين أظهركم ... ور بما ملَّ طولَ [المضغ] فاسترطا (٢)

كأنى صعبةٌ فيكم معبدَّةٌ (٣) ... بدت من السرح فى وادٍ وقد لُقِطا

لا فرجة الرائحات السائمات لها ... ولا ترى ممسكا فى الله مرتبطا

وإن رأى ربها نشدانها (٤) وقعت ... فى جانبٍ لم يُعرَّف أهلَه اللُّقطا (٥)

فهى لمثلى مقامٌ عند مثلكُمُ ! ... وعند سفن الفلا الإرقاصُ (٦) والملَطى (٧)

والأرض حاملةٌ ما شاء راكبها ... بزلاءَ (٨) ذات سنامٍ (٩) تامك ومطا (١٠)

فلتأتينّكُمُ بالغيب هاجرةٌ ... يُضحى بها ورقُ الإعراض مختبطا

صوائبا كسهام النزع معتمِدا ... وافى لمقصده أو عائرا (١١) مَرِطا (١٢)

تمضى (١٣) فلا يملك الإعتابُ رجعتَها ... ومن يردّ عقيلا بعد ما انتشطا

باتت تخوفنى الأخطارَ مشفقةً ... ترى الإقامةَ حزما والنوى غلَطا

هل تعلمين امرأً ردّتْ مخالتُهُ ... على الحفيظين ما خطًّا وما نقطا

---

(١) يقال : علط الناقة بمعنى وسمها بالعلاط . (٢) فى الأصل هكذا " المغض " .
(٣) يريد بالصعبة المعبدة : الناقة الشاردة . (٤) فى الأصل " وأى " . (٥) اللقط جمع لقطة وهى ما يجده الإنسان فى الطريق . (٦) الإرقاص : الارتفاع والانخفاض فى السير .
(٧) الملَطى : ضرب من العدو، وفى الأصل " الالطا " . (٨) البزلاء : الناقة المسنة .
(٩) سنام تامك : عظيم . (١٠) المطا : الظهر . (١١) العائر : السهم لايدرى من راميه، وفى الأصل " تر " . (١٢) مرط : أسرع . (١٣) فى الأصل " تملك " .

وهـــل رأيت الذى نجّـاه مجثمُــــه ... بعقوة الدار أو أرداه إن شحطـا
ما نحن إلا قطينُ الموت يعسـف با ... لوانى ويُلحقُ[1] بالسلّاف من فرطـا
وطـــولُ أيامنـا والدهر يطلبنـا ... مراحلٌ تنتهى أعـــدادها وخُطـا
وقد كانت الدارُ دارى والكرام بهـا ... حماةُ سرحى وجـــيرانى معى خُلَطـا
يحرِّمونى فـــلا عـــودى بمهتَصِر ... فيهم ولا خُضُرُ أوراقى لمن خرطا
ويؤمنـــون بآياتى فيتبعهـــم ... مقـــلّدا من بغى فيهـا ومن غمطـا
صحبتهـــم وشبابى روضـــةٌ أُنُفٌ[2] ... ألوثُ منـــه برأسى فاحما قَطَطـا[3]
مرفرفين عـــلى برّى وتكرمتى ... حتى غدا شعَرى فى لِمّتى شَمَطـا
لا الظن اكدَى ولا أجدى بمدحهمُ ... وحبهـــم حاس[4] منقـالا ولا حبطـا
أجادلٌ[5] من بنى " عبد الرحيم " علتْ ... محلِّقات وخلّتـــنى ومن سقطـا
لمـا رأت قُلل الأطواد ساكنةً ... أولى بهـا عافت الأوطان والغُوَطـا
لو لم تكن أنجـا للناس ما طلبت ... ذُرَى الشواهق فاختطت بها خططا
ناطوا منـازلهم بالهُضْب نازحـــةً ... فقطّعوا وحشـــةً من قلبى النِّيَطا[6]
كأنهـــم يوم زمّـــوها مخيّســـة[7] ... كانت على كبدى أيدى المطىّ تطـا
بانوا[8] بغبطـــة أيامى وكان بهـــم ... عيشى كما اقترح المحبـــوب واشترطا
فإن سألتُ زمانى أن يعوّضَـــنى ... بهـــم بديلا فقـــد كلّفتُه شططـا
ســـعى إلينا " كمالُ الملك " غاديةً ... وطفاءَ[9] تُرضى من الإعراض ما سخطا

---

(١) فى الأصل " يحلق " . (٢) الأُنُف : التى لم يرعها أحد . (٣) القطَط : الشعر الجعد القصير . (٤) حاس : أفسد . (٥) أجادل جمع أجدل وهو الصقر . (٦) النيط : عرق علق به القلب ، والأصل فيه سكون الياء وحركت للضرورة . (٧) مخيسة : مذلّلة . (٨) فى الاصل " نابوا " . (٩) الوطفاء : السحابة المسترخية لكثرة مائها .

اذا سرت روّضت بالأرض أو جعلت ... عَرضَ البسيطة فيما بيننا بُسُطا
كأنها بمجارى ذيلها رقمت ... وشيا بنمنمةٍ أو فوقت نَمَطا (١)
لها من الفكر إمداد بلا أمدٍ ... كأنما ماؤها من كفه آنبسطا
تردّ معرضةَ الأسماع مقبلةً ... والجعدَ من كلّ فهمٍ ليّنا سَبطا
تميس فيها سجاياه فتحسبها ... كواعب الحى قامت تحمل الريطا (٢)
جزاء ما حاط لى من حرمة ورعًى ... عهدا وما مدّ من نُعمى وما بسطا
فتى يرى يدىَ العليا على يده ... اذا سألتُ نوالا أو قبلتُ عَطا
أفادنى العزّ فى الجدوى فصيّرنى ... على آنقباضى الى جدواه منبسطا
ردّ الكمال حبيسا فى حبائله ... عبدا فأطلق عن أيدى الندى الرُّبُطا
لو كان خُلْق الندى مما يُجاد به ... حباك أخلاقَه جذلانَ مغتبطا
خلائق تحبس الغادى لحاجته ... طيبا وتستنزل الأحداجَ والرُّبطا
كان خمّار "بُصرى" (٣) بات يسكبها ... أو فضّ عطّار "دارين" (٤) بها سفَطا
حلوٌ جناها اذا عاذ الصديق بها ... وحنظل من أعاديها لمن خبطا
سهولة الماء فيها رقة وندى ... وقسوة النار فيها هيبة وسُطا
اذا حمى أقسطت (٥) أحكامُ صارمه ... وإن همى قاسما أمواله قسَطا (٦)
اذا آستجمّوه لم تضغطه جلسته ... توحشا أو دعوه فرّج الضَّغَطا
كالسيف تلبس منه مغمدا شرفا ... وشارةً ويقيك الشر مخترطا
كفى القبيل (٧) وحيد لا قرين له ... وساد أمردَ من بالشيب قد وُخطا

(١) فى الأصل "فوقت". (٢) الريط جمع ريطة وهى الملاءة. (٣) بُصرى: من قرى بغداد قرب عُكبرَاء. (٤) دارين: فرضة بالبحرين يجلب اليها المسك من الهند. (٥) أقسطت: جارت وظلمت. (٦) قسطت: عدلت وأنصفت. (٧) فى الأصل "القتيل".

قد أرهقـــوه فلا جبنـا ولا جزعا وآستخطبوه فـــلا عيّـا ولا لَغطا
اذا آستغشّوا فلولَ السـيف وآتهموا من الذوابل محطوما ومنتحطـا (١)
سَلّتْ (٢) يداه وعينُ الحرب راقـدةٌ لهم أساودَ (٣) يقسـمن الردى رُقُطا (٤)
ضمـوا الى تالد العليـاء طارفهـا تمازج الكسبُ والميراثُ وآختلطـا
بنَتْ (٥) له "فارسٌ" بيتا دعامتـه فى الأفق لا بين "ذى طَلْح وذى الأَرَطا"
قوم قِرى ضيفهـم عقر البـدو ر اذا غدا قرى المعتمين السمنَ والأقِطـا
اذا آحتبت حلقة النـادى بعـزّهمُ نصّوا الدسوت ومدّوا دونها السُّمُطا
كنتم رضاى عن الدنيا فلو حفِظتَ من النوى شملَكم لم أعرف السخَطا
تركتم عيشـتى بلهاءَ عاطشـةً فى مجهلٍ (٦) سبسبٍ (٧) [ينُسى] (٨) القطاةَ قَطا (٩)
قد عرق (١٠) الدهرُ عظمى بعـد فرقتكم من بعد ما حزَّ فى جلدى وما كشطا
فلاحظـونى على بعـد المـزار بما يكون سـترا على عـوراته وغِطا
فليس بينى و بين الرزق غـيرُكُمُ إن جل أو دقّ سُـفّارٌ ولا وُسطـا
وآسمع لها — أنت خير السامعين لها — عـذراءَ ما طُـرَّ معناها ولا لُقِطـا
مزفوفـةً لم يضيّعها حواضنُهـا زُورًا ولم تعرف المِدْرى (١١) ولا المُشُطا
تغـنَى بشافعها من حسنها أبدا عن التحسن مسـتجلًى ومشـترَطا
كأنهـا لعـلوق السامعين بها تُهـدى الى كلّ سمع عاطلٍ قُرُطا
للهـرجان بهـا والعيـدِ ساريةٌ ظهـرا ينقّلهـا رفعا ومنهبطـا

(١) منتحطا: مزجورا. (٢) فى الأصل "شلت". (٣) الأساود جمع أسود وهو الثعبان. (٤) رقط جمع أرقط وهو المنقوط من الحيات. (٥) فى الأصل "دعامته". (٦) المجهل: الأرض لا يهتدى فيها، وفى الأصل "جاهل". (٧) السبسب: المفازة أو الأرض البعيدة. (٨) هذه الكلمة ليست فى الأصل. (٩) قطا: حكاية صوت القطاة. (١٠) عرق: أكل ما عليه من لحم. (١١) المدرى: المشط.

يومان إن خولفت جنسا [هما] فلقد (١) (٢) تناسَبا فى اجتماع السعد وارتبطا

"للفرس" "والعُرب" من شأنيهما شرفٌ يردُّ خزيا على أعقابها "النَّبطا"

فطاوِل الدهرَ مغبوطا بحظِّهما فى ظلّ نَعماءَ مَنْ دامت له غُبِطا

* * *

وقال فى الثريا

ما نازل بمن علا وصاعدٌ بمن هبط ؟

دانٍ على رأى العيو ن وهو إن ريمَ شطط

فهو اذا درجتَه فوق وتحت ووسَط ،

جسم له وجهان ما شاء الجمالُ واشترط

وأعين لم يحصهـ ـنَّ بحسابٍ من ضبط

يقلّ فيهن المصيـ ـبُ والكثيرُ من غلط

لا تسَعُ الدنيا له بعضا ولا سيرٌ يُحَطّ

* * *

قافيـــة العين

ولم يوجد له فى قافيـــة الظـاء شىء

وكتب الى عميد الرؤساء أبى طالب فى النيروز

هبَّتْ ومنها الخِلابُ والخدَعُ تأخذ منّى باللوم أو تدعُ

لأهُبةِ السيرِ لا تطيرُ مع الـ ـذكر بها لوعةٌ ولا تقعُ

لم يختلب جنسَها الوداعُ ولا آهـ ـترّت لها خَلف ظاعنٍ ضِلَعُ (٣) (٤) (٥)

(١) هكذا بالأصل و يقال إنها لغة . (٢) زيادة ليست فى الأصل . (٣) فى الأصل "يحتلب" . (٤) فى الأصل "لما" . (٥) ضلع بوزن عنب : عظم صغير من عظام الجنب منحن ، وفى الاصل "صليع" .

قبلك أعيتْ عــواذلى أُذُنى أىّ صَفاةٍ بالعــذل تنصــدعُ
فى ســلف الرائحين جائرةٌ تُســمَعُ أحكامُهـا فتُتَّبَــعُ
لهـا ســوادا قلبى وطرفى فمـا يغرب فيها دمعى ولا الجــزعُ
حوراءُ ودّ الظبىُ المكانَ الذى (١) تنظرُ منـــه والظبىُ مرتبِــعُ
صحَّحَ رِقىّ حبُّ الــوفاء لهـا ومهجتى فى لحـاظها قِطَــعُ
بانت بحـلو المنى وعيشى، وآ (٢) تى العيش ماضٍ لوكان يُرتَجَعُ
وعلّمتْ طيفَها الصــدودَ وقد كنتُ بإفك الأحلامِ أقتنــعُ
وليلةَ "النَّعف" والسُّرى آمرٌ بالنـــوم والشــوقُ زاجرٌ يَزَعُ
أكرهتُ عينىعلى الكرى أرقبالـ ـطَّـيف ونـــومى أُولاه ممتنِــعُ
فمـا وفت شيمــة مـلوّنةٌ تُستنّ فى غدرها وتُبتــدعُ
حتى تمنيتُ لو سهرتُ مـــع ا لرّ كبِ وودّ السارون لو هجعوا
شيّبنى قبــل أن كبِرتُ له حبُّ "لظمياءَ" ناشىءٌ يَفَــعُ
يأخذ ما تأخذ السنون من الـ ـجسم ولا يــترك الذى تدعُ
آهِ لشــمطاء (٣) لا هى الشـــعر برأسى ولا هى الصَّـــدَعُ (٤)
تؤذننى بالمــدى وتخرُقُ من عمرىَ مالا تســدُّه الرُّقَــعُ
صحبتُ منهـا يُبس الرفيق ويا ليت آفترقنا من قبــل نجتمعُ !
كصاحب البــلدة القَواء (٥) أخو ه الذئب فيهـا وجارُه السَّبُعُ

(١) فى الأصل "ردّ" . (٢) فى الأصل "عيش" . (٣) الشمطاء : ما خالط بياضها سواد . (٤) هكذا بالأصل وهو غير متزن فضلا عن تعقيد معناه، ولعله يريد أن يقول :

آه لشمطاءَ لاهى الشـعر [مو فورا] برأسى ولا هى [الصلع]

(٥) القواء : القفر .

قالوا : ٱرتدعْ إنه البياض وقد كنتُ بحكم السـواد أرتدعُ

لم ينقـل الشيْبُ لى طباعا ولا دنّسنى قبـلَ صقـله طَبِعُ (١)

نفسيَ أحمَى من أن تُحـلَّمَ بالـ ـوعظ وقلبى بالمجـد مضطَلِعُ

وإن هوى بى أوحطّنى حُمُق الـ ـحظ فهمّى يسـمو ويرتفـعُ

صَدَقتُ دهرى عنّى ليعـرفَنى لوكنتُ فيه بالصدق أنتفـعُ

وقلت : مِلْ بى عن طَرْق مسألة الـ ـناس وقُـدنى فإنى تبـعُ

جرّبتُ قوما وفاؤهـم بارق الـ ـخلَّبِ لا يُمطـرون إن لمعـوا

فى العسر واليسر يمنعـون فإن أعطَوا تمنّيت أنهـم منعـوا

طمعتُ فيهم حتى يئست وما الـ ـيأس سوى ما أفادك الطمـعُ

فاقعـد اذا السعى جرّ مهضمةً وجُـعْ اذا ما أهانـك الشِّبَعُ

وصاحبٍ كاليـد الشليلة لا يُدفَـعُ شىء بهـا فيندفـعُ

مشى جوادا معى لحين علا تَخمعتْ لى بـوده ضَبُـعُ (٢)

حملت نفسى عنه عزوفا وقد يَخْنَى فيمشى بثقـله الظَّلِـعُ (٣)

وقلت : بابُ الإله إن ضقت مفـ ـتوحٌ وهـذا الفضـاءُ متّسِعُ

وفى وفاءِ الحـلو الوفاء ”آبن أ يّـوب“ مَرادٌ كافٍ ومنتجَـعُ

مولَى يـدى والحسامُ يُسلمها وناصرى يـومَ تخـذُلُ الشِّيَعُ (٤)

علِقتُ منه شَزْرَ القُوَى مَرِس الـ (٥) فتل وحبـلُ الآمال منقطـعُ

أبلج يعـدى الدجى سنـاه فتبـ ـيضُّ اذا خاضهـا وتنتصـعُ

راض العلا قارح العزيمة (٦) وآسـ ـتظهـر حتى كأنـه جَذَعُ (٧)

---

(١) الطبع : الوسخ الشديد من الصدأ . (٢) يقال : خمعت الضبع أى مشت مشية بها عرج . (٣) الظلع : الأعرج . (٤) فى الأصل ” السبع “ . (٥) الشزر : الحبل الشديد الفتل . والمرس : القوىّ . (٦) القارح من الإبل المسن . (٧) الجذع : الفتىّ .

مسدّد النطق مستريبٌ بمـا قال من الحق آمنٌ فــزِعُ
يُطلعــهُ نجــدَ كلِّ مشكلةٍ رأىٌ وراء الغيــوبِ مطّلــعُ
عنَّ على قدرةٍ وجادَ وجوْ "الـ ـجدى"(١) جعدُ الأرواح منقشعُ
وشد منه مُلكُ الإمامينـ جلـ ـدَ المتنِ لا عاجزٌ ولا ضَرِعُ(٢)
ينصــح للهِ والخلافــةِ لا يرفع فى شَــهوةٍ ولا يضَــعُ
وزارةٌ مــذ أتيتَهـا عاشت الـ ـسُّـ ـنَّةُ فيهـا وماتت البــدعُ
تشهد لى أنهـا اليقينُ قضا يا اللهِ والمسلمونـ والجُمَـعُ
وزرتَهــم وارثا أباك فمـا آر تابوا بمـا أصَّــلوا وما آفترعوا
وآغترســوا عِرقَك الكريمَ فمـا أطيبَ ما آستثمروا الذى زرعوا
كان آصطناعا عــلى تمنّعــه منهـم بمن قدّموا وما آصطنعوا
كنت لسانا يقضى اذا نطقـوا قضـاءَ أرماحهــم اذا شرعوا
وســنَّةٌ تدفع المخالفَ عنـ دعوتهــم مذ هم بك آدّرعوا
فضــلٌ طريف منــه ومتّلدٌ تنقُــلُه حاكيا وتخــترعُ(٣)
وحّــدك النـاسُ فى الدعاء ولو ثنَّوا(٤) لضــلّوا إفكا ولو جمَعــوا
وأطنب المـادحون فيــك بمـا صاغوا من السائراتِ أو رَصَعوا
ولم يقــولوا إلا بمـا علمــوا ولا روَوا فيك غــيرَ ما سمِعوا
فليبقَ للناس منك من أطبقَ الـ ـنـ ـاسُ عليه فى الفضل وآجتمعوا
ولتجتنب ربعَك الخطوبُ وفى قــومٍ مَصيــفٌ لهـا ومُرتبَعُ
وليغشَ منك النيروزُ أكرمَ مَن حطَّ اليــه الوفودُ أو رفعــوا

(١) اسم نجم وبرج والأرواح جمع ريح . (٢) الضرع : الضعيف . (٣) فى الأصل "تجترع" . (٤) فى الأصل "لصلوا فكا" .

يومٌ جوادٌ حكاك حتّى على الـ ـتُّـربِ حُلى من جـداه أو خِلَعُ
يعطيك بُشرى الخلودِ ماطفِقت تحتجبُ الشـمس ثمّ تطّلعُ
وليفدِ كفّيك مغـلقُ اليد مخـ ـفورُ[(١)] النـواحى بالبخل ممتنعُ
ما عنـده فى المهمّ يطـرقُه جـدٌّ ولا بالنـدى له ولعُ

* * *

وكتب الى أبى منصور يزدانفادار فى يوم المهرجان

صدق الوشاة ، العهدُ عندكِ ضائعُ لو كان يوعَظُ فيـكِ قلبٌ سامعُ
قُلت : التعاتبُ وهو هجرةُ ليـلةٍ ثم آستمـرَّ وزاد فهـو تقاطعُ
تحتّـكِ[(٢)] نفسٌ تطمئن اذا الهـوى ترك النفوسَ اليـكِ وهى نوازعُ
ومـدامعٍ يُبْسِ النـواحى كلّما بَلَّت[(٣)] عليـك من الحفاظ مدامعُ
أهـوَى المليحـة كلُّ ما أحرزتُه بك ضائرٌ[(٤)]، أفأنت يـوما نافـعُ؟
قسما لئن ردَّ الشـبابَ وجاهَه ما قـد علمتَ فما اليها شافـعُ
أعـدوّةٌ والحُبُّ أنتِ وإنما تَعصينَ فيـه إن أحبّـك طائعُ
شهد الـوفاءُ بأننى لو خنتـه ما كان يجمعـنى وعهـدَك جامعُ
عاداتُ أيامى اللئيمـةِ غادرت نَعِمى بمن أهـوى وهنّ بخائعُ[(٥)]
دمِيَتْ قـروحُك يا جريحَ زمانهِ تحت الحمول، أما لخـرقك راقـعُ[(٦)]؟
نظرا لنفسـك ، ما حياؤك كاشفٌ عنك الهوانَ وما آحتشـامك دافعُ
سالمتُ دهرى قبـلَ أعـلم أنه فيمن يهـادنه السـلامةَ طامـعُ

---

(١) فى الأصل " محفور " . (٢) فى الأصل هكذا " تحتك " . (٣) هذه الكلمة وردت فى الأصل هكذا " بلت " . (٤) فى الأصل " صابر " . (٥) فى الأصل " بجامع " . (٦) فى الأصل " رافع " .

فالآن أصميـــه بســـهمٍ ما له في قلبـــه إلا المنيـــةَ نازعُ
" يَزدانَفَـادارُ " وليس بمـــدّعٍ من قال لابن الشمس: نورُكَ ساطعُ
لا قِـرن لى وعلىَّ منـــه وفى يدى درعٌ مضاعفـــةٌ وسـيفٌ قاطعُ
فى " فارسٍ " نسبٌ يجاذب نخرهُ ما فيـــه لابن المَرزُبانِ[1] منازعُ
لله دَرّك واهبـا متـــبرّعا وسـواك مرغوبٌ اليـــه مانعُ
لم يؤتَ من حظّ الشـجاعة ساهرٌ فيهـا الذى تؤتَى وطـرفُك هاجعُ
وكم أنتضيتَ من الدواة مهنّـــدا خطـــراتُه بالدارعين وقائـــعُ
مَيْتٌ له بالنِّقس[2] نفسٌ حيّـــةٌ ظامٍ وفى شـــفتيه[3] ماءٌ مائـــعُ
يجرى غداة النَّيْـــلِ أسـودَ كالحا وكأنه للنقـــع أصـــفرُ فاقـــعُ
يفـــديك قوم يســـتغيثك كلما خابت وسـائلُ عنـــدهم وذرائعُ
باعـــوا[4] المحامـــدَ بالثراء وحسبهم خسرانُ صفقة ما أجتناه البائعُ
اليومَ عيـــدُ مَن الملوكُ جدودُه الـ ماضون، حقٌّ مســـتفيضٌ شائعُ
كم من نصـــيبٍ للخلافة عنـــدنا فى مثـــله " رمضانُ " منـــه مانع
فالبس له حُلَلَ المعـــمَّر بعـــدَه فى العـــزّ ما نَجَـــمَ الهلالُ الطالعُ
وآسمع ــ كما آنتظمَ الفريدُ، ورقَّ ما ءُ غمامةٍ، وصـفا الفريدُ اللامعُ ــ
بنتَ الليالى الســـود أسهرنى لهـا حفظُ الأيادى البيضِ وهى ودائعُ
لمـا رأيت الدهرَ ضـاق وأهـلَه عـنى وعنـــدك لى فِناءٌ واســـعُ
حصّنتُ باسمـــك جانبىَّ تعـوُّذا فليصنع الحَـدثانُ ما هـــو صانعُ

---

(١) المرزبان : رئيس الفرس. (٢) النقس : الحبر، وفى الأصل " النفس ".
(٣) فى الأصل "شفتاه" . (٤) فى الأصل "وحبه" .

***

وقال يمدح الوزير أبا نصر سابور فى النيروز ويبعثه فى حاجة له

لأيّةِ لِبسـةٍ خلعَ الخلاعَـهْ | وكان عصَى العـذول فلِمْ أطاعَهْ
تلـثّمَ كالغمامـة أعجبتـه | فشام خـلالها برقا فَراعـهْ
وغالى فى ٱبتيـاع صِبًا شرته الـ | ـليـالى منـه مرتخَصا فباعـهْ
قليـلا ما حملتَ عليـه ودا | قليـلا مذ أحبّك ما أضاعـهْ
نزلنـا فى " بنى ساسان " دُورا | بهـا تَسُلَى بيوتُك فى " قُضاعهْ "
وعوّض كلَّ يوم منك حولًا | يسرُّ فكان يـومُ البيـن ساعهْ
ألا يا صاحبى إن ناب خطبٌ | دفعتَ به فأحسِنْ بى دفاعـهْ
نشـدتك والكرى بيد الليـالى | اذا أهـدته أسرعَتِ آرتجاعـهْ ،
أكان سـوى الوزير بنـا وقلنا | لمـاء المزن : جُدْ إلا رباعـهْ (١)
اليه صرفت عن ذا الناس نفسى | كما ٱعتزلت تألّفهـا القناعـهْ
أقول لهمـة لو قيـل : مُدّى | بباع النجم ، لم ترض آرتفاعـهْ
اذا ما الضـيمُ رابكِ فٱستجيرى | ذَرَا " سـابورَ " وٱنتجعى بقاعهْ
ثِقِى ولو ٱن حاجتَـك " الثريا " | اذا ما الليث مـدّ لهـا ذراعـهْ
فَدَى البخلاءُ والجبناءُ (٢) منهـم | فتًى وصـلَ السماحة بالشجاعـهْ
زكنتُ (٣) اليـه ظنًّـا صار حقًا | وكم وقفتْ براكبها الطماعـهْ
وزرتُ فقمتُ بين يدَىْ كريم | تحولُ قُوّى بحضرته الضراعـهْ
صفا ماءً وزدتُ عـلى الهوينـا | صفًا، ما رمتُ فى أ يرِ خداعـهْ

(٣٣٤)

---

(١) كذا فى الأصل وهو مبهم فى تركيبه ومعناه . (٢) فى الأصل "النجباء" . (٣) زكنت : تفرست ، وفى الأصل " ركنت " .

أقـــول لسائلى بك وهـــو ناءٍ كأن لم يرضَ من خبرٍ سماعهْ[١] :
أمامكَ مُلْك "آل بويه" فآسأل بذاك الشمل من ولِىَ آجتماعــهْ
ومن لو أبصر الأعــداءَ وحشــا تعقّبـــه فصـاد لهم سباعــهْ
واو زحمـــوا "ثبيرا" فى مضيقٍ ألان على مناكبهم صِراعــهْ
لقــد أُعطيتَ عدلَ الحــقّ حتّى لحلتك[٢] تقسمُ الدنيـا المشاعــهْ
وما ملِكٌ يعـــد الرأىَ إلا فتًى وصلتْ قنـاةُ الخطّ باعــه
ولا أولادك الأوضـاحُ إلا وفودُ الفجر أحرزت الصداعــهْ[٣]
هـــو البيت آطمأنّ المجــدُ فيه فالقى وآســتقرّ به مَتاعــهْ
ومن حسناتهم ذا اليوم عيدٌ حووا سبقا بفضلهـم آختراعــهْ
وشرّفهم[٤] بفضـــلك ألفَ عامٍ فأمّنك المغذّون آنقطاعــهْ
لعلك ناظـــرٌ فى حالِ عبــدٍ بعين الرأى كيف ترى آصطناعهْ
أعِرْ لَسَنِى سماعَك كيف أشكو ـ وأُظلّمُ[٥] ذاك ـ من حظى ضَياعهْ[٦]
يؤخرنى القـــريضُ لدى أناس ركبت الى مدائحهم شراعــهْ
قصائدُ لو ســبقت بهنّ حــتى أصيّرهنّ فى ســفرٍ بضاعــهْ
شريتُ جَمالَ "يوسفَ" وهو راضٍ بهنّ وعدتُ فآستثنيتُ صاعــهْ
وكم أغمـــدتها وسللتُ أخرى برعتُ بهـا فـــلم تُجدِ البراعــهْ
بُخستُ كتابةً وحُرمتُ شـــعرا فهـل من ثالثٍ لى من صِناعــهْ ؟
أميـــل على الكراهة مـــع أناسٍ كما مالت مـــع الريح اليراعــهْ

---

(١) فى الأصل "ساعه" . (٢) فى الأصل هكذا "لحانتك" . (٣) الصداعة : الإشراق .
(٤) فى الأصل "وشر" . (٥) فى الأصل "وطلم" . (٦) فى الأصل "صناعه" .

وما إن كدّنى إلا ارتكاضٌ ... على رزقٍ يجيء بلا شفاعهْ

فإن يُدرَكْ فأنت له وإلا ... فليس علىَّ إلا الاستطاعهْ

*
* *

وقال يمدح الكافى الأوحد ويودّعه، ويحثّه على قضاء حقّه، وتعجيل سراحه، وأنشده إياها فى صحراء بروجرد، وقد شخص لتراأى هلال شهر رمضان

على أىّ لائمةٍ أربعُ[1] ... وفى أيّما سلوةٍ أطمعُ؟!

وقد أُخذَ العهدُ يوم الرحيل ... أمامىَ والعهدُ مستودَعُ

فقَصرَك يا خادعى من وفائى ... لؤمت، أعن كرمى أُخدعُ؟

ويا صاحبى والنوى بيننا ... ضلالٌ فطُرقُ الهوى مهيعُ[2]

لأمرٍ[3] أخوك غدًا صامتا ... على أنه الخاطبُ المِصقعُ

سقى الغيثُ "بغدادَ" إمّا سقى ... لذكرتها جَدَّ بى المدمعُ

وحيّا بها قمرا ما آستقـ ... ـرّ بعد فراق به مطلِعُ

رأى شهرَ بُعدى مَحاقا له ... فلم يُغنه العَشرُ والأربعُ

ونومٍ على الطيف عاهدتُه ... وقد زار لو أننى أهجعُ

ضحكتُ[4] أهوّن بينى عليه ... وعبّس يزرى بمن يَفجَعُ

أغرّكَ[5] بعدَ فراق الوزيـ ... ـر أنّى لضرب النوى أخضعُ

أسير وضلع الهوى عند من ... تَفِرُّ لفُرقته الأضلعُ

وأسكنُ من وطنى بعدَه ... الى حسرةٍ قلّما تُقلعُ

وفى ضمن فرحةِ عَودى جوًى ... يدلّ على أننى موجَعُ

---

(١) أربع: أعطف. (٢) المهيع: الطريق الواسع. (٣) فى الأصل "لأمن".
(٤) فى الأصل "ضحلت". (٥) فى الأصل هكذا "غرلك".

"أكافينا" كافِ الحادثا ت سوداً لنا سُمـرُها شُرَّعُ
بك آنتصر الأدَبُ المستضامُ وأنشـر ميتُـه المُضـجَعُ
سـفرتَ بفضلك عن وجهه وظِـلّ الخمـول له برقُـعُ
اذا المـدح ناداه شوق اليـك فنـاداه بُطـئِيَ إذ أُسـرعُ
فتحت بجـودك عينًا ترى وفـودَك أو أذُنا تسـمعُ
[أرى مقصـدا م عليـ ـه عين بعود به المرجِعُ] (١)
وقـد هزّنى والدجى مسبِلٌ وأسهـرنى والـورى هُجَّعُ
حوادثُ تغشَى صميمَ الفـؤاد لهـا فى صميم الصـفا (٢) مَصْـدعُ
فـلا ربعـةٌ (٣) زادُها مشبِعٌ يغـذّى ولا نهـلةٌ تنقعُ
ساهجرُ دارَك لا عن قِـلًى كما يهجـر المرتعَ المُـربِـعُ (٤)
أودّعُ دارك عن خـبرةٍ بأىّ غـرام غـدًا أودَعُ
لجودُكَ بالعـذرِ والعُـرفِ لى سمـاحان هـذا وذا يُوسِـعُ
سيُنسَبُ حسنٌ وقبحٌ اليـ ـك حاشاك يَقبُـحُ ما تَصـنَعُ
و يسألُ عن ربحىَ المبضـعون (٥) وغـيرك يخسـر ما أبضـعُ
رحلتُ ولم أبقِ خَلقًا سـواى اذا آندفـع القـولُ لا يُدفَـعُ
وسُقتُ اليك لسانَ "العراقِ" وإنـك للشـاهـدُ المقنِـعُ

---

(١) كذا فى الأصل وفيه سقط وتحريف ولعله :
أرى مقصدا لم تُعِنّى عليـ ـه عَبنًا يعود به المَرجَعُ

(٢) الصفا جمع صـفاة وهى الحجر الصلد . (٣) الربعة : الجونة وهى الخابية المطلية بالقار ولعله يريد بها القدرعلى المجاز . (٤) المربع : الذى دخل فى الربيع . (٥) فى الأصل "المبغضون".

لسانٌ يصرِّفه فى الرجال طريقٌ على غيره مَسبَعُ[(١)]
اذا هو أحمدَ فالشُّهدُ منـ ـه والسمُّ من ذمّه مُنقَعُ[(٢)]
وما ينظر الناسُ ماذا رحلتُ ولكن يراعون ما أرجعُ
وودٌّ أوامرَك العالياتِ فتًى حافظٌ كلَّ ما يودَعُ
يسرُّك ما اصطنعتْه يداك اذا ضاعَ فى غيره المَصنَعُ[(٣)]
[تهنأ بقابل] شهر الصيام[(٤)] وأحصِدْه خيرا كما تزرعُ
تلابطُه شِرَّةُ الظالمين[(٥)] وأنت له خاشعا تخشعُ
وسرّك منه الذى ساءهم لحفظك فى الله ما ضيّعوا
ولما برزتَ تُرائى الهلالَ مضى آيسا منه مَن يَطمَعُ
لأنهمُ أنكروا أن يروا[(٦)] هلالا على قمرٍ يطلعُ

٭٭٭

وقال يصف مناقب أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب والمدافعة له عن حقّه عند عوده من الجبل

هل بعد مفترَق الأظعانِ مجتمَعُ أم هل زمانٌ بهم قد فات يُرتَجَعُ؟
تحمّلوا تسعُ البيداءُ ركبَهمُ ويحملُ القلبُ فيهم فوق ما يَسعُ
مغرِّبين همُ والشمسَ ، قد ألفوا ألا تغيب مغيبا حيثما طلعوا
شاكين للبين أجفانا وأفئدةً مفجَّعين به أمثالَ ما فجَعوا

---

(١) الطريق المسبع : الذى كثرت فيه السباع . (٢) فى الأصل " فاشهد " .
(٣) فى الأصل " المضيع " . (٤) هاتان الكلمتان وردتا بالأصل هكذا " وهن بمال " .
(٥) هذه الكلمة فى الأصل هكذا " بلاطه " ولابط أحدهما الآخر : ضرب كلّ منهما بأخيه الأرض وهى هنا مجاز عن مصارعة شهر الصيام لطيش الظالمين . (٦) فى الأصل " يرون " .

تخطـــو بهـــم فاترات فى أزمّتهـا أعناقها تحت إكراه النـــوى خُضُعُ
تشـــتاق "نعمان" لا ترضى بروضته دارا ولو طاب مصـطافٌ ومرتَبَعُ
فداء وافين تمشى الوافياتُ بهـم دمعٌ دمٌ وحشًا فى إثرهـــم قِطَعُ
الليـلُ بعـدهُمُ كالفجر متصـلٌ ما شاء والنومُ مثلُ الوصـل منقطِعُ
ليت الذين أصاخوا يوم صاح بهـم داعى النوى : ثوّروا، صَمّوا كما سمِعوا
أو ليتَ ما أخذَ التوديعُ من جسدى قضَى علـى فللتعـــذيبِ ما يـــدعُ
وعاذلٍ لجَّ أعصـــيه ويأمـــرنى فيهـم وأهرب منـــه وهـو يتّبعُ
يقول : نفسَــك فاحفظها فإن لهـا حقّا وإن علاقاتِ الهـوى خــدَعُ
روِّح حشاك ببرد اليأس تسلُ به، ما قيـــل فى الحب إلا أنه طمعُ
والدهـــر لونان والدنيـا مقلّبــة الآن يعـــلم قلبٌ كيف يرتدعُ
هــذى قضايا " رسولِ الله " مهمَلةٌ غدرا وشملُ " رسول الله " منصدعُ
والنـاس للعهدِ ما لاقَوا وما قـربوا وللخيـانة ما غابـــوا وما شَسَـعوا (١)
وآلُهُ وهُـــــمُ آل الإله وهـــم رعاة ذا الدين ضيموا بعده ورُعُوا
ميثاقـــه فيهـــمُ ملـــقىً وأمّتـــه معْ من بغاهم وعاداهـم له شِيَعُ
تضاع بيعتُـه يومَ " الغـدير " (٢) لهم بعـــد الرضـا وتحـاط (٣) الرومُ والبِيَعُ
مقسَّـمين بإيمـانٍ هـــمُ جَـــذبوا ببوعها وبأسـياف هـــمُ طَبعـوا
ما بين ناشر حبـلٍ أمسِ أبرمــه تُعدُّ مسنونةً من بعـــده البِـدعُ
وبين مقتنِص بالمكر يخـــدعه عن آجلٍ عاجـلٌ حـلوٌ فينخـدعُ

(١) شسعوا : بعدوا . (٢) الغدير : هو غدير خم بين مكة والمدينة : قيل إن النبى صـلى الله عليه وسلم خطب الناس عنده فقال «من كنت مولاه فعلىٌّ مولاه» . (٣) فى الأصل " وتحاط " .

وقائل لى : "علىٌّ" كان وارثَهُ[1] بالنصّ منه، فهل أعطَوه أم منعوا؟
فقلت : كانت هَناتٌ لستُ أذكرها يجزى بها اللهُ أقواما بما صنعوا
أبلغ رجالا اذا سمّيتهم عُرِفوا لهم وجوهٌ من الشحناء تُمتقعُ
توافقوا وقناةُ الدين مائلةٌ لحين قامت تلاحَوا فيه وآقترعوا
أطاعَ أولُهم فى الغدر ثانيَهم وجاء ثالثُهم يقفو ويتّبعُ
قفوا على نظرٍ فى الحقّ نفرضه والعقلُ يفصلُ والمحجوجُ ينقطعُ
بأىّ حكمٍ بنوه يتبعونكمُ وفخركم أنكم صحبٌ له تَبَعُ
وكيف ضاقت على الأهلين تربتُهُ وللأجانب من جنبيه مضطجَعُ
وفيم صيّرتم الإجماعَ حجّتَكم والناسُ ما آتفقوا طوعا ولا آجتمعوا
أمرُ "علىٍّ" بعيدٌ من مشورته مستكرَهٌ فيه "والعبّاس" يمتنعُ
وتدّعيه "قريشٌ" بالقرابة والـ ـأنصارُ لا رُفُعٌ فيه ولا وُضُعُ
فأىّ خُلفٍ لخُلفٍ كان بينكمُ لولا تُلفَّقُ أخبارٌ وتُصطنَعُ
وآسألهُم "يوم خمّ"[2] بعد ما عقدوا له الولايةَ لِمْ خانوا ولِمْ خلعوا
قولٌ صحيحٌ ونياتٌ بها نَغَلٌ[3] لا ينفع السيفَ صَقْلٌ تحته طَبَعُ[4]
إنكارُهم يا أميرَ المؤمنين لها بعد آعترافهمُ عارٌ به آدرعوا
ونكثُهم بك ميلا عن وصيّتهم شرعٌ لعمرك ثانٍ بعده شرعوا
تركتَ أمرا ولو طالبته لدرت معاطسٌ راغمته كيف تُجتدَعُ
صبرت تحفظ أمرَ الله ما آطرحوا ذَبًّا عن الدين فآستيقظت إذ [هجعوا][5]
ليشرقنّ بحلو اليوم مُرّ غد اذا حصدت[6] لهم فى الحشر ما زرعوا

(١) فى الأصل "وقايل". (٢) خم : أنظر ص ١٨٢ شرح رقم ٢ (٣) النغل : الضغن وسوء النية. (٤) الطبع : الصدأ. (٥) ليست بالأصل. (٦) فى الأصل "حضدف".

جاهدتُ فيــك بقولى يوم تختصم الـ ـأبطالُ إذ فات ســـيفى يومَ تمتصع[١]

إنـــ اللسانَ لوصّالٌ الى طُـــرُقٍ فى القلب لا تهتـــديها الذُّبَّلُ الشُّرُعُ

آباى فى " فارس " والدين دينُـــكُمُ حقًّا لقـــد طاب لى أُسٌّ ومرتبَعَ

ما زلت مذ يفعتْ ســـنّى ألوذ بكم — حتى محا حقُّكم شكّى — وأنتجـعُ

وقد مضتْ قُرُطاتٌ[٢] إن كفلتَ بهـا فرّقتْ[٣] عن صحُفِى البأس الذى جمعوا

"سلمان" فيها شفيعى وهو منك اذا الـ ـآباء عنـــدك فى أبنائهـــم شفعوا

فكن بها منقـــذا من هول مطّلَعى غدًا وأنت من "الأعراف"[٤] مطّلِـعُ

سوّلتُ نفسى غرورا إن ضمنتُ لها أنى بذخرٍ ســـوى حبّك أنتفـــعُ

⁂

وكتب الى الأستاذ أبى طالب بن أيّوب فى العيد

يقولون : يومَ البين عينُك تدمـــعُ دعوا مقلةً تدرى غـــدًا من تودِّعُ

ترى بالنوى الأمرَ الذى لا يرونه هوًى، فيقولون الذى ليس تسـمعُ

اذا كان للعـذّال فى السمع موضعٌ مصونٌ، فما للحب فى القلب موضعُ

يرى القومُ فيهـم أن مسراهُمُ غدًا، صدقتك إنى من غدٍ لمـــروَّعُ

لك الله موضوع اليدين على الحشا صباحا وبَيْضاتُ الهـــوادج ترفعُ

ودون انصداع الشمل لو يسمعونه أنين، حصاة القلبِ منـــه تَصدَّعُ

أعد ذكرَ " نعمانٍ " أعد إنّ ذكرَه من الطّيبِ ما كرّرته يتضوَّعُ

فإنــــ قـــرّ قلبى فاتهمه وقل له : بمن أنت بعـــد " العامريّة " مولعُ ؟

أمنقادَ أحــــلامِ الكرى أن تسرّه سهرنا فسلْ "حسناء" إن كنت تهجعُ

(١) تمتصع : تجالد بالسيف . (٢) فى الأصل "قرطاب" . (٣) فى الأصل " فرق " .

(٤) الأعراف : سور بين الجنة والنار .

أرميا على الهجران والشّيب واخِطٌ فهـلّا وفى قوس الشبيبة [منزَعُ][1]
رويدكِ لو كانت سوى الحبّ خطة لأعيـاكِ أنى الخاشع المتضـرّعُ
سلى الدهر عن حملى تفاوتَ ثقـلِهِ وصبرى على أحداثه وهو يجـزعُ
وتوقير نفسى عن حظوظٍ كثيرةٍ يخفُّ اليهـا الحامـل المتسرّعُ
وما خشُنتْ إلا وقاتُ : دعى غدا لكلّ غـدٍ رزقٌ مع الشمس يطلعُ
رشادَكِ! خير الكسب ما جرّ سوددًا عليـكِ وميسورٌ من العيش يُقنِـعُ
وإلا صديقا "كابن أيوبَ" حافظا بحيث السـواد فى الفـؤاد مضيّعُ
حمى الله والمجـدُ الصريحُ ابنَ حرّةٍ حمـانى وأرماح الحـوادث شُرَّعُ
وناديت إخوانى فأقبـل وحـده علىَّ فلبّـانى وكلُّهمُ دعـوا
من السابقين نجدةً إن تحمّسـوا لحفظ حمًى أو عفّـةً إن تورّعوا
لهم قُضُبٌ فَلّوا بهـا قضُبَ الوغى مغامدها أيديهـمُ حين تقطعُ
أراقمُ لا ترجـو الرقاةُ اختداعَهـا ولا يبلغُ الدِّرياقُ موضعَ تلسـعُ
طلبنا فما جازت "أبا طالبٍ" بنا منًى شطَطٌ ولا رجاءٌ موسّـعُ
وطرنا بهمّاتٍ تحـوم على العـلا فلمـا تراءى صاح رائدُنا : قَعُـوا
خلفتُ به من كلّ رثٍّ ودادهُ كثوب العـدا ينعطُّ[2] وهو يرقّعُ
فعش لى أقـلّدْكَ الجزاءَ مراسـلا[3] على العِرض[4] لا ما زين[5] سوقٍ وأذرعُ[6]
اذا زانت الدرَّ اليتيمـةُ أصبحت بعيـدةَ يُتم من معانٍ تُرَصَّعُ
لها أرجٌ فى السمع باقٍ وإن غدتْ يخُبُّ بهـا نطقُ الرواة ويوضِـعُ[7]

(١) ليست بالأصل . (٢) ينعطّ : ينشقّ . (٣) المراسل : القلائد واحدتها مرسلة .
(٤) فى الأصل "الفرض" . (٥) فى الأصل "زين" . (٦) فى الأصل "أدرع" .
(٧) يوضع : يسرع فى سيره .

على أوجه الأعياد مِيسمُ حسـنها من آسمك سـطرٌ فى الجباهِ موقّعُ
أراغم دهرى بالحفاظ عليكُمُ وحافظُ قـومٍ آخرين مضيّعُ
وقال غوىٌّ : إنّ فى الناس مثلَكم! فقلت له : غيرى بمثلك يُخـدَعُ!

* * *

وقال فيـه أيضا

اذا رضـيَت رباك عن الربيع فأهـونُ ما أُدِلُّ به دمـوعى
أدارَ الحبّ إذ "خنساءُ" جارٌ و "رامـةُ" ملعبُ العيشِ الخليع ،
وأترابُ الهـوى مـتزاوراتٌ سريعـاتُ الأفـول من الطلوعِ ،
ليالىَ إذ ليـال من شـبابى شواعبُ[1] حين أدنت من صدوعى ،
اذا صـدّت لتهجـرَنى شموسٌ سفرتُ فكان من وجهى شفيعى ،
وقفنا نسـتعيدُك ما ألفنـا وأين ذَهابُ أمسِك من رجوعِ !
ويبكى نازلُ الطُّـرّاق منّـا فيصـبغها دموعا من نجيعِ[2]
وما خمدتْ "بذى العلمين" نارٌ يشـبُّ ضيوفُ مُوقدها ضلوعى
ونابذةٍ مع الحصياتِ عهـدى وكان لهـا مكانٌ يدِ الضـجيعِ
اذا قاضيتها أخـذتْ بعـدلٍ لحسن الوجهِ من قبح الصـنيعِ
وليـلٍ قد سـهرتُ وكم سهادٍ أحب الى العيـون من الهجوعِ
وخوّانينَ منفردين عنّى فـا نقصَ الوحيـدُ عن الجميعِ
وعاذلةٍ تمـدّ حبالهـا لى وطرتُ، فأين حبلُكِ من وقوعى !
تـلوم على النزاهـة وهى تدرى بأن قناعتى حسـمت قنـوعى
وقافيـةٍ جمعتُ لهـم شرودا بهـا ووصلت حبـلَ أخٍ قطوعِ

(١) فى الأصل "شواغب". (٢) النجيع: الدم .

ترى البيت الجديد يهزُّ منها معاوِدَهُ على سمعٍ رجيعِ
وسوقٍ للكساد شريت فيها بديع البيع بالحمد البديع
فلو شهِدَ "آبن أيوبٍ" مقامى نجوت بمُصرَخٍ منه سميع
إذن لحمى يدى وحمى جَنانى أخٌ لا بالخؤون ولا الخدوع
فتًى يده على خَللى ودائى يدُ الراقى على العضو اللسيع
أتانى رائدى بالصدق عنه فها أنا منه أرتع فى ربيع
صفا لقبيل "أيوب" غديرى ولان على مقادتهم منيعى
اذا ما الناس كنتُ لهم ببعضى ممَاذَقةً محضتُ لهم جميعى
فداؤك حاسدوك على آختيارى وقد جهلوا الأشمَّ من الجديع (١)
وغاظهم آنفرادُك بى ونشرى محاسنَك الغرائبَ فى الجموع
وكلّ غريبة الأبوين بكر رَداحٍ (٢) شرطَ سمعك أو شَموع (٣)
عريقة مفخرٍ نشأتْ وقرتْ مع الأبكار (٤) فى بيتٍ رفيع
يعدْنَك زائراتٍ كلَّ عيد نواطقَ بالصبابة والنزوع
وغيرُك جاء يخطبهن منّى فما أغنى الوقوفُ على الربوع

* * *

وقال وقد توفى بعض فقهاء بغداد وهو أبو بكر محمد بن موسى الخوارزمى ، وكان عظيم الإيجاب له والحرص على مودته ، وصلّى عليه بجامع المنصور

عاتبتُ دهرى فى الجناية لو وعَى ونشدتُه الحُرَمَ الوكيدةَ لو رعَى
وطلبتُ منه بسلمه وبحربه نَصَفًا فأعيا حاسرا ومقنَّعا

(١) الجديع : المقطوع الأنف ، وفى الأصل "الخديع" . (٢) الرداح : المرأة الثقيلة الأوراك وهى هنا مجاز . (٣) الشموع : المزّاحة الضحوك اللعوب ، وفى الأصل "سموع" .
(٤) فى الأصل "الأفكار" .

فى كلّ يومٍ عثرةٌ من صَرفــه لا تستقالُ بأن يقال لهـا : لَعَـا
جنْبٌ هـــواك ملوَّنا ساعاته بالعــذرِ، لا يعطيك حتى يمنعـا ؟
لولا التحاملُ بالمصـائب لم يكن بالمنفسـاتِ من الذخائر مولَعـا
نزلت مثقّـلة كِفافك ، إننى من قبل حملك موشِك أن أظلَعا
من ساءه صمُّ المسـامع إننى " يوم العَروبةِ "(١) ساءنى أن أسمعا
ونعى " أبا بكرٍ " الىَّ صـباحُهَـا لســفاهه لوكان يعــلم مَن نعى
يومٌ على الإســـلام قبلَك فرحةٌ ويكون بعــدك حسرةً وتفجُّعـا
ومن الدليل على مكانك فى العلا أن كان جمعُ صــلاته لك مَجمعـا
فكأنمـا داعى الأذان لفــرضه لك ساقهم وإليـك ثوبـا دعَا
وشككت إذ حملوك غيرَ مدافِعٍ بيدٍ نخطُّوا فى الثرى لك مضجَعا
أعَدَوا على رجُلٍ فواروا شخصَـه أم طوَّحوا " بيلملِمٍ " فتضعضعا ؟
يا من عهدتُ العـزَّ فوق جبينه من راب عزك فاقتضى أن يرجعا
من زمّ مَخطَمَك الأبىَّ فقـادَه مع طول ما جذبَ الحبالَ فقطَّعا
وحوى لرقيتـه لحاجك فارعوى ودعا نفارَك فاسـتجاب وأتبعـا
وأرى معاشرَ كنتَ ضيقَ حلوقِهم يتســابقون تفسُّحا وتوسُّـــعا
ما كنتَ مغلوبا فكيف أبحتهـم ذاك الحمى وأضعتَ ذاك الموضعا
ولجُوا عرينَك آمنين وربمـا مرّوا به صـعبَ الولوج ممنَّعـا
جَمعوا فمـا سدُّوا مكانَك ثُلمــةً وسعَوا فمـا كانوا لخرقك مَرقَعا
ما أغمد " النعمانُ " سيفَ لسانه حـــتى ثويتَ فكان يومُكما معـا

---

(١) يوم العروبة : يوم الجمعــة وهو من الأسماء القــديمة ، تعريب : أروبا النبطيــة أو عروبتا السريانية .

ومحدثٍ بالخلد بعـــدك جَهلُه ... وجـــدَ الشماتةَ حلوةً فتجـــرَّعا

لم تشفه منـــك الحيـاةُ بجهــدهِ (١) ... فشفاهُ مـــوتُك عاجزا فتـــودَّعا

لا يشمتنّ وإن أقام مـؤخَّرا ... لا بدّ أن يقفـــوك ذاك المَصرعا

كم قُتّـــه باعا ولو ملك المـــنى ... لكفاه فخـرا أن يفوتك إصبعـا

مالى وكُنت بربع دارك آنسا ... أمسيتُ منـــه موحَشا متفـــزِّعا (٢)

وأراه جدبا بعـــد ما قـــد زرتُه ... خِصبا بودّك لى ويُسرك مرتَعـا

أيامَ أملكُ منـــك غير منازَع ... فى كلّ ما أروَى الـوفاءُ وأشبَعـا ،

سمعا بطيئا فى عمن لامـــه ... وفمًا الى ما ســـرَّنى متسـرِّعا

فلأ بكينّك من فـــؤادٍ ناصح ... فى الحزن ، إن جفنٌ بكى متصنّعا

ولأحفظنّــك باللســان ولن ترى ... حقّا على الحرّ الفصيـح مضيَّعـا

وصلتْ ثراك على البـــلى وكّافـةٌ ... تُرضى بروضــتها المكانَ البلقعـا

ملءُ الثُّـــدِىِّ (٣) على الثرى حنّـانةٌ ... تســـقِى اذا فطَم الحيـا ما أرضَعا

أخذتْ من الريح الشَّمالِ لها الصبا ... عهدَ الأمانِ وذمةً لن تَقشعا

إن خان منك الدهرُ عهدى إنما ... فى نقضـــه وعلى محاسنه سـعى

رفقا بقـــلبى يا زمانُ فإنه ... صُلبُ العصـا ما أنَّ إلا موجَعـا

راميتنى فأترك لكفّى ساعــدا ... يُصمى الرميَّـــة أو لكفّى منزَعا

لو كان مَن أخذَ الردى مـــنّى له ... عوضٌ أطال على الردى أن أجزعا

أو كنتُ أبكيه وأكحَلُ ناظرا ... بنظـــيره ما بلَّ مـــنى مدمَعا

---

(١) فى الأصل " تسفه " . (٢) فى الأصل " متفرعا " . (٣) الثدىّ جمع ثدي .

(٢٣٩)

*
* *

وكتب الى الرئيس أبى الحسين الهمانىّ لمّا آستُعمل على سَقى الفرات يتنجّزه وعـــدا

على كلّ حالٍ جانب الحقّ أمنعُ وكسبُ الفتى بالعـزّ أولى وأمتـعُ[1]
ويصعبُ أحيانا وينتظر الغنى فيأتى ولم يخضع له وهو طيّـعُ
ولا تترك الحرَّ الأبىَّ طباعُـه لتخطئه[2] ، والذّلّ ثمّ التطبّـعُ
سقى الله مُرَّ الحزم يعرفُ نفسَه الى أين ما يجرى ومن أين ينزِعُ[3]
اذا بذل الحرصُ الكرائمَ صانها وغالى بها إنّ الرخيص مضيّعُ
يلومون نصلا[4] كيف يُزهَى بحدّه ولا يعلمون "الهندَ" من أين تَطبَعُ
دعوه مصون الماء يا كلُّ غمدَه اذا كان فى أيمانكم ليس يقطعُ
وجُرّوا القنا الخوّارَ فآطردوا به مخادعةً ما دام فى الحربِ مَخدَعُ
أ ألآن لمّا أن تفاقم داؤها تبينتُمُ أىُّ العلاجين أنفعُ
لقد علم الصمصامُ أن مصيركم اليه اذا آلتفّت رقابٌ وأذرعُ
أضعتم أمورا باعتزالِ "محمد" فلمّا مضت، قلتم له : كيف ترجعُ
اذا كان فى الأولى التجاربُ قبلها لمطّلع فى آخر الرأى مقنعُ
بعثتم لها الحاوى المدرَّبَ فآنظروا وشيكا الى صمّائها[5] كيف تسمعُ
لقامَ بها من لم يكن طالبا لها يدافع قومٌ دونها وهو يدفعُ
فتًى لم تُفده رفعةٌ[6] من حطيطةٍ وبعض الرجال بالولاية يُرفَعُ
لئن أخلفت فيها الولاةُ وعودَكم لقد جازها مَن وعده الصدقُ أجمعُ

(١) فى الأصل "أمنع". (٢) فى الأصل هكذا "لحطه". (٣) فى الأصل "يزع".
(٤) فى الأصل "نصلا". (٥) الصماء: الحية لا تقبل الرُّقَى. (٦) فى الأصل "فعة".

وإن خان عامَيْها الربيعُ فإنها ... بماء يديه الآن فى القيظ تُربِع
رحيب نواحى الصدر يفضل بأعه ... ذراعا اذا ضاقت صدور وأضلعُ
وقور الأناة ضاحكٌ، كلما بكى ... — على الأمر فى إدباره — المتسرّعُ
وجدتم به الرأىَ المبيّتَ ناصحا ... لكم، وبَديهُ الرأى آلٌ (١) مشعشعُ
وجربتُمُ مَن قبلَه و"محمدٌ" ... أحدُّ وهزاتُ "المهانىّ" أقطعُ
فذاك مغطّى العجز بالحظّ غالطٌ ... به الدهرُ مصنوعُ الرياسةِ مبدعُ
نفورٌ زجاجىُّ الإباءِ شفيفُهُ ... يكاد بأولى غمزةٍ يتصدّعُ
اذا ما أصابَ ارتاب مما تعوّد الـ ... ـخطاءَ فيرعى الأمنَ وهو مروَّعُ
فإن ساءه من نفسه العجزُ سرّه اغـ ... ـتيابك والنقصانُ بالفضل مولَعُ
لئن قعدت من لؤمه أربعٌ به ... لقد نهضت أضدادها بك أربعُ
تَفيض اذا أصفى (٢)، وتعفو اذا هفا، ... وتُصمى اذا أشوى (٣)، وتُعطى وتمنعُ
سقى "الكوفةَ البيضاءَ" ما سرّ جدبَها ... بكفّيك فيّاضُ الجداول مترَعُ
أبعد ازورار العيش بالأمس دونها ؟ ... غدت وهى مرعًى للعفاة ومنجَعُ!
وأسعدَ "بغدادا" — على ما أظلّها ... من الشوق — جفنٌ كلّما جفَّ يدمعُ
أعدتَ لدارٍ موضعَ الأنس قاطنا ... وأوحشتَ أخرى ـ لاخلامنك ـ موضعُ
وأحْرنى يومُ انطلاقك أن أرَى ... على جمراتِ البين فيمن يُشيّعُ
فؤادٌ اذا قيل: الفراقُ، تسابقتْ ... — حقوقا — أواخى صبره تتقطّعُ
وُجدتُ صليب العودَ فى كلِّ حادثٍ ... ولكننى الخوّارُ يوم أودّعُ
فمعذرةً! إن المفارق حافظٌ ... هواك، ومُثنٍ الخيرِ بعدك مِصقَعُ
وسمعًا على بعد المزار وقربِه ... لسيّارة فيكم تُحَطُّ وتُرفَعُ

---

(١) الآل: السراب. (٢) أصفى: انقطع. (٣) أشوى: أصاب الشوى وهى غير المقاتل.

اذا أبـتمُ سُرتُ (١) وإن بتمُ سَـرَتْ ورَاءكُمُ تقـفو علاكم وتتبعُ
وقد كان بخلُ الناس باليأس صانهـا فعلمهـا تأميلُكم كيف تطمعُ
لهـا سابقاتٌ كونُهـا فى زمامكم ضمـانٌ وعهـدٌ عنـدكم لا يضيّعُ
ولان لهـا دهـرٌ فـا كلّفتكُمُ وقد ضيّق الآنَ الزمانُ فوسّعوا
لئن حُلّئت (٢) فآستحلبتكم صواديا لقـد أنظـرتكم بُرهـةً وهى نُزَّعُ
دعوها ترِدْ أورادَها من حياضكم ولا تدفعـوها والغـرائبُ تكرعُ
اليك وقد عَىَّ الخطيبُ أخو العصا وخامَ (٣) عن النصح الكمىُّ المقنّعُ
رغبتُ بها عن ناصـلِ الود قلبُـهُ خبيث وإن طاب اللسـان المصنّعُ
يرينى بفـرط البشر أنى قسـيمُه وشافعُـه ممـا يضـرُّ وينفـعُ
وقد كذب الإنسانُ فى أنه أخى دعىٌّ يرانى جائعـا وهـو يشـبعُ
اذا قمتُ أشكو عنـده الدهرَ [ذمّه] (٤) وإياه أعـنى ما أقـول وأسمـعُ

***

وقال يمدح فخر الملك أبا غالب، ويعتذر من تركه خدمتَه مدةً بسببٍ كان عاقه عنها، ويستوفى عليه العتابَ فى تركه النظرَ له والإقبالَ عليه، ويصفُ شدّةَ الزمان، ويعرّض بفقد صنعة الشـعر مع موت الرضىّ وآبن نباتة رضى الله عنهما، ولم يبقَ إلا ما يُسمَعُ منه، وأنشدها فى مجلس حفلٍ فى الدار العزيّة

لكلِّ هوًى من رائدِ الحزمِ رادعُ وحبّكُمُ ما لم يَزَعْ عنـه وازعُ
تُحـلُّ عقـودُ العين مبـذولةً له وتُشرَجُ (٥) من ضنّ عليـه الأضالعُ

---

(١) فى الأصل "سرب" . (٢) حلئت : منعت عن الورود . (٣) خام : نكص وجبن . (٤) ليست بالأصل . (٥) تشرج : تجمع، وفى الأصل هكذا " سرج " .

صفاةٌ على العــذّال لا يصـــدعونها ولو شَقّ شعبا من "أبانَين"(١) صادعُ
غرامُ الصبا كيف ٱلتفتُّ بصبوةٍ الى غــيركم فالقلبُ فيكــم ينـازعُ
يقولون : حــولىٌّ اللقــاءِ ونظــرةٌ مسارِقــةٌ ، حبّ لعمــرك قانــعُ
أجـيرانَنـا "أيامَ جمعٍ"(٢) تعــلّةً سلوا النَّفْرَ(٣) : هل ماضٍ من النَّفْرِ راجعُ؟
وهل لثلاثٍ صالحاتٍ على "مِنًى" — ولو أنّ من أثمـانه النفسَ — فاجعُ؟
أُجِنُّ(٤) "بنجــدٍ" حاجةً لو بلغتهـا "ونجــدٌ" على مرمَى العراقىّ شاسعُ
وحــلَّ لظــبى حرّم اللهُ صــيدَه دمٌ ساء ما ضلّت عليــه المسامعُ
يفالتُ أشراكى عـلى ضُعف ما به فطارَ بهـا قَطْعا وقلــبىَ واقــعُ
وكم ربع بالبطحاء من متــودَّع وقُلقــلَ ركب للنــوى وهو وادعُ
ومشرفةٍ غيــداءَ فى ظهــر مشرف له عنُقٌ فى مِقــود البين خاضعُ
جرى بهم الوادى ولو شئت مسبلا جفونى لقد سالت بهن المدامعُ
وبيضــاءَ لم تنفــر لبيضاءِ لِمّــتى وقد راع منهـا ناصلُ الصبغ ناصعُ
رأت نحــرَها فى لونه فصــبتْ له وما خلتُ أن الشيبَ فى الحبّ شافعُ
عفا "الخَيفُ" إلا أن يعرِّج سائلٌ — تعلّةَ شوقٍ(٥) — أو يغــرّدَ ساجعُ
وإلا شجيجٌ(٦) أعجــلَ الســيرُ نزعَــهُ عسا(٧) فتعــافتــه الريــاح الزعازعُ
وفى مثــل بطنِ الراح سُحْــمٌ كأنهـا ثــلاثُ بناناتٍ قضـاها مقـارعُ
وقفتُ بهـا لا القلب يصدُق وعدُه ولا الجفنُ يرضينى بمـا هــو وادعُ

---

(١) أبانين : بالتثنية جبــلان يقال لأحدهما : أبان الأبيض وللآخر أبان الأسود وهما بنواحى البحرين . (٢) أيام جمع : أيام منى . (٣) النفر : اليوم الذى ينفر فيه من منى الى مكة وهو الثالث من يوم النحر والنفر أيضا القوم ينفرون معك . (٤) أجنّ : أستر وأخفى ، وفى الأصل "أحن" . (٥) فى الأصل "سوق" . (٦) الشجيج : الوتد . (٧) عسا : قدُم .

فيا عجبـي حـتى فـؤادى بـوده مـداج وحـتى ماءُ عينى مصانعُ
أبى طبعُ هـذا الدهرِ إلا لحاجـةً وأتعبُ شيءٍ أن تُحال الطبائعُ
يعزُّ حصا المعـزاء(١) والدرُّ هيِّنٌ ويشـبع عيرُ(٢) السرح والليثُ جائـعُ
وأودعتُـه عهـدا فعدتُ أرومـهُ ومن دينـهِ ألا تردَّ الودائـعُ
وأقسمَ لا آسترجعتُـه ولـو آنـه قضى من شـبابى أنه لِيَ راجـعُ
هَنَا المـانعين اليـوم أنَّ سـؤالَهم مُـنًى ما أَملتُها عـلىَّ المطامـعُ
وإنى بعنـقٍ من يد المنِّ مفلتٌ وما المنُّ فى الأعنـاق إلا جوامـعُ
وفى الأرض أموال ولكن عوائق من اللـؤم قامت دونهـا وموانعُ
حمـاها رتاجٌ من صـدور شحيحةٍ وأيـدٍ خبيثات عليها طـوابـعُ
بأىِّ جِمـامِ المـاء أرجـو عُـذوبةً إذا أملحت طعمَ الشـفاهِ الوقائـعُ(٣)
وما خلتُنى أمشى عـلى البحر ظامئـا وخِمس(٤) فمى منـه بمـا بـلَّ قانـعُ
لعل " لفخر الملك " آنفَ نظـرةٍ يعود بهـا الحـقُّ البطىءُ يسـارعُ
وكم مثلهـا مضمونة عنـد مجده وفَى لى بهـا والدهرُ عنهـا يدافـعُ
شفتْ يدُهُ غيظَ البلاد على الصدى وردَّت جُرازَ(٥) الأرض وهـو مرائعُ
زكا تحتهـا التربُ اللئـيمُ وأورق الـ ـقَتادُ(٦) الجفيفُ(٧) فهـو ريّان يانعُ
وجرَّدها بيضـاءَ واحدةَ النـدى وخُضْر البحارِ السـبعِ منهـا نوازعُ
وقـد زعمـوا أن لا مردَّ لفائتٍ وأنَّ الردى يومٌ متى حُمَّ قاطعُ
وهذى العـلا والمكرماتُ مَواتُها بجـودك من تحت التراب رواجعُ



(١) المعزاء : الأرض الصلبة الكثيرة الحصا . (٢) العير : الحمار أيا كان وحشيا أو أهليا وقد غلب على الوحشى ، و فى الأصل " غير " . (٣) الجمام جمع جم وهو الكثير والوقائع جمع وقيعة وهى نقرة فى سهل أو جبل يستنقع فيها الماء . (٤) الخمس : ورود الإبل الماء فى اليوم الخامس وهو من أظماء الإبل . (٥) القتاد : شجر صلب له شوك كالإبر . (٦) الجراز : اليابس الصلب . (٧) الجفيف : ما يبس من النبت .

برغم ملوك الأرض أنّ ظهورَهم … من العجز عما تستحقّ ظوالعُ
تركتَهُم ميلًا اليك رقابُهم … فلا تستقمْ من حاسديك الأخادعُ (١)
وقد سبروا غوريك عفوا ونقمةً … فما عرفوا من أين ماؤك نابعُ
وكنتَ متى تقدحْ بزندك ثاقبا … سُرى النجمِ لم تُسدَدْ عليك المطالعُ
وكم قمتَ دون الملك كاشفَ كربةٍ … تيقّظ منها الخطبُ والملكُ هاجعُ
وضيّقة (٢) الأقطار عمياءَ ما لها … اذا انخرقت من جانب الرأى راقعُ
تجانبُ مَثناةَ (٣) النّصوحِ فتوقُها … اذا وصَلتْ أسبابَها فتقاطعُ
تداركتَها بالحزم لا السيفُ قاطعٌ … حديدته فيها ولا الرمح شارعُ
وَأبيتَ بصُغْرَى عزمتيك كبيرَها … كما دبَّرتْ نزعَ القناةِ الأصابعُ
وأخرى أبتْ إلا القراعَ رددتَها … تذمُّ وترضى ما جنته المَقارعُ
ركبتَ اليها السيفَ جسمُك حاسرٌ … وقلبُك من لُبس التصبّر دارعُ
وفيت بعهدِ الصبر فيها حميّةً … وقد غدرت بالراحتين الأصابعُ
ومخطوبةٍ بالكتُب والرُّسْل مهرُها … غرائبُ أبكار الكلام البدائعُ
يقوم الخطابُ الفصلُ والجوُّ ساكنٌ … لديها مقامَ النصلِ والنقعُ ساطعُ
كتبتَ فأمليت الرياضَ وماءها … وكالنار وعظٌ تحتها وقوارعُ
لك النصرُ فاسمع كيف أُظلَمُ وانتصرْ … فما تضعُ الأيامُ من أنت رافعُ
حُرِمتُ عطاياك المقسَّمَ رزقُها … وعاقت مديحى عنك منك موانعُ
وحلأنى (٤) عن بحر جودك راكبٌ … هواه وقد لاحت لعينى الشرائعُ
ثلاث سنين قد أكلتَ صُبابتى (٥) … فغادرتنى شِلوا وذا العامُ رابعُ

(١) الأخادع جمع أخدع وهو عرق فى صفحة العنق . (٢) فى الأصل "وصيفيّة" .
(٣) المثناة : الحبل من صوف أو شعر أو غيره وفى الأصل "مناه" والنصوح الخائط .
(٤) حلأنى : منعنى الورود . (٥) الصبابة : البقية .

أرى من قريبٍ شمـلَ عزى مبدّدا — وقد كان ظنى أنـه بـك جامعُ
على كل ماءٍ لامـع من نداكُمُ — سنانٌ من الخط المـاكِس لامـعُ (١)
أيا جابر المنهاض لم يبق مفصِلٌ — وإلا ندوبٌ تحتـه ولـواذعُ
أعيـذك بالمجد المحسَّد أن يُرَى — جنابُـك عنى ضيّقا وهو واسـعُ
وأعجبُ ماحُدِّثتُه حفظُك العـلا — ومثلىَ فى أيام ملكك ضائـعُ
أأنطَقُ مـنى بالفصـاحة يُجتـبى (٢) — وأمدحُ إن لفّتْ عليك المجامعُ ؟ !
أبى الله والفضـل الذى أنت حاكم — بـه لِىَ لو قاضَى اليـك منازعُ
وما الشـعر إلا النثر بعدا وصـورةً (٣) — فـلو شاء لم يُطمِعْ يدا فيـه رافـعُ
وقد أفل النجمان منـه فلا يُضَـعْ — على غير سـير — ثالثٌ فيه طالعُ
بقيتُ لكم وحدى وإن قال معشر — ففى القول ماتنهـاك عنـه المسامعُ (٤)
ولو شئت بى أخفَى " زهيرٌ " شاءهُ (٥) — على " هَرِمٍ " أيّام تُجـزَى الصنائعُ
وما شاع عن " حَسّان " فى " آل جفنة " (٦) — من السائرات اليومَ ما هــو شـائعُ
وكان غبينا من " أميّـةَ " من شَرَى — مديحَ " غِياثٍ " (٧) وهو مغلٍ فبائـعُ

---

(١) فى الأصـل " الخط " ، والماكس : المشاكس . (٢) يجتبى : يصطفى ، وفى الأصل " يجتنى " . (٣) فى الأصل " البشر " . (٤) فى الأصل " تنهال " . (٥) زهير : هو زهير بن أبى سلمى الشاعر اختص بمدح هرم بن سنان ابن حارثة المرىّ ومما قاله فيه قوله :

إن البخيل مـلوم حيث كان ولـ — كنّ الجواد على علاّته " هرِمُ "

(٦) حسّان هو حسّان بن ثابت الشاعر مدح آل جفنـة وهم ملوك من اليمن كانوا يستوطنون الشام ومما قاله فيهم قوله :

أولادُ " جفنة " حول قبر أبيهمُ — قـبر ابن مارية الكريم المفضـل

(٧) غياث : هو الأخطل شاعر بنى أمية واسمه غياث ابن غوث بن الصلت ، والأخطل لقب غلب عليـه لأنه هجا رجلا من قومه فقال له : ياغلام إنك لأخطل فغلبت عليه ، واسمـه "غياث" وورد فى الأصـل هكذا " عيان " .

على كلّ حال أنتَ معطٍ وكلّهم على سَعة الأحوال معطٍ ومانعُ
وقد وهبوا مثل الذى أنت واهب فما سمعوا بعض الذى أنت سامعُ
ذرائعُ من فضل عليك آتكالها فما بالها تُدنَى وتقصَى ذرائعُ
وما لكُمُ واللهُ يعطف خصبَكم على مجدبٍ دنياه منه بلاقعُ
تصان الأسامى عندكم بآشتهارها وغمض المعانى مهملاتٌ ضوائعُ
وموشيّةٍ حَوكَ البرودِ صفاتُك الـ حسان تساهيمٌ[1] لها ووشائعُ[2]
تهبُّ رياحا فى عداك خبيثةً وطيبًا عليك رَدعُها[3] متسارعُ
كأن "اليمانى"[4] حلّ منها عيابه[5] تفاوحُ من "دارين"[6] فيها البضائعُ
متى ضحكت لى من سمائك برقةٌ حكت لك أرضى كيف تزكو الصنائعُ
وإن كان يومٌ فى الحوائج شافعا الى النجح ، إن المهرجان لشافعُ

(٢٤٢)

* * *

وقال وكتب بها الى نقيب النقباء أبى القاسم بن عبد الرحمن يهنّئه بالنيروز

أمرتجِع لى فارطَ العيش بالحمى غرامى بتذكار الهوى وولوعى
وكرّى المطايا أشتكى غيرَ ضامن وأدعو من الأطلالِ غيرَ سميعِ
نعم ! يُقنع المشتاقَ ما ليس طائلا وإن لم يكن قبل النوى بقنوعِ
وقفنا بها أشباحَ وجدٍ ولوعةٍ وأشباهَ ذلٍّ للهوى وخشوعِ
نحولُ ركابٍ ضامها السيرُ فوقه نحولُ جسوم فى نحولِ ربوعِ
لعمر البلى ما آقتاد من ضوء "ضارجٍ"[7] سوى مسمح[8] للنائبات تَبيعِ[9]

(١) التساهيم : الخطوط فى البرد . (٢) الوشائع : الطرائق فى الثوب . (٣) الردع : أثر الطيب . (٤) اليمانى : المنسوب الى اليمن . (٥) عياب جمع عيبة وهى زبيل من أدم . (٦) دارين : فرضة بالبحرين يجلب اليها المسك من الهند . (٧) ضارج : اسم أرض قرب الكوفة . (٨) المسمح : الذى ينقاد ويذلّ بعد آستصعاب . (٩) التبيع : التابع .

وقد كُسيتْ[(١)] أطلالُ قـوم وعُرِّيتْ فـما مُنعتْ دارٌ "كأمّ منيـــع"

رحيبـــة باع الحسنِ طاولتِ الدُّمَى فـــزادت بمعـــنًّى فى الجمال بديع

خطَتْ[(٢)] فى الثرى خطوَ البطىء وقاسمت لحـاظا لهـا فى القلب مشىَ سريع

كأنّ مُطيبا قال للعِـــترةِ[(٣)] آفتقِ يقول لهـا : جُرّى الذيولَ وضُوعى

وأعهـــدها والدمع يجرى بـــلونه فتصبغـــه من خدّها بنجيـــع

كأنّ شـــعاعَ النـار فى وجناتهـا يُطـــيرُ شرارَ النـار بين ضـــلوعى

وعصر الحمى عصرى وضلع ظبـائه معى وربيـــعُ العيشِ فيـــه ربيعى

ليـالىَ أغشَى كلَّ جيـــدٍ ومِعصمٍ يبيت وحيـــدا من فمى بضجيع

اذا رعتهـا من وصـــل أخرى بزلّةٍ تـــلافيتهـا من لمـّـتى بشفيـــع

ولِحمةِ ليـــل كالشعور آهتـــديتها بقـــدحة برق كالثغـــور لمـــوع

الى حاجة من جانب "الرمل" سُخِّرت لها الشمسُ حتى ما آهتدت لطلوع

وجوهٌ تولّت من زمانى وما أرى بأظهـــرها أمارة لرجـــوع

تعيبُ علىَّ الشيبَ "خنساءُ" أن رأت تطلّع[(٤)] ضـــوءِ الفجـــر تحت هزيع

وما شبتُ لكن ضاع فيا[(٥)] بكيتكم ســـوادُ عِذارى فى بيـاض دموعى

وقالت : تفرقنا ونمتَ على الهـوى ! سلى طيفك الزوّارَ : كيف هجـوعى

خلعتُ الهـــوى إلا الحفاظَ ولم أكن لأُخدعَ فيـــه عن مقـام خليـع

وكنتُ جنيبـا للبطـالة فآنثـــنى زمامُ نزاعى فى يمين نزوعى

سأركبها خرقاء تـــذرع[(٦)] بوعها فضا[(٧)] كلّ خَرْق[(٨)] فى البـــلاد وسيع[(٩)]

---

(١) فى الأصل "كسبت" . (٢) فى الأصل "حطت" . (٣) العترة : القطعة من المسك الخالص . (٤) الهزيع : القطعة من الليل . (٥) فى الأصل "فيها" ولا يستقيم بها المعنى . (٦) فى الأصل "تدرع". (٧) فى الأصل "قضا" . (٨) الخرق : الأرض الواسعة . (٩) فى الأصل "وشيع" .

اذا قطعتْ أرضا أعدّتْ لأختها … ظنابيبَ (١) لم تُقرع بمرّ قطيع
ضوامن فى الحاجاتِ كلَّ بعيدة … وصائل فى الآمال كلَّ قطوع
تزور بنى "عبد الرحيم" فتعتلى … بأخفافها خضراءَ كلِّ ربيع
تحطّ بماءٍ للندى مترقرقٍ … مَعينٍ وواد للسماح مَريع
ترى المدح وسما والثناءَ معلّقا … لهم بين أغراض (٢) لها ونسوع (٣)
وكائنْ لديهم من قراعٍ لنكبةٍ … وللمجد فيهم من أخٍ وقريع
وعندهم من نعمةٍ "صاحبيّةٍ" … تَرُبُّ أصولا من علا بفروع
حموا بالندى أعراضَهم فوقاهُمُ … من العار ما لا يُتّقَى بدروع
ونالوا بأقلامٍ تجول بأنملٍ … مَطارحَ أرماحٍ تطول ببوع
بنو كلِّ مفطومٍ من اللؤم والخنا … وايد وتربٍ للسماح رضيع
اذا حولموا زادوا بأوفى موازنٍ … وإن فاخروا كالوا بأوفر صُوع (٤)
وإن ريع جار أو تنكّر منزلٌ … فربَّ جنابٍ "للحسين" مَريع
رعى اللهُ للآمال جامعَ شملها … مُشتًّا من الأموالِ كلَّ جميع
وحافظَ سِرب المكرمات ولم تكن … لتُحفظَ إلا فى يمينِ مضيع
أخو الحرب أنَّى ربُّها كان ربّها … وأبطالُها من سجَّدٍ وركوع
وكالراح أخلاقا اذا آمتزجت به … ولكنه للكأس غيرُ صريع
ومشفقةٍ تنهاه من فرط جوده … ألا تَعبًا تنهين غيرَ مطيع
تسومين كفَّ المزن أن تضبِط الحيا … ولا تسلم الأسرارُ عند مذيع

---

(١) الظنابيب جمع ظنبوب وهو حرف الساق من قُدُمٍ و يقال : قرع ظنابيب الأمر أى ذلّله وسهّله ، وفى الأصل "ظنابيت" . (٢) أغراض جمع غَرْض وهو للرحل كالحزام للسرج . (٣) نسوع جمع نسع وهو حبل يشد به الرحل . (٤) صوع جمع صاع .

شددت بكم أيدى[1] وسـدّدت خَلّتى ورشتُ جناحى وآلتحمت صدوعى
وأقنعنى تجـريب دهرى وأهـله بكم فسمتم بذلـتى وقنـوعى
فإن أنا لم أفصح بحسن بـلائكم بشكرى فـذمّونى بسـوء صنيعى
بـكلّ مطاعٍ فى البـلاغة أمرُها مخلٍّ لهـا آستطـراقُ كلّ بديـع
لها فى القوافى ما لبيتـك[2] فى العـلا سَـنامُ نصابٍ لا يُنـالُ رفيـع
اذا عَرِى الشـعرُ آرتدت من بروده بـكل وسيم الطرتين وشـيع
أمدّ بهـا كفًّا صَناعا كأننى أهيب بسيفٍ فى الهيـاج صنيع
على كلّ يوم طارفِ الحسن طارفٌ لهـا غـيرُ مكرورٍ ولا برجيـع
هـدايا لكم نفسى بهـا نفسُ باذلٍ وضنىٌّ بها فى النـاس ضنٌّ منوع

* * *

وقال يمدح الأستاذ أبا طالب محمد بن أيوب فى المهرجان

لعـلك "بالشّعبِ[3]" تعلو اليفاعا فتؤنسَ من نار "هندٍ" شُعـاعا
"تميميّة" لم يكن خطمها فـؤادَك بالوعد إلا خـداعا
غدت نظرا لك تُروى العيونَ وأمست أحاديث تُرعى[4] سمـاعا
حذت أمَّ "ظبيةَ" "أمَّ النجو[5] م" ضياءً[6] لطالبهـا وآرتفـاعا
ومن دونهـا البلدُ المقشـعرُّ[7] يردّ ظبـاءَ المهـارى ضبـاعا
اذا رمتَـه شجـرته الرماحُ فسدّت عليك الثنـايا آطـلاعا

---

(١) الأيد : القوة . (٢) فى الأصـل "لبيتكم" . (٣) الشعب : الطريق فى الجبل ، وآسم لعدة مواضع . (٤) فى الأصل "ترى" . (٥) أم النجوم : المجرة . (٦) فى الأصل "صبا" . (٧) المقشعر : الذى لم يُمطر .

"زرودُ" وما جرَّ حبلا "زرو | د" بيني وبينكِ إلا انقطاعا
أعيذ هواكِ وأخذي بـه الـ | ـوثيقة من كاشحٍ أن يطاعا
ووقفتَنا وهي بكرُ اللقاء | على "أجإٍ"[1] أن تكونَ[2] الوداعا
أسام فأُرخصُ بيعَ الصِّبا | وأُغلي بحبِّكُمُ أن يباعا
نزعت الشبابَ فما زادني | مشيبيَ نحوكِ إلا نزاعا
ظَلِلتُ "بنجدٍ" يفرُّ الغرا | مُ من أضلعي وأجدُّ اتباعا
وأنشد خرقاءَ بالعاشقين | تمد الى القتل كفًّا صَناعا[3]
اذا استبطأتْ من دجى ليلةٍ | صباحا أماطت يداها القناعا
ألَا بكَرَتْ تستطيبُ الملامَ | وتأمُلُ جاهلةً أن تطاعا
تقول : مِراحَكَ فافطُن له | متى فات لم تستطعه ارتجاعا
تغنَّمْ من العيش إبَّانَه | وخذ منه حظك ساعا فساعا
وتعذُلني في اطراح الرجال | سكونا الى وحدتي وانقطاعا
ولم تدر أني صبغت الزما | نَ لونيه ضرًّا به وانتفاعا
وكاثرتُ مُتعةَ لذّاته | فلم أر ذلك إلا متاعا
ولو شئتُ ماضاع فيَّ العتابُ | فإنكِ لا تنقلين الطباعا
وكم من أخٍ قلت : أحرزتُه ، | فلما ملأتُ يدي منه ضاعا
أعالج منه على صحّتي | خروقا أكرُّ عليها الرِّقاعا
أريد لأشعَبَ أضغانَه | وتأبى الزجاجةُ إلا انصداعا
حمى الله قوما على نأيهم | اذا أبطأ النصر جاءوا سراعا
تضمّ الحفيظةُ إحسانهم | على المجد أن يتركوه مُضاعا

(١) أجأ : اسم جبل . (٢) في الأصل "يكون" . (٣) الصناع : الحاذقة .

بضـائرهـــم جُمَّـــعٌ بينهـــم	ولو اصبحـوا بالتعادى شَعـاعا
اذا كشحوا بالصـدور آحتموا	بألسنهم أن يخوضــوا القـذاعا (١)
تُلين الضرورات شُمْس النفـوس (٢)	ويأبون فى الضرّ إلا آمتنـاعا
اذا قيـل : عيشوا شِباعَ البطون	وفى الشِّبَع الذلُّ ماتـــوا جيـاعا
بنى كلِّ معـــترَفٍ منكَـرٍ	اذا سُـــئل راق وإن هُزَّ راعا
تَقــول ولـيـــدا له أُمُّـــه	اذا ما أكبّت عليـــه رَضاعا :
رِدِ المـــوتَ أو كن عَقوقا وعش	اذا أنت كنتَ جـوادا شجـاعا
بأبناء "أيّـــوبَ" حُطَّ السماحُ	فحَـــلَّ العيابَ وألقَ البَعَـاعا (٣)
وجاوز أيـــديَهُـــم شاكـرا	بنـانا رِطابا وبُـــوعا وِساعا
كِرام تـــرى سِرّ أعراضهـــم	مصـــونا وسرَّ غناهـــم مذاعا
اذا أجـــدبوا خصَّهم جدبُهـــم	وإن أخصبوا كان خِصبا جِمـاعا
اذا الخطب أعجـــز برىَ السيو	ف جاءوه بارين فيـــه الـيراعا
قواطـــع يُغمدن سِرَّ الصـدور	ويُشهرن حيّا بـ مـوتٍ تساعى
اذا كذَبتْ فى اللقـاء الـــرما	حُ قاموا بها يصدُقـــون المِصاعا (٤)
ظُبًا فى الأعادى تسىء الصنيـــعَ	فيُحسن أربابُهـا الاصطنـاعا
اذا شهـــدوا قارعات الخطوب	بها خلتهـــم يشهدون القِـــراعا
معـالِ يزيد "أبـــو طالبٍ"	سَـنَا شمسِهـا قـــوّةً وآتسـاعا
ولما رأى كيف طيبُ الأصول	وَفَى مـــكرما وأطاب آفـــتراعا
فـــتًى ملءُ كفك إن جئته	وفاءً [اذا] (٥) العَضْـــدُ خان الذراعا

(١) القذاع : الهجر والشتيمة . (٢) شمس جمع شموس وهو الأبىّ . (٣) البَعَاع : المتاع . (٤) المِصاع : الضرب والمجالدة بالسيف . (٥) ليست فى الأصل .

ربيع[1] الجناب اذا ما الريا — حُ ألصقن بالوَهَدات التِّلاعا
اذا فضَّ نافلةَ الأعطياتِ — توهّم يَقسِم حقّا مشاعا
فلو جئت تسأله نفسَه — لخالك كلّفته ما آستطاعا
اذا نفرت حسناتُ الرجال — شذوذا أنسنَ عليه آجتماعا
فضائلُ قَرَّحهن[2] الكمالُ — و إن عَدَّ أعوامَ عُمرٍ جِذاعا[3]
فذاك قصيرُ المعالى أشلُّ — اذا قاس فِترَ عُلًا طُلتَ باعا
تعلَّق فى نسبٍ كنتَ منه — سَراةَ[4] الأديمِ وكان الكُراعا[5]
اذا ما عُدلتَ به لم يزِنْ[6] — ك مثقالَ مجدٍ ولا كال صاعا[7]
ومختلِف الودّ خالَلته[8] — فكان هواه عدوًّا مطاعا
أراسلُ نابتةَ العرق منه — فضولا ويقطع منى النخاعا
بك آعتضتُ من كل مسلوبة — تغصبنيها الزمانُ آنتزاعا
ودافعتُ هَجمةَ أحداثه — وما كان يملك صدّى دفاعا
فإن هو كافَى البلاءَ الثناءُ — ضمنتُ نهوضا به وآضطلاعا
وسيّرتهن خماص البطو — ن لا يبتغين سواك آنتجاعا
يقعن بعيدا اذا ما قطعن — بأوعية الشِّعر خَرقا[9] وقاعا[10]
اذا ما خطرن على روضة — بعرضك زِدنَ عليها رُداعا[11]

---

(١) فى الأصل "و بيع" . (٢) قرحهن : جعلهنّ قوارح جمع قارح وهو المسن من ذى الحافر الذى شق نابه وطلع ، وفى الأصل فرجهنّ . (٣) جذاع جمع جذع وهو الفتى ، وفى الأصل "جداعا" (٤) السراة ، الظهر . (٥) الكراع : من البقر والغنم بمنزلة الوظيف من الفرس وهو مستدق الساق . (٦) فى الأصل : يريك . (٧) فى الأصل "كان" . (٨) خالله : آتخذته خليلا ، وفى الأصل "حالله" . (٩) الخرق ما آتسع من الأرض . (١٠) القاع : الأرض السهلة المطمئنة قد آنفرجت عنها الجبال والآكام . (١١) الرداع : أثر الطيب .

***

وقال فى غرض من الغزل

وكنتُ ـ وأيّامُ المزار رخيّـــةٌ ... علىَّ ورُخصُ الوصل لى فيك يُطمعُ ـ ،

أعِزُّ فلا أعطى الهوى فيك حقّه ... من الشكر، والمعطَى مع الكفر يُمنَعُ

فلما آســـتردّ الدهرُ منّى عطاءه ... وعادت شُعوبٌ فى الهوى تتصدعُ

قعدتُ مع الهجــران أبكيه نادما ... وأسأل عنــه ماضيا كيف يرجعُ

***

وكتب الى الاستاذ أبى طالب يهنّئه بالنيروز، ويعاتبه فى آخرها على إغضـائه عن قوم تكلّموا فيه بكلام حسدٍ ولم ينكره

لى عنـــد ظبى "الأجرع" ... قصـاصُ جـــرح ما رُعى(١)

ســـهمٌ بعينيـــه دليـ ... ـلُ فُـــوقِهِ(٢) والمـــنزع

جنـايـــة منكـرُهـا ... بيّنــــةٌ للمــــدعى

غارَ وما آحتسبتـــه ... فغــار بين أضـــلعى

ما خلتُ نقـــعَ القـانصيـ ... ـن ينجـــلى عن مصرعى

ياليـــلتى "بحـاجرٍ" ... إن عاد ماضٍ فارجعى

بتنـا على الأحقـاف(٣) تـ ... ـنهـالُ بكـلّ مضجع

موسّـــدين اللينَ من ... كراكِـرٍ(٤) وأذرع

مقـــلةُ ليـــلٍ بُيِّضتْ ... بفجـــره المنصـــدع

قالوا : الصبـاحُ فآنتبـــه ... فقـال لى الطيفُ : آسمع

(١) فى الأصــل "ماوعى" . (٢) الفوق : مشق رأس السهم حيث يقــع الوتر . (٣) الأحقاف جمع حقف وهو ما آعوجّ من الرمل وآستطال . (٤) كراكر جمع كركرة وهى صدر البعير .

(٢٤٥)

فقمت مخلوطا أظـ ـنّ البازل[1] ٱبن الرُّبَع[2]
حيرانَ طرفى دائرٌ يطلب من ليس معى
أرضى بأخبارا لرِّ ياح والبروق اللُّمَّع
وأين من برق "الحمى" شائمةٌ "بلعلع"
سلا مجالى الشيب عن غيم الشباب المقلع
غمامة طخياءُ[3] ريـ ـعَ سِربُها بالقَزَع
فأجفلت لا تلتوى أخلافُها[4] لمرضَع
كما نجت خائفةٌ ورهاءُ لم تُقنَّع
ملكتَ ياشيبُ فخذ ما شئت منى أو دع
طارقة فاجئة بمثلها لم ترُع
أفنَى الخطوبَ قبلها صبرى وأفنت جزعى
أعدَى جبينى[5] مفرق فآستويا فى الصلع
طليعة وجهى بها قبلَ الممات قد نُعى
كان الشبابُ سُدفةً[6] من لك[7] لم تقشَّع
سَترا على ٱلآ يرا نى الدهرُ لو لم يرفع
كم ليلةٍ ظلماءَ [طالت][8] بدرُها لم يطلع
أنكرِ ٱستكانتى للدهر وتخشُّعى
كريمة ما عِهدتْ تأوهى لموجع

(١) البازل : المسن من الإبل . (٢) الرُّبَع : الفصيل ينتج فى الربيع وهو أول النتاج .
(٣) طخياء : مظلمة . (٤) أخلاف جمع خلف وهو الضرع . (٥) فى الأصل "حبيى" .
(٦) السدفة : الظلمة . (٧) فى الأصل "لو" . (٨) هذه الكلمة ليست فى الأصل .

لم ألـــقِ أطمارى ولى ... فيهـا مكانُ مَرقَعِ

كم أحمـــلُ الدنيـا فـلا ... ترقُّ لى من ظَلَـعِ (١)

أعـــذُل منهـا صخـــرةً ... ليس لهـا من مَصـــدعِ

قـــد فنيتْ مـــواعظى ... والدهـــرُ لم يرتـــدعِ

فى كل يـــوم صـاحبٌ ... يشرَع غـــير مَشرَعى

له شِهـادى (٢) مكثرا ... ولى مقــلًّا سَـلَعى (٣)

يسـومنى طبـاعـــه ... مع كلفةِ التطبُّـــعِ

يريد من رفـــد اللئا ... م أن يكون شِـبَعى

هيهـات ما أبعـــدهـا ... هشيمةً من نُجَـعى (٤)

لو كنتُ ذئبَ قفـــرةٍ ... لمـا تبـعتُ طمـــعى

إن البطينَ مخمُصٌ ... فأشـــبع ذليـــلا أو جُعِ

أسـفـفتَ لدنيَّـــةٍ ... فقـعْ لهـا أوطرْ مـــعى

زعمتَ أنّ الشـــعرَ من ... رزق الفـــتى الموسَّـعِ

ولمتَ فى ضـــنِّى به ... قلت : تســـمَّحْ وبِـــعِ

أما تـــرى كسـادَه ... عـــلى نَفـاق السِّـلَعِ

وحسبك الجهـــل بـــه ... خسـارةً للبِضـــعِ

رُبَّ ـ وحاشا الكرما ... ء ـ سـامـعٍ لم يســـمعِ

صَمَّ وأُذنُ عِرضـــه ... تســـمعُ عـــنِّى وتعى

وخاطبٍ وليس كفـ ... ـئا لكريم البِضَـــعِ

(١) الظالع : مشية فيها غمز يشبه العرج . (٢) الشهاد جمع شهـد وهو عسل النحل .

(٣) السَّلَعُ شجرٌ مرّ وقيل : ... ، وقيل : ضربٌ من الصبر . (٤) النجع جمع نجعة وهى طلب الكلا فى موضعه .

يبنى ولم يهوِ وإن · طلّق لم يمتّع
يمنعُ أو ينغّص ال · عطاءَ إن لم يمنع
وأبيض الثغر آبتسا · ما عن ضمير أسفع
ألبسنى صنيعةً · تُسلَبُ بالتصنّع
أفرشنى الجمرَ وقا · ل : إن أردت فاهجع
حملته مغالطا · بجذلى تفجُّعى
يا عطشى إن لم أرِدْ · إلا الخلىَّ المشرَع
لو عفتُ كلّ مالح · لما شربتُ أدمعى
ولو أقمتُ كلّ عو · جاءَ أقمتُ أضلعى
يذاد سرحُ الحىّ من · حيثُ رجا أن يرتعى
ويجدب المرءُ على · أذيالِ دامٍ ممرِع
أخى الذى آمنُ إن · عرّفتنيه فزعى
وكان سيفا كآبن « أ · يّوبَ » اذا قلت : آقطع
أخطِرُ — مع جُبنى — به · فى لأمة[1] المشيّع
اذا رأى ثنيّةً · لسوددٍ قال : آطلُع
أمرِىَ فى نعمته[2] · [أمرُ] الهوى المتَّبَع
فى كلّ يوم جمّةٌ[3] · من سيبه الموزّع
وعطفةٌ ترأبُ [شَعـ · ـب[4]] شملَ المنصدع
سابقةٌ عثرةَ حا · لى أبدا بدعدع[5]

(١) اللأمة : الدرع . (٢) ليست فى الأصل . (٣) الجمة : مجتمع الماء .
(٤) ليست فى الأصل . (٥) دعدع : كلمة تقال للعاثر ومعناها قم وآنتعش كما يقال : لعا .

طال السـحابَ كفُّ صـ ـبٌّ بالسماح مولَــع
وبــذّ حلبـاتِ الجيا[1] دِ سـابقٌ لم يُقـرَع
يخـرج عنهـا ناصـلا من جُـلِّه[2] والبرقـع
خاض الحـروبَ حاسـرا يهـزأ بالمـدرَّع
وحالَمَ آبنَ الأربعـ ـين فى سُموط[3] الأربع
مِن غالبِى شمس العـلا عـلى مكان المطلـع
أصـولُ مجـد ما بهـا فقـر الى مفـرَّع
هـم لبسـوا الدنيـا وبعـ ـدُ حسـنُهـا لم يُـترَع
وآحتلبـوا دِرّتَهـا قبـلَ جُفوف الأضـرُع
من كلّ أخّاذ مـع الـ ـفتك بأمر الــورَع
يورى الدجى بموقـد من جـوده المشعشع
يصغى لصوت الضيف إصـ ـغاء الحِصانِ الأروع
يمسـون غرثَى[4] وهُـمُ مَشـبَعةٌ للجــوّع
وخمـةٍ من الخطـو ب ذات وجـهٍ مفـزِع
كانـوا بـدورَ تِمِّهـا عـلى الليـالى الدُّرَّع[5]
لُدٌّ[6] اذا القـولُ آحتسَى ريـقَ البليـغ المِصـقَع
تعـاوروا صـعابَه بـكلّ رِخـوٍ أصمـع[7]

---

(١) وردت بالأصل هكذا " حلبات " . (٢) الجل : غطاء للدابة كالثوب للإنسان تصان به . (٣) سموط جمع سمط وهو خيط النظم ما دام فيه الخرز واللؤلؤ . (٤) الغرثى : الجياع . (٥) الدُّرَع : ثلاثُ ليالٍ من الشهر تلى البيض لآسوداد أوائلها وآبيضاض سائرها ، واحدها دُرْعة . (٦) لُدّ جمع ألدّ وهو الشديد فى الخصومة . (٧) الأصمع : الذكىّ الحديد الفؤاد والمراد به القلم .

أعلقُ بالراحـــةِ من ... بنـانَـةٍ وأشجـــع[1]

كأنّ أقلامَهُـــمُ ... فى اللُّبثِ والتســرُّع ،

نابتـــةٌ مـع الأكـ ... ـفّ فى حبال الأذرع

مَنـاسبٌ لـو قُـذِعتْ ... شمسُ الضحى لم تُقـذَع

واقفـةٌ من العـلا ... عـلى طـريقٍ مهيَـع

لـو دبَّ كلُّ عائب ... أفـعَى لهـا لم تَلسـع

تحمـلُ فيهـا أَلمَ الـ ... ـميسمَ جبهـةُ الدعِى

صـابـوا رَذاذا وتلـ ... ـوّث بالسـيول الدُّفَّع

اقتعـدوا الرِّدف[2] وأعـ ... ـطَوْك مكانَ القَـمع[3]

باغيـك بنقيصـةٍ ... قتيـلُ داءِ الطمـع

أوقصُ[4] يبغى طلعـةً ... على قُصاص[5] الأتلـع[6]

لو كان من نصـيحتى ... بمنظـرٍ ومسـمع

قلتُ : تنحَّ يا فـريـ[7] ... ـس عن مكان السَّبع[8]

دع العـلا وآسـرح عـلى ... حابسـها الجعجـع[9]

أمرٌ ينـاط بسـوا ... ك خَرقُـهُ لم يُرقَـع

كلُّ يمينٍ لم تُـرا ... فـدْها يسارُ الأقطع[10]

وقلَّمـا أغـنى الفـتى ... شميمُه بأجـدع[11]

---

(١) الأشجع : أصل الإصبع من الكف . (٢) الردف : الكفل والعجز . (٣) القَمَع جمع قَمَعة وهى رأس السنام . (٤) الأوقص : القصير العنق . (٥) القصاص : منتهى الشئ . (٦) الأتلع : الطويل من الجياد . (٧) الفريس : المفروس . (٨) فى الأصل " الشبع " . (٩) الجعجع : مبرك الإبل ومنيخها . (١٠) الأقطع : المقطوع اليد . (١١) الأجدع : الأنف المجدوع أى المقطوع .

بك آ كتسى عــودى وعا د جَـــــلَدا تضعضعى
وبانــ فى الدهــر الغ نىّ أثّرى ومــوقــــــعى
أفســـدتَ قلبى وعقد تَ قارحى[1] وجَـــذَعى[2]
فعــفتُ أحبـابىَ وآستضـ عفت نصــــرَ شِيَعى
فآسمـــع أكاثــرْك بهـا أحسنَ ما قيــل، آسمـع
مَطاربا تُحــــرج نسـ لكَ الحـابسِ المنقطـع
تحنو النجومُ حسَـــدا لبُردها الموشَّـــــع
ما خطَرتُ لمحتـــــذٍ[3] قبــــلى ولا مبتــدِع
أعيت عــلى الراقينــ حـ تى آستنزلتهـا خــدَعى
فى كلّ يــــوم ملكٌ بتـاجهـا المــرصَّع
يهيــــج فى آغتيابهـا داءُ الحســودِ المــوجَع
يخرجها بجهـــــله تروع إنــ لم تقطــع
غضـبانَ أنــ تُكسَر بالـ نَّبع[4] فــروعُ الخـروع
يُســــرِع فىّ والعثـا رُ مولَـــعٌ بالمسرع
لمـا غدت عيـــونُه تصــغُر عنــ تتبُّـعى
عاقبتــــه بضـحكى منــ ذكره فى المجمع
وآكلينــ معــــه زاد الذباب الوُقَّــــع
تُغــمَرُ كفُّ الذمّ منــ أعراضـــهم فى شَمَع
تشـابهـــوا فما عرفـ ت حالقـا منــ أنزع[5]

---

(١) القارح : الذى أسن . (٢) الجذع : الشاب والفتى . (٣) فى الأصل "لمجتد" .
(٤) النبع : شجر صلب تتخذ منه القسىّ . (٥) الأنزع : الذى انحسر شعر جانبيه عن جبهته .

قالـوا وأصغيتم ومن يسمعُ فىّ مُسمِعى
مالى وأنتم وزَرى من الأذى ومفزعى ،
يطمع فىّ عندكم بالغيب من لم يطمع
فى كلّ يوم وقعةٌ شنعاءُ إحدى البِدَعِ
يُمضَغُ لحمُ الليث فيها بنيوب الضَّبُعِ (١)
وفيكم النصر وعزّ الجانب الممتنِعِ
وليس عنّى بلسانٍ ويدٍ من مَدفَعِ
رعايةٌ للفضل إن كان ذمامى مارُعى
ولو [غضبتُ] (٢) غضبةً أعوز سدُّ موضعى
اذا لطالت غيبتى (٣) وكدّكم توقُّعى
ما فى حياض الناس ما يُزحَمُ عنه مَكرَعى
ولا يضيق منزلٌ عنىَ مَعْ تقنُّعى
اذا سلوتُ دارَكم فكلُّ دارٍ مربَعى
لكنّ نفسى عن هوا كم قطّ لم تختدع
لو رأت الخلدَ الترو عَ عنكمُ لم تنزع
ملأتُ قلبى شغفا بكهلكم واليفَعِ (٤)
فلو يسامُ حبّ شىءٍ معكم لم يسع
خيّمتُ فيكم فليضَع من شاء أو فليرفع
ولو وجدتُ مَقنعا فى غيركم لم أقنع

---

(١) فى الأصل " الصبع " . (٢) ليست بالأصل . (٣) فى الأصل " لطلت " .

(٤) اليفع : المترعرع .

وكتب الى العميد أبى الحسين محمد بن علىّ المزرّع

حبٌّ اليها " بالغضا " مرتَبعا | و " بالنخيل " موردا ومشرَعا
" وبأثيلات النقا " طلائلا (١) | يَفرُشها كراكرا (٢) وأذرعا
تُقامصُ البزلاءُ (٣) فيها بَكرَها (٤) | من المراح والثنىُّ (٥) الجَذَعا
مُنًّى لها لو جعلَ الدهرُ لها | أن تأمنَ الطاردَ والمدعدِعا (٦)
عزّت فما زال بها جورُ النوى | والبيد حتى آذنت (٧) أن تخنعا
وأمكنت من الخشاشِ (٨) آنُفا | ما طمعتْ من قبلُ فيها مطمَعا
اللهَ يا سائقها فإنها | جرعةُ حتف أن تجوز "الأجرعا"
أسلْ بها الوادى رفيقا إنها | تسيلُ منها أنفسا وأدمعا
قد كان نامَ البينُ عن ظهورها | وضمّ شتّى شملِها الموزَّعا
فعاد منها مضرِما ألهوبَهُ | لا بدّ فى طائره أن يقعا
من "بمنًى" وأين جيرانُ "منًى"؟ | كانت ثلاثا لا تكون أربعا
راحوا، فمنْ ضامنِ دَينٍ ما وفَى | وحالفٍ " بالبيت " ما تورّعا
وفى الحدوج غاربون أقسموا | لا تركوا شمسا تضىء مَطلعا
سعى بىَ الواشى الى أميرهم | لا طاف إلا خائبا ولا سعى
لا وأبى " ظبيةَ " لولا طيفها | ما آستأذنَتها مهجتى أن تهجعا
ولا رجوتُ بسؤالى عندها | جدوَى سوى أن أشتكى فتسمعا

(١) الطلائل : جمع طلالة وهى الشاخص من آثار الدار . (٢) كراكر : جمع كركرة وهى صدر البعير . (٣) البزلاء : المسنة من الإبل . (٤) البكر : الفتىّ من الإبل . (٥) الثنىّ من الإبل : الذى يلق ثنيته فى السنة الثالثة والجذع : ما قبل الثنىّ . (٦) المدعدع : الداعى للإبل . (٧) فى الأصل " أذعنت " . (٨) الخشاش : العود يجعل فى عظم أنف البعير .

يا صاحبي سرّ الهوى إذاعة طُرّت[1] خروقٌ سرّنا أن تُرقعا
إشرافةً على "قُبا"[2] إشرافة أو آجتهادا دعوةً أن تُسمعا
يا طُلَقاء الغدر هل من عطفة على أسير بالوفاء جُمعا ؟
سلبتمونى كبدا صحيحة أمس فردّوها علىّ قِطَعا
عدمتُ صبرى بجزعتُ بعدكم ثم ذهلتُ فعدمتُ الجزعا
وأنتِ يا ذاتَ الهوى من بينهم عهدُك يوم "وجرة"[3] ما صنعا
لما ملكتِ بالخداع جسدى نقلتِ قلبى وسكنت الأضلعا
وآرتجعا لى ليلةً "بحاجرٍ" إن تمّ فى الفائت أن يُرتجعا
قالوا : ألِكْنا[4] ! فوعظنا صخرةً لا يجد الغامزُ فيها مَصدَعا
قلبا على العتب الرفيق ما آرعوى لحاجةٍ فيك وسمعًا ما وعى
قلت : فما ظنّكما ؟ قالا : نرى أن ندعَ الدارَ لهم ! قلتُ : دعا
فهو مع اللوعة قلب ماجد اذا أحسّ بالهوان نزعا
قد باطن الناسَ وقد ظاهرهم وضرّه تغريرُه ونفعا
وقلّب[5] الإخوانَ وآقتلاهمُ فلم يجد فى خُلّةٍ[6] مستمتَعا
إلى ! حَمَى الله "العميدَ" ما حمى عينًا بجفن وسقاه ورعى
وصان منه للعلا منيتها الزّاكى وشرعَ دينها المتّبَعا
والواحدَ الباقىَ فى أبنائها والشكلُّ قد أوجعها فيهم معا
ضمٌّ فلولَ الفضل حتى آجتمعت مفرّقٌ من ماله ما آجتمعا
وأنشر الجودَ الدفينَ مطلقُ الـ كفّ اذا أعطى آبتداءً أتبعا

(١) طُرّت : شُقّت . (٢) قبا وبعد : اسم موضع قرب المدينة . (٣) وجرة : موضع بين مكة والبصرة . (٤) ألكنا : كن رسولنا وتحمل رسالتنا . (٥) فى الأصل "وقلت" . (٦) الخلة : الصداقة والمحبة .

ودبَّر الأيَّامَ مرتاضا بهـا فلقَّبتـه الناهضَ المضطلعـا
وَفَى بمـا سنَّ الكرامُ فى النـدى ثم آسـتقلّ فعلَهم فآبتـدعا
من طينةٍ مصمَّتةٍ طائيّـةٍ يطبعهـا المجـدُ على ما طبعـا
خلَّى الرجالُ حلبـةَ الجودِ لهـا والبأسِ قـداما وجاءوا تبَعـا
ومرَّ منهـا واحـدٌ مع آسمـه يفضح كلَّ من سخا أو شجعا
ولا ومن أولدهم "محمـدا" وآختـاره من غصنهم وأفـرعا ،
ما خلتُ أن يُبصَرَ ضوءُ كوكبٍ من هالة البـدر أبيه أوسعـا
وأننـا نُغفِلُ ذكرَ "حاتمٍ" فى "طيّءٍ" ونذكرُ "المزرّعا"
حتى علت من بيتـه سحابةٌ جفَّ[1] لهـا ما قبلها وأقشعـا
وأمطرتْ من "العميد" مزنةٌ عمّت فمـا فات حيـاها موضعا
صابت حسـامًا ولسانًا ويدًا بأيّهـا شـاء مضى فقطَعـا
مـدّ الى أفْق العـلا فنـاله يدًا تردُّ كلَّ كفٍّ إصبعـا
وآلتقط السودَدَ من أغراضهـا[2] فـلم يدَعْ لسهمِ رامٍ منـتزَعا
تختصم الأقـلامُ فيه والظُّبـا كلٌّ يقول : بى بدا، ولى سـعى
ويدّعيـه الجـودُ ما بينهما لنفسـه فيعطَيانِ ما آدّعى
أيقظك التوفيـقُ لى وما أرى فى النـاس إلا الهاجعَ المضطجعا
وأجفلتْ عـنّى صروفُ زمنى مـذ قمتَ دونى بطـلا مقنَّعـا
وغرت للمجد التليدِ أن ترى تقلُّـلا عنـدىَ أو تقنُّعـا
ملأتَ وَطبِى[3] فـتى أقرِى القِرى لا أسـقِ إلا مفعَما أو مـترَعا

(١) فى الأصل "حف" . (٢) أغراض جمع غرض وهو الهـدف الذى يُرمى اليه ، وفى الأصل "أعراضها" . (٣) الوطب : سقاء اللبن .

وكنتُ فى ظلّك أبدى[1] جانبا   من جادة البحر وأزكى مرتَعا
فما أبالى حالباتِ المــزن أن   تفطِمنى بعــدك أو أن تُرضِعا
أغنيتنى عن كلّ خــلق أنفق الـ   ـنفاقَ فى آبتيـاعه والخُــدَعا
ومِلكِ مســتعبِدٍ بمـاله   أحُــطُّ من عرضى له ما آرتفعا
اذا دعا مســتصرخٌ برهطـــه   يدفع ضيمَ الدهر عنــه مَدفعًا ،
ناديتُ فى ناديّ "آلَ جعفـرٍ"   على نوى الدار فكنتُ مُسمِعا
وبتُّ أرعَى من جنى إسعادكم   روضا أريضا[2] وجنابا ممــرَعا
لبستُ عيشى أخضرا أسحبــه   بينــكُمُ وكان رَثًّا أسفعا
لياليًا يُحسَبنَ أياما بكم   حُسْــنا وأيّاما يُخلَن جُمُعا
فإن شكوتُ أن حظّى عاثرٌ   بعــدكُمُ فقل لحظّى : لا لعا[3]

* * *

وقال فى غرض له

بعثتُ لقلبى الهمَّ يوم هويتُكم   وبايعتُ عينى بالرقاد دمــوعا
وكنت عزيزا لو عصيتُ خلاعتى   وبتُّ لنصــح العاذلات مطيعا
بحقّكُمُ لا تهجــرون فإننى   أملتُ اليكم جانبىَّ جميعا

* * *

وقال وكتب بها الى الصاحب آبن القاسم بن عبد الرحيم فى المهرجان يهنّئه به وبخلاصه من شكاةٍ لحقته

آنسَ برقا "بالشُّرَيف[4]" لامعا   معتليا طورا وطــورا خاضعا
يخُرق جنبَ الليل عن شمس الضحى   ثم يغــور فيعــود راقعا

(١) فى الأصل "أيدى" . (٢) الأريض : الزكيّ . (٣) لعا : كلمة تقال للعاثر بمعنى آنتعش . (٤) الشريف : موضع باليمن .

كأنّ "هنـدا" فيـه أو أترابها ترفـع ثم تُسـدِلُ البراقعـا
يُزجى السحابَ ينتضى صـوارما عـلى عروق مزنه قواطعـا
بدا كهذّاب الرداء وسرى فسدَّ من جوّ "الغضا"(١) المطالعا
فجاد "نجـدا" ملقيـا أفلاذه لا خامرا نصحا ولا مُصانعـا
يكسر فيهـا بالحيا صُمَّ الحصى ويبسُـط الأُكْمَ(٢) بهـا أجارعا(٣)
تخـالُ بين مائه وتُربهـا مَـواقعُ(٤) القطـر بها مَواقعـا(٥)
أطّـر(٦) للأرض سهاما لم يـدع جسمَ فـلاةٍ بحصـاها دارعا
هنيهـةً ما بين أن أرذَّها(٧) وبين أن بجّـرها ينابعـا
فأحسنتْ عنـد الثرى صنيعَهـا وإن أساءت عنـدنا الصنائعا
استعلنتْ سرَّ الهـوى وأيقظت من عهد "غُمدان"(٨) غراما هاجعا
كأنمـا النافضُ عن قسيِّهـا نبلَ الحيـا يستنفض الأضالعـا
يُذْكرنا من عيشنا على "الحمى" ليـاليـا ببـدره نَواصِعـا(٩)
مواضيا إن عاد رَيعان الصِّـبا أخضرَ عُـدنَ معَـهُ رواجعا
كم ليـلة بتنـا بغـير جنحها من ذهبِ الحَلْي وميضـا صادعا
تكتُم منـا ألسنا عَـوارما(١٠) تحت الدجى وأُزُرا(١١) خواشعا
نفضُّ مكتومَ الحـديث بيننا عن أرِجاتٍ(١٢) تـبرُدُ المضاجعا

---

(١) فى الأصـل "الفضل" . (٢) الأُكْم جمع إكام وهو ما اجتمع من الحجارة فى مكان واحد . (٣) أجارع جمع أجرع وهو الرمل المستوى لا ينبت شيئا . (٤) مواقع القطار: مساقطه . (٥) مواقع جمع موقَعة وهى موضع يقع عليه الطائر . (٦) أطر : ثنى وعطف . (٧) أرذها : أمطرها رذاذا وهو المطر الضعيف . (٨) غُمدان : قصر باليمن بناه يشرخ بأربعة وجوه أحمرَ وأبيضَ وأصفرَ وأخضرَ وكان مسكنَ التبابعة من حِمْيَر . (٩) فى الأصل "تواضعا" . (١٠) عوارما : مشتدة متجاوزة الحد . (١١) أزر جمع إزار . (١٢) أرجات : عطرات ، وفى الأصل "أرجاب" .

كأننا نرعى الخزامَى واقعا · به الندى أو نرِدُ الوقائعا[1]

نحفظ ما كان حديثا حسَنا · منه وما أعجز كان ضائعا

مراكبٌ للهوكنتُ قافلا · لطُرقِ عمرى فوقهنّ قاطعا

أرتضعُ[2] الدهرَ بها ضرورةً · يا سَرعانَ ما فُطمتُ راضعا[3]

أستودع الأيّام من مودّتى · لافظةً لا تضبط الودائعا

وراءها تعطيك أسنى خَبِّها · بنغضها[4] رأسا [مُخَشًّا[5]] مانعا

مَعاطفًا ما انثنَ إلا يبسا · ومنطقا لم يحلُ إلا خادعا

لو حفظَتْ عهدىَ فى ذخيرةٍ · لم أُلفَ يوما بالشباب فاجعا

يا من أطار عامدا وعابثا · عن لمّتى ذاك الغرابَ الواقعا ·

ما سرّنى فى مدلهمّ ليلها · أنّى أرى نجومَه طوالعا

حمائلُ العاتقِ[6] كُنّ لما · أقنصه[7] حبائلا جوامعا

فاليوم لا يعقلن إلا شاردا · منى ولا يعلقن إلا قاطعا[8]

رددن ما كان حبيبا رائقا · منّىَ فى العين بغيضا رائعا

ما خلتُ قبلَ الشيب أن مفرقا · رُصِّع بالدرّ يذمُّ الراصعا

ما هى يا دهرُ[9] وإن حملتَها · منك بأولى ما حملتُ ظالعا

قد عرفَت مطالبى غايتَها · وجاذبت حظوظَها الموانعا

(١) الوقائع جمع وقيعة وهى نقرة فى جبل أو سهل يستنقع فيها الماء . (٢) فى الأصل " أرتصع " . (٣) فى الأصل " راصعا " (٤) نغض : يقال نغض رأسه : حركها فى اضطراب ، وفى الأصل " ببعضها " . (٥) مُخَشًّا : موضوعا فى أنفه الخشاش وهو عود يوضع فى أنف البعير وفى الأصل هكذا " محسًّا " . (٦) فى الأصل " العانق " . (٧) فى الأصل " أقبضه " . (٨) القاطع : الطير الذى يقطع أجواز البلاد . (٩) فى الأصل " باهر " .

وعلِمتُ[(١)] أنــ الكمال ذنبُهـا ... وأنّ فى النقص اليـــك شافعا
يـــلوم فى قناعــتى ذو نَطَفٍ[(٢)] ... لو كان حرَّ العـرض كان قانعا
عادٍ[(٣)] عـــلى خبائث من كسبه ... عَـــدْوَ الذئاب[(٤)] اقــترت[(٥)] المطامعا
إن كنتَ تبـــغى بالهـــوان شِبَعا ... فلا شبعتَ الدهـــرَ إلا جائعا
ملكتُ نفسى فمنعتُ رسَـــنى ... ورحتُ منفـــوضَ الجام خالعا
لا فارسُ الضيم لظهـــرى راكبا ... ولا قطيـــعُ الذلّ جنـبى قارعا
آليتُ لا أصحبُ ذلًّا كارها ... يـــوما ولا آملُ رفـــدا طائعا
لله مــــذلولٌ[(٦)] عـــلى رشاده ... يعـــلم أن الحـــرصَ ليس نافعا
قامرْ بدنياك وبعْـــها مرخصا ... بأبخس الأثمـان تُغبنْ بائعـا
إن عشت متبوعا بها محسَّـــدًا ... أولا فمت ولا تكونــ تابعـا
فى النـاس من يُعطيك من لسانه ... شعشـعةَ الآل اطّباك[(٧)] لامعـا
يَشعَبُ أُذنيـــك ويرعَى لك فى ... ضـلوعـــه فلائقا صـــوادعا
فإنــ ظفـــرتَ منهـمُ بماجد ... فاضربْ به شَـــوْلك[(٨)] تُجِبْ فارعا[(٩)]
واشـــدُد عليـــه يدَ مفتـونٍ به ... فليس إن أفلت منـــك راجعا
حلفتُ بالمنقّبـاتِ سُـــوقُهـا ... خـــوارجا منــ أُهبِهـا[(١٠)] نزائعا
نواحلا خضن الدجى صـــوامعا ... ثم رجعنــ دقـــةً أصابعـا
تُعطِى السُّرى من غير ذلٍّ أظهرا ... حُصًّا[(١١)] وأعنـاقا له خـواضـــعا

---

(١) فى الأصل "وعملت" . (٢) النَّطَف : الاتهام بالريبة والتلطخ بالعيب . (٣) فى الأصل "غاد" . (٤) فى الأصل "الذباب" . (٥) اقترت : تتبعت ، وفى الأصل "اقترت" . (٦) فى الأصل "مدلول" . (٧) اطّباك : ازدهاك . (٨) شَول جمع شائلة وهى من الإبل ما أتى عليها من حملها سبعة أشهر . (٩) الفارع : المرتفع الهيِّئ الحسَن ، وفى الأصل "قارعا" . (١٠) أهب جمع إهاب وهو الجلد . (١١) حُصّ جمع أحصّ وهو المنتوف الشعر الذاهبه .

اذا رمَتْ وراءَها ببــلدةٍ أمسـت لأخرى ظُلَّعا نوازعا
تحسبها عـلى القَـلا طافيـةً مشـترعات لجَّـةً قـوالعا
تحمِـلُ كلَّ زاحـمٍ بنفسـه لذنبـه المرمَى المخوفَ الشاسعا
يُعطى الهجـيرَ حكَمه من وجهه حتى يُرى بَعـد البياض سافعا
يطلب أخراه بأخرى جَهـده حـتى يقـومَ قانتـا وراكعا
تحمِـلُ أشـباحَهُمُ هـديَّةً الى "منًى" طـوارحا دوافعـا
وراش حالى فتحلَّقْتُ بـه من بعـد ما كنتُ قصيصا واقعا
وصرتُ لا أدفـع عن باب العلا وكنتُ لا أُعـرَفُ إلا دافعـا
أنصـفنى من الزمان حاكمٌ [لم] [1] يُبْقِ للفضـلِ نصيبا ضائعا
أبلجُ أبقت خـرزاتُ الملك فى جبينـه خـواتمـا طـوابعـا
يُورى شهاب النجح من خلالها لأعين العافين نورا ساطعـا
غيرانُ للسـودَدِ لا ترى له عـلى المحاماة عليـه وازعا
اذا غمزتَ عاسـرتْك صخـرةٌ منـه وتسـتمريه ماءً مائعـا
لا تستطيع نقـلَه عن خُلقـه فى الجـود من ذا ينقُـلُ الطبائعا
يجـو به إباؤه [2] من أن يرى [3] مضعضعـا للنائبات خاضـعا
يلـقَ سرايا [4] الدهر إن واقعـها بمهجـةٍ عـوَّدها الوقائعـا
ولا تـرى نفسَ فـتًى عزيزةً حتى يُهين عنـدها الفجائعا
اذا بنـو "عبـد الرحيم" شمخوا بأصلهـم طال عليهـم فارعا
سادوا وجاء فاضـلا فسادهـم والبـدر يُخـفِي الأنجـم الطوالعا

---

(١) ليست بالأصل . (٢) فى الأصل "آباؤه" . (٣) فى الأصـل "ترى" .

(٤) سرايا جمع سرية وهي القطعة من الجيش .

ثنى الرءوسَ المائلات نحرهم	وصيّر الناسَ لهم صنائعا
أعطاهُمُ سورةَ مجدٍ لم أكن	فى مثلها لمجدِ قومٍ طامعا
فلو ظفرتُ منهمُ بتابعٍ	رائدَ نصحى أو عذلتُ سامعا
لقلتُ : شُدُّوا الأُزْرَ عن نسائكم	وحرِّموا من بعده المراضعا
كنتَ — وأنت منهمُ — أكرمَهم	فضلَ السَّراة[1] فاتت الأكارعا[2]
وضمَّ ميلادُك شملَ فخرهم	كما تضُمّ الراحةُ الأشاجعا[3]
وكلُّكم نال العلاء ناهضا	بنفسه طفلا وساد يافعا
من معشرٍ راضوا الزمانَ جَذَعا[4]	وزيّنوا أيامَه رواضعا
وآقتسموا الدنيا بأسيافهمُ	فآقتطعوها بينهم قطائعا
اذا رضُوا تمازحوا أو سخِطوا	لم يُحسِنوا فى الغضبِ التقاذُعا
تلقَى المعاذيرَ بهم ضيّقةً	اذا آستُميحوا[5] والعطاء واسعا
سدُّوا خصاصاتِ الثغور بالقنا	وملَكوا على العدا الشرائعا
وبعثوا غُرَّ زَبونٍ[6] جهمةٍ	تحلبُ للأضياف سُمًّا ناقعا
خرساء أو تسمع ما بين الظبا	فيها وما بين الطُّلَى[7] قعاقعا
يسترفد الطيرَ بها وحشُ الفلا	فترُفد الكواسرُ[8] الخوامعا
تعيرُ طخياءُ[9] العجاج فوقها	[من] صبغة الليل ضُحاها الماتعا

(١) السراة : ظهر الأديم . (٢) الأكارع : الأطراف . (٣) الأشاجع جمع أشجع وهو أصل الإصبع من الكف . (٤) الجذع : الفتىّ . (٥) فى الأصل " استهيحوا " . (٦) الزبون : الحرب التى يدفع بعضها بعضا . (٧) الطلى : الأعناق . (٨) الكواسر جمع كاسر وهى العقاب ، والخوامع جمع خامعة وهى الضبع . (٩) الطخياء : الليلة المظلمة والضحى الماتع : الذى بلغ آخر غايته من الارتفاع ، وقد ورد هذا البيت فى الأصل هكذا :

يعسر طحماء العجاج فوقها * صنعه الليل ضحاها الماتعا

تَرجعُ خُمصَ الباتراتِ بُطنًا عنها وتُروى الأسَلَ الشوارعا
اذا نهى النقعُ العيونَ جعلوا أبصارَهم فى نقعها المسامعا
فاستصبحوا ظلماءها مناصلا دوالقا(١) وأنصلا(٢) دوالعا(٣)
لا برحتْ آثارُهم منصورةً بعزمتيك رافعا وواضعا
ولا رأى الملكُ مكانَ نصره وسرِّه منك مباحا شائعا
وقام من دون أمانىِّ العدا جدُّك عنك واقيا ودافعا
طالت لشكواك رقابٌ أصبحتْ كفايةُ الله لها جوامعا
وظنَّ قومٌ فيك ما لا بلغوا أوتبلغَ الأخامصُ(٤) الأخادعا(٥)
داء من الأدواء كان هاجدا(٦) بجاء مشتاقا اليك نازعا
زار مليًّا ثم خاف غضبةً منك فولّى خائفا مسارعا
لم ينتقص دأبا ولم ينقض عُرَى عزم ولم يُزعج جَنانا وادعا
حَمَلتَه حملَك أثقالَ العلا لا خائرا(٧) ولا نَكولا ضارعا
ربَّ نفوسٍ أرفدتْ من ألمٍ نفسَك ما كنَّ له جوازعا
تودُّ أن يحفظك الله لها ولو غدتْ مهمَلةً ضوائعا
ولا أقرَّ الله عينَىْ حاسدٍ رأى القذَى بِرُك والقوارعا
ولا عفا حزُّ المُدَى عن أُنُفٍ كنت لها ــ بأن سلمت ــ جادعا
ولا يرمْك المهرجان عُوَّدا به السنونَ أبدا رواجعا
طوالعا عليك من سعوده بخير نجم غاربا وطالعا

(١) دوالقا : خارجة من أغمادها . (٢) أنصل جمع نصل وهو الرمح ، وفى الأصل "نصلا" .
(٣) دوالعا : مشروعة . (٤) الأخامص جمع أخمص وهو ما لا يصيب الأرض من باطن القدم .
(٥) الأخادع جمع أخدع وهو عرق فى العنق . (٦) فى الأصل "ماجدا" . (٧) فى الأصل "جائرا" .

تسحبُ من ملابس العزّبه ذلاذلًا[1] لستَ لهنّ نازعا
يُكسى بأوصافك كلُّ عاطلٍ منه فنونَ الكلم البدائعا
من الغريبات يكنّ أبدا مع الرياح شُرَّدا قواطعا
اذا آحتبى منشدُهنَّ خاته يمانيًا ينشُرُ الوقائعا[2]
لم تُخترَق قبلى ولا تولّجتْ بمثلهنّ الألسنُ المسامعا
عوانسا أودعْتكم شبابَها علما بتحصينكم الودائعا
أبضعتُ فيكم عُمُرى وعمرَها يا لكرام أربحوا البضائعا
قد بلغتْ آمالَها فيكم فلا تنسوا لها الأرحامَ والذرائعا
كم حاسدٍ دبّ لها عندكُمُ لو كان أفعى لم يضرها لاسعا
اذا بقيتم ووفيتم [لى] فما[3] شاء الزمان فليكن بى صانعا

* * *

وقال وكتب الى عميد الكفاة أبى سعد بن عبد الرحيم يهنّئه بالنيروز

دعُوها تردْ بعد خِمسٍ[4] شُروعا وراخوا علائقَها والنُّسوعا[5]
ولا تحبسوا خُطْمَها[6] أن تطول الـ حياضَ وأيديَها أن تبوعا
وقولوا دعاءً لها : لا عُقِرتِ ولا آمتدَّ دهرُكِ إلا ربيعا
فقد حملتْ ــ ونجت ــ أنفسًا كرائمَ جبنَ الأمانى سريعا
حملنَ نشاوَى بكأس الغرا مِ، كلٌّ غدا لأخيه رضيعا

(١) الذلاذل جمع ذلذل وهو أسفل القميص الطويل وقيل هى أثواب تلبس فوق بعضها البعض، كل ثوب أقصر مما يليه لتظهر كلها للناظرين . (٢) الوقائع جمع وقيعة وهى القفة من الخوص، ويقول بعضهم : إنها بالفاء لا غير . (٣) ليست بالأصل . (٤) الخمس : من أظماء الابل وهو ورودها على الماء فى اليوم الخامس . (٥) النسوع جمع نسع وهو حبل من أدم تشدّ به الرحال . (٦) خطم جمع خطام وهو حبل يجعل فى عنق البعير ويثنى على خطمه أى أنفه .

أحبُّوا فُرادى ولكنّهم على صيحة البين ماتوا جميعا
حموا راحةَ النوم أجفانَهم وشدّوا على الزفراتِ الضلوعا
وباتوا بأيديهمُ يسندو ن فوق الرحال جُنوبا وُقوعا
وفى الركبِ – إن وصلوا لاحقين – عقائلُ يشعَبنَ تلك الصُّدوعا
من الراقصاتِ بحَبِّ القلو ب حتى يكون الحليمُ الخليعا
قصائدُ لم يصطبغن(١) المياهَ ولم يحترشن(٢) اليرابيعَ جُوعا
اذا الحسبُ آعتنَّ فى "خِنْدِفٍ" مسحنَ ذوائبَه والفروعا
خرقن نفوسا لنا فى السجوف جعلن العيونَ عليها وُقوعا
وصالحنا بسباط البنا ن تخضبُ حنّاؤهنّ الدموعا
هوًى لك من منظرٍ لو يدوم ومن آمرٍ بالمنى لو أطيعا
هبطن "أُشَىَّ(٣)" فظنّ العذول وقد ذهب الوجدُ أن لا رجوعا
ولا وهواكِ آبنةَ "النَّهشَلىِّ" ما زاد فى البعد إلا ولوعا
سقاكِ مهاةُ مروِّى العطاش وحيّا ربوعَكِ عنّى ربوعا
ضمنتُ لهن فلم آلهنَّ قلبا مروعا وعينا دَموعا
وقمتُ أناشدُهنَّ العهو دَ لو يستطعنَ الكلامَ الرجيعا
أسكّان "رامةَ" هل من قِرًى فقد دفع الليلُ ضيفا قَنوعا ؟
كفاه من الزاد أن تَمْهَدوا له نظرا وحديثا وسيعا
وأُخرَى وويلُ آمّها لو يكو ن فيها الشبابُ اليكم شفيعا
ألا لا تلُمْ أنت يا صاحبى ودَعْ كلَّ رائعةٍ أن تروعا
وهبنا لهذا المشيبِ النزا عَ لا عن قلًى وأطعنا النزوعا

(١) يصطبغن : يأتدمن . (٢) يحترشن : يصدن . (٣) أشى : اسم واد باليمامة .

وأورى لنـا الدهرُ من مدلهـ ـمٍّ ليـــل الصـبابة بجـرا صديعـا
فليت بيـاضِىَ أعدى الحظوظَ فبـــدَّل أســودَها لى نصيعـا
حلفت بهـا كشـقاق القسـ ـىِّ تحسَبُ أعناقهن الضّـــلوعا ،
تَواصـــلُ من بَزِّ(١) أوبارها سـناما حليقـا وجنبا قريعـا ،
نواحـــل كلِّ نجـاةٍ(٢) أَلَحّ عليها القطيــعُ(٣) فصارت قطيعـا ،
يُحن السُّرى أظهـــرا فى الحبـا ل شامخـــةً ورقابا خضـــوعا ،
أسلن الرُّبَى فى بطون الوهـا دِ حـــتى وصان خُفوضا رُفوعا ،
عليهنَّ شُعثٌ رقاق الجـــلو دِ قد بُدِّلوا بالبيـاض السُّـفوعا ،
تراهم عـــلى شـعفاتِ(٤) الجبـا ل(٥) قبـلَ الركوع "بجمع(٦)" ركوعا ،
رعَـــوا يَبَس العيش أوكثَّروا على منسَك "الخيف" تلك الجموعا ،:
لأتعبَ سعىُ "عميــد الكفاة" سُرى النجم أو عاد عنـــه ظليعا
فتى الحرب أين لقيتَ الخطوبَ بآرائه آنصعن عنــــه رُجوعا
حديدُ الفـــؤاد وسـيعُ الذراع اذا الناس ضاقوا صـدورا وبوعا
كريم الإباء حليم الصِّـــبا تمطّق(٧) بالمجـــد فوه رضـيعا
أصمّ عن الكلم المقـذعات اذا الغمـــر(٨) كان اليها سميعا
حمى النـــومَ أجفانَه أن تـَلَذّ دون آنتهاء المعالى هُجــوعا
وكُلِّفَ كبرَى المسـاعى فقا م يحملهـا قبـــلَ أن يستطيعا
جرت يدُه سلسلا فى الصـــديـ ـق عذبا وبين الأعادى نجيعا(٩)

(١) البز : السلب . (٢) النجاة : ما ارتفع من الأرض . (٣) القطيع الأولى : السوط ، والثانية بمعنى : مقطعة . (٤) شعفات : جمع شعفة وهى رأس الجبل . (٥) فى الأصل "الحبال" . (٦) جمع : المزدلفة . (٧) تمطق : تذوّق . (٨) الغمر : الجاهل الذى لم يجرب الأمور، وفى الأصل "العمر" . (٩) النجيع : الدم .

وأعطى وغار[١] عـلى عرضـه ... فعُــدَّ بذاك وهــو بآ منــوعا

من النفَــر البيض تمشى النجــو ... مُ حيرى اذا واجهــوها طلوعا

ميامين يعترضون الســنين ... عجافا يدرّون فيها الضُّروعا

اذا أجدبوا خصّهـم جدبهـم ... وإن أخصبوا كان خِصبا مَريعا

طِــوال الســواعد شمّ الأنو ... ف طابوا أصـولا وطالوا فروعا

رشـاقٌ فإن ثأروا مختفين ... رأيتهــمُ يملأون الدروعا

٢٥٢

بَنَى لهم الملكُ فـوق السِّماك ... عـلى أوّل الدهر بيتا رفيعا

زليقـا ترى حائمـاتِ العُيوب ... ـ واو طرن ما شئن ـ عنه وقوعا

بنـاه على تاجه "أردشـير"[٢] ... جنـابا مَريعـا وجارا منيعـا

وجاء فأشرف "عبــدُ الرحيـ ... ـم" قُلّتــه وبنُــوه طـلوعا

فــداؤك كلُّ أشـلِّ الوفاء ... اذا كان منّى السرابَ اللمـوعا

وَصــولٌ على العسر من دهره ... فإن صافح اليسرَ ولّى قَطــوعا

وكلّ مصيبٍ عـلى الغِـلِّ فيـ ... ـك قلبـا كتوما ووجها مذيعـا

خبي[٣] لك من حسـدٍ فى حشـا ... ه أفعى فــلا مات إلا لسيعا

حملتَ المعالى بسِنّ الفـتى ... ولم يك حمــلا لهـا مستطيعا

اذا شال[٤] فى الفخــر مــيزانُه ... وزنتَ مثاقيـلَ أو كلتَ صـوعا

زحمتَ بجودك صــدرَ الزمان ... على ضعف جنبي فأقعى صريعا

وعوّذتُ باسمـك حظّى الأبيَّ الـ ... ـحرونَ فأصحبَ[٥] سهــلا مطيعا

كفَيتَ المهمّة من حاجتى ... وأعذرتنى أن أدارى القُنــوعا

وســدَّدتَ أكثر خَـلَّاتىَ الـ ... ـرِّغاب[٦]، فلو قد ســددت الجميعا!

(١) فى الأصل "وعار". (٢) أردشير: أحد ملوك الفرس. (٣) خبي لغة فى خبأ. (٤) شال الميزان: ارتفعت إحدى كفتيه على الأخرى. (٥) أصحب: انقاد. (٦) الرغاب: الواسعة.

لعــلك مُغــنىٌّ عن مورد أرى ماءه الطَّـــرْق[1] سمّا نقيعـا
جنابٌ ذليـــل سحبتُ الخمـــو لَ عمـــرا به وآرتديتُ الخضوعا
وأغمــدتُ فضـــلىَ فيـــه وكنـ ـتُ أُشهِرُ منـــه حساما صـنيعا
ولو أنصـــف الحظُّ لم أرضَــه نصـــيبا ولا قاد مثـــلى تبيعـا
وفى يدكـم أن تغاروا علىّ وأن تحفظوا فىَّ حقّا أُضيعا
ظفِـــرتُ بحـــقّ المـــنى فيكمُ فـمـا لىَ أرعى الخيالَ الخَـــدوعا
وغاليتُ أهـــلَ زمانى بكـم فـــلا تُرخصـــوا ببيانى البيوعا
وضمّـــوا قَـــلوصِى[2] الى سَرحكم وضَنُّوا على الدهر بى أن أُضيعا
فإنّ سحـابةَ إقبالكـم تعيـدُ الى جدب أرضى الربيعا
وكن أنتَ واليَـا نعـــمةً ومبتـــدئا غَرسَها والصـنيعا
فقـــد شهِد المجـــدُ إلا شبيهـا لفضـــلك فيهـــم وإلا قريعا
وخـــذ من زمانك كيف آقترحـ ـتَ عمـــرا بطيئا وحظًّا سريعا
وعش للتهـانى وللمــأثُـــــرا تِ ما ولد الليـلُ فجـرا صـديعا

⁂

وقال يمدح الكافى الخطير عمـدة الملك أبا عبـد الله القَنَانىّ فى المهــرجان ، ويشـكو تأخر عادةٍ كانت له ، ويستبطئ النظرَ فى بابه ، ويعــرِّض بمفارقة البلدان [حين][3] آستمر ذلك عليه

حماها أن تُشَـــلَّ[4] وأن تُراعا رصيدُ الكيد[5] ما حمـلَ آسـتطاعا
هصـــورٌ تقبض الأقـــدارُ عنـــه حبائلَهـا اذا بســـط الذراعا

---

(١) الطرق : المـاء الذى خوضته الإبل و بالت فيه و بعرت . (٢) القلوص : الفتيّة من الإبل .
(٣) ليست بالأصل و يقتضيها السياق . (٤) تشلّ : تطارد . (٥) المراد برصيد الكيد : الأسد .

ذكىّ(1) العين أغلبُ(2) لم تــزده(3)	ممارســةُ العـــدا إلا آمتناعا
يبيت بنفســه جيشا لُهاما	ويكفيــه توحُّــدُه الجِماعا
اذا ذعــرَ الطريدةَ، لم يُجِــرْها(4)	هوتْ خفضا أو(5) آطلعت يفاعا ؟
يشمُّ الرزقَ عن مسرَى ثلاثٍ	فيقطعها عــلى سـغَبٍ تباعا
تكلِّفـــه الدماءَ ملبَّــداتٌ	له بالغـاب تنظُـــره جِياعا
له ثقـــةٌ بأوبتـــه نجيحا	يطاولها الهَمام(6) أو(7) الــــتزاعا
اذا نصلتْ(8) مخالبُها لغــــوبا	أعاد خضابَها(9) العَـلَق المُتَاعا(10)
يغاديها الغـريضَ(11) ويعتشـيها(12)	شـبولا أو تــتمُّ له سِــباعا
فكيف يخاف سائمُهـا عليهـا	وما يحفظْ " أسامةُ(13) " لن يضاعا
رَعتْ وادى الأمانِ به وراحت	رِواءً من مشاربها(14) شِباعا
تضيق عــلى كَراكرها(15) خُطاها	اذا صاح الحُــداةُ بها : الوَساعا
مضت بجُنوبها عرضا وطــولا	فـا تســع الحبالَ ولا النِّساعا
كفاها " عمــدةُ المُلك " الولايا(16)	وأفــرشهـا النمـارقَ(17) والنِّطـاعا(18)
ومدّ لها من الإحسان ظــلّا(19)	يفىء به الحــدائقَ والــوقاعا(20)

(١) ذكىّ : متوقّد . (٢) الأغلب : الأسد، وفى الأصل "أغلت" . (٣) فى الأصل "ترده" . (٤) فى الأصل "يجردها" . (٥) فى الأصل "و" . (٦) الهمام : الهمّ بالشئ . (٧) فى الأصل "و" . (٨) نصلت : خرجت من الخضاب . (٩) فى الأصل "حصاتها" . (١٠) العلق : الدم الشديد الحمرة، والمتاع : المسال، وفى الأصل هكذا "الماعا" . (١١) الغريض : الطرى من اللحم . (١٢) فى الأصل يعتسيها . (١٣) أسامة : علم جنس على الأسد . (١٤) فى الأصل "مساربها" . (١٥) كراكر جمع كركرة وهى صدر البعير . (١٦) الولايا جمع وليّة وهى البرذعة . (١٧) النمارق جمع نمرقة وهى الوسادة الصغيرة يتكأ عليها . (١٨) النطاع جمع نطع وهو بساط من أديم . (١٩) فى الأصل "طلا" . (٢٠) الوقاع جمع وقيعة وهى نقرة فى جبل أو سهل يستنقع فيها الماء .

وقد نام الرُّعاة وغادروها ... على جِرّاتها [١] نَهبا [٢] مشاعا

تواكلها الحماةُ وتصطفيها ... ولاةُ السوء بُزْلًا [٣] أو جِذاعا [٤]

اذا حامت لوِرد العدل قامت ... عِصِيُّ الجور تطردها تِباعا

فخرَّم سَرحها وحنا عليها ... وضمّ سُروحها بَدَدًا شَعاعا [٥]

فتًى إن مدّت الجوزاءُ كفًّا ... لها خرقاءَ مدّ يدا صَناعا

فقرّت فى معاطنها ودرّتْ ... وباركت المنائح [٦] والقِراعا [٧]

وفى "الكافى" وقد عجزتْ رجالٌ ... علتْ حظًّا ولم تعلُ اضطلاعا

ونال بحقّه ما نال قومٌ ... فشا غَلَطُ الزمان بهم وشاعا

أُضيفوا فى العلا نسبا دخيلا ... فعدُّوها [٨] الزعانف [٩] والكُراعا [١٠]

زوائد مثلما ألصقتَ ظُلما ... بثوب لا خروقَ [١١] به الرِّقاعا

وما قرعوا على النعماء بابا ... ولا بسطوا الى العلياء باعا

تعاطَوها مكلَّفةً كِراهًا ... وقمتَ بها مولّدةً طِباعا

وملّكك السيادةَ عِرقُ مجد ... تليد كان إرثا لا ابتياعا

حُضِنتَ بحجرها وسقتك دَرًّا ... بخِلفيها [١٢] فوقّتك الرَّضاعا

وجئت ففتَّ عزَّ الأصل حتى ... فرعتَ بنفسك الأفقَ ارتفاعا

---

(١) جرات جمع جرة وهى أن يعيد البعير ما فى جوفه الى فه ليأكله ثانية . (٢) فى الأصل "تهبا" . (٣) بزل جمع بازل وهو البعير المسن . (٤) جذاع جمع جذع وهو ما قبل الثنىّ ، والمراد بالبزل والجذاع هنا الشِّيب والشبّان . (٥) بددا شعاعا : متبددة متفرقة . (٦) المنائح جمع منيحة وهى الناقة أو الشاة تعطيها غيرك يحتلبها ثم يردها عليك ، وفى الأصل هكذا "المنائج" . (٧) القراع جمع قريعة وهى خير المال . (٨) فى الأصل "فعزوها" (٩) الزعانف جمع زعنفة وهى طرف الأديم كاليدين والرجلين . (١٠) الكراع : مستدق الساق أو طرف الشىء . (١١) فى الأصل "حروق" . (١٢) الخلف : حلمة الضرع .

نظمتَ الملكَ منخــرطا بديدا   وقمتَ بحفظــه ملغًى مضاعا
شعبت قناتَه ولقــد تشظَّت(١)   معاقــدُها وُصُــوما وآنصــداعا
ورِشت فطارَ وهــو أحصُّ(٢) ترمى   محلّقــةَ النســور به الضـبـاعا
على حين النزىّ(٣) رأى المداوى   وحـــطّ مخمَّـــــرُ(٤) الشرّ القناعا
وقام الدهر يجـذُبُ كلَّ عُنْــقٍ   معظَّمــةٍ فيـــوطئها الرِّعاعا
وبات الخوفُ يَقسِم كلَّ عيـن   فمـا يجـد الكرى طـرفا خُشاعا
وكلُّ يدٍ لهـا بطشٌ بأخـــرى   بغَشْمٍ لا آرتقابَ(٥) ولا آرتــداعا
نهضتَ ــ وبالظُّبـا عنها نياطٌ(٦) ــ   تهزُّ قَنًـا وأقـــلاما شِـــراعا
ولم أر كالحسام غــدَا جبـانا   دعا قلمـا فأصرخه شجـاعا
فداجيـــةٌ برأيك قــد تجلَّتْ   وعاصٍ من حِذارك قــد أطاعا
اذا الوزراء ضمَّهُــمُ رهانٌ   فتيًّـا أو ثنيًّـا(٧) أو رَباعا(٨)
سبقتَ بخصـــلةٍ لم يحـرزوها   ــعلى ما قدّموا ــ القُضُب الوِساعا(٩)
وكنتَ أعفَّهم نفسـا وأجرا   همُ عزما وأرحبَهـــم ذراعا
عزفتَ فمـا [ترى](١٠) الدنيا جميعا   وزخرفَ ملكِهـا إلا متـاعا
وقــد أعطتك مِقــودَها ذَهابا(١١)   عـــلى تصريف أمرك وآتبـاعا
وغـــيرك قادرا لم يعصِ والى   هـــواه ولا آســتطاع له دفاعا

---

(١) تشظت : انشقت وتطايرت شظايا وفى الأصل "تشطّت" . (٢) الأحصّ : المنتوف الريش . (٣) النزىّ : السوّار الى الشرّ ، وفى الأصل "الترى" . (٤) المخمّر: لابس الخمار . (٥) فى الأصل "ارتقات" . (٦) النياط : المفازة بعد طريقها . (٧) الثنى : الذى ألق ثنيته . (٨) الرَّباع : الذى ألق رباعيته وهى السن التى بين الثنية والناب . (٩) القضب الوساع : النوق الواسعة الخطى التى لم ترض . (١٠) ليست بالأصل . (١١) ورد هذا الصدر فى الأصل هكذا

* وقد أعطتك مقودها با *

مدحنا النـاسَ قبلك ذا نـــوالٍ حـــوى خيرا ومخشيًّا مُراعا
وقلنـا فى الكـرام بمـا رأينا عِيـانا أو نقلناه سمـاعا
فلمـا عبَّ بحـــر نداك كانوا الى يـــدك النقائرَ والبِقـاعا(١)
وأنك بالذى سمعـــوا لأولَى ولكن صافقٌ غُبنـــ(٢) البَيـاعا
فيا لشـــهادةٍ بالجـــود زورا جرت ومـــدائح ذهبت ضَيـاعا
ولو أنا ملكنا الريحَ رُمنـا لذاهب ما آســتعاروه آرتجاعا
وســـقناه اليك فكان أنـــقَ وأضـوعَ عَبْقَـــةً بك وآرتداعا(٣)
هل آنت لقولة طغت آضطرارا تقابلهـا فتوســـعها آستماعا ؟
أدوم عـــلى خصاصته طويلا مخافـــة أن يقـال شكا آقتناعا
يسارقُ عيشـــةً رعنـاء حـيرَى فـــلا وُهُدا تحـــلُّ ولا تِلاعا
يرقِّعهـا وتســـبقه خروقا وهـــذا الفرىُ(٤) قـــد غلب الصَّناعا(٥)
وكنت تعـــيره لحظا فلحظـا فتحفظـــه ولـــولا أنت ضاعا
وتُمسِكه ببُلغـــةِ ما تراه الـ ـمكارمُ ممكنا لك مســـتطاعا
فينقُص عمـــرُه يوما فيـــوما بفَضـــلةِ ذاك أو ساعًا فساعا(٦)
وقـــد نُسخ العطـاءُ فصار منعا وعاد الوصـــلُ صـــدّا وآنقطاعا
وكاد الكامن المســـتورُ يبـــدو وأسرارُ التجمّـــل أنـــ تذاعا
وضاقت ساحة الأوطان حـــتى تطاول أيـــ يرسلها آطـــلاعا
وما للحـــرّ تلفِظـــه بـــلادٌ كعزم يُنهض الإبلَ الظِّلاعا
وأُقسم لو أمنتُ عليـك عقبى الـ ـسماحةِ بى لمـا خفتُ الزَّماعا(٧)

(١) البقاع جمع بَقْعة وهى المكان يستنقع فيه الماء، وفى الأصل "اليفاعا" . (٢) فى الأصل "غبن" . (٣) الأرتداع : أثر رائحة الطيب . (٤) الفرى : الشق الفاسد . (٥) الصناع : الحاذق الماهر . (٦) الساع جمع ساعة . (٧) الزماع : المضاء فى الأمر .

وما ونداك ما هـو أن أمرّتْ مريرةُ جفـوتى إلا الـوداعا

أفارقكم لغـير قِـلًى فظـنى بنفسى بعدكـم أن لا آنتفاعا

وأترك بينكـم غُرر القـوافى تَناوحُ خلف ظهـرى آو تَدَاعى

فمن لكُمُ يقـومُ بهـا مقامى اذا آندفعت مواكبُها آنـدفاعا

بقيتُ لهـا ومات النـاسُ غيرى فغاروا للبقيـة أن تضـاعا

هبـونى مهرةَ العـربىّ فيكم تُجاع لهـا العيالُ ولن تُجـاعا

أعيـذ علاك أن أُنسَى قريبـا وأن تشرى "الكفاةُ" (١) وأن أباعا

لعلّك تصـطفى عِرْقا كريمـا فتحمـدَه آغتراسا وآصطناعا

ومُدليـةٍ الى نعماك عـنّى بحـقٍّ فى المكارم أن تراعى

تشافهك الثنـا عـنّى وتُمسى حِصابا فى عـدوك أو قِـراعا

لهـا فى بعـد مسراه أجيـجٌ (٢) عصـوفُ الريح يخـترق اليَراعا (٣)

تكون تمائمـا لك أو رُقًى فى لِسـاعِ الدهر، إن له لِسـاعا

وأنّ المهـرجانَ له شـفيعٌ خليـقٌ أن يُبَرّ وأن يُطـاعا (٤)

فلا عدمتك ـ يا بدرُ ـ الليـالى ولا خفتَ المحـاقَ ولا الشّعاعا (٥)

ولا خلج الزمانُ عليـك بيتـا يفـرّق ما تُحبّ له آجتماعا

فإنّ ظعائنا "بالسـفح" قدّت أديمَ الليـل ينصعن آنصياعا (٦)

حملن بها ــ مكـرّمةً ــ رخيًّا (٧) حصيننا (٨) عهـدُه ودَمًا مُضـاعا

---

(١) فى الأصل "تسرى". (٢) الأجيج : التلهب. (٣) اليراع : الأجمة.
(٤) فى الأصل "أن تبر وأن تطاعا". (٥) الشعاع : التفرق. (٦) عاد الشاعر الى الغزل والنسيب مرة ثانية بعد أن آختتم قصيده بالمديح والدعاء ولم نفهم المغزى الذى أراده ولعلها أبيات مؤخرة على ما فيها من آضطراب. (٧) فى الأصل "رخيا". (٨) فى الأصل "خصيبا".

طوالع أو غرائب فى "شَرافٍ"(١) مَلًا(٢) فــلّا يرون بهــا مَلَاعا(٣)
وفى الأحداج محجوبا هــلالُ اذا راق العيونَ خفى فــراعا
يحييــه خفوقُ الظلّ جــتى اذا ركب الهوى صدقَ المِصاعا(٤)
أشاط(٥) دمى وخلّفنى ودمــعى أســيلُ به المــلاعبَ والرِّباعا(٦)
سطا بقبيــله فلوى ديــونى "قضاعة" من لخصمكُمُ "قضاعا"
أمنكِ سرى ٱبنةَ الأعرابِ طيفٌ وقد كذبا على الشعب(٧) ٱنصــداعا
سرى والصبحُ يذعَرُ من توالى الـ ـنجوم معــزِّبا(٨) بقَــرًّا رِتاعا
ألَمّتَ من "شَرافَ" بنا لحَيّت " أظبيةُ " أم أرى حُلُما خِداعا ؟
فإما أنت أو طيفٌ كذوبٌ كِلَا الزَّورين(٩) كان لنـا متاعا

* * *

وقال وكتب بها الى أبى منصور بن المزرّع

مِلْ معى لا عليك ضرّى ونفعى نسأل "الجَزْعَ" عن ظباءِ "الجزعِ"(١٠)
قلتَ : لا تنطــق الديار ولا يمـ ـلك بالى(١١) الطلولِ سمعا فــيُرعى
وعلىّ الســؤالُ ليس عــلىّ الـ ـعارُ إن ضنّت المغانى برجع
لم أكن أوّلَ الرجال ٱلتوى صَغْـ ـوى(١٢) لدار الأحباب أو مال ضِلعى
قــد شجا قلــبيَ البكاءُ بثزف الـ ـأربع الحمــرِ(١٣) فى الثــلاثِ السُّفع(١٤)

---

(١) شراف : اسم ماء بنجد . (٢) الملا : الصحراء أو المتسع من الأرض . (٣) المَلَاع : المفـازة لا نبات فيها وهى أيضا من صفات العقاب . (٤) المصاع : المقـاتلة والمجالدة . (٥) أشاط : سفك . (٦) الرباع جمع ربع وهو المنزل . (٧) فى الأصل "السعب" . (٨) معزِّبا : مبعدا ، وفى الأصل "معربا" . (٩) الزور : الزائر . (١٠) الجزع : اسم واد وديار باليمن . (١١) فى الأصل "باكى" . (١٢) الصغو : ميل الحنك . (١٣) يريد بالأربع الحمر : الموقين والحاظين للعينين . (١٤) يريد بالثلاث السفع : ثلاث حجارة تنصب عليها القدر تسمى "الأثافىّ" جمع أثفيّة .

هـل مجابٌ يدعو مبـدِّد أوطا ... رى "بجمع" يردُّ أيامَ "جَمعِ"[1] ؟
أو أمينُ القـوى أحمّله هـ ... مًّا ثقيلا بحطِّهِ دون "سَلعِ"
وعـلى ذكره جرى باسمـه المحـ ... ـفوظُ من عهد أهله والمرعى
فافرُجا لى عن نفحةٍ من صَباه ... طال مدّى لها الصليفَ[2] ورفعى
إن ذاك النسيمَ يجرى على أر ... ضِ ثراها فى الريح رقيةُ لَسعى[3]

وخيام تُثنَى علـى كلّ بـدرٍ ... ملَكَ الحسنَ بين خمسٍ وتسعِ
وبما ضاق منكما وٱستباح الـ ... ـحبّ سلبى يا صاحبىّ وبخعى
غنيانى[4] "بأمّ سعدٍ" وقلبى ... معَها ، إن قلبىَ اليومَ سمعى
وٱصرفا عنّىَ الملامة فيها ... لستما تنقُلان باللوم طبعى
سألتْ بى : أنَّى أقام ، وهـل نا ... م بعينيه بعـد هجرى وقطعى ؟
قيل : يبكى فى الرَّبع ، قالت : فما با ... لى أرى يابسا ترابَ الربعِ !
خار قلبى فغاضَ فى الدار جفنى ... فٱستحلّت دمى بتفريط دمعى
كم "بنجدٍ" لو وفَى أهلُ "نجدٍ" ... لفؤادى من شَعبةٍ أو صدعِ
وزفيرٍ علّمتُ منه حمامَ الـ ... ـدَّوح ما كان من حنينٍ وسجعِ
وليالٍ قنعتُ منها بأضغا ... ثِ الأمانى ومخلبات اللمعِ
ما أخفَّ الأقدارَ فى غبنِ[5] حظّى ... وتعفّى أنسى وتفريق جمعى
كلّ يوم صَرفٌ يخابط أورا ... قى من الدهر أو يخالس فرعى
أرفع الضيم بالتجمل حتى ... مرَدَ الخرقُ عن خياطِ الرقعِ
رفض الناسُ مذهب الجود حتّى ... ما يدينون للسماح بشرعِ

(١) أيام جمع : أيام منى . (٢) الصليف : صفحة العنق . (٣) فى الأصل "تسعى" .
(٤) فى الأصل "غبانى" . (٥) فى الأصل "عين" .

فســـواء عليهـمُ أبجـــــد طرَق الشِّـعرُ أم بسبٍّ وقـذع
وأمرُّ العطـاءَ نزرٌ كثيرُ الـ ـمنِّ حـتى آستحليت طعم المنع
أسأل الباخلين والله أولى بكريم الجـدا وحُسن الصـنع
وعـلى خطّة العـلا بعـد قوم طال باعى فيهم وأرحبَ ذرعى
هم حَمَـونى وما حمى حـدّ سيفى ووقَـونى ما لا تقيـنِىَ درعى
وأهابوا فـزعزعوا الدهرَ عـنّى وهو ليثٌ على الفريسـة مقعى (١)
قسما بالمنقَّباتِ الهـــدايا شُـقَقِ الضاب أو قسىِّ النبـع ،
كلّ جرداءَ لفّـها السـيرُ بالسيـ ـر فعادت فى النِّسع مثـلَ النسع ، (٢)
خضعت تحت رحلها بعسـيب (٣) كان بالأمس مشرفا كالجـذع ،
نفضت بين "بابلٍ" و"منًى" قا ب ثلاثين ليـلة فى سبع ،
تدرج الليـل بالنهـار فما تأ نس فرقا ما بين رفع ووضع ،
طُلَّعا من "أبى قُبيس" (٤) يُخيِّلـ ـن حَمَامًا على الهضابِ الفُـرع ،
تحـلُ السُّهَّم (٥) الملاويحَ (٦) أشـبا حا توافَوا من كلّ فجٍّ وصُقع ،
زمّلوا أوسُـقَ الذنوب (٧) وقضَّـو ها حِصابا فى السبع بعـد السبع ، :
لحَلَا من "بنى المزرّع" مجنا ىَ وزكّى غرسى وريَّع زرعى
المَلبّـون غــدوةً والملبو ن دفاعا ولات ساعـةَ دفع
كلّما هُزَّت الحفائظُ منهـم أطلعـوها ملمـومةً كلَّ طِلع (٨)

---

(١) فى الأصل " مقع " . (٢) النسع : حبل من أدم تشدّ به الرحال . (٣) العسيب : عظم الذنب . (٤) أبو قبيس : جبل مشرف على مسجد مكة . (٥) السهم جمع ساهم : وهو الذى تغير لونه وبدنه مع هزال . (٦) الملاويح جمع ملواح وهو الضامر . (٧) فى الأصل " الذبوب " . (٨) فى الأصل " أظلعوها ملومة كل ظلع " .

حملوا فوقها الشموس وقادو ... ها بجاءت من الدجى فى قِطع (١)
يغسل العارَ عنهم لذعُ خُرصا ... نِ قناها إن همّ عارٌ بلذع (٢)
واذا فار فيهمُ عرقُ "طيٍّ" ... أضرم الأصلُ نارَه فى الفرع
لبسوا النقع حاسرين فشقّوا ... بنجوم العلا ظلامَ النقع
بأنوفٍ فوق الملاثم شمٍّ ... ورقابٍ تحت المغافر تُلع (٣)
كلُّ تالٍ أباه يجرى كما يجـ ... ـرى ويسعَى الى العلاء ويُسعى
سلكوا فى الكمال فا نتظموه ... مُولَجَ الخيط فى ثقوبِ الجَزعِ (٤)
يُرطبون القرى وقد أعجفَ العا ... مُ ومُدّت فيهم ذراعُ الضَّبع (٥)
بعِلابٍ مفهَّقات اذا ما ... ردَّ شُخبيه حالبٌ فى الضَّرع (٦) (٧) (٨)
واذا عزّت البِكارُ عليهم ... لم يُغِذّوا أعيارَها بالكسع (٩) (١٠) (١١)
فزت منهم على الظما بقليبٍ ... لم يكدِّر جمّاته طولُ نزعى (١٢) (١٣)
جئته ساغبا مُحلّاً عن النا ... س جميعا فكان ريِّى وشِبعى (١٤)
وصلتْ بى حبلَ "المهذّبِ" أنوا ... ءُ سعودٍ ما كنَّ أنجمَ قَطع
ودعتنى الى هواه سجايا ... هنّ صَرفى عن سواه وردعى
بالبديع الغريب فيهم وما جا ... ءك من فضله فليس ببدع

(١) القطع : الجزء من الليل . (٢) الخرصان جمع خِرص وهو السنان . (٣) المغافر جمع مغفر وهو زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس وتلع جمع أتلع وتلعاء : الطويل من الأجياد . (٤) الجزع : الخرز . (٥) الضبع : السنة المجدبة . (٦) علاب جمع علبة وهى قدح ضخم يحلب فيه . (٧) مفهّقات : ممتلئات ، وفى الأصل " مفقهات " . (٨) الشخب : ماخرج من تحت يد الحالب عند كل غمزة وعصرة للضرع . (٩) البكار جمع بكرة وهى الفتية من الإبل . (١٠) أعيار جمع عير وهو الحمار أيا كان وحشيا أوأهليا . (١١) الكسع : الطرد . (١٢) القليب : البئر . (١٣) جمات جمع جمة وهى معظم الماء . (١٤) يريد محلأً أي ممنوعا عن الورود .

(٢٥٦)

سوّد النـاسُ ودّهـــم وجلا لى عن وجـوهٍ بيضٍ من الودّ نُصع

ردّ صـــوتى ملبّيـا ورعانى (١) بيــدٍ كالغمام تُـروى وتُــرعى

لا بمليغ غـــريبهـا مـــلء أيّاً مىَ فيـــه ولا بـــوَأْدٍ مقـــعى

يا غياثى المبلوغَ قبل آجتهادى وربيعى قبـــل آرتيادى ونجعى

وظلالى من الأذى بين قوم هجّـــروا (٢) بى فى القرقرىّ (٣) النقـع

كم كمين من راحتيـــك كريم لم أُثِـرهُ برقُيــتى وبخَــدعى

جاء عفوا وعاد وتّرا وقـد كا ن كفانى منـــه وفورُ الشّـــفع

لم تُصِخْ للعـذول فى فرط أشعا رى ولم تـــزدجر بنهيٍ ووزع

شيمـــة ما نقلتْهـا عن أناس حملوا هضبةَ العــلا غــير ظُلْع

كلّ ليثٍ مشى الرُّوَيدَ وخفَّفـ ـتَ الى سبقه خُفـــوفَ السِّمع (٤)

بـك طالت يدى وخفّ عـــلى[كلِّ (٥)]فؤادٍ يسـتثقل الفضـــلَ وقعى

وتـنزّهتُ عن معـاشرَ لا يفـ ـتَحُ أبوابَ جودهم طولُ قـرعى

صدتُ بالمضرحىّ (٦) أزرقَ (٧) فآستحـ ـييت صيدى بالناعقات البُقْع (٨)

لامنى الحاسدون فيك فآبوا بين زَبنٍ (٩) شاهَ الوجـوهَ وقمع

مالهم معرضين عنّى ومصغيـ ـن لقولى إلا آصطلامى (١٠) وجدعى (١١)

---

(١) فى الأصل "ودعانى" . (٢) هجروا بى : ساروا بى فى الهاجرة ، وفى الأصل "هجرونى" . (٣) القرقرىّ منسوب الى قرقر وهو القاع الأملس المستوى . (٤) السِّمع : سبع مركب وهو ولد الذئب من الضبع ، أسرع من الطير فى عدوه ، ووثبته تزيد على مسافة ثلاثين ذراعا وهو شديد السمع يضرب به المثل فى ذلك فيقال : « أسمع من سمع » . (٥) ليست بالأصل . (٦) المضرحىّ : الصقر أو النسر الطويل الجناح . (٧) أزرق : وصف للمضرحىّ فنصب على الحال . (٨) البقع جمع أبقع وهو صفة للغراب لآختلاف لونه ، وفى الأصل النقع . (٩) الزبن الدفع ، وفى الأصل "زين" ، والقمع : ضرب أعلى الرأس . (١٠) الآصطلام : استئصال الأذن . (١١) الجدع : قطع الأنف . وفى الأصل "حذعى" .

ولك الصائبات حَبَّ الأعادى بسهام يدمين قبل النزع
كلّ ركّاضة بذكرك فى الأر ض على ألسن الرواة الدُّلَّع
ما شيات على الظراب[1] ولم تحـ ـفَ ولا قيدت قِبالا[2] بشسع
لا يزاحمن ذا كُراعٍ[3] ولا يُضـ ـرَبْنَ حول الحياض ساعة كرع[4]
تقطع البرَّ بالمهارى[5] الجديلـ ـيّات[6] والبحرَ بالسفين القُلَّع
نظّمتْها سماتُ مجدك فى الأسـ ـماع نظمَ العذراء خيطَ الودْع
من علاك ٱنتخبتُ[7] حليةَ صوغى مستعينا وٱخترت دُرَّة رصعى
فٱستمعها لم يلقَ قبلى ولا قبـ ـلك ذو منطقٍ بها ذا سَمع
ساق منها النيروزُ عذراءَ لم تسـ ـمح لصهرٍ سواك قطّ ببُضْع
كثرت وهى دون قدرك فاعذر فى قصورى وٱقنع بما قال وُسعى

* * *

وكتب الى الأمير أبى قوام ثابت بن علىّ بن مَزْيَد يذكر رسمه، وخلاصه من جُدَرىّ كان عرض له، وأشرف منه على التلف

بدينك بعد ما ٱنفرق الجميعُ أتصبر أم يروعك ما يروعُ ؟
تداعوا بالنوى فسمعت صوتا يودّ عليه لو صَمَّ السميعُ
وزمّوها مسنَّمةً بِطانا تغصُّ بها النمارقُ[8] والقُطوعُ[9]

(١) الظراب جمع ظَرِب وهو ما حدّ طرفه ونتأ من الحجارة، وفى الأصل "الضراب". (٢) القبال: زمام النعل كالشسع. (٣) الكراع: مستدقّ الساق. (٤) الكرع: مد العنق والشرب بالفم لا بكفّ ولا بإناء. (٥) المهارى: الإبل المنسوبة الى حىّ مَهرة بن حيدان. (٦) الجديليّات: منسوبة الى الجديل وهو فحل تنسب اليه الإبل. (٧) فى الأصل "انحلت". (٨) النمارق جمع نمرقة وهى الوسادة الصغيرة يتكأ عليها. (٩) القطوع جمع قِطع وهى الطنفسة تكون تحت الرجل على كتفى البعير.

حواملَ كلَّ ما شكت المطـايا[1] ولكن كـلَّ ما شكر الضجيعُ[2]
تكلّفها الحُداةُ "بطن خَبتٍ" من الأحداج ما لا تستطيعُ
اذا ما خفّ أو نهض النـواجى[3] مشت منهـا الحسـيرةُ والظليعُ
وفى الأظعان متّهـمٌ برىءٌ بنخـوته ومحفـوظٌ مُضـيعُ
ومنتفضٌ كأنتـه "بنجـد" له "بالغـور" مقتنَص صريعُ
ومن سِرّ العشـيرة من "مَعَدّ"[4] — مكانَ النجم — باذلةٌ منـوعُ
عصىُّ الرِّدف لَينـة التثنّى تقسّمَ خصرَها شِـبعٌ وجـوعُ
اذا سئلت فراحمـةٌ زبونٌ وإن وعـدت نخالبةٌ لمـوعُ
جرى بهمُ "أشىٌّ"[5] فعبّ بحـر حمـولُهمُ سفائنُـه القُـلوعُ
غوارب، فأرتجعت الىّ طَـرفى يناشد "ذا الأراكِ" متى الطلوعُ
ألا هل — والمنَى سـفهٌ وحلمٌ وصادقـةٌ تسرّك أو خَدوعُ — :
لظمآنٍ "ببابلَ" من سبيلٍ الى المـاء الذى كتم "البقيعُ"؟
وبانات عـلى "إضمٍ" رِواء سقاها كأسَ نُخبتـه الربيـعُ
تقـودها الصَّبا غصنـا لغصنٍ فتعصى فِى المَقـادة أو تُطيـعُ[6]
ترنّمُ فـوقها وُرْقُ العشـايا لمغتبـقٍ سلافتهُ الدمـوعُ
يظنّ الغادرون بكاى خُرقا وأن وفاىَ بعـدهمُ خضـوعُ
وليس وإنمـا زمنٌ تـولّى "بغُرَّبَ"[7] ما لفائتـه رجوعُ
وعهـد ضاع بين يدى وخصمى وما يرعاه مثـلى لا يضـيعُ

(١) فى الأصـل "كلما سكت" . (٢) فى الأصل هكذا "كلما" . (٣) النواجى جمع ناجية وهى الناقة السريعة . (٤) السر : محض النسب . (٥) أشىّ : اسم واد باليمن . (٦) فى الأصل "فتغضى" . (٧) غرب كسكر : اسم جبل وماء بنجد .

وقبلكمُ صعبت على المَلاوِى (١) فطار عن النزاع بِىَ التروعُ
ومرّتْ سلوة بصُدوعِ قلبى فمات الداء وٱلتامَ الصدوعُ
وهمٌّ قد قريتُ فبات عندى له الوجناءُ (٢) والعطن الشريع (٣)
أضمُّ صرامةً جنىٌّ منه على أضعافِ ما تسعُ الضلوعُ
وقافيةٍ طغت فنهست منها بفىَّ مكانَ لا يرقى اللسيعُ
يسوغ الشهدُ منها فى لَهاتى وفيها الصابُ والسمُّ النقيعُ
اذا ما راضها غيرى تلوّتْ تلوّى البَكرِ (٤) حارفَه القطيعُ
وحاجةِ ماجدِ اليد مستطيلٍ الى الغايات يقصُر أو يبوعُ
حبيبٌ عنده طولُ الليالى كأنّ سهادَه فيها هجوعُ
ركبت الى الخطارِ بها زَماعى (٥) وناجيةً (٦) مسابحُها (٧) الهزيعُ (٨)
اذا زفرتْ من الظمأ المطايا فليلةُ (٩) عِشرِها (١٠) أبدا شُروعُ (١١)
خوارق فى أديم الأرضِ طورا وأحيانا تُخاط بها الرقوعُ
اذا ٱختلفت أسامى السير يوما فكلّ ٱسمٍ لمسراها السريعُ
تُيمِّمُ من بنى "أسَدٍ" بيوتا "ببابلَ" جارُها الجبلُ المنيعُ
وتَنشَقُ من ثرى "عَوفٍ" ترابا ينمُّ بطيبه الكرمُ الرديعُ (١٢)
يضعن عليه أعناقا رِقاقا بها من غير ذلّتها خشوعُ

---

(١) الملاوى : الطرق الملتوية . (٢) الوجناء : الناقة الشديدة . (٣) العطن : المناخ حول الورد والشريع : المشروع بالماء، وفى الأصل "السريع" . (٤) البكر : الفتى من الإبل . (٥) الزماع : المضى فى الأمر والعزم عليه . (٦) الناجية : الناقة السريعة . (٧) فى الأصل "مابحها" . (٨) الهزيع : جزء من الليل . (٩) فى الأصل "فليلة" . (١٠) العشر : الورود على الماء فى اليوم العاشر . (١١) الشروع : الدخول فى الماء والخوض فيه ، وفى الأصل "سروع" . (١٢) الرديع : الذى به أثر الطيب .

اذا قيـدت بحـوٌ "مَزيَديٌّ" لواها الخصبُ والوادى المَـريعُ (١)
طوالبُ "ثابتٍ" (٢) حيث اطمأنّت من المجـد الذوائبُ والفـروعُ
اذا غُنِّينَ باسم "أبى قوامٍ" ترنّحت القـوائمُ (٣) والنسـوعُ (٤)
طربن لضاحك العَرصات تَغنى الـ ياضُ بـه ويبتهج الربيـعُ
ورىّ (٥) الوجهِ (٦) يظهـرُ ثم يخفَى وراء لثـامه الفجرُ الصـديعُ (٧)
اذا اعتقـل القنـاةَ ندّى وبأسا تلاقى المـاءُ فيها والنجيـعُ (٨)
كريم الأريحيّـةِ تطّبيـه (٩) رياحُ المجـد تُكتمَ أو تَشـيعُ
يروّعه الغـنى لم يبن مجـدا وتُبطِـره الخصاصـة والقنوعُ
اذا ابتـاع المكارم لم يُسفَّه من الأعواض (١٠) ما فيها يبيـعُ
أناف به على شـرف المعـالى سمـوُّ النفس والحسبُ الرفيـعُ
وبيتٌ بين "غاضرةٍ" و"عوفٍ" تُناصِى عِيصَه (١١) الشُّرفُ (١٢) الفـروعُ (١٣)
اذا الأنسـابُ أظلمت استبنْتْ لكوكبه الإضاءةُ والنصـوعُ
من النفـر الذين هم اتحـادا كوُسطى العِقد فى "مضرٍ" وقوعُ
تَحضّنهـم (١٤) حواضنُ مُكرَماتٌ ففـات الكهلَ طفلُهم الرضيـعُ
ومدّوا من "خُزَيمـةَ" خيرعِرقٍ اذا لم يكرم الفحل القـريعُ (١٥)

(١) المريع : الخصيب والكثير الخير . (٢) فى الأصل "طالب" واسم الممدوح "ثابت" وفيـه شىء من حسن التورية . (٣) القوائم : جمع قائمة وهى واحد قوائم الدابة ليديها ورجليها . (٤) النسوع جمع نسع وهو المفصل بين الكف والساعد . (٥) يقال : زند ورىّ أى خرجت ناره وهو كناية عن الإضاءة . (٦) فى الأصل "الوجد" . (٧) الصديع : المسفر . (٨) النجيع : الدم . (٩) تطبيه : تزدهيه . (١٠) الأعواض : جمع عوض وهو الخلف والبدل ، وفى الأصل "الأعواص" . (١١) العيص : الأصل . (١٢) الشرف : جمع شرفة وهى ما أشرف من البناء . (١٣) الفروع : المرتفعة . (١٤) فى الأصـل "تحصنهم" . (١٥) القريع : الشديد المختار .

اذا جلسوا تجمّعت المعالى … وإن ركبوا تفرّقت الجموعُ
لهم حَلَبُ الندى وحَيَا المَقارِى (١) … اذا جفّت من السنة (٢) الضروعُ
اذا خمد الوَقودُ ذكت وجوهٌ … تضىء لهم وأعراضٌ تضوعُ
يَشُبُّ الحربَ منهم مطفئوها … ويُعطِى الأمنَ فيهم مَن يروعُ
اذا نبَتِ السيوفُ مضت قلوبٌ … وإن قصُر القنا وصلتْه بوعُ
ولم يتدرعوا سقفا ولكن … جسومٌ تستجنّ بها الدروعُ
مضَوا سلفا وجاء "أبو قوامٍ" … فأقبل سرُّ مُعجزهم يذيعُ
فكان البدرَ تصغُر جانبيه الـ … ـكواكبُ وهى ثاقبةٌ طُلوعُ
اذا وُزِنوا به رجَحتْ عليهم … موازينٌ بسودَدِه وصوعُ (٣)
هو الأسد الوحيدُ اذا أغاروا … وفى الشُّورى هو الرأى الجميعُ
وقاك (٤) حذارَك المالُ الملَقَّى … وبلَّغك المنى السيفُ القَطوعُ
وكانت نفسُك المدفوع عنها … بصبرك كلّما جزِع الجزوعُ
وساق لها الغريبَ من المعالى … غريبٌ من خلائقها بديعُ
كما وُقِّيتَ أمسِ وقد تقضّى … علاقةَ جسمك الداءُ الوجيعُ
محى تلك الكُلومَ العُورَ ماحٍ … وعفّى ذلك الوسمَ القطيعُ
وكنت السيفَ جوذبَ من صداه … بصقلٍ وهو مخبورٌ صنيعُ
وكان معطَّلا فغدت عليه … حُلِيٌّ ما تَثَلَّمُ أو رُصوعُ
وظنَّ بك العدا أن يبلغوها، … منّى — وأبيك — فاركةٌ (٥) شَموعُ (٦)

---

(١) المقارى جمع مَقرَى وهى كل ما اجتمع فيه ماء المطر من كلّ جانب . (٢) السنة : القحط والجدب . (٣) صوع : جمع صاع وهو المكيال الذى يكال به ، وفى الأصل "وضوع" . (٤) فى الأصل "وقال" . (٥) الفاركة : المبغضة زوجها . (٦) الشموع : المزّاحة .

فرِدْ حوضَ البقـاءِ وهم عطاشٌ — وطِرْ بالمكرُماتِ وهم وُقوعُ
وعِش تبلغـــك مـــنى شارداتٌ — زوائرُ كلّما هجـــر القطـــوعُ
لهـا فى الحسن ينبوعٌ مـــديدٌ — وفى الإعجـاز جِـــنّيٌّ مُطيـــعُ
تقـــود اليـــك أبكارَ المعـانى — وفى الشعر : المكـرّرُ والرجيعُ
تخـازرك(١) العدا حَسَـــدا عليهـا — اذا غنّى بهـا اللسِنُ الدليـــعُ(٢)
لك الإفـــراط(٣) منهـا والتغـالى — ومنك لهـا التطوّلُ والصـــنيعُ
فــلا تقطع(٤) لهـا رَسْمـا فأنت ا — لر بيـــعُ(٥) ووقتُ نائلِك الربيـــعُ(٦)

* * *

وكتب الى الوزير ذى السعادات أبى الفرج بن فسانجس وهو بالبصرة

نشـــدتُك يابانةَ "الأجـــرع" — متى رفـــعَ الحىُّ من "لعلع"
وهـــل مرَّ قلـــبيَ فى التـابعيـ — ـن أم خارَ ضـــعفا فـــلم يَتبَـعِ؟
لقد كانـ يُطمعنى فى المُقـام — ونيّتُـــه نيّـــــةُ المـــزمع
وســـرْنا جميعـا وراء الحُمـــول — ولكنـ رجعتُ ولم يرجِـــعِ
فأنّتُـــه لكِ بينـ القـــلوب — اذا آشتبهت أنـــة المـــوجَع
وشكـــوى تـــدلُّ على سقمه — فإنـ أنتِ لم تُبصرى فآسمعى
وأبرحُ منـ فقـــده أنّـــنى — أظنُّ الأراكـةَ عـــنّى تـــعِى
يـــلوم على وطـــنى وافـــرُ الـ — ـجـــوانح ملتـــئمُ الأضـــلعِ
بيـــارح طيرَ النـــوى لا يفـال(٧) — بأبـــترَ منهـا ولا أبقـــعِ(٨)

---

(١) تخازرك : تنظراليك محدّدة . (٢) فى الأصل "الذكيع" . (٣) فى الأصل "التعالى" .
(٤) فى الأصل "يقطع" . (٥) الربيع : المطر . (٦) الربيع : أحد فصول السنة .
(٧) لا يفال : لا يتطير . وفى الأصل "يقال" . (٨) الأبتر والأبقع من صفات الغراب .

وقال : الغــرام مــدًى لا يُرام ... خذ منــه شيئا وشيئا دع
تصــبّرْ على البين واجزعْ له ... ولو كنتُ أصــبرُ لم أجزع
وفى الركب سمراءُ من "عامرٍ" ... بغــير القنـا السُّمرِ لم تُمنَــع
أغيلمــةُ الحىِّ من دونها ... تجــرُّ الذوابــل أو تــدَّعى
تطــول عرانينُهــم غَــيْرةً ... اذا ما استعير اسمها وادُّعى
رجالٌ تقــوم وراءَ النسـاء ... فيحمِى اللثـامُ عن البُرقُعِ
أدرْ يا نديمىَ كأسَ المــدام ... فكأسىَ بعــدهُمُ مــدمعى
فإن كان حدُّك فيها الثلاثَ ... فإنىَ أشــرب بالأربَــع
وزَوْرٍ(١)، ولسـنا بمستيقظين ... "ببطن العقيق" ولا هُجَّــعِ ،
تُرفِّعنا جاذباتُ السُّــرى ... وتخفضــنا فــترةُ الــوُقَّعِ ،
سَرَى يتبعُ "النَّعفَ" حتى أطابَ ... حثيثَ الترابِ عــلى "ينبُــعِ"
فبــلَّ الغليــلَ ولم يُــروِه ... وأعطَى القليــلَ ولم يمنــعِ
يدٌ نصــعتْ لسـوادِ الظلام ... ومن لك بالأسودِ الأنصعِ ؟
تبرَّعَ من حيث لم أحتسبْ ... بها وسـقَ حيث لم أشــرَعِ
رأى قلــقى تحتَ أرواقــه ... فــدلَّ الخيـالَ عــلى مضجعِى
نذيــرىَ من زمنٍ بالعتا ... ب عن خُلقِــه غيرِ مســترجعِ
ومن حاكم جائــرٍ طينُــه ... عــلى طابعِ الحق لم يُطبَــعِ
يميــلُ على الحُمُــر المقرَباتِ ... ويغضب للأسمــرِ الأجــدعِ
يكاثرنى واحــدا بالخطوب ... ويحمــلُ منّى عــلى أَضــلَعِ(٢)
ويأكلنى بتصــاريفــــه ... فهـا أنا أفــنَى ولم يشــبعِ

---

(١) الزور : الزائر . (٢) الأضلع : الشديد القوىّ الأضلاع .

وكم قام بينى وبين الحظوظ ... وقـــد بلغتنى فقـال : ارجعى
ولاحظنى فى طـريق العـــلا ... أمرٌ(٢) عـلى الجَــدَدِ(١) المهيـع
فقـال لشـــيطانه : قم اليـ ... ـه فاحبس بـــه الركب أو جعجع(٣)
فـلا هو فى عَطَـنى ممســكى ... ولا تاركى سـارحا أرتــعى
"أبغداد" حُلتِ فما أنتِ لى ... بدارِ مَصــيفٍ ولا مَــربع
صــفِرتِ فما فيـك من دَرَّةٍ ... يقــوم بهـا رمــقُ المرضَــع
ودفَّعت "البَصرةُ" المجـدَ عنـ ... ـك حتّى ضعُفتِ فـلم تدفعى
فمال اليهـا فشــــلَّ الصليـ(٤) ... ـفَ عنكِ وملتفَتَ الأخـــدع(٥)
نخـــلِّ لنـا نحـــوها طـرقَنا ... وطيرِى لنـا حسَـــدا أو قَـعى
الى كم يُزخـــرَفُ لى جانبـاك ... خـــداعا ولو شـــئتُ لم أُخدع
وكم أســترقّ عـــلى شـاطئيك ... بمغـــرِب شمســـك والمطلِـــع
وتهتفُ "دِجلةُ" بى و"الفراتُ" : ... حـــذارِ من الآجن المنقع
وتربة أرضــك لاتســمحنّ ... بجمـــرائها للـــثرى الأســـفع
ويرتاح وجهى لــبَرد النســيم ... ونارُ الخصــاصـــةِ فى أضـلعى
وما أنتِ إلا وميضُ الســراب ... عـــلى صـــفحة البـــلد البلقع
وما لىَ أقـــمحُ(٦) مِلـــحَ الميـاه ... اذا كنتُ أشربُ من أدمعى
وهـــل قاتلى بـــلدٌ أن أقـيم ... اذا خُطَّ فى غـــيره مصـــرعى
حفِظتُكِ حتى لقـد ضِعتُ فيكِ ... نخفّض(٧) حبّـكِ من موضعى

---

(١) الجدد : ما استرق من الرمل . (٢) المهيع : الواسع . (٣) جعجع : أنخ و برك .
(٤) الصليف : صفحة العنق . (٥) الأخدع : عرق بالعنق . (٦) اقمح : أرفع رأسى استكراها للشرب . (٧) فى الاصل "خفض" .

ولوكنتُ أنصفتُ نفسي وقد قنعتُ بأهلك لم أقنع[1]
غدا موعدُ البين ما بيننا فما أنتِ صانعة فاصنعى
عسى الله يجعلها فُرقةً تعود بأكرم مستجمَع
وتأوى لهذى الأمانى العِطاشِ فتأوى الى ذلك المشرع
ويسعدها الحظّ من ظل ذى ال ـسعادات بالجانب الممرع
فيرعى الوزيرُ لها ابنُ الوزيـ ـرِ ما ضاع عندكِ لمّا رُعى
سيعصِفُ حادى القوافى لها هُبوبا الى الملِكِ الأروع
فتُنصَرُ بالمحتمى المتَّقَى وتُجبَرُ بالرازق الموسِع
فتًى عشقَ المجدَ لما سلا وعاش به الفضلُ لما نُعى
وجمَّع من فِرَقِ المكرماتِ بدائدَ لولاه لم تُجمَع
غلامٌ أناف بآرائه على كلّ كهلٍ ومستجمِع
ومدّ بباعِ ابن ستين وهو بباعِ ابنِ عشرين لم يذرَع
ودلّ بمعجزِ آياتِه على قدرة الخالق المبدع
نوافرُ قرّت له لم تجز بظنٍّ ولم تمش فى مطمع
رأى اللهُ تكليفَه شرعَها فقال له : بهما فاصدَع
سقى كلّ ضدّين ماء الوفاقِ[2] بكأسِ سياسته المترَع
فخيسُ الأسودِ كناسُ الظبا ءِ والماءُ والنارُ فى موضع
وجمّاء[3] من سَرح أمّ اليتيـ ـم تنهَلُ والذئبَ من مكرَع
وسدّ بهيبته فى الصدور مسدَّ الظُّبا والقنا الشُّرَّع

(١) فى الأصل " ضانعه " . (٢) فى الأصل " النفاق " . (٣) الجماء : الشاة لا قرن لها ، وفى الأصل " حماء " .

فــلو لطم الليثَ لم يفــترِسْ ولــو وطِئ الصِّــلَّ لم يَلسَــعِ
سل "البَصرةَ" اليومَ من ذا دعا لهــا وبأىّ دُعاءٍ دُعِى
وكيف غــدا جَنــةً صــيفُها وكانت جحــيما عــلى المــرتِع
ومن ردّها وهى أمّ البــلا د أُنسا على وحشــة الأربُعِ
محرَّمــة أن يحــومَ الزمانُ عليها بأجـــداثه الوُقَّــعِ
وكانت روائـــعُ أخبـارهـا مــتى يَروِها ناقــلٌ يُفــزِعِ
طـلولا تَنـاعبُ غــربانُها اذا الديكُ أَصــبحَ لم يَصْــقَعِ(١)
يرى المــرء من دمــه فى قميص أخيــه صــبائغَ لم تنصَــعِ
فــكم رحِــمٍ ثَمَّ مقطوعــةٍ ولــو ربَّهـا الحــزمُ لم تُقطَعِ
ومن طامعٍ فى المــوَلّى عليــه ولو سِيس بالعــدل لم يطــمَعِ
رأى اللهُ ضَــيعتَها(٢) فى البــلاد فأودعهـا خــيرَ مســتودَعِ
وردّ لهـا الشمسَ بعــد الغروب بغــيرِ "علىٍّ" ولا "يوشعِ"(٣)
فبلِّغ "ربيعــةَ" إن جئتَهـا و"سعدًا" "وأسعَدْ" "بنى مِسْمَعِ"(٤) :
ضــعى أهَبَ الحرب وٱستلمى لمــالكِ أمرِكِ وٱســتضرِعى



ويكفيــكِ منتقِعا فى الحـــديـ ـد أن تأبُرى(٥) النخلَ أو تزرعى
فقــد منع السَّرحَ ذو لِبــدتين(٦) مــتى ما يُهجهَجْ(٧) به يُوقِــعِ
وسَـــدّت عليك مَجازَ الطريـ ـقِ مســحبةُ الأرقمِ الأدلــعِ(٨)
وضمَّ عراقَكِ من "فارس" شريفُ المغـارس والمَفــرَعِ

(١) لم يصقع : لم يصح . (٢) فى الأصل "صيعتها" . (٣) يشير الشاعر الى قصة على ابن أبى طالب والى قصة يوشع بن نون والى كليهما ينسب رجوع الشمس بعد غروبها . (٤) مسمع وما قبلها من الأسماء : آباء قبائل . (٥) أبر النخل : تعهّده بإصلاحه . (٦) ذو اللبدتين : الأسد . (٧) يهجهج به : يزجره . (٨) الأدلع : الذى يخرج لسانه فى العدْو .

بطىء عن السوء ما لم يُهَج (١) فإن يسر مَطعمةً يُسرِع
من القوم تعصِف أقلامُهم لواعب بالأسلِ الزعزع
وتقضى على خرزات الملوك عمائمُهم وهى لم توضَع
ويقعَص (٢) بالبطل المستميت لسانُ خطيبهم المِصقع
اذا آدرعوا الرَّقْمَ (٣) والعبقرىَّ (٤) سطَوا بالترائك (٥) والأدرع
لهم فى الوزارة ما للبرو ج فى الأفق من مطلِعٍ مطلِع
مواريثُ (٦) مذ لبسوا فخرَها على أول الدهر لم يُنتَزَع
هُمُ ومنابتُ هذى الملوك من النبع (٧) والناسُ من خِروع
تصلصلَ من [طينها (٨)] طينُهم كما الماءُ والماءُ من منبَع
قُرِنتم بهم فى شباب الزمانِ قرينةَ "عادٍ" الى "تُبَّع"
فمن قال : "آلُ بويه" الملوكُ هُمُ "آلُ عباس" لم يُدفَع
تنوط وزارتُكم ملكَهم مناطَ المعاصمِ بالأذرع
فيا آبن الوزيرين جدًّا أبًا (٩) وأثلِثْ اذا شئت أو أربِع
الى حيث لا يجِدُ الناسبون وراءَ "المجرّة" من مَرفع
بحقٍّ مكانُك من صدرها وكلُّهُمُ غاصبٌ مدّعى
وإنى لأعجبُ من عاجزٍ متى نتصدَّ لها يطمع
ومن مستطيلٍ لها عرقُهُ الى غير بيتك لم ينزع

(١) فى الأصل "تهج" . (٢) يقعص : يقال : قعصه أى قتله مكانه . (٣) الرقم : ضرب مخطّط من الخز . (٤) العبقرىّ : ثياب فى غاية الحسن منسوبة الى "عبقر" اسم مكان . (٥) الترائك جمع تريكة وهى بيضة الحديد . (٦) فى الأصل "موايث" . (٧) النبع : شجر صلب تعمل منه القسى ، ومن أغصانه تعمل السهام ، والخروع : كلّ نبت ضعيف يتثنّى .
(٨) ليست بالأصل . (٩) فى الأصل هكذا * فيا ابن الوزيرين حدابا *

يمـــدّ لهـا يـــدَه أجـــذَما وأين السّـــوارُ من الأقطع[١]

أيا حامىَ الـــذود ما "للعـــرا ق" أهمِـلَ بعضٌ وبعضٌ رُعى !

فمن جانبٍ بـــلدٌ جُرحُـــه بعـــدلك أُلحِـــمَ لمّـا رُعى[٢]

ومن جانبٍ بـــلدٌ لا يرى لخُرق الصَّـــبا فيه من مَرتَع

وما مِثـلُ شمســـك ممّـا تَخُصّ فَعُـــمَّ البـــلادَ بهـا وأجمـــع

"وبغداد" دارُ حقوقٍ عليـــك مـــتى ترعَ أيســـرها تقنـــع

فسلطانُ عزّك لم يقهـــر الـ ـعـــدا فى ســـراها ولم يقمع

"وجعفرُ" ما "جعفـــر" المكرما ت لم يســـلُ عنها ولم ينـزع

وكم جـــذع[٣] منك أقرحتـــه[٤] ومثغـــر[٥] بعـــد لم يجـــذَع

وأنت وإن كنتَ جنّبتَها فـــلم ترعَ فيها ولم ترتـــع

فعنـدك منهـا الذى لا يُرَى، محاسنُ تبصَـــرُ بالمَســـمَع

بفـــرْدٍ لهـا عزمةٌ كالحسام متى ما يجدْ مفصِـــلا يقطـــع

فإن الطـــريق اليهـا عليـ ـك غـــيرُ مُشيك ولا مُســـبِع

متى رمتهـا فهى من راحتيـ ـك بين الرواجب[٦] والأشجـــع[٧]

بنـا ظمأٌ إن جفانا حيـاك وواصـــلنا الغيث لم ينقـــع

فغوثا فمـا زلت غـــوث اللهيف مـــتى يدع مستصرخا تَســـمع

ولو لم يكن غـــيرأنى أراك فيفزع فضـــلى الى مَفـــزَع

---

(١) الأقطع والأجذم : المقطوع اليد . (٢) فى الأصل "وعى" . (٣) الجذع : الفتى . (٤) أقرحته : جعلته قارحا : وهو المسن . (٥) المثغر : الذى سقطت أسنانه . (٦) الرواجب جمع راجبـة وهى مفاصل أصول الأصابع . (٧) الإشجع بالفتح والكسر و جمعه أشاجع وهى أصول الأصابع من الكف .

فإن يجمع الله هذا الثناءَ ... وتلك المكارمَ فى مجمعِ
وإن لم أسِرْ فانتشلنى اليك ... وقُدْنى بحبل[1] الثنا أتبعِ
ورِش بالنوال جَناحى أطِرْ ... وبالإذن فى مَهَلٍ أسرعِ
فما تطرح الأرضُ وفدا اليـ ... ـك أحسنَ عندك من موقعى
ولو ساعد الشوقَ طَولٌ اليك ... طلعتُ به خيرَ مستطلَعِ
فغيبةُ مثلىَ عن موضعٍ ... — وإن عزّ — عمرٌ على الموضعِ
وإنى لقعدةُ مستفرِهٍ[2] ... بصيرٍ ومتعةُ مستمتِعِ
شهابٌ على أنديات الملوك ... متى يُقتبَس بالندى يلمعِ
وإن لم يبِن شبحٌ ذابلٌ ... على طودِ ملككم الأتلعِ[3]،



فإن القُلامةَ فى ضعفها ... تعان بها بطشةُ الإصبعِ
لكم فى يدى وفى صارمانِ ... بصيرانِ فى القول بالمقطعِ
ومن دون ذلك رأىٌ يسدُّ ... ناحيةَ الحادثِ المُفظِعِ
ومفضَى الأمانة منى الى ... صفاةٍ من الحفظ لم تُقرَعِ
فإما علمت وإلا الخبيرُ ... فسلْهُ فمثلىَ لا يدّعى
بقيت لمعوز هذا الكلام ... متى أدعُ عاصيَةً يَخنَعِ[4]
وحيدا أُحيَّا بها، إن حضرتُ ... مُدحتُ وإن غبتُ[5] لم أُقذَعِ[6]
وهل نافعى ذاك؟ بل ليت لا ... يضرّ اذا هو لم ينفعِ
سمعتُ الكثير وما إن سمعتُ ... بأكسدَ منّى ولا أضيعِ

---

(١) فى الأصل "بحل" . (٢) المستفره : المستكرم . (٣) الأتلع : الطويل .
(٤) يخنع : ينقاد . (٥) فى الأصل "عبت" . (٦) أقذع : أسب وأشتم .

لعـــلك تأوى لهـا قصــةً ... الى غـــير بابـك لم تُرفَـــع

ومَن كنتَ حاكمَ أيّامه ... متى يطلب النّصفَ لا يُمنـــع

متى تصطنعنى تجـــد ما ٱقترحت ... مكانَ ٱغتراسك والمصـــنَع

وعـــذراء سقتُ لكم بُضـــعَها ... ولـــولا رجاؤك لم تُبضَـــع

من المـالكات قلوبَ المـلو ... ك لم بتـــذلّل ولم تخشــع

تصـــلى القـــوافى الى وجهها ... فمن ساجداتٍ ومن رُكَّـع

أقمتُ وقـــدّمتُهـا رائــــدا ... فشـــفِّع وسـيلتها شـــفِّع

عصتنى الحظـــوظُ فيا بدر كن ... دليـــلا عـــلى حظّىَ الطيّـــع

فـــلا غرو أن أقهَر الحـادثاتِ ... ورأيُــك لى ولسـانى معى

وقال يمدح ركن الدين جلال الدولة أبا طاهر بن بويه ويذكر الأتراك فى شَغبهم عليه وعودهم الى الطاعة

فى كلّ دارٍ عـــدوٌّ لى أقاذعُهُ ... وعاذلٌ أتّقيـــه أو أصانعُـــهُ

وآمـــرٌ بســـلوٍ لا يطـاوعنى ... قلبى عليـــه وناهٍ لا أطاوعُـــهُ

يعيـا بوجدى ولم يحمـــل بكاهله ... ثِقـــلى ولا ضمنت قلبى أضالعُـــهُ

كأننى أوّل العشاق طـال له ... مغنى الأحبـــة وأرفضت مدامعُهُ

عابوا وفائى لمن أهوى وقد علمـــوا ... أن الخيـانة ذنبٌ لا أواقعُـــهُ

وهل تصـــح لمأمونٍ أمانتهُ ... يوما اذا الحبّ لم تُحفظْ ودائعُـــهُ ؟

نعم وقفتُ على الأطـــلال أسألهـا ... ما كلّ مستخبَرٍ تُصغى مسامعُهُ

وقـــد يجيبك وحيـا مَن تخاطبه ... وتفهم القـــولَ ممن لا تراجعُـــهُ

وما رجوتُ "بذات البان" من سفهٍ ... دنوَّ من شَسَعت عنى شواسعُهُ

وما وقفتُ لبـــدرٍ غاب أطلبـــه ... جهـلا ولكن شفَتْ عيني مطالعهُ
وكلّ من فقد الأحبابَ ناظرُه ... مُسرّحُ الطرفِ فى الآثار نافعُـــهُ
وفى الظعـائن خــلّابٌ بموعده ... خَــلَابةَ البرق لم تصدُقْ لوامعُهُ
مقنّـــعٌ، لُـــثُمُ الأبطـال يحدِرُها ... ذليـــلةً ما تـــواريه مَقانعـــهُ
ظبي يصدّ عن المرعى النفوسَ فقد ... صارت حمًى بالدم الجارى مراتعُهُ
لا يُقتَضَى عنـــده ثأرٌ ولا تِرةٌ[1] ... ولا يُعاب بجبنٍ من يقـارعهُ
إن شاء أنكر أو إن شاء معـــترفا ... بالقتـــل لم يتعسّـــفه توابعُـــهُ
وكيف يَجحدُ قتـلاه اذا شهدت ... خـــدّاه بالدمِ أو باحت أصابعُـــهُ
يا تاركى مثـــلًا فى النـاس منتشرا ... تدور شائعـــةً[2] فيهـــم وشائعُـــهُ[3]
ما سلّط الله أجفانى على جـــلَدى ... إلا ومحفوظُ سِرّى فيـــك ضائعُهُ
من أحدثَ الغدرَ دِينا فاستننت به ... ومن أباحتك تعـــذيبى شرائعُهُ؟
بلى هـــو الدهر مفطـــورٌ خلائقُه ... على الفســاد ومجبـــولٌ طبائعُـــهُ
أما ترى مَلِكَ الأمـــلاك خاونه ... عبيـــدُه وعتت كفرا صنائعُهُ
ثعالبٌ تتعـاوى ساقَها وَعِـــلٌ[4] ... لضـــيغم لم تزعزعـــه زعازعُـــهُ
ما قمت تزأرُ منهـا واحدا صَمَـــدا ... إلا وجبّـار ذاك الجمـــع خاشعُهُ
رأوا ولاءك وسمـا فى جباههِـــمُ ... فـــذُلُّهم لك إن عزّوا طوابعُـــهُ
من كلّ قلبٍ قسـا والرقّ يخصمه ... حـــتى يرقّ ونعماكم تنازعُـــهُ
وكيف تَعصِى [رقابٌ][5] أنت مالكها ... مِلك اليمين وسيفٌ أنت طابعُـــهُ

---

(١) الترة : الثأر والعداوة . (٢) فى الأصل "سابعة" . (٣) الوشائع جمع وشيعة وهي الطريقة فى البرد وهي هنا مجاز . (٤) الوعل : تيس الجبل . (٥) ليست بالأصل .

وهـــل هباتك يبغيهـا مغالبـــةً من أنت واهبُـــه أو أنت بائعُـــهُ
عادوا وبَســـطةُ أيديهـم تثقّلُهـا أغلالُ مَنِّكَ فيهـا أو جوامعُـــهُ
يرعون ما أثمر البغىُ الذى غرسوا والبـغىُ معروفَة العقبى مَصارعُهُ
يـلوذ بالعفو منهـم كلُّ ذى شَمَمٍ بأنفـه ، بأسك المحذور جادعُـــهُ
وحسب عاصيك ذلًّا إذ صفحتَ له عن الجريرة [أنْ](١) الذلّ شافعُـــهُ
وأنت كالسيف لم ينضُبْ بصفحته ماءُ الفـــرندِ ولم تَثلمْ مَقاطعُـــهُ
راموك والله رامٍ دون ما طلبـــوا وهل يفـــرّقُ شملٌ وهو جامعُـــهُ
عـــوائدٌ لك تجـــرى فى كَفالتِه لا يجـــبرُ الله عظما أنت صادعُـــهُ
كم قبـــل ذلك من فتقٍ مُنيتَ به والله ـمن حيث يخفى عنك ـ راقعُهُ
ضاقت جوانبـــه وآشتد مخـــرجُهُ وأنت فيه رحيبُ الصـــدر واسعُهُ
ردًّا اليـــه وتسليما لقـــدرته فيما تحـاوله أو ما تدافعُـــهُ
فهبْ عبيـــدَك للعطيك طاعتَهـم فأنت فى العفو عن عاصيك طائعُهُ
وآعطف عليهم فهم أنصارُ دولتكم بباسهم كلُّ خصم أنت قامعُـــهُ
يامن اذا قال : هل فى الأرض من ملكٍ ســـواى لم يَرَ مخـلوقا ينازعُـــهُ ! ؟
من مات من قومك الصيد الكرام فقد احياه ذكرُك وآبتلّت مضاجعُـــه
ومن على الأرض منهم سـيّدٌ ملكٌ فأنت خافضُـــهُ أو أنت رافعُـــهُ
الله سربلكـم بالملك مَصـــلحةً للعالمين ، فمن ذا عنك نازعُـــهُ
وهل يقـــوَّضُ بيتٌ من رجالكم عمـادُه وبأيديكـم تجامعُـــهُ
فـــركنُ دولتـــكم بالأمس أوّلُه وأنت يا ركنَ دينِ الله رابعُـــهُ
مات الملوكُ على عصيانهـــم كمدا بـــه ، فكاتمُ داءٍ أو مذايعُـــهُ

---

(١) ليست بالأصل .

تمضى على حكمه الأفلاكُ دائرةً فكلّ سعد جرى فيهن طالعُهُ
وكنتَ سيفَهُمُ والمجدُ مرهِفُهُ صقلا وتاجَهُمُ والفخرُ راصِعُهُ
أجراهُمُ والقنا كابٍ وأكرمَهم يدا اذا جُودُهم سالت ينابعُهُ
ما أبحُرُ الأرض من بحرٍ تمدّ به الى العفاة يدًا إلا رواضعُهُ
وكلّ رزقٍ ترى الأقدارَ ضيّقةً به فعندك مسناةٌ وسائعُهُ
كأن مالَك شخصٌ أنت مبغضُهُ فأنت مقصيه بالجدوى وقاطعُهُ
آثار جودك فيمن أنت منهضُهُ آثارُ بطشك فيمن أنت صارعُهُ
إن شمت وجهَكَ راقتنا روائقه أو شمت سيفك راعتنا روائعُهُ
فلا قرارَ لمالٍ أنت باذلُهُ ولا آنزعاجَ لثغرٍ أنت مانعُهُ
تضجّ بآسمك ما قامت منابرُهُ على الرشاد وما ضلّتْ صوامعُهُ
حتى ترى الشرك والإيمان ما آختلفا مُلكا وما الفَلَك الدوار قاطعُهُ
موحّد الملك لا تُدعَى بتثنيةٍ إلا بنيك ، وشبلُ الليث تابعُهُ
كواكبٌ تستمدُّ النورَ من قمرٍ على جبينك ساريه وساطعُهُ
فلا خلَتْ أبدا منها مواضعُها من السماء ولا منه مواضعُهُ
وزارك المدحُ فى أبهى معارضه مطرِّزًا باسمك العالى وشائعُهُ[1]
يختال بين يدَىْ نعماك مائسُهُ حُسنا ويستعبرُ الانفاسَ رادعُهُ
من كلّ عذراء مخلوعٍ اذا برزتْ فيها العذارُ وما إن ليم خالعُهُ
يستوقف الراكبُ الغادى لحاجته فيلفت الرأسَ أو تُلوَى أخادعه[2]
يستقصر المنشدُ التالى طوائلَها كأنّ أبياتَ ما يَروِى مَصارِعُهُ

---

(١) وشائع جمع وشيعة وهى الطريقة فى الثوب .
(٢) أخادع جمع أخدع وهو عرق فى صفحة العنق .

مسـتصعبات عـلى الراقى أراقمها ... إلا الذى أنا حاو يـه وخادعُـهُ
يأتى على الصـدّ منكم والملالِ لهـا ... وصـلٌ يواليه أو شـوقٌ ينازعُهُ
ما إن رأت قبلكـم فيمن يتاجركم ... تجارةَ الجودِ من خاست[1] بضائعُـهُ
والمهـرجانُ بأن تُرعى وسائلُه ... منهـا جديرٌ وأن تزكو ذرائعُـهُ
ذاك الرجاءُ لهـذا اليـومِ منتظِرٌ ... فاصنع بحكم العلا ما أنت صانعُـهُ
واعلم ــ لك المجلس المعمور، ساجدُهُ ... يعنو لوجهـك إعظاما وراكعُهُ ــ
أنى بقيتُ لهذا الشـعر، مُذعِنـة ... آياتُهُ لىَ وحـدى أو بدائعُـهُ
وإن سمعتَ بشىء لستُ قائلَه ... فلا تعـرِّجْ على ما أنت سامعُـهُ

* * *

وكتب الى الوزير عميد الدولة وهو بسرَّ من رأى فى المهرجان

لو كان يَرفق ظاعنٌ بمشـيِّعِ ... ردّوا فؤادى يومَ "كاظمةٍ" معى
قالوا: النوى، وخرجت وهو مصاحبى ... ورجعت وهو مـع الخليط مودِّعى
فـلأيّمـا من مهجتىّ تأسّـفى ... وبأىّ قلـبىّ الغـداةَ تفجُّعى!
لا كان يومٌ مثـلُ ذاك لآئب ... بجـوًى ولا غادٍ سَرى لم يُمتَـعِ
يومٌ يُعَـدُّ الجَـلْدُ[2] كلُّ ملاوذٍ ... منـه ويعـذُبُ فيـه مِلحُ الأدمعِ
أنشاتُ أُسمى فيـه غيرَ نشـيدتى ... من حَـيرةٍ وأرودُ غـيرَ المنجَعِ
أطأ الكرى[3] متملمـلا وكأننى ... لمـا وقعتُ عـلى حرارةِ أضلعى
هـل يملك الحادى تلوّمَ سـاعةٍ ؟ ... إن البطىء معـذَّبٌ بالمُسـرعِ
أم هل اليـه رسالةٌ مسـموعةٌ ... عنى فيُنصتَ للبليـغ المُسـمِعِ؟

(١) خاست : كسدت . (٢) الجلد : الصابر المتجلد . (٣) كذا بالأصل ولعلها "الثرى" كما يقتضيه سياق الأبيات وإن كانت "الكرى" لا تخلو من معنى .

رَوِّحْ "بذى سلم" على متأخر ... يبغى اللَّحاقَ وإن أبيتَ فجعجع [1]

وتوخَّها فى التاعب مشوبةً ... إن المشوق اذا تخلّف يتبع

الشمسُ عندك فى الخدور وعندنا ... شمسٌ اذا متع الضحى لم تنصع [2]

فتّ العيون بها فهل فى ردها ... طمعٌ فكيف لنا بآية "يوشع"؟ [3]

نَمْ نومةَ اليأس القريرةَ إن أوى ... جنبٌ يقلّبه فراقُ المضجع [4] [5]

وأعلم بأنك إن رأيت فلن ترى ... يوما كأمسك من زمانِ "الأجرع"

فوراء عهدك "بالنخيلة" جونةٌ [6] ... بهماء تلعب بالمحبِّ الموجَع [7]

تعمَى على بصر الدليل فجاجُها ... تيها فتُخرِتُ بالبروق اللُّمَّع [8]

رُكِبتْ بها عجلَى ترى من سَوطها ... أفعَى متى ونت الركائبُ تلسَع

ورهاء ما نفضتْ يدًا من "حاجر" [9] ... إلا وقد غمست يدا فى "لعلع"

لم تألف البيداءُ قبل جُنونها ... من ذات خُفٍّ أو تطيرَ بأربع

إن شاء بعدهم الحيا فلينسكب ... أو شاء ظِلٌّ [10] غمامة فليُقلع

فقليل جسمى فى ذبولِ ربوعهم ... كافٍ وشربى من فواضل أدمعى

كُرِمتْ جفونى فى الديار فأخصبت ... فغنيت أن أرِدَ الديارَ وأرتعى

فكأنّ دمعى مُدَّ من أيدى بنى ... "عبد الرحيم" ومائها المتنبِّع

وسهرتُ حتى ما تُميِّزُ مقلتى ... فُرقانَ مغربِ كوكبٍ من مطلع

فكأنّ ليلى مع تفاوت طوله ... أسيافُهم موصولةً بالأذرع

---

(١) فجعجع : فأنخ وبرّك . (٢) متع : ارتفع وأضاء . (٣) يوشع : نبى من الأنبياء عليهم السلام من آياته أن ردت عليه الشمس بعد غروبها . (٤) فى الأصل "يقليه" . (٥) فى الأصل "الفراق" . (٦) الجونة : السوداء . (٧) البهماء : المفازة . (٨) فتخرت : فتعرف . (٩) الورهاء : الحمقاء . (١٠) فى الأصل "طل" .

لا يُبعدنّ الله دارَ معاشــرٍ ... مذ جمّعوا شملَ العلا لم يُصــدَعِ
حـــلوا العظائمَ ناهضــين بأنفسٍ ... لم تنقبضْ وكـواهلٍ لم تظلَــعِ
مترادفين على الرياســة أُقعِــدوا ... منهـا على سيساءِ⁽¹⁾ ظهــرٍ طيّــعِ
لم يزلَقوا فى ظهــرها قــدَما ولا ... عثروا بهـا متعوّذيــن بدعدعِ⁽²⁾
داســوا الزمانَ فذلّلوا أحداثَه ... بأخامِصٍ فــوق الأضـالعِ وُقّــعِ
متسلطيـن⁽³⁾ عـــلى جسامِ أمورهِ ... وثبَ الأســودِ على البهـامِ⁽⁴⁾ الرُّقَّعِ⁽⁵⁾
أنِفوا من الأطراف والأوساطِ فآستلبوا العلاءَ من المكان الأرفعِ
تعطيهــم آراؤهــم وسيوفُهــم ... كفَّ الزمانِ من الخوفِ المُفــزعِ
وُلدوا ملوكا فالســيادة فيهــمُ ... مطبوعـــةٌ لم تُكتسبْ بتطبّــعِ
للشــيخ والكهل المــرجّى منهــمُ ... ما للــموشّحِ والصـــغيرِ المــرضَعِ
لكن "عميد الدولة" الشمسُ التى ... عنت النجــومُ لنورها المتشعشعِ
ســبق الأوائلَ فاســتبدَّ بشوطه ... متمهــلا، والســبقُ للمتســرِّعِ
ورأى نجابةَ مَن تأخّر منهُــمُ ... عنــه فقال : آلحقْ نشاوَى وأتبــعِ
فضُــلوا به ولكلّ ساعٍ منهُــمُ ... مجـــدٌ فضــيلةَ "غالبٍ بمجمّع"⁽⁶⁾
من ناقلٍ صــدقَ الحــديثِ معوّدٍ ... حفــظَ الأمانةِ للصــديق المودِعِ
يطوى الطــريقَ نشــيطةً حركاتُهُ ... للصعبِ منهـا والذليـلِ الطيِّــعِ
تتجمّــع الحاجاتُ عنــد نجاحِهـا ... للرسايــن بشــمله المتــوزِّعِ

(١) السيساء : منتظم فقار الظهر . (٢) دعدع : كلمة تقال للعاثر بمعنى قم وأنتعش كما يقال "لعا" . (٣) فى الأصل "مستطلين" . (٤) فى الأصل "الهام" . (٥) الرقع جمع رافع وهو المسرع فى سيره . (٦) مجمع : لقب قصىّ بن كلاب سمى به لأنه جمع قبائل قريش وأنزلها مكة وبنى دار الندوة وفيه يقول حذافة بن غانم لأبى لهب

أبوكم قصىّ كان يدعى مجمعا ... به جمــع الله القبائل فى فهر

ما بين وقتِ رحيلِه وإيابِه ... إلا مسافةُ مُثلِثٍ أو مُربِعِ
حتى ينيخَ بثقله وبضيفه ... بالمستخفّ وبالوهوب الموسِعِ
فيقول عنى للوزير وربما ... ترد الرسالةُ من سواى فلا يعى:
كم تأخذ الأشواقُ من جلَدى وكم ... قلقى بحملِ فراقكم وتروُّعى
والإم طولُ رضاى بالميسور من ... حظّى وفرطُ تعفُّفى وتقنُّعى
طيان[1] أبغى الرفدَ بين معاشرٍ ... حبُّ العلا فى طينهم لم يُطبَعِ
يا ضلّتى ما قمتُ أطلبُ عندهم ... رزقا عَداك ويا سفاهةَ مَطمَعى
ومن العناء وأنت ساكنُ موضعٍ ... طلبُ العلا فى غيرِ ذاك الموضِعِ
وهبَ النوالَ على العباد مكايلى ... من راحتيك بمفعَمٍ وبمترَعِ
وبذاك مثلُ الطيف يخرُق جانبا ... عرضَ الفلا حتى يجاسد مضجعى
فجمالُ أيامى بحضرتك التى ... هى منيتى يومَ الفخار ومفزعى
وجلاءُ طرفى وآنبعاثُ خواطرى ... ما بين مرأًى من عداك ومَسمَعِ
حظٌّ لعمرك لا آعتياضَ لناظرى ... منه ولا لفؤادىَ المتصدِّعِ
يا غائبا غدت الوزارة بعده ... شِلوَ الفريسةِ فى الذئاب الجوَّعِ
تتداوَلُ الأيدى الضعافُ بثقلها ... بهرًا وما فى صدرها من مدفَعِ
وُضِع آسمُها فى كلِّ معنًى حائلٍ ... نابٍ لها ولمثلها لم يوضَعِ
يُسمَى بها من لم يكن يسمو لها ... غلَطا ويطمعُ كلُّ من لم يطمعِ
تدعو مفوَّتَةً بمالكِ رقِّها ... من بين قبضة غاصبٍ أو مدَّعى
فآسئل أسود الغاب كيف تفسحت ... للشاءِ عن هذا العرين المُسبِعِ
ما قمتُمُ عنها وفيها مُتعةٌ ... — وأبيكُمُ — لجالس المستمتِعِ

(١) طيان : جوعان .

والملك مـــذ أهملتموه بَيضَــةٌ لم يحمِهـا أنفٌ وســـرحٌ ما رُعى
ما زال يســـرى الداءُ فى أعضائه أو مات أو إن لم يمت فلقـد نُعى
يفديك منهم نائمٌ عن رشـــده أو حاســـدٌ لك ساهرٌ لم يهجـع
متصوب القدمين خفّاق الحشـا فى حيث يثبت للقنا المـتزعزع
يعطى الرياســـة قابضا أو باسطا خرقاء كيف تصرّفتْ لم تصنع (١)
جَعل الوعيـــدَ على العباد سلاحَه ووعيـــدُه شَنٌّ (٢) بكفٍّ مقعقع
غضـــبان أنك سالم من كيده غضبَ الفرزدق من سلامة "مَربع" (٣)
تُتْلَى صـفاتُك وهو يعجب سادرا (٤) عجبَ الجبـان من الكمىّ الأروع
ولئن عظُمتَ وقلّ أن تُفـدَى به فالعين تَفـدَى مرّة بالإصبع
عِـدْنى بقـــربك إنه مَن فاته إدراكُ حـــظٍّ عاش بالمتـــوقّع
وآمــدد الىّ يدا لو آنك فى السهـا وعلى الثرى أهلى لنالت موضـعى
بيضـاء خضراء الندى أغدو بهـا أبدا رطيبَ التُّرب سَـبْطَ الأربُع
تجـــرى بسَـدة خَلّتى، أقلامُهـا تُملى المضاءَ على الســيوف القُطَّع
وآسمع على بعـــد الديار وقربهـا مثـــلَ القِـراط (٥) تعلّقا بالمســمع
غـررا بِكارا (٦) أســـلمتْ لى عُذْرَهَا لو لم أكــن لها خلا لم تُفــرع
ممـا آصطفيتك فى الشباب وشائبا من صفوتيه بمُقرِح (٧) ومُجْذِع (٨)
وجعلتـــه لك أو لقومك نِحـــلةً لولاى أو لولاكُمُ لم تُشـــرع

(١) لم تصنع : لم تحذق عملها . (٢) الشن : الجلد الخلَق ومنه " مثلى لا يقعقع له بالشنان" .
(٣) يشير الشاعر الى قول جرير :

زعم " الفرزدق" أن سيقتل "مربعا" أبشر بطول ســلامة يا " مربـع "

(٤) سادرا : متحيرا . (٥) القراط : جمع قرط وهو ما يعلق فى شحمة الأذن من درّة ونحوها .
(٦) البكار : الفتيّات . (٧) المقرح : المسن . (٨) المجذع : الشاب .

أحوِى أراقَــه بفضـــل تلطُّفى ... فيعى وأخدَعُ منـه ما لم يُخْـدَعِ
أرسلته طلْقَ السهام اذا آستوت ... لم تنعـرج واذا مضت لم ترجع
فبقيتَ لى وله، وآيةُ معجــزى ... لـولاك فى إظهاره لم تَصـدعِ
ما كرَّ يــومٌ عائد بصـباحــه ... ورواحه من مغـربٍ أو مَطلـعِ
وتحالفت فى "العُرْبِ" أو فى "فارسٍ" ... أعيـادُها من تالدٍ ومفــرَّعِ

(٢٦٥)

* * *

قافيـــة الفـاء

بعد خلو قافيـــة الغيـن

وقال يرثى أمير المؤمنين عليًا وولدَه الحسين، ويذكر مناقبهما، وكان ذلك من نذائر[1] ما منّ الله تعالى به من نعمة الإسلام فى المحرّم سنة آثنتين وتسعين وثلثمائة

يُزوِّر عن "حسناءَ" زورةَ خائف ... تعرُّضُ طيفٍ آخرَ الليـل طائفِ
فأشبهها لم تغـدُ[2] مسكا لناشـقٍ[3] ... كما عـوّدت ولا رحيقا[4] لراشـفِ
قصيَّة دارٍ قــرَّبَ النـومُ شخصَها ... ومانعـة أهدت سـلامَ مساعفِ
ألِنْ وتُغـرى بالإباء كأنما ... تـبرُّ بهجـرانى أليَّـة حالفِ
و"بالغور" للناسين عهـدىَ منزلٌ ... حنانيـك من شاتٍ لديه[5] وصائفِ
أغالط فيـه سائـلا لا جهالةً ... فأسأل عنـه وهو بادى المعـارفِ
ويعـذلنى فى الدار صحـبى كأننى ... على عَرَصـات الحبِّ أوّلُ واقفِ
خليليَّ إن حالت ــ ولم أرض ــ بيننا ... طِـوالُ الفيافى أو عِراض التنائفِ،

(١) فى الأصل: "نذابر". (٢) فى الأصل "تعد". (٣) فى الأصل "لناسق".
(٤) الرحيق: الخمر. (٥) فى الأصل: "لدى".

فلا زُرَّ ذاك السّجفُ إلا لكاشفٍ ولا تمَّ ذاك البـــدر إلا لكاسـفِ

فإن خفتما شـــوقى فقـــد تأمنـانِهِ بخاتـــلةٍ بين القنـا والمخـاوفِ

بصـــفراء لو حلّتْ قديمـا لشاربٍ لضـــنَّتْ فـا حلّتْ فتاةٌ لقاطفِ

يطوف بها من آل "كسرى" مقرطقٌ[1] يحدِّث عنها من ملوك الطوائف

سـقى الحسنُ حمـراءَ السـلافةِ خدّه فأنبع نبتـا[2] أخضرًا فى الســـوائف[3]

وأحلفُ أنّى شُعشـعتْ لى بكفّه سـلوتُ سـوى همٍّ لقلبى محالفِ

عصيت على الأيام أن ينتزعنـه بنهيِ عذولٍ أو خـداعِ ملاطفِ

جوًى كلمـا آستخفى ليخمدَ، هاجه سنا بارقٍ من أرض "كُوفَانَ" خاطفِ

يذكّرنى مَشـــوى "علىّ" كأننى سمعت بذاك الرزء صيحة هاتفِ

ركبت القوافى ردف شـوق مطيّـةً تخُبُّ بجـارى دمـعىَ المـترادفِ

الى غايةٍ من مدحه إن بلغتها هزأتُ بأذيال الرياح العـواصـفِ

وما أنا من تلك المفـازةِ مـدركٌ بنفسى ولـو عرّضتُهـا للتـالفِ

ولكن تؤدّى الشهدَ إصبعُ ذائقٍ وتعـلَقُ ريحَ المسـك راحـةُ دائفِ[4]

بنفسىَ من كانت مع الله نفسُـه اذا قلّ يومَ الحق مَن لم يجازفِ

اذا ما عـــزوا دينًـا فآخـــرُ عابدٍ وإن قســموا دنيـا فأوّلُ عائفِ

كفى "يوم بدر" شاهدا "وهوازن" لمســـتأخرين عنهما ومزاحفِ

"وخيبر"[5] ذات الباب وهى ثقيلة الـ ـحرام على أيدى الخطـوب الخفائفِ

---

(١) مقرطق: لابس القرطق وهو قباء ذو طاق واحد. (٢) يريد بالنبت: العـذار، وفى الأصل "بينا". (٣) السوائف جمع سائفة وهى القطعة من اللحم. (٤) الدائف: الخالط الذى يخلط المسك بغيره من الطيب. (٥) يشير الشاعر الى وقعة خيبر حين خرج لهـا علىّ كرّم الله وجهه وقد ضربه رجل من اليهود فطرح ترسه من يده فوجد بابا آتخذه ترسا وما زال حامله حتى آنتصر على اليهود ولمـا ألقاه من يده آجتمع ثمـانية من أصحابه ليقلبوا الباب فلم يستطيعوا.

أبا "حَسَنٍ" إن أنكروا الحقّ [واضحا] (١) ... عــلى أنه والله إنكارُ عارفِ
فإلا ســعى للبين أخمصُ بازلٍ ... وإلا سمت للنعــل إصبعُ خاصف
وإلا كما كنت ابنَ عمٍّ وواليا ... وصهرا وصِــنوا كان من لم يقارِف (٢)
أخصَّــك بالتفضيل إلا لعلمــه (٣) ... بعجــزهُم عن بعض تلك المواقف
نوى الغــدرَ أقوامٌ فخانوك بعــدَه ... وما آنِفٌ فى الغــدر إلا كسالف
وهبهــم سَفاها صحّحوا فيــك قولَهُ ... فهل دفعوا ما عنـده فى المصاحف
سلام على الإســلام بعدك إنهــم ... يســومونه بالجَور خُطّــةَ خاسف
وجدّدها "بالطّفّ" (٤) بابنك عصبةٌ ... أباحوا لذاك القــرف (٥) حكّةَ قارف
يعــزّ على "محمد" بابن بنتــه ... صبيبُ دمٍ من بين جنبيك واكف
أجازوك حقًّا فى الخــلافة غادروا ... جوامع (٦) منــه فى رقاب الخــلائف
أيا عاطشا فى مصــرَعٍ لو شهِدتُهُ ... سقيتك فيه من دمــوعى الذوارف
ســقى غُلّتى بحــر بقــبرك، إننى ... عــلى غير إلمامٍ به غيرُ آســف
وأهــدَى اليــه الزائرون تحيّــتى ... لأشرُفَ إن عيــنى له لم تشارِف
وعادوا فــذرّوا بين جنــبيّ تربةً ... شفائىَ ممــا استحقبوا (٧) فى المخاوف
أُسرّ لمن والاك حبَّ مــوافقٍ ... وأُبــدِى لمن عاداك سبَّ مخالف
دعىٌّ سعَى سَعْىَ الأُسودِ وقد مشى ... سواه اليهــا أمسِ مشىَ الخــوالف (٨)
وأغرى بك الحسادَ أنك لم تكن ... على صــنم فيما رووْه بعاكف



---

(١) هذه الكلمة ليست بالأصل وقد رجحناها على كلمات كثيرة وردت بالخاطر. (٢) يقارف: يقارب ويدانى. (٣) الضمير عائد الى النبي صلى الله عليه وسلم كما هو ظاهر من السياق. (٤) الطفّ: شاطئ الفرات الذى قتل به الحسين رضى الله عنه. (٥) القرف: البغى. (٦) الجوامع: الأغلال. (٧) استحقبوا: ادخروا. (٨) الخوالف: النساء.

وكنت حَصَان الجيب من يد غامرٍ كذاك حصانَ العرض من فم قاذفِ (١)
وما نسبٌ ما بين جنـــبىَّ تالدٌ بغالب ودٍّ بين جنـــبىَّ طارف (٢)
وكم حاســـدٍ لى ودَّ لو لم يعش ولم أُنابِـــلْهُ (٣) فى تأبينكم وأسايف (٤)
تصرّفتُ فى مدحيكُمُ فــتركته يَعَضُّ علىَّ الكفَّ عضَّ الصوارِف (٥)
هـــواكم هو الدنيـا وأعــلم أنه يبيِّضُ يومَ الحشر ســودَ الصحائفِ

* * *

وأُنشِد قصيدة من مراثى أهل البيت من مرذول الشعر على هذا الروىّ الذى يجىء، وسئل أن يعمل أبياتا فى وزنها على قافيتها، فقال هذه فى الوقت

مشين انا بين مِيـــلٍ وهِيف فقل فى قنـاةٍ وقـــل فى نزيفِ (٦)
على كلّ غصنٍ ثمـارُ الشـبا بِ من مجتنيه دوانى القُطـــوفِ
ومن عجب الحسن أنّ الثقيـ ـل منـــه يُدِلُّ بحمـــل الخفيفِ
خليـــلىَّ ما خُبرُ ما تُبصـــرا ن بين خـــلاخيلها والشُّـــنوفِ (٧)
ســـلانى به فالجمـال اسمـــه ومعنـاه مَفســـدةٌ للعفيفِ
أمن "عربيّـــةَ" تحت الظلام تــولَّجُ ذاك الخيـالِ المطيفِ؟
سرى عينهـا (٨) أو شبيها فكا د يفضحُ نومىَ بين الضـــيوفِ
نعم ودعا ذكرَ عهـــدِ الصبا سيلقاه قلـــبى بعهـــدٍ ضعيف
" بآل علىٍّ " صـــروفُ الزمان بسطنَ لسـانى لذمّ الصروفِ
مصابى على بعـــد دارى بهـــم مصابُ الأليف بفقـــد الأليفِ

---

(١) فى الأصل "فم قادف". (٢) فى الأصل "بغا كب". (٣) أنابله: أراميه بالنبل.
(٤) أسايف: أجالده بالسيف. (٥) الصوارف جمع صارف وهو الناب. (٦) النزيف: السكران. (٧) الشنوف جمع شنف وهو القرط يعلق بأعلى الأذن. (٨) فى الأصل "سها".

وليس صـديقىَ غيرَ الحزيـن ... ليوم "الحسين" وغيرَ الأسوفِ (١)

هـو الغصن كان كمينا فهبَّ ... لدى "كربلاء" بريحٍ عصوفِ

قتيـلٌ به ثار غِلُّ النفـوس ... كما نغـر (٢) الجرحَ حكُّ القـروفِ (٣)

بكلِّ يدٍ أمسِ قـد بايعتْـهُ ... وساقت له اليـومَ أيدى الحتوفِ

نسوا جدَّه عنـد عهـدٍ قريبٍ ... وتالدَهُ مَعَ حـقٍّ طـريفِ

فطاروا له حاملين النِّفـاقَ ... بأجنحةٍ غِشُّها فى الحفيفِ (٤)

يعـزُّ علىَّ ٱرتقـاءُ المنون ... الى جبـلٍ منك عالٍ منيـفِ

ووجهـك ذاك الأغرُّ التريبُ (٥) ... يُشهَّرُ وهو على الشـمس موفى

عـلى ألعن (٦) أمره قـد سـعى ... بذاك الذميـل وذاك الوجيفِ

وويلُ ٱمّ مأمـورِهم لو أطاع ... لقـد باع جنّتَـه بالطفيفِ

وأنت ـ وإن دافعوك ـ الإمامُ ... وكانـ أبوك برغم الأنوفِ

لمن آيةُ البـاب (٧) يومَ اليهـود ... ومَن صاحبُ الجنّ يوم الحسيفِ (٨)

---

(١) الأسوف : السريع الحزن الرقيق القلب . (٢) نغر : أسال وفى الأصل "نفر" .
(٣) القروف جمع قرف وهو القشرة تعلو الجرح . (٤) الحفيف : صوت أجنحة الطائر .
(٥) التريب : المعفر بالتراب . (٦) كذا بالأصل ولم نوفق الى فهمه ولعله : * غليل لمن أمره قد سعى * ... والغليل شـدة العطش وحرارته ، والمراد الدعاء عليه بأن ينـاله ما نال الحسين من ظمأ ويؤيد أنه دعاء بالشر ذكر واو العطف فى البيت التالى فى قوله "وويل" الخ . (٧) يشير الشاعر الى خروج علىّ رضى الله عنه يوم وقعة خيبر فلما دنا من الحصن ضربه رجل من اليهود فطرح ترسه من يده فتناول علىّ بابا كان عند الحصن فترس به عن نفسه فلم يزل فى يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ثم ألقاه من يده حين فرغ ، فأجتمع ثمانية من أصحابه وحاولوا أن يقلبوا الباب فما ٱستطاعوا . (٨) الحسيف : البئر التى تحفر فى صخر فلا ينقطع ماؤه لكثرته ، ويشـير الشـاعر بذلك الى ما يعتقده الشيعة من أن عليا كرم الله وجهه قاتل الجنّ وحارب بهم ببئر ذات العلم عنـد ما توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية الى مكة حيث أصاب الناس عطش شديد وحر شديد فنزل رسول الله صلى الله عليه وسـلم فقال : هل من رجل يمضى فى نفر من المسلمين معهم القرب فيردون بئر ذات العـلم ثم يعود يضمن له رسول الله الجنـة ؟ ثم بعث رجلا من الصحابة ففزع من الجن فرجع ، ثم بعث آخر فذعر من الجن فرجع ثم أرسل علىّ بن أبى طالب فنزل البئر وملأ القرب بعد هول شديد .

ومن جمع الدينَ فى يوم "بدرٍ" "وأُحْدٍ" بتفريقِ تلك الصفوفِ

وهــدّمَ فى الله أصـــنامَهم بمرآى عيونٍ عليها عُكوفِ

أغــير أبيــك إمام الهــدى ضياء النــدىِّ هزبر العــزيفِ (١)

تفلَّلَ ســيفٌ به ضرّجــوك لســوّدَ خِزيا وجوهَ الســيوفِ

أمرٌ بــفىٌّ علــيك الزلالُ وآلم جِــلدِىَ وقعُ الشُّـــفوفِ (٢)

أيحمِـــلُ فقــدَك ذاك العظيمَ جوارحُ جسمِىَ هــذا الضعيفِ ؟

ولهـــفى علـيــك مقالُ الخبيـر : أنك تُــبردُ حرّ اللهيــفِ (٣)

أنشرُك ما حمــلَ الزائرو ن أم المسكُ خالط تُرب الطُّفوفِ ؟ (٤)

كأن ضريحــك زهرُ الربيـ ع هبّت عليــه نسيمُ الخريفِ

أُحبّكُمُ ما ســعى طائفٌ وحنّتْ مطــوّقةٌ فى الهُتــوفِ (٥)

وإن كنتُ من "فارس" فالشريـ فُ معتــلِقٌ ودُّهُ بالشريفِ

ركبتُ ــ عــلى من يعاديــكُمُ ويفسُــدُ تفضيلكم بالوقوفِ ــ ،

ســوابقَ من مــدحكم لم أَهَبْ صُــعوبةَ رِيِّضها (٦) والقَطــوفِ (٧)

تُقَطِّــرُ (٨) غــيرِىَ أصـــلابُها وتَزلَــقُ أكــفالُها بالرديفِ (٩)

---

(١) العزيف : صوت الرمال اذا هبت عليها الرياح . (٢) الشفوف جمع شِفّ وهو الثوب الرقيق . (٣) اللهيف : المظلوم يستغيث و يتحسر . (٤) الطفوف جمع طف وهو الشاطئ ، وقد قتل الحسين بطفّ الفرات . (٥) فى الأصل "وجنت" . (٦) الريض : الدابة أول ما تراض وهى صعبة . (٧) القطوف الدابة التى تسىء السير وتبطئ . (٨) تقطر : تلق الإنسان على قطره وهو كاثبته وعجزه ، والكاثبة : أعلى الظاهر . (٩) الرديف : الراكب خلف الراكب .

وقال وقد آستبطأ الصاحب أبو القاسم بن عبد الرحيم إنفاذ رسمه من الشعر فى عيد النحر، وكان قد أخّره لعائق من شكاة ثالثة، فعاتبه وألزمه الجرى على العادة بحسب مادة القوة، فعمل هذه القصيدة وأنفذها اليه بين يومى الأضحى والغدير[1]

لو شاء سارٍ ليلةَ "النعف" وقفْ ... وعارفٌ يُنكر حقٍّ لاَعترفْ
عهد تفرّقنا وحلقتْ به ... فتخاء[2] طاح هَدَرا ما تختطِفْ
بعزاق من العيون ما لمن ... يطلبها فائتة إلا الأسفْ
أسهرنى ونام من عاهدنى ... بنجوة — من رغبة — ومنحرِفْ
أكلّما آستأنف ذنبا ظالمى ... عفوتُ من ذنوبه عما سلفْ!؟
لو قيل سكانُ "الحمى" وفعلُهم ... بى فعلُهم نزا[3] فؤادى ورجَفْ
سل بارقا أذكى الغضا على الغضا ... محدِّثا عن الحيا كيف يكفْ
أمن جفون "العامريين" آنتضى ... أم من ثنايا "العامريّات" خطَفْ؟
وآسئل بغصن منهُمُ أشكو الجوى ... وثقله[4] اذا مشى يشكو الهيَفْ[5]
شكّكنى فيما آستقام وآنثنى ... ألامُهُ أقتلُ لى أم الألِفْ؟
عنّ به التيهُ فلو كلّمه ... جمالُه أعرضَ عنه وصدَفْ
كأنه لم يرَ حِقفا[6] عَمَما ... هِيلَ ولا بدرا مع التّمّ آنكسفْ
لكلّ شىء آفة تَنقُصُه ... اذا آنتهى وآفة الحسن الصلَفْ[7]

---

(١) يشير الى غدير خم وهو موضع على بعد ثلاثة أميال بالجحفة بين الحرمين وله يوم معلوم.
(٢) الفتخاء : العقاب اللينة الجناح. (٣) نزا : وثب. (٤) فى الأصل "وثقله".
(٥) الهيف : ضمر البطن ورقة الخاصرة. (٦) الحقف : المعوج من الرمل. (٧) الصلف : التكبر والإعجاب.

خـــبّرنى أنّىَ شاكٍ بعـــده ... لواعجَ الشـــوق، فقـال وحلَفْ:،

إن باح بالسرّ لأهجـــرنّه؛ ... عاقبْ بغـــير الهجر فالهجرُ سَرَفْ

ما لحســـودٍ فى هـــواكم عابنى ... لا رام رفـــعَ طرفه إلا طُـــرِفْ!

وناقلٍ اليكُمُ ما لم أقـــل ... أصابه الله بذنبٍ ما آقـــترفْ

يا للغـــوانى يتجنّين(١) ولى، ... مـــتى سمُحتُ بقيـادى للعنَفْ(٢)!

قـــد علمتْ اذا الغـــرام ضامنى ... أنّىَ منـــه بالســـلو أنتصفْ

وأننى عـــلى اللجاج صخـــرةٌ ... اذا لويتُ عُنُـــقى لم أنعطـــفْ

لا تنتهى نفسى آنصرافا عن هـــوى ... دام، ولا ترجعُ حين تنصرفْ

سمحتُ للدنيـا بجُـــلِّ أهلها ... سماحَ غـــيرِ نادمٍ ولا أسِفْ

رأيتهـــم بخلهـــم(٣) وعقّـــتى ... دونى وفيهـــم ذو الغنى وذو الشرفْ

لم أخشهم من حيث لم أرجُهُـــمُ ... إنك ما لم تـــرجُ شيئا لم تخَفْ

كفتنىَ الرزقَ يدٌ واحـــدةٌ ... والنـاس طرّا واحدٌ منهـــم خَلَفْ

ما رعَتِ "الصاحبَ" عينُ الله لى ... فشملُ آمالى جميـــعٌ مؤتلِفْ

سيّان ما آستخلصتُه من ســـيّد ... وما صفا منهـــم ومن عقّ وعفْ

وجدتُ فيـــه ما طلبتُ عنـــده ... فـــلم أجدْهُ وهـــو ما عزّ وكفْ

لا عدّةٌ تُـــلوَى(٤) ولا خُلْقٌ على آخ ... تلاف ألوانِ الزمانِ يختلِفْ

وراحـــةٌ على مقابض الظبـا ... تثقل(٥) أو فى بسطة الجـــود تخِفْ(٦)

يومَ الردى جنـــدلة وفى النـــدى ... جنـــدلة كلتاهما ملء الأكفْ

---

(١) فى الأصل يحنين . (٢) العنَف : ضد الرفق و فى الأصل "العيف" . (٣) فى الأصل هكذا " نحلهم " . (٤) فى الأصل هكذا " لاعده ىلوى " . (٥) فى الأصل هكذا "ىنقل" . (٦) فى الأصل " تجف " .

أُنظــرْ اليه تختــبرْ ما عنــده ... إن الطهاراتِ الرقيقاتِ تشِــفّ

وجــهٌ لبيقٌ (١) بالنعــيم ماؤه ... وبَشَر (٢) لم يغــتربْ فيــه الترَفْ

ألــومُ إلا حاســدا كمالَه ... وحســدُ الشمسِ عــلوٌّ وشرفْ

قــل لُمعارِ المجــد معنى حائلا ... وآسمــا عــلى إعرابه لا ينصرفْ

جارِ " أبا القاسم " أُولَى خطــوةٍ ... تعلُّمــا ، ودعه يجــرى ثم قِفْ

لم يتقــلّدها قصــيرا أوقصا (٣) ... إن العــلا حمائلٌ لذى الكتِفْ

سمعا بنى " عبــد الرحيم " إنهــا ... بناتُ طبــع لم يدنِّسها الكَلَفْ

تبعثهــا فى مدحڪم محبــةٌ ، ... مدحُ الرجاءِ غيرهُ مــدحُ الشغفْ

مقيمــة بذڪركم لم تســترح ... لوطنٍ سائرة لم تعتســفْ

تبيضُّ أو تخضرُّ من ســطورها ... بنــورِ أوصافكُمُ ســودُ الصُّحُفْ

ينشُر منهــا المنشــدون بُردةً ... أو من رياض الحَــزنِ (٤) عيناءَ (٥) أُنُفْ (٦)

يعجبــنى تســلُّطُ فيهــا اذا ... قامت تعاطى من علاكم ما تصِفْ

تُهــدى لكم فى كلّ يومِ فرحــةٍ ... عيونُها : المســتغرباتِ والطُّرَفْ

تجــول رعيــا حــول أعراضكمُ ... تحمى من العــار حماها وترِفْ

إن فاتها عيــد فعيــد بعــده ... لكم صــفايا (٧) سَلْفها والمؤتَنَفْ

لا يقــدحُ الحسادُ فىَّ عنــدكم ... وفيتُــكم رســومها أو لم أوفْ؟

قلبىَ مأمــونٌ عــلى ودادكــم ... ما دام مأمونا على الدرّ الصّــدفْ

---

(١) اللبيق : اللائق بالشىء . (٢) البشر : جمع بشرة وهى ظاهر الجلد . (٣) الأوقص : قصير العنق . (٤) الحزن : ما غلظ من الأرض . (٥) العيناء : الأرض الخضراء . (٦) الأنف : التى لم يرعها أحد ، ومنه يقال : روضة أنف . (٧) الصفايا : ما يصطفى ويختار .

وكتب الى الكافى أبى عبد الله القَنَانى فى المهرجان

سافرْ بطرفك واشترف(١) هل تعــرفُ | أنَّى سرى برقٌ "بوجرةَ" يخطِـفُ؟
هبَّ اختــلاسا ثم غمَّض موهنـا | وعلى الرحال نواظــرٌ ما تطــرفُ
يشــتاق صحــبى أن يُضىء ودونه(٢) | من شمــلةِ الظلمــاء سِتر مســدَفُ(٣)
فكأنمـا ضحكت لهم بوميضــه | "خنساءُ" فهو بكلّ لحظ يُرشفُ(٤)
حملوا الخدود على أكفٍّ ،وطلت | بالنــوم فهى عن المخاصر(٥) تضعُفُ
بعث الغــرامُ المدلجين جرت لهم | طير الفــراق بوارحا فتعيَّفــوا
لمــا استــتقام بعيسهم(٦) لَقَمُ(٧) السُّرى | عــثَرَ الكرى بدليلهــم فتحرّفوا
يتهافتون عــلى الرحال كأنمـا | لعبت بما تحت الشــعور القرقفُ(٨)
يا سائق الأظعان إنّ مع الصَّــبا | خــبرا لو آنك للصَّــبا تتوقّفُ
هبّت بعارفة تســوقُ من الصَّــبا | أرجًا بريّا أهــله يتعــرَّفُ
فكأنمـا حبس التّجارُ لطيمــةً(٩) | فى الركب أو سكب السلاف(١٠) مصرِّفُ(١١)
فبَردتَ بين "عَنيزتين" "وصارةٍ" | كبدا الى زمن "الحمى"(١٢) يتلهفُ
ومن العقائل بالغضا "ســعديّة" | تفــنَى الصفاتُ وحسنُها لا يوصفُ
كالريم(١٣) لو كانت تصـاد بحيــلة | والبــدرِ إلا أنهـا لا تُكسفُ

(١) اشترف : انتصب ناظرا . (٢) فى الأصل "ودنه" . (٣) مسدف : مرسَل . (٤) فى الأصل "يَرشُفُ" . (٥) المخاصر : الأوساط ، واحدها مخصرة . (٦) فى الأصل "العنس" وهى الناقة الصلبة القوية ، وقد رجحنا "بعيسهم" . (٧) اللقم : معظم الطريق أو وسطه وقيل : أوضحه . (٨) القرقف من أسماء الخمر . (٩) اللطيمة : نافجة المسك . (١٠) السلاف من أسماء الخمر . (١١) المصرِّف من لم يمزج الشراب و يشرب به صرفا . (١٢) الحمى وما قبله أسماء مواضع . (١٣) الريم : الظبى الخالص البياض .

بيضاءَ يُقعِدها كثيبٌ[١] أهيلٌ[٢] ... طورا ويُنهضها قضيبٌ أهيفُ

فى صدرها حَجَرٌ وتحت صِدارها[٣] ... ماءٌ يشِفُّ وبانةٌ تتعطَّفُ

زارت من "البلد الحرام" وبيننا ... "عنقا زرودَ" ومن "تهامةَ" نفنفُ[٤]

نتعسّف الشقَّ العدوَّ لقومها ... فعجبت للسارى وما يتعسّفُ

أنى تصرَّم قلبُها لك بعد ما ... كانت تُراعُ بظلّها وتخوَّفُ!

ولقد سترتُ عن الوشاة طروقَها ... ومكانُها لنبالهم مستهدَفُ

وطويته حتى تحدّث غدوةً ... عنها النصيفُ[٥] به وغنّى المُطرَفُ[٦]

ولئن وشوا فلقد تنزّه بيننا ... ذاك المبيتُ وعفَّ ذاك الموقفُ

أنا من علمتِ ومن أُحبّ عزوفةٌ[٧] ... عما يعاب بعيبه ويعنَّفُ

لا المال يغلبنى على حبسى ولا ... دِينى بمأثم لذّةٍ يتحيّفُ

ولقد أصدّ عن المطامع مُعرِضا ... ووجوهُها للطالبين تُزخرَفُ

وتُجمّ أودية النوال ودونها ... ضيمٌ وبى ظمأ فلا أتنطّفُ[٨]

خُلُقٌ فطرتُ عليه كانَ سجيّةً ... والعِرضُ يسمَنُ والمعيشةُ تعجَفُ

والمالُ أهون أن تُضيع لحفظه ... إن كنتَ حرًّا ماءَ [وجهٍ يُنزَفُ[٩]]

فاركب جَناح العزّ لست بمخلِف ... عِرْضا مضى ولكلّ مالٍ مخلِفُ

واذا لقيتَ المجدَ فاصحب أهله ... واكثر فأنت بمن تكاثر[١٠] تُعرفُ

واستملِ من شرف المعالى عادةَ الـ ... خُلُق الكريم فإن نفسك تشرُفُ

---

(١) الكثيب : التل من الرمل . (٢) أهيل : منهال . (٣) الصدار : ثوب بلا كمين .
(٤) النفنف : المفازة أو المهواة بين جبلين . (٥) النصيف : الخمار وكل ما غطى الرأس .
(٦) المطرف : الرداء من خز . (٧) العزوفة : الزاهد فى الشىء . (٨) لا أتنطف : لا أطلب النطافة وهى القليل من الماء . (٩) هاتان الكلمتان مطموستان بالأصل الفتوغرافى طمسا تاما فوضعناهما من عندنا بعد ترجيحهما مع ما يتفق والسياق . (١٠) فى الأصل "تكاثر" .



قـــرمٌ تجـــودُ بوصلهـا الدنيـا له	حُبّـا وتقـرُّب وهو عنهـا يصدِفُ
وتطيعـــه الدولُ الفـوارِكُ[1] غَـيرةً	فيعــــزُّ عمـا فى يديه ويظلِفُ[2]
ويعفُّ عن تبعاتهـا عن قـدرة	ومن الغـــرائب قادرٌ متعفِّفُ
لـولا العـــلا ماكلّفتـه نفسُـه	من شـقّةِ الإعياء ما يتكلّفُ
غيران أن يرعى لمصـــلحة حمى	أو أن يبيت سـياسة يتخطّفُ
كَلِفٌ بأن يُـوفى الأمانةَ[3] حافظٌ	للعهد تعـرفه الحقوقُ وتعسِـفُ[4]
يقظانُ من دون الملوك ، اذا ونى[5]	مسـتعمل فى الرأى أو مسـتخلِفُ
تَعِبٌ يزاحـم ليـلَه بنهـاره	فيما يُجِـمُّ[6] ظهورَهـم ويخفّفُ
كم عالجوا خَطْبا به من بعـد ما آسـ	ـتشرى يمـاطلُ داؤه ويسـوِّفُ
وتحطّمت عجماءُ تركـبُ رأسَهـا	غشّـامةٌ شـيطانُهـا متعجـرِفُ
كالسـيل ليس اوجهـه متحدّر	مص[7] الربى عمـا يحاول مُصـرِفُ
لا تملك الحيـلُ النـوافذ ضبطهـا	حتى اذا يدنو لهـا " الكافى " كُفُوا
عزمٌ أشـدّ من الصفا ووراءه	خُلُقٌ ألذّ من المـدام وألطفُ
مرٌّ اذا غضب آستسـلّ لسـانُهُ	كَلِمًـا من البيض الحـدائدِ أرهفُ
فاذا كشفتَ ضمـيرَه متنصّـلا	ألفيتَ خـيرَ بطانة تتكشّفُ[8]
ولربّمـا جار اللسـانُ وتحتـه	قلبٌ منيبٌ وآعتقادٌ منصِـفُ

(١) الفوارك : اللواتى يبغضن أزواجهن وهى هنا مجاز . (٢) يظلف : يكفّ ، من ظلف نفسه بمعنى كفّها ، وفى الأصل " يطلف " . (٣) فى الأصل " أمانة " . (٤) تعسف : تستخدِم ، من قولهم : عسف فلانا بمعنى آستخدمه ، و يكون معنى عجز البيت أن الحقوق تعرفه وتستخدمه لأخذها . (٥) ونى : فتر وضعف وكلّ وأعيا . (٦) يجم : يريح من الحركة . (٧) كذا بالأصل ولم نوفق الى صحته . (٨) فى الأصل " تتكسف " .

لله درّك ضاربا بعروقه — في السبق إن وقف الهجين[1] المقرف[2]

ومهجّنا[3] حلمَ الكهول وعشرُه — في السنّ لم يركب مطاها[4] نيّف[5]

عوّدت مهجتك السموّ فما علا — كعبُ آمرئ إلا وكعبك أشرف

وعرِبتَ فآسمك يوم تقضي: عادلٌ — في الناس وآسمك يومَ تعطي: مسرف

وترى غنيّ القوم يُصلحُ مالَه — شفقا[6] وأنتَ بضعف مالك تُجحف

لك راحتان كلاهما يُمنَى اذا — كانت شمالٌ عن يمين تضعُف

فيدٌ اذا عاقبتَ لم تعجل بها — ويدٌ اذا أنعمتَ لا تتوقّف

أعيا الرجالَ طلابُ شأوك فاستوى — في العجز دونك سابقٌ وموقَّف

وركبت كلَّ مقطَّر[7] بسواك من — ظهر الكفاية متنُه لا يُردَف[8]

واذا فتلتَ حبالَ عهد لم يكن — يوما لُينكثَ حبلُك المستحصَف[9]

واذا خلطتَ فتىً بودّك لم يكد — كرما صديقُك من شقيقك يُعرَف

أنا من[10] جفاك لسانُه، وفؤاده — بهواك مع طول البعاد مكلَّف

وعدَتْه[11] عنك قوابضٌ من حشمة — ومكاسُ حظّ بالفتى يتصرَّف

فولاؤه بين الجوانح والحشا — لك واصلان وسعيه متخلِّف

كم تحت جنبي أن أزورك من جوًى — ذاكِ ومن ريح آشتياق تعصِف

ومحبةٍ تصلُ الديانةُ حبلَها — بيني وبينك عِيصها[12] متلفِّف

---

(١) الهجين: من أبوه عربيّ وأمه. (٢) المقرف: من أمه عربية لا أبوه وهو يدانى الهجنة غير أن الإقراف من جهة الفحل والهجنة من قبل الأم. (٣) المهجن: المقبّح. (٤) المطا: الظهر. (٥) النيف: الزيادة، يقال عشرة ونيف ومائة ونيف، وكل ما زاد عن العقد فنيف الى أن يبلغ العقد الثانى. (٦) شفقا: خوفا. (٧) المقطر: الدابة التى تلق الفارس على قطره. (٨) لا يردف: لا يركب عليه ردف وهو الراكب خلف الراكب. (٩) المستحصف: المستحكم الفتل. (١٠) فى الأصل "أيامن". (١١) عدته: صرفته. (١٢) العيص: الشجر الكثير الملتف.

وإن آتهمتَ فمى فوبّ فراسة ... فى الوجـه تشهد لى بذاك وتحلفُ

هـذا وإن بسـط آنقباضى باعثٌ ... نحـوى بوجهـك أو برأيك يعطفُ،

ائتانّسـت حُوشـيّتى ولأصـبحت ... همى الشـذوذُ جـوامعا نتألّفُ

ولزرتُ عن ثقـة فإن مكانتى ... تُدنَى وإن زيارتى تُتَشـوّفُ

ولقـد علمتَ وكلُّ مـولى نعـمة ... أنى اذا ثقـل الحـريصُ مخفِّفُ

لا تحت ضغطة حاجـة أنا طارحٌ ... نفسى ولا أنا حين أسأل ملحفُ

يقتـادنى قَودَ الجنيبـة[1] موسـى ... بِشـرا ويملكُ رِقِّىَ المتلطِّفُ

تغشـاك[2] أو يُحى[3] بمـا آستقبلتَـه ... من حسنها تقريظِىَ المستسلفُ

ومن العجائب أن "كسرى" والدى ... وأنا بناتى[4] فى الفصاحة "خِنـدِفُ"[5]

فتملَّهـا، والمهـرجانُ يزفُّهـا ... عذراءَ، درٌّ عقودها لك يُرصَـفُ

وآفـن الليـالىَ خالدا متسـلِّطا ... حـتى يقـوِّمَ مَيْلُهـا ويثقِّفُ

ما حنَّ للوطنِ الغريبُ وما سعى ... بحرامِ "مكّةَ" حاصبٌ[6] ومعـرِّفُ[7]

* * *

وكتب الى عميـد الكفاة أبى سـعد يذكِّره سالفَ حرمته، ويبعثه على قضاء حاجتـه

رعتْ من "تبالةَ"[8] جعدا[9] لفيفا ... وسَـبطا[10] يرفُّ عليها رفـوفا

وسـاقَ لهـا حارسُ[11] الإنتجـا ... ع من حيث حنّتْ نميرا[12] وريفا

(١) الجنيبة: الدابة تقاد بجانب أخرى. (٢) فى الأصل "تمشاك". (٣) فى الأصل "تحى". (٤) فى الأصل "بناتى". (٥) خندف: اسم قبيلة منسوبة الى خندف آمرأة الياس بن مضر بن نزار وآسمها ليلى. (٦) الحاصب: رامى الجمار بالحصب. (٧) المعرف: الواقف بعرفة. (٨) تبالة: اسم موضع باليمن. (٩) الجعد: الملتوى المتقبض. (١٠) السبط: خلاف الجعد. (١١) وردت بالأصل هكذا "رس". (١٢) النمير: الزاكى من الماء، والريف: الأرض فيها زرع وخصب.

تخطّاه تُبشِمُه بالعيون بِطانا وتُقلِصُ عنه الأنوفا
رعتْ ما اشتهت ذا وذاك الربيـ ـع رعيا يجرُّ عليها الخريفا
وحدّثها أسَرُ المحصناتِ أحاديثَ "نجد" نجبّتْ خفوفا
وحنّت لأيّامها بالبطاح (١) فـدّت وراء صليف صليفا
تراود أيديَها في الرويد (٢) (٣) ويأبى لها الشوق إلا الوجيفا
فهل في الخيام على "المأزمـ ـين" (٤) قلبٌ يكون عليها عطوفا ؟
وهل بانُ "سلع" على العهد منـ ـه يحلو ثمارا ويدنو قُطوفا ؟
تَزاوَرُ ريح الصّبا بينهن فيُقبلن مِيلا ويُدبرن هِيفا
وحىٌّ دوينَ "مِنًى" لا يـزا ل يقرِى عزيب (٥) الغرامِ الضيوفا
تجاوره فتخافُ العيو ن مرهَفةً وتُخيف السيوفا
ترى ما اشتهتْ لك عينُ الصديـ ـق عزًّا عريضا وبِرًّا لطيفا
نساءً بأكسارِ تلك البيو تِ شاهدةً ورجالا خُلوفا
وصفراءَ من طيّباتِ "الحجا ز" تمشى تريك الخليعَ النزيفا (٧)
ترى الزعفرانَ سقَى خدَّها مُجاجته والعبيرَ المَدوفا (٨)
تعلّق قومٌ بدورَ التّمام وعُلِّقتُ منها هلالا نحيفا
حماها الغيورُ فعادت تلو ث (٩) دونى الستورَ وترخى السجوفا
وروّضها قائدُ الكاشحين فألقى مقادا وحبلا ضعيفا

(١) الصليف : صفحة العنق . (٢) الرويد : المهل . (٣) الوجيف : ضرب من السير كالعنَق . (٤) المأزمان : جبلا مكّة . (٥) فى الأصل "غرب" . (٦) فى الأصل "اشتهت" . (٧) النزيف : السكران . (٨) المدوف : المخلوط بالطيب . (٩) تلوث : تلفّ .

اذا مجَّ سمــعىَ قـــولَ الوشاةِ (١) تعــلّقَ فى أذْنيهـا شُـــنوفا (٢)

فكم ليلةٍ – ورقيب العيــو ن لا يحمــل النوم إلا خفيفا –،

سمـــرتُ ففاســقنى طــرفُها وألفاظُهـا ثم كنتُ العفيفـا

وقد كان حبٌّ يُقُضُّ الضـلوعَ (٣) ولكنّه كان حبًّـا شريفا

وحاجــةِ جِـــدٍّ تناولتهـا (٤) برأيٍ يسُـذُّ الفــؤادَ الحصيفا

دعوت لهـا قبلَ داعى الصباح غلاما بطُـرْق المعـالى عروفا

فهبَّ وفى رأســه فضــلةٌ من النــوم تُطلقُ جفنـا رسيفا

يودُّ بكبرى المـنى لو رقد تُ فى ساعةٍ كنتُ فيهـا عَسوفا

وعاجلتُـــه فركبتُ الخطـارَ وقام لخاضنِ ظهــرى رَديفا (٥)

وقلتُ : تيمَّـمْ بنـا جانبـا منيعا وبيتَ نخـارٍ مُنيفـا

فأهلُك حيث تكون المطـاعَ ودارك حيث تكون المَخـــوفا

تطلّــعْ وراء ثنايا الظـــلام أتؤنس للجـــد برقا خَطـــوفا ؟

عسى البدرُ فى آل "عبد الرحيم" يضيءُ فيرفع هـــذى السّـدوفا (٦)

هم الناس فاحبس عليهـــم وخذ بحُجْـــزتهم إن رهبت الصروفا

ترى المـاءَ لامعُــه لا يغُـرُّ والنـارَ لا تكذِبُ المستضيفا

ومربوطةً لتجيب الصـــريخ وسارحـــةً لتروّى اللهيفـا

وبيضًا مَجَـالىَ فى الأنــديا ت لا ينظرُ البــدرُ منها الكسوفا

اذا صـــدئت أوجهُ المـانعين أرتك النـــدى رقّةً أو شُـــفوفا

---

(١) فى الأصـــل " قومل " . (٢) شنوف جمع شنف وهو قرط يعـلق بأعلى الأذن .

(٣) فى الأصل " يفض " . (٤) فى الأصل " تناوكتها " . (٥) الرديف : الراكب خلف الراكب . (٦) السدوف جمع سدف وهو الظلمة .

وشارة ملك تريك الفـذو[1] ... ذ منهم حيالك جمعا كثيفا

تُكثِّرُ قِلّةَ أعدادهم ... فتحسبهم عشرات ألوفا

تمارى العلا فيهم أيهم[2] ... أشد عُلوقا بها أو حفوفا

فتحمد كهلهم والغلامَ ... وترضى تليدهمُ والطريفا

توافوا عليها توافى البنا ... ن كبرى وصغرى يطلن الكفوفا

رأوا قبلة المجد مهجورة ... فمالوا فظلوا[3] عليها عكوفا

وقام "عميدُ الكفاةِ" الإمام ... وجاءوا وراء صفوفا صفوفا

فتى لا يقر[4] على عثرةٍ ... ولا يردُ الضيمَ إلا عَيوفا

ولا يحسب المالَ وجها يُصانُ ... ولا ساحةَ العُدم ظهرا مُخيفا

اذا اشتدَّ عاركتَ ليثا غضوبا ... فإن لان غازلتَ ظبيا ألوفا

تخالُ عِمامتَه مِغفَرا[5] ... ويومَ الحياءِ تراها نَصيفا[6]

وشعواء تنزو بهامِ "الكفا ... ة" طورا طِرادا وطورا وُقوفا

تُريبُ الشجاعَ بظلِّ القناةِ ... ويتَّهمُ الطرفُ فيها الوظيفا[7]

ندبتُ اليها على خَطبها الـ ... جليلِ هضيما حشاه لطيفا

يطأن على فِقَرٍ لا تزا ... لُ والأسد مستأخراتٍ دُلوفا[8]

ومغبرّة الجوّ غرثى الترا ... ب لا تحلب الضرعَ إلا القُروفا[9]

يعود بها الفحلُ نِضوا[10] أجبَّ[11] يألم جِرّتَه[12] والصريفا[13]

(١) الفذوذ جمع فذ وهو الفرد . (٢) فى الأصل "أنهم" . (٣) فى الأصل "فظلوا" . (٤) فى الأصل "يفر" . (٥) المغفر : زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس . (٦) النصيف : الخمار أو كل ما غطى الرأس . (٧) الوظيف : مستدق الساق . (٨) الدلوف : مشى يقارب الخطو . (٩) القروف : الأمراض الوبيئة . (١٠) النضو : المهزول . (١١) الأجبّ : المقطوع السنام . (١٢) الجرة : ما يخرجه البعير من بطنه ليمضغه ثانية . (١٣) الصريف : صريرناب البعير .

فتحتَ يديــك فخلّتهـا سحابا ظليـــلاً وغيثا وكيفا
مكارم تُمْتِــكُ[(1)] عَرض السَّـــنا م بعــد الذبول وتَبنى السـديفا[(2)]
اليــك رحلنـا مطايا الثنـا ء نُدمِى مناسِمَهـا[(3)] والدُّفــوفا[(4)]
عليهـا وُســوقُ الأمانى الثقـا لُ مقـــترحاتٍ صنوفا صـــنوفا
فأصبحنَ يحكمن بالإشـــتطا ط فى بحـرْ كفّك حكما عنيفـا
أوانس منـــك بمـا يبتغين وكنّ من الناس وَحْشا عَزوفا
وعقّ الرجالُ بنـاتِ القـــريض فكنت بهنّ حفيًّـا رؤوفا
كأنّى من عزّها فى ذَراك أرى النجمَ جارا لها أو حليفـا
فــلا زلتُ أُركِبُهُنّ الروا ةَ فيــك مُهملِجة[(5)] أو قَطــوفا[(6)]
ســوائر لا البحــر يخشينه ولا يتنـاذرن ريحا عَصــوفا
لمجــدك منهـا رسومٌ تقـا م كالعهــدِ يُحفَظُ[(7)] والنـذرِ يوفى
تُــرِى لك إكثارَها قِــلّةً ومنــك كثيرا جــداك الطفيفا

* * *

وقال يمدح الوزير بن زعيم الدين ويهنئه بالنيروز، ويذكر غرضا له

سأَلَ " اللوى " وســؤالُه إلحافُ لو كان من أهلِ " اللوى " إسعافُ
وٱستمنحَ الأظعانَ وقفةَ ساعــةٍ لو أسمــعَ المتسرِّعَ الــوقّافُ
ساروا وغَشْمُ البين يخلِــط أمرَهم حتى ٱســتوى الفُرّاط والسُّــلّافُ
هى نظــرةٌ هيهاتِ من أخواتهـا عينـاك إن كفر[(8)] المطىُّ " شَراف[(9)] "

---

(١) تمتك : تسمن . (٢) السديف : شحم السنام . (٣) المناسم جمع منسم وهو خف البعير . (٤) الدفوف جمع دف وهو الجنب من كل شىء . (٥) المهملجة : الدابة تسير سيرا حسنا . (٦) القطوف : الدابة تسىء السير وتبطئ . (٧) فى الأصل "البدر" . (٨) كفر : ستر . (٩) شراف : اسم ماء بنجد .

وتعـــوّمتْ فى الآل فهى اذا طما سفُنٌ له وحُدوجها أصـنداف
فاطـــرحْ لحاظَك سارقا ما أبصرت من قبـــل أن تتصـــدع الأُلّاف
يا دار لستِ اليــوم مثلكِ أمسِ لى، ظهـــرتْ مفارقةٌ وبان خـــلاف
ذوت الغصـــونُ الناضراتُ وهُيِّلتْ (١) بعـــد الوَثارةِ (٢) فـــوقَك الأحقافُ (٣)
وتغــيّرت ريحُ الصَّبا عن خُلقِها ولِيانِها فنسيمُها إعصافُ
كنا نرودُك روضـــةً مرشـــوفةً فاليـــومَ تُربك دِمنـــةٌ (٤) تُستافُ (٥)
بذلت عزيزتَك المنـاسمُ (٦) وطأةً عنفًا (٧) وداست خـــدَّك الأخفافُ
وبمـا يكون العيشُ فيك صبائغا (٨) سحّارةً حـــبراتُها أفـــوافُ (٩)
وعلى رباط اللهـــو حولَك ضُمَّـــرٌ ذيّالة أذنابُهـا أعــــرافُ
إن غاب (١٠) أهلكِ فالجبـاهُ أهـــلّةٌ أو غاض ماؤك فالسِّـــقاء (١١) نِطافُ (١٢)
فاليـــومَ أنت الى الدمـــوع ذريعةٌ (١٣) إن ضنّ منهـا المســبِلُ الوكّافُ
قـــد أنجزتْ فيك النـــوى ميعادَها يا ليت إنجازَ النـــوى إخـــلافُ
لم ترمـــنى الأيامُ فيـــك بعائرٍ (١٤) هى أســـهُمٌ وجوارحى أهـــدافُ
أأذمُّ فاحشَ صـــبغها فى غـــدرةٍ عنـــدى لهـا أمثالُهـا آلافُ؟
قـــد ملّستْ جنبى ضغاطُ حبالِهـا فتشـابهَ الإدمالُ (١٥) والإقـــرافُ (١٦)

(١) فى الأصل "وهتلت". (٢) الوثارة: السهولة واللين. (٣) الأحقاف جمع حقف وهو ما اعوج من الرمل واستطال. (٤) الدمنة: الأثر. (٥) تستاف: تشتم. (٦) المناسم جمع منسم وهو الخف أو من الناقة كالظفر للإنسان. (٧) العنف: ضد الرفق. (٨) فى الأصل "صبايعا". (٩) أفواف جمع فوف وهو ضرب من برود اليمن. (١٠) فى الأصل "عاب". (١١) فى الأصل "فالشفاء". (١٢) نطاف جمع نطفة وهى القليل من الماء. (١٣) فى الأصل "دريعة". (١٤) العائر: السهم لا يدرى من راميه، وفى الأصل "بغاير". (١٥) الإدمال: برء الجرح. (١٦) الإقراف: قشر القرحة بعد يبسها.

وطفتْ نوائبهـا عـلىّ فقَـرصها | جرحٌ ومختصـراتها إسـرافُ
كاشفتُهـا وصعُبتُ[1] لـما لم يكن | عـونا عليهـا الرفقُ والإلطـافُ
ورددتُ سيفَ تجـلُّدى بفـلوله | وصـداه إذ لم يُغنـنى الإرهافُ
هرِم الزمانُ وحُوِّلت عن شكلها | شـيمُ الرجال وحالت الأوصافُ
ورقدتُ تحتَ الضـيم لا عن ذلّة | مستحليا للسّـوم وهـو ذعافُ[2]
ما إن شربت الجـورَ مرتخصا له[3] | حـتى غلا وتعـذّر الإنصافُ
وجفت خلائقُ كنت إن جاذبتُهـا | سهلَ القيـاد ولانت الأعطـافُ
وعذرتُ فى فَـرط العقوق أرقّـةً[4] | لؤماءَ[5] حـتى عقّـنى الأشـرافُ
وغدا "زعيم الدين" مع أمـنى له | ورجاىَ فيـه عـلى الوفاء يُخافُ
وقسا فـلولا أن أحاشىَ مجـدَه | منهـا لقلتُ : مـلولةٌ مِطـرافُ[6]
دبت اليـه عقـارب من كاشح | مسـحولةٌ[7] أسبابُهن ضِـعافُ
فأطفن منه بسمع أروعَ لم يكن | من جانبيـه لمثلهنّ مَطافُ
ما كن من تحقيقه أو ظنـه | طـرفا وقـد تُجمع الأطـرافُ
حتى سـلا صبٌّ وأعرض مقبلٌ | عـنى وأنكـر خابرٌ[8] عـرّافُ
يا سـيفَ نصرى والمهنّـدُ مانعٌ | وربيعَ أرضى والسـحابُ مُصافُ[9]،
ومعيـــد[10] أيامى الىَّ سَمـائنـا | بُدْنًا وهن على الحياض عِجـافُ،
أخلاقُك الغـرُّ الصـفايا مالهـا | حملَت قذى الواشين وهى سُـلافُ[11]

---

(١) فى الأصـل "صيعت" . (٢) الذعاف : السم يقتـل من ساعته ، وفى الأصـل "رعاف" . (٣) فى الأصل "شربت" . (٤) فى الاصل "أدقة" . (٥) فى الأصل "لوما" . (٦) المطراف : من لايثبت على وداد أو صداقة صاحب . (٧) مسحولة : مفتولة فتلا غير محكم . (٨) فى الأصل "حابر" . . (٩) المصـاف : الذى يكون فى الصيف لا يحمل ماء . (١٠) فى الأصل "ومعند" . (١١) السلاف : من أسماء الخمر .

والإفكُ فى مرآة رأيك ما له ... يخفى وأنتَ الجوهرُ الشَّفافُ!

أظننت أنى مع تصاعدُ همّتى ... نحو الدّناة يكون لى إسفافُ

أو للتسرع فى قناتى مغمزٌ ... من بعد ما أَطَرَ[1] القناةَ ثِقافُ[2]

قد كنت أحسبها تمرُّ بسمعكم ... سَهكَ[3] الرياح يحثّها الإسرافُ

وإخال مشىَ الوخد فيه القهقرى ... فاذا الذميلُ وراءه الإيجافُ[4]

إن كان ظنّا فهو إثم أو تقل ... صدقَ المبلّغُ فهو بى إجحافُ

أو كان عتبا مُصلحا ما بعده ... فالعتبُ مع عدم الذنوب قِذافُ

ونعم صدقتَ! سواك من أصغى لها ... سَرَفا وأسمعه بها الهتّافُ

لكن كرهتُ[5] مِصاعَهم[6] فى طرحها ... عنى وأنت الفارسُ العطّافُ

فاسمع ظلامةَ نافثٍ لم تكفه ... سيفَ الزمان نزاهةٌ وعفافُ

إن فاته استئنافُكم إنصافَهُ ... غضبتْ له حُرُماته الأسلافُ

واعطف لها عطف الكريم وداوِها ... تُبِلْ فقد دَوِيتْ[7] لها الأجوافُ

واحمل وإن ثقُلتْ عليك فإنه ... ما كلّ حاجاتى اليك خِفافُ

ولقد علمتُ[8] ــ وفى الشروع غضاضةٌ ــ ... أنى اذا وردَ الحريصُ أعافُ

علّمتنى شرفَ الطباع فليس لى ... إلا الى معروفك استشرافُ[9]

وأفدتُ عدوى العز منك فكلّما ... وسعَ الكفايةَ لى غنًى وكفافُ

يا من اذا نُدبَ القريضُ لمدحه ... عجزَ البليغُ وقصّر الوصّافُ

---

(١) أطر: عطف ولوى. (٢) الثقاف: آلة لتقويم المعوّج من الرماح. (٣) سهك الرياح: مرورها بشدّة. (٤) الوخد: رمى البعير بقوائمه كالنعام، والذميل: ضرب من السير السريع، والأيجاف: ضرب آخر من السير السريع. (٥) فى الأصل "كرهب". (٦) المصاع: المجالدة. (٧) دويتَه: مرضت. (٨) فى الأصل "عملت". (٩) الأستشراف: رفع البصر الى الشىء والنظر اليه مع بسط الكف على الحاجب كالمستظل من الشمس.

ومن آجتنى ثمـــرَ النفوس بمـا حفا[1] والجـــو أقـــتُم والمَـــرادُ جَفافُ
واذا الرجالُ تدارســـوا أخلاقَـــه وهُمُ الكفاة تعلّمـــوا وآقتافـــوا[2]
واذا آنتضى الأقْلامَ من أغمادها طفقت تَلَـثَّم بالحيـا الأسـيـافُ
زُبُرٌ[3] توغَّـــلُ حيث[4] لا آبن الزُّبرةِ[5] الـ ـدامى ولا آبنُ الغـابة الرعّافُ[6]
طلب الرجال مـــداك لمـا أن جَرَوا وتناكصُوا باليأس لمـا خافـــوا
والبـــدرُ من أنوار وجهك خاشعٌ يشكو وشكوى مثـــله آستعطافُ
لك دونه شرفُ النهـار ، وحظُّـــه من ليـــله الإظلام والإســـدافُ
واذا آستتم فليـــلةٌ من شهره نصـــفٌ وشهـــرك كلّه أنصافُ
والقَطرُ يقنع من سمـاحتِـه بمـا يعتامُ[7] من كفيك أو يعتافُ[8]
جاريتَـــه وسحابُ جودك ساكنٌ ففضلتـــه وسحـابُـــه رَجّافُ[9]

بكم آســتقام من السياسة مَيلهـا وثرا المقـــلُّ وأخلَف المتـــلافُ
وتعـــدّلت فى الحـــق كلّ فضيلة فتسـاوت الصهوات والأردافُ
أنـــتم بنـــو المُلك التليـــد وقومُهُ وســـواكم الجـيران والأحلافُ
ميلادكم ســـببُ الصـــلاح وخَلْقكم فينـا من البـارى لنـا ألطافُ
سمعا ولولا أن سمعَـك آذنٌ ما قادهـا رِفـــق ولا إعنـافُ[10]
أمّ القـــوافى المنجبات ولم تكن لـــولاك تـــولَدُ فاؤهـا والقـافُ
لو لم يحرّكها هـــواك لمـا مشت خَطْـرا ولا آهـــتزّت لهـا أعطافُ

(١) حفا : أعطى . (٢) اقتافوا : تبعوا الأثر . (٣) الزبر جمع زبور وهو الكتاب .
(٤) فى الأصـــل "عيث" . (٥) الزبرة : القطعة الضخمة من الحـــديد ، و يريد بآبن الزبرة الدامى : السـيف . (٦) الرّعاف : السيّال بالدم ، و يريد بآبن الغابة الرّعاف : الرمح .
(٧) يعتام : يختار . (٨) يعتاف : يتزوّد . . (٩) الرجاف : الكثير الأضطراب .
(١٠) الإعناف : الأخذ بالشدة ، وفى الأصل "أعياف" .

فاجلس لها النيروزَ مجلسَ خَلوةٍ سعدانِ عيدٌ مقبلٌ وزِفافُ
وقِّرْ قِراهُ من السرور وقسمَنا ممّا تجود فكلّنا أضيافُ
فى نعمةٍ مخلوعُها متجدّدٌ أبدا وماضى عمرها آستئنافُ
غُرُفاتها مرفوعةٌ ومياهها مسكوبةٌ[1] وجِنانُها ألفافُ[2]

٭ ٭ ٭

وقال فى السيف

وآبنٍ سُررتُ به إذ قيل لى : ذكرٌ فصنته ويصان الدرُّ فى الصدفِ
أخشى الرياحَ عليه أن تهبَّ فما تراه فى غير حِجرى أو على كتفى
أغار[3] عجبا به من أن أقبِّلَه يوما وتقبيلُه أدنى الى شرفى
يتيه من فوق كرسىٍّ – وُهِبتُ له[4] من ''الحسين'' – بقدٍّ قام كالألف
كالسيف[5] أرسله فى الروع صاحبُهُ على الكتيبة ذات الحشْدِ لم يقِفِ
أخفيتُه وهو لمّا تَخفَ صورتُه وها هو الآن ما أخفيتُه وخَفِى

٭ ٭ ٭

وكتب الى الوزير كمال الملك أبى المعالى بسرّ من رأى فى النيروز

لعلّهم لو وقفوا أبلَّ[6] هذا المدنَفُ
قالوا : غدا وعدُ النوى يا بردَها لو لم يفُوا
فاستنفروا وأجمعوا وآستنظروا وأخلفوا
تسرّع الناجى الحشا وجعجعَ[7] المكلَّفُ
ثم آستوى على النوى السابقُ والمخلَّفُ

(١) فى الأصل ''مسكونة''. (٢) الألفاف : الأشجار يلتفّ بعضها ببعض. (٣) فى الأصل ''أعار''. (٤) يريد بقوله وهبت له ه جعلت له بدلا من الحسين بن الإمام على رضى الله عنهما . (٥) كذا بالأصل ولعلها ''كالسهم''. (٦) أبلّ : شفى . (٧) جعجع : أناخ و برّك .

هـــل أنت يا قلبُ معى أو معَهــم منصــرِفُ ؟
قل لهُـمُ عن جسدى إن سألوا وأسـعفوا
قفــوا على فارطكم يا أيّهــذا الســلفُ
ما كل سـير اليعملا تِ الغشْـمُ والتعجرفُ
تحــرّجوا فما دمى أنف البعـير يرعُفُ! •
يا سائق الأظعان أر وِدْ[1] بعضَ ما تعتسـفُ
فإنّ بين سُوقها أفئــدةً تُختَطــفُ
أنتَ على خـدورها — فارفق بها — مستحلَفُ
وهى عــلى الدرّ الذى أُكِنّ فيــه الصدفُ
وفى الركاب بَكرةٌ[2] تطــولها وتَشــرفُ
تضعُف عن راكبها فهـــل تــراها تُردفُ[3]
عــلى النقا المبلول[4] من ها غُصُنٌ مهفهفُ
مال وقام فاسـتقا[5] م لامُـــــهُ والألفُ
أورق لــو أزفّ لى ذاك القضيب المخطَفُ[6]
آه عـــلى ريحانــه لو كان مما يُقطفُ
ســلالةٌ من الهــلا ل جســمُه المنحّفُ[7]
يا زمنى عـــلى " الغضا " ما أنتَ إلا الأســفُ
لهــفى عليــك ماضيا لــو ردّك التأسّــفُ
قد كنتُ فى ظلّك لا أخاف ما أخـــوّفُ

---

(١) أرود : أمهـل ، وفى الأصـل " أورد " . (٢) البـكرة : النـاقة الفتية .
(٣) تردف : تحمـل رديفا وهو الراكب خلف الراكب . (٤) فى الأصل " المبـلوك " .
(٥) فى الأصل " فالسقام " . (٦) المخطف : الضامر . (٧) فى الأصل " المنجف " .

وأنت والشبابُ لى خميلةٌ[1] ومُطرِفُ[2]

ولِدَتى[3] على المها[4] بينكما تَصرُّفُ

فبِنتما وصوّحتْ روضةُ عيشى الأُنُفُ[5]

فاليوم كلّ ناظرٍ يُرمَد لى أو يُطرَفُ

تلفّتتْ ذاتُ اللَمى[6] عن المنى تنحرفُ

فصدَفتْ[7] أمس لها واليوم عنها تصدِفُ

رأتْ بها ما كرهتْ فأنكرتْ ما تعرفُ

وهى التى من يدها سيفُ عِذارى يُرهفُ

لو أنصفت أسودَه ما راعها المنصَّفُ

حلفتُ بالمقصَّريـ ـن ركبوا[8] فأوجفوا[9]،

لانوا على العيش وخا فوا فَوتها فعنفُوا،

بانوا فطاروا فى الرحا ل شُعثًا[10] حين حَفوا،

رجَوا لأثقال الذنو ب ساعةً تخفِّفُ،

فاستنفدوا جهدَهمُ سارين حتى وقفوا،

فلثموا ومسحوا وجمّروا وطوّفوا:،

إن "كمال الملك" من جَور الليالى منصِفُ



(١) الخميلة : الأشجار الكثيرة الملتفة . (٢) المطرف : ثوب من خز مربع ذو أعلام . (٣) اللدة : هو الذى ولد معك وتربى . (٤) المها جمع مهاة وهى الظبية . (٥) الروضة الأنف : التى لم ترع . (٦) اللمى : سمرة فى باطن الشفة وهو مما يستحسن . (٧) صدفت : أعرضت وانصرفت . (٨) المقصرون : وامحو الإبل بالتقصار وهو سمة على أصل العنق . (٩) فأوجفوا : فأسرعوا ، والإيجاف ضرب من ضروب السير السريع . (١٠) شعثا : جمع أشعث وهو المغبر الرأس المتلبد الشعر .

وإنــه وقـــومَهُ أكرمُ عينٍ تَطـرِفُ
وهــو عــلى فخــرهمُ فخــرٌ لهــم وشــرَفُ
أبلــجُ كلُّ غُمّــةٍ (١) بوجهــه تنكشفُ
وكلّ والٍ للخطــو ب (٢) باسمــه منصــرِفُ
حــلّق والنســرُ المُطا ر حــوله يرفــرفُ
وتمّ فالبيضــاءُ (٣) عن أنــواره تنكسفُ
ودبّر المــلكَ السـحيـ ـلَ (٤) رأيُــه المستحصِفُ (٥)
فضــمّ منــه عــدلُه (٦) ما نشــرَ التحيّــفُ
قاد الصـعابَ الخُمْسَ (٧) يشـ ـتــدّ لهــا ويلطُفُ
حتى آســتوى على الطريـ ـق وهى ميــلٌ حُنُفُ (٨)
وعـــرّفَ الدنيـا وما أعانــه معـــرِّفُ
فقــد أقام مَيلــها تدبــيرُه المثقِّــفُ
نفسٌ مــع الحـــق تعـ ـزّ ولـــــه تنعطــفُ
تَــبرّجُ الدنيـا لهــا وَهِيَ عنهـا تعــزِفُ (٩)
تُقِســم : لا خادعَهـا مَتاعُهـا المــزخــرَفُ
وقــــدرة يحبسهـا عن شأوهـا التعفّفُ
وراحــــةٌ ركيّةٌ (١٠) ثُمــلاً وهى تُــترَفُ (١١)

---

(١) فى الأصل "عمة" . (٢) فى الأصل "للخاطوب" . (٣) البيضاء : الشمس .
(٤) السحيل : المفتول فتلا غير محكم . (٥) المستحصف : المفتول فتلا محكما . (٦) ورد هذا الشطر فى الأصل هكذا : * فضم منه له * (٧) الخمس : الصلبة المشتدة واحدها أخمس وخمساء . (٨) حنف جمع أحنف وهو المعوج الرجل أو المنقلب ظهر القدم، وفى الأصل "حيف" .
(٩) تعزف : تزهد . (١٠) الركية : البئر ذات الماء . (١١) تنزف : تنزح .

"دجلةٌ" و "الفرات" أو … شالٌ (١) لها ونُطَفُ (٢)

بيضاءُ لو جاد بها … ما قال : إنى مسرفُ

وخُلُقٌ كالماء لا … بل كاللمى (١) يُرتَشَفُ

تسكرُ منه صاحيا … إن أسكرتك القرقفُ (٢)

جلّ عن الوصف فما … يُنصِفه من يصفُ

وبهرتْ آيتُه … فاعترف المقترفُ (٣)

شاوره التاج وفى … أذنيه بعدُ الشَّنَفُ (٤)

وفات أسلافَ الكهو … ل عمرُه المؤتنفُ

إن الذى آستلك سيـ … ـفا دونه لمرهفُ

قَويتَ فنصرتَه … وحدُّك المضعَّفُ

أجننته من الردى … وصدرُه مستهدفُ

وزارةٌ عليكمُ … دون الرجال تقفُ

أنتم لها ما تقرُب الـ … ـدار بكم أو تقذفُ

يشعفها (٥) هواكُمُ … تُعذَرُ أو تُعنَّفُ

فما لقومٍ يبتغو … ن وصلها وتصدِفُ (٦)

شاموا فكانت برقةً … تخدعُ حين تخطفُ

والتيهُ من أكفّهم … يجذبها والصلَفُ (٧)

---

(١) أرشال جمع وشل وهو القليل من الماء . (٢) نطف جمع نطفة وهى الماء القليل يبقى فى الدلو .
(٣) اللمى : سواد فى باطن الشفة . (٤) القرقف : من أسماء الخمر . (٥) المقترف : المكذب . (٦) الشنف : ما يعلق بأعلى الأذن وقيل هو القرط والأصل فيه سكون النون وقد حركت نونه هنا للضرورة ؛ لأن الشنف بفتح النون لغة بمعنى البغضة والكره وهذا بعيد عن المعنى المراد .
(٧) فى الأصل "يشفعها" . (٨) تصدف : تميل وتصد . (٩) الصلف : التكبر .

عادوا بها فعيّفوا (١) بما لهم وأجحفوا
وهى التى قد جرّبوا نشوزها (٢) وعرفوا
ما ثقُلت وإنما قويتُمُ وضعُفوا
عبرتم الناس بأن جريتُمُ ووقفوا
وذاك ما لا يستطيـ ـعُ البَشَر المكلّفُ
وكيف لمباهل (٣) أن نُكروا ويشرُفوا
ومجدكم واسطةٌ وكلُّ مجدٍ طرَفُ
بكم سرى عِرقى وكـ ـثّ (٤) ريشىَ المتحَفُ
وطار ذكرى جاريا مع الرياح تعصفُ
ظهرى بكم محصّنٌ وجانبى مكنّفُ
ألفتكم، والمنزل الـ ـرّحب الخصيبُ يؤلفُ
فـدَحى عليكمُ دون الأنام تعكُفُ
من مُزجت (٥) أهواؤه بسلوة تكلّفُ،
فقد سقا حبّكم الـ ـمدهق (٦) المصرِّفُ (٧)
ملكتمُ نفسى فما لى عنكمُ منصرَفُ
وودّكم منها مكا ن كبدى أو ألطفُ
فلا برا وجدى بكم ولا أفاق الشعَفُ (٨)
لست وإن أعرضتمُ أيأسُ أن تعطّفوا

(١) عيفوا : تكهنوا . (٢) النشوز : الأستعصاء والكراهة، وفى الأصل " بسورها " .
(٣) المباهل : المفاخر . (٤) كث : كثف، وفى الأصل "كنت" . (٥) فى الأصل "مرحت" . (٦) المدهق : الذى يملأ الكأس . (٧) المصرّف : من لا يمزج الشراب ويشربه صِرفا . (٨) الشعف : الحب .

وصبر "يعقوبَ" معى | حتى يردَّ "يوسفُ"
يبقى عليك ما دعت | أمُّ هديل[1] تهتفُ
وما أهلَّ وسعى | مزدلفٌ[2] معرِّفُ[3]
وما مشى النيروز ير | خى ذيله ويُسدِفُ[4]
عليه من بُرد الربيـ | ـع بُردُه المفوَّفُ[5]
فى طالع من نعمة | أفوله لا يزِفُ[6]
فالناس أذيالٌ وأنـ | ـت قطبها والمنصَفُ
خُلقتَ فينا واحدا | ثانيه من لا يُعرَفُ
أقول لا محتشما | لقولها وأحلِفُ
وضامنات لعلا | كم موعدا لا يُخلَفُ
سوائر من وصفكم | بضوعة[7] تَعَرَّفُ[8]
فهى لكم صوارمٌ | وهى لديكم تُحَفُ

* * *

(٢٧٥)

وقال فى ريح

ما سُمُحٌ وفاقهن خُلفُ | شتّى الصفاتِ ضمّهن وصفُ
على اليمين والشمال النصفُ | وربع قدام وربع خلفُ
اذا امترى من بعضهنّ خِلفُ | بلّك منها ما به تجفُّ
أجنحة من "الفرات" تهفو | طرد النعام مالهن زفُّ[9]

(١) أم الهديل : الحمامة . (٢) المزدلف : من نزل المزدلفة . (٣) المعرّف : الواقف بعرفات . (٤) يسدف : يرفع ، من أسدف الستر اذا رفعه . (٥) المفوف : المخطط . (٦) يزف : يسرع . (٧) فى الأصل " نصوعة " . (٨) تعرف : تفوح بالعرف وهو رائحة الطيب . (٩) الزف : إسراع الظليم فى عدوه ، وفى الأصل " رف " .

*
* *

يقول كاتب هذه النسخة: هذا آخر ما وجدته فى ديوان شعره على هذه القافية، ووجدت على ظهر كتاب مما ينسب اليه هذه الأبيات فأثبتُّها

قفوا فاسألوا عن حال مثلى وضُعفِه ... فقد زاده الشوق الأسى فوق ضِعفِه
وقولوا لمن أرجو الشـفاءَ بوصله : ... أسيرك قدْ أشفى[1] على الموت فآشفِه
أخو دَنف أخفـاه إخفاؤه الهوى ... نحولا ومن يُخفى الصـبابة تُخفِه

*
* *

قافيـــة القـاف

وكتب الى صديق له بالبطيحة[2] يشوّقه ويمازحه بآستهداء جُبَّة

قــل لها أيها الخيالُ الطروقُ : ... نفّـرَ العشقَ ما جَـنَى المعشوقُ
بردتْ بعدكِ الضلوعُ من الوجـ ... ـد وخفّ[3] الهوى وجفَّ المـوقُ[4]
ومن الصـبر ما يساعدُ إن ريـ ... ـم وفى العاشقين من يستفيقُ
كبدى فوق أن أكلِّفها منـ ... ـك على البعد حمـل ما لا تُطيقُ
وفؤادى يعزُّ عنـديَ أن يطـ ... ـمعَ فى أسـره فـؤادٌ طليقُ
يانديمى "بالصَّراة"[5] "أغصبا[6] [ذا][7] الـ ... ـيومَ رهنا[8] بذا الصَّـبوح[9] الغبوقُ[10]
وآكفيانى أمر المِراح الذى يُحـ ... ـسَبُ بِرًّا فالـبِرُّ وقتا عقوقُ

---

(١) أشـفى : أشرف . (٢) البطيحة : أرض واسـعة بين واسط والبصرة .
(٣) فى الأصل " خف " . (٤) الموق : طرف العين مما يلى الأنف وهو مجرى الدمع .
(٥) الصراة : نهر يدور حول مدينة السلام . (٦) فى الأصل "أعصبا" . (٧) ليست بالأصل . (٨) رهنا : مقيدا وفى الأصل "وهنا" . (٩) الصبوح : شرب الخمر صباحا .
(١٠) الغبوق : شرب الخمر عشية .

فدم الدّنّ صِرفُه كدم الخشـ ـفِ متى غُشَّ لم تسغه العروقُ[1]

ومـــدير ســيّان عيناه والإبر يقُ فتكا وريقُـــه والرحيقُ[2]

ملّكتنى له الخـــلاعةُ وآقتا د له رقِّيَ الفـــؤادُ الرقيـــقُ

ياليالى "بغدادَ" طبتِ ولكن غصبتكِ البدرَ التمامَ "الصليقُ"[3][4]

حلّها الغيثُ فى عَزِاليِـهِ والشمـ ـسُ ففيهـا الحيا ومنها الشروقُ[5]

بأبى ذلك القـــريبُ وإن نا زعنى سمعَـــه المكانُ السحيقُ

سل بمـا سرّ غـــير قلبىَ فالحز نُ به مـــذ نأيتُ عنــك مُحيقُ

أنزلتْـــنى الأيامُ بعـــدكُمُ حيـ ـث تضاع العلا وتُلوَى الحقوقُ

وعرفتُ الرجالَ والجودَ والبخـ ـلَ وكيف المحـــرومُ والمرزوقُ

إستمع — أسمعتْ عطاياك أذْنيـ ـك — ثنـاءً تبحُّ منـه الحلوقُ

أخلَق الدهرُ من سماحك ما أنـ ـتَ بتجـــديده عـــلىّ خليقُ

فاكسنى — صرّحَ الشتاءُ وما أنـ ـت الى مكرماته مسبوقُ —

جُبّـــةً جُنَّةً من القُرّ قد وا فق معـــنَى تصحيفِها التحقيقُ

كسجاياك نزهـــة القلب والعيـ ـنين تحـــلو ملبوســـةً وتروقُ[6]

وليَتْ خلقَ ثوبهـا يـــدُ ربٍّ لم يفتـه التغريب والتـــدقيقُ

نَقَشَ الروضــةَ الأنيقـة ألوا نا كما راقك الشـــبابُ الأنيقُ[7]

يحسَب الناظرُ المشـــير اليـه أنه من خميـــلةٍ مسروقُ

راق لونا ورقَّ لينـا عـــلى اللا مس فهو الدقيقُ منهـا الصفيقُ

(١) الخشف : ابن الظبية . (٢) الرحيق : من أسماء الخمر. (٣) فى الأصل "عصبتك".
(٤) الصليق : مواضع كانت فى بطيحة واسـط بينها وبين بغداد كانت دار ملك مهذّب الدولة أبى نصر المستولى على تلك البلاد. (٥) العزالى جمع عزلاء، وهى مصبّ الماء من الراوية ونحوها وهى هنا إشارة الى شدّة المطر على التشبيه . (٦) فى الأصل هكذا "واليتين" . (٧) فى الأصل "نقس".

ولهـ — إن أماجت الريحُ قُطريـ ـه كما تُنتضَى السيوفُ — بريقُ
وحبيب الىّ ما ريحـــك الطـ ـيّب مســـكٌ من نشره[1] مفتوقُ

* * *



وقال يهنئ نقيب النقباء أبا القاسم بن ممَّا بعقد نكاح

طرفُ "نجديّة" وطرفُ "عِراق" أىّ كأس يـــديرها أىّ ســاق !
سنحتْ والقـــلوب مطلَقـــةٌ تر عَى وعاشت وكلُّهـا فى وثاقِ
لم تزلْ تخـــدع العيونَ الى أن عَلّقتْ دمعـــةً عـــلى كلّ ماقِ[2]
ما أعفَّ النفوسَ يا صاحبَيْ شكـ ـواى لـــولا غرامـــةُ الأحداقِ
وبنفسى المحـــلّ ليس رفيقـا للســـوافى[3] ولا لتيـــه الرفاقِ
فى مكان الوحش العواطل تلق الـ إنس فيـــه حَوالىَ الأعنـاقِ
يتعـــرّضن مالهنّ من الـ ـس نفورٌ ولا من الصـــيد واقِ
كلّ محبـــوبةٍ الى الحُقْبِ[4] مسدّ ةِ لُبس الخلخال عنـــد الساقِ
لم تفـــوِّز لىَ الأمانى ولم تـــر م بأشـــباحنا ظهـــورُ النياقِ
بين آمالنـا "بيغـــداد" والنجـ ـح مـــدّى بين رميـــةٍ وفُواقِ[5]
ضمنت حورُها لنا العيشَ "والصا حب" فيهـا الكفيل للأرزاقِ
لم يحـــز غـــيرَه الكمالُ ولكن ظهـــرتْ فيـــه قدرةُ الخلاّقِ
باطنٌ مثل ظاهرٍ ، إنّ حسن الـ ـخَلْقِ بُشرى محاسنِ الأخـــلاقِ
لـــو تراه وأنت تشـــناه أبلسـ ـتَ[6] فعـــوّذته من الإشفاقِ

---

(١) فى الأصل "بشره" . (٢) الماق : طرف العين مما يلى الأنف وهو مجرى الدمع .
(٣) السوافى : الرياح تسفى التراب . (٤) الحقب جمع حقاب وهو شىء محلى تشده المرأة على وسطها . (٥) الفواق : الزمن ما بين الحلبتين . (٦) أبلست : حرت فى أمرك .

خـــذ هنيئا شجـاعةً وسمـاحا[1] أو طآ أخمصــيك أعلَى المــراقى[2]

وقرينـا أقــرَّ عينَ المعـالى ونفوسُ العــدا له [فى][3] السِّياقِ[4]

وُصـلَ البـــدرُ[5] ليلةَ التم بالشمـ ـس صباحا والشمسُ فى الإشراقِ

صــدق الفألُ يومَ بشَّر أصحـا را نعيب العـــلا لهم فى الصداق

اجتماعا فى الله يُعْطى بــه اللـ ـه أمانًا شمليكما من فــراقِ

بأبى أنت فـــدية لست أرضـا ها وغـــير الفـــداء غير مُطاقِ

أكثر النـاسُ من ندى يدك القو لَ وســارت نعماك فى الآفاقِ

وآســترقَّ الأسماعَ وصفُك فآشتقـ ـتُ ، فهل من عطف على المشتاق ؟

ومجـــيرى آنفتاحُ كفِّك طلْقًـا من أكفٍّ وقِفٍ على الأنغلاقِ

ورجال يلقَون بِشْرِىَ بالبشـ ـرِ وقولى : الجـــزاءَ ، بالإطراقِ

موضع الشـــعر منهمُ موضع العـ ـذّال يومَ النوى من العشّــاقِ

وعـــدتنى الآمالُ فيك غـــنًى قـ ـوَّت به نُصـــرتى على الإخفـاقِ

فمــتى نابنى الزمانُ بمـا يصـ ـعُبُ[6] هـــددتُه بأنــكَ باقى

* * *

وقال وقد توفِّىَ أبو الحسين محمد بن عمر المعروف بابن الصيدلانى ، وكان من وجوه البغداديين أبوة ، ومن أوحادهم فى شرف الأخلاق ، وكانت بينهما مودّة تزيد على النسب والأهلّية

صديقٌ يدارى الحزنَ عنك مماذقُ ودمعٌ يُغبُّ[7] العينَ فيــك منافقُ

وقلبٌ اذا عانى الأسى طلبَ الأسى لراحتــه من رقّ ودّك آبقُ

---

(١) فى الأصل هكذا " هينا " . (٢) الأخمص : بطن القــدم مما لا يلامس الأرض .

(٣) ليست بالأصل . (٤) السياق : الاحتضار ونزع الروح . (٥) فى الأصل " النذر " .

(٦) فى الأصل " تصعب " . (٧) يغب : يأتى يوما بعد يوم .

بكى القاطنون الظاعنون وقوّض الـ ـحُلولُ(١) وصاحت بالفراق النواعقُ(٢)

ولكننى بالأمس لم تسر ناقـــةٌ بمختلَس مـــنى ولم يحـــدُ سائقُ

ســلا عنه فى أىّ المفاوز فاتنى وطـرفى له راعٍ وطِرفِىَ ســابقُ

تباغضنا الدنيـا على حبّنا وإن رأت مللا ظلّت خداعا تُوامقُ(٣)

سوى أننـا نغـــتر يا يومَ وبلها بعاجلةٍ والآجلاتُ الصـــواعقُ

تصدّت بزور الحسن تقنصنا وما زخارفهـا إلا رُبًى وخنـادقُ

تبسّمُ والثغـــرُ المقبّـــل ناهشٌ وتحســـرُ والكفّ المصافح حابقُ(٤)

أتأمل منهـا حظوةً وهى عانس(٥) ولم يحظ أقـــوام بها وهى عاتقُ(٦)

أمات أخى فى الودّ أم غاض زاخرٌ من العيش عنى أم تقوّض(٧) شاهقُ

أظلّ غمـامٌ ثم طلّ حِمامُـــهُ وقد كنتُ فى عمياءَ وهى بوارقُ

أعُـــدُّ له الأيّامَ أرجـــو شفاءَه ولا علمَ لى أنّ المنـــونَ تسابقُ

وأعدِلُ بالخوف الشكوكَ تعـــلُّلا فيا ســوءَ ما جرّت علىّ الحقائقُ

بمن لستُ أنسى من رواحٍ وبُكرةٍ مضى صابحٌ بالأمس قبلى(٨) وغابقُ



دعوت فما لى لم أُجَبْ، إنّ عائقا أصمّـــك عنى أن يلـــبّى لعائقُ

تخطّى الدواءُ الداءَ وهـــو مجرّبٌ وفات طبيبا رأيُه وهـــو حاذقُ

خفرناك حـــقّ الودّ إذ أنت آمن وخنّاك يوم الموت إذ أنت واثقُ

وقمنا فأوســـعنا اليك طريقَـــهُ وحولَك منا جحفـــلٌ متضـايقُ

نخالفك القصدَ اعتمادا وكنت من تساق الى أهوائنـا فتـــوافقُ

---

(١) فى الأصل "وصاحب". (٢) النواعق: الغربان. (٣) توامق: تحبب.
(٤) الحابق: الضارب. (٥) العانس: التى فاتت سن الزواج. (٦) العاتق: الجارية أول ما أدركت. (٧) فى الأصل "تقوص". (٨) فى الأصـل "قلبى".

رحيبا على الطـــرّاق منا فـما لنا بعلنـا[1] جميعا يـــوم جاءك طارق[2]
طوى معشرٌ ذاك التنافسَ واستوى الـ ـحسودُ المعادى فيك لى والموافقُ
وغاضت مودّاتٌ أُقضّت وقطّعت عُرًى كنت وصالا لها وعلائقُ
سرورى حبيس فى سبيلك وقفهُ[3] ولذة عيشى بعـــد يومك طالقُ
تمسَّك بمـا كنّا عليـــه ولا تحُلْ عهودٌ ــ وإن حال الردى ــ ومواثقُ
وكن لى على ما كنتَ أمسِ معوِّدى غدا مســـتعِدًّا، إننى بك لاحقُ
أتتك السوارى الغادياتُ فأفرغتْ عليـك مِلاءً والجوارى الشوارقُ
ولو لم يكن إلا البكاءُ لأنبتت عليك بمـا تُجرِى الجِداقُ الحدائقُ
رَثيتُ بعــلمى فيك حتى كأنهـا تملّ علىّ القولَ تلك الخـــلائقُ
وهل يبلغ القولُ الذى كنت فاعلا ولم تسمع الحـــقّ الذى أنا ناطقُ
وأُقسم ما أعطتك فضـــلَ فضيلةٍ أقولُ بهـا فى مائق وهـــو فائقُ
وكيف يناجَى نازحُ السـمع فائتٌ عليه مَهيلٌ ــ من ثرًى ــ متطابقُ
اذا الحىّ يوما كان فى الحىّ كاذبا نفاقا فإنّ الحىّ فى الميت صادقُ
مضى صاحبى عنى وقد شاب ودّنا فيا ليتَ هـــذا والوداد مُراهقُ[4]
بجهدك لا تألفْ خليـــلا فإنهـا بقـــدر مسرّات الألوفِ البوائقُ[5]

* * *

وقال فى غرض له

وقالوا : خف اللهَ فى مهجــةٍ سمحتَ بها لضَـــنًى واشتياقِ
ويُسليك أنك مـــذ فارقوك على عهد من أتلف البينُ باق

(١) بعلنا : برمنا وضقنا ، وفى الأصل هكذا " بعلنا " . (٢) فى الأصل " جال " .
(٣) فى الأصل "وقفة" . (٤) المراهق : مقارب الحلم . (٥) البوائق : الغوائل والشرور والدواهي واحدها بائقة .

فقلت : وهــل هو إلا الحِمـا ... مُ أحلى من العيش بعد الفراقِ
فداؤك طائفـــةُ البيـــن فى ... بكائى عـــلى إثره وآحتراق
وقلبٌ على العهـــد إما سلو ... ت من حفظ ميثاقكم فى وثاق
أرى الأرض بعدك مثل القَذاة ... تَرَدَّد ما بيـــن جفنى وماق(١)

***

وأخّر أبو القاسم سعد بن الكافى الأوحد إنفاذ ما جرت به عادته، فكتب اليه يعاتبه، ويستبطئه بهذه، وأنفذها مقترنة بالدالية التى كتبها الى والده وقد تقدّمت

أشاقك من "حسناء" وهنا طُروقُها؟ ... نعم ! كلُّ حاجاتِ النفوس يشوقُها
سرت أَمَمًا والأرضُ شحْطٌ مزارُها ... كثيرٌ عـــواديها قليـــلٌ رفيقُها
تخَـــفَّى وما إن يكتم الليـــلُ بدرَه ... وهـــل فارةٌ(٢) فُضَّت يخاف(٣) فتيقُها(٤)؟
لعمر الكرى ــ ما شاء ــ ما شبَّه الكرى ... هـــلالٌ محيّاها وصهباءُ(٥) ريقُها
يمثّـــل "حسناء" الخيـــالُ لمغـــرمٍ ... حبيبٍ اليـــه زُورها وحقيقُها
حلفتُ لواشيهـا ليزدادَ غيظـــه ... علىَّ وخيرُ المقسمين صـــدوقُها
لئن ضرّنى بالهجـــر أنى أســـيرها ... لما سرّنى بالغـــدر أنى طليقُها
أرى كبدى للشوق أنى تنسّمتْ(٦) ... رياحُ النّعـامى(٧) غَضَّها(٨) ووريقُها،
فريقين، عند "الحاجبيّة" "باللوى" ... فريقٌ، وعنـدى "بالعراق" فريقُها
وأتبـــع ذكراها اذا آعترض آسمُها ... وإن فـــترت أحشاؤها لى وموقها(٩)

---

(١) المـاق : طرف العين ممـا يلى الأنف . (٢) الفارة : نافجة المسك . (٣) فى الأصل "يخاف" . (٤) الفتيق : رائحة المسك . (٥) فى الأصـل "وصقباء" .
(٦) فى الأصل "تبسمت" . (٧) النعامى : ريح الجنوب وهى أبلّ الرياح وأرطبها، وقيل : هى التى بين الجنوب والصبا . (٨) بالأصـل "غلفها" . (٩) الموق : طرف العين ممـا يلى الأنف وهو مجرى الدمع .

شرارة قلبٍ ليس يخفَى حريقُه ... وزحمة عين ليس يطفو غريقُها
وكم مسحتْ يوما على السّبْق غُرّتى ... وقد عزّ حلباتِ الوفاء سَبوقُها
عذيرىَ من قلبٍ صحيحٍ ألوفةٍ ... وإخوانِ عِلّاتٍ كثيرٍ خروقُها
ودنيا خداعٍ كالقذاة بمقلتى ... وإن ملأتْها من جمالٍ يروقُها
متى كنتُ فى شرط الأمانىّ عبدَها ... فإنى على شرط العفاف عتيقُها
وأعلم منها أين تُمطرُ سُحْبُها ... فلا تخدعنّى بالخلاب بروقُها
وعاذلةٍ قالت : رُم الحظَّ تلقه ... وما كلُّ طلّاب الحظوظ لحوقُها
قضت عادةُ الأيّام أن صريحَها ... قليلٌ اذا درّتْ وعزّ مَذيقُها (١)
فناشطها فى غالب الأمر مجدبٌ ... خميصٌ (٢) ويرعاها بطينا ربيقُها (٣)
أفى هذه الأشباح أهلٌ لمطلب ... عفيف أبت أخلاقها وفسوقُها؟
رعَى الله آمالا اليهم بعثتها ... ضياعا كأنى فى "الفرات" أريقُها
اذا كان "سعدٌ" وهو أكرم من مشت ... به وله أيدى الركاب وسُوقُها
نبا وقسا على القوافى فؤادُه ... فمن بعدَهُ حنّانُها وشفيقُها
لمن تُبضَع الأشعار يرجَى نَفاقُها ... اذا كسدت يا "سعدُ" عندك [سُوقها] (٤)
اذا أقصيتُ فى "العرب" يوما وأهملت ... ففى "العجم" تُرعَى ليت شعرى حقوقُها !
لئن كنتَ نشئا أو لسانا عدوّها ... فإنك علما وانتسابا صديقُها
ألست الذى عزّت (٥) عليه قصائدى ... كما قيل حتى ليس شىءٌ يفوقُها
وأعطيتنى عذراءَ نعمى هنيئة ... متى كُتمتْ فاشهد بأنى سَروقُها
الى أن توهّمت الليالى قد ارعوت ... لتُرقَع من جدواك عندى فتوقُها

---

(١) المذيق : الممزوج المخلوط . (٢) الخميص : الضامر البطن (٣) الربيق : المشدود بالربقة وهى كل عروة تشد بها البهم . (٤) ليست بالأصل . (٥) فى الأصل هكذا "عزب" .

وقلتُ : أمانٍ قد أقرّت نَوارها[(١)] ... به ودنت من مجتنـاى سَحُـوقها[(٢)]

" بسـعد " هوت عنقاؤها فتحكَّمى ... مُرادكِ يا نفسى ، وباضَ أنوقُها[(٣)]

ولم يك فيها غـير باعثِ نعمـةٍ ... لعاقلها بالشكر من لا يعـوقُها[(٤)]

مَن الشـعراءُ القائمـون مَقاوِمى ... لديك ومَن ذا إن سكتُّ نطـوقُها؟

مجالسُ تُخَـلَّى[(٥)] لى بحقّ صـدورُها ... وأرضٌ يخـلَّى لى بسيف طريقُها

وأنت – وإن هجنتها العامَ – شاهدٌ ... لها كيف يأتى حلوُها ورشـيقُها

وكم طـربٍ لى وهو يُنشِد نفسَـه ... الى الحول يصبو نحـوَها ويتوقُها

يكاد بما تحـلو وتصـفو لسمعه ... ينضُّ[(٦)] لسانا نحـوها يسـتذيقُها

عـدوُّك مثلى يـوم آبتْ خفائفـا ... قِلاصُ[(٧)] المطايا من رسـومى ونوقُها

مـددتُ لها كفى فلمّا ثنيتُها ... على اليأس ما إن كدت ردًّا أطيقُها

فيا خجـلةً فى خيبـة فاض وَرْسُها[(٨)] ... حياءً بمـا خابت وغاض خَـلوقُها[(٩)]

ويا طرفةً فى مقـلةٍ، ذاب لو جرى ... عـلى الخـدّ خلطا دُرّها وعقيقُها

سأخطو اليك الحادثاتِ ولو غدت ... تـلوح سـيوفا لم يرعنى بريقُها

وأهجـرُ أرضا أسـلمتنى وهادُها ... عساه بقـربى منـك يعصِمُ نِيقُها[(١٠)]

سيوسعها لى حسنُ رأيك آجـلا ... فلا يحرجنّى عاجلا منـك ضيقُها

---

(١) النوار : المرأة النفور . (٢) السحوق : النخلة الطويلة . (٣) الأنوق : الرخمة أو العقاب وفى المثل " أعز من بيض الأنوق " . (٤) كذا بالأصل ولم نوفق فيه الى معنى واضح . (٥) فى الأصل " تحلى " . (٦) ينض : يظهر، وفى الأصل " يبض " . (٧) قلاص جمع قلوص وهى الفتية من الإبل . (٨) الورس : نبات أصـفر . (٩) الخلوق : ضرب من الطيب أعظم أجزائه من الزعفران . (١٠) النيق أعلى موضع فى الجبل .

٭٭٭

وقال يذمّ الزمان، ويستبطئ أهله، ويمدح بعض أصدقائه من العلويّين

حمَلتْ ركابُ الغرب شمسَ شروقِ وحملتُ منك العهدَ غيرَ مُطيقِ

عقدتْ ضمانَ وفائها من خصرها فوهى كلا العقدين غير وثيقِ

والغانياتُ بناتُ غدرٍ مْن أبٍ يضربن فى نسبٍ اليه عريقِ

ثاروا فكم قاسٍ علىّ فؤادُه لو لم يدلّسه لسانُ شفيقِ

لله عينا مالئٍ من لؤلؤٍ عينيه — يومَ وداعنا — وعقيقِ

إن التى علّقت قلبَك ودَّها راحت بقلبٍ عنك غيرِ عَلوقِ

يا أهل "عبدةَ" هل يدٌ يفدَى بها قلبٌ أسيرٌ بينكم لطليقِ

أشعرتكم زمنا "بعبدةَ" غيرها لو رُجّمَ المكروهُ بالموموقِ

لله ناشطةٌ جمعتُ بودّها المـ ـحفوظِ باعى فى حبالِ ربيقِ (١)

ما كان أوّلُ عهدٍ آستودعته من قلب غانيةٍ إناءَ مريقِ (٢)

ولقد أخالفهنّ غاياتِ الهوى وطريقُهن من الشبابِ طريقِ

كان الهوى سكرانَ تنظر عينُه حتى صحا فرأى بقلبٍ مفيقِ

ونأيتمُ ومن الغيوب مستَّرٌ بالإجتماع يبين بالتفريقِ (٣)

فانفس بنفسك أن تحطّك حاجةٌ إلا وصبرُك مشرفٌ من نِيقِ

وآبرز لهم جَلْدا وغصنُك مصفرٌّ تنفى الشماتة فى آهتزاز وريقِ

كم باطنٍ غالطتُ — وهو مرمَّقٌ — عنه الحسودَ بظاهرٍ مرموقِ

والناس أهلُ الواحدِ المثرى وأعـ ـداءُ المقلّ بمعشرٍ وفريقِ

(١) الربيق : المشدود بالربقة وهو كل عروة تشد بها البهم . (٢) فى الأصل "طريق" .

(٣) النيق : أعلى موضع فى الجبل .

سلنى بهـم فلقـــد حلبت أمورَهم ... شــطرين من محض ومن ممذوقِ

وخبرتُهـــم خُـــبرَ اللبيب طباعَه ... فمى على سَعةٍ، عـلىَّ لضـــيقِ

ما إن ضننتُ على الظنون بصاحبٍ ... إلا سمحت به عـــلى التحقيـــقِ

لا يُضـحك الأيامَ كذبُ مطامعى ... الا اذا طالبتُهـا بصـــــــديقِ

بخـلوا بمـا وجدوا فلو قدروا لمـا ... وجدت لهـاةٌ أن تُبَـلَّ بريقِ

و يئستُ حتى لو بصُرت بنـارِهم ... لِقِرًى شككتُ وقلتُ : نارُ حريقِ

ضحكتْ لىَ الأيامُ بعــدَ عُبوسهـا ... بابن النبيّ عن المـنى المصـــدوقِ

آنست منـــه بوارقا أمطـــرننى ... ماءَ الحفاظِ عـــلى خِلاب بروقِ

شرفٌ تنفس بجَرُه عن غُرَّقٍ ... جـــدٌّ نبىٌّ أو أبٍ صِـــدِّيقِ

نسبٌ تعثَّرُ منـه لو عَرضتْ له الـ ... أفـــلاكُ فى صعبِ المَجاز زليـــقِ

أرِجُ المنفَّس خِيلَ واصــفُ طِيبِه ... عَيًّا[1] بمسك الفـارةِ المفتـــوقِ

واذا "قريشٌ" طاولت بفخارها ، ... فى عصر إيمـانٍ وعهدِ فســوقِ،

بنـــتم كما بانت عـــلى أخواتهـا ... "مِنًى" ليالى النحـــرِ والتشريقِ[2]

تتوارثون الأرضَ إرثَ فريضـــةٍ ... وتُملَّـكون النـاسَ مِلكَ حقوقِ

يفديك مســـتعرٌ عليـــك فؤادُه ... حسدَ الحضيضِ محلَّةَ "العيُّوقِ"[3]

تفضى صفاتُك بين أضلعه الى ... جُرحٍ على سَـــبرِ[4] الأساةِ[5] عميـــقِ

لحـــقٍ آنتسـابُك باتفاقٍ عـــزّه ... فأراد فضـــلَك عامدا بلُحـــوقِ

حـــتى اذا المضـــمار ضمكما درى ... أن الســـوادَ لجبهـة المســـبوقِ

---

(١) العىّ : الذى فى منطقـــه حصر . (٢) التشريق : ثلاثة أيام بعـــد يوم النحر .

(٣) العيّوق : نجم مضىء فى طرف المجـــرة يتلو الثريا . (٤) الســـبر : اختبار الجـــرح .

(٥) الاساة جمع آسٍ وهو الطبيب .

لما ادّعى وأبيتَ نكّس رأسَــه ... خجِــلَ المفاخر بالأب المسروقِ
اِسمع — فقلبي من سماع معاشرٍ ... خُرْسٍ مكارمُهم لكلِّ نطوقِ —
— صَمُّوا فما فرقوا نِداىَ نداهُمُ ... ما قلتُ أم فى الضأن كان نعيق — ،
فى كلِّ يومٍ بنتَ فكرٍ حرّةً ... تَغْنَى ببهجتها عن التنميقِ
حمّلتها كدرَ الهموم وأنجبتْ ... فصفت خلوصَ الخمر بالراووقِ (١)
لم يُجْدِ لى تعبى بها فكأننى ... فيما يخيبُ ولدتُها لعقوقِ

* * *

وكتب الى الأستاذ أبى طالب يشكره على جميله اليه، ويذمّ الزمان

أيا سكرَ الزمان متى تفيقُ ... ويا سَعةَ المطالبِ كم تضيقُ؟!
ويا نَيلَ الحظوظِ أما اليها ... بغير مذلّةٍ لفتى طريقُ؟
أكلُّ فضيلةٍ كانت عليها ... تعينُ هى التى عنها تعوقُ؟
قضى عكس الزمان الحقّ ألّا ... يفوقَ بحاله من لا يموق (٢)
ولا يحمِى رقيقَ العيش فيه ... سوى حرٍّ له وجهٌ صفيقُ
قضاءٌ ضلَّ رشدُ الرأى فيه ... وكاذَبَ دونه الظنُّ الصدوقُ
وعتبٌ طال والأيامُ صُمٌّ ... كما يشكو الى الموج الغريقُ
تهشِّمه الخزائمُ (٣) وهو صعبٌ (٤) ... وتخفضه الخصاصةُ (٥) وهو نيقٌ (٦)
ألا بأبى يفارقنى أبىٌّ ... عظاتُ الدهر فيه لا تحيقُ
ونفس لم يبت حادى الأمانى ... يسوقُ رجاءها فيما يسوقُ

(١) الراووق : المصفاة . (٢) يموق : يحمق . (٣) الخزائم جمع خزامة وهى حلقة من شعر تجعل فى وترة أنف البعير يشد فيها الزمام، وفى الأصل "الجرائم" . (٤) الصعب : الفحل لم يركب . (٥) الخصاصة : الفقر . (٦) النيق : أعلى موضع فى الجبل .

اذا روّضتُها حمــلَ الأيادى	فقـــد كلفتُها ما لا تُطيـــقُ
عصت حـــتى مخادَعةَ الغـوانى	وطاعات الشــباب بها تليقُ
أحسّت فى الهـوى هونا فأضحت	تُراع من الحسان بما يروقُ
وذى خصر دقيق ، لا جليـــلٌ	غذاه من الجمال ولا دقيـــقُ
هجرتُ وغير أدمـــعىَ الجـوارى	عليـــه وغير أضلعىَ الخُفـــوقُ
سأسلك طُرقَها البيضاءَ فردا	وأين إن آرتفعتُ بها الرفيقُ
لأحرز كآبن "أيوب" صديقا	ألا طالت على السارى الطريقُ
تركتُ العالمين له وإنى	بتركهمُ لواحـدِهم خليـــقُ
خليـــلى من بنى الوزراء خرقٌ [1]	تصحُّ بفرعهم منـــه العـــروقُ
شهيـد أن مجـــدَهمُ مُقامٌ	على أقـــدامِ غيرهـــمُ زليـــقُ
"لأيوبٍ" مخايلُ فيــه دلّت	كما دلّت عـــلى الغيث البروقُ
ومنه الفضل "إسماعيل" خالٌ	كما إكمال موقِ العين موقُ [2]
مناسبُ ، ساقُ دوحتها طويلٌ	عريضٌ فى مفاخرهـــم عميـــقُ
بأحسابٍ يـــزلُّ العارُ عنها	وأموالٍ مشت فيها الحقـــوقُ
ذوى لَسَنٍ وأفـــواهٍ رطابٍ	اذا يبست من العِىِّ الحلُوقُ
أولئك ماهُـــمُ وفضُلتَ شـــيئا	كأنك لاحقا بهـــمُ سَـبوقُ
فداؤك مكمَدٌ بك لا تُداوَى	برَتِى بين جنبيـــه الفُتـــوقُ
اذا راماك [3] من حسدٍ فأقصى [4]	مكايدِ سهمه فيـــك المـــروقُ
يريد علاك وهـــو بها غريبٌ	وأنتَ مـــدرّبٌ فيها لبيـــقُ

(١) الخرق : السخىّ والفتى الحسن الكريم الخليقة . (٢) الموق : طرف العين مما يلى الأنف (٣) فى الأصل "رماك" . (٤) فى الأصل "فأقصي" .

اذا جاراك بان لمن يداف(١) الـ ـسواد ومن لجبهته الخلوق(٢)
رآك — وأنت حسرته — بعين كعين الطِّرف(٣) ماطلها العليق
بقيت لكبته ولنا سرورًا فكم حسن يغيظ كما يشوق
يعود العيد دارك ألف شمس عليك غروبها وبك الشروق
اذا هرم الزمان أتاك وهو الـ ـمهفهف فى غضارته الرشيق
حديث العز ما وافى حديث وحج لمثله البيت العتيق
عدلت بك النوائب فاضمحلت وهل يبقى على السيل الحريق
وسد بفضل همتك اختلالى وقد جلت عن النصح(٤) الخروق
فككت توحشى وأسرت وِدّى فهأنا ناشط بك بل ربيق(٥)
جعلت الدهر يملك لى جوابا اذا ناديته : أين الصديق
ليسق مكارما لك واصلتنى سكوب من حيا شكرى دفوق
تناقله الرواة فكل بيت له رهج(٦) كما هدر الفنيق(٧)
تسهل فى فمى الصعبان منه : الـ ـكلام الحلو والمعنى الدقيق
سبى الأبصار والأسماع حتى لطال به اللسان المستذيق
ولو قد لاكه غيرى لأعيا عليه فمات وهو به شريق
يبث(٨) علاك فى النعم اللواتى نسيم المكرمات بها عبيق
فلو كتمت أبت إلا انتشارا كما يتضوع المسك الفتيق

---

(١) يداف : يمزج ويخلط . (٢) الخلوق : ضرب من الطيب تضمخ به جبهة الفرس اذا سبق . (٣) الطِّرف : الفرس . (٤) النصح : الخياطة . (٥) الربيق : المشدود بالربقة وهى كل عروة تشد بها البهم . (٦) الرهج : الشغب والفتنة . (٧) الفنيق : الفحل المكرم . (٨) فى الأصل "بيت" .

وِقاؤك مهجـــةٌ قُســمتْ ثلاثا فريقـاها اليـــك ولى فريقُ
وثقتُ بحسن ظنّى فيـــك ألا يقـــومَ لغير ودّى فيـــه سوقُ
وخفت عليك عينَ الدهر غُضَّتْ فأزرقها بأغراضى عَـــلوقُ
فـا أرجـــو فمن أنى مـــلٌّ وما أخشى فمن أنى شـــفيقُ

* * *

وكتب اليه فى المهرجان يهنّئه و يمازحه باستهداء جُبّة

من العار ـ لولا أنّ طيفَك يطرقُ ـ عُلوقُ الكرى بالعينِ والقلبُ يعشقُ
خيالٌ من "الزوراء" صدّقتُ فرحةً به خدَعاتِ الليل والصبحُ أصدقُ
عجبتُ له أدنى البعيـــدَ وسمّح الـ ـبخيلَ وأهـــدى النومَ وهو مؤرَّقُ
طوى رملتَىْ "يبرينَ" لا هو شائمٌ ولا خائلٌ من روعـــة البين مشفقُ
يمثّل من "خنساء" غيْرَى بأن ترى سوى وجهها شمسا على الأرض تُشرقُ
فنبّه من أيام "جَمْـــعٍ"[1] لبانةً يكاد لها جمعُ الضـــلوع يفـــرّقُ
لدى ساعةٍ أما الضجيع فصارمٌ وأما الوثيرُ من وسادٍ فَمـــرفَقُ
وفى الركب هاماتٌ نشاوَى من الوجى[2] وأيدِ طريحاتُ الكلالِ وأســـؤقُ
وشُعثٌ[3] أراق الســـيرُ ماءَ مَزادهم[4] وهمّـاتُهم فيـــه رَوايا[5] تدفّـــقُ
بهم فـــوق لسعاتِ الرحال تململٌ وفيهم الى أخرى الأمانى تشـــوّقُ
كأن لهم عنـــد الكواكب حاجةً فأحشاؤهم مثلُ الكواكب تخفقُ
يُسرّون من "نجدٍ" حديثا، عيونُهم [به][6] فى الأحاديث المريبة تَنطِقُ

(١) أيام جمع : أيام منى . (٢) الوجى : الحفا أو وجع فى الحافر . (٣) شعث جمع أشعث وهو المغبّر المتلبد شعر الرأس . (٤) المزاد جمع مزادة وهى الراوية . (٥) الروايا جمع راوية وهى المزادة يجعل فيها الماء . (٦) ليست فى الأصل .

ورامٍ "بنجدٍ" خضَّب السهمَ من دمى ... على ما آتقيتُ وهو بعــدُ يفوّقُ

حبائل ما كانت ، وليست لحاظُه ... لها كُفّةٌ(١) مــنّى بعضو تَعَــلّقُ

هنيئــا له أنى أداوَى بذكــره ... ـ وقد يئست منى الأساةُ(٢) ـ فأفرِقُ(٣)

وأنى جديد العهد مع كلّ غــدرةٍ ... وكلّ هوًى لا يحمل الغدرَ مخــلِقُ

مريرةُ خُــلْقٍ فى الوفاء وشيمةٌ ... أنستُ بهــا ، والنـافرُ المتخلِّقُ(٤)

وقــوّدنى للحبّ أولُ زاجــر ... أخبَّ على حــكم الزمان وأعنقَ(٥)

وقد كنت صعبا فى مماكسة الهوى ... فعلّمنى جورُ النوى كيف أرفُقُ

وبصّرنى بالنـاس قلبٌ ممــرّنٌ(٦) ... ولحظٌ على ظنّ العيونــ محقِّقُ

صديقَ منهم أين كنتُ ممــوّلا ... ثريّا عــدوّى أينمـا أنا مملِـقُ(٧)

لوامــعُ قــولٍ كالسراب بلالُه ... بطىءٌ ، وسَرّ العينَـ ما يترقرقُ

وشرٌّ علىَّ من عــدوٌّ مكاشفٌ ... صــديقٌ طوى لى غشّه متمــلِّقُ

ولكنّ فــذًّا(٨) منهمُ صحَّ وحــدَهُ ... على وســبرى فى الرجال معمّقُ

فذاك آبن "أيوب" وإن لم نقس به ... بصيرٌ بعوراتِ الأمور محــدِّقُ

غريبٌ دعىٌّ فى المكارم شــقَّه ... ـ على عُجمهِ ـ منك القعيدُ المعرَّقُ

لك السوددُ العِدُّ الحلالُ ومجــدُه ... رُقُــوعٌ بأيدى السارقينــ تُلفَّقُ

يلوم على تقصيره عنــك حــظَّه ... وآفتــه الحــدثانُ والعتقُ أسبقُ

ومتسعٌ يوم الخصــام بصــوته ... وباب الكلام الفصلِ عنه مضيّقُ

اذا مــلأت فاه الخطـابةُ سَرَّه ... وما كلّ آلات الفصيح التشدّقُ

---

(١) الكفة : ما يصاد بها . (٢) الأساة جمع آسٍ وهو الطبيب . (٣) ذأفرق : فأبرأ . (٤) فى الأصــل "المتحلق" . (٥) الخبب والإعناق ضربان من الســير . (٦) فى الأصل "ممون" . (٧) المملق : الفقير . (٨) الفذ : الفرد ، وفى الأصل "قذا".

وحاســـدُ إقبـالى عليـــك بخُلّتى ... ومـــدحىَ حـــلوٌ منهما ومُمَّـــقُ

يرى فَرْكَةً(١) بى عن سواك ومسرحا ... وعنــدك قلبى بالمــودّة مُوثَقُ

وفى الناس من يبغى مكانَك من فمى ... وقلبىَ مشتاقٌ ورهنُـك أغــلَقُ

ومحتجب بالمــلك يَشرَق بابُه ... بموكبه الغـاشى ويرجى ويُفرَقُ

دعانى لِمَـا أدركتَ منى ففـاته ... لسمعىَ أن أُصطاد نسرٌ محلّقُ

أراد برفـدٍ طيبٍ(٢) ما ملكته ... بودٍّ وريحانُ المــودّة أعبــقُ

وعاب أناسٌ حشمتى وتأخُّرى ... بنفسى وأبوابُ المطالب تُطــرقُ

وقالوا : تقدّم قد تمــوَّل ناقصٌ ... وأنت وأنت الواحدُ الفضلِ مخفِقُ

ويا بردَ صــدرى لو حُرِمتُ بعفّتى ... ويسرىَ لو أنى بفضــلىَ أُرزَقُ

تسمَّعْ فإنّ الإنبساطَ يقصُّهـا ... أحاديثَ فى ســوق المحبــة تنفُقُ

هــل المهرجان اليــومَ إلا نذيرةٌ ... بهجمة أيّام من القُــرّ تُزهقُ؟

مصاعيبُ(٣) ترمى كالمصاعيبِ فى الدجى ... لُغـاما(٤) على الآفاق يطفو ويغــرقُ

ترى الليـــلةَ الدهماء شهباءَ تحتــه ... ويُصبح منـــه أخضرُ اللون أَبلقُ

اذا وليتْ كفُّ الشَّمال التئـامَـــه ... فليس لكفّ الشمس منــه مفرِّقُ

وإن مسّ جسما عاريًا مسّ مُحـرقا ... على برده، والثلجُ كالنـار تُحـــرقُ

فهل أنتَ منـــه حافظى بحصينة(٥) ... تمــرُّ بهـا تلك السهـامُ فتزلَقُ

تضمّ الى الدفء الجمـالَ فوجهها ا ... لرَّقيقُ وَقاحٌ ليـــلةَ القُــرّ(٦) يُصفَقُ

موافقــــةٍ لونا ولينـا كأنمـا ... تجـارَى بعطفيها(٧) نضـارٌ وزِئبـــقُ

---

(١) الفركة : الكراهة والبغض . (٢) فى الأصل "أطيب" . (٣) المصاعيب جمع مصعب وهو الفحل . (٤) اللغام : زبد أفواه الإبل . (٥) يشير بالحصينة الى الجبة التى يستهديها . (٦) القر : البرد . (٧) فى الأصل " بعطفها " .

رعى أبواها من "خَوارزمَ" هضبةً ترفُّ عليها الغاديات(١) وتُغدِقُ
ودبًّا على أمنٍ وخصبٍ فلقَّقا بجسميهما جسما يقى ويُمرِّقُ
وقيضَ لها طَبٌّ(٢) فلاءم بينها صَناعٌ(٣) اذا ولّيتَه متأنِّقُ
أخو سفرٍ، من "إصبهان" وِلادُهُ، و"بغداد" منشاه، مُجِلٌّ مدقِّقُ
كأن الذى سَدّى وألحَمَ روضةٌ تَفَتَّحُ من حولك الربيع وتُشرِقُ
لها شافعٌ عند القلوب بأحمرٍ حكى دمَها تحنو عليه وتُشفِقُ
وقرّبها عند النفوس بأسودٍ على أبيضٍ أو أبيضٍ فيه أزرقُ
ومهما تكن من مُرسِلٍ أو مصوّرٍ فرأيك فى التقريب منه الموفَّقُ
وأحظى لدىّ(٤) من صحيحٍ ببُطْئِه(٥) مُخيطٌ له ريحٌ بنشرك يَفتُقُ(٦)
ويُفسدها عندى المِطالُ فربما تُسابِق لفظَ الوعد حزما فتسبِقُ
سواءٌ اذا عجّلتها زِينَ منكبٌ جمالا بها أو ليثَ(٧) بالتاج مَفرِقُ(٨)
ويقبح عند الودّ والمجدِ أننى أُرَى عاطلا منها وأنت مطوَّقُ

* * *

(٢٨٢)

وقال عند ما آتصل من إكرام ربيب النعمة أبى معمّر بن إسماعيل الموفّق أبى علىّ وتفقُّدِه وحسنِ عشرته وجميلِ محضره ما يستحقُّ به الشكر، ويَسقط معه الضنُّ والمنافسة فى المدح، وكان على مرّ الأيام يحبُّ أن يُتحَفَ بشىء من شعره ويُكثرَ آستعمالَ دواعيه، فكتب اليه

(١) الغاديات : السحب تسير غدوة، وفى الأصل "العاديات". (٢) الطب : الخبير. (٣) الصناع : الحاذق الماهر. (٤) فى الأصل "الذى" (٥) فى الأصل هكذا "بطيئة". (٦) يفتق : يضوّع. (٧) ليث : لُفّ. (٨) المفرق : محل الفرق من شعر الرأس.

أما "والنقا" لولا هوى ظبية "النقا" لــا قلتُ : حيّا الله دارا ولا ســقَى
ولا أرسلتْ عينى مع الليــل لحظَها ترودُ السحابَ الجَـونَ(١) سن أين أبرقا
خليـــلىَّ دعوى الودّ بابٌ موسَّـــعٌ ولكن أرى بابَ التصادق ضيّقا
ألم تر يوم "الجو" ما كنت مبصرا فـــلم دمعىَ الجارى ودمعُك قد رقا(٢)
نجوتَ وفى أسرِ الهوى لك صاحبٌ فهل أنت مغنٍ عنه أن رحتَ مطلَقا؟
سل الجيرة الغادين هل مُودَعِ الهوى أمينٌ وهل بعـــد التفرّق ملتقى؟
وأين الظباءُ العاطيات(٣) الى الصِّبا يجاذبنـــه الأغصانَ ريّانَ مورِقا
حلفتُ بدين الحبّ يومَ "سويقةٍ" أليّـــةَ(٤) مغـــلوب تألّى(٥) ليصـــدُقا ،
لَمَا بعث "القاريُّ(٦)" زُرق نبالِه بأقتـــلَ من تلك العيـــونِ وأرشقا
كأنّ فؤادى عنـــد صائحةِ النـــوى وقـــد رقّ ضُعفا أن يجيشَ فيخفُقا
أديمٌ تفـــرّاه(٧) الزمانُ ، فلم تجدْ به نَغَـــلا(٨) أيدى الخـــوالقِ مُخلِقا
ولـــا آتى نبـــلَ الوشاة بصـــبره رمتـــه وشاةُ الدمع من حيثما آتقى
حَمَى الله عيشا ـ إن حَمَى العيشَ ـ "باللوى" تكدّر بعـــدى صـــفوُه وترنّقا
وربْمـا(٩) بجنبَىْ "غُرّبٍ(١٠)" ما تمتعتْ لحـــاظى به حتى أخيف فشرَّقا
ضممتُ عليـــه مغـــرما ساعةً يدى وخلّيت لــا رعتُه عنـــه مشفقا
ولم أك لـــا صِـــدتُه فسرحتـــه بأوّل قنّـاصٍ تجـــنّى فأخفقا

---

(١) الجون : الأسود . (٢) رقا : مسهّل رقأ الدمع بمعنى جفّ . (٣) العاطيات : الرافعات رءوسهن . (٤) الألية : القسم واليمين . (٥) تألّى : حلفَ . (٦) القاريّ : المنسوب الى القارَةَ وهى قبيـلة مشهورة بالرماية ، ومنه المثـل " أنصف القـارة من راماها " .
(٧) تفرّاه : بحثه وأستقصاه . (٨) النغـل : فساد الأديم ، والخوالق : المقـدّرات .
(٩) الرئم : الظبي الخالص البياض . (١٠) غرّب كسكّر : اسم ماء بنجد .

وأعلم لو أن الشبيبة كُفَّتى[1] هناك لأمسى فى حبالِىَ موثَقا
أليلَ سوادى ما أرى الصبحَ سَرَّنى فمن ردَّ لى ذاك الظلامَ فأغسقا[2]
أبيت تَنزَّى بين جنبىَّ لسعةٌ لذكرِك شاف عضّها غيرُ من رقى
أبَى خُلُق الأيّام إلا إساءةً وأحسن حينا كُلفةً وتخلُّقا
أعاتبُها لو كان يجْدى عتابُها ومن حالَمَ الخرقاءَ أصبح أخرقا[3]
تعجَّبُ منى أختُ "عذرةَ" أن رأت بحبل بنى الدنيا رجائى معلّقا
وقد عهدتنى منهُمُ ناصلَ المُنى اذا لمسوا ودّى[4] تفلّت مزلَقا
وقالت: متى آستذرى[5] وقد كان مصحرا[6] وخبَّ[7] وقد كنا عهدناه [مُعنِقا][8]؟
اليكِ! فإنى ما آنحططتُ لرفدهم وبى نَهَضانٌ عنه أن آتحلّقا
وما كلّ يوم يأ كل المرءُ ما جنت يداه له قسرا ويشربُ ما آستقى
وإنى على ما قد ألِمتُ محسَّدٌ أكابدُ مفئودا[9] علىَّ ومُحنقا[10]
بُليت بمغتابين لحمَ أخيهمُ يبيت — وما جاعوا — لديهم ممزَّقا
اذا سَرحتْ عنّى من الفضل هجمةٌ[11] أحالوا عليها عاقرين وسُرَّقا
رمَونىَ إذ أحفوا هَوانا أخامصى[12] ذُنابىَ[13] وأن أصبحت فى الفضل[مَفرِقا][14]
أحدّوا أظافيرى فلم أحتلبهمُ ولا لحمَ إلا ما أرى فيه مَعرَقا[15]

(١) الكفّة : حبالة تصاد بها الظباء . (٢) أغسق : أظلم . (٣) الأخرق : الأحمق .
(٤) فى الأصل "دى" . (٥) استذرى : استظلّ . (٦) المصحر : البارز للصحراء .
(٧) خب : سار سير الخبب وهو مراوحة الفرس بين يديه ورجليه . (٨) فى الأصل هكذا "معا" والمعنق : السارى سير العنق وهو سير سريع .
(٩) المفئود : المريض الفؤاد .
(١٠) المحنق : الحانق . (١١) الهجمة : القطيع من الأبل . (١٢) أخامص جمع أخمص وهو باطن القدم مما لا يمس الأرض . (١٣) الذنابى : الذنَب . (١٤) المفرق : موضع فرق الشعر من الرأس ، وفى الأصل هكذا "م" . (١٥) يقال : عرق العظم عرقا ومعرقا : أكل ما عليه من لحم .

جنايةُ جهـلٍ جرّها الحلمُ عنهـمُ ... وما كنتُ أخشى أن أرى الحلمَ مُوبقا

ولما رأيت العفـوَ لا يستردُّهم ... ولا العتبَ صيّرتُ العتـابَ التفرُّقا

طرحتهمُ طـرحَ السِّقاء تفجّرت ... مخارزُه بالمـاء حـولين مُخلقـا

لئن نُفضتْ باليأس[1] كفّىَ منهمُ ... وأصبحتُ ممـا يغمر العيشَ مملقا

فلى من ربيب النعمة اليوم نعمة ... تردُّ الصِّبا جـذلانَ والعمرَ مونِقا



خـلائقُ إمّا ماءُ كَرْمٍ مرقـرَقا ... أغادَى به أو ماءُ مُزنٍ مصفَّقا

كأن الصَّبا جرّت عليـه ذيولَها ... أصـيلا ، وفأرَ[2] المسك عنها تفتّقا

أغرُّ هـلالىٌّ صحيفةُ وجهـه ... اذا طلعتْ لم تُبق للشمس مَشرِقا

ترى الحسنَ فيها واقفـا متحيّرا ... وماءَ الحياءِ فـوقها مترقـرِقا

بليـلُ يدِ المعروف لو مرّ كفُّه ... على الصَّلد من أحجارِ "سلمى"[3] تدفّقا

يرى المـالَ وزرا فى الرقاب مجمَّعا ... فيعيـا به حـتى يـراه مفـرَّقا

من النفر المطفين جدبَ بلادهم ... بماءِ الندى الجارى اذا العامُ أحرقا

ميامين تلق الخـيرَ يوم لقائهـم ... اذا خفتَ يُسرى[4] أو تعيَّفتَ أبلقا[5]

طِوال العمادِ طيّبٌ نشرُ أرضهـم ... حيُّون حتى تطرقَ الحـربُ مَطرَقا

اذا ناهزَ الضيفُ البيوتَ تبـادروا ... له فآستوَوا فيـه غنيّـا ومخفقا

حَموا مجـدهم بالسمهرىّ[6] تطـاعنا ... وبالكَلِم المربى على الطعن منطِقا

توم الفـتى منهم حليما فإن تقـل ... يقـل مفحما[7] لدى الخصـوم ومرهقا

اذا أشـعل الأبطالُ فى الحرب شوكةً ... وطـوها حفاةً أرجـلا ثمّ أسـؤقا

(١) فى الأصل "بالناس" . (٢) الفأر : نافجة المسك . (٣) سلمى : اسم جبل . (٤) اليسرى : خلاف اليمنى . ويشير الشاعر بذلك الى الطير التى تمر من ناحية اليسار وهى مما يتشاءم منه . (٥) الأبلق : الذى فيه سواد وبياض والمراد به الغراب . (٦) السمهرى : الرمح . (٧) فى الأصل "معجا" .

بكلّ غلامٍ لا ترى السيفَ يحتمى ولا الموتَ فى نصر الحفيظة يتّقى
اذا قام ساوى الرمحَ حتى يمسّه بغاربه (١) أو طالَ عنه محلِّقا
تمارت له أيدى القوابل إذ بدا أيبرز نَصلا (٢) أم جبينا مُطرّقا (٣)؟
يدلُّ عليه بشرُه قبل نطقه سنا الصبح أمّ الفجرَ ثمّ تألّقا
يطُرّ (٤) سنانا كاللسان، حلت له الـ ـفوسُ اذا آشتاق الدماءَ تذوّقا
لهم قَصَبٌ فى المجد زدت مصلّيا (٥) عليها وإن مرّوا أمامك سُبّقا
وما ضرّ سارى ليلةٍ لو تناثرت كواكبُها ما آمتدَّ للقمر البقا
لك المجدُ، يلقى حاجبُ الشمس دونه مواقفَ جَدٍّ لم يجد عنه مرتقى
مناسبُ ودَّ النجمُ لو تستضيفه اليها دعيّا أو تسمّيه ملحَقا
تمكّن "إسماعيلُ" منه ورهطُه مكانَ تمنّى البدرُ لو أنه آرتقى
اذا عقَد النادى الفخارَ عددتُهم أبًا فأبًا حتى عددتُ "الموفّقا"
أبوك الذى أعيا الملوكَ جِذابُهُ فأعطَوه لينا ما آشتهى وترفّقا
تَداركَهم والشرُّ يفغَرُ نحوهم فأمسكَ فيه دون ذاك المخنّقا
دَعَوهُ ــ وأطرافُ الرماح تنوشهم ــ: لَحاقِ (٦)، فلبّاهم فأكرِمَ مُلحِقا
فأنشرهم مَوتى وأنقذَ بالقنا نعيمَهم المعتادَ من قبضة الشقا
له صارمٌ ريّانُ من دمِ بعضهم وآخرُ يحمى بعضه أن يمزّقا
حَمَى بين "كرمانٍ" الى الثغر سيفُه وعمَّ بلادَ الجَورِ عدلا وطبّقا
ولم يُبقِ فوق الأرض للخوف مَسرَحا ولا لجَناح الظلم فى الجَور مَخفَقا

---

(١) الغارب : أعلى الكتف . (٢) النصل : حديدة السيف . (٣) المطرق : المرقق، من قولهم : طرّق الصائغ الذهب والمراد منه غضارة الجبين ونضارته ورقته . (٤) يطُرّ : يحدّ . (٥) المصلّى : ما يجيء ثانيا فى حلبة السباق . (٦) لحاق : اسم فعل أمر بمعنى آلحق .

وما مات حتى أبصــــر العيش ذلّةً وحمّل الأذى غُلًّا على الحرّ مُوبِقا
ولمـا أراد الدهرُ تعطيلَ جيـدِهِ من الشرف آختـارَ الحسام فطوّقا
فَــداك من الأقران أبترُ(١) لم يكن عتيقا ولا فى المجــد مثلَك مُعــرِقا
اذا لفّــه المضمارُ يومَ عريكـةٍ بنقعـك ولّى يسأل الأرضَ مَنفقا
يرى مثــلَ عينيه لأســودِ قلبه عدوًّا عــلى أنحرَى قنـاتك أزرقا

* * *

أبثّك عن قلبٍ أحبّـك صادقا اذا كان حبٌّ خـدعةً وتملُّقا
وُصِـفتَ له قبــلَ اللقاء فشقتَهُ فلمّـا آلتقينا صـاده كَرَمُ اللقا
وأصبحتَ من قومٍ عليـه [أعزةٍ](٢) قضى الدهرَ مختصّا بهـم متحقّقا
فزارك من أبكاره بكريمة من الخــيّرات الغرّ صــونا ورونقا
عزيزٌ على غير الكرام آفتراعها وإن ساق أعنـاقَ المهورِ وأصـدَقا
ولمـا رددتُ الراغبين ولم أدع عليهـا لرامٍ بالمــنى متسـلَّقا،
أتانى بشيرُ الخير : أن قــد خطبتَها فـا كدتُ مسرورا به أن أصدّقا
وزدتُ يقينا فيــك أنّك واحــدٌ اذا آخترتَ كنتَ العـارفَ المتأنّقا
فأشرفُ نفسٍ همّــةً نفسُ ماجدٍ يبيت الى أمثـالهـا متشــوّقا
فــراعِ أبًا فى حفظها لم يجــدْ لهـا سَــواءك كفئا ما تخــلَ وآنتقَى
لئن سُمتَنيهـا بادئا بِطــلابهـا لَتستثمرنْ منهـا البنـاء المنمّقا
بجوهرةِ الغــوّاص دلّاه حظُّـــه عليهـا فأهــوَى ما آستطاع وعمّقا
وابرزها بيضـاءَ تنصُفُ كفَّه وميضا ترى وجهَ الغنى فيـــه مشرقا
وقــد أفسد النـاسُ المقالَ فلا ترى ـــ لكثرةِ مَن يرضى المحالَ ـــ محقّقا

---

(١) الأبتر : مقطوع النسل . (٢) ليست بالأصل .

أرى العيدَ والنيروزَ جاءا فأعطيا ... أمانا من الأحداثِ فيك وموثقا
فعادِ بذاك لذّةَ العيش مُصبِحا ... وراوحْ بهذا سُنّةَ الدِّين مُغبِقا
وأعطِ وخُذْ عمرَ الزمان محكّمًا ... وضحِّ وعيِّدْ ناحرا ومشرّقا
فلو كانت الأيامُ تَنطِقُ أفصحَا ... بما فيك من حسن الثناء وأنطقا

* * *

وكتب إليه

سَلكَ الخيالُ[1] "بحاجرٍ" ... طَرْفًا كراه مؤرِّقُهْ
حيّا خديعةَ خُلّبٍ ... ما بلَّ ربعًا مبرِقُهْ
وَهْنًا وراحَ وليس إ ... لّا ذِكرُه وتشوُّقُهْ
وفتحتُ جفني ثمّ عد ... تُ مع الطماعة أُطبِقُهْ
وأجيلُ كفّى أستعيـ ... ـدُ ببُردِه أتعلّقُهْ
عجبا لمسرَى "أمّ سعـ ... ـدٍ" أىّ تيهٍ تخرُقُهْ
وخَطًا ومشتبه الشخو ... ص على الدجى تستطرقُهْ
ولقد تعادل ظلّها ... بين البيوت فتفرِقُهْ
زارت وتحت خدودنا ... رُكَبُ المطيّ وأسؤقُهْ[2]
ورداءُ كلّ مترّفٍ[3] ... منّا "برامةَ" نُمرُقُهْ[4]
فتعطّرتْ بذيولها ... كُثُبُ[5] "الغوير" "وأبرقُهْ"
واسترجعت باقى كرًى ... بتنا اختطافا نسرِقُهْ
يا "روضةَ العلمين" جا ... دك من "جُمادَى" رِيّقُهْ[6]

---

(١) فى الأصل "الجبال". (٢) أسؤق جمع ساق. (٣) المترف : الذى نعّمته النعمة.
(٤) النمرق : الوسادة. (٥) كثب جمع كثيب وهو التل من الرمل. (٦) الريّق : المطر.

وأتاك من تُحف الربيـ ع بما يســرُّك مونِقُــهْ
ما خلتُ أنّ البين بعـ ـد تمام بدرِك يَمْحَقُــهْ
حتى اطلعتُ وغــربهُ يبكى عليــه ومشــرِقُهْ
فى "الداعرىّ" ـ به قِلا ص[1] "الداعرىّ"[2] وأينقُهْ[3]،
ساقٍ يصــرِّف لحظَهُ كأسَ الغــرامِ وتدفُقُــهْ
ما عنــد عينــك يا غزا لةُ فى طليــقِ توثِّقُــهْ؟
شـفتاكِ تَرشُــفُه معًا لطةً وطــرفُكِ يرشُــقُهْ
فلمـاكِ يُــبرِدُ صــدرَه ولحـاظُ عينكِ تُحــرِقُهْ
زيديه وجــدا إن أقـ ـرَّ حشـاكِ وجــدٌ يُقلقهْ
وصـلى السهادَ[4] بليــلهِ إن كان طيفُــكِ يطرُقُهْ
لا تحــرَجى بدمى فعنْـ ـقُكِ غــيرُها يتــطوّقُهْ
أنا ذاك أطعمتِ الهــوى لحمى فبـات يمــزِّقُهْ
ورهنتُ قلــبى لاعبـا والحبّ عنــدكِ يُغلقُــهْ
القلب لى فاذا عشــقـ ـتُ فربُّه من يعشقُهْ
أُنظــر ولَيتــك[5] مفلتٌ[6] أشــطانَ[7] من يتعلّقُهْ
واعــلم بأنك مخــلِفٌ إلا فــؤادا تُنفقُــهْ
زعمتْ بأن الشّيب ذنـ ـبٌ ليس يُغفــرُ مُوبِقُــهْ
فمن الذى دامت له حَدقُ الكواعب ترمقُهْ

---

(١) قلاص جمع قلوص وهى الشابّة من الإبل . (٢) الداعرىّ نسبة الى داعر وهو فحل تنسب اليه الإبل . (٣) الأينق جمع ناقة . (٤) فى الأصل وكذا "الساد" . (٥) فى الأصل "وليك". (٦) فى الأصل "مغلت" . (٧) الأشطان جمع شطن وهو الحبل .

يصدا الطريرُ[(١)] وأىّ غصـ ـنٍ لا يُصوّح مورقُهْ
لا تنظرى بالفجر إلا أنْ يُبيِّض أزرقُهْ
وعييتُ[(٢)] فى فلتات عيـ ـش بالعفاف أرمِّقُهْ[(٣)]
من لى بنهضة ناشطٍ[(٤)] أسـرُ[(٥)] المقادر[(٦)] مطلقُهْ
والحظ تُخدجُ[(٧)] لمُّهُ لى أو تتمُّ[(٨)] فتُحمِقُهْ
ما أتعب المحرومَ يأ مُل أن حرصا يرزقُهْ
تستعبدُ الحرَّ المطا معُ والقناعةُ تُعتقُهْ
والوجه إن كُفِىَ السؤا لَ فليس شىء يُخلقُهْ
ولقد فرجتُ الى العلا نقعا يضيق مُخنَّقُهْ
متشهرا فى جوِّه حتى كأنى أبلقُهْ
وبليدةِ الأعلام يُنـ ـكرُ تربَها مستنشقُهْ
يعيا بذرع بساطها رحبُ المطىِّ وضيِّقُهْ
كتبَ الرسيمُ[(٩)] وخدُّها تحت المناسمِ[(١٠)] مُهرقُهْ[(١١)]
طورا يحقّق فوقها سطرا وطورا يمشُقُهْ
خاوصتُها[(١٢)] والليلُ يُفـ لى بالثريّا مفرقُهْ[(١٣)]
فردا يساعدُ وحشتى عضبٌ[(١٤)] جديدٌ مخلِقُهْ

---

(١) الطرير : السنان المحدد . (٢) فى الأصل هكذا "وعيب" . (٣) أرمقه : أمسك رمقه . (٤) فى الأصل هكذا "ناسط" . (٥) فى الأصل "سر" . (٦) المقادر : المقادير . (٧) تخدج : يقال أخدجت الدابة أى جاءت بولد ناقص الخلق ، وفى الأصل هكذا "تحدج" . (٨) فى الأصل هكذا "سم" . (٩) الرسيم : ضرب من السير . (١٠) المناسم جمع منسم وهو الخف . (١١) المهرق : الصحيفة . (١٢) خاوصتها : نظرت اليها محدقا نظرى . (١٣) المفرق : محل الفرق من شعر الرأس . (١٤) العضب : الحسام القاطع .

يســلو عن الرفقاء من ... أنس بــه مســترفقُــهْ

ريّانُ إن يبس المَــرا ... دُ ضحًى ســقانى ريّقــهْ (١)

طــورا يوشّح منكبِىَّ وتــارةً أتنــطّقُــهْ (٢)

ومردَّدٍ (٣) بين الســوا ... بق لم يهجَّن معرقُهْ

سهل اذا آســتلب المدى ... أكلَ الطريقَ تدفّقُــهْ

لى حلمــه ووقارُه ... وعلى المهـامــهِ أولقُهْ (٤)

يرمى بواسعــةٍ (٥) على ... كذبِ النواظرِ تصدُقُهْ

لم أجزِه إذ بات يُســ ... ـمِنُ لى الحظوظَ وأعرُقُهْ (٦)

حــتى علقتُ بساهرٍ ... حبُّ الضيوف يؤرّقُهْ

جذلانَ كلّ عشــية ... فيهـا المغـارمُ تغبقُهْ

متبسم السنوات ضـا ... فى القعب (٧) فيهـا مُتأَقُــهْ (٨)

ســيلٌ على ألواذِهِ (٩) ... أدمانُهُ (١٠) أو أنوقُــهْ (١١)

للسيف ما ترضـاه منـ ... ـها العينُ أو تستونقُهْ (١٢)

يلقاك أبلجُ وجهــهِ ... قبــلَ العطاء ومشرقُــهْ

كالبرق بعــد وميضه ... خلفَ السحاب تدفّقُهْ

(٢٨٥)

---

(١) الريّق : المطر . (٢) أتنطّقه : أجعــله نطاقا . (٣) يريد بذلك فرسا .

(٤) المهامه : المفاوز والأولق : الطيش والنزو وما يشابههما . (٥) يريد بالواسعة : العين لأتساع مداها فى النظر . (٦) أعرُقُه : آخذ ما على عظمه من اللحم . (٧) القعب : القدح الضخم .

(٨) متأق . مملوء . (٩) ألواذ جمع لوذ وهو منعطف الوادى أو الناحية . (١٠) الأدمان جمع آدم وهو البعير تعلو بياضه غبرة . (١١) أنوق جمع ناقة ، وقد ورد هذا البيت فى الأصل هكذا رسما وشكلا ولم نوفق الى فهمه بأكثر مما رجّحنا .

يَســلّ على الواده ... أدمانه أو موقــه

(١٢) تستونقه : تستحسنه وتعجب به .

يستنُّ ماءُ الحسن فيـ ـه عـذبُهُ ومرقـرقُهْ
متموّل من كسبه الـ ـعالى لجـودٍ يملقُهْ
كالليث يأنف ما كلا إلا عَبيطاً (١) يُشرِقُـهْ
ضمنت صـوارمُه له أرزاقَ مَن يسترزقُهْ
فالسيفُ يجمع ماله والمكرمات تفرِّقُـهْ
من آل "إسماعيل" منتـ ـشر الفخار معـرَّقُهْ
بيت قعيـد العـز قَـلَّ دخيـلُه أو ملصَـقُهْ
نسبٌ كأنّ الشمس إشـ ـراقا وعـزا تعبقُـهْ
ويودّ أعلى الشهب بيـ ـتا أنّـه يستلحقُهْ
صعبٌ تَزِلّ صفاتُهُ (٢) قـدمَ الدعىّ وتُزلِقُـهُ
لا يرتقيـه — طائرا — عيبٌ ولا يتسلّقُهْ
وُسطاهُ "إسماعيلُه" ومدى علاه "وفِّقُـهْ"
شـرفٌ دنا ونأى محـ ـوَمـه لكم ومحلِّقُـهْ
بأبيـك تمّ عمـادُه وسرى فعـمّ مطبِّقُـهْ
سبق الرجال، فبـذّهم — مستعجلين — ترفُّقُـهْ
ومضى يصيب برأيـه مثـلَ الرِّماءِ (٣) يفـوِّقُهْ
شرف بتيجان المـلو ك رِواقُـه أو فيلَقُـهْ
ما بين رأسٍ قد حمى عنـه ورأسٍ يفلُقُـهْ
قاد العـلا وجرى ففا تَ وليس تُدرَك سُبَّقُهْ

(١) العبيط : الدم الطرىّ . (٢) الصفاة : الحجر الصلب الضخم لاينبت . (٣) الرماء : الرمى .

ورأيتُ سعيك خلفه فعلمتُ أنك تلحقُه
ما مات مجدٌ أوّلٌ تتلوه[1] أنتَ. وتنسُقُهْ
تَنمِى[2] الطروسُ لفضلكم[3] خبرًا وأنتَ تحقّقُه
ومتى تعلَّمَ ناشئٌ كرما فنفسك تحذُقُهْ
كم بابِ حظٍّ باسمك الـ ـمحبوبِ يُفتَحُ مُغلَقُه
وسحابِ جودٍ عن يمينك عمَّ ربعى مغدِقُهْ
لى وبلُهُ ولمن ينالُ فسنى الفضيلةَ مُصعِقُهْ
وقصائدٍ[4] كرمت وقد فضحَ اللئيمَ تخلّقُه
يحلو جناها كلّما شافهتَه تتذوّقُه[5]
وملامة عثَرتْ بسمعك[6] فىَّ لا تخرّقُه[7]
سمع حديدات العواذل فى الندى لا تسلُقُهْ
فليسقيَنّ رياضَ عرضك فى الندى مغدودقُهْ[8]
من كلّ سيّارٍ بحكم ركاضُهُ أو معنِقُه[9]
يمضى فيعتلق الصخور بوصف مجدك مفلقُهْ
من معدن الكلم الفريد سواى لا يتطرّقُه
أحرزت محكمه اذا آحتطبَ الكلامَ ملفّقُه
لك[10] حلمه وعلى عدوّك طيشُه وتنزّقُه

---

(١) فى الأصل "تتلوم" . (٢) فى الأصل "منى" . (٣) فى الأصل "بفضلكم" .

(٤) فى الأصل "وفضائل" . (٥) فى الأصل "لتذوقه" . (٦) فى الأصل "فسمعك" .

(٧) فى الأصل "تخرقه" . (٨) المغدودق : ما كثر قطره من المطر، وفى الأصل "معرورقه" .

(٩) المعنق : السارى سيرا سريعا وهو من العنق . (١٠) فى الأصل "لكم" .

يأتيك زورا[(١)] كلّ يو م هـديّةٍ تتسوّقه
يحبوك خالصتى بـه وسواك من أتملّقه
كم مهرجانٍ راح منـ ـه وكلّ يوم ترمُقُه
خلّيته عطلا أسوّ ره[(٢)] بـه وأطوّقه[(٣)]
لا يعجب الحساد أن يصفو[(٤)] لمدحك ممذقه[(٥)]
رجلٌ حلا بك عيشُه فحلا بسمعك منطقُه

* * *

وكتب الى الرئيس أبى طالب بن أيوب يهنّئه بالنيروز

يا ديار الحى من جنب الحمى[(٦)] عدتِ ظنّا بعد ما كنتِ حقيقَهْ
أخذ الدهرُ قشيبا رائقا[(٧)] من مغانيكِ وأعطاكِ سُحوقَهْ[(٨)]
فلئن كنت عدوّ العين من بعدهم إنكِ للقلبِ صديقَهْ
خلتُ لمّا [لم[(٩)]] أطق حمل النوى أن تلك الدمنَ الصمَّ مطيقَهْ
لم أكن أعلم حتى نحلَتْ كنحولى أنها مثلى مشوقَهْ
أين جيرانى بها ، لهفى بهم لهفة سكرتُها غيرُ مفيقَهْ
وظباءٌ " بالحمى " ناشطةٌ ظنّها السحرُ رجيات ربيقه[(١٠)]
شام أصحابى على " كاظمةٍ " عارضا يحمل وطفاءَ[(١١)] دفوقَهْ
فتماروا ، ثم قالوا : وقفةٌ علّه يطرحُ " بالنّعف " وُسُوقَهْ[(١٢)]

---

(١) الزور : الزائر . (٢) أسوّره به : أجعل له سوارا . (٣) أطوّقه : أجعل له طوقا .
(٤) فى الأصل "صفا" . (٥) المذق : المخلوط المشوب . (٦) فى الأصل " حب " .
(٧) فى الأصل " أحد " . (٨) سحوق جمع سحق وهو الثوب البالى . (٩) ليست بالأصل .
(١٠) ربيقه : موثقه فى الربقة وهى عروة تشد بها الدوابّ . (١١) الوطفاء : السحابة المسترخية لكثرة مائها . (١٢) وسوق جمع وسق وهو الحمل الثقيل .

قلت : أما إن فعلتم فاحبسوا ودعوا نِضوى[1] يمضى وطريقَــهْ
لم تقصِّــرْ بى مجارى أدمعى فأرود الغيثَ أستبكى بروقَــهْ
وبذاك "الحـق" إن أدركتُه لىَ قلبٌ سائقٌ[2] أبغى لُحوقَــهْ
وهــلال لا ومن أغربه وهُوَ المالكُ أن يَقضى شُروقَهْ،
ما ظننت الرشفَ محظــور اللى حظرَه [الخمرةَ][3] حتى ذقتُ ريقَهْ
يا لواة[4] الدين عن ميسرةٍ كيف للعسر أن ينسى حقوقَــهْ
ألِمَّا أبصــرتُمُ من ولهى والنوى تغشمنى قلــتم : فَروقَهْ[5]
كيف لا تُشـفِقُ من بينكمُ مهجتى وهى من الموت شفيقَــهْ
أرفُقــوا يا ربما ذاق الهــوى واثقٌ من قســوة ألا يذوقَــهْ
واقسـموا قلــبىَ فيما بينـنا لى فـريقٌ وخذوا أنتم فريقَــهْ
ما على دهر سـق لى سَجلَهُ[6] نُطَفًا[7] من عيشة الدنيا الرقيقَــهْ[8]
حيثُ أيامى مــلوكٌ كلُّها ومن الأيام أمــلاكٌ وسُــوقَهْ
وفتـاةُ العمــر بيضـاءُ الطُّـلى وردةُ الخدَّين ســوداءُ العقيقَهْ[9]
ولحـاظ المقَــلِ المــرضَى التى تنصُــلُ اليوم وتنبـو بى عَلوقَهْ
فى ظـــلالٍ للصِّبا سابغــةٍ وغصونٍ للأمانىّ وريقَــهْ
لوثنى لى راجعا من عِطفــه لا ولكن ساعةً منــه أنيقَــهْ
زمنٌ أمكننى من رأســه فتعسَّفتُ به غــير الطريقَــهْ
لانَ فى كفّى فأرخيتُ له فمضى كالسهــم لم أملك مُروقَهْ

(١) النضو : البعير المهزول . (٢) فى الأصل " شائق " . (٣) ليست بالأصل .
(٤) لواة الدين : الماطلون . (٥) الفروقة : الشديد الفزع . (٦) السجل : الدلو .
(٧) النطف جمع نطفة وهى ماء يبق فى الدلو . (٨) فى الأصل " الرفيقة " . (٩) العقيقة : شعر كل مولود .

إن يكن متعـــةَ دنيـا فارقت فعــلى الشيمة نفسى والخليقَــهْ
لا يدى تُعطى علىٰ الهــون ولا تَحْـــواتى بعصا الضيم مَسوقَــهْ
أنا ذاك العضبُ (١) لا تمنعـــه قــلّة التصميم فى يوم الحقيقَــهْ
وقُــوى كفّىَ معقــودٌ لهـا " بابن أيوبَ " علاقاتٌ وثيقَهْ
الفتى كلّ الفتى إنْ خذِلت أختَها الكفُّ وذمّ السهـمُ فُوقَهْ (٢)
وأخـــو الليـــلة نهّاضٌ اذا ما آستَهبَتْهُ الملمّاتُ الطّروقَــهْ
لُذْ بـــه وآنـــدبه للجُـــلّى ولا تخش من غفـــلة عذرٍ أن تعوقَهْ
يُخـــرجُ الصـــلّ (٣) الى حاجاته راقيـا فى كلّ زلاءَ زليقَـــهْ
واذا رابتـــك من خُلْقِ أخٍ هفـــوةٌ تخلِطُ بالبرّ عُقــوقَـــهْ
فعليكَ السهـــلَ من أخلاقِـــهِ فتضوّعْ مسكَه وآشربْ رحيقَهْ
من رجالٍ ســـبقُوا فى مَهَـــلٍ وخَدانَ (٤) النجيمِ ســـيرًا وعنيقَــهْ (٥)
وآنتضوا من طبع أيمانهـــمُ كلّ عضبٍ (٦) يأمن الجفنُ (٧) دُلوقَهْ (٨)
فِقَـــرٌ تحملُهـا مـــوقَـــرةً صحـــفُ لِقحتُهـا (٩) الدُّهمُ (١٠) المَليقَهْ (١١)
كلّ بيضـاءَ سمينٌ متنُهـا ضمّنتهـا الســـحرَ هيفاءُ دقيقَهْ
فاذا الأوجـــه غطّت لونهـا غَبْرةٌ وآستخلفَ الورسُ (١٢) خُلوقَهْ (١٣)
شهد الحربَ سُـــفورا منهـــمُ غلمةٌ تحت قَتامِ (١٤) النقـــعِ (١٥) روقَهْ (١٦)

(١) العضب : الســيف القاطع . (٢) الفوق : مشـق رأس السهم حيث يقع الوتر .
(٣) الصل : الأفعى . (٤) الوخدان : ضرب من السير . (٥) العنيق : ضرب من السير السريع .
(٦) العضب : السيف القاطع يشير به الى القلم . (٧) الجفن : غمد السيف . (٨) الدلوق : خروج السيف من غمده . (٩) اللقحة : الناقة الحلوب الغزيرة اللبن وهى هنا مجاز و يريد بها الدواة .
(١٠) الدهم : السود و يشير بها الى الدوايات فيها الحبر . (١١) المليقة : التى جعل لها ليقة وأُصلح مدادها . (١٢) الورس نبات أصفر يصبغ به . (١٣) الخلوق ضرب من الطيب مائع فيه صفرة .
(١٤) القتام : الغبار الأسود . (١٥) النقع : الغبار . (١٦) روقة : حسان .

بأكفّ كالظبا مصقولة	ووجوهٍ كالدنانير عتيقة
وإذا الليلةُ ماتت نارُها	وآستلان الكلبُ بالأرض لُصوقة
فطوى الراعى على أضلاعه	[كشحه](1) وآستعدت(2) الشُّعْرَ الحليقة
برزت تَفهقُ(3) فى أبياتهم	كلُّ جوفاءَ من الشِّيزى(4) عميقة
لا يبالى عاقرُ البدنِ(5) لها	أيّها الواجبةُ(6) الجنبِ الشريقة(7)
نِلتَهم طولا وزيّدتَ فما	شُقّ نقعٌ لم تكن أنت سَبوقة
طلبوا مثلك فآستنّوا(8) قَرى(9)	من "أبان(10)" يستبيضون أنوقه(11)
كنتَ فيهم واحدا ليس له	من أخٍ لكن له الشمسُ شقيقة
كم لإسعادك عندى من يد	سبغت(12) ظلًّا ووجهى والوديقة(13)
ألحفتْ(14) حالىَ منها نعمةٌ	نعمةُ المزنة تنثوها(15) الحديقة
لم يخرّق زمنى فى جانب	لِىَ إلّا قمتَ نصّاحا(16) خُروقه
نخليلٌ فاسدٌ أصلحته	وقريضٌ كاسدٌ نفّقتَ سوقه
فابق لى ما هتفت باكيةٌ	شجوَها، أو حنَّ فحلٌ لطروقة(17)
سامعا كلٌّ بعيدٍ صيتُها	تنفض الأرض ولو كانت سَحوقة(18)

(١) ليست بالأصل، والكشح: الوشاح. (٢) استعدت: استنصرت، وفى الأصل "استعذبت" والشُّعْر جمع شَعْراء وهى الكثيرة الشعر الطويلة. (٣) تفهق: تمتلئ حتى تنصبّ. (٤) الشيزى: الجفان والقصاع. (٥) البدن جمع بدنة وهى الناقة تنحر. (٦) الواجبة: الساقطة. (٧) الشريقة: التى غصّت. (٨) استنّوا: اتخذوه سننا أى طريقا. (٩) القَرى: الظهر. (١٠) أبان: اسم جبل. (١١) الأنوق: ذكر الرخم وقيل العقاب، وفى المثل "هو أعز من بيض الأنوق" يضرب للمحال. (١٢) سبغت: طالت واتسعت. (١٣) الوديقة: شدّة حر الهاجرة. (١٤) فى الأصل "ألحقت". (١٥) تنثوها: تذيعها. (١٦) نصّاحا: خائطا. (١٧) الطروقة: الناقة يطرقها الفحل. (١٨) كذا بالأصل ولعلها "سحيقة" بمعنى بعيدة أو لعلها الطويلة على التشبيه بالنخلة.

عَبْلَةَ(١) المعنَى وإن صاغ لها طبعُها "للعرْب" ألفاظا رشيقَهْ
تدَعَ العِرضَ اذا ديفت(٢) به عِتْرَةٌ(٣) تنسب "دارين"(٤) فتيقَهْ(٥)
يحمل النيروزُ منها تحفةً هي أن يُحمدَ مُهديها خليقَهْ
فعلُها فى الوجهِ أن تبسطَهُ جَذِلا والصدرِ أن تَفرِجَ ضِيقَهْ

(٢٨٧)

* * *

وكتب الى الأستاذ أبى الحسن المختار بن عبيد الله بن الذهبىّ الكاتب

دَرَّ لها خِلفُ(٦) الغمام فسقَى ومدَّ من ظلَّ عليها ما وقَى
ورابها ليلُ "جُمادى" أن ترى من لهب "الجوزاء" يوما محرِقا
فنهضَتْ بسُوقها(٧) ودرَجتْ كَهلًا(٨) أثيثا(٩) ومَعينا(١٠) غدَقا(١١)
حتّى تخيلت رباها حُوِّلتْ بالخصب غُدْرا(١٢) وحَصاها ورَقا
لو جاء يُعطى خبرا عن جنةٍ . رائدُها راعيَها لصدَقا
خضنا بألحاظِ العيون طُرُقا منها وأخفافِ المطىّ طُرُقا
ملجَمَةً تَركب من دهمائها على متاعِ(١٣) من ضحاها غسَقا(١٤)
تحبِسنا صدورُها والحبُّ فى أعجازها يجذُب مَن تعلَّقا
كلّ فتًى يَخلُفُ(١٥) وجهَ شمسِها غاربُه حتى يعودَ المَشرِقا

---

(١) العبلة : الضخمة . (٢) ديفت : مزجت وخلطت . (٣) العِترة : القطعة من المسك الخالص . (٤) دارين : بلدة مشهورة بالمسك . (٥) فتيقة : ساطعة الرائحة .
(٦) الخلف : حلمة الضرع . (٧) سوق جمع ساق . (٨) الكهل : النبت المتناهى .
(٩) الأثيث : الكثير العظيم . (١٠) المعين : الماء الجارى على وجه الأرض ظاهرا تراه العين .
(١١) الغدق : الماء الكثير . (١٢) غدر جمع غدير وهو القطعة من الماء يغادرها السيل .
(١٣) متاع الضحى : ارتفاعه . (١٤) غسق : أظلم . (١٥) فى الأصل "يحلف" . . .

اذا المطايا لجأتْ ببوعها الى الوريد دعدعوها(١) العنَقا(٢)

تعسّفا حتى يُنوِّقَ(٣) سوقَها طلابُها أيامَها على "النَّقا"

تغنَّ "بالجرعاء" ياسائقَها فإن ونت شيئا فزدها "الأبرقا"

وآغنَ عن السياط فى أرجوزة "بحاجرٍ" ترى السهامَ المُرَّقا

وآستقبل الريح الصّبا بخُطمِها(٤) تجِدْ سُرًى ما وجدتْ منطلَقا

إنّ لها عند "الحمى" وأهلِه إنْ حَمَلتْ لُعَلقًا وعُلَقًا(٥)

والجانب الممنوع من "وادى الغضا" هنأ(٦) ما نقَّبَ(٧) أو ما عرَّقا(٨)

كم "بالغضا" يازفرتى على "الغضا" من شافع رُدَّ وعهدٍ سرِقا

ونظرةٍ لله منها حكمُه يومَ تخاصِمُ القلوبُ الحدَقا

وطارحٍ للنكثِ يثنِى حبلَه حتى يكونَ الرُّمَّةَ(٩) الممزَّقا

قد حبسوا "ظبيةَ" هلّا حبسوا دمعا الى ذكرتها مستبِقا

وبردَ الليلُ على ما لقَفوا لكنهم لا يُبرِدون الحُرَقا

أما — وكان قسما أبرَّه — : والظَّلْمِ(١٠) ما أشمَّ أو ما ذوّقا ،

والبانِ يحنو هذه لهذه بالجيدِ حتى دنيا فآعتنقا ،

وما سرى بين الغرار(١١) والكرى طيفٌ لها ردَّ الظلامَ فلَقا(١٢) ،

خطْفَ القلوب ثمّ طارت شُعَبا أضغاثُه عنّى وطاحت شُقَقا(١٣) ،

---

(١) : دعدعوها : دعوها من قولهم دعدع بالمعز اذا دعوها . (٢) العنق : ضرب من السير السريع . (٣) ينوّق : يأخذ نِقْيَها وهو المخّ الذى فى العظم . (٤) الخطم جمع خطام وهو حبل يوضع فى أنف الدابة . (٥) العلق جمع عُلقة وهى ما يتعلّق به . (٦) هنأ الإبل : طلاها بالهناء، وهو القطران . (٧) نقّب : أجرب . (٨) عرق العظم : أخذ ما عليه من اللحم . (٩) الرمة : الحبل البالى . (١٠) الظلم : ماء الأسنان . (١١) الغرار : القليل من النوم . (١٢) الفلق : الصبح . (١٣) فى الأصل "شفقا" .

فقمت [أجلو] (١) لَبسَ (٢) طرفى ويدى ... أنفض رحـلى وأقصُّ (٣) الطَّرُقا ،

ثم وهمت أن بدرا زارنى ... فبتّ لا أسألُ إلا الأفقا :

لقـد مشى الواشى على سمعى بهـا ... فى ضـيّق الفجّ زليقِ المـرتقَى

شأنَك لا يُبرى الجـوى إلا الذى ... أدوى (٤) ولا يفرِى (٥) سـوى من خلَقا (٦)

قد عـوّذوا وعقـدّوا تمـائمى (٧) ... وأنقع السـلوةَ راقٍ وسـق

وما يعـود الحـولُ إلا عادنى ... منهـا مسيسٌ لا يُحَـلُّ بالرُّقى

وليـلةٍ والحىّ بعـدُ لم يخف ... أعينهـم ولا الغيـورَ المشـفقا

واللامزُ (٨) المرتابُ سـلْمٌ صـدرُه ... وجارةُ البيت التى لا تتّـق

قِسمتُها شـكلان من وصالها ... وعتبها بين النـعيم والشـقا

ثم آفترقنـا ومـعى وثيـقةٌ ... تُقـرب ما بين الفـراق واللقـا

يا صاحـبى : وقـولةٍ مصـميّةٍ ... لا تفتـح الألسنُ منها مُغلَقا ،

يغـنى اللهـاةَ (٩) رفعُـها وخفضُها • ... حتى يقـال : غلِطا أو سـرِقا ،

ترى البـليغ حـولها مجمـجِما (١٠) ... يومَ تراه الأشـدقَ المنطّقـا ،

من أمّهـات الفضل إما نُثرت ... أو نُظمت كانت لجـوجا (١١) عنقـا ،

ركبتُها أقتـحم النـادى بهـا ... جامحـةً (١٢) تفـوت بى أن ألحقا ،

---

(١) ليست بالأصل . (٢) اللبس الإشكال وعدم الوضوح ، وفى الأصـل "ليس" . (٣) أقصّ : أتبع وأقتفى ، وفى الأصل "أفضّ" . (٤) أدوى : أمرض . (٥) يفرى : يشق . (٦) خلق الأديم : قدّره وقدّه قبل قطعه وشقّه . (٧) التمائم جمع تميمة : وهى عوذة تعلّق على الصغار مخافة العين . (٨) اللامز : من يشير بعينه ونحوها من كلام خفى ، وفى الأصل "الملمز" وهو خطأ . (٩) اللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق . (١٠) المجمجم : من لا يبين الكلام . (١١) اللجوج : الملازم للأمر يأبى أن ينصرف عنه عنادا . (١٢) فى الأصل "تفوب" .

تضحك بالمُجـــرَى معى يريدها ضحْـــك الصَّنـّاع[1] بيمين أخرقا[2]،

... ... نعيمها ... ... ظهرها والعنقا[3]،



من اللواتى تستصبُّ نحـوها نفسُ الوقـور أو يكونَ الأزرقا،

لو راودت أشمـطَ وفّى مائـةً يشتو "بقدس" ويصيف "الأبلقا"،

يعتـجر[4] الشّـملةَ[5] حيطانا اذا قـرٌّ[6] ويحْنش[7] اذا ما آستـرزقا،

أهـوى لها يأخذ من عاجلها أوبقـه[8] آجلها ما أوبقا،

حلتُ عنهـا حـرّةٌ كريمـةٌ لو ألصق العـارُ بهـا ما ألصـقا،

وصاحبٍ كالغُـلّ بات منكبى من ربقـة الودّ بـه مطوّقا،

يكرع منى فى نمـيرٍ[9] سلسلٍ وأستقيـه مِلحا مرنَّقا[10]،

أرمُّ من أخـلاقه مـلوّنا يصـبغ لى فى كلّ يوم خُلُقا،

تكثّرتْ بعـدِيَ من أُسرتى نفسى فأصـبحتُ المقـلّ المملِقا،

وطوّفتْ تسـأل فى قبـائلٍ غريبـةٍ : أين تكون الأصـدقا،

فـا رأت إلا النّـفاق مسـدَلا عـلى المـودّات وإلا الملَـقا،:

شمـتُ الأنام خلّبـا إلا فـتى من "قيصر" أمطرَ لما برقا

أفرقَ[11] رأسُ الدهر من جنونهِ بـه وصـحّ رأيـه وحقّقا

غنيتُ منـه بأخٍ فـداؤه كلُّ أخٍ أصبحتُ منـه محْفقا

وملئتْ كفّى بـه وأفضلت جـوهرةً أمّ شُـفوفٍ[12] ونقـا

(١) الصناع : الحاذق فى الصـنعة . (٢) الأخرق : الأحمق الذى لايحسن الصـنعة . (٣) هذا البيت مطموس فى الأصل الفتوغرافى ولم نتبيّن منه إلا الكلمات التى أثبتناها . (٤) يعتجر : يتلفف . (٥) الشملة : الكساء . (٦) قر : برد . (٧) يحنش : يطلب الحشيش ويجمعه . (٨) أوبقه : أهلكه . (٩) النمير السلسل : الماء العذب . (١٠) الملح المرنق : الماء الملح الكدر . (١١) أفرق : برئ وأفاق . (١٢) أمّ الشفوف والنقاء : اللؤلؤة لصفائها .

باعَ بها الغوّاصُ ذاتَ نفسِهِ مغامرا لحبّها معمّقا

يهوِى به الفقر ومن شعارِه إما الغنى رَبٌّ وإما الغرَقا

ومجّه البحرُ فلو أبصرتَهُ بها مُضيًّا ولها معتنِقا

ترى الحصى والرملَ فى يمينه كيف آنتحى عينا[1] بها وورِقا[2]

كرهتُ فى المختار كلَّ حاسد يحسَب فى آجتماعنا التفرُّقا

وبعتُ خُلانى به بيعَ فتًى يعلم أن الربح حيث صُفِقا

عرّفنيه خُبرتى بغيره، من جرّب الناسَ درى وحذَقا

وصحّ لى بعدَ رجالٍ مرِضوا، وكثرةُ التيه تريك الطرُقا

ظنٌّ غلوّى فيك قومٌ سَرَفا وفرطَ مدحى زُخرُفا مختلَقا

وزاد حتى لن يقولوا : حاضرٌ ودّ فقالوا : بدوىٌّ عشِقا

ولو رآك مَن رأى بنظرى وخُبرتى قال[3] : بليغٌ صدَقا

جاء بك الدهرُ على شرائطى • تحفةَ عمدٍ لا على ما آتفقا

رأيا له القرطاسُ والسهمُ سوا وراحةً فى المحل تجرِى دفَقا

وسامرا والنار قد أخمدها ربُّ المئين[4] وجفاناً فُهّقا[5]

وخلقا اذا غضبتَ واسعا[6] وعُذرا اذا وهبت ضيّقا

وجانبا فى الودّ ظلًّا باردا ردًّا الى الودّ فؤادا معتَقا

رشتَ جَناحى وآلتحمت معرِقا زَورِىَ حتى طرتَ بى محلّقا

فتحتَ عينا فى العلا بصيرةً حتى رأيتَ غايتى مدقّقا[7]

---

(١) العين : الذهب . (٢) الورق : الفضة . (٣) فى الأصل " قيل " .

(٤) المئين : المئات . (٥) فهّقا : مملوءة . (٦) فى الأصل " واسع " .

(٧) فى الأصل "مدفقا" .

ودلّك المجـــــدُ على فضيـــلتى دلالةً كنتَ لها مـــوفّقـا
لم تك فى الإيمان لى مقـــلّدا ولم يكن يُســرُك بى تخــلّقا
أنت اذا الدهـــر رمى شاكلتى درعى وأنت مُنــذِرى إن فوّقا
ما غمّضت عـــنّىَ عينُ حاجةٍ فأرتادها طــرفك إلا رمـــقا
وقتَ فى آثارها مجلّـــــيا بعثَ القنيْــصِ المضرحىّ[1] الأزرقا
فلا تُصبْنى فيــك عينُ حاســدٍ له القـــذَى محـــدّقا ومطرِقا
ولا تَنَلْك[2] الحادثاتُ بيـــدٍ حتى تشـــلّ ساعدا ومِرفَقا
ونهضَتْ عـــنّى بما أوليتــه رواحـــلُ الشعر تجـوب الأفقا
ثقائلا يســوقها خفـائفا على الوجى[3] لا تطمئن قلقا
رافعـــةً واضـــعةً أعناقَهـا يوما ويوما مغــرِبا ومشرِقا
إن ظمئت فالشمسُ واهابها أو سغبت جرت تدارى الرمَقا
تحمـــلُ كلّ مســـتعادٍ ذكرها عمَّ البـــلادَ صيتُها وطبّقا
هى العـــذارى البيض لم تلق لها مبتكرا غـــيرى ولا مستطرِقا
اذا أقامت رُشفتْ أو ظعنت تفُتْ على الأفواه نشرًا عبقا
اذا الكلام نُســبت أصـــولُه كانت أصـــولا والكلامُ أسؤقا[4]
أو طُـــرحَ الشعر فمـاتَ بجاةً بقين ما طال وما طاب البقا
ينُصّ[5] شيطانُ القريضِ سمعَه مرتقيا فى جـــوّها مسترِقا
لطـائم[6] ســوائرٌ اذا غـــدا ذكرك فى أعجازها معلّقا
تعلّقت باسمـــك حـــتّى خرقتْ بـــك السمـــاءَ طبَقا فطبَقـا[7]

(١) المضرحىّ: النسر الطويل الجناح أوالصقر. (٢) فى الأصل "شلك". (٣) الوجى: الحفا أووجع الحافر. (٤) الأسؤق: السيقان، وفى الأصل "شوقا". (٥) ينصّ: يحرّك و يرفع. (٦) لطائم جمع لطيمة وهى العير يحمل الطيب. (٧) طبقا فطبقا: منزلة بعد منزلة.

***

وكتب الى الشريف الزكيّ أبي عليّ، وقد ورد من الكوفة الى بغداد

تربعتْ بين "العذيب" "فالنقا" مرعًى أثيثا(١) ومعينا(٢) غـدقا(٣)

وبُدِّلتْ من زفراتِ "عالجٍ" ظلاً ثلاً من "الحمى" وورقا

ترتع فيــه مرِحاتٍ بُـدْنا(٤) كما آشتهت ربيقةٌ(٥) أن تُطلَقا

فدبّ فيها الخصبُ حتى رجعتْ سدائسا(٦) بُزْلا(٧) وكانت حِقَقا(٨)

فكلّما تزجرها حـداتُهـا رعى الحمى ربُّ الغمام وسقى

وإنمـا ذاك لينفُضنَ لنـا الى ديار الظاعنين الطُّرُقا

حـواملا منـا هموماً ثقُلتْ وأنفسـاً لم تبـق إلا رمَقـا

يحملننـا وإن عرين قصَبًا وإن دمين أذرعا وأسؤقا

واصـلةً(٩) ومَن يردُّ(١٠) جنبه عن ليلها وإن سمّن العرقا(١١)

خلن لهـا "فَلَجًا(١٢)" نخلنا وقعَها في آلٍ(١٣) وهي طـوافٍ عَرَقا

نواصلاً من غمرةٍ في غَمرةٍ(١٤) لا يعـلق السـيلُ بها تدفُّقـا

دام عليها الليلُ حتى أصبحتْ تحسَب بَخرَ(١٥) "ذات عرقٍ(١٦)" شفَقا

ومَن لهـا ومَن لنـا يُخـبرنا عن ظبياتِ "عاقلٍ(١٧)" أن يصدُقا؟

---

(١) الأثيث : الغزير الملتفّ . (٢) المعين : الماء الظاهر تراه العين جاريا على وجه الأرض . (٣) الغدق : الغزير الفائض . (٤) بدنا : سمانا . (٥) الربيقة : المشدودة بالربقة وهي عروة تُشد بها البهم . (٦) السدائس : الإبل الطاعنة في السن السادسة . (٧) البزل جمع بازل وهو المسن من الإبل . (٨) الحقق جمع حِقّة وهي الناقة الطاعنة في السن الرابعة . (٩) في الأصل "وصلة" . (١٠) في الأصل هكذا "حسه" . (١١) العرق جمع عرقة وهي الحبل يشدّ به الأسير . (١٢) فلج : موضع قريب من البصرة . (١٣) الآل : السراب . (١٤) هذه الكلمة وأختها في الأصل هكذا "عمره" . (١٥) في الأصل "نخرا" . (١٦) ذات عرق : مُهَلّ أهل العراق وهو الحدّ بين نجد وتهامة . (١٧) عاقل : واد بنجد وآسم لكثير من المواقع .

وعن قلوبٍ رحن فى قبـابها   لو نضح المـاء عليها آحترقا
ياحبّـذا المُعرضُ عن سـلامنا   "برامـةٍ" سالفـةً وعنقـا
وحبّذا حىّ اذا شـنّوا الوغى   شاموا السيوفَ وآستسلوا الحدَقا
ورامياتٍ لا يؤدّين دما   ولا يبالين أسـال أم رقا(١)
وقفن صـفًّا فرأين شَرَكا   من القلوبُ فرمَين طلَقـا
ولا ومَن كفّ الردى بأمرِه   لولا القلوبُ لم يجـدنَ مَرشَقا
من راكبٌ تحمله الى الهوى   أختُ الهـواء(٢) نزوةً وقلَقـا؟
عرِّج على الوادى فقل عن كبدى   للبـان ماشئت الجوى والحُرَقا
وآحجر على عينيك حفظا أن ترى   غصنين منه دَنَيـا فآعتنقا
فطالمـا(٣) آسـتظللتُه مصطبحا   ســلافةَ العيش بــه مغتبِقا
أيّامَ لى عــلى المها بلِمّـتى(٤)   إمارةٌ أُرجَى لهـا وأُتّــقَى
وفى يدى من القلوب حبُّها   أملكها صبـابةً وعُلَقـا(٥)
والبينُ ماآستنبح لى كلبا ولا آسـ   ـتنعب فى شملى غرابا أحمقـا
وشرب جارتى "منًى" ومشربى   من منهل إما صـفا أو رنقا
أمشى وقد رصـعننى(٦) بأعين   تكحلهنّ أشُرا(٧) وورونقـا
فاليـومَ بقّ العيشُ لى قـذاتَه   وآرتجـع الشعشاعةَ المصفَّقا
لاجار إلا أن تكون "ظبيةٌ"   ولا ديارَ أو تكون "الأبرقا"
لا وأبى "خنساء" أو رقادها   على النـوى وقد فنيتُ أرقا

---

(١) رقا : جف . (٢) أخت الهواء : الناقة لسرعتها فى السير كالهواء . (٣) فى الأصل . "فطالهـا" . (٤) اللة : الشعر المجاوز شحمة الأذن . (٥) العلق جمع عُلقة وهى ما يتعلق به .
(٦) رصعنى : طعننى . (٧) الأشر : الحدة والرقة .

ما سهرى "ببابل" ونومُها — "بحاجرٍ" إلا النعيمُ والشقا
وليلةٍ من التَّمام[1] جئتها — أساير النجمَ وأحدو الغسَقا،
تمطُلُ عينى أن ترى من فجرها — بين السواد أبيضًا وأزرقا
ضلّت بها البيضاءُ[2] عن طريقها — فلم تجد بعد الغروب مشرِقا
سريتها مستأنسًا بوَحدتى — وطالبُ العز قليلُ الرُّفَقا
وطارق على الكلالِ زارنى — بعد الهدوء وبخيرٍ طرَقا
يُهدى من "الكوفة" لى تحيةً — ذكيةً تملأ رحلى عبَقا
فضمنّت سوادَها صحيفةٌ — ردت سوادَ النِّقس[3] فيها يقَقا[4]
من الزكىّ طينةً ودوحةً — وثمرا وخِلقةً وخُلُقا
معرفة وافق معناها آسمَها — كالسيف ألفى مفصلا فطبّقا
وبعضهم ملقّب أكذوبة — لا صادق المعنى ولا متّفقا
فقع "بكوفان" فقل لبدرهاه — إن بلّغتك العيسُ ذاك الأُفقا:،
يا خير من حُلّت على أبوابه — حبى الوفود جُمّعا وفِرَقا
وخيرَ من طاف ولبّى وسعى — وعبَّ فى بئر "الحطيم" وسقى
وآنتظموا المجد نبيًّا صادعا — بالمعجزات وإمامًا صدَقا
وآبن الذين بصّروا من العمى — وفتحوا باب الرشاد المغلَقا
مناسكُ الناس لكم وعندكم — جزاءُ من أسرف أو من آتقى
والوحىُ والأملاكُ فى أبياتكم — مختلفان مهبِطا ومُرتقَى
لا يملك الناسُ عليكم إمرةً — كنتم ملوكا والأنامُ سُوَقا

(١) التمام: أطول ليلة من ليالى الشتاء. (٢) البيضاء: الشمس. (٣) النقس: المداد، وفى الأصل "النفس". (٤) اليقق: يقال: أبيض يقق كما يقال: أصفر فاقع وأحمر قانئ.

فى جِدّة الدهر وفى شـــبابه	وحين شاب عمـــرُه وأخلَقا
مجـــدا إلهيًّـا توخَّاكم بـــه	ربُّ العـــلا وشرَفًا محـــلِّقا
أربقــتُمُ بالدين قوما ألحـــدوا	فيكم وعن قوم حللتم رِبَقـا (١)
وأمَّنَ الله بكم عبادَه	حـــتى حماكم بيتَــه المطوَّقا
ليس "المسيحُ" يومَ أحيا ميِّتا	ولا الكليمُ يومَ خرّ صـــعِقا،
بالغين ما بنى أبوكُمُ	وإن هما تقـــدَّما وســـبقا
وراكب الريح "سليمان" لو آبد	تغاكُمُ فى ظهرها ما لحـــقا
ولا أبوه (٢) ناسجا أدراعـــه	مضاعفا ســـرودَها والحلَقا
فضلتـــموه ولكلٍّ فضـــلُهُ	فضـــيلةَ الرأس المطا (٣) والعنُقا
ومنـــكُمُ مكلِّم الثعبان والـ	عابر – والموتُ يراه – الخندقا (٤)
ومـــؤثر الضيف بزادِ أهـــله	وصـاحبُ الخاتَم إذ تصـــدَّقا
وكلُّ مهـــدىٍّ له معـــجزة	باهـــرةٌ بها الكتابُ نطقا
من آســـتقام مَيـــلُه اليكُمُ	فاز ومن حرّف عنكم أُوبِقا (٥)
كنت آبنه ســـيفا حاما ويدا	غيثا زكيا وجبينا فلَقا (٦)
وأنّ غصنا أنت من فروعه	للخيرُ غصنٍ مثـــمرا أو مورقا
ولُسْنا اذا الكلام آنعقـــدت	أطـــرافه وأخَـــذَ المخنَّـــقا،
تطعن شزرا والخصامُ واسعٌ	فيه وإن كان المجالُ (٧) ضـــيِّقا
فوارِكٌ (٨) من الكلام لم يكن	تنكِحُ إلا الأفـــوهَ المنطَّقا

(١) الربق جمع ربقة وهى عروة تشد بها البهم . (٢) أبو سليمان داود عليهما السلام وهو مشهور بنسج الدروع وسردها . (٣) المطا : الظهر . (٤) المعنىُّ بهذا البيت والثلاثة الأبيات التى بعده هو الإمام علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه . (٥) أوبق : أهلك . (٦) الفلق : الصبح . (٧) فى الأصل "المحال" . (٨) فوارك جمع فاركة وهى الناشزة التى تبغض زوجها وهى هنا مجاز .

قد وصلتْ تحملُ لى عقودها ... منخرَط الشهب انحدرنَ نَسَقا
أُسمِعُ منهـا المتحدّى مُعجزا ... حتى يُقـرّ وأريه موبقـا
أعرتَنى فيها سماتِ مِدَحٍ ... كنتَ أحقّ باسمها وأليقا
واليتها باديـةً وعُوّدا ... كالسيل يرمى دُفَقًا فدُفَقا
حتى ملكتَ رقّ نفسٍ حرّةٍ ... بها وقيّدتَ فؤادا مطلقا
تكرمة أيقظك الفضلُ لها ... والحظّ قد غمّض عنها الحدَقا
جاءت أمينا كيدُها فى زمنٍ ... لا تُخدعُ الحيّاتُ فيها بالرُّقَى
كأنما رُدَّ على قلبى لها ... فى دولةِ الوحشةِ أنسٌ سُرِقا
والعينُ فى أمثالها مشرَعةٌ ... ما لم يقِ اللهُ وقدْمًا ما وقى
نحلْتنى مدحَك فخرا باقيا ... فى عَقِبى ما دام للدهر بقا
حلّيتَ منه "فارسا" — من بعد ما ... تعطّلتْ — أسوِرةً[1] وأطوُقا
فاستقبلتْ من عزّها ما قد مضى ... وآسترجعتْ من مُلكها ما طَلُقا
وكيف لا يُنصَر فضلُ معشرٍ ... هم نشروا لواءكم أو خفقا
وهم أعزّوا صهرَكم وودَّكم ... وقد أطاع القرباءَ الرُّفَقا
وبيننا — إن لم تكن قرابة — ... ولايةٌ تُحصِفُ[2] تلك العُلَقا[3]
ولم يكن أحرارُ ملك "فارسٍ" ... إلا عبيدًا لكُمُ أو عُتَقا
وعاجلٌ أمطرنى منك الحيا ... وآجلٌ أومضَ لى وأبرقا
وعدتَنى فارتشتُ محصوصا[4] بما ... وعدتنيه وغنيتُ مخفقا
فاسمع وعش مُجزَى بما تسمعه ... مَطارِبًا لو نادت الميْتَ زقا[5]

(١) أسورة جمع سوار . (٢) تحصف : تحكم . (٣) العُلَق جمع علقة وهى ما يتعلق به .
(٤) المحصوص : الذى نتف ريشه . (٥) زقا : صاح .

لو ما رميتُ الحجـرَ الصلدَ بهـا أخدعـــه عَمـايةً لانفلقـا
تخلّق لى فى قلبِ كلِّ حاســدٍ إما هـــوًى محضًا .وإما ملَقـا
قـــد ترك الناسُ لهـا طريقَها وسلّموا الركضَ لهـا والعَنَقـا (١)
اذا الكلامُ الفصلُ كان ذنبـا أو كفلا كانت طُلًى (٢) ومفـــرِقا (٣)
غريبـــة الحدثان فى أزمانهـا بذّت فحـُـولَ الشـعراء السُّبَّقا
اذا الكلام اشتبهتْ شِـــياتُهُ (٤) واختلطتْ عرفتَ منها الأبلقا
يجهـــلُ منها الناسُ ما علمتَــه لا عجبـا أن يُحـــرَموا وتُرزَقا
فهى اليـــك دون كلّ خاطبٍ تُزَفُّ (٥) شَـــفعا وتساق رُفَقا
بشّرنى عنـــك الخبـــيرُ بالتى تحيي السرورَ وتميتُ الحُـــرَقا
وقال : صبرا وانتظر صبحَ غدٍ تُدنى السماءُ بـــدرَها المحلّقـا
غـــدًا تراه ، فرفعت ناظـــرا كان على قذَى الفـــراق مطبَقا
وقلتُ : نفسى لك إن قبلتهـا " حقُّ البشير، قال : رهنٌ غَلِقا
قـــد ملّكتنى غائبـا نَعماؤه وأفعمتْ قلـــبِيَ حتى اندفقـا
فـــلم يدع قبـــلَ اللقاء طَوْلُه فيـــه مكانَ فـــرحةٍ يومَ اللقا
فمرحبا اذا صـــدقتَ مرحبـا لك المـــنى إن تمّ أو تحققـا
جادتك أنـــواءُ الســـماء أبدا أين حللتَ وكّفًا ودُفّقا
ولا عدت بكتْبهـا ونشـــدِها سمعَـــك موردا بها مستطرَقا
ولا يزال المهـــرجانُ واضحـا بهـا عليـــك فى الطلوع مُشرِقا

---

(١) العنق : ضرب من السير السريع . (٢) الطلى : الأعناق . (٣) المفرق : محل فرق الشعر من الرأس . (٤) شيات جمع شية وهى لون يخالف معظم اللون . (٥) فى الأصل "ترق" .

والصوم والعيد الى أن ينطوى مرُّ النجوم طَبقا فطَبقا (١)
اذا دعوتُ الله أن يبقيك لى فقد دعوتُ للعالى بالبقا (٢)

*

وقال يمدح وزير الوزراء أبا سعد بن عبد الرحيم ويهنئه بالمهرجان

دعاها معقّلةً " بالعراقِ " الى أهل " نجد " هوى مطلقُ
فباتت تماكس (٣) ثِنىَ الحبال منها الكراكرُ (٤) والأسؤقُ (٥)
فيأبَى عليها المريرُ الفتيلُ (٦) ويسمح ذو الرِّمةِ المخلقُ (٧)
تحنُّ ويا عجبا أن تحنَّ لو أنها سائلٌ يُرزقُ
وما هى إلا بروقُ المنى خلاباً وما " السفحُ " " والأبرقُ "
فهل لمجعجعها (٨) أن يروحَ لو آنَ الرواحَ بها أرفقُ
مراتعُها أمسِ أمرَى لها وتربُ معاطنها أرفقُ
أتت " بابلا " ونبت " بابلٌ " (٩) بها وبكى المشئمُ (١٠) المعرِقُ (١١)
نخلِّ لها طُرقَها والظلامَ تحلُمُ فى السير أو تخرُقُ
وإن كذبتْ هاديات النجوم فإنّ لها مُقلًا تصدقُ
عسى رقُّها فى ديار الخمول اذا شارفت عزَّها يُعتَقُ
وقم أنت فاسبق بها المدلجين فعفوُ المياه لمن يسبِقُ
فإما اعتذرتَ وإما بلغتَ فحظُّك غايةُ من يلحقُ

---

(١) طبقا فطبقا : منزلة بعد منزلة . (٢) فى الأصل " البقا " . (٣) تماكس : تشاكس . (٤) الكراكر جمع كركرة وهى صدر البعير . (٥) الأسؤق جمع ساق . (٦) المرير الفتيل : الحبل المحكم الفتل . (٧) ذو الرمة المخلق : الحبل البالى . (٨) لمجعجعها : لمبركها ومنيخها . (٩) فى الأصل " وبلى " . (١٠) المشئم : قاصد الشأم . (١١) المعرق : قاصد العراق .

كم النوم تحت ظلال القنــوع وفوق القــذى جفنُك المطبَــقُ
تهُبُّ عليــك رياحُ المــنى فــتَروَى بمـا أنت مستنشقُ
وخِلفُ العــلا[1] وأفاويقُهـا[2] لغــيرك يُصــبَح أو يُغبَــقُ
وكم تســتقيمُ فتمشى الحظوظُ وحظُّك أعمى الخُطى مُزلــقُ
تُخفِّضُ من حيثُ تبغى العــلا وتُحرَمُ مِنْ حيث تَســترزِقُ
ترودُ لنفســك غيرَ المَــرادِ فــرِجلٌ سعت ويدٌ تُخفِــقُ
مطالبُ تُنفِــقُ فيهـا الزمانَ ومن صُلبِ عمــرك ما تُنفِــقُ
وحولك — حيث ترى — راعياك ثرًى منبتٌ وحيًا مغــدِقُ
ودارٌ تعــزُّ عــلى أهلهـا ولم تتقلقــل بك الأينــقُ
وأسماعُ[3] أبناء "عبــد الرحيـ ـم" تُصــغى وأبوابُهم تُطــرَقُ
وأنجمهــم لك رعيـا تضىء فتــورى وشمسهُم تُشــرِقُ
وباسم الوزيرِ — فعــذ بالوزيـ ـر — يُفتَح بابُ النــدى المغلَقُ
ألم تر للنـاس فى فــترةٍ وقــد أكلَ الأحلمَ الأخرقُ
ومن ركب الشرَّ طالت يــداه وطارت وخَــودٌ به معنِــقُ[4]
وفى كلِّ سرحٍ "أبو جعــدةٍ"[5] مكانُ الرُّعاةِ به ينعَــقُ
تجشَّمــه رحضُ ما دنَّســوا وإحسانُه جمــعُ ما فرَّقــوا
وكنتَ تغيبُ فتشرى[6] الأمو رُ ثمّ تعــودُ فتستوســقُ[7]
حَمَى "شرفُ الدين" أطرافَهـا ومن خلفها طاردٌ مرهــقُ

---

(١) الخلف : حلمة الضرع . (٢) الأفاويق جمع فيقة وهى اللبن الذى يجتمع فى الضرع بين الحلبتين .
(٣) فى الأصل "أسماء" . (٤) الوَخود والمعنق : المسرعة فى سيرها وفى الأصل "وجودا" .
(٥) أبو جعدة : كنية الذئب . (٦) تشرى : تضطرب . (٧) تستوسق : تجتمع .

وأضغاث أرسانها فى الرقاب ... تَواصل بالكف لا تعلقُ
فقوَّمَ والذئبُ مستأسدٌ ... وعدّل والفحلُ مستنوقُ
كريمٌ تصلصلَ من طينةٍ ... أعانَ المُطيبَ بها المعبقُ
رأت عينُ "ساسانَ" فيها النموَّ وهى على كفّه تشرَقُ
فشجّوها شرفا لاحقا ... اذا هجّن (١) النسبَ الملصَقُ
تلألأُ فى أفقها أنجمٌ ... بحاشيتَىْ بدرها تُحدِقُ
تودّ البحارُ لأصدافهنَّ ... لو هى عن مثلها تُغلَقُ
رعاك مليكٌ رعى الملكَ منك ... بعينٍ على الضيم لا تُطرقُ
وأنقذه بك فانتاش (٢) وهو محترشٌ (٣) ما له مَنفقُ (٤)
حملتَ الوزارة حملَ الخفِّ ... وقد أثقلتْ غيرَك الأوسُقُ (٥)
وكم عالجوها بخُرقِ الأكفِّ ... ورأيُك فى طبّها أحذقُ
وسعتَ بصبرك إصلاحَها ... وصدرُ الزمانِ بها ضيّقُ
وأخّرهم عنك إذ قدّموك أنك تفرِى (٦) الذى تخلُقُ (٧)
وتَرتُقُ ما فتقته الرجالُ ... ولا يرتُقون كما ترتُقُ
فكونوا لها كلما عُطّلتْ ... حلّى منكم القُلبُ (٨) والأطوقُ
وزدْ شرفا أنت يا تاجها ... ولا افترق التاجُ والمفرِقُ (٩)
يريد سواكم شاءً بها ... فتأبَى عليه وتستطلقُ

---

(١) هجّن: قبّح وعاب . (٢) انتاش: أنقذ . (٣) محترش: مجتمع . (٤) المنفق: جحرة اليربوع يخرج منها الى غيرها . (٥) الأوسق جمع وسق وهو الحمل الثقيل . (٦) تفرى: تشق . (٧) تخلق: تقدّر . (٨) القُلب: السوار . (٩) المفرق: محلّ فوق الشعر من الرأس

ويســتروح النـاسُ أثوابَهـا	وأردانُهـا (١) بكـم أعبـقُ
علوتَ فمـا تنتحيك الصــفاتُ	بسهــمٍ ولـــو أنه مغــرِقُ (٢)
فسيَّان فى مدحك النـاجمِ (٣) الـ	ـمُعــذِّرُ والمنتهِى المفـلقُ
اذا جدتَ أنطقتَ من لا يدين	وإن قلتَ أخرست من [ينطق] (٤)
فقــد شكّ ربُّ الكلام البليـغ	أيكســدُ عنــدك أم ينفُقُ!
فداك — وكيف له لو فداك —	طليــقٌ بروعتــه مــوثَقُ
تَكنّفُــه مانعـاتُ البــلا	د وهـــو على أمنها يفــرقُ (٥)
يخـال ســيوفَك يخطفنــهُ	ومن دونه البـابُ والخندقُ
ويعــلم أنّ القنـا فى يديــك	يــراه على البعــد أو يرمُــقُ
وكيف تحيــلُ خفايا الشخوص	عــلى أسمرٍ لحظُــهُ أزرقُ
تســمَّعْ لهـا، تستحقّ الحلِيـ	ـمَ منهـا الطــلاوةُ والرونــقُ
وِهادُ الكلامِ وأجبالُه	طــريقٌ بحافــرها يُطــرقُ
نوافثُ فى عُقَــد المـانعين	فكلّ يبيس بهـا مــورقُ
ســوائر بالعرض ســيرَ النجوم	لهـا مغــربٌ ولهـا مشــرقُ
دعاةٌ بحمــدك فى الخافقيْن	لهـا بــك ألــويةٌ تخــفقُ
لك السكبُ من سُحبها والعهاد	وعند العدا الحصَبُ المصــعقُ
يكيس (٦) بهـا والدٌ منجبٌ	اذا ولَدَ الشـاعرُ المحمِــقُ (٧)
بقيت وقـــد فنىَ القائلون	عليهـا وما حَزَنى لـــو بقُــوا

(١) أردان جمع ردن وهو الكم . (٢) المغرق: الذى بولغ فى غاية مدّه فى القوس، وفى الأصل «معرق» . (٣) الناجم: الناشئ . (٤) ليست بالأصل . (٥) يفرق: يخاف . (٦) يكيس: يأتى بأولاد كيس أى ظرفاء . (٧) المحمق: الذى يأتى بأولاد حمق .

(٢٩٢)

تُذَكِّرُكم فِيَّ حفظَ العهود ... وإن لم يضع عندكم مَوثِقُ
تحاشيكُمُ أن أُرى ظامئا ... أحوم وواديكُمُ مُتأَقُ (١)
ويوحشها أنَّ ربعى على ... تجدُّد دولتكم مُخلِقُ
وأنى بمضيعةٍ ، مثلُكم ... على الفضل من مثلها يُشفِقُ
ترى الناسَ لم يُسلفوا مثل ما ... لها وهى تهبط قد حلَّقوا
وفى الحقِّ ـ والحكمُ العَدْلُ أنت ـ ... اذا لحقوا أنها تَلحقُ
أمنتُ عليك صروفَ الزمانِ ... وأخطأك القَدَرُ الموبِقُ (٢)
ودارت لك السبعة الجارياتُ ... بما تستخبُّ وتستوفقُ
وعُدَّ ألوفا لك المهرجان ... يُجدُّ السنين كما يُخلِقُ
يزورك مسترفدا سائلا ... فيغمره سيبُك المغدِقُ
ويُذهله وجهُك المستنيرُ ... عليه ومجلسُك المونِقُ

* * *

وكتب الى عميد الدولة أبى طالب يهنِّئه بالعيد والمهرجان

سل "أبرقَ الحنّانِ" (٣) ـ واحبس به ـ ... أين ليالينا على "الأبرقِ" ؟
وكيف باناتُ "بسقط اللّوى" ... ما لم يجُدْها الدمعُ لم تورقِ ؟
هل حملَتْ ـ لا حملَتْ ـ بعدنا ... عنك الصَّبا عَرْفا لمستنشقِ ؟
جدَّدَ ما جدَّدَ من لوعتى ... أخذُ البلى من ربعك المخلقِ
لتبخل الأنواءُ أو فلتجُدْ ... عليك بالمنهمر المغدِقِ
أغناك صوبُ الدمع عن مِنَّة ... أحملُها للرعدِ المبرقِ
دمعٌ على "الخَيف" جنى ما جنى ... بكاءَ "حسّان" على "جِلّقِ"

---

(١) متأق : مملوء . (٢) الموبق : المهلك . (٣) أبرق الحنّان : ماء لبنى فزارة يسمع فيه الحنين .

لله رهن لك يــومَ النقـا ... لــولا وفاء الحبّ لم يَغـلَقِ
يا سائقَ الأظعان رِفقا وإن ... لم يُغنِ قولى للعســوِف : آرفُقِ
أؤاخذ الحـادى ونفسى جنَت ... لو شئتُ لم أبك ولم أشــتقِ
لــولا زفيرى خلف أجمالهـم ... ووخـــزُ أنفـاسِىَ لم تَنسـقِ
يا غدرَ من لم أكُ من غدره ... بخـائف القلب ولا مشــفقِ
ما لغـــريمى قادرا واجـــدا ... يمطُــلُ مطلَ الفـاجر الممــلقِ
وما عـــلى اللائم فى حبّـــه ... ما ضاع من حلمِىَ أو ما بــقى
أنفقتُ لِّى فى الهـــوى طائعا ... والخلَف العاجـــلُ للنفـــقِ
لا تبدؤا بالعـــذل صدرى فما ... أستنجدُ المـاءَ على محـــرقى
سمّيتَ لى " نجدا " على بعـــدها ... يا ولَهَ " المشئِم " " بالمعــرقِ "
داوِ بها حـــبّى فما مهجـــتى ... أوّلُ مخبــولٍ " بنجــدٍ " رُقِى
ومنكرٍ شمطاءَ مــدّت الى الـ ... خمسين يدلوها فــلم تلحـــقِ
جنَت شَطاطى وجَنَت ما جنتْ ... من صــدإٍ عمّ عـــلى رونقِ
لا بدّ أن يُفتَـــقَ عن فجـــرها ... وإن تمـادت ليــلةُ المغيســقِ
ما ضرّها خائنـــةً لـــو وفتْ ... أو ضرّنى لو كنتُ لم أعشـــقِ
كان مشيبا ضـــلّ عن نهجه ... فـــدلّه الحبُّ عـــلى مَفــرِقى
وموقفٍ هبَّ عـــلى غِــرّةٍ ... يطـــرقنى ساعةَ لا مطـــرَقِ
والنجمُ حىٌّ نبضُـــه راسبٌ ... فى لجّـــة الخضراء لم يغــرقِ
قال : آنتبـــه للحظّ كم خفقـة ... على مِهـاد الخامـــل المخفـــقِ
حتّـامَ تحويمٌ عـــلى عُسرةٍ، ... حـــلِّقْ الى النّســـر بنـا حَلِّقِ
قلتُ : بغـــيرى فتحرّش لهـا ... • فالنّهضـــة الخـــرقاءُ للأخرقِ

أما ترى المالَ وجمّاتِه[1] | في قُلُبٍ[2] تنهارُ بالمستقي
يسوغ بالعين فمن رامه | بالفم قال المنعُ : رِدْ تشرَقِ
وما آنتفاعي بحيًا واسعٍ | تخفره ذاتُ جَدًا ضيِّقِ
لا مسّ للحرمانِ عندي اذا | كنتُ من البُخّال لم أرزَقِ
لا أجلب الرزقَ اذا لم يكن | يدرُّ من أكرم مسترزَقِ
قناعة أعتقَ عزّى بها | عُنْقٌ وعبدُ الحرص لم يُعتَقِ
حلفتُ بالخضّع أعناقها | تذرع بالواخد والمعنقِ[3]
كالسطر بعد السطر مخطوطة | من صفحة البيض على مَخرقِ[4]
ينصُّها السير على لاحبٍ[5] | مثلِ صليفِ[6] الجمَل الأورقِ[7]
تقدَحُ صُقّاحِ الثرى كلّما | لاحكتِ[8] الأعضاءَ بالأسؤقِ[9]
تسمحُ للجلمدِ[10] أخفافُها | بكلّ ما يعرُقُ[11] أو ينتقي[12]
يطلبن محجوبا عتيقَ البِنى[13] | لولا دفاع الله لم يعتَقِ
والأسودِ الملثوم[14] أحوالَه[15] | من كلّ أوبٍ[16] فِرقٌ تلتقي
تهوى بشُعثٍ[17] بُدّلوا سُهمةً[18] | بكلّ ضاحٍ[19] لونُهُ مونقِ[20]

(١) الجمات جمع جمة وهى الماء المجتمع . (٢) القلب جمع قليب وهى البئر . (٣) الواخد والمعنق اللذان يسيران سير الوخد والعنق وهما ضربان من السير . (٤) المخرق : الفلاة . (٥) لاحب : واضح . (٦) الصليف : صفحة العنق . (٧) الأورق : من الإبل ما فى لونه بياض الى سواد . (٨) لا حكت : زاحمت . (٩) الأسؤق جمع ساق . (١٠) الجلمد : الصخر . (١١) يعرق : يأخذ ما عليه من لحم . (١٢) ينتق : يأخذ نقيه أى مخه . (١٣) البنى جمع بنية وهى ما بنيته والمراد بعتيق البنى : البيت الحرام . (١٤) الأسود الملثوم : الحجر الأسود الذى بالكعبة . (١٥) أحواله بمعنى حوله . (١٦) الأوب : الطريق والناحية . (١٧) الشعث جمع أشعث وهو المغبر شعر الرأس المتلبدة . (١٨) السهمة : تغير اللون مع هزال . (١٩) الضاحى : المشرق . (٢٠) المونق : المعجب .

زفّــوا جِمــاماً[1] وعدُّوها "منّى" متى تضــعْ أوزارَها[2] تُحْــلَقِ

لولا ابنُ "أيّوب" وآباؤه لم يُبْضَــع الفضــلُ ولم ينفُقِ[3]

ولا ســرى مُلكُ بنى "هاشم" فالحــقَ المغــربَ بالمشرقِ

لقــد أوى منهــم الى هضبةٍ تزِلُّ عنهـا قــدمُ المــرتقى

هــم عزّزوه ورَمَــوا دونه بكلّ مطــرورِ[4] الشّبا[5] مطــلَقِ

يطيعــه المــوت اذا ما عصت به يمينُ الخـاطبِ المفــلقِ

نصرُ بنى "الأشهلِ"[6] من قبلهم عــلى بنى الأحمــرِ والأزرقِ

وما وَهَى إلا غــدا ممسكا منهــم بثِنْيِ[7] الأحصفِ الأوثقِ

لا كرجالٍ قُــلِّدوا حكمَــه خلطــوا المــذوقَ[8] بالريّقِ[9]

من كلّ ناسٍ فى غــيدِ بعثَــهُ لم يــرهب الله ولم يتّــقِ

باعَ هــداه طائعا عن يدٍ يدًا عــلى التوفيــق لم تُصفقِ

يرتــفق الأجرَ عــلى دينــه لو كان حرّ الدِّين لم يرفــقِ

حتى كفى اللهُ فُــدّت يدٌ طُــوبَى يقى[10] اللهُ لهـا مَن تقى

دلّت وقامت فى "أبى طالب" شهــادة المــورق للعــرقِ

شفت به الدولةَ بعــد الصدى[11] جلجالةٌ[12] أمُّ حيـا[13] مطبِــقِ

زَلالةٌ طيِّبــــةٌ ريحُهـا ما قيــل للســاقى بهـا رقّــقِ

جاءت بجَــنّى ماؤه مخصبٌ أدرك بعــد المحصبِ المصعقِ

---

(١) جمام جمع جم وهو الكثير من كل شىء . (٢) الأوزار : الأثقال واحدها وزر . (٣) لم ينفق : لم يرج . (٤) المطرور : المحدّد . (٥) الشبا جمع شباة وهى سنّ السيف والرمح . (٦) الأشهل : حىّ من العرب . (٧) الثنى : الحبل . (٨) المذوق : المشوب . (٩) الريق : أول كلّ شىء وأفضله . (١٠) فى الأصل "يق" . (١١) الصدى : الظمأ . (١٢) الجلجالة : الرعّادة من السحاب . (١٣) أمّ الحيا : السحابة .

كانت على الفـــترة لم تُحتَسَبْ مفتاحَ باب الفـــرَج المغـــلَقِ
إن «الإمامين» به آســـترعيـا فتًى لغـــير الخـــير لم يُخـــلَقِ
مُرّ القِـــلَى والسخطِ، حلو الرضا والوجه والأخـــلاقِ والمنطـــقِ
طال بكـــفٍّ رطبـــةٍ عفَّـــةٍ مذ بُسطت للجـــود لم تُطبَـــقِ
أغنتهما من قبـــلُ تجريبهـا كالسيف يُعطَى العتـــقَ بالرونقِ
جَلتْ دُجَى الظـــلم له نُقبـــةٌ[1] بمثلهـا الظـــلماءُ لم تُفتَـــقِ
فأدركـاه غرضـا قـــطّ لم ينبِضْ له الظنّ ولم يوفـــقِ[2]
نصحا كما شـاء ورأيا مـــتى يقـــلْ بغيبٍ قـــولةً يصـــدُقِ
فكم حشًا قـــرّت على أمنهـا بعـــد آفتراشِ الحذرِ المقـــلقِ
لم تـــك يا بازلُ[3] فى حملـــها مقطِّـــرا[4] تظلَّـــعُ[5] بالأوســـقِ[6]
ولا دخيـــلَ الظهر فى صـــدرها مدلسـا بالنسبِ الملصَـــقِ
لم تقتعـــدها رغبـــةٌ فى اللُّهـا[7] ولم تخـــف ضيمـا ولم تفـــرَقِ
أبوك من قبل آمتطى دَستَها ســـبْقا وقال: آقتَفِنى وآلحـــقِ
لطيمـــةٌ[8] ريحانُهـا لم يـــلق بغـــيركم قـــطّ ولم يعبَـــقِ
ميراثهـا فيـــكم فمن رامها يغصِبْ ذليلَ الغصبِ أو يسرِقِ
فآرعَ بهـا حقـــك من روضـــةٍ بأعينِ الروّادِ لم تُرمـــقِ
فى سـابغٍ من ظلهـا واسعٍ وســائغٍ من مائهـا ريِّـــقِ
تفـــوز بالجـــذلِ منهـا ولل حسّاد حظُّ المكمَـــدِ المحنَـــقِ

(١) النقبة: الوجه. (٢) لم يوفق: لم يوضع له فوق. (٣) البازل: المسنّ من الإبل.
(٤) المقطّر: الذى يلق الراكب على قطره. (٥) تظلع: تعرج، وفى الأصـــل «تطلع».
(٦) الأوسق: جمع وســق وهو الحمل الثقيل. (٧) اللها: جمـــع لهوة وهي أجزل العطايا.
(٨) اللطيمة: نافجة المسك.

(٢٩٥)

وآسحب ذيولا من كراماتها   لم تَبـل بالسحب ولم تُخـلق
كساك منها المـدّ فضفاضـةً   بغـير أعطـافك لم تلبُـق (١)
بان بك الجـودُ على معشـرٍ   كما تجلّت شِـية الأبلـقِ (٢)
أنت الذى لو لم تكن مطمعى   ألجمـنى اليأسُ فلم أنطـقِ
أعلقتـنى منـك بمفتـولةٍ   حصـداءَ ما خاربها مَعلـق (٣)
كلّ يدٍ تحرشـنى بالأذى   فأنت من محفارها منـفق (٤)
فى زمن يرشُـقنى كيـدُه   ليس له غيرىَ من مَرشَـقِ
يـرى خـوافىَّ بمـا لا أرى (٥)   إذ كنت عن قادمتى أتّقى (٦)
ذاك لأنّى بين أبنائـه   لم آلَف المُجْـرَ ولم أخـرقِ (٧)
موحّـدٌ لـو نخلَتْ كفّـهُ   عن مثلىَ الغـبراءَ لم تلحَقِ
وهـو عدوّ الفضـل مذ لم يزل   يكاثر الأحـلَمَ بالأنـزقِ
فابق فما مثـلُك جـودا ولا   مثـلى مليًّا بثنـاءٍ بَـقِ (٨)
وآسعد بعيدين : جديد العلى   ومُخـلِق فى مُـذهَبٍ مخـلقِ
فسـلم ينظـره من علٍ   وكافر ذو ناظـرٍ مطـرِقِ
تصـاحبا مـع خُلفِ حاليهما (٩)   تصـاحبَ الموسِـر والمخفِـقِ
يضـمُّ إقبـالُك شمليهـما   فيُلحـق المأسـورَ بالمطـلَقِ
وآنضُ ثيابَ الصـوم عن عاتق   من كلّ وِزرٍ فى غدٍ معتَـقِ
وراعِ فى الإمكان ما أغفلت   منّىَ عينُ المحرِجِ المرهِـقِ

---

(١) لم تلبق : لم تلق . (٢) الشية : لون يخالف معظم اللون . (٣) الحصداء : المحكمة النسج . (٤) المنفق : المحل الذى يخرج منه اليربوع الى غيره . (٥) الخواق : ريشات اذا ضم الطير جناحيه خفيت . (٦) القادمة : ريشة من كبار الريش فى مقدم الجناح ، وفى الأصل "وأنا عن قادمتى" الخ . (٧) لم أخرق : لم أحق . (٨) مليا : طويلا . (٩) فى الأصل "تصاحبها" .

قد كان ريبٌ بك لو لم أكن … آخُـذُ بالأحـزم والأوثقِ
وآبنِ بها عذراءَ مولـودةً … فى الحِلّ لم تُسبَ ولم تُسرَقِ
ناشـزة لـولاك ما أُنكحتْ … وهى اذا طَلُقت لم تطـلُقِ
مسـبوقة آخـرها عصـرُها … وهى الى الإحسـان لم تُسـبَقِ
أَنبطتُهـا من ثَغَبٍ(١) ماؤُه … شـريعةٌ(٢) قبـلِيَ لم تُطـرِقِ

* * *

وكتب الى بعض الرؤساء من أصدقائه ، وكان ناظرا فى ميسان حربا وخراجا ، ولها خبرٌ يجىء بعد ، ويذكر آسم صاحبها ، وفيها صفة السفينة

أروْضُ الوادى أم آبيضُّ الغسقْ(٣) … أم طيفُ "ظمياءَ" على النأى طرقْ ؟
جاء عـلى غربتـه(٤) لم يحتـفل … ما نكدُ الأرض وما تيـهُ الطرقْ
تحمـلهُ راحـلةٌ كاذبةٌ … من الكرى تُشكر شكرَ من صـدَقْ
فقمت أمشى نائمـا ينفضـنىْ … إكبارُ ما خاض الىّ وخـرقْ
مرتشـفا تـرابَه أعـرفه … من غـيره بما آستفاد من عبَقْ
والركبُ قـد ألهـاهُمُ عن شأننا … يوم "النخيل" سامنى مالم أُطِقْ
وناظـر رقادُه من غـدرِهِ … لولا فـراقُ الطيف ما ذمّ الأرقْ
ناشدْ غصونا "باللوى" موائلا … طوعَ النسـيم تلتوى وتفـترقْ
أهنّ أحلى أم قـدودٌ تلتوى … شكوى على جمرِ النـوى وتعتنقْ؟
وعن قنـاةٍ لحظُها عاملُهـا ، … وحُبّبَ الرمحُ إن آسمـرّ ودقْ
لميـاءَ يُلقَى الظبىُ من أوصافه … صِـفراً اذا ردّ الذى منها سرقْ

---

(١) الثغب : الغدير يكون فى ظل جبل لاتصيبه الشمس فيبرد ماؤه . (٢) الشريعة : طريقة الماء . (٣) الغسق : الظلام . (٤) فى الأصل "غربه" .

تمَّ البـــدورُ وهـــلالُ وجهها	ما بلـــغ الـــتمّ بهـا ولا آمَّحـــقْ
فارقتُ حولا أهلَ "نجدٍ" والهوى	ذاك الهوى وحُرَق تلكَ الحُـــرَقْ
فقلْ لمن ظنّ البعادَ سـلوةً :	لا نَنتحِلْ طعـمَ شيءٍ لم تـــذُقْ (١)
آه لقلبٍ شـــقَّ عنـــه أضلعى	من "الحِمى" تخالجُ البرقِ الشفقْ (٢)
ثار به الشـــوقُ فهبّ فهـــفا	تطلُّعـا ثم نـــزا ثم مرَقْ (٣)
أنشُده، وليس فى أهل "مِنًى"	ـ والقوم حَجٌّ ـ مَن تعرَّفَ الشَّرَقْ (٤)
لله عيشٌ "بالحِمى" تعلّقتْ	حبالُه بيـــد قطّاع العُـــلَقْ (٥)
صحبتُ منـــه رُفقـــةً سـائرةً	لو أمهل الحادى العنيفُ أو رَفَقْ
أيّامَ لى من الشـــباب دوحةٌ	ملتفَّـــةُ الأغصان خضراءُ الورَقْ
ولِمَّتى تقطُر من ماء الصِّـــبا	شرطَ المفـــدَّى ما فلا وما فرقْ (٦) (٧)
اذا الظباء نفـرتْ من قانص	تزاحمتْ عـــلى حبـالى وربقْ (٨)
فاليـــومَ لا أرجـــع إلا مخفقا	مُحصَّنَ المـــدية مثنيّ الورقْ (٩)
قالوا : المشيبُ لِبســـةٌ جديدةٌ،	خذوا الجديدَ وآستردّوا لى الخَلَقْ
أسلفتُ دهرى غَبنًا ، فارتجعتْ	أحداثُه منى الذى كان آســـتحقّ (١٠)
كم قـــد ركبت ظهـره، ولُجُى	تُبدلُه عن العليـــق بالعَـــلَقْ (١١)
أجريتُـــه ركـضا الى مآربى	وخَبَبًا حـــتى أفـوزَ بالســـبَقْ

(١) فى الأصل هكذا "نَنحل". (٢) الشفق صفة للبرق بمعنى الأحمر. (٣) نزا : وثب.

(٤) الشرق جهـة شروق الشمس، والشرق أيضا الشمس. (٥) العلق جمـع علقة بمعنى التعلق بالشىء. (٦) اللمة : الشَّعر المجاوز لشحمة الأذن. (٧) المفدّى : من تلزمه الفدية فى الحجّ اذا فلا رأسه أو فرقه. (٨) الربق جمع رِبقة وهى عروة تشـد بها الدوابّ.

(٩) الورَق جمع ورقة وهى جُلَيدةٌ توضع على حزّ الوتَر من القوس. (١٠) الغبَن : الخداع فى البيع والشراء كالغبْن بتسكين الباء. (١١) العلق : الدم.

فلم تزل خُطاه بى قصيرةً ... وجَلَدى حتى رضيت بالعنق(١)
قالت : يئستَ فجلستَ حَجْرةً(٢) ... والرزقُ فى أخرى يصوبُ ويدق(٣)
مزمّلا بعيشةٍ ذبذابةٍ ... لم يَكِس(٤) الدهرُ بها ولا حَمُق
تألفُ دارا " بالعراقِ " جدبُها ... قد عدِمَ اللحمَ وعاد يعترق(٥)
أضَربتْ أسدادُ " جوٍّ " غيرَها ... على المطىّ أم على الأرض طبَق؟
يُحبُّ كِسرَ(٦) البيت إما عاطلٌ ... من العلا أو طائش القلب فرِق(٧)
مجثمتانِ(٨) أين أنت منهما ... هما الثرى وأنتَ بيضاءُ(٩) الأفُق
عنّى ! فما أعدلها قضيةً ... لو أنّ من يُحرَم بالفضل رُزِق
أما رأيتِ الفضلَ واجتماعَه ... فى وطنٍ والحظَّ قلّما اتفق!
العربىُّ راقعٌ شملتَه(١٠) ... والقروىّ بالنُّضار ينتطق
من لى بسوقِ المائقين(١١) يُشترَى ... حلمىَ فيها برقاعةِ(١٢) النَّزِق!
وقد حرصتُ مطلِقا أعنّتى ... لو أنّ معقولَ القضاء ينطلق
والشعرُ قد أبضعتُه فكاسدٌ ... أو نافقٌ(١٣) وليت(١٤) [شعرى](١٥) ما نَفَق
عبّدتُه حرًّا لقومٍ عنّفوا ... بملكه فما نجا حتى أبِق(١٦)
فصرتُ إن أردته لمثلها ... أبَى علىّ خيفةً منها وشَق
وقد عصانى فى الملوك زمنا ... فهل تُرى يُسمِح فى مدح السُّوَق؟

(١) العنق : ضرب من السير السريع . (٢) حجرة : ناحية . (٣) يدِقّ : ينهلّ بالودْق .
(٤) لم يكس : لم يفطن وهو ضدّ حمق . (٥) يعترق : يأكل ما على العظم من لحم .
(٦) كسر البيت : جانبه . (٧) الفرق : الخائف . (٨) الجثمة : محلّ الجثوم .
(٩) البيضاء : الشمس . (١٠) الشملة : الكساء . (١١) المائقون : الحمق .
(١٢) الرقاعة : الاتساع ومنه رقاعة العيش؟ تساعه . (١٣) نافق : رائج . (١٤) فى الأصل هكذا " ولب " . (١٥) ليست بالأصل . (١٦) أبق : هرب من سيّده .

لو كان كالأمير كلُّ سامـــع لم يُحتبَسْ عن شأوه ولم يُعَقْ

ولو "بسـعد الدولة" آشتغاله مذ سار ما سار بمَدحٍ مختـــلَقْ

حارن ما حارن وآرتاض له لقـــد أرمَّ (١) ولأمر مّا نطـــقْ

أصـاب كفئًا ورأى ضريبـــةً فقالتَ الغِـــمدَ اليها وآندلقْ

ومرّ مشـتاقا مع الأوصـاف لا تُملّك منـــه صهوةٌ ولا عُنُـــقْ

طابت له الأنبـاءُ فاســتروحها شمًّـا ، وللجـــود رياحٌ تُنتَشَـقْ

يا راكبا تنقُـــله سابحـــةٌ (٢) ورهاءُ لا من جِنّةٍ ولا خُرُقْ (٣)،

ســوداء من لباسها وجلدها، وجسمُها أبيضُ عريان يَقَـــقْ (٤)،

أرضـعها البحـــرُ وربّاها وما تخشَى على ذاك ردًى من الغـرَقْ،

اذا المطايا ألِمَتْ من الصدى خِمسًا وعِشرا (٥) ألِمت من الشَّرَقْ،

تُحدَى برجْزٍ (٦) ليس من أشجانها ونغَـمٍ لم يُصـبِها ولم يَشُـــقْ،

تركب من هُـــوج (٧) الرياح غَرِرا (٨) وما لهـا إلا بهنّ مرتفـــقْ:

بلّغ "بميسان" اذا بلغتهـا عاقــــلةَ (٩) الثـاوى وزادَ المنطلِقْ،

وقمـــرا يطلـــع فى سمـائهـا ونـــورُه فى الخافقيْن يأتلِقْ،

وقـــل كما شاء النـــدى لخالدٍ قـــولةَ لا تخلُّبٍ ولا مَـــلَقْ:

يا خير من حلّت على أبوابه رحائل البُـــدْنِ (١٠) وحاجات الرُّفَقْ

---

(١) أرمّ : سكت . (٢) يريد بالسابحة السفينة . (٣) الورهاء : الحمقاء، والخرق : الحمق . (٤) يقال أبيض يقق كما يقال أصفر فاقع وأحمر قانئ . (٥) الخمس والعشر من أظماء الإبل وهو ورودها على الماء فى اليوم الخامس والعاشر . (٦) الرجز : الإنشاد . (٧) هوج جمع هوجاء وهى الريح التى لا تستوى فى هبوبهـا . (٨) الغرر : الخطر . (٩) العاقلة : قرابة الرجل من قِبَل الأب . (١٠) البدن جمع بدنة وهى الناقة .

ومَن أتتــه كالجبال عُجَفًا (١) ورجَعتْ كالوَسْقِ من تحت الوَسَقْ (٢)

لــولا السماحُ وغرامٌ بالنــدى لمـا قَرعتَ تطابُ المـالَ الحَلَقْ (٣)

ولا شهدتَ اليــومَ تغلِي قِدرُه لو لم يَصُبْ ماءُ الطُّلَى فيه احترقْ (٤)

عمّت على أشــعارها (٥) صِبائغٌ تولّدت بين النجيــع والعــرَقْ

يحملن كلَّ خائضٍ بحــرَ النــدى حتى يرى الموجَ عليــه ينطبِقْ

كأنه بالمــوت يقضى لذّةً أو بفراقِ نفســهِ يشفى حَنَقْ

كتيبة خرساء إلا قَــونَسٌ (٦) يطِنُّ أو حرٌّ غلامٌ فصَــعِقْ

لم تر من قبلك خِرقًا (٧) قادها أُسْــدَ شَرًى تهفو عليهنّ الخُرُقْ (٨)

اذا طغى على " الصليق " (٩) زأرُها فأضلُعُ " البصرةِ " منها تَصطفِقْ

لواؤك المرفــوعُ من أمامها لم يخفض ولا هوى منــذ بسَقْ

كأنه أبصر أكباد العــدا تنزو (١٠) فأعــداه الخفوقُ نخفــقْ

قــد جرّبوا كيدك أمسِ، والذى عنــد غدٍ أشق عليهــم وأشقّ

يا فارس القرطاس والسيف لقد جمعتَ من ذى طرَفَين مفــترَقْ

حــتى لقالوا : طاعنٌ بقــلمٍ أو كاتبٌ بالرمح فى الطِّرس مشقْ

عرفتَ من نفســك ما لم يعرفوا فطِرتَ حتى صرتَ حيث تستحِقّْ

كم عجبــوا منــك وأنت ترتقِى وآنتظَــروا فيك الزليــلَ والزلَقْ

---

(١) العجف : ذهاب السمن. (٢) الوسق : الحمل الثقيل وحرك للضرورة. (٣) المـال الحلق : الإبل الموسومة بالحلقة . (٤) الطلى : الأعناق . (٥) أشعار جمع شَعْر. (٦) القونس : أعلى الرأس . (٧) الخرق : الكريم السخى . (٨) خرق جمع خريق وهو المطمئن من الأرض . (٩) الصليق : مواضع كانت فى بطيحة واسط بينها و بين بغــداد كانت دار ملك مهذب الدولة أبى نصر المستولى على تلك البلاد . (١٠) تنزو : تضطرب وتثب .

وخاوصـوك[1] حسَـــدا بأعيـن ... لم تحفِـل الشّهلةَ[2] منهـا والزَّرَق
حـــتى تركت النجم فى خضرائه ... يخطر زهوا أن سَبَقتَ ولحـــق
فالمـال إن لم تلتحف بريشـــه ... ولم تنُطْـــه بيـــدٍ ولم تُـــلِق[3] ،
أنفقتـــه فى الجود فهـــو بددٌ ... فى الأرض حتى ما له منك نفَق
والحوضُ يُفنيـــه آعتــواُر شَفَةٍ ... فشفةٍ وإن عـــلا وإن عمُـــق
وفُرُ الفـــتى ما شاء من حديثـــه ... والمجـــدُ فى غيرِ النُّضـارِ والورِق[4]
هل لك فى ودٍّ على شحط النـــوى ... صفًا على غِشِّ المـــودّات ورَقّ؟
وصاحبٍ كما آشترطتَ صاحبـا ... أخلصَ ما كان اذا قلتَ : مَذَق؟
يكيلك البِرَّ بصـاعٍ أصـــوُعا ... وإن عققتَ ــ غيرَ غدرٍ ــ لم يعُقّ
مطهَّـــرِ الشيمةِ غُنمٌ قـــربُهُ ... محبَّبِ الإكثار محفـــوظ النُّطُق
لا يشربِ الراحَ لأن تُسكِـــره ... لكن لأن يحـــذُبها حسنَ الخُلُق
سيفٌ اذا أنت عرفتَ قـــدرَه ... فَـــرِى[5] بأعناق عِـــداك وفَلَق
أتاه عنـــك من أحاديث النـــدى ... والمجـــدِ ما صبا اليـــه وأرِق
فساقها عـــذراءَ ما خطبتَهـا ... وكم غلا خِطبٌ[6] بهـا فلم تُسَـــق
ثمينـــةَ البُضـــعِ حصينا سرّها ... عـــلى الرجال حرّةً لا تُســـترَقّ
إن آنستْ خيرا أقامت أو رأت ... ضيما أجاز حكمهـا أن تنطـــلق
العَقـــدُ والتطليقُ للبعـــل، وفى ... قبضتها أقرَّ بعـــلٌ أم طَـــلِق[7]
إنســـيّة تحسَب نفثَ سِحـــرها ... كلامَ جِـــنّىٍّ حكى ما يســـترِق

(١) خاوصوك : حدّقوا فيك . (٢) الشهلة : حمرة تشرب الحدقة ؛ والزرق : أن تشوب سواد العين زرقة . (٣) لم تُلِق : لم تُمسِكْ . (٤) النضار : الذهب ، والورق : الفضة . (٥) فرى : شقّ . (٦) الخِطب : الرجل الذى يخطب المرأة . (٧) طلَق : تباعدَ .

حاضـــرة تحسبهـــا باديةً تديّرتْ داراتِ "خبتٍ" "فالبُرَقْ"(١)

أخّرها الميـــلادُ وهى رتبـــةً فى الشعر بالتقديم أولى وأحـــقّ

اذا قـــرنتَ بالفحـــول شأوَها حكمتَ أن السـابقَ الذى سُـبِقْ

فاجتلِهـا من فم راوٍ قـــد فَرَى(٢) بالسـعى فيهـا لك دهرا وخَلَقْ(٣)

أَشفقَ أن يَعْطُلَ ـ وهى مفخرٌ ـ عرِضُك منها ، والمحبُّ ذو شَفَقْ(٤)

فاشكر له ما حملَتْ يمينُـه منهـا وما فتّـقَ فيهـا ورتَقْ

وٱعرف لمهديها لك ٱفتتاحَـــه فى المـــدح باباً عن سواك منغلقْ

وجازِهِ وٱبقَ عـــلى وداده مسلّمـا ما طـرد الليلَ الفـلقْ(٥)

ولا تَعلَّـــلْ بٱستمـاع غـيرِها فإنمـا تلك بُنيّـاتُ الطُّـرُقْ

✦ ✦ ✦

وقال يمدح الملك شاهانشاه جلال الدولة أبا طاهر رحمه الله، ويهنئه بالمهرجان، وأنشدها بحضرته

اذا لم أحظَ منـك على التلاقى فمـا بالى أُروَّعُ بالفـــراقِ!

بعادُك حيث لا يرجـوك راجٍ كقربكِ حيث لا يلقـاكِ لاقى

فمن يشكُ النوى أو يبكِ منهـا فلا دمعى هنـاك ولا ٱحتراقى

نواكِ من الملال أخفُّ مسّـا عـلى كبدى وأبردُ لٱشتياقى

ولولا البينُ لم أملِكْ وُصـــولا الى قُبَـــلِ الوَداع ولا العِنـاقِ

عـــلى أنّى وأنتِ النجمُ بعـــدا حديثُكِ بين صدرى والتراقى(٦)

---

(١) البرق جمع برقة وهو ٱسم لكثير من المواضع . (٢) فرى : شقّ . (٣) خلق : قدّ وقدّر من خلَقَ الأديمَ أى قدّره قبل فريه . (٤) الشفق : الخوف . (٥) الفلق : الصبح . (٦) التراقى جمع ترقوة وهى مقدم الحلق فى أعلى الصّدر .

أقول لصاحبيَّ غداة "جمع"[1] وأيدى النفـــر[2] تلعب بالرفاق:
قِيانى[3] من سهام بنات "سعد"[4] وهـــل ممـا قضاه الله واقِ ؟
ومن ظبيٍ مـــددتُ له حبـالى لأقنِصَـــه فمدنَ على خُنـاق
خذا طَرْفى بمـا أبقَ، وطَـرْفى بعمـــدٍ جرّ قتـــلى لا ٱتفاق
أراق دمِى الحرامَ فضـولُ عينى فثأرى بين أجفـانى وماق[5]
أيا ربعَ الهوى : دعْ لى طريقى فلا حبسى اليـكَ ولا ٱعتيـاق
لك الخلَقُ الحِسانُ اذا تصدّت ولكن ما لأهلكَ من خَلاقِ
وقـل لشقيقة القمرين : بِينِى فهـــذا عنكِ بَيْنى وٱنطـــلاق
وإلا تفعلى أنطِـــقْ بهُجْـــرٍ يســـوء الودَّ يا ذات النطـاقِ
علقتُـكِ ضائعا فى الحبّ عزمى فكان المجـــدُ أولى بٱعتـــلاق
أنا الجارى اذا الحلَبَاتُ طالت مرا كضُها على الخيـــل العتاق
نفضتُ طريقَها شوطا فشوطا وسُلِّمَ لى بهـا قَصَبُ الســـباقِ
فمن ذا يبتغى فى الفضـل سبق وقد يئس الســـوابقُ من لَحَاقِ
بقيتُ لحرّ هـــذا القول وحدى فعبـــدى منه مأمونُ الإباقِ[6]
وحسبِك ما بدا لكِ من نفاذى عـــلى ملك المـــلوك ومن نَفَاق
"بركن الدين" سالمنى زمانى وأطلقتِ الحوادثُ من وَثاق
فمهما أبقَ يســـمعْ سائراتٍ مطبَّقـــةً من الكلِم البـــواق
تكون له مَطاربَ فى غدايا الـ ـصّـبوح وفى عشـايا الإغتبـاقِ

(١) جمع : مِنّى . (٢) النفر : اندفاع القوم من منى الى مكة . (٣) قيانى : إحفظانى . (٤) يريد بسعد هنا ٱسم القبيلة . (٥) الماق : مؤخر العين مما يلى الأنف .
(٦) الإباق : الهرب .

وفى الأعــداء تقطع ماضياتٍ مصمّمةٌ مــع البيض الرقاق
حَمَى الدنيـا فثبّتَ جانبيهـا صليبٌ لا يروَّعُ بالصّــفاقِ (١)
أبو شـبلين من تعــلّقَ يداه فليس له مــن الحدثانِ واقى
وساق النـاسَ خفضا وآرتفاعا بصــيرٌ بالإناخة والمَســاقِ
وقاوم بالســياسة كلَّ داءٍ طبيبٌ من لداغِ الدهــرِ راقى
اذا غَمُضَ السّقامُ على المداوى تطلّع مــن غوامضــه العِاقِ
ألا أبلــغْ مـلوكَ الأرض أنّا على "الزوراء" فى العيش الوفاقِ
لنـا مــلكٌ يرُبُّ على نظـامٍ (٢) شــتاتَ أمرنا وعلى آتسـاقِ
اذا جمــدَ الغمامُ جــرت يداه فعمّــتْنا بمنهــمرٍ دُفاقِ
أطاعتــه المقـادرُ وآستجابت له فى كلّ رتْــقٍ وآنفتـاقِ
تناهَوْا عــن عداوتنا تناهَوْا وفى الأرواح باقيــةُ الرّماقِ
فقــد جــرّبتُمُ بالأمس منّـا عرائكَ لا تلينُ على آعتياقِ
وكم ملكٍ جليــلٍ ندَّ عنا فطــاحَ عــلى ذوابلنا الدّقاقِ
عسفناه، وآخــر قــد ملكنا مقــادتَه بلطف وآرتفـاقِ
وجاءتنا الســعودُ بكلّ عاصٍ على عجــلٍ تَعارَضُ وآستباقِ
وأبصر رشــدَه آبنُ أخٍ شقيقٍ فطاوع أمرَنا بعــد الشّــقاقِ
رأى طعم العقــوقِ لنـا مريرا فــبَرَّ ودلّهُ صــدقُ المذاقِ
أراه الحــقّ أمرُ اللهِ فينـا فنبّــه جفنَــه بعــد آنطباقِ
تذكّرَها على "الأهواز" شُـعثا (٣) نزائــعَ بينَــ خَرْقٍ (٤) أو مَراقِ

---

(١) الصــفاق : الاضطراب . (٢) يربّ : يجمع . (٣) شعث جمع أشعث وهو المغبرّ الرأس المتلبّد الشعر . (٤) الخرقْ : الفلاة .

وأنذره "بدلّان"[1] وُسـومٌ عـلى الأعنـاق ثابتـةٌ بواقِ
وناشـدَ بالقـرابة فآنعطفنا له عَطفَ الغصون على الوراقِ
فهـا هـو لو دعوناه لخطب أطاق لأمرنا غـيرَ المطاقِ
فنصرا يامليك الأرض نصـرا عـلى رغم المحايد والمـلاقى
تهنّ بدولةٍ أنكحتَ منهـا فتـاةً لا تـروِّع بالطـلاقِ
وما آقترحت سوى أن ترتضيها وأن تحنـو عليها من صَـداقِ
وعاد المهـرجانُ بخفص عيش يرفّ على ظـلائله الصّـفاقِ
هو اليومُ آبتناه أبوك "كسرى" وشـيّد من قواعـده الوِثاقِ
وشقّ له من آسم الشمس وصفا يصول به صحيحَ الإشـتقاقِ
ويُقسِم لو رآك جلستَ فيـه لجاءك قائمـا لك فـوق ساقِ
وأعجبـه تـنزُّله بعيـدا وأنت عـلى سرير الملك راقى
وأسـلاه عن الإيوان بُقيا[2] مقـام العـزّ فى هـذا الرواقِ
فبادرْ حـظَّ يومك وآقتبـله على النشواتِ بالكأس الدّهاقِ
من السوداء لم تك بنت كرم دفين بل من الهيف البِساقِ
مـولّدة الخـوابى لم تلدها الـدِّنانُ ولم تُمخَّضْ فى الزّقاقِ
وإن هى لم تكن حمـراءَ صِرفا ولا صـفراءَ بالمـاء المُـراقِ،
ولا لونُ الخدود لهـا اذا ما أُفيضـتْ فى أوانيهـا الرِّقاقِ،
فألوانُ القـلوب اذا أديرت تُناسِبها وألوانُ الحـداقِ
وأحسنُ صبغتين سـواد كأس تعـلّق فى بياضِ يمينِ ساقى

(١) دلان غير مشـددة اللام : قرية فى اليمن، وقد شددت لامها للضرورة الشـعرية .

(٢) فى الأصل "لقيا" .

وحرّمها "الحجازيّون" ظلماً ... لما فأحلّها أهلُ "العراقِ"
وما متحبّبٍ فيه آختلافٌ ... كمحظورٍ يحرّم بالوفاقِ
عففت[1] فعِفتَ عين الخمر دِينا ... اذا ما عفّ قومٌ للنّفاقِ
فباكرْها على أقمارِ تمٍّ ... تَقابَلُ فوق أغصانٍ رِشاقِ
ونلْ بيمينك الدنيا جميعا ... وأطبِقْها على السبع الطباقِ
تدرّج فى السنين تعدّ ألفا ... وترجع بعدُ فى أُولى المراق
الى أن تصبحَ الخضراء ماءً ... ويفنَى النيّرانِ وأنت باقى

* * *

وكتب الى كمال الملك أبى المعالى فى النيروز، ويعرِّضُ فى آخرها بغرضٍ له

الى كم حبسُها تشكو المضيقا ... أثِرها ربّما وجدتْ طريقا
تنشّطْ سُوقَها وآسرَحْ طُلاها ... عساها أن تَرى للخصب سُوقا
وإن لم تمضِ هرولةً وجَمزًا[2] ... فأمهلْها الروائدَ[3] والعنيقا
أجلْها تطلب القُصوى ودعْها ... سُدًى، يرمى الغروبُ بها الشروقا
فإنّ من المحال — ولم تُهدّمْ ... غواربُها — تنجُّزَكَ الحقوقا
أتعقِلُها وتقنعُ بالهوينا ... تكونُ إذًا بذلّتها خليقا
ولم يُشفِقْ على حسبٍ غلامٌ ... يكون على ركائبه شفيقا
أخضْ أخفافَها الغمراتِ حتى ... ترى فى الآلِ[4] سابحَها غريقا
سمائنَ أو تعرّقُها[5] الفيافى ... فتتركها عظاما أو عروقا
تلاقط جوهرَ الحصباء منها ... مناسمُ من دمٍ يصف العقيقا

---

(١) فى الأصل "عضفت" . (٢) الهرولة والجمز : الإسراع . (٣) يريد بالروائد والعنيق ضربين من السير . (٤) الآل : السراب . (٥) تعرّقها : تأكل ما على عظمها من لحم .

يصيب به رميّته معانٍ رال ... يدين موفّق تنضلا وفيقا
يُقضّ على جنوب البيد منها ... سهام النزع مفلتة مُروقا
صبور للهواجر والسوافي ... يرى بجنوبه العيش الرقيقا
اذا عدم المياه على الركايا (١) ... كفاه أن يعدّ لها البروقا
تورّطها فإما نلت خيرا ... فسعيٌ وافق القدر المسبوقا ،
وإما أن تخيب (٢) فلست فيها ... بأول طالب حُرم اللحوقا
أرى الأيام تأخذ ثم تُعطي ... وتخرق ثم تنتصح (٣) الخروقا
وتوقد نارها دِقًّا (٤) لقوم ... وفى قوم تُضرّمها حريقا
وكلّ حلوبها عندى سواءٌ ... مشوبا أو صريفا (٥) أو مذيقا (٦)
مظالم لو رُفعن الى كريم ... لكان بسدّ عورتها حقيقا
ولو نادت "كمال الملك" ألفتْ ... على الأدواء حاسمها الرفيقا
وحطّت فادح الأثقال منه ... بذى جنبين يحملها مطيقا
غيور لا ينام على اهتضام الـ ... ـكرام ولا الغرار (٧) ولا الخفوقا (٨)
تنقّله من العزمات شُمٌّ ... يدوس جبالها (٩) نيقا (١٠) فنيقا
اذا ركب الطريق الى المعالى ... فلا زادا يُعدّ ولا رفيقا
وحيد تُرهف الأحداثُ منه ... على أعناقها نصلا عتيقا
لبيب الرأى يكبر عن مشير ... اذا ما الرأى شارف أن يموقا (١١)

---

(١) الركايا جمع رَكِيّة وهى حفرة يجتمع فيها الماء . (٢) فى الأصل : « تجيب » .
(٣) تنتصح : تخيط . (٤) الدقّ : الدقيق من الشجر . (٥) الصريف : اللبن الخالص
وفى الأصل " مديقا " . (٦) المذيق : المخلوط . (٧) الغرار : القليل من النوم .
(٨) الخفوق : النعاس . (٩) فى الأصل " حبالها " (١٠) النيق : أعلى موضع
فى الجبل . (١١) يموق : يحمق .

اذا خفيتْ شِيَموا كلّ أمرٍ . جليلِ الخطب أبصرَها دقيقا

فيبلو رؤى ليفرقِ بين ماءٍ . وماءٍ مثله وجدَ الفروقا

نمتْ أمُّ الوزارة من أخيه . ومنه البدرَ والغصنَ الرشيقا

هما الولدان من صلةٍ وبِرٍّ . اذا ولدت من الناس العُقوقا

من النفر الذين اذا استغيثوا . رأيت بهم وساعَ الأرض ضيقا

كتائبَ ما رعتْ عيناك خُرْسا . مسوَّمةً وألويةً خفوقا

تخالُ بديهَ أمرهمُ رويًّا . اذا اجتمعوا وواحدَهم فريقا

رطابُ النطق بسّامو المجالى . اذا ما أيبسَ الفَرَقُ(١) الحُلوقا

لهم شرفٌ سرى من ظهر "كسرى" . مَطًّا(٢) فطًّا فما ضَلَّ(٣) الطريقا

طوى أصلابهم أو جاء "عبد الرحيم" فجاء متّسقا منسوقا

ترى الأبَ بالشهادة فى بنيه . قريبا وهو قد أمسى سحيقا(٤)

وما تسمو النفوسُ ولا تَزكَّى . اذا لم تنظم الحسبَ العريقا

وبانت آيةٌ "بأبى المعالى" . فكان مصلِّيا(٥) فضَلَ السُّبوقا

ربا معه الكمالُ فشُقَّ منه . له لقبٌ فصار له شقيقا

خلائق تارةً يُشربن صابا . وأحيانا مشعشعةً رحيقا

يثير السخطُ منها والتغاضى . صواعقَها ووابلَها الدَّفوقا

ففى حالٍ تكون بها شريبا . وفى حالٍ تكون بها شريقا

ويُسكرك الذى يُصحيك منها . فما تنفكُّ سكرانا مفيقا

فداؤك كلُّ جهمِ الوجه أنّى . لقِى مُرَّ الخلائق كيف ذيقا

---

(١) الفرق : الخوف . (٢) المطا : الظهر . (٣) فى الأصل "ملّ" . (٤) السحيق : البعيد . (٥) المصلّى : الثانى فى حلبة السباق .

تـــراه ناشـــطا يأتى ويمضى وقَيْـــدُ العجز يحمــله ربيقـا (١)

اذا عزلوه لم يحـــذر عـــدوًّا وإن ولَّوه لم يُحـــرِز صـــديقا

يراك بمُـــؤْخِر العينين غيظـا وقـــد أقذيتَـــه جفنا ومـــوقا (٢)

فـــلا مَدَّت لنعمتـــك الليـالى يدا طُـــولى ولا ظُفـــراً عَلوقا

وإن سنحتْ ميـامنُ كلِّ يوم صبـاحا بالسّـعادة أو طُـــروقا

فغشّـــك المَطـاربَ ثم أبكـت ديارَ عـــداك نَوْحا أو نعيقـا

وجادك كسبُ جودك من شـآبى (٣) مـــواقِرَ (٤) تَرجِع الذاوى وريقـا

اذا هى أوبلت بسـطتْ عريضا وإن هى أسبلتْ حفرتْ عميقـا

فتُلحِم (٥) فى ربوعك أو تُســدِّى خمـائلَ تأسر الطـــرف الطليقـا

تزورك شاكيـاتٍ كلّ يـــوم حشّى حرّانَ أو قلبـا مشـــوقا

عـــلى مسعاتهـا قامت مقـاما مقـــرًّا من قبـــولك أو زليقـا

وكم عـــثرتْ بذنبٍ كان سهـــوا فمكنتَ بأن تغمّـــدَه حقيقـا

وحرّ بالخطيئـــة صـار عبـــدا غفـــرتَ غلاطَه فغـــدا طليقـا

⁂

وكتب الى زعيم الملك أبى الحسن بن عبد الرحيم فى المهرجان

أما لنجوم ليلك "بالمصـــلّى" (٦) مغـاربُ بل أما للشمس شرقُ ؟

تسـاعدنى على السهـــر الليـالى فهـــل إسعادُهنّ عليـــه عشقُ ؟

وأين طـــريق نومى والدرارى (٧) حوائرُ فيـــه ليس لهنّ طُـــرْق !

---

(١) الربيق : المشدود بالربقة . (٢) الموق : مؤخر العين مما يلى الأنف . (٣) فى الأصل "ثيابى" . (٤) المواقر : السحائب المثقلة بالماء . (٥) فى الأصل "فتحلم" .

(٦) المصلّى : موضع فى عقيق المدينة . (٧) الدرارى : النجوم .

أرقتُ ، فهل لهاجعة " بسلمٍ " على الأرقين أفئـدةٌ ترِقُّ ؟
وما أشكو السهادَ لأنَّ جفني تنافَى عنده فتحٌ وطبقُ
ولا أنّ الرقادَ يُعير روحا جوَى كبدى فيبردُ منه حرقُ
ولكن أن أرى " خنساء " حُلما كأن زخارفَ الأحلام حقُّ
نشَدتك بالقرابة بأين ودّى(١) فإنك لى من ابن أبى أحقُّ
أسلْ " بالجزع " عينَك إن عينى اذ استبرتُها وقتا تعُقُّ
وإن شقَّ البكاءُ على المعاقى فلم أسألك إلا ما يشُقُّ
ورافدْنى بكفّك فوق قلبى " ببُرقة عاقلٍ " إن عنَّ برقُ
تألَقَ ثم حلّقَ " حاجريًا " له أفقٌ وللأظعان أفقُ
له من عَبرتى حَلَبٌ وصبغ ومن أحشاى شعشعةٌ وخفقُ
كما عطَّ(٢) المشبرِقُ(٣) شطرَ بُردٍ يُطرّح واستوى شِقٌّ وشِقُّ
يطار حنى الغرام وساعدته هواتفُ تركبُ الأوراقَ وُرقُ
ورَى أكبادَها "بالقاع" [زُغْبٌ](٤) جوائمُ ما استتمّ لهنّ خَلْقُ
رماها فى شوا كلها مصيبٌ من الأقدار فاختُتِلت(٥) مُدقُّ
زقت(٦) من كُفَّة(٧) القنّاص تمكو(٨) اليها وهى أفرخةٌ تُزَقُّ
وما بين الفراق المرّ فيما تحاذره وبين الموت فرقُ
وليس عليك من عَلَقٍ بمغنًى(٩) صُماتُ(١٠) حديثه بالموت نطقُ

(١) فى الأصل " درى " . (٢) عطّ : شقّ . (٣) المشبرق : مقطّع الثوب
(٤) ليست بالأصل ، والزغب جمع أزغب وهو الفرخ نبت ريشه . (٥) اختتلت : أصيبت مخاتلة ، وفى الأصل " فاختلبت " . (٦) زقت : صاحت . (٧) الكفّة : حبالة يصاد بها .
(٨) تمكو : تصفر بفيها . (٩) المغنَى : المنزل الذى غنِيَ به أهله . (١٠) الصمات : السكوت .

كأنَّ معـالمَ الأحبـابِ فيـه ستـطورٌ ملهـوجٍ (١) والدارُ رقُّ

وخرقٍ (٢) ميّتِ الأشخـاص عافٍ وسـيعٍ ليس يُرقع منـه خرقُ،

كأنَّ عزائفَ الجنـانِ (٣) فيـه ملاءُ الشُّحبِ من ريحٍ تُشَقُّ،

سلكتُ ولا أنيسَ سوى اعتزامي ولا صوتٌ سوى الأصداءِ (٤) يزقو (٥)

علـى ضُمرِ القـوائم أعوجيٌّ (٦) تكاذيبُ الشخوصِ عليـه صدقُ

يفيضُ علـى الوِهاد عن الروابي بما تمليـه سالفـةٌ وعُنـقُ

أقبُّ (٧) تخالُ شـكلَه آتمـاعا يُكَبُّ على المداوسِ منـه حُقُّ

تظنُّ العينُ فارسَه رديفًا (٨) يطامنُ شخصَـه عنـقٌ أمقُّ (٩)

تنقّـله قـوادمُ (١٠) مضـرحيٍّ (١١) خطائطُهن فوق التُّرب مشـقُ

سـبقتُ به الى أجرى المعالي مدارِ الفـوتِ، والعلياءُ سَـبْقُ

فأوردتُ الزلالةَ من ملوكٍ صفَوا الفمي، ومزجُ الناسِ مَذْقُ

وُزقتُ جزيلَ مالهمُ بفضلي اذا لم يجتمع فضـلٌ ورزقُ

اذا لبّى «زعيمُ الملك» صوتي فكلّ مواعـدِ الآمال صـدقُ

أغرّ كأنّ جبهتـه بُلوجا (١٢) لعينـك في جبين الشمس فَتْقُ

يُغـيّرُ حسنُ أخلاقِ الليالي عليـه وخُلْقُـه في الجـود خَلْقُ

ولا يرضى بعـذرٍ وهو حـقٌّ مبينٌ في النديّ وعليـه حَقُّ

---

(١) الملهوج : الذي لم يحكم الأمر ولم يبرمه . (٢) الخرق : الفلاة . (٣) عزائف الجنان : أصوات الجن . (٤) الأصداء جمع صدى وهو رجع الصوت . (٥) تزقو : تصيح . (٦) أعوجيّ : نسبة الى أعوج وهو فرس لبني هلال تنسب اليه الخيل . (٧) الأقبّ : الضامر البطن الدقيق الخصر . (٨) الرديف : من يركب خلف الراكب . (٩) الأمقّ : الطويل . (١٠) القوادم : ريشات كبار في جناح الطائر . (١١) المضرحيّ : النسر الطويل الجناح . (١٢) بلوجا : وضوحا .

كريمُ العِيصِ(1) زاد وملد غصن ... له من حيث طال وطاب عِرقُ
عتيـقُ الطينتين سما عفيفا ... بعتنيه ، وبيتُ المجـد عِتـقُ
ويصطلون(2) ما محكوا وبجّوا ... وهم خلقاء أن يعفوا ويُبقوا
إذا أذنبـوا فأحلامٌ وَهَـدْيٌ ... وإن وهبوا فإفـراطٌ وخُرقُ
وإن نطقـوا بفاصلـةٍ أرمّتْ(3) ... شقاشـقُ كلِّ هـدّارٍ يبـقُ(4)
فـلم يعـرب ببيّنة لسـانٌ ... ولم يرطَبْ على اللهـوات(5) حلقُ
فإن تك يا " علىّ " نقلتَ منهم ... مناقبهـم فأنت بهـا أحـقُّ
سمحتَ لهـا ووجهُ الدهر جَهمٌ ... وهـم سمحوا ووجهُ الدهر طَلقُ
إذا خان البنـونَ أباً كريما ... وَفَى لهـمُ غلامٌ منـك خِرقُ(6)
فلا يدخلْ عليـك فسادُ دهـرٍ ... يُخاف على تمـامك فيـه محقُ
وسَلّتْ(7) كفُّ خطبٍ كان منها ... لرتق علائكم وهنٌ وفتـقُ
غلاظٌ من جهالات الليـالي ... وهن سواكنٌ أبدا ونزقُ
وحُمـقٌ في الزمان أصاب منكم ... وفي أخلاقـه كيسٌ وحُمـقُ
شِمـاسٌ من مقادكمُ ولينٌ ... وصـفوٌ تارةً لكُمُ ورَنْـقُ
وعسـفٌ في القضاء ويقتضيه ... فتمحـوه مياسـرةٌ ورِفـقُ
وإيمـانٌ بمعجزكم وشكرٌ ... وكفرٌ تارة بكُمُ وفسـقُ
فلا تُغمَـزْ قناتُكم ببـوعٍ(8) ... ولا يُسبرْ لكم غَورٌ وعُمـقُ
ولا تُقـرَعْ بجُـزِعة صَـفاكم(9) ... وإن خدشتْ سهامٌ فهي مرقُ

(1) العيص : الأصـل والشجر الكثير الملتفّ . (2) يصطلون : يستأصلون .
(3) أرمّت : سكتت . (4) يبق : يقذف ما في فيه بعنف . (5) اللهوات جمع لهاة وهي لحمة مشرفة على أعلى الحلق . (6) الخرق : الكريم السجية . (7) في الأصل " سلت " .
(8) بوع جمع باع . (9) الصفا جمع صفاة وهي الحجر الصلب .

ولا شرب المـرِيَّةَ[1] مِن رِماكم ... وإن هــو ظنّ أن المـاءَ طَرْقُ[2]

يناطح صخـرةً منكم مليسا ... معـارجُ طـرقها زِلّاء زَلــقُ

وإن سمحتْ لنـاتجها بِفلْقٍ[3] ... فنهـا للسـقوط عليـه فِـلقُ

هـو البـادى فإن كايلتموه ... بصاع الغـــدر فالبادى أعقُّ

وأنصعَ[4] حين خاف الغمــرُ شرًّا ... فـلا ينفُـقْ[5] له ما عاش عِلقُ[6]

سحابة صـيِّف ستعود صحـوا ... ولم يعـلَقْ لهـا بالريب وَدْقُ[7]

وما سـلمت لكم نفسٌ وعِرِضٌ ... فأهــون هالك عينٌ[8] ووِرْقُ[9]

سـينزِعها ويَرجِعـها اليكم ... وبعـد اللُّبس نزعتهـا أشــقُّ

وإنّ أحقّ من ردّ العوارى ... فتًى أخـذ الذى لا يسـتحِقُّ

فـلا يتوهّـم المنجاةَ منهـا ... وأن طـريدكم بالخـوف طاقُ

وأنّ البعــد يُحصِنه وتَنْثِي الـ ... ـمكايدَ عنــه حيطانٌ وغَـلقُ

وهـل تخفَى المكايدُ وهى بيضٌ ... عـلى مُقَـلِ الذوابل[10] وهى زُرقُ

فلا بُسطتْ ولا قُبضت يمينٌ ... لهـا نبضٌ بنائلكم[11] ورشــقُ

وكشّــف هـذه الغمّاء جَــدٌّ ... عوائده بمـا تهوون ســبقُ

وجمّعكم وصاح بمن نعاكم ... غرابُ نوًى له فى الدار نَعــقُ

وعادت دولةٌ ، والحربُ سِــلمٌ ... لكم من ربّهـا ، والخُلف رِفـقُ

الى أن تُورَثَ الدنيـا وفيكم ... ولايتُهـا وما للنـاس حــقُّ

---

(١) المريّة مايمرى من لبن النـاقة . (٢) الطرق : المـاء تخوض فيـه الإبل وتبول .

(٣) الفلق : نصف كلّ ماشُقّ . (٤) أنصع : أقرّ وأعترف . (٥) فلا ينفق : فلا يرج .

(٦) العلق : الشىء النفيس . (٧) الودق : الإمطار . (٨) العين : الذهب .

(٩) الورق : الفضة . (١٠) الذوابل : الرماح . (١١) النائل : العطاء .

تعودكم القوافي لا بساتٍ حناظا لا يريثّ ولا يرقّ
ينقّحها لكم قلبٌ سليم فيأتيكم بها حُبٌّ وحذْقُ

* * *

وكتب الى عميد الرؤساء أبي طالب في النيروز

نبهتُ "سعدًا" والأُفُقْ أدهم[1] شارقَ البَلَق[2]
وصادح الفجر على الـ ـمفحِص[3] بعد ما نطقْ
فارتاع ثم قام فاهـ ـتزّ لها ثم انطلقْ
لهفان لا على الكرى حيران لا من الفَرَق[4]
مـداريا أجفانه بين السهاد والأرقْ
وقال : أمرَك ! ما ذاك عرا وما طرقْ ؟
اِصدع به ! امضِ له ! أطقتُه أو لم أُطقْ !
قلت : الجلوسُ في كسو ر البيت أفْنٌ[5] وخُرُق[6]
والعزّ ما أفاده هجرُ الجدارِ والفِرَق
راخِ لها فأدنتُ بها ناشطةً من الرِّبَق[7]
يُبزلها[8] استنانُها بين المثاني[9] والحِقق[10]
لها من اعتيادها أدلّةٌ على الطُّرُقْ
تغنَى اذا الليلُ دجا عن النجوم بالحدَقْ

(١) الأدهم : الأسود . (٢) البلق : سوادٌ مختلط ببياض . (٣) المفحص : المجثم .
(٤) الفرق : الخوف . (٥) الأفن : ضعف الرأى . (٦) الخرق : الحمق .
(٧) الربق جمع ربقة وهى عروة تشدّ بها الدوابّ . (٨) يبزلها : يجعلها من البزل جمع بازل وهو المسن من الإبل . (٩) المثانى : الإبل الطاعنة فى السنة الثانية . (١٠) الحقق جمع حِقّة : وهى الناقة الطاعنة فى السنة الرابعة .

قـمْ نشـترِ العـزَّ بهـا ... بيـعَ النضارِ بالـوَرِقْ (١)

وآفكك من العـارِ بهـا ... عُنْقَـك وخداً وعَنَـقْ (٢)

والمـرءُ فى دار الأذى ... عبـدٌ فإن سار عَتَقْ

جُبْ طبّق الأرض بنـا ... فما على الأرض طبَـقْ

قد مزج الناس فكـم ... تشرب شَهْـواً ورَنَـقْ

خان الثقاتُ، فبمن ... تدفع ضيماً أو تثـقْ؟

والهفـتى الى صـديـ ... ـق قال خيرا فصـدقْ

وصاحبٍ مستصـرَخٍ ... يسمعُ شكوى فيرِقّْ

طار الـوفاء فـتُرى ... بأى جوٍّ قـد لحـقْ؟

لولا آبن "أيّوب" لمـا ... خلتُ أخا صدقٍ صدقْ

ولا رأيت خُلُقـا ... يُعجبُ من هذى الخَلَقْ

لمْ تـترك الأيامُ غيـ ... ـرَ مجـده ولم تُبَـقّْ

علـى "عميـد الرؤسا ... ء" وقفَ الظنُّ المحـقّْ

والنـاسُ ما عـدوته ... خوالبُ البرق الشـفقْ (٣)

يفـديه كلُّ وغرِ الـ ... ـصدر على الفضـل حنِقْ

دعاؤه لـوفـره : ... جمعتُـه فـلا آفـترقْ

لم ترتدع بعـرضه (٤) ... سـيادةٌ ولمْ تَـلِقْ (٥)

قـد غالط الدهر له ... حُمْقا وفى الدهر حُمُـقْ

فـما له من سـودَدِ "الـ ... أوحدِ" إلا ما سَـرَقْ

---

(١) الورق : الفضة . (٢) الوخد والعنق : ضربان من السير . (٣) الشفق : الذى به حمرة كالشفق . (٤) لم ترتدع : لم تضمّخ . (٥) لم تَلق : لم تلصق .

سقى الحيا كفًّا اذا   جفا الحيا فهى تدق (١)

وحيّت النعمة من   أعطى منها ما آستحق

مصطبحا من نشوا   ت المكرمات مغتبق

مذ سكرت أخلاقه   من السماح لم يفق

راهن فى شوط الندى   جرى الرياح فسبق

وحالم الطود خف   ف الطود عنه ونزق

أبلج نور وجهه   يخطف عينى من رمق

وسائد الدست (٢) بما   شعشع منها تأتلق

يطمع فيه بشره   اذا آستدر فآندفق

وتونس المنية من   حصاته (٣) أن تسترق

فعفوه ليل ندٍ   وبطشه يوم صعق

ناصح "للخليفتيـ   ـن" حدث الرأى شفق (٤)

وردّ فى نصابه   ما كان شذّ ومرق

مستدركا بنصحه   ثغرة كلّ ما آنفتق

سار من العدل على   محجّة لم تخترق

متّسقا (٥) سعى "الإما   م" نسقا بعد نسق

على آقتفاء أمره   فى كلّ ما جلّ ودق

فالباس والإسلام فى   جماعة لا تفترق

نظمت دار الملك حـ   ـتى آلتأمت وهى حذق (٦)

---

(١) تدق . تمطر . (٢) وسائد جمع وسادة وهى ما يجلس أو يتكأ عليها . (٣) الحصاة : الرأى والعقل . (٤) شفق : ذو شفقة . (٥) فى الأصل : متسعا . (٦) الحذق جمع حذقة وهى القطعة من كلّ شىء .

ينَدَســخ إيمـانُك فيـ	ـها شرعَ كلّ من فَسقْ
وهى الــتى يُختَــبر الـ	ـبطلُ فيهـا والحمـقْ
وتلتــق الطاعاتُ فى	أبوابهـا ونتفـــقْ
ويســتوى الملوك فيـ	ـها خاضعين والسُّوَقْ
رعيَّتَهـا بمــــرهف(١)	أجفـانُه لا تنطبـقْ
يمضى مضاءَ السيف قد	جــرَّبته اذا مُشـقْ
تخال صِــبغَ النِّقسِ(٢) فى	سِنانه صِــبغَ العَـلَقْ(٣)
يصــدر عن تنفيـذه	باللطف ما عزَّ وشــقْ
فالرمح منـه ما آستقا(٤)	م والالــواءُ ما خفَــقْ
فـلا عُــدِمتَ آسـيا(٥)	كدَّ العلاجَ فرفَــقْ
يُــبرم ما يفتِــل بالـ	حزم ويفــرِى(٦) ما خلَقْ(٧)
أنت الذى خلَصتَ لى	والنـاسُ غــدرٌ وملَقْ
أســقَتنى الــودَّ وهم	بين الغصـاص والشرَقْ
عهــدُ حــديثٌ بالوفا	ء عهــدُه وإن عتُــقْ
مُجـــدَّه لِبْســتهُ	وكلُّ ملبوس خَلَقْ(٨)
كم حادثٍ عـــنّى أمطـ	ـتَّ بعـد ما كان علِقْ
ومثقِــلٍ حملتَــــه	لولا قــواك لم يُطَــقْ
فـا لإعراضٍ طــرا	ينَســخ إقبـالا ســبَقْ ؟

(١) يشير بالمرهف الى القلم على التشبيه بالسيف . (٢) النقس : الحبر، وفى الأصل " النفس " . (٣) العلق : الدم . (٤) فى الأصل " استقام " . (٥) الآسى : الطبيب . (٦) يفرى : يشق . (٧) خلق : قدّ وقدر . (٨) الخلق : البالى .

وما لِسابٍ عن بذ يّ ماتَى بعـد ما عشِق؟

يتركهنَّ بارد الـ ـقلب يعالجن الحُرَق

ينـدبن آثارا وعهـ ـدا كان حـرًّا فأبق

وعيشةً عندكُمُ بيضاءَ خضراءَ الورَق

مع النسيّات غرابُ الـ ـهجـر فيها قـد نعَق

تشكو الظما بحيث كنّ أبـدا تشكو الغرق

ما طرقَتْ فى حاجـةٍ بابًا لكم إلا غُلِق

هـذا عـلى اقتناعها منكم بما بلَّ الرمَق

وأنهـا لا تستبلُّ الـ ـماءَ حـتى تختنـق

وهى عـلى جفائكم تحنـو عليكم فترِقّ

فـا تُغِبُّ (١) وافـدا ت رُفَقـا عـلى رُفَق

لا يلتوى عنكم لهـا لا ناظـرٌ ولا عُنُق

تُبضِعُكم جوهرَها أكسدَ فيكم أو نفَق

تُهـدِى الى أعراضكم نشرًا (٢) اذا سار عبِق

فى كلّ يـوم حسنُه وحسنُها لا يفـترق (٣)

تُجـلى لكم فى حَلْيها مُـوَشَّحًا (٤) ومنتطِق (٥)

تضمن ألفًا مثلَه يأتى بها على نسَق

---

(١) تغبّ : تزور يوما بعد يوم . (٢) فى الأصل هكذا " سرا " . (٣) فى الأصل " يفرق " . (٤) الموشح : لابس الوشاح . (٥) المنتطق : من يشدّ النطاق على وسطه .

* * *

وقال فى الشيب

ركب الدجى فسعى بغير رفيق عجلا فأصبح قاطعا لطريق

أبكى لغاربه ويضحك مظهرا برى بما يأتى وفيه عقوقى

مستصحبا فرقا خلاف صحابتى ضعفا وينتك بالقوى فريق

متجارياً فأبت مغلوبا يسا بقنى وحاز الخصل(١) بالمسبوق

يرمى جنابا كنت عنه أذوده بالمرهفات مقيمة للسوق(٢)

قافيــــة الكاف

وقال فى غرض له

أيا بانة "الغور" عطفا سقيت وإن كنتُ أكنى واعنى سواك

أحبك من أجل من تشبهين لو أنى أراه كما قد أراك

ذكرتُ، ويا لهفتى هل نسيتُ ليالى أسمرها فى ذراك(٣)؟

يخضر عودك من دمعتى ويعطر من برد "هند" ثراك

ويا "هندُ" إن تقل الكاشحون، وعندهم من ذنوبى نداك،

كفى الوجد أنى اذا ما استرحتُ الى آسمك عميته بالأراك

ظمئتُ الى أعذب الشربتين فكلتاهما قد حوتها يداك

فكيف تعنيننى فى الشهاد(٤) محلئة(٥) وتحلين فاك

هناك، ومن عجب فى هوا ك قولى فى قتل نفسى: هناك!

---

(١) الخصل: الفضل. (٢) السوق جمع ساق. (٣) الذرا: الكنف.

(٤) الشهاد جمع شهيد. (٥) محلئة: مانعة ورودى، وفى الأصل "محلية".

غُروبٌ تَبُضُّ [(١)] اذا القطرُ شَحَّ وقلبٌ اذا خَمَدَ الجمرُ ذاكى

أخافُ آنتقاصَكِ عند العتابِ [(٢)] سِقاطى [(٣)] فأشكرُ والقلبُ شاكى

اذا الصدُّ أرضاكِ فهو الوصالُ فأنّى فعلتِ فأهلاً بذاكِ

⁂

وسئل عملَ أبياتٍ فى مراثى أهل البيت عليهم السلام على هذا الوزن والروى، وهما ممّا تَقِلُّ مساعدةُ الكلام المختارِ على مثله، ولم يجدْ لإجابة الملتمَس لذلك بُدًّا — على ما فيه من اللين والانحطاط — فقال آرتجالاً على جهة الإملاء ومقتضى إجابةِ السائل

يابنةَ القومِ تُراكِ بالغٌ قتلى رضاكِ؟!

أم دمى وهو عزيزٌ هان فى دِينِ هواكِ؟

إن يكن طاح فما أ وَّلُ ما طَلَّتْ يداكِ

حُبَّ يومُ "السفح" إلا أنه يومُ نواكِ

لعبتْ ساعاتُه بى ما كفاها وكفاكِ

كم غزالٍ بالمصلَّى [(٤)] سام وصلى فحكاكِ

جاريًا فى حَلبةِ الحسـ ـن ولم يبلغ مَداكِ

عزَّ لا أرهفَ عينيـ ـكِ ولا أرشفَ فاكِ

غيرَ أنى قلتُ: حُيِّيـ ـتَ على ما أنت حاكى

وقصيراتِ الخُطى غيـ ـرك لَدْناتُ [(٥)] العراكِ

عادلاتٍ عِللَ الوجـ ـدِ بلذَّاتِ التشاكى

---

(١) الغروب جمع غرب وهو الدمع . (٢) فى الأصل "انتقاشك" . (٣) السقاط : الخطأ فى القول . (٤) المصلى : موضع فى عقيق المدينة . (٥) لدنات : ليّنات .

رُعْنَ فى "مكّةَ" نـومى قبـلَ تغــريدِ المكاكى [١]
كلّ عَطْرَى شفتـاها عِــترةٌ [٢] فـوق مُــداكِ [٣]
يقتـدى مسواكُها رِيـ حانــةً غِبَّ السِّـواكِ
فــرأت عيــنى ولكن ما رأى قلــبى سِــواكِ
أجتدى النومَ وهل فى الـ نّـوم إلاّ أنْ أراكِ
ما علــى من حظَــر الرا حَ لــو آســتثنى لَمَـاكِ!
كنتُ صَــعبا لا أُلـوَّ ى بالخشـاشاتِ [٤] الرِّكاكِ
فقضى حكمُ آكتهالى تابعا حكمَ صِــباكِ
يا سُــرى ليــلةَ "السفـ ـح" وقــد نادَوا : بَراكِ [٥]
والمطـايا تخلِــط المعْـ ـجَ [٦] كَلالاً [٧] بالسِّــواكِ [٨] :
أتبـاكيتَ نِفـاقا "باللِّـوى" أم أنتَ باكى؟
أم أراكَ الشــوق أشبـاهَ "سُلَيمى" فى الأراكِ؟
سألتْ بى أمُّ "ســلمى" أيــن حزمى وآحتناكى
ورأت ضعضعــةً بيـ ـن سكونى وحَراكى
طاوِيًا كشحَ مَهيــضٍ ناشــرا أنفـاسَ شاكى
لا تخالى خَــوَرًا ذا كِ فإنى أنـــا ذاكِ
بــل رزيئـاتٌ [٩] تواصيـ ـن شَمــاتا بانتهاكى

(١) المكاكى جمع مُكّاء وهو طائر . (٢) العترة : القطعة من المسك الخالص .
(٣) المُداك : الحجر الذى يُسحَق عليه الطيب . (٤) الخشاشة : خشبة توضع فى أنف البعير .
(٥) براك : اسم فعل أمر بمعنى آبرك . (٦) المعج : السير السهل . (٧) الكلال : التعب .
(٨) السواك : السير الضعيف . (٩) الرزيئات : المصائب .

كلّ يــومٍ حادثٌ ينـ ـكأُ(١) قَــرْفي(٢) بالحِــكاكِ(٣)

أتّقي أعــزلَ فيـــه وسلاحُ الدهــرِ شاكي(٤)

كم عركتُ الصــبرَ حتـ ـى جاء ما فلّ عــراكي

وتســترتُ ورزءُ "الـ ـفاطميّين" انتهاكي

خمَــدَ الجمــرُ ووجدي ببــني "الزهراء" ذاكي

بأبٍ في قبضــة الفُجّـ ـار منهــم كلّ زاكي

ملصَـــقٌ بالأرض جسما نفسُــه فوق السُّــكاكِ(٥)

مفــردٌ ترميـــه كفُّ الـ ـبغيِ عن قوسِ اشــتراكِ

أظهرتْ فِرقـــةُ "بدرٍ" فيــه أضــغانَ النواكي(٦)

كلّ ذاكي الحقــدِ أو يخـ ـضب أعرافَ المَــذاكي(٧)

وغـــريبُ الدار يُلــقَى موطِنَ الطعنِ الدِّراكِ(٨)

طاهـــرٌ يُخــطَفُ بالأيـ ـدي الخــبيثاتِ السِّهاكِ(٩)

يحـــرُسُ الموت اذا سـ ـدّته أفــواهُ البواكي

يابنــةَ الطاهــر كم تقْـ ـشَــرُ بالظــلم عصاكِ

غضِــبَ اللهُ لخــطب ليــلةَ "الطَّفِّ"(١٠) عَراكِ

ورعَى النــارَ غـــدًا جســـ ـمٌ رعَى أمسِ حِماكِ

شـــرعَ الغَــدرَ أخو غـ ـلٍّ عن الإرثِ زَواكِ(١١)

(١) ينكأ : يقشر . (٢) القرف : القشرة تعلو الجرح بعد يبسه . (٣) الحكاك : مصدر بمعنى الحك . (٤) شاكى : تام . (٥) السّكاك : الهواء الملاقى عنان السماء، وفى الأصل « الشكاك » . (٦) النواكى : الجهّال العاجزون . (٧) المذاكى : الخيل . (٨) الدراك : المتتابع . (٩) السهاك : ذوات الرائحة الكريهة . (١٠) الطّف : شاطئ الفرات الذى قتل عنده الحسين رضى الله عنه . (١١) زواك : نحّاك .

يا قبـــورا " بالغـــريـيـ ـنِ" الى "الطف" سقاكِ (١) (٢)
كلُّ محـلول عُرَى المـــر ـزمِ محـــلوبِ السِّماكِ (٣)
حامل من صلوات ا لله ما يُـــرضِى ثـــراكِ
و إن آستغنيتِ عن [وكـ ـف] حيًّا غـــيرِ حياكِ (٤)
إنه لـــو أجـــدب البحـ ـرُ آجتدى فضـــلَ نداكِ
أو أضلّ البـــدرُ فى الأفْـ ـقِ سـناه لأهتـــداكِ
يا هـــــداةَ الله والنجـ ـوةَ فى يـــوم الهـــلاكِ
بكم آســتدللتُ فى حيـ ـرةِ أمـــرى وآرتبـاكى
أظلم الشـــكُّ وكـنتم لى مَصـابيحَ المَشـاكى (٥)

* * *

وكتب الى وزير الوزراء عميد الدولة أبى سعد بن عبد الرحيم وهو فى الاعتقال يسليه، ويبشّره بانكشاف غمّته

حُبستَ وأيّام المـــلوك كذا كا تكون إسارا مـــرّة وفكاكا
و يحجُبُ ظـــلُّ الأرض غُرَّةَ شمسها فتـــنزِلُ خفضًا تارةً وسُكاكا (٦)
وليس يضرُّ النجمَ مَهـــوَى غروبِهِ اذا عاد فى أُفْـــق السماء سِماكا
وما قصَّروا من خطوِ سعيك للعــــلا و إن قصَّروا بالقَيـدِ رحبَ خُطاكا
ومن كانت "الجوزاء" بالأمس نعلَه يكون له القيــــدُ الغداةَ شِراكا

---

(١) الغريّان : بناءان كالصومعتين بظاهر الكوفة قرب قبر علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه .
(٢) الطف : شاطئ الفرات الذى قتل عنده الحسين رضى الله عنه . (٣) المرزم : السحاب اشتد صوت رعده . (٤) ليست بالأصل . (٥) المشاكى جمع مشكاة وهى الأنبوبة فى وسط القنديل .
(٦) السكاك : الهواء الملاقى عنان السماء .

ملكتَ زمانا جائــرا فقســرتَهُ ... عــلى العــدل إذ وليتــه فأبا كا

ومن جعجع(١) الأقدارَ عن طُرقِ كيدهِ ... عطفن عليــه فاستُثرن وِشاكا(٢)

جملتَ الذى أعيا الرجال وغيرَهــم ... نخافوا على ضعف الرقاب قُواكا

ونفَّر ذؤبانَ(٣) "الغضا" ريحُ ضيغم ... تطيــح عليــه نَوشةً وعــراكا

فــدبّوا فســدّوا غابَــهُ وهو خادرٌ ... فضاق عليــه نهضــةً وحَراكا

وقد غرَّه أن يعملَ الحــزمَ سابقا ... على الكيد(٤) أن ليس الذئابُ هُناكا

مشى حافيا فــوق القتادة(٥) حافــرا ... لما شامَ(٦) منهـا أخمصَــيْه وَشاكا

فإنــ قَصــدتْ أظفارَه فلطالمـا ... أراحَ(٧) بهـا رَدْعَ الدماء وصاكا(٨)

ولاحت(٩) به للــوثبِ نفسا حميَّــةً ... تــردُّ الرقابَ المصميات رِكاكا

فقل للعــدا : لا تمضغوها تحليًّـا ... وإنْ هى طابت ذوقَــةً ومِلاكا

ولا تلمســوا بعــد التجارب حدَّها ... فإن بنى " عبــد الرحيم " أُولاكا

هم الــيزنيّاتُ(١٠) التى إنْ أغبّكم ... بهـا ذاعرٌ مــنّى فكرٌّ دِراكا ،

فلا تســتقلّوا مغمَدا من سيوفهم ... وقــد حــزَّ فى أعناقكم فأحاكا(١١)

ولا تحســبوا آستهلاكَكم خزنَ مالهم ... يجــرُّ على غير النفــوس هــلاكا

فإنــ الجيــادَ الطيّباتِ عروقُها ... تكونـ هــزالا مرّةً وتماكا(١٢)

(١) جعجع : منع وحبس . (٢) وشاكا : سراعا . (٣) ذؤبان : جمع ذئب .
(٤) فى الأصل "كيد" . (٥) القتادة : نبتة لها شوك . (٦) شام : غبَّر رجليه بالشَّيام وهو التراب ، وفى الأصــل "شبن" . (٧) أراح : تنفّس ، والردع : أثر الرائحــة .
(٨) صاك : لصق . (٩) لاحت : أبصرت وفاعلها يعود الى الأظفار، وفى الأصل "لاحيه" .
(١٠) اليزنيّات : الرماح المنسوبة الى ذى يزن ملك من ملوك اليمن . (١١) أحاك : عمل وأثر .
(١٢) تماكا : سمانا .

ألا يا بشـيرَ الخير قل — غيرَ متّقٍ — متى نلتَ من رؤيا الوزير مناكا؟
وأمكنك الحـرَّاسُ من بَسـط قولةٍ تبوحُ بهـا جَهـرا وتفتحُ فاكا
توكّلْ على مَن غمّهـا فى سِـفارها فكم كنتَ فى أمثالهـا فكفاكا
وإنْ هـذه طمَّتْ على أخواتها فوكّلْ بها الصـبرَ الجميـلَ أخاكا
ولا تحسبنَّ الشرّ ضربةَ لازبٍ وإن طال فى هـذا المطالِ مَداكا
فقد يخطئُ الجَلْدُ المصيبُ بغـدرةٍ وكم وألْتَ (١) من عثرةٍ قدَماكا
ستخلُص من أدناسها نازعا لهـا ولم يتعـلّقْ عارُهـا بِرداكا
كأنّـك بالإقبـال قـد هبَّ ثائرا فناشَـك فيهـا ثم ردَّك ذاكا
وقـد زادك التخميرُ عَبْقا وضَوعةً ونشرا، كأنَّ الحبسَ كان مُداكا (٢)
وسُـلِّمَ سـهمُ الانتقام مفـوَّقا اليـك اترمى من بغَى فرماكا
فـودَّ إذًا لو شُـقَّ عنـه إهابُهُ (٣) وما شَقَّ بالغـدرِ المصَـرِّ عصاكا
فعاذرُ "ركنِ الدين" فى الحفظِ أنه جنـاه عليـك ما عليـه جنـاكا
فما زال مـع إلمـامِهِ لك بالأذى اذا أُقـرِضَ الإنعامَ منـك قضاكا
يـزيدك علمـا بالرجال وفطنـةً ويكره قـوما بِغضـةً وفِرَاكا (٤)
ويعـلم أنْ ما زلتَ فى كلّ حالةٍ سِـنادًا له فى مُلكِه ومِلاكا (٥)
وتمشى بكم وخْدًا وجَمْـزًا (٦) أمـورُهُ وتمشى بأقوامٍ سِـواك سِـواكا (٧)

---

(١) وألت : طلبت النجاة . (٢) المداك : حجر يسحق عليه الطيب . (٣) الإهاب : الجسـد . (٤) الفراك : الكراهة . (٥) المـلاك : القِوام ومن يعتمد عليه .
(٦) الوخد والجمز : ضربان من السير السريع . (٧) السواك : السير الضعيف .

فَعطفا على المألوفِ من بِرّ عهـــدهِ وإن هو فى هـــذا المقــام جفا كا

وسمعًــا وإنْــ لم تستمع لعيافتى وزجرى وإنْــ لم تُصْغِ لى أُذُنا كا

وحاشاك أن تخلو[(١)] من آسمــك مدحةٌ ويُقفِــرَ من وفــد الثنــاء ذَرا كا[(٢)]

وأن لا أَرَى فى الصدر وجهَك طالعا وعينُـــ القوافى والرَّجاء تـــرا كا

وحاشاك من يومٍ جــديدٍ وموقفٍ أقــعــوم اليـــه منشدا لســـوا كا

(٣٠٦)

(١) فى الأصل "تحلو" . (٢) الذرا : الكَنَف .

تم الجزء الثانى ويليه الثالث

وأوله قافيـــة اللام

---

*

(مطبعة دار الكتب المصرية ٣٢٧/١٩٢٦/٣٠٠٠)